

المؤلفات الأساسية في التحليل النفسي

بإشراف الدكتور مصطفى زيور

تفسير الأحلام

تأليف

سيجموند فرويد

راجعته

مصطفى زيور

ترجمته

مصطفى صفوان



دار المعارف بمصر

تفسير الأعلام

إهداء ٢٠٠٨

المهندس/ محمد عبد الحليم محمد عبد الله
جمهورية مصر العربية

المؤلفات الأساسية في التحليل النفسي

بإشراف الدكتور مصطفى زيور

سيجموند فرويد

تفسير الأحلام

ترجمه

مصطفى صفوان

راجعہ

مصطفى زيور

الطبعة الثانية

للترجمة العربية



دار المعارف بمصر

الطبعة الأولى للأصل الألماني ١٩٠٠

الطبعة الأولى للترجمة العربية ١٩٥٨

الطبعة الثانية للترجمة العربية ١٩٦٩

الناشر : دار المعارف بمصر - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.ع.م.

إهداء المترجم

إلى الدكتور مصطفى زيور
والدكتور مارك شلومبرجيه

تصدير

بقلم

دكتور مصطفى زيور

« من حل الغز الدائع الصيت وكان أشد الرجال اعتدالاً »

سؤركليس (١)

يجمع المشتغلون بالتحليل النفسي على أن « تفسير الأحلام » خير ما كتب فرويد وأكثر مؤلفاته أصالة . ويرى فرويد هذا الرأي نفسه . فقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة ١٩٠٠ وها هو ذا فرويد سنة ١٩٣١ بعد أن نشر عشرات الرسائل والكتب يسجل رأيه في كتابه هذا فيقول عنه : « إنه حتى فيما أرى اليوم يعزى أئمن الكشف إلى شاء حسن الطالع أن تكون من نصيبي ، فتل هذا الحدس لا يأتي العمر مرتين » .

ولكن في هذه الجملة الأخيرة تواضعاً شديداً ، لأن الحقيقة أن الأحلام مسألة شغلت اهتمام الإنسان منذ أقدم ما نعرف من العصور ، كما يدلنا على ذلك ما جاء في القرآن والكتاب المقدس عن قصة يوسف ، وما نراه فيما وصل إلينا من آثار القدامى في الحضارات الهندية والصينية والعربية (مثل كتاب ابن سيرين وغيره) . وليس أدل على ذلك من أن المعلم الأول أرسطو أفرد مؤلفين لموضوع الأحلام كما أن أب الطب هيبوقراط أنشأ فصلاً عن العلاقة بين الأحلام والأمراض في كتابه الذي وصل إلينا . وظل الاهتمام بموضوع الأحلام لدى الفلاسفة خلال القرون الوسطى ثم لدى العلماء والفلاسفة في العصر الحديث كما سيتبينه القارئ من الفصل الأول من هذا الكتاب .

إنها حقيقة جديدة بالتأمل : أن تشغل مسألة الأحلام الإنسانية بأسرها ، شعوبها ورواد الفكر فيها ، ثم تبقى مع هذا دون حل حاسم حتى يناهز القرن التاسع عشر نهايته ويظهر سيجموند فريد فيحل « الغز الدائع الصيت » . المسألة إذن ليست « حدمساً لا يأتي العمر مرتين » وإنما هي من الحدس الذي لا يتاح إلا مرة في قرون .

(١) بيت من تراجيديا « أديب ملكا » يوصف به أديب . وقد نقش على مدالية مع صورة أديب وهو يرد على سؤال أبي الهول وأهديت المدالية إلى فرويد من تلامذته في أحد أمهات ميلاده .

علينا الآن أن نسأل أنفسنا لم امتنع الحل طوال هذه الأحقاب ، ولم كان من نصيب فرويد دون غيره أن يكشف عن طبيعة الحلم . إنه لا يسعنا أن نجيب عن هذين السؤالين دون أن نستضيء ببعض الحقائق الأساسية التي يضمها هذا الكتاب . ذلك أن الحلم ليس أمراً مستقلاً عن سائر أحوال النفس - في بقولها - بل هو يتصل بها أوثق الاتصال ويكون حلقة من حلقات الحياة النفسية . ويزيد خطورته أنه يعبر عن أمور لا يسعنا حتى مجرد الإحساس بها أثناء اليقظة ، ويحيط بما عني عليه الزمان من الأحداث والخبرات الأولى فيبعثها أمام ناظرنا ، فتضج لنا الصلة بين ماضى الفرد وحاضره ، ويستبين ما كان قد استغلينا علينا فهمه من أحوال الإنسان . حتى استحق الحلم وصف فرويد : إنه الطريق الأمثل إلى أعماق النفس .

بل لانا لتبين في الحلم سمات آثار قديمة ترجع إلى عهود غابرة من تاريخ الإنسانية ومنطقاً غريباً نابياً لا نعهده في يقظتنا إلا حين ننظر في أحوال المجنون أو الرجل البدائي أو الطفل الصغير . وأسلوباً في الخيال والتعبير شديد الشبه بأسلوب الأساطير وعقائد المجتمعات القليلة الحظ من الحضارة . وبعبارة أخرى إن الحلم نافذة تطل على أعماق النفس يترأى البصر منها إلى آفاق تصل إلى طفولة الإنسان . لا بل إلى فجر تاريخ الإنسانية ومراحل تطورها جميعاً . فضلاً عن أنها تجمع في أفق واحد بين العقل والجنون من حيث إن الحلم خبرة من خبرات الإنسان الصحيح العقل ولكن طبيعته الملووسة لا تختلف عن هلوسة المجنون . ومعنى ذلك أن الكشف عن طبيعة الحلم إنما يكشف عن طبيعة العقل والجنون جميعاً .

يتضح إذن أن مشكلة الحلم أعظم شأناً مما يبدو لأول وهلة وأن من يعقد العزم على أن يزيح الستار عن طبيعته إنما يواجه مشكلة طبيعة النفس الإنسانية بأسرها . وقد كان ذلك بين الأسباب التي جعلت موضوع الأحلام أمراً عسيراً ممتنعاً على الفهم العلمي الصحيح قروناً عديدة . ومن أجل ذلك كان « تفسير الأحلام » يضم في الحقيقة بين دفتيه أخطر الاكتشافات في تاريخ معرفة الإنسان بنفسه ، وكان صدوره فتحاً لا يذانيه أى فتح في العلوم الإنسانية ، ونقطة تحول بالغة الأثر في تطور علم النفس والطب النفسي جميعاً ، حتى شبه البعض بكتاب كوبرنيكس الذي طلع بثورة فكرية أرسى قواعد علم الفلك الحديث .

ذلك أننا نقف في هذا الكتاب على المعنى الصحيح لأخطر اكتشافات التحليل

النفسى وأعنى به ما اصطلاح عليه بالعمليات الأولية والعمليات الثانوية ، فدراسة الأحلام تتيح لنا أن نتمتع كلا منها ، وأن نفهم ما يقوم بينها من العلاقات ، فيتضح لنا الارتباط بين أشياء كان يظن أنها متباعدة مستقلة بعضها عن بعض ، ونشعر بأن ضياء قد بددت الظلمات التي كانت تكتنف أشتات الحياة النفسية . فما أن ندرك طبيعة العمليات الأولية التي يقوم عليها ببناء الحلم حتى تنجلي لنا معالم منطق فريد يختلف اختلافاً ملحوظاً عن منطقنا الذي نألفه أثناء اليقظة في المجتمعات المتحضرة (أى منطق العمليات الثانوية) ، ولا نلبث أن نفطن إلى أن منطق العمليات الأولية إنما هو المنطق الذى يُنسج هذيان المريض على منواله ، حتى صبح القول بأن الحلم مرض نفسى قصير يستغرق الليل ، وأن المرض النفسى حلم طويل يستغرق الليل والنهار .

ولا يقتصر الأمر على ذلك . فلنأخذ ننعم النظر في منطق الحلم لا نلبث أن ندرك أنه المنطق الذى يعتقه كل منا في فجر حياته (أى أثناء الطفولة الأولى) وهو كلكا المنطق الذى تعتقه الإنسانية في فجر الحضارة فضلاً عن أنه عين المنطق الذى يصدر عنه خيال الشعراء وغيرهم من الفنانين . وإذا استرشدنا بما ظفرنا به من الفهم ، وتابعتنا التفتيح في سائر أحوال الإنسان لرأينا غموضها وقد استحال وضوحاً ، وكأنها اصطفت جميعاً في صعيد واحد . ومن الجلى أن هذه هي الصفة التي تميز الاكتشافات الكبرى : أعنى ترتيب الشقة بين الأشياء الكثيرة المتباعدة وانخراطها في نظرة واحدة تؤلف بينها ، كما حدث مثلاً عند اكتشاف وحدة الموجات الضوئية والموجات الكهربائية المغناطيسية وغير ذلك من الظواهر الفيزيقية .

وهكذا ندرك أن صفحات « تفسير الأحلام » قد اشتملت الأسس التي قامت عليها دراسات فرويد اللاحقة في شتى نواحي الحياة الإنسانية ، وأعنى بملك ما نشره في أعقاب « تفسير الأحلام » من المؤلفات الأساسية مثل كتابه في « علم النفس المرضى في الحياة اليومية » ثم كتابه « الطولم والتأثر » الذى أرمى فيه قواعد علم الأندروبولوجيا الاجتماعية الحديثة ، ثم كتابه المشهور « ثلاث مقالات في نظرية الجنس »^(١) الذى عالج فيه العلاقة بين اضطرابات النمو النفسى الجنسى أثناء الطفولة وبين ما يلم بالراشد من أمراض وانحرافات نفسية ، ثم دراساته الأكلينيكية في الطب النفسى وبخاصة « طرف من تحليل

(١) ظهرت الترجمة العربية لهذا الكتاب بدار المعارف بمصر ، ترجمة سامى محمود عل ، ١٩٦٣ .

حالة هستيريا » و « مذكرات عن التحليل النفسى لحالة من حالات البارانويا » ، فضلا عن دراساته التطبيقية وبخاصة « النكته وعلاقتها باللاشعور » و « العلاقة بين الشعر وأحلام اليقظة » . ونجد فى هذا الكتاب أيضاً نواة الدراسات التى قام بها بعض تلاميذه مثل دراسة أرنتس جوزر لشخصية هاملت . وجميع هذه الكتب تعتبر من المؤلفات الأساسية فى التحليل النفسى ، التى نزمع نشرها تباعاً فى هذه المجموعة .

فإذا تبينا ما لكتاب تفسير الأحلام من أهمية أساسية أدركنا أنه لا سبيل إلى فهم صحيح للتحليل النفسى بغير دراسة هذا الكتاب دراسة دقيقة تصحح تلك التصورات الساذجة المتبصرة كالقول بأن التحليل النفسى هو اكتشاف اللاشعور أو أنه نظرية قوامها تفسير الأمراض النفسية بأسباب جنسية . هذا فضلا عن كونه كتاباً ينبغي أن يقرأه كل طبيب نفسى وكل مشغل بعلم النفس أو التربية أو الأنثروبولوجيا الاجتماعية أو تاريخ الحضارة أو النقد الأدبى أو فقه اللغة وما إلى ذلك من علوم الإنسان .

• • •

بقى أن نجيب عن الشق الثانى من السؤال الذى طرحناه فى بدء هذا التصدير ، أعنى : لم كان من نصيب فرويد دون غيره أن يكشف عن طبيعة الحلم . والإجابة عن هذا السؤال أمر يعنيننا لأن فيها تبياناً لأهمية أخرى لهذا الكتاب ، فضلا عن أنها تلى ضوءاً على اللحظات الحاسمة فى نشأة التحليل النفسى .

فى السنوات الأولى من العقد الأخير من القرن التاسع عشر كان فرويد يخطو خطواته الأولى فى سبيل الكشف عن طبيعة مرض الهستيريا ، فتبين له أن أعراض هذا المرض تخضع لحتمية سيكولوجية ، أى أن هذه الأعراض تعبر عن معان نفسية ، « ما كان لا ترد جزأً وإنما تحكمها علية يمكن تحديدها كما تحدد علية الظواهر الفيزيقية . ثم ما لبث أنه ابتدع منهج التداعى الحر كوسيلة لاستقصاء المعانى المتضمنة فى الأعراض ، فكان يطلبه من مرضاه أن يطلقوا العنان لخواطرم فلا يمسكوا عن ذكر ما يحضرهم مهما كان تافهاً أو نائياً . فلاحظ أن مرضاه كانوا يذكرون فيها يذكرون أحلاماً عرضت لهم أثناء الليل ، ثم كانوا ينطلقون فى ذكر ما يعن لهم من الخواطر بصدد هذه الأحلام . فأصغى فرويد إلى رواية هذه الأحلام لإصغاءه لغير ذلك من الخواطر ، محاولاً أن يتبين ما قد تشير إليه هذه

الأحلام من معان في ضوء السياق العام لما يقضى به المرضى وما يعانون منه .
وليس من اليسر على القارئ في أيامنا هذه ، وقد دأبت مكتشفات التحليل النفسي وأصبحت جزءاً من الثقافة العامة - ليس من اليسر عليه أن يدرك خطورة هذا الموقف الجديد الذي اتخذته فرويد ، وما يتضمنه من ثورة فكرية على الأوضاع العلمية السائدة في عصره . فقد كان فرويد في ذلك الوقت أحد العلماء الذين أنجزوا اكتشافات علمية مرموقة في ميدان التشريح والطب العضوي ، وكان يعتنق تعاليم مدرسة هلمهولتز في التفسير الفيزيقي لظواهر الحياة ، وهي التعاليم التي كانت تعتبر ضوابط لكل باحث في الطب والعلوم البيولوجية . فالبحث عن « معنى » للأحلام يعتبر مروقاً بل إهداراً للمبادئ الأساسية للبحث العلمي كما كان يتصوره معاصروه ، لأن الاتجاه العلمي الصحيح في رأيهم لا يكون إلا بالبحث عن الأحداث الفيزيكية والكيميائية ، وما عدا ذلك فهو ارتداد إلى أسلوب التفكير الغيبي أو شطحات الشعراء .

والواقع أن كتاب « تفسير الأحلام » استقبل عند صدوره استقبالا سيئاً من معاصري فرويد من العلماء . فها هو ذا البروفسور ليبيان الأستاذ بجامعة برلين يكتب عنه قائلا :
« لقد انتصرت » في هذا الكتاب « الأفكار الخيالية للفنان على الباحث العلمي » (١) .

ولمنا نعلم اليوم أن هذا النقد - وإنْ جانبه الصواب - يلمس عن غير قصد حقيقة هامة . ذلك أن مكتشف التحليل النفسي ما كان ليظفر باكتشافاته ما لم يصطنع ضرباً من الحدس الفني أخضعه لأسلوب البحث العلمي . فإن ما يميز الإنتاج الأدبي والشعر خاصة هو كما يقول كولريديج « التعطيل الإرادي للريبة » : فالشاعر الأصيل يعطل عن قصد ارتيابه فيما جرى العرف على الارتياب فيه والاستخفاف به . فالأخيلة التي يزور الناس عنها ويرونها أضغاثاً باطلة ، تلتقي لديه أذنًا صاغية . وها هو ذا فرويد يكتب في سيرته التي ظهرت في هذه المجموعة بعنوان « حياتي والتحليل النفسي » ما يأتي : « كنت أعطل ملكتي النقدية حتى أحتفظ بموقف غير متحيز لأراء سائدة وأكون مستعداً للنظر في أي أمر يجد من الأمور التي كانت تنكشف لي كل يوم » . والحق أن أهم ما يتميز به رواد العلم أنفسهم إنما هو هذه « السذاجة » التي يعرفون كيف يتلقون بها الظواهر .
ولأنها لحقيقة نعرفها اليوم : إن الشعراء سبقوا فرويد في حدس الكثير من الحقائق

النفسية . غير أن الشعراء كانوا يهدفون إلى إنشاد ما يدخل المتعة على النفس ، على حين أن فرويد كان يجهد في إرساء قواعد علم مقنن . لقد كان من نصيب فرويد أن يكشف عن طبيعة الأحلام لأنه استطاع أن يستعير من الفنان قدرته على الحدس وتعطيله الإرادى للريبة مخضماً ذلك لمقتضيات البحث العلمى .

على أن ذلك ما كان ليفضى به إلى إنجاز كتاب « تفسير الأحلام » - وهو لما سبق القول حجر الزاوية في بناء التحليل النفسى بأسره - ١٠ لم يقم بأخطر تجربة قام بها إنسان في تاريخ المعرفة كلها . أعنى : إقدامه على تحليل نفسه تحليلاً منهجياً بتحليل أحلامه .

حقاً إن فرويد كان قد فطن قبل ذلك إلى الدافع الأساسى في تكوين الحلم أعنى تحقيق الرغبات ، وذلك من تحليله لبعض أحلام مرضاه ، وتأكد لديه هذا الرأى من تحليله لحلم رآه في يوليو سنة ١٨٩٥ ، وهو حلم « حقة إرما » الذى يناقشه في الفصل الثانى من هذا الكتاب . ويتبين من قراءة هذا الفصل أنه كان قد وصل في فهمه للعمليات النفسية التى تشكل بناء الحلم إلى مدى بعيد ، مما يؤيد قوله في رسالته « تاريخ حركة التحليل النفسى » : إن جوهر « تفسير الأحلام » كان قد أنجز في أوائل سنة ١٨٩٦ ولكنه لم يكتب إلا في صيف عام ١٨٩٩ . بل إننا نعلم اليوم من المخطوطات التى اكتشفت بعد وفاته أنه أقدم فعلاً في سبتمبر سنة ١٨٩٥ عن كتابة رسالة (أطلق عليها اسم : مشروع سيكولوجية علمية) أفرد فيها لموضوع الأحلام ثلاثة فصول بين فيها أن الأحلام تنشأ لتحقيق رغبة كما بين طابعها الملوسى والارتداد النكوصى للعقل في الملوسات والأحلام على السواء ، وأوضح عملية النقل في الأحلام ثم التشابه بين تكوين الحلم وتكوين الأعراض العصبية ، وعرض كذلك لاكتشافه الأساس ، أعنى الفارق بين العمليات النفسية الأولية والعمليات الثانوية .

ولكن مهما بلغ شأن هذه البيانات الأساسية في نظرية الأحلام فإن هذه الرسالة لا تقارن بكتاب تفسير الأحلام إلا كما يقارن كوخ صغير بقصر شاهق ، بالرغم من أن الفترة التى تفصل بينهما لا تعدو ستين أو ثلاثة . غير أن هذه السنوات القليلة حفلت بأعظم الأحداث في تاريخ التحليل النفسى ، إذ أقدم خلالها فرويد على تحليله لنفسه فأنجز بذلك - كما سبق القول - أخطر تجربة قام بها إنسان في تاريخ الفكر ، لأنه كان أول من حقق شعار الفلاسئ الأول : اعرف نفسك .

لقد كنا نعلم مما نشره فرويد أنه أفاد من تحليله لأحلامه فائدة عظيمة مكنته من السير قدماً في اكتشافاته ، ولكن القصة الكاملة لهذه الفترة من جهاده العلمى لم نقف عليها إلا عند ما نشرت ، بعد وفاته ، رسائله الخاصة إلى صديق يدعى «فليس» . ففى هذه الرسائل نراه يسجل ما مر به من تجارب فريدة وما اعترض طريق البحث من عقبات تأتية من نفسه ، ثم نصيحه على أن يزيل هذه العقبات حتى يظفر بالحقيقة كاملة .

إن رواية قصة جهاده فى هذه الفترة تقتضى من الصفحات ما يشمله كتاب . فيكنى أن نذكر أنه كان قد أقام نظرية فى تحليل المستيريا اعتنقها عدة سنوات ، ثم إذا بهله النظرية تنهار فجأة أمام نقد حاسم سلطه عليها فى ضوء تجاربه المتكررة مع مرضاه ، فيقف فى ظلام دامس من حيث عليه العصاب ، ويمجد نفسه فجأة وقد أوصدت أبواب الفهم أمامه مهما بذل من جهد . ولكنه ما لبث أن فطن إلى أن تعطيل قدرته على البحث متصل بأسباب تأتية من أعماق نفسه ، أى من مقاومة عنيدة تحول دونه والاستبصار . وبعبارة أخرى فقد أبقن أن الشرط الأساسى لكى يفهم الإنسان غيره من الناس فهماً صحيحاً ، هو أن يبدأ بفهم نفسه ويزيل الستار الذى يحول دون إدراك النفس لكهها . ولا مفر من ذلك . ففرض الطرف عما فى النفس غض له عما فى غيرها . ولذلك فقد عقد العزم على أن يجرى على نفسه تحليلاً منهجياً متخذاً من أحلامه مادة هذا التحليل .

وليس من اليسير على من لم يختبر عملية التحليل النفسى بنفسه أن يدرك خطورة ما اعتزمه فرويد ، وما اقتضاه لإنجاز عزمه من شجاعة وصبر ونضال مرير . ويكنى أن نذكر أن كل عملية تحليل نفسى تصطدم بمقاومة عنيدة طبيعية عند كل إنسان ، تحول دون الاستبصار بما يدور فى أعماق النفس ، ونصدر عن الإشفاق من مواجهة الحقيقة ، ويقتضى الظهور على هذه المقاومة عملاً متواصلاً من جانب الطبيب يدوم شهوراً طويلة . وقد قام فرويد بهذا النضال وحده وأنفق فيه نحو ثلاث سنوات خرج منها بمعرفة وكتاب . فأما المعرفة فقد استكمل فهمه للنمو النفسى أثناء الطفولة واكتشف عقدة أوديب . وفطن للدور الذى تقوم به التخيلات فى نشأة العصاب فاستقامت نظرتة فى حلية الأمراض النفسية . وأما الكتاب فهو « تفسير الأحلام » الذى يعتبر فى المحل الأول ثمرة هذه التجربة الفريدة .

يتضح مما سبق ما لكتاب تفسير الأحلام من أهمية تضعه في مصاف المؤلفات التي تعتبر في المرتبة الأولى من الإنتاج الفكري على مر العصور ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى معظم اللغات الأوروبية وبقيت المكتبة العربية بنقصها هذا الأثر الخالد .

ولا شك أن ضخامة المجهود التي تتطلبها ترجمته والصفات التي يجب توافرها فيمن يقدم عليها كانت سبباً في الإحجام عن نقل هذا الكتاب إلى العربية حتى الآن . ذلك أن هذا الكتاب يزخر بثروة من الثقافة الغربية الحديثة والقديمة ، اليونانية اللاتينية ، جعلت نقله إلى العربية نقلاً صحيحاً أمراً مستحيلاً ما لم يكن المترجم قد اكتسب هذه الثقافة اكتساباً أصيلاً . ثم إن فرويد على الرغم من أنه لم يكن فيلسوفاً محترفاً أن قدرته على الجدل العميق بلغت في بعض أجزاء هذا الكتاب مبلغاً يقتضي أن يكون المترجم رجلاً قد مارس التفكير الفلسفي : على أن العقبة الكبرى في نقل هذا الكتاب نقلاً أميناً تنشأ من أن موضوعه يدور حول مسائل لا بد لمن أذعن نقلها من أن يكون قد اختبرها خبرة أصاة . وبعبارة قصدة لا بد لمترجم هذا الكتاب من أن يكون محللاً نفسياً .

وقد اجتمعت لزميلي مصطفى صفوان هذه الصفات جميعاً . فقد تدرب على التحليل النفسي في معهد باريس وحصل على إجازته ثم مارسه منذ عدة سنوات . وهو فيلسوف تعمق دراسة الفلسفة ودرس الآداب الأوروبية القديمة والحديثة فضلاً عن امتلاكه للغتين الألمانية والعربية امتلاكاً أكيداً . وقد أنفق في هذا العمل الضخم زهاء ثلاث سنوات كنت أرقبه أثناءها وأتبعه مشفقاً أحياناً مما يتطلبه الاستقصاء الدقيق لكل عبارة من المشقة والجهد ، ولكني كنت دائماً سعيداً فخوراً به .

وفي يقيني أن صدور هذا الكتاب في اللغة العربية يعتبر حدثاً ثقافياً عظيماً في تاريخ المكتبة العربية . وبين بدى القارئ الدليل على ما أقول .

مصطفى زيور

دكتور في الطب

أستاذ علم النفس بجامعة مين هس

عضو الجمعية الدولية لتحليل النفس

كلمة المترجم

يقرأ القارئ في هذه الترجمة الكتاب الذى قال عنه سيجموند فرويد : « إنه يحوى
أتمن الكشف التى شاء حسن الطالع أن تكون من نصيبي ، فثل هذا الحدس لا يأتى العمر
مرتين » ^(١).

ونستطيع أن نقول دون أن ندعى الكشف عن ماهية هذا الحدس بل لعلنا لا نعدو أن
نجعل الأثر الأول الذى يخرج به من هذا الكتاب القارئ غير المتأثر بسوابق الرأى (وهى
كثيرة) : إن فرويد يرينا فى « تفسير الأحلام » أن الحلم كلمة وأنه إذن يفترض اللغة على
حسب التفرقة التى أذاعها فردينان دى سوسير فى مطلع هذا القرن : فاللغة نظام اجتماعى
وأما الكلام فهو الفعل الذاتى الذى يطوع هذا النظام لمقاصده وإن خضع له . واللغة بذلك
سابقة على الكلام سبق المجتمع على الفرد ، فهو منذ ولادته يندرج فى شبكة من القرابة
يختلف نظامها باختلاف المجتمعات كما أنه — بما هو إنسان — لا يستقيم له مفهوم بغير
تصور القاعدة أو القانون وتصور القاعدة أو القانون يفترض كثرة الأطراف :

بيد أن قولنا : « إن الحلم كلمة » قد يبدو مبهماً أو مشكلاً ، لأننا نعلم أن الحلم
يتألف أكثر ما يتألف من صور مرئية لا من أصوات . ولقد يتبادر إلى الذهن أننا إنما نعنى
بهذا القول أن الحلم — كالرسم — ربما كان يعرب بصورة عن شىء ما . سوى أن قليلا من
التدبر كفيل أن يرينا أن فكرة « التعبير » هذه يمكن أن تقال عن كل شىء : فاللغة تعبر ،
والموسيقى وجميع الفنون تعبر ، وربما جاز أن نقول بمعنى ما : إن اجتماع السحب فى السماء
« يعرب » عن قرب العاصفة — وإنا لنعلم أن الطبيعة بأسرها قد استحالت بالفعل فى نظر
بعض الفلاسفة إلى نظام من العلامات . ومعنى ذلك أن فكرة التعبير — وهى التى يمكن أن
تقال عن كل شىء — لا تفيد فى تخصيص أى شىء . فهذه الفكرة ليست فى الحقيقة
تصوراً علمياً بالمعنى الصحيح ، بل الأصلى أنها تدخل فى عداد تلك التصورات التى
يصدق عليها التشبيه الذى ضربه هجل فى صدد مطلق شلنجر : تشبيه الليل الذى كل البقر
فيه أسود :

(١) من مقدمة الطبعة الثالثة من ترجمة بريل الإنجليزية .

والواقع أن المماثلة بين الحلم والرسم - وهى المماثلة التى يجرنا إليها تألف الحلم فى الغالب من الصور المرئية - إنما تقوم على أساس موهوم . ولو نظرنا إلى الحلم نظرتنا إلى لوحة مصورة لوجدناه شيئاً لا معقولا ، لا يحمل أقل أثر من المعنى . وإنما الواجب أن ننظر إلى رسوم الحلم نظرتنا إلى تلك الرسوم التى يتألف منها اللغز المصور وإلى يتعين علينا حلها ، فإن فعلنا ارتفع خلوها الظاهرى من المعنى وربما تكشف لنا بيت من أجود ما جاد به الشعر وأقصحه ^(١) . أو بعبارة أخرى : إن صور الحلم إنما تشبه رسوم الكتابة الهيروغليفية أو غيرها من الكتابات المصورة ، وإن موقف من يفسر الحلم لا يختلف فى شيء من موقف العالم اللغوى حين يريد أن يحل للمرة الأولى نصاً مكتوباً بكتابة مصورة لم تفك رسومها من قبل ، وتفسير الحلم إنما يعنى قراءته . وهذا التريب الذى يصادفه القارئ مراراً على صفحات « تفسير الأحلام » بين الحلم والكتابة المصورة يجب ألا يؤخذ مأخذ المماثلة الغامضة ، لأنه يتم عن اتفاق فى الجوهر . بل إن فرويد يجد التقرب إلى التفاصيل حتى إنه يجد فى الحلم ما يضارع استخدام « التخصصات » فى الكتابة الهيروغليفية (انظر ص ٣٣١) ، وأنه يقول لنا فى مقال كعبه سنة ١٩١٣ ^(٢) : « إنه إذا كان هذا التصور لمهجع الحلم فى التصوير لم يلق متابعة حتى الآن فلأن المهملين النفسانيين يجهلون كل الجهل ما هو الموقف الذى قد كان يقفه أحد علماء اللغة لو أنه واجه مشكلة من قبيل تلك التى يواجهها بها الحلم وما هى العدد التى قد كان يتوصل بها إلى حلها » .

الحلم - إذن - كلمة وتألفه من صور مرئية لا يخرجها عن كونه كذلك ، كل الأمر أنه يدعونا إلى أن نزيد قضيتنا تحديداً فنقول : إنه كلمة أو نص مكتوب بطريقة مصورة . وإذا كان الأمر كذلك وجب أن تكون هناك لغة هى اللغة المستعملة فى الأحلام - بحسب التفرقة التى سبقت الإشارة إليها - وهذه اللغة يجب أن تدرس من النواحي الثلاث التى تدرس منها اللغة عادة ، أى فى نحوها وبلاغتها ومفرداتها . فهل الأمر كذلك ؟ نعم . وهذه الدراسة على التحديد هى ما يقوم به فرويد فى الفصل السادس من « تفسير الأحلام » - وهو أطول فصوله وعصب الكتاب جميعاً - بحيث يسعنا أن نقول بحق : إن فرويد - فى

(١) انظر حديث فرويد الصريح فى هذا الصدد ، فى مطلع الفصل السادس .

(٢) بعنوان « حقيق التحليل النفسى على الامتياز العلمى » - وهو مقال نشر باللغة الإنجليزية فى المجلد الثامن من الطبعة الإنجليزية الأخيرة لمؤلفات فرويد الكاملة ، ولله يمد فرويد ما يستطیع التحليل النفسى أن يمد به إلى العلوم المختلفة - ومن بينها علم اللغة - وما يستطیع استمارته منها .

هذا الفصل - قد عرف الإنسان بلغة رغبته مثلما عرفنا أرسطو في منطق بلغة الإنسان العارف . ولا غرو إذن (كما لاحظ أستاذ هوجاك لا كان) أن كانت التحليل النفسي قيمة البشر بالحركة التي يحمل عصرنا بأسره طابعها ، حركة اكتشاف الإنسان ، لعلاقات باللغة ^(١) . ولكننا نترك ذلك إلى إجمال النتائج التي تنتهي إليها هذه الدراسة .

ماذا عن نحو الحلم ^(٢) : إن فرويد يرينا أن الحلم لا يكاد يعرب عن علاقة من العلاقات سوى علاقة الشرط أو العلية . وهو يتوصل إلى الإعراب عنها بالتعاقب . فإن ورد حلم في أعقاب آخر غلب أن يكون الحلم الأول معادلا لجملة شرط يكون الثاني جوابها - وإن لم يكن الأمر كذلك دائماً . وسيجد القارئ مثالا على ذلك في ص ٣٢٥ . وهناك - عدا هذا - علاقة التشابه التي تعرب عنها لغتنا العربية بالكاف وكان وما إليهما : هذه أيضاً يملك الحلم وسائله في تصويرها (انظر ص ٣٣٠) . وأما سائر العلاقات كالاتحاد والنفي والفضدية فهذه لا يكاد يعرف الحلم طريقة ما في الإعراب عنها بل يغفلها إغفالاً . ومعنى هذا أن الحلم فقير كل الفقر في نحوها ، وهو في ذلك يشبه كثيراً من الكتابات المصورة التي تقصر جل اهتمامها على الإعراب عن دوال المعنى مظلة دوال النسبة . ولكن يعرض عن هذا الفقر في النحو ثراء بلاغي يفوق للتصور . فما من صورة من الصور البلاغية التي تعرفها اللغات الهلالية إلا وجدناها في الحلم . وسيرى القارئ حلماً (هو حلم أوبرا فاجر ، انظر ص ٣٥٠) لم يكن منهجه شيئاً آخر سوى الاستعارة ، وما أن انتبه المفسر (وأعني فرويد) إلى ذلك حتى خرج له من وراء فساد الحلم الظاهر مقال مفهوم كانت تقابل فيه الحالة بين حبها المكنون وحب غريمها المكشوف . وأما السبب في هذا الالتجاء المستمر إلى الاستعارات وضروب الكتابة والمجاز المرسل الميثوقة في الشعر والأغاني الشعبية وغيرها فيدكره فرويد في القسم (د) من الفصل السادس ، كما أنه يزيد فيرينا كيف كان لصورة

(١) نرجو أن تجد اللغة العربية من يترجم إليها مؤلفات دى سوير وروزسكى وليق سترين وديوميل وغيرهم من لا يستغنى عن أعمالهم إذا أدنا أن نجاري الثورة الحديثة في علوم الإنسان .
(٢) من أجل أننا لا نتحدث هنا عن النحو بصرفه الفصيح الذي يقصر على دراسة الإعراب وحركاته (فلا محل للحديث عن حركات الإعراب ونحن بصدد كتابة مصورة وإن اشتغل الحلم على وسائل تعادل بعض الحركات الصوتية مثل رفع الصوت لتوكيد أو اصطناع لمجة نغمة ، انظر ص ١٩٥ و ص ٥٨١) بل بالمعنى الأعم الذي دعا إليه بيتا الأستاذ إبراهيم مصطفى والذي يليه دراسة طرق ترتيب المقال على حسب العلاقات بين الحقائق .

البرج في هذا الحلم تركيب عطف البيان . ونستطيع نحن أن نجد في إثرو الرمز والمقابلة والتشبيه والحذف وإطلاق اسم العلم في مجرى الصفة واستعمال القليل للدلالة به على الكثير . بل إن الحلم بوجه عام ليسرف في استخدام الصور البلاغية إسرافاً هو الذى يؤدي إلى هذا العطل الظاهري من المعنى على نحو ما يقع في شعر السرياليين^(١) . ويعين على هذا أنه إذا كان هناك أسلوب نستطيع أن نقول : إنه أساليب الحلم بالذات ، فذلك هو الحذف ، والحذف المحل . بل نستطيع أن نقول بوجه عام : إنه إذا كان المحللون يفهمون مرضاهم فباستنادهم إلى معرفتهم برمزية المحذوف فيها لا يقل أهمية عن المذكور بل يزدخترراً . فإذا أراد القارئ أن يعلم السر في هذا الإسراف البلاغى من جانب الحلم قلنا في إيجاز : إنه الرقابة ، فأنت إذا تحدثت وأنت تشعر بأن ثمت رقيباً على كلماتك كان أول ما تعتمد إليه هو الحذف واستخدام الألفاظ في غير مواضعها ، وإذا كان هناك تعريف يجمع بين ضروب الأشكال البلاغية كالحجاز المرسل أو الكناية أو ما إليهما ، فذلك هو كونها استعمالاً للألفاظ في غير مواضعها .

فلذا انتقلنا بعد ذلك إلى دراسة مفردات الحلم أو - بعبارة أدق - إلى ما يسميه اللغويون الغربيون « دوال المعنى » ، كان أول ما يصادفنا هو الرموز التحليلية بالمعنى المحدود (كالمكك رمزاً للأب أو الرجل رمزاً للموت . . . إلخ) . فهذه الرموز هي الدوال الأساسية في لغة اللاشعور^(٢) ، وإذا لنسمعها دائماً أبداً في حديث الإنسان الليلي (وأغنى الحلم) كما في أعراض مرضه وشعره وأساطيره . . . إلخ . فلذا تركنا هذه وجدنا أن الحلم إنما

(١) كما لاحظ العالم الفنى بنطربيت في مقال عنوانه « ملاحظات حول وظيفة اللغة في الكشف الفرويدي » - وهو مقال ظهر سنة ١٩٥٥ في العدد الأول من مجلة الجمعية الفرنسية لتحليل النفس التي رأس تحريرها الدكتور جاك لاكان : *La Psychanalyse* . ونظن أنه المناسبة من أسفا إذ حالت الظروف دون أن تصلنا مقالة هذا الأستاذ لاكان أن يجيبنا فيها عن سؤال وجهناه إليه لأننا نعتقد أنه الرجل الوحيد بين معاصرينا الذى يستطيع الإجابة عنه ، وهو : ما هو هذا الجنس الذى يقول فرويد : إنه لا يأتى العمر مرتين ؟

(٢) غنى عن البيان أننا نقول أحياناً « لغة الأحلام » بمعنى اللغة المستعملة في الأحلام ، وهذه اللغة تصطنها أيضاً الأمراض المستعرة والقهريه وغيرها ، فهي لغة اللاشعور شيئاً كان للاشعور نصيب ، بحيث نستطيع أن نعد الحلم والمرض المستعري أو القهري لمجرات مختلفة منها تمكن ترجمة بعضها إلى الجنى الآخر - كما يسه فرويد في المقال الذى سبق الإشارة إليه . وكل الفرق أن بنية المادة الثابتة تختلف : فاقوله الحالم بالصور يقول المستعري بجسمه وهكذا .

ينسخ الاستعمال الصوتي والمعنوي للدوال المتضمنة في لغة الحلم النهارية . سوى أن الحلم يفاجئنا ههنا بتلك الظاهرة : ذلك أنه إذا كان هناك أمر يميز اللغات النهارية فهذا هو ما سماه أحد اللغويين المحدثين بمقتى ظاهرة « الفرار من الاشتراك »^(١) ، بمعنى أن اللغة لا تحمل من ابتداء الوسائل للفرقة بين الدوال تجنباً للاشتراك وازدواج المعاني . ومن الحق أن اللغات النهارية مهما أمنت في هذا الاتجاه لا تبلغ أبداً إلى القضاء على اتساع اللفظ الواحد للمعاني المتعددة ، فلقد قدر على الكلمة أن تكون معقد معاني متعددة ، كما يقول فرويد (ص ٣٤٩) ، وهذا الانساع وحده هو الذي يطوِّع اللفظ للمقاصد التي يسخره لها الكلام^(٢) ، ولكن الذي يهمنا الآن هو أن لغة الأحلام تفلت كل الإفلات من هذا « الفرار من الاشتراك » ، بل هي تمنع في الاتجاه المخالف : فلا حد للمعاني التي يمكن أن تحملها صورة الحلم ، وهذا هو ما سماه فرويد ظاهرة « التكيف » . ولو رجع القارئ ههنا إلى أحد الأمثلة على ذلك ، كالحلم المعنون « حلم الخنفساوين » (ص ٣٠٢) ، لنحيل إليه أن صورة الخنفساء بكل ما تكفّف فيها من المدلولات إنما كانت الرسم المهيروغليفي الذي يعكس كل رغبات الحاملة ومخاوفها في صورة غريبة عنها ، ونحيل إليه بوجه عام أنه يواجه في الحلم جميع المادة الدالة وقد تركت لنفسها في « حالة همجية » . ولا يقف إفلات الحلم من قانون الفرار من الاشتراك عند هذا الحد ، بل هو يتناول أيضاً مادة الدوال أو بنيتها الصوتية بلعب يؤلف بمقتى ما يشبه « الكيمياء اللفظية » مثلما تصنع النكات (انظر الأمثلة على ذلك في ص ٣٠٩ وما بعدها) ، وأما السبب في هذا كله فيرجع بعضه إلى غياب الآخر أو المخاطب في الحلم بعض الغياب - وإن لم يكن كله ، كما يتبين من بقاء الرقابة - وارتفاع القاعدة أو القانون بقدر غيابه^(٣) .

لإذا أردنا أن نجعل الكلام السابق عن خصائص لغة الحلم قلنا : إنها لغة تميز بالفقر للنحوى مع الأعمال المفروط للحلف في ترتيب السياق ، ثم بالثراء البلاغي ، فالتكثيف المعنوي .

-
- (١) Joseph Tubbiana, "Agencement et ambiguïté en phonologie", Cahiers F. de Saussure, 1998.
- (٢) لتأمل القارئ المعاني التي لا حصر لها التي يمكن أن يلقاها اللفظ الواحد (وليكن « الشمس ») في استعمالات حل ألسنة البلبله وغيرهم : فالشمس قد تكون المحبوبة وقد تكون الجبال أو الحسن وقد تكون الملك أو المصباح أو الحياة إلى آخره .
- (٣) وأما السبب الآخر والأهم فهو انعطاف الرمي إلى المتخيل نتيجة لارتداد الأنا إلى وظيفة العرجسية . ولا يتسع المجال لشرح هذه النظرية بين الرمي والمتخيل - وإن كان المحللون أقرب الناس إلى فهمها فنبهتهم ترحم دوماً كيف تامل الألفاظ معاملة « الموضوعات » .

وهنا نترك الإجابة عن بعض الأسئلة التي ربما ... لمن القارئ ، كان يسأل :
ما هي الصلات بين هذه اللغة التي يصطنعها الإنسان في خطابه الليلي وبين لغاته النهارية ،
بين هذه الرمزية وتلك ؟ كيف نوفق في بناء واحد بين هذه النظرة إلى اكتشاف اللاشعور
باعتباره اكتشافاً لغوياً بحثاً لم تختلف خطوات صاحبه في الوصول إليه مما قد كانت تكونه
خطوات العالم اللغوي وبين الآراء الداعمة وحدها - عن فكر فرويد ، كاتجاهه الدينامي
وما يعزوه من الأثر الحاسم إلى تاريخ الطفولة وحياتها الجنسية^(١) ؟ ونترك للغويين والنقاد أن
يتبينوا كيف يمكننا تعمق لغة اللاشعور ودورها من أن نزيد فهماً للتراكيب الدينامية
للأسلوب وقوامها الوجدانية^(٢) . كما نترك للفلاسفة أن يستخرجوا المغزى الذي قد يرويه
إذ يرون الإنسان مسكوناً بلغة تأمر رغبته وفيها تولد هذه بما هي رغبة إنسانية .

نترك كل هذا لأننا إنما أردنا بالكلمة المتقدمة أن نشعر القارئ بتلك القضية :
أن الأحلام - كالشعر - لا تترجم . ولقد كان ذلك رأي فرويد الذي أعرب عنه .
فإذا كان كتابه « تفسير الأحلام » قد ترجم مع ذلك إلى معظم لغات العالم الحية فلا يرين
القارئ في ذلك إثباتاً للضد كإثبات الحركة بالمشي ؛ لأن المترجمين اتبعوا في العادة إحدى
طريقتين : فهم إما أسفعلوا بعض الأحلام التي أوردتها المؤلف إسقاطاً وإما استبدلوا بها
أحلاماً من عندهم ومن لغاتهم . ولكن هذه الاستباحة إن جازت والكتاب في أوائل سيرته
لا تجوز اليوم بعد أن صارت له مكانة الكتب الماثورة : هذه كانت الصعوبة الكبرى في
ترجمة « تفسير الأحلام » . ولم أجد لها إلا حلاً واحداً : وهو أن أترجم الأحلام وتفسيراتها
ترجمة حرفية ، فإن كان الحلم قد اعتمد في تصويره على تعبير دارج يتضمن استعارة أو
كناية أو غيرهما ترجمته كما هو ونهت عليه وضرت وجه الاستعارة أو الكناية إذا رأيت داعياً
إلى ذلك ، فإن أحمل التورية نصصت عليها ، أو استغل الاشتراك الذي في أحد الألفاظ
وضعت اللفظ الأصلي بهد كل ترجمة من ترجماته المختلفة ، فإن كانت الخاصة المستغلة
هي الجنس بينته ، وهكذا ، ولا شك في أن النص يفقد بذلك الشيء الكثير من طلاوته
ولطفه - كما يقول جيمس ستراشي الذي اتبع ذات المنهج صادراً عن ذات السبب - بل

(١) وهي أسئلة حاولنا أن نجيب عنها في محاضرة ألقيناها بدار نقابة الصحفيين بدعوة من الجامعة
السنية .

(٢) انظر أيضاً بنغلثيت ، ذات المريج .

يفقد الكثير من قدرته على الإثارة والإيحاء والإقناع . ولكن القارئ يرى الآن كيف كان ذلك بعضاً من الشر الذي ليس منه بد .

وعدا هذه الصعوبة الناشئة عن طبيعة الكتاب المترجم أو - على الأدق - عن طبيعة موضوعه ، كانت هناك صعوبة أخرى تتصل بموقف المترجم إلى العربية ، والذي أعنيه بهذا القول هو مشكلة المصطلحات : هذه لم تكن بالصعوبة البالغة ، فقد وجدت الطريق مهنياً أمامي بفضل من سبقوا إلى الترجمة في مجال علوم النفس والتحليل النفسى بنوع خاص ، ولهذا كان واجباً على أن أوجه إليهم شكرى على هذه الصفحات ، وإذا كنت لا أذكرهم بأسمائهم فلأن أعمالهم قد سبقت أيضاً إلى التعريف بهم . سوى أن من الصعب مع هذا على مترجم في وقتي ألا ينص في هذا المعرض على الجهد الذى بذله الأستاذ يوسف مراد ، فقد كان بالقاموس الذى وضعه بمعاونة الدكتور عبد المنعم الميحيى والدكتور صبرى جرجس أول من أرسى هذه المصطلحات التى صارت اليوم تراثاً مشتركاً . وقد كنت آخذ بالترجمات الموضوعية رغم ما قد يخالفها من قصور لا أظن إلا أن واضعها كانوا أول المتبينين إليه . ولكن هذا الالتزام بالقديم لم يمنع من التجديد إذا دعت الحاجة إليه : كأن أكون انتهيت إلى مرادف لم ينتبه إليه من قبل أو كأن تكون الترجمة الموضوعية مقصورة قصوراً لا يطاق عن نقل المفهوم المراد أداؤه أو خاطئة خطأ . ولقد رأيت الضرورة تدعو إلى شرح بعض المصطلحات الجديدة ولكنى لم أشرح شيئاً من القديم . كما أننى - وقد بقى المستحدث قليلاً بالقياس إلى الموضوع من قبل - لم أر داعياً إلى أن أردف بالكتاب ثباتاً بالمصطلحات . هذا ، وقد كنت على الحملة - فيما أخذت وفيما ابتدعت - أوتر القريب على الغريب والاشتقاق على التعريب وأما النحت فلم أكد أعمله قط .

بعد هذه الملاحظات المتعلقة بترجمة الكتاب أتحدث عن سياستى في تقديمه .

إن من الأمور المعلومة أن « تفسير الأحلام » كان أحد الكتب القليلة التى ظل فرويد يعنى بتعديلها زمناً طويلاً ، يحدف حيناً ويضيف أحياناً أخرى ^(١) . والترجمة التى يقرأها القارئ في هذه الصفحات تنقل نص الطبعة الثامنة والأخيرة - وهى من غير شك أوفى الطبعات ، لأن المجلدوف في خلال التعديلات المشار إليها قليل بالنسبة إلى ما أضيف . ثم حتى هذا المجلدوف كثيراً ما أوردته ، بل العبارة المعدلة ذكرت صيغتها قبل التعديل كلما رأيت

(١) انظر مقدمات الطبقات المتخفى التى ظهرت في حياة فرويد .

لذلك دلالة بالنسبة إلى فكر المؤلف . بحيث يسع القارئ الاطمئنان إلى أن هذه الصفحات قد أودعت « تفسير الأحلام » في صورة من أوفى ما يكون .

بقى بعد هذا أمر آخر . وأعني به التضمينات التي لا حصر لها والتي يجدها القارئ منتثرة في خلال الصفحات المقبلة : تضمينات ترد في خلال تفسيرات الأحلام ولا نعود ندهش لما بعد الذي سمعناه عن كثرة التجاء الأحلام إلى الاستعارات المبثوثة في تعبيرات اللغة الدارجة وثرائها الشعري وأغانيها الشعبية وأمثالها الحكيمية . . . إلخ . ، ثم تضمينات لفرويد هي خاصة من خصائص أسلوبه . هذه وتلك لم تترك في بعض الأحيان مفرأ من شرحها شرحاً قصيراً إذا أردنا أن نضع القارئ في « جو الكتاب » - وهو جو ينبعث عند المؤلف عن ثقافة أوروبية أدبية منقطعة النظير ، «تمثلة إلى أبعد الحدود . ولم يكن بد كذلك من أن نجلو بعض إشارات المؤلف : فهي ربما اتجهت إلى جوانب من تاريخ الأمم الغربية وأساطيرها قد لا تكون للقارئ العربي ألفة تامة بها أو إلى وقائع تمس حياة المؤلف الخاصة قد لا يعلمها القارئ . وفيما عدا هذه الهوامش التي إنما تهدف إلى تيسير متابعة المؤلف أو جلاء الغامض من إشاراته . لن يجد القارئ شيئاً مما يشبه الشرح النظري أو التعليق .

وقد كنت فكرت في أن أخرج عن هذه القاعدة فيما يتصل بالفصل السابع والأخير - وهو « أصعب ما كتب فرويد وأشدّه تجريداً » ^(١) - سوى أني رأيت أن مثل هذه الشروح لكي تفي الغرض المطلوب لا يمكن إلا أن تطول طويلاً لا تطيقه إمكانيات النشر ولا صبر القارئ . ثم ليها بعد هذا كانت تفي ! فلا غنى لمن أراد أن يستوعب هذا الفصل من أن يقرأ رسائل فرويد إلى صديقه فيلهلم فليس ، فيها يرى فكر فرويد وهو يتكون خطوة فخطوة في خلال الحقبة السابقة على كتابه « تفسير الأحلام » والمعاصرة لها ، وفيها يجد على الأخص مشروعاً أرسله فرويد إلى صديقه وأودعه جملة الأفكار التي تؤلف بحق نواة هذا الفصل . وإذا كان جيمس ستراشي - بقدر ما أعلم - هو أول من استطاع أن يزدنا بترجمة فاهمة مفهومة لهذا الفصل ، فلا يعود ذلك إلى تفرقه الأدنى غير المنازع وحسب ، بل يعود على الأخص إلى أن هذا الفصل لم يتسن فهمه إلا بعد أن عرفت هذه الرسائل ونشرت (١٩٥٠) . وهناك بعد هذا سبب آخر يقتضينا أن نقرأ هذه الرسائل :

(١) إنست جومز ، « سيجموند فرويد » ، الجزء الأول ص ٢٩٣ .

ففيها نجد صورة من حياة فرويد الخاصة ، والإلام بدقائق هذه الحياة أمر لا يستغنى عنه من أراد أن يستوعب تفسيرات المؤلف لأحلامه . وهذا الاستيعاب بدوره أمر ضروري لسبين : فهناك أولاً ما تشتمل عليه هذه التفسيرات من القيمة الأدبية (وأغنى على التحديد الإنسانية) وإن الذين يعلمون لأى المخاطر يتعرض كل من أراد أن يتعرف نفسه ويعرف غيره بها وكيف يسهل أن تنزلق محاولته إلى التبرير المتصل أو الاستفزاز الماسوشى أو تغذية العجب الذى لا يشبع ، أى - فى النهاية - إلى محاولته أن يسرق من غيره صورة نرجسية ، أولئك لا يمكن إلا أن يروا فى حديث فرويد ههنا غاية ما يمكن أن يصل إليه امرؤ من الاتزان بل من الإنصاف لنفسه ولغيره وغاية ما تستطيع أن تصل إليه العبقريّة من التخلص من سراب « الأنا » والاقتراب من المعاش المباشر . وأما السبب الآخر والأهم فهو ضرورة هذا الاستيعاب لمن أراد أن ينفذ إلى فكر فرويد ، لأنه إذا كانت الحقيقة مهداً بلغت موضوعيها لا تخرجها هذه الموضوعية عن أن تكون مقياساً للعالم كما هى مقياس للمعلوم ^(١) أو - بوجه أعم - إذا كان تكون الموضوع يتبع دائماً تحقق الذات ^(٢) ، فهذه القضية لا تصلق فى مجال من مجالات المعرفة صدقها فى التحليل النفسى .

بقيت بعد ذلك هنات خفيفة اشتمل عليها النص ولم يكن بد من مداوانها وبخاصة بعد أن صارت هذه المداواة لا تكلف كبير عناء . فقد نهض بها ستراشى من قبل : ذلك أن فرويد فى خلال التعديلات التى سبقت الإشارة إليها ربما حذف جملة أو جزءاً من جملة مع أن فى مستأنف السياق إشارة لا تفهم بغير هذا الجزء فلا يكون بد من أن نعيد إدراجها فى النص ، أو هو قد يضيف فقرة ولكنه يضعها فى غير موضعها فلا يكون مفر من التنبيه على ذلك حتى نجنب القارئ حيرة لا داعى إليها - وفيما عدا هذا ذكرنا تاريخ الإضافات

(١) إن الحقيقة تبدأ دائماً باحتبارها كلمة العالم ، حقيقته هو التى يضمها فى ميزان الآخرين ، والموضوعية التى تصبح لها من بعد تنفى فى المثل الأول أنها قد صارت جزءاً من العالم الإنسانى ، صارت لغة وحدة وكلفاً ، فالتناس يضمون فيها أنفسهم لكى يتفاهروا (فهى لقيم المشتركة) ويضمون فيها ملهم لكى يصنعوا عديم (إذا كانت نظرية طبيعية ، فكل نظرية طبيعية يجب أن تتبنى صياغتها على ذلك النحو : إذا أردت أن تصنع كذا فافعل كذا وكذا) أو لكى يبنوا نظام مجتمهم (إذا كانت نظرية سياسية) .

(٢) إن مؤلف جبل الخالد « علم ظواهر الروح » يمكن احتباره بأسره برهاناً على هذه القضية وشرحاً لقوانين هذه التجربة . والقضية بعد هذا لا تقع فى المثالية كد قد يجادر إلى النعم ، فنحن نعلم أى أثر كان لمؤلف المشار إليه فى نشأة الماركسية التى يمكن أن نعلمها بحق نظرية تكوين العالم البروليتارى من خلال تحقق الإنسان بصراعه الطبى لأجل الاعتراف به .

المتخلفة كلما رأينا أن للملك أهمية أو أنه يعين القارئ على متابعة النص . كذلك قد يستشهد فرويد بمؤلف ولكنه لا يعنى بذكر رقم الصفحة (فذكرناه) أو يذكر الرقم الخطأ (فصحيحناه) . وأقول بهذه المناسبة : إني رأيت من الأفضل أن أترك تبويب فرويد لقائمة مراجعه متبعاً التبويب الذى وضعه ستراشى . فقد عنى فرويد بأن يجمع كل المؤلفات المتعلقة بموضوع الحلم ثم قسمها قسمين : مؤلفات ظهرت قبل « تفسير الأحلام » سنة ١٩٠٠ وأخرى ظهرت بعده . فأما ستراشى فوزعها بين مؤلفات أشير إليها فى خلال النص وأخرى لم ترد إليها إشارة ما . وكل قائمة من هاتين رتبتي فيها المؤلفات على حسب الترتيب الأبجدي للمؤلفين ، فإن كان للمؤلف الواحد أكثر من كتاب أو مقال رتبته أعماله بحسب سنى صدورها ، فإن كانت له مؤلفات متعددة فى السنة الواحدة رتبته هذه أيضاً بحسب ترتيبها فى الزمن وأردف تاريخ السنة بحرف أبجدي يدل ترتيبه بين سائر الحروف على السابق واللاحق . ولا تخفى المزية بل المزايا التى لقائمه ستراشى الأولى : فهى - أولاً - ستكون بمثابة فهرست بأسماء المؤلفين يغنيها عن تكرار ذكرهم فى الفهرست التحليلي ، ثم هى ستضمن العدد الكبير من مؤلفات فرويد ومقالاته وقد رتبته بحسب تاريخ صدورها ، وهى - ثالثاً وأخيراً - تسهل علينا الإشارة إلى المراجع المختلفة : فيكفيها بعد اسم المؤلف أن نضع بين قوسين تاريخ الكتاب أو المقال أو تاريخه متبوعاً بحرف (نختاره من حروف الأبجدية العربية بحيث يوافق فى الترتيب حرف الأبجدية اللاتينية المستعملة فى القائمة) ثم رقم الصفحة أو الجزء فالصفحة - وربما أغفلنا ذكر السنة إذا لم يكن للمؤلف المشار إليه سوى كتاب أو مقال واحد . ولقد وضعت بين معقفين كل ما ورد فى خلال هذه الترجمة من الزيادات وكذلك كل النصوص التى استشهد بها فرويد من اللغات الأجنبية والتى أوردت فى المتن ترجمتها العربية وأسقطتها هى فى الهامش ^(١) .

هذا ، وإني وقد أشرت فى الفقرة السابقة إلى هنات عرضت لا أرى عييداً عن النص على أن هذه الهنات لم تحل دون بلوغ الكتاب مبلغاً عالياً من جمال التحرير يجعل منه بحق أثراً فنياً باقياً إلى جانب قيمته العلمية . وفرويد فى كل أحواله - وفى هذا الكتاب بخاصة - كاتب نلر من حاذاه فى ذكاء العبارة ورشاقته مع حدة وبيان ، وقد لا يعلم القارئ أن

(١) مخالفاً فى ذلك عادة المترجمين الأوربيين إذ يوردون النص الأجنبي كما هو فى المتن ثم يسقطون ترجمته فى الهامش - إن أرادوا . والحكمة فى هذه المبالغة غير خافية .

مؤلف « تفسير الأحلام » سيد من سادة النثر الألماني وأن أسلوبه من الأساليب التي بلغت مبالغ الإعجاز ، فقد استطاع أن يحفظ للجملة الألمانية كل أصالتها مع إعطائها نقاوة وواقصاً لاثنيين أو يكادان. ولقد عرف له هذا الفضل فنجح جائزة جوتة الأدبية سنة ١٩٣٠ ولا يمنحها سوى أعلام الكتاب .

• • •

وبعد ، فإنه لواجب يسعدني أداؤه أن أوجه ههنا أول شكرى وأخلصه إلى والدى ، فقد كان يزودنى بقدرته اللغوية كلما خانتنى قدرتى ، آتياً في كل عبارة بما يكسبها سلامة أو سلاسة ، فلولا ولولا هذا الجهد الذى بذله مختاراً من غير حساب ما أتى هذا العمل فى الصورة التى تجعله جديراً بأن ينقل إلى الغير — أى ما كان عملاً .

وأما أستاذى وصديقى — منذ أن شرفنى بصداقته — الدكتور مصطفى زيور فلست أدرى كيف أشكره إلا بأن أهدى إليه هذا العمل كله . وما أظن بعد ذلك أنى أوليته حقه ، فقد قرأ هذه الترجمة سطراً فسطراً مضاهياً إياها بالترجمة التى وضعها جيمس سترائى بمعاونة آنا فرويد — وهى ترجمة لم يختلف اثنان فى إمكان الثقة بها — وكان لمراجعته هذه ، ناصحاً ونهيهاً ومصححاً ، أكبر الأثر فى تقريب الترجمة الحاضرة من الكمال المنشود . وأنا — إذن — كمن يجازيه ببعض فضله . وأما التشجيع الأدبى الذى عرفته منه دائماً فلم يكن على القطع بأقل مآثره : بفضله — ماضياً — ولجت مجال التحليل النفسى (حيث كان الدكتور مارك شلومبرجيه أول من قاد خطواتى) وبفضله — حاضراً — أقبلت على هذه الترجمة .

وأما ترجمة سترائى التى سبقت الإشارة إليها مرات متعددة فيكون جحوداً منى ألا أنص ههنا على دينى الكبير نحوها ، فما أظن أن ترجمتى كانت بالغة مبلغها من الدقة والوضوح — أيا كان حظها من هذين — لولا الاستعانة المستمرة بهذه الترجمة الفائقة والاهتداء بهديها . هذا وإن كنت لا أحتاج إلى القول بأننى لم أذهب فى ذلك حتى المدى الذى يجعلنى أنزل الترجمة عندى منزلة الأصل أو أستغنى بها عنه ، فن المقطوع به أن الكتاب المترجم إنما ينتقل إلى القارئ بزاوية الانكسار التى تنشأ عن مروره فى خلال الوسط المؤلف من فهم المترجم وحساسيته (وإن لم ننس أيضاً أن هذه القضية لا تعنى أن « الترجمة خيانة » بقدر ما تنبه إلى أن الأمانة حين تكون فبجهد خاص) . وإنى — إذن —

إذ أشكر للدرى الفضل أنهم فى محاسن هذه الترجمة لا أفكر أقل تفكير فى أن أدخل نفسى من التبعة فيما قد يكون من معاييبها ٥

وأوجه كبير شكرى من بعدُ إلى الدكتورة هيلده زالومنسر أستاذة اللغة الألمانية بجامعة الإسكندرية ، لما منعت عنى معرفتها الغزيرة بأداب اللغة الألمانية وتعبيراتها الدارجة وما جرى منها بين أهل الفسافة بيننا بنوع خاص . كما أشكر طالبى بالأمس وصديقى اليوم وأول قرأى أحمد فاتى ، فقد قرأ الترجمة وهى مخطوط فأعانتنى ملاحظاته على تبين مواطن الشبهات فى أداء المعانى لرفعها ، هذا فضلاً عن معاونته السخية فى وضع الفهارس وتصحيح التجارب . فأما صديقى عبد العزيز إبراهيم الذى أخذ على عاتقه أن يهيئ المخطوط للمطبعة فلا يقدر جهده إلا من عاناه ^(١) .

وأما فضل دار المعارف إذ تولت إخراج هذا الكتاب فى الصورة التى تليق بمكانته فى عالم الفكر الغربى وبمكانتها هى فى الشرق الناطق بالفساد ، فأبين من أن يحتاج إلى نص خاص .

• • •

وأخيراً ، فلنأى إذ أتذكر بين يلى القارئ العربى هذا الأثر الذى هو من غير شك أحد الثوابت فيما يسميه شارل دى بوسى « سماء الثوابت » لا أملك إلا أن أعرب عن أمل فى أن يكون له بيننا مثل ما كان له فى الغرب من أثر معروف (وإن لم يسر كل غوره بعد لأنه لم ينقطع) فى تاريخ الحركات الفنية والفكرية والفلسفية وفى علوم الإنسان . ولم لا والكتاب لرجل يرينا فى الحلم كلياً ومن وراء هذا الكلام لغة يجلو غوامضها ويدبح أسرارها ونحن اللذين نتسب إلى قوم جعلوا من اللغة مدار حياتهم الثقافية جميعاً ؟ فصير الكتاب بيننا ربما كان وقفاً على اختيارنا : أنقبل أن نكون خلف هذا السلف ؟ ولست أدرى ما سيكون من إجابتنا عن هذا السؤال ولكن أياً كان الجواب فأهم منه ألا ننسى تلك القضية التى نرى مصداقها فى كل خطوة من هذه الخبرة التى لم يكن مبدعها إلا سيجموند فرويد نفسه (وأضى التحليل النفسى) : من لم يجتر ماضيه لم يجد حاضره .

وللسألة بعد هذا وجه آخر : ذلك أن فرويد إذ يرينا الكلمة (أى المعقول بالذات)

(١) يحزننا أن ننسى هنا هذا الصديق ، فقد أبى الموت القاسى إلا أن ينحطه قبل أن يرى ثمرة جهده .

في عمل الحلم كما في أعراض المرض^(١) ، يرفع أكتف الحجب التي كان يعنى فيها على الإنسان وجهه . فهل نقبل المخاطرة في آفاق الوعي والتحقيق الإنسانيين غير المذروطين ، أى بغير التحصن بميكانيكيات الدفاع كما يقول المحللون النفسيون ؟ هذا أيضاً سؤال لا أعلم جوابنا المستقبل عنه . ولكن لا ننسى تلك القضية الأخرى : من لم يختار مستقبله لم يجد ماضيه .

مصطفى صفوان

عضو الجمعية الفرنسية لتحليل النفس

(١) مثلما يرينا هيجل لياه في العمل وفي الألم بوجه عام .

DIE TRAUMDEUTUNG

تفسير الأحلام

"FLECTERE SI NEQUEO SUPEROS, ACHERONTA MOVEBO"

« لنن لم أئن السماوات حركت الآخرين »^(١)

(١) [بيت من ملحمة الشاعر اللاتيني فريجيل عن وقائع آينياس (الكتاب السابع ، السطر ٢١٢) حيث يرد على لسان الإلهة يونون إذ تعلن هزمها على أن تفسد بكل ما وسعت خطة آينياس في الفرار بفلان الطرواديين المهزومين وتأسس ملكة جديدة بهم في أرض إيطاليا . فهو يفقد اسباب النزم على بلوغ القصد من كل سبيل ، أراد فرويد أن يمثل به ما تبذله الرغبات اللاشعورية من الجهد . والآخرين نهر يعبه الملق في أساطير الهونان عند توجيههم إلى الدار السفلى ، ثم صار يطلق على الجسم كافة بآلته وأهليه ، فهو يقابل في البيت اللفظ « سوربوس » الذي ترجمناه بالسماوات وحقيقة السماوات بآلته أو قواها] .

ممهيد

هذا كتاب أحاول فيه أن أشرح تفسير الأحلام ، وأعتقد أنى إذ أفعل ذلك لا أتجاوز دائرة الموضوعات التى يهتم بها علم الأمراض العصبية ، ذلك أن البحث السيكولوجى يرينا أن الحلم أول حلقة من سلسلة الظواهر النفسية الشاذة - وهى سلسلة اقتضت الأسباب العملية أن تشغل الأطباء بسائر حلقاتها ، مثل المخاوف المسترية والأفكار القهرية والمهجاسية ه ولا تستطيع الأحلام أن تدعى مثل هذه القيمة العملية - كما يتبين من الصفحات القادمة - ولكن هذا عينه إنما يزيد قيمتها النظرية من حيث هى نموذج ومثال ، وإن من قصر عن أن يبين منشأ صور الحلم ليجهد عبثاً فى أن يفهم المخاوف المرضية والأفكار القهرية والمهجاسية أو فى أن يؤثر فيها تأثيراً شافياً .

بيد أن هذه الصلة التى يدين لها موضوعنا بأهميته هى أيضاً المارومة على ما يتخلل هذا المؤلف من مواطن القصور : فالثغرات التى سوف يلحظ القارئ كثرتها فى هذه الصفحات أبما كثرة إنما توافق على التحقيق تعدد مواضع الاتصال التى تسلم عندها مشكلات الحلم إلى المشكلات الأعم الداخلة فى نطاق علم النفس المرضى - وهى مشكلات لا سبيل إلى معالجتها فى هذا العرض ويجب أن تفرد لها صفحات أخرى إذا توافر الوقت والجهد وإذا عرضت مادة جديد .

ثم إن خصائص المادة التى أصور بها تفسير الأحلام قد جمعت نشر هذه الصفحات صعباً على ذلك . فسوف يتبين من سياق هذا الكتاب لم كانت الأحلام المدونة من قبل فى مختلف المصنفات أو تلك المنقولة عن مصادر مجهولة لا غناء فيها على الإطلاق فيما أقصد إليه . وكان على إذن أن أختار بين أحلامى وأحلام مرضى الذين أعالجهم بالتحليل النفسى . ولكن معنى من اللجوء إلى هذه المادة الأخيرة أن عمليات الحلم تتعقد فيها تعقداً خيراً مرغوب فيه ، لدخول الخصائص العصابية عليها . فإذا رويت أحلامى لم يكن مفر من أن أطلع نظرات الغرباء على أكثر ما كنت أود إطلاعهم عليه من دخائل حياتى النفسية وما يلزم فى العادة كاتباً هو رجل من رجال العلم وليس بشاعر . ذلك هو الشر الأليم الذى لم يكن منه بد ، فأذعنت للضرورة مؤثراً هذا الإذعان على التزول عن كل برهان يسند

كشوفى السيكولوجية . ولا غرو مع هذا أن غلبتني الرغبة في أن أخفف من غلواء المكاشفة فأضمرت وبدلت ، وكنت كلما فعلت نقصت قيمة المثال الذى أضربه نقصاً ماحوساً لا شك فيه . وكل الذى أستطيعه هو أن أعرب عن أملى في أن يضع القارئ نفسه في موقفى الصعب حتى يرفق بى ، ثم عن أملى في أن أولئك الذين سوف يرون في أحلامى إشارة ما إلى أشخاصهم لن يفكروا في أن ينكروا على حرية الفكر — في حياتى الحاملة على الأقل .

مقدمة الطبعة الثانية

لأن تدعو الحاجة إلى طبعة ثانية لهذا الكتاب (وما هو بالكتاب الذى تسهل قراءته) .
قبل أن تنقضى على نشره عشرين - ذلك ما لا يرجع الفضل فيه إلى دوائر المحترفين الذين
كنت أوجه الخطاب إليهم فى الكلمة المتقدمة ؛ فلا يبدو أن زملائي من أطباء النفس قد
كلفوا أنفسهم كبير عناء من أجل التغلب على الحيرة الأولى التى أشاعتها نظرتى الجديدة فى
الأحلام ، فأما الفلاسفة المحترمون الذين صار من عادتهم أن يعمروا فى عبارات وجيزة - قل
أن تختلف - على مشكلات الحياة التى لا يرون فيها سوى ظاهرة تدلّل الحالات الشعورية
فمن الواضح أنهم لم يلاحظوا أن ههنا قد تكون البداية المؤذنة بنتائج لا بد من أن تغير وجه
نظرياتنا السيكولوجية تغييراً ، وأما الموقف الذى وقفه المعلقون فى الصحف العامة فلم يكن
يترك للمرء أن يتوقع قدراً آخر لكتابتى غير أن يندثر فى صحت مطبوعى ، على حين ما كانت
القلة المقدمة من الأنصار ، ممن يزاولون التحليل النفسى بتوجيه منى ويحذون حذوى فى
تفسير الأحلام ويستخدمون تفاسيرها هذه فى مداواة الأعصاب ، ليستنفدوا قط الطابعة
الأولى من هذا الكتاب . وعلى هذا أرايى أدين بالشكر لدائرة أشمل من القراء المثقفين .
ذوى العقول المتطلعة ، الذين يحملنى اهتمامهم على العود بعد سنوات تسع إلى هذا الكتاب
الصعب وإن كان من وجوه متعددة كتاباً أساسياً .

ويسرنى أن أستطيع القول : إلى لم أجد فيه سوى القليل لأخبر منه ، فقد ضمته بعض
المادة الجديدة هنا وهناك . وأضفت إليه بعض التفاصيل استقيتها من خبرتى المتزايدة ،
وأردت لقضاياى بعض التعديل فى قلة من مواضعه ، ولكن الجوهر فيما تحدثت به عن
الأحلام وتفسيراتها وكذلك فى النظريات السيكولوجية التى تخلص من كل أولئك - هذا
الجوهر يظل هو هو ، إنه قد ثبت لحنة الزمن - من الوجهة الذاتية على الأقل . وإن من
يعرف سائر كتاباتى (فى علوية الأعصاب وآلياتها) ليعلم أنى لم أتقدم قط بالرأى غير المحقق
على أنه الشئ المحقق وأنى كنت أعدل دائماً من قضاياى بما يتفق وتقدم خطاى فى مجال
المعرفة ، إلا الحياة الحاملة ؛ فقد وسعنى الثبات فيها على ما بدأت . فإنى اشتغلت بمشكلات

الأعصبة سنوات طويلاً عرفت فيها الحيرة مراراً واستبهمت على مسالك الفكر كل استبهام أحياناً ، فكان « تفسير الأحلام » دائماً هو الذى يرد إلى عندل يقينى . ولقد صدر إذن خصوى من العلماء عن غريزة واثقة حين أبوا متابعتى فى مباحثى فى الحلم بنوع خاص . ومادة الكتاب أيضاً - وهى تتكون من أحلام لى نفسى تعدت الأحداث غالبيتها أو أفقدتها أهميتها وبها صورت تفسير الحلم - قد أبدت مثل هذه القدرة على البقاء وعلى مقاومة كل تغيير بعيد الغور . فلهذا الكتاب - فوق ما سبق - مغزى ذاتى آخر ، مغزى لم أدركه إلا بعد أن انتهيت من تصنيفه : فقد تبين لى أنه كان جزءاً من تحليلى الذاتى ، كان استجابتى إلى موت أبى : أى إلى أخطر حادثة ، إلى أفجع خسارة تصيب امرأ فى حياته . وإذا عرفت أن ذلك كذلك أحسست العجز عن أن أطمس معالم هذه الحيرة . وأما القارئ فلقد يستوى عنده بأى مادة يتعلم كيف يقدر شأن الحلم وكيف يفصره . هذا وقد كنت كلما تعلد على أن أدرج فى السياق القديم ملاحظة لا أجد غنى عنها نهبت على حادثة أصلها بوضعها بين معقنين ^(١) .

برغضجان ، فى صيف ١٩٠٨

(١) ثم أسقطت هذه الملقف فى الطبقات التالية [ابتداء من الطبعة الرابعة] .

مقدمة الطبعة الثالثة

لقد انقضت سنوات تسع بين الطبعتين الأولى والثانية لهذا الكتاب ، ولكن لم يكد ينصرم العام حتى لزمّت طبعة ثالثة . ولقد أسر لهذا التبدل ، ولكنى وقد أبيت بالأسس أن أرى فى إعراض القراء عن كتابى دليلاً على خلوه من كل قيمة . لا أستطيع اليوم أن أعد إقبالهم الحاضر عليه شاهداً على كماله .

وبعد ، فها هو ذا « تفسير الأحلام » نفسه لا يتركه تقدم العلم دون أن يغير منه . فقد كتبت عام ١٨٩٩ ونظرتى فى الحياة الجنسية لا تزال طلى الغيب ، ولم يكن تحليل الأشكال المعقدة التى تتخذها الأعصاب النفسية قد تجاوز بدايته . كان أملى إذ ذاك أن يعين تفسير الأحلام على تسير التحليل السيكولوجى للأعصاب ، ومنذ ذلك الحين أحدث الفهم الأعمق للأعصاب تأثيره الرجعى فى نظرتنا إلى الحلم ، فامتدت نظرية تفسير الحلم فى اتجاه لم أنبه عليه التنبيه الكافى فى الطبعة الأولى لهذا الكتاب : فقد علمتني خبرتى وكذلك مؤلفات فيلهلم شتيكل وغيره من الكتاب أن أقدر تقديراً أصدق مدى انتشار الرمزية فى الأحلام (أو على الأصح فى التفكير اللاشعورى) ومقدار أهميتها . وهكذا تجمعت فى خلال هذه السنوات حقائق كثيرة تتطلب الاعتبار . وقد حاولت أن أحسب لهذه التجديدات حسابها بإضافات متعددة ضمنها النص وهوامش ألحقها به . فإذا كانت هذه الإضافات تهدد فى بعض المواضع بتمزيق الإطار الذى وضع فيه الكتاب ، أو إذا لم أكن وفقت فى كل المواضع إلى رفع النص الأصلى إلى مستوى معرفتنا الحاضرة ، فرجأنى هو أن يفر القارئ هذه المثالب ، فإنما هى النتائج الناجمة عن نمو علمنا نمواً مسرعاً فى الآونة الحاضرة وعلامات عليه . بل لقد أجازف إلى التكهن بنوع الانجاهات الأخرى التى سوف تفرق فيها الطباعات المستقبلية لتفسير الأحلام — إن احتاج الأمر إلى طبعة مستقبلية — . هذه الطبعة : ففيها سوف يتحتم من جهة لصوق أوثق بالمادة الوافرة المضمنة فى الشعر والأساطير والعرف اللغوى والآداب الشعبية ، ومن جهة أخرى سوف يتحتم التعرض للعلاقات بين الأحلام والأمراض العصبية فى تفصيل يربو على ما اتسع له الإمكان هنا .

هنا ولقد بلل لى السيد أونو رائك معاونة قيعة فى اختيار المادة المضافة ، واحتمل
وحله عبء مراجعة التجارب . وإنى لأشكر له وأشكر للكثيرين هبزه مشاركاتهم
وتصحيحاتهم .

لينا ، فى أبريل ١٩٢١

مقدمة الطبعة الرابعة

في خلال العام الماضي (١٩١٣) أخرج الدكتور أ. أ. بريل - وهو من مدينة نيويورك - ترجمة إنجليزية لهذا الكتاب :

(The Interpretation of Dreams, G. Allen & Co., London).

ولم يقتصر الدكتور أوتو رانك هذه المرة على القيام بتصحيح التجارب ، بل مد النص كذلك بفصلين قائمين بذاتهما - وهما الملحقان بالفصل السادس .

فيينا ، في طبعة ١٩١٤

مقدمة الطبعة الخامسة

لم يَنْجِبْ الاهتمامُ بتفسير الأحلام ، حتى في إبان الحرب العالمية ، ولمُنْتَ طبعة جديدة وهذه الحرب لا تزال ناشبة . غير أني لم أستطع الإحاطة بكل ما نشر منذ عام ١٩١٤ ، فلست أعلم ولا الدكتور وانك يعلم بمؤلف أجنبي منذ ذلك التاريخ .

وهناك ترجمة هنجارية توشك على الظهور ، أعدها الدكتور هولويس والدكتور فرنسي . كما أن « محاضراتي التهيدية في التحليل النفسي » قد نشرت في ثيننا عام ١٩١٦ - ١٩١٧ (نشرها ه . هالر) . وقد خصص الجزء الأوسط من هذه المحاضرات (وهو يضم أحد عشر فصلاً) لشرح الأحلام شرحاً أريد به أن يكون أدنى للمبتدئ وأوثق التصاقاً بنظرية الأعصاب من المؤلف الحاضر ، وهو في جملته بمثابة موجز « لتفسير الأحلام » - وإن زاد تفصيلاً في بعض المواقع .

هذا وقد خانتني القدرة على أن أجمع العزم على مراجعة هذا الكتاب مراجعة جوهرية كانت تملو به إلى مستوى النظرات العلمية المعاصرة في التحليل النفسي ولكنها في سبيل ذلك كانت تهدم طابعه التاريخي . واعتقادي على أية حال هو أن الكتاب قد أنجز مهمته بعد بقاء قارب العشرين عاماً .

بوايست - شتاينبروك ، في يولية ١٩١٨

مقدمة الطبعة السادسة

إن الصعوبات التي تحيط بنجارة الكتب في الوقت الحاضر جعلت هذه الطبعة الجديدة تظهر متأخرة عن الحاجة إليها بزمان طويل ، فأعيدت الطبعة السابقة للمرة الأولى دون أن يتناوبا تعديل ما . هذا إذا استثنينا قائمة المراجع المثبتة في آخر الكتاب ، فقد أكلها الدكتور أوتو رانك وواصلها .

وهكذا لم يتأيد ما قدرته من أن هذا الكتاب قد أنجز مهمته بعد أن دام قريباً من العشرين عاماً . بل قد أقول على العكس : إن هناك مهمة جديدة تنتظره : فإذا كانت مهمة الكتاب في الماضي هي أن يزودنا ببعض المعرفة بماهية الحلم فعليه اليوم مهمة لا تقل خطراً ، هي أن يدفع أخطاء الفهم العنيدة التي لا تزال هذه المعرفة هدفاً لها .

فيينا ، في أبريل ١٩٢٦

مقدمة الطبعة الثامنة

في الفترة المتقضية بين ظهور الطبعة الأخيرة (السابعة) لهذا الكتاب عام ١٩٢٢ والطبعة الحاضرة جُمعت مؤلفاتي تحت عنوان « كتابات مجمعة »^(١) وأصدرتها دار النشر الدولية لتحليل النفسى^(٢) . وقد احتوى المجلد الثانى من هذه المجموعة نصاً يعيد الطبعة الأولى من « تفسير الأحلام » ، بمخايفها ، بينما ضم المجلد الثالث جميع الإضافات التى ألحقته به من بعد . وأما الترجمات التى ظهرت للكتاب فى أثناء هذه الفترة عينا فتلزم الصورة المألوفة التى ظهر عليها الكتاب للمرة الأولى فى مجلد واحد . وهذه الترجمات هى : ترجمة فرنسية وضعها مايرسون ونشرت عام ١٩٢٦ بعنوان « علم الأحلام »^(٣) فى السلسلة المعنونة « مكتبة الفلسفة المعاصرة »^(٤) ، ثم ترجمة سويدية قام بها جون لاندكبيست عام ١٩٢٧^(٥) ، ثم ترجمة أسبانية وضعها لويس باليستروس (عام ١٩٢٢) تشغل الجزئين السادس والسابع من الترجمة الأسبانية لمؤلفاتي الكاملة^(٦) . وأما الترجمة الهنغارية التى كنت أظنها على وشك الظهور ونحن لم نزل بعام ١٩١٨ فلم تر الضوء حتى اليوم^(٧) .

وقد عالجته الكتاب عند مراجعتى لإياه لهذه الطبعة أيضاً على أنه وثيقة تاريخية فى جوهره ، فلم أدخل عليه من التعديل إلا ما اقتضاه توضيح آرائى وتعمقها . ووفقاً لهذه النظرة تخليت عن محاولة تضمينه قائمة بالمراجع المنشورة فى مشكلات الحلم منذ أول ظهور

["Gesammelte Schriften"] (١)

[Internationaler Psychoanalytischer Verlag] (٢)

["La science des Rêves"] (٣)

["Bibliothèque de Philosophie Contemporaine"] (٤)

["Droemtydning"] (٥)

["Obras Completas"] (٦)

(٧) ولكنها رأتها عام ١٩٣٤ . ولقد ظهرت فى حياة فرويد - هذا الترجمات المذكورة فى هذه المقامات -

ترجمة روسية (١٩١٣) وترجمة يابانية (١٩٣٠) وترجمة تشيكية (١٩٣٨) . [

« تفسير الأحلام » ، وألقى القسم الذى كان مخصصاً لذلك فى الطبقات السابقة . وحذف
 كذلك المقالان اللذان شارك بهما أوتو رانك فى طبقات سابقة بعنوان « الحلم والشعر »
 و « الحلم والأساطير » .

فيينا ، فى ديسمبر ١٩٢٩

الفصل الأول

للمصنفات العامية في مشكلات الأحلام

سأقيم البرهان في الصفحات المقبلة على أن ثمة منهجاً سيكولوجياً يمكن به تفسير الأحلام وأنا إذا اصطعنا هذا المنهج نكشف كل حلم فإذا هو بناء نفس ذو معنى يمكن الربط بينه وبين مشاغل اليقظة في موضع معلوم . وأحاول بعد أن أجلو العمليات التي يحدث عنها غرابة الحلم ونفاؤه وأن أخلص من هذه نتيجة في طبيعة القوى النفسية التي يتولد الحلم من اتلاف فعلها أو تضاده . فإذا بلغت هذا المدى كف مقال ، لأننا نكون بموضع تسلّم عنده مشكلة الحلم إلى مشكلات أهم يقتضى حلها الركوب إلى مادة أخرى .

وأبتدئ بنظرة عامة فيما صنف المؤلفون الأسبقون ، وكذلك في حال مشكلات الأحلام اليوم في مجال المعرفة العلمية ؛ لأنّ العود إلى ذلك لن يسنح لي من بعد كثير ، حين أعرض للموضوع . فما تقدم الفهم العلمي للأحلام إلا تقدماً يقل عن القليل رغم جهد دام آلاف السنين ، وعلى هذا أجمع المؤلفون إجماعاً لا يبدو بعده محل للإستشهاد بهذا المؤلف أو ذاك . ففي المصنفات التي ذيلت كتابي بشيها ملاحظات كثيرة حافزة ومادة موفورة حرية بالاهتمام تتعلق بموضوعنا ، لكن القليل هو الذي يمس ماهية الحلم أو يحلو لغزاً من ألغازه ، وأقل منه بالطبع ما تضمه معرفة عامة المثقفين من غير المختصين .

أى تصور للحلم ساد بين الشعوب البدائية في مطلع الإنسانية وأى أثر ترى كان له في مجمل نظرة هذه الشعوب إلى العالم والنفس — ذلك موضوع خلط بالاهتمام إلى أبعد مدى ، حتى إنني لا أمتنع عن معالجته في هذا المعرض إلا كارهأ . فأحيل القارئ إلى مؤلفات سيرج . لابلوك و ه . سينر و ل . ب . تايلور وغيرهم ، ولما أضيف أننا لا نستطيع أن نكتفه هذه المشكلات والتعاليم إلا بعد أن نفرغ من المشكلة المطروحة على بساط بحثنا : « تفسير الحلم » .

إن التصور قبل التاريخي للحلم له صدى يتردد جلياً في تفكير شعوب العصور

الكلاسيكية للأحلام^(١) . فقد كان من المسلم به عندهم أن الأحلام علاقة بعالم الكائنات فوق الإنسانية التي كانوا يؤمنون بوجودها ، وأنها - أعنى الأحلام - تحمل كواشف من عند الآلهة والجن . وكان يدخل في اعتقادهم فوق ذلك أن الحلم يأتي الحالم لمقصد ذي خطر ، هو في القاعدة الكشف عن الغيب . بيد أن التنوع الخارق في محتوى الأحلام وأثرها في النفس جعل الانتهاء إلى نظرة موحدة عن الحلم شيئاً عسيراً ، وألحاً إلى أعمال التفرقة بين الأحلام وتقسيمها طبقات من حيث قيمتها وإمكان الركون إليها . ولم يكن تقويم الحلم عند هذا الفيلسوف أو ذلك من قدامى الفلاسفة منقطع الصلة بالطبع برأيه في العرافة بوجه عام .

فإذا جاء أرسطو كان الحلم موضوع بحث سيكولوجي ، وذلك في الكتابين اللذين يعرض فيهما أرسطو للأحلام . فهو يخلصنا أن الأحلام ليست مبعونة من الآلهة ، ولا هي ذات طبيعة إلهية بل هي « جنية » ، لأن الطبيعة « جنية » وليست إلهية . ومعنى هذا أن الحلم ليس وليد كشف يفوق الطبيعة ، بل هو يتبع قوانين النفس الإنسانية - وإن يكن من الحق أن بين هذه والإلهي نسباً . وتعريف الحلم هو أنه النشاط النفسى للنائم من حيث هو نائم .

وكان أرسطو يعرف بعض خصائص الحياة الحاملة : كان يعرف - مثلاً - أن الحلم يحسم ما يعرض في خلال النوم من المنبهات . فيقول : « يعتقد المرء أنه يجتاز ناراً ويلقى بها . وما به غير هذا العضو أو ذاك قد سخن قليلاً » . وهو يستخلص من هذه الخاصة أن الحلم قد يتم للطبيب عن أول العلام على تحول جعل يلدب في الجسم ولم يلق التضائاً في النهار^(٢) .

وأما قبل أرسطو فنعلم أن القدماء لم يكونوا يروا في الحلم نتائجاً يصدر عن النفس النائمة بل وحياً من الجانب الإلهي . ولقد أخذ بتبين بينهم كلا التيارين المتقابلين اللذين سوف نراهما يتناهبان تقويم الحلم في كل عصر من العصور : فهم قد فرقوا بين أحلام صادقة ، ذات قيمة . ترسل إلى النائم تحذيراً له أو تبصيراً بالمستقبل ، وأخرى لا غناء فيها ، مأكرة ، معدومة القيمة ، كان هدفها سوق الحالم إلى الضلال أو دفعه إلى الهلكة .

ويذكر جرويه (١٩٠٦ ، ٢ ، ٩٣٠) عن ماكروبيوس وأرتيميديوس قصة للأحلام

(١) أحمد فهايل عل كتاب بوكستوش الجامع (١٨٦٨) .

(٢) يمرض الطبيب اليوناني ميثراط العلاقة بين الحلم والمرض في فصل من مؤلفه الدالغ .

شبيهة بهله إذ يقول : « كانت الأحلام تقسم طبقتين : فأما الأولى فيقال : إنها قد تأثرت بالخاص (أو الماضي) ولكنها خالية من الدلالة على المستقبل . وكانت تشمل المنامات ^(١) التي تصور فكرة ما أو ضلعا - كالجوع أو إشباعه - تصويراً مباشراً ، ثم الخيالات ^(٢) التي تتضمن الفكرة نفسياً مغرقاً في الخيال ، مثل الكابوس ^(٣) . وأما الطبقة الأخرى فكان يقال على العكس : إنها تحدد المستقبل . وكانت تشمل : (١) النبوءة المباشرة بمعناها المرء في الحلم ^(٤) ، (٢) الرؤيا تسبق إلى حدث مستقبل ^(٥) ، (٣) الحلم الرمزي الذي يحتاج إلى تأويل ^(٦) . ولقد دامت هذه النظرية قروناً عديدة » .

وبهذا التكوين المتفاوت للأحلام ارتبطت مشكلة « تفسيرها » : فقد كان الناس يتوقعون من الأحلام بوجه عام نتائج ذات بال ، ولكن الأحلام لم تكن جميعها قريبة من الفهم للوهلة الأولى . فإن استغلق أحدها لم يعرف أحد إذا كان الحلم لا يعلن مع ذلك أمراً خطيراً ، فكان هذا حافزاً على الاجتهاد لكي يستبدل بالمحتوى المستغلق للحلم محتوى آخر قريب من الفهم ، له - من ثم - دلالة . وكان أرتيميدوروس الأفسوسي يعد أعظم حجة في تفسير الأحلام في أواخر العصر القديم . ولنا تلك سوى القناعة بمؤلفه المستفيض عوضاً عما ضاع من المؤلفات الأخرى في بابهِ ^(٧) .

وما من شك في أن نظرة القدماء قبل العلمية إلى الحلم كانت تنق و تجعل نظرتهم إلى العالم بوجه عام أكمل اتساق ، وهي نظرة تسقط على العالم الخارجي - في صورة واقع - ما لا وقوع له إلا في باطن النفس . ثم إن نظرتهم إلى الحلم تحسب فوق ذلك حساباً للانطباع الرئيسي الذي يتلقاه الذهن المستيقظ من ذكرى الحلم المتخلفة في الصباح ، في

{ ἐνύπνια insomnia } (١)

{ φαντάσματα, } (٢)

{ ephlaies } (٣)

{ χρηματισμός, oraculum } (٤)

{ δρᾶμα, visio } (٥)

{ δνειρος, somnium } (٦)

(٧) المؤلفون على ما صار إليه تفسير الأحلام في القرون الوسطى الطر : ديهجن ، ثم دراسات لورصور النفسية ، ثم جهارت . . . إلخ . وأما تفسير الحلم عند اليهود فيبحثه أبلول وأرام ولولينجر ، وحديثاً جداً بحثه أبلول لاور بحثاً راسخ فيه وجهة النظر التحليلية . ويعرفنا بتفسير الحلم بين العرب بدركل وشطرنس والإرسال لتيكسي ، ويعرفنا به بين اليابانيين ميروا وليلويا ، وبين الصينيين زيكر ، وبين الهنود لجلان .

هذه الذكرى يحضر الحلم كأنه شيء غريب ، طراً من عالم آخر ، يبين سائر محتوى النفس . ونخطئ بعد حين نفل أن نظرية الأصل فوق الطبيعي للأحلام تعدم أنصاراً في أيامنا ، فلنا قد نفرض الطرف عن الكتاب التكوين والتصوف ، فهؤلاء يحق لهم أن يتشبثوا بالمواقع القليلة المتبقية من المجال فوق الطبيعي الذي كان متسع النطاق يوماً ما دهم نور العلم لا يغزوها . ولكننا نلاق بعد ذلك رجالاً ثاقبين لا ولع لهم بالغرائب يحاولون أن يتخذوا من هذا الامتناع على التحديد - وأعنى به امتناع ظواهر الحلم على التعليل - سنداً يدعمون به إيمانهم الديني بوجود قوى روحية تفوق الإنسان وتأثيرها (انظر هافتر) . والقيمة الرفيعة التي تضيفها إلى الأحلام بعض المدارس الفلسفية ، مثل مدرسة شلنجر ، هي رجوع جلي يردد ما كان للأحلام من طبيعة لدية غير منازعة في اعتقاد القدماء ، فأما المناقشات في قوة الحلم المتنبة الكاشفة حجب النيب فما انقطعت ؛ كل أولئك لأن المحاولات المبذولة من أجل الوصول إلى تعليل سيكولوجي لا تزال تقصر عن مكافأة المادة المتجمعة مهما كان عزوف أهل العلم عن مثل هذه المعتقدات .

ولأنه لمن الصعب أن نكتب تاريخاً ما للبحث العلمي في مشكلات الحلم ، لأن هذا البحث مهما علت قيمته في بعض النقاط لا يبين عن تقدم محدد الاتجاه ، فهاك أساس من النتائج المستيقنة يتابع الباحث اللاحق البناء عليه ، بل كلما جد باحث جدد علاج المشكلات ذاتها وبدأ كمن يبدأ من البداية . فلو أردت أن ألزم الترتيب الزمني للمؤلفين ، موجزاً آراءهم واحداً فواحداً في مشكلات الحلم ، ما وجدت مفرّاً من أن أترك كل أمل في أن أقدم صورة عامة مجملته لمعرفتنا الراهنة بهذا الموضوع . وعلى هذا رأيت أن أقسم الكلام على حسب الأبواب لا المؤلفين . وكلما جئت إلى مشكلة أوردت ما أودعته المؤلفات من مادة تعين على حلها .

غير أني وقد تعذر على الإمام بكل ما كتب في هذا الموضوع لما هو عليه من فرط التبصر والاشتباك بغيره . لا أرى مناصاً من أن أسأل القارئ القناعة ما دمت لا أغفل واقعة أساسية أو وجهة نظر ذات وزن .

لقد كان معظم الكتاب إلى عهد قريب يرون أنفسهم محمولين على معالجة النوم والحلم في معرض واحد . وكانوا في العادة يعرضون فوق ذلك لحالات مماثلة تتدخل في باب علم النفس المرضي ولظواهر لها سبب الحلم (مثل الهلاوس والرؤى وما شاكلها) . وعلى تقيض

ذلك يتجلى في أحدث المؤلفات عهداً إثارت الاقتصار على موضوع محدود النطاق ، وربما شغل الكاتب بمسألة مفردة من مجال الحياة الحاملة . وأود أن أرى في هذا التحول أمانة على الاقتناع بأن التنوير والاتفاق لا يأتيان في مثل هذه المسائل المظلمة إلا بمتابعة الأبحاث الفصيلة . وما أقدم في هذه الصفحات إلا بحثاً مفصلاً من هذا القبيل ، بحثاً ذا طابع سيكولوجي بنوع خاص . ولم يتح لى أن أعالج مشكلة النوم إلا قليلاً ؛ فهذه مشكلة فيزيولوجية في جوهرها - وإن يكن من الحق أن من خصائص حالة النوم أنها تحدث تغييراً في الشروط التي يعمل جهازنا النفسى بمقتضاها . وعلى ذلك أغفل فيما يبيى ذكر المؤلفات المتعلقة بموضوع النوم .

إن المسائل التي يثيرها البحث العلمى في ظواهر الحلم من حيث هى كذلك ، يمكن تبويبها أربعة أبواب لا تخلو من بعض التداخل فيما بينها :

أ

علاقة الحلم بحياة اليقظة

يقول الحكم الساذج للمرء في أول استيقاظه : إن الحلم - وإن يكن لا يصدر عن علم آخر - قد حمله مع ذلك إلى عالم غير الذى يمهده . وعن هذا المعتقد يعرب الفيزيولوجى القديم بورداخ الذى ندين له بوصف دقيق نافذ لظواهر الأحلام فى فقرة يكثر الاستشهاد بها (١٨٣٨ ، ٤٩٩) : . . . إن حياة النهار بأعمالها ولذاتها ، بسراتها وضراتها ، لا تتكرر فى الحلم على الإطلاق ، بل الأصديق أن الحلم إنما يهدف إلى تخليصنا من كل أولئك . فقد يملك نفوسنا موضوع ما أو يمزقنا ألم عيى أو تستغرق مشكلة كل طاقنا العقلية ، ثم يأتينا الحلم بشيء مختلف النوع كل الاختلاف أو لا يلتقط من الواقع سوى عناصر منفردة يدخلها في تراكيبه أو يذهب إلى مجرد التلون بلون مزاجنا والإحراق من الواقع إعراباً رمزيّاً . وهذا المعنى يتحدث لى . هـ . فيخته (١٨٦٤ ، ١ ، ٥٤١) عن أحلام مكتملة ويصفها قائلاً : إنها إحدى المكمومات الخفية في طبيعة الروح المنطوية في نفسها على دوائها . ويعرب ل . شترومبل عن معنى مماثل في بحث له في طبيعة الأحلام ونشئها ، اجتمعت الآراء بحق على تقديره تقديرأ ربيعاً ، فيقول (١٨٧٧ ، ١٦) : « من حلم ارتحل عن عالم الشعور المستيقظ . ويقول كذلك (ص ١٧) : « فى الأحلام تسمى ذكرانا عن المحتويات المنظمة

للشعور المستيقظ وعن ملكه سوى كأنما لم يعد لها وجود . « وأيضاً (ص ١٩) : « إن النفس - وقد كادت تفقد كل ذاكرة - تنفصل في الحلم عن المحتوى المألوف لحياة اليقظة وشاغلها . . . » .

يبد أن الغالبية الغالبة من الكتاب قد نظروا إلى علاقة الحلم بحياة اليقظة نظرة مخالفة . مثال ذلك هافتر إذ يقول (١٨٨٧ ، ٢٤٥) : « وأول شيء هو أن الحلم يتابع حياة اليقظة ، فأحلامنا تتصل دائماً بالأفكار التي كانت تشغل الشعور قبيل وقوعها . وتكاد الملاحظة المدققة أن تكشف باطراد خيطاً يصل الحلم بخبرات اليوم السابق » . ويناقض الميجانت (١٨٩٣ ، ٦٠) قضية بورداخ التي أوردتها من قبل على التخصيص : « لأننا نلاحظ في أحيان كثيرة . في القسط الأعظم من الأحلام على حسب الظاهر ، أن الحلم يعود بنا إلى مألوف الحياة بدل أن يخلصنا منه » . ويصرخ موري هذا الموقف في عبارة محبوكة فيقول (١٨٧٨ ، ٥١٠) : « إننا نحلم بما رأيناه أو قلناه أو رغبنا فيه أو صنعناه »^(١) . بينما يفيض بستن في كتابه الذي ظهر في علم النفس سنة ١٨٥٥ بعض الإفاضة فيقول (ص ٥٣٠) : « إن محتوى الحلم تحدده دائماً - تحديداً يزيد أو ينقص - شخصية الحلم الفردية وسنه ونوعه وطبقته ومستوى تعلمه وأسلوبه المألوف في الحياة وما اشتملته حياته السابقة جميعها من التجارب والأحداث » .

وأقطع رأى في هذه المسألة هو رأى الفيلسوف ي . ج . ل . ماس (١٨٠٥) إذ يقول : « وتؤيد الخبرة ما نذهب إليه من أننا نحلم في معظم الأحيان بالأمور التي تتجه إليها أشد انفعالاتنا . ومن هذا نرى أن انفعالاتنا لا بد أن يكون لها تأثيرها في إحداث أحلامنا ، فيحلم الطموح بأكاليل الغار التي نالها (أو تخيل أنه نالها) أو بذلك التي لا يزال عليه أن ينالها ، بينما يحلم العاشق بمقعد أعذب آماله . . . وكل الرغبات الحسية وحركات النغور الغافية في القلوب مستطبعة - إذا حركها محرك - أن تثير حلمًا ينبعث من الأفكار المرتبطة بها أو أن تجعل هذه الأفكار تتدخل في حلم دائر بالفعل » . - نقلًا عن فينرشتاين (١٩١٢) .

ولم يكن القدماء على غير هذا الرأي فيما يتصل بتوقف محتوى الحلم على الحياة المسيقطة . فيحدثنا رادشوك (ص ١٣٩) كيف كان اجزر كرس يتأرجح قبل حملته على أرض

["Nous rêvons de ce que nous avons vu, dit, désiré ou fait"]

الإغريق بين نصيحة عاقلة بالإقلاع عما اعتزم وحلم ملح يحضه عليه . وبينما هو على هذه الحال أدلى إليه مفسر متعقل من قدامى مفسرى الأحلام بين الفرس - وهو أرتابانوس - بقول سديد : إن صور الحلم لا تضم في معظم الأحيان سوى ما يفكر فيه المرء من قبل وهو مستيقظ .

وفي قصيدة لوكريس التعليمية « في الطبيعة » ^(١) ترد الفقرة الآتية (الكتاب الرابع ، البيت ٩٦٢ وما بعده) :

« وأيضاً كان المسمى الذى يندب له المرء نفسه ويثابر عليه ، وأيضاً كانت الأمور التى طال اشتغالنا بها في الزمن الماضى . فهذه - وقد صارت النفس أشد حرصاً على لحاقها - هى أيضاً ما نخال في الحلم لقاءه : من له قضية يذود عنها ويوازن بين الشرائع ، والقائد يقاتل ويغوص غمار المواقع . . . » ^(٢)

ويقول شيشرون (« في العرافة » ^(٣) ، الكتاب الثانى [فقرة ٦٧]) في معنى شبيه كل الشبه بالذى قاله مورى بعده بهذه القرون الطوال : « وعندئذ تتخلج في النفس وتضطرب بنوع خاص بقايا تلك الأشياء التى فكرنا فيها أو صنعناها ونحن أيقاظ . » ^(٤)

إن التناقض بين هاتين النظرتين في علاقة الحلم بحياة اليقظة يبدو بالفعل شيئاً لا حل له . ومن ثم كان هنا مقام التذكير بكتاب هيلد برانت (١٨٧٥) الذى يعتقد أنه لا سبيل على الإطلاق إلى وصف خصائص الحلم إلا « بطائفة من القضايا المتقابلة ، يبدو التقابل بينها حادثاً حتى التناقض » (ص ٨) . « وأول تقابل يقوم في كمال انقطاع الحلم أو العزلة عن الحياة الواقعة من جهة ، واشتباك كل بالآخر اشتباكاً مستمراً وتوقفه عليه من جهة أخرى . فالحلم شئ مفصوم من الواقع الذى نعيشه في حياة اليقظة فصلاً تاماً ، حتى ليحق القول : إنه شئ موجود في ذاته وجوداً أحكم لإطباقه ، ضربت بينه وبين الحياة الواقعة هوة

["De reum natura"]

(١)

[Et quo quodque fere studio devinctus adhaeret,

(٢)

sunt quibus in rebus multum sumus ante morati

atque in ea ratione fuit contenta magis mema,

in somnis eodem plerumque videntur obire;

causidici causas agere et componere leges,

induperatores pugnare ac prelia obire, .. etc. etc.]

["De Divinatione II"]

(٣)

["Maximque reliquias eorum rerum moventur in animis et agitantur, de quibus

(٤)

vigilantes aut cogitavimus aut opinor."]

لا تعبر . إنه يحرقنا من الواقع ويطنئ ذكرانا السوية عنه ويتزلنا في علم آخر وحياة مختلفة القصة كل الاختلاف ، لا شأن لها في جوهرها بقصة الحقيقة ويمضى هيلد برانت فيبين كيف أننا إذا حل النوم اختفى كياناتنا كله « اختفاه في مصيدة لا يرى لها باب » . حيث قد يركب الحلم البحر إلى سانت هيلانة ليقدم لنا بليون الأسير هناك نخبة من أنبنة الموزل ، ويلقاه الإمبراطور السابق بأعظم الترحيب حتى إن المرء يكاد بأسف حين يستيقظ فإذا هذا الوم الممتع يتبدد . ولكن دعنا نقارن بين الحلم والحقيقة : إن الحلم لم يكن في حياته تاجر أنبنة ولا رغب في ذلك قط ، وهو لم يركب البحر ولو مرة ، ولو فعل لكانت سانت هيلانة آخر مكان يختار الذهاب إليه : ثم هو لا يكن "لنابليون حبا بل بغضا وطنياً عارماً ، وفوق هذا كله لم يكن الحلم رأى النور حين مات نابليون في جزيرته ، فكل رابطة شخصية به ضرب من المبال . وهكذا يبدو الحلم جسداً غريباً دس بين شطرين للحياة متواخمين متداولين على أكل وجه .

ويمضى هيلد برانت قائلاً : « ومع هذا فما يبدو أنه اللهد صادق كذلك وصحيح ، لأن أوثق الشوايح - مهما يكن من شيء - تسير فيما أعتقد جنباً إلى جنب مع هذا الانفصال وهذا الانزعال . بل إن لنا أن نذهب حتى القول بأن الحلم - أيّاً كان ما يعرض فيه - يستمد مادته من الواقع ومن الحياة اللهنية التي تدور حول هذا الواقع ومهما أغرب الحلم فهو في الحقيقة لا يستطيع على الإطلاق التخلص من العالم الواقعي : وهو دائماً في أسمى تراكيبه كما في أجلبها للضحك يستعير بالضرورة مادته الأساسية سواء مما عرض لأعيننا في عالم الحواس أو خطر بين أفكارنا ونحن أيقاظ ، أي - بعبارة أخرى - مما سبقت لنا به خبرة خارجية كانت أو باطنية . »

ب

مادة الحلم - للذاكرة في الحلم

هناك على الأقل حقيقة لا نزاع فيها . تلك هي : أن المادة التي تكون محتوى الحلم إنما تستمد جميعها من الخبرة على نحو أو آخر ، أي أن الحلم إنما يستحضرها أو يتلكرها . غير أن من الخطأ أن نظن أن مثل هذا الارتباط بين محتوى الحلم والواقع يظهر للعيان من غير عناء على أثر المقارنة بينهما ، بل يلزمتا البحث عنه بحثاً داباً ، وقد يخفى علينا زمناً طويلاً في

طائفة بأسرها من الحالات . ويرجع السبب في ذلك إلى عدة من الخصائص التي تبليها ملكة الذاكرة في الحلم والتي استعملت لتعليلها حتى الآن . وإن لم تخف على الملاحظة بوجه عام . وخلق بعناثنا أن نعم النظر إلى هذه الخواص .

أول ما نرى هو أنه يتفق أن ترد في محتوى الحلم مادة لا يستطيع المرء مستيقظاً أن يرى فيها جزءاً من معرفته أو خبرته ؛ فهو يذكر ذكر اليقين أنه قد حلم بهذا الشيء أو ذلك ، ولكنه لا يذكر أنه قد خبره ولا متى خبره . ويظل المرء في ظلمة لا يسرى من أي نبع استقى الحلم ، وفي هذا ما يفرجه بأن ينسب إلى الحلم قدرة مستقلة على الإبداع ، إلى أن نجى خبرة جديدة – بعد حقبة طويلة في كثير من الأحيان – فتعبد إليه ذكرى الخبرة السابقة التي ظن ضياعها . كاشفة بذلك عن منبع الحلم . وهكذا يسلم المرء ضرورة بأنه قد علم في الحلم أموراً كانت تخرج عن تناول ذاكرته المستيقظة ، وتذكرها^(١) .

ويضرب دلبوف مثلاً على ذلك فريداً في قوته ، استمد من أحلامه : ذلك أنه رأى في الحلم فناء منزله وقد كساه الثلج ورأى عظامتين صغيرتين تجعدتا نصف تجعد وانلغستا تحته . فسارع – وهو المحب للحيوان – إلى التقاطهما وتلفتهما ، ثم أعادهما إلى ثقب صغير خصص لهما في الحائط ، وقدم لهما فوق ذلك بضعة أوراق من سرخس صغير كان ينمو على الحائط ؛ لما كان يعلمه من فرط حبهما له . وكان يعرف في الحلم اسم النبات : أسبليوم روتا موراليس^(٢) . واستمر الحلم ليعود بعد قليل من الاستطراد إلى العظامتين . وهنا رأى دلبوف للشمس عظامتين أخريين وقد انكفأتا على أوراق السرخس . وحيتل أجال البصر حوله ، فرأى عظاماً خامسة فسادسة تتجهان صوب الثقب الذي في الحائط ، وما لبث الطريق أن اكسى كله بموكب من العظام اتخذت ذات الوجهة . . . إلخ .

وكان دلبوف لا يعلم وهو مستيقظ سوى القليل من الأسماء اللاتينية للنبات ليس بينها « أسبليوم » . فكم كان عجبه حين تحقق من أن ثمت سرخساً يحمل هذا الاسم حقيقة ! وكان اسمه الصحيح : أسبليوم روتا موراليس^(٣) – وهو الاسم الذي حرفه الحلم تحريفاً طفيفاً . وكان التفكير في اتفاق عارض يكاد يكون مستحيلاً بالطبع . ولكن من أين أتى

(١) – يقول : فليد : إنه قد لوحظ في أحيان كثيرة أن المرء قد يتحدث في الحلم بلغة أجنبية بدلاً في

ذلك طلاقة وسلاسة يفهم منها وهو مستيقظ .

[Asplenium ruta muraria] (٢)

[Asplenium ruta muraria] (٣)

الحلم بذلك الاسم : « أسبليوم » ؟ هنا ما ظل لغزاً في عين دليوف .

لقد وقع هذا الحلم في عام ١٨٦٢ . وبعد ذلك بسة عشر عاماً كان الفيلسوف يزور صديقاً قلمح لديه سجلاً صغيراً حوى أزهاراً مجففة من قبيل ما يباع إلى الأجانب في بعض أنحاء سويسرا على سبيل التذكرة . وهنا بقى في خاطره إحدى الذكريات ، ففتح السجل . فإذا هو يرى « أسبليوم » حلمه ويرى اسمه اللاتيني مدوناً في أسفله بخطه نفسه . عندئذ وضعت الرابطة : في عام ١٨٦٠ - أى قبل الحلم بعامين - زارت دليوف أخت لهذا الصديق كانت إذ ذاك في رحلة عرسها . وكانت تحمل معها هذا السجل عيه لكي تهديه إلى أخيها . وأخذ دليوف على نفسه أن يدون بأسفل كل نبات مجفف اسمه اللاتيني بإملاء أحد المشتغلين بعلم النبات .

ويشاء حسن الاتفاق الذي جعل هذا المثال خليقاً بالرواية أن يمكن دليوف من تأثر جزء آخر من محتوى هذا الحلم إلى أصله المفقود . ففي يوم من عام ١٨٧٧ عثر دليوف على مجلد من صحيفة قديمة مصورة . فرأى فيها موكب العظايا مصوراً جميعه مثلما تراهي له في الحلم عام ١٨٦٢ . وكان المجلد يحمل تاريخ عام ١٨٦١ ، وكان دليوف يذكر أنه كان بين المشتركين في هذه الصحيفة منذ ظهورها .

أن يكون للأحلام سلطان على ذكريات لا تُنال في حياة اليقظة ظاهرة ملحوظة ، ذات خطورة نظرية حتى إنني لأود الإلحاح في التنبيه عليها بضرب مثال آخر من أمثلة الأحلام « الذكيرة » : بحدثنا موري كيف ظلت كلمة « موسيدان » تراود خاطره في أثناء النهار دون أن يعلم من أمرها شيئاً سوى أن تمت مدينة من مدن فرنسا تحمل هذا الاسم . وفي ذات ليلة لاح لموري في الحلم أنه يتحدث إلى شخص يقول له : إنه قد أتى من موسيدان . فلما سأله عن موقع هذه المدينة . أجابه : موسيدان مدينة صغيرة في مقاطعة الدُرْدُونِي . فلما استيقظ موري لم يصدق هذه الإفادة التي تلقاها في الحلم ، ولكن القاموس الجغرافي أثبت له تمام صحتها . وفي هذا المثال يثبت أن الحلم أعلم ، إلا أن الكشف عن الأصل المنسى لهذا العلم لم يتيسر .

ويروي يستن حادثة حلمية شبيهة بهذه غاية الشبه ترجع إلى عصر أكثر قدماً . يقول (٥٥١٠١٨٥٥) : « ويدخل في هذه الطبقة كذلك حلم (يذكره هنتنجر ، ١٧٨٤ ، ٣٠٠) . أنه سكاليجر الكبير الذي نظم قصيدة في مديح أحلام فيرونا : فقد ظهر له في

الحلم رجل دعا نفسه بروجولوس شاكياً إغفاله . ولم يكن في استطاعة سكاليجر أن يذكر أنه قد سمع بهذا الرجل قط . ولكنه مع ذلك نظم فيه بضعة أبيات . ثم عرف ابنه بعد ذلك في فيرونا أن رجلاً بهذا الاسم قد اشتهر فيها كناقذ حقيقة .

ويقص الماركى دُرْفَاى دى سان دُونِي (عن رواية لفاشيد ١٩١١ ، ٢٣٢) حلمًا كبيراً تميز بتلك الخاصة الفريدة ، وهى أن الحلم — وقد عجز عن أن يتعرف إحدى الذكريات في حلم أول — يعود فيعرفها في حلم لاحق ، يقول : « حلمت مرة بسيدة شابة ذات شعر ذهبي ، رأيتها تتحدث إلى أختي وهى تزيها قطعة من النسيج المطرز . وكان وجهها يبدو مألوفاً في الحلم ، وفكرت في أنني قد رأيتها مرات كثيرة من قبل . فلما استيقظت كان عجبها لا يزال ماثلاً أمامي واضحاً غاية الوضوح ، ولكننى عجزت عجزاً تاماً عن معرفته . ثم عدت إلى النوم . فعادت صورة الحلم . ولكننى في هذا الحلم الجديد سألت السيدة الشقراء : هل سعدت بلقائنا من قبل في مكان ما ؟ فأجابتنى : بئناً : ألا تذكر شاطئ البحر في پورنيك ؟ وهنا استيقظت على الفور مرة ثانية ، وأمكننى عندئذ أن أذكر ذكراً أكيداً كل ما ارتبط بهذا الوجه الحلمى الخلاب من التفاصيل .

وروى المؤلف نفسه (على ما يذكره كذلك فاشيد ، ص ٢٣٣) كيف سمع موسيقى من معارفه لحناً ظنه جيم الطرافة في الحلم حتى عثر عليه بعد ذلك بسنوات في مجموعة قديمة من القطع الموسيقية ظل مع ذلك عاجزاً عن أن يذكر أنها قد وقعت بين يديه من قبل .

هذا وقد نشر مايرز مجموعة بأمرها من أمثال هذه الأحلام الذكيرة في مرجع لم أجد لسوء الحظ سبيلاً إليه^(١) . وإنى أعتقد أنه ما من أحد اشتغل بالأحلام إلا سلم بأن دلالة الحلم على معارف وذكريات لا يعلم المستيقظ امتلاكه إيها ظاهراً مألوفاً إلى مدى كبير . وإنه ليتاح لى في خلال عملي التحليل النفسى مع العصبيين — وهو ما سوف أجيء إلى الحديث عنه فيما بعد — يتاح لى أكثر من مرة في كل أسبوع أن أقيم لمرضى الدليل من أحلامهم على أنهم يعرفون في الحقيقة نصوصاً مختارة وعبارات فاحشة . . . إلخ. أجود المعرفة وأنهم يستخلصون معرفتهم هذه في أحلامهم وإن نسوها في يقظتهم . وسأقص هنا مثلاً آخر بريثاً على شدة ذاكرة الحلم ، لأن تأثير مصدر المعرفة التى لم يدن بلوغها إلا للحلم كان في هذا المثال من السهولة بمكان .

رأى أحد مرضاى فى خلال حلم طويل بعض الطول أنه يطلب كأساً من « الكونتو شوتكا » فى أحد المقاهى . ثم بعد أن خبرنى بذلك سألتى ما هذا الشراب ؟ فهو لم يسمح به قط من قبل . ولم يعجزنى أن أجيبه أن ذلك شراب بولندى من المستحيل أن يكون قد اخترع اسمه فى أثناء الحلم اختراعاً ، فقد كان ذلك الاسم مألوفاً لى منذ وقت طويل من طريق الإعلانات . وأبى المريض أن يصدقنى فى أول الأمر ، ولكنه بعد ذلك بأيام قلائل ، بعد أن أجاز لحلمه أن يصبح حقيقة واقعة ، لاحظ هذا الاسم على لافتة تقع عند ناصية طريق كان يمر به مرتين على الأقل فى كل يوم طوال بضعة شهور .

ولقد عرفت من أحلامى نفسى كيف يظل الكشف عن مصادر العناصر المتفرقة للحلم مرهوناً بالصدفة . مثال ذلك أننى ظلت سنوات قبل تحرير هذا الكتاب تلاحظنى صورة برج من أبراج الكنائس متواضع الهيئة فى الغاية . دون أن أستطيع أن أذكر أنى رأيته . ثم عرفته بعد ذلك فجأة أبقر المعرفة عند محطة صغيرة على الخط الحديدى الممتد بين سالتزبورج وإينجنال . وكان ذلك فى النصف الثانى من العقد الأخير من القرن ، وكان أول عهدى بهذا الطريق فى عام ١٨٨٦ . وحدث فى سنوات تالية - وكان اشغالى بدراسة الأحلام قد بلغ أشده - أن أخذت صورة تمثل مكاناً غريب الهيئة تلج على فى الحلم إلحاحاً مرقفاً : كنت أرى فى اتجاه معين بالنسبة لى ، على يسارى ، فضاء معتماً برزت فيه أشكال حجرية شائبة . وكان هناك شعاع من ذكرى يحدثنى - دون ميل منى إلى تصديقه - بأن ذلك مدخل كهف تحفظ فيه الجعة ، ولكننى ظلت عاجزاً عن أن ألقى الضوء على معنى هذه الصورة أو مآناها . ثم اتفق عام ١٩٠٧^(١) أنى جئت إلى بادوا التى عجزت آسفاً عن أن أعود إلى زيارتها منذ عام ١٨٩٥ ، فماروت زيارتى الأولى لهذه المدينة الجامعية الجميلة غلى ، فقد فاتنى أن أرى رسوم جيوتو الحائطية فى كنيسة « مادونا دل آرينا » ونكصت على عقبي وأنا فى منتصف الطريق إليها إذ قيل لى إن الكنيسة مغلقة فى ذلك اليوم . ففى زيارتى الثانية لها ، بعد أن انصرم اثنا عشر عاماً ، كنت عاجزاً على إدراك ما فاتنى . فكان التوجه إلى مادونا دل آرينا أول ما صنعت . ولانى لى طريقى إليها إذا أنا أكتشف على يسارى ، عند البقعة التى أرجح أنى استلذت فيها على عقبي ، هذا المكان الذى طالما رأيته فى الحلم بأشكاله الحجرية : لقد كان فى الحقيقة مدخل مطعم فى الهواء الطلق .

(١) [هذه الفقرة قد أضيفت ١٩٠٩].

ومن المصادر التي يستمد منها الحلم مادة يعيدها - وهي مادة يظل بعضها عاطلاً في أثناء النشاط الفكري المستيقظ ، فلا يتذكر ولا يستخدم - حياة الطفولة . ولن أستهجد إلا بقليل من المؤلفين الذين لحظوا ذلك وألحوا فيه .

يقول هيلد برانت (١٨٢٥ ، ٢٣) : « سبق أن قلنا صراحة : إن الحلم يستحضر أحياناً إلى النفس - بقدرة عجيبة على الإعادة - حوادث من سنواتنا الأولى بعدت صلتنا بها كل البعد إن لم يكن عني عليها النسيان » .

ويقول شرومبل (١٨٧٧ ، ٤٠) : « وتزيد المسألة بعد ذلك ظهوراً إذا لاحظنا كيف يبعث الحلم - إن جاز التعبير - من تحت أعمق الردوم وأشدّها كثافة ، تلك التي هالما لاحق الزمن إلى أوائل خبراتنا في الطفولة . صوراً متفرقة لمحال وأشياء وأناس ظلت سليمة لم تمس ، مبقية على نضارتها الأولى . ولا يقتصر ذلك على انطباعات اجتذبت حين وقوعها شعوراً بالغ الشدة أو اصطحبت بأهمية نفسية عالية ، تعود الآن في الحلم في صورة ذكريات صادقة قد يسر لها الشعور المستيقظ . بل الأصديق هو أن ذاكرة الحلم تشتمل أغوارها كذلك على صور لأشخاص وأشياء ومحال وأحداث ترجع إلى الزمن الأول ، إما أنها لم تنل من الشعور إلا حظاً ضئيلاً أو لم تنل من الأهمية حظاً ما أو فقدت كليهما منذ زمن طويل ، حتى لتبدو في الحلم ولعين المستيقظ على السواء غريبة كل الغرابة ، مجهولة كل المجهل ، إلى أن يكشف عن أصلها المبكر » .

ويقول فولكلت (١٨٧٥ ، ١١٩) : « ومن الأمور الملحوظة بنوع خاص كيف تنسرب ذكريات الطفولة والصبي إلى الحلم ، فالحلم لا يفتأ يذكرنا بأشياء كففتنا منذ زمن طويل عن التفكير فيها أو كفت منذ زمن طويل عن أن تكون لها أهمية في نفوسنا » .

ولقد أدت سيطرة الحلم على مادة طفلية يفلت جزؤها الأعظم - كما نعلم - من شباك ذاكرتنا الشعورية إلى نشوء أحلام ذكية حرة بالاهتمام ، أذكر مرة أخرى قليلاً من أمثلتها .

يروى موري (١٨٧٨ ، ٩٢) أنه اعتاد وهو طفل أن يذهب في أحيان كثيرة من مسقط رأسه « مو » إلى بلدة « تريبور » المجاورة ، حيث كان يشرف على بناء جسر . وفي ذات ليلة حملته الحلم إلى « تريبور » ورأى موري نفسه يلعب في شارع القرية من جديد . ثم اقترب منه رجل يرتدى نوعاً من الحلل الرسمية ، فسأله موري اسمه ، فأجاب الرجل قائلاً : إنه يدعى س . ولأنه حارس الجسر . واستيقظ موري يساوره الشك في صدق هذه

الذكرى . فسأل خادماً عجوزاً عرفته طفلاً : هل تذكر رجلاً بهذا الاسم ؟ فكان جوابها :
« نعم ، إنه كان حارس الجسر الذى بناه والدك » .

ويضرب مورى مثالا آخر على يقين الذكرى الطفلية المنبثة فى الحلم ، لى من حسن التأييد ما لقيه سابقه . والحلم فى هذا المثال رجل يدعى ف . ولد ونشأ فى « مونريزون » ، ثم بعد هجرة دامت خمسة وعشرين عاماً عقد العزم على أن يزور الوطن وأصدقاء أسرته القدامى اللذين لم يره منذ ذلك الحين . وفى ليلة الرحيل رأى الرجل فى الحلم أنه قد بلغ مقصده وأنه التقى على مقربة من « مونريزون » برجل لم يعرفه من مراه ، ولكن الرجل أخبره أنه السيد ت . وأنه صديق من أصدقاء والده . وكان الحلم يعلم أنه قد عرف فى طفولته سيداً بهذا الاسم ولكنه لم يعد يذكر شكله فى يقظته . ثم بعد ذلك بأيام قلائل بلغ الرجل وطنه حقيقة : فعرف المكان الذى ظن فى الحلم أنه يجمله ، وفيه التقى بسيد عرف فيه على الفور السيد ت . إلا أن الشخص الحقيقى كان يزيد فى السن كثيراً عما تراهى عليه فى صورة الحلم .

وأستطيع فى هذا الصدد أن أذكر حلماً من أحلامى حلت فيه علاقة محل الانطباع المراد تذكره : فقد رأيت فى الحلم شخصاً عرفت فى أثناء الحلم نفسه أنه طبيب البالد الذى ولدت فيه ، ولم تكن ولاحه فى الحلم جلية ، بل اختلطت بملاحح معلم لى بالمدرسة الثانوية ، ازلت ألتى به حتى اليوم . فلما استيقظت لم أستطع أن أجده رابطاً ما بين هذين الشخصين ولكنى حين سألت واللى عن الطبيب الذى كان يعالجنى فى هاته السنين الأولى من طفولتى علمت أنه كان أعور — وكذلك كان المدرس الذى حجب شخصه فى الحلم شخص الطبيب . وكان ذلك بعد أن انقضى ثمانية وثلاثون عاماً منذ رأيت الطبيب للمرة الأخيرة ، ولم أكن — فيما أعلم — قد فكرت فيه على الإطلاق ، مع أن لغف، أترأ من حرس كان كميلاً أن يذكرنى بما لقيت من عنايته ^(١) .

وكانما أراد بعض المؤلفين أن يخففوا هذا الغلو فيما يعزى إلى خبرات الطفولة من شأن فى الحياة الحاضرة ، فهم يؤكدون أن فى الأحلام عناصر ترجع إلى ما يسبق الحلم بأيام قريبة

(١) [أنصف الجزء الأخير من هذه البسطة ابتداء من : « مع أن . . . إلخ » فى طبعة سنة ١٩٠٩ وظل يظهر فى جميع الطباعات التالية حتى سنة ١٩٢٢ ، ثم حُذف بعد ذلك . ولكننا نجد فى ص ٢٨٩ إشارة إلى هذا الطبيب حيث لا نفهم بنبر هذا الجزء . فاما الحدث الذى كان سبباً فى الجرح المشار إليه ، فأغلب الظن أنه هو الموصوف فى صفحة ٥٥٠]

معلومة . ويذهب روبرت (١٨٨٦ ، ٤٦) إلى إحد القول بأن الأحلام السوية لا تشغل إلا بانطباعات الأيام القليلة الأخيرة . ومن الحق أننا سوف نرى كيف شيد روبرت نظرية في الحلم تنلزم إبراز الانطباعات الحديثة إلى مكان الصدارة وإخفاء القديمة استلزماً آمراً ، ومع هذا فالظاهرة التي تحدث عنها روبرت ظاهرة صحيحة - كما يسعى توكيده استناداً إلى مباحثي . وفي رأى مؤلف أمريكى . هو نلسون ، أن الانطباعات التي تستخدم في الحلم ترجع في معظم الحالات إلى اليوم السابق على اليوم الذي يبنى الحلم في أعقابه أو إلى السابق على هذا السابق : وكأن انطباعات اليوم الذي يسبق الحلم مباشرة لا تبلغ من الوهن أو من البعد مبلغاً كافياً .

ولقد دهش مؤلفون متعددون ، ممن يهتمهم ألا يضعوا الصلة العميقة بين الحلم وحياة اليقظة موضع الشك ، لما رأوه من أن الانطباعات التي تستحوذ على أفكارنا المستيقظة استحوذاً شديداً لا تعرض في الحلم إلا بعد أن ينحيا التفكير الهارى جانباً بعض النحية : مثال ذلك أننا لا نلهم بعزير فقدناه والحزن لا يزال يملكننا (دولاج) . غير أن باحثاً من أحدث من لاحظوا هذا الموضوع ، هي الآتسة هالام ، قد جمعت الشواهد على العكس ، مؤكدة بللك حتى كل منا في أن تكون له فرديته السيكولوجية في هذا المجال .

وأما الخاصة الثالثة بين خصائص الذاكرة في الحلم - وهي أعجب الخصائص وأشدّها استغلافاً على الفهم - فتجلى في اختيار المادة المستذكرة ، فما يعد جديراً بالتذكر هنا ليس أخطر الأمور دون غيره ، كما هو الحال في حياة اليقظة ، بل أضعفها كلك وأقلها ظهوراً . وهذا أترك الكلمة لأولئك الكتاب الذين أعربوا عن عجبهم أقوى الإعراب .

يقول هيلد برانت (١٨٧٥ ، ١١) : « والعجيب هو أن الحلم لا يستمد عناصره في العادة من أحداث النهار الجلية المثيرة ولا من مشاغله القوية القاهرة ، بل من تفاصيل عارضة أو - إن جاز التعبير - من قصاصات معلومة القيمة تخلفت من الخبرات الحديثة أو من الماضي السحيق . فقد يحرك مصاب عاللى حزناً عميقاً في نفوسنا ويطرده عنا الكرى جزماً طويلاً من الليل ثم ننام ونحن في أسره فلذا هو يمحى من ذاكرتنا حتى يعود إلينا في عنف يشيع الاضطراب في نفوسنا مع أول لحظات اليقظة . هذا بينما يتمتع الحلم لزائدة في جبهة شخص غريب صادفناه اتفاقاً وما فكرنا قط في أمره بعد أن مررنا به . »

ويقول شرومبل (١٨٧٧ ، ٣٩) : « هناك حالات نكتشف فيها بتحليل الحلم أن

بعض عناصره مستمد حقيقة من خبرات اليوم السابق على الحلم أو اليوم الذى قبله ، ولكنها كانت خبرات خالية من كل قيمة أو وزن حتى إنها آلت إلى النسيان على أثر وقوعها . ومن قبيل هذه الخبرات عبارات يسميها المرء عفواً من الآخرين أو أفعال يلحظها منهم بدون قصد أو لمحات خاطفة من الناس أو الأشياء أو نبذ متفرقة مما قرأ ، إلخ .

ويقول هافلوك إليس (١٨٩٩ ، ٧٢٧) : « إن الانفعالات العميقة التى نعرفها فى حياة اليقظة والمسائل والمشكلات التى نصرف فيها الجزء الرئيسى من طاقتنا العقلية الإرادية ليست فى العادة هى التى تمثل لشعور الحالم على الفور . بل الذى يظهر فى أحلامنا غالباً — بقدر ما يتعلق الأمر بالماضى القريب — هو انطباعات حياة النهار التافهة العارضة « المنسية » . فهذه الأوجه من نشاطنا النفسى التى كانت أشد ما يكون استيقاظاً هى التى تنام أعمق النوم (١) .

وأما بيتس (١٨٧٨ ، ٤٤ - ٤٥) فيرى فى هذه الخاصة على التحديد من خصائص الذاكرة فى الحلم مدعاة إلى الإغراب صراحة عن قلة رضائه بتعديلات الحلم التى أبدعها هو نفسه من قبل ، فيقول : « والحلم الطبيعى يثير أسئلة مماثلة : لماذا لا نحلم دائماً بالانطباعات الذكورية المتخلفة من اليوم الذى يسبق الحلم مباشرة بل نعوص فى كثير من الأحيان دون ما سبب ظاهر فى ماضى محقق كاد ينطفىء ؟ لماذا ينطبع الشعور فى الحالم على هذا النحو الشائع بالصور الذكورية المبهدة من الشأن بينما تظل خلايا المخ فى المناطق التى تحمل أشد آثار الخبرة حساسة خرساء خاملة فى معظمها ، إلا أن يكون قد حركها محرك إلى نشاط مستجد قبيل الحلم فى خلال حياة اليقظة ؟ »

ومن السهل أن نرى كيف كان من الحتم أن يودى هذا الإيثار العجيب الذى تبديه ذاكرة الحلم تجاه ما هو تافه فى خبرتنا اليومية وكان يمر — من ثم — غير ماحوظ إلى إغفال توقف الحلم على حياة اليقظة عامة وعلى الأقل إلى جعل إثبات لما التوقف أمراً عميراً فى أية حالة جزئية . فهكذا تجد الآتية هويتين كالكنز فى دراستها الإحصائية لأحلامها وأسلام معاوينها جزءاً قدره أحد عشر فى المائة من مجموع الحالات لا تظهر فيه رابطة ما بحياة

["The profound emotions of waking life, the questions and problems on which (١) we spread our chief voluntary mental energy, are not those which usually present themselves at once to dream consciousness. It is, so far as the immediate past is concerned, mostly the trifling, the incidental, the 'forgotten' impressions of daily life which reappear in our dreams. 'The psychic activities that are awake most intensely are those that sleep most profoundly.']

اليقظة . ولا جدال في أن هيلد برانت كان محققاً حين أكد أن في مقدورنا أن نبين منشأ كل صورة من صور الحلم لو أننا خصصنا لاستقصاء مصدرها وقتاً وجهداً كافيين . وهو يدعو مثل هذا العمل « مهمة مفرطة المشقة والجمود » ، فهي لن تنتهي بنا في معظم الأحيان إلا إلى التفتيق في زوايا الذاكرة السحيقة عن كل صنوف الحديث النفسى المجرد من القيمة وإلى جلب كل صنوف اللحظات الماضية التي لم نعد نكثر لها أقل اكتراث من نسيان لعلها قد قبرت فيه إثر وقوعها . « ولست أجد إلا أن أعرب عن أسفى لأن هذا المؤلف الحليد البصر قد ترك نفسه يحيد عن طريق لاحت له لا تبشر بخير كثير في مبدئها ، ولو اتبعها لقادته قلماً إلى صميم تحليل الحلم .

ولا شك في أن للطريقة التي تسلك عليها الذاكرة في الأحلام أهمية قصوى بالنسبة إلى كل نظرية عن الذاكرة عموماً ، فهذه الطريقة تعلمنا أن وما نمتلكه مرة امتلاكاً ذهنيّاً لا يضيع كله أبداً » (شولس ، ١٨٩٣ ، ٥٩) ، أو كما قال دليوف : « كل انطباع مهما كان قليل الشأن يترك أثراً لا يحول ، قابلاً من غير نهاية لأن يعود إلى الظهور »^(١) - وهى نتيجة يدفعنا إليها كلك عدد وغير من الظواهر المرضية للحياة النفسية . فلا ننسى بعد ذلك هذه القدرة الخارقة التي تبديها الذاكرة في الحلم ، لكي نزيد شعوراً بالتناقض الذى تضمه نظريات - سوف يجيء أوان ذكرها - تحاول أن تعلق فساد الأحلام وانعدام ترابطها بالنسيان الجزئى لما تعلمه في خلال النهار .

ولقد يدور بخلدنا أن ظاهرة الحلم يمكن أن ترد في جعلتها إلى ظاهرة التذكر ، فلا يكون الحلم سوى مظهر يتم عن نشاط استحضارى يعمل حتى في خلال الليل ، غير مستهدف غاية تخرج عن ذاته . ولقد يتفق ذلك وما يرويه البعض مثل بيلتس من وجود علاقة ثابتة تمكن البرهنة عليها بين وقت وقوع الحلم ومحتواه : فيستحضر الحلم أقدم الانطباعات في أثناء النوم العميق بينما يستحضر أحدثها قرب الصباح . ولكن طريقة الحلم في معالجة المادة المراد تذكرها تبطل مقلماً مثل (هذه المزاعم . فشر وهبل بحق حين يقول : إن الأحلام لا تكرر خبراتنا . نعم ، إن الحلم قد يخطو خطوة في هذا الاتجاه ، لكن الخطوة الثانية لا تجيء ، أو تجيء في صورة محورة ، أو يحل محلها شيء مغاير كل المغايرة .

["Que toute impression même la plus insignifiante, laisse une trace indélébile, (١)]

indéfiniment susceptible de reparaitre au jour"]

فاستحضار الحلم استحضار مجتزئ . وهذه على التأكيد قاعدة لها من سعة الاطراد ما يسمح بترتيب النتائج النظرية عليها . بيد أن للقاعدة شواذ يكرر فيها الحلم خبرة ما في استيفاء لا يقل عما تستطيعه ذاكرتنا المستبقة . فدلبيوف يحكى عن أحد زملائه كيف استعاد في أحد أحلامه حادثة عربية كان قد سلم منها بما يشبه الأعجوبة فلم يترك شيئاً من تفاصيلها . وتذكر الآتية كالكيتر حلمين لم يخرج محتوى كل منهما عن أن يكون تكراراً بعيد حدثاً من اليوم السابق بمخالفته . وسيتاح لى أيضاً أن أذكر مثالا صادفته على خبرة من الطفولة عاودت الظهور في الحلم من غير تحريف^(١) [ص ٢١٠ و ص ٢١٨] .

ج

منهات الحلم ومصادره

يقول مثل عامى : « تأتى الأحلام من المدة » . وهذا المثل يعين على فهم المراد بقولنا : منهات الحلم ومصادره . فن وراء المدين التصورين تكن نظرية فدواها أن الحلم يتبع عن إزعاج يصيب النوم ، فأركتنا لنحلم لولا مزعيج طرأ في أثناء النوم . والحلم استجابة بلزاة هذا المزعج .^(٢)

إن المناقشة في أمر العلل المثيرة للحلم تشغل محلا كبيراً من كتابات المؤلفين . ومن الجلى أن قيام هذه المشكلة لم يكن ممكناً إلا بعد أن أصبح الحلم موضوع بحث بيولوجى ؛ فإكان القدماء - وهم الذين اعتقدوا أن الأحلام توحياها الآلهة - بحاجة إلى التماس منهات للأحلام ، فالحلم يصدر عن إرادة قوى إلهية أو جنية ، ويحتواه منشؤه علم هذه الإرادة أو غايتها . وأما العلم فلم يلبث أن واجه هذا السؤال : هل المنبه إلى الحلم واحد أم كثير الأنواع ؟ ومن هنا كان النظر فيما إذا كان بيان علة الحلم يدخل في مجال علم النفس أو يدخل بالأحرى في علم وظائف الأعضاء . والذي يبدو هو أن مجتم الثقات قد اتفقوا

(١) تتعق غيرق اللاحقة إلى أن أضفت أنه لا يتدخل الإطلاق أن يتكرر في الحلم لصال من العدم السابق بروفة خالية من الخطر ، كحزم الخفاف وإعداد الطعام في المطبخ . . . إلخ . غير أن الذى يلح عليه الحلم نفسه في مثل هذه الأحلام ليس معنى الأكرى بل « واقعيتها » : « لقد أثبت كل هذا حقيقة بالأس » .

على أن العلل المزعجة للنوم ، أى مصادر فعل الحلم ، قد تعدد أنواعها ، وأن المنبهات الحسية والتهييجات الجسمية قد تعمل على السواء عمل الحوافز إلى الحلم ، ولكن الاختلاف بين الآراء يتسع فها يتصل بالإثارة الذى يبدونه لهذا المصدر من مصادر الحلم أو ذاك . وفى درجة الأهمية التى يضيفونها إليها من حيث هى عوامل فى تكوين الحلم .

فإذا حصرنا منابع الحلم انقسمت أربع طبقات ، وهذه الطبقات قد استخدمت أيضاً فى تصنيف الأحلام أنفسها : (١) منبهات حسية خارجية (موضوعية) ، (٢) منبهات حسية داخلية (ذاتية) . (٣) منبهات جسمية باطنية عضوية ، (٤) مصادر نفسية خالصة لفتنه .

١ - المنبهات الحسية الخارجية

لقد نشر شرومبل الصغير - وهو ابن الفيلسوف الذى اعتدنا فى مشكلات الحلم بهدى مؤلفه عن الأحلام مراراً كثيرة من قبل - وصفاً رائعاً لمرضى أصيب بفقدان عام للحساسية على سطح جسمه وشلل عدة من أعضائه الحسية الأعلى مرتبة : كان هذا الرجل يستسلم للنعاس إذا ما أغلقت الأبواب القليلة التى بقيت تطل عنده على العالم الخارجى . وإن من عادتنا أنفسنا حين نشد النوم أن نعمل على توفير وضع يشبه التحقق فى وصف شرومبل : فنحن نغلق أهم أبواب الحس - وأهضى العينين - ونحاول أن ننأى بسائر حواسنا عن كل منبه أو كل تغيير فى المنبهات الواقعة عليها . وعندئذ نلوق النوم ، وإن كنا لا نفلح أبداً فى محاولتنا كل القلاح ، فما نستطيع أن نبعد عن حواسنا كل منبه إبعاداً تاماً ، ولا أن نعلق قابليتها للتبيح كل التعليق . وكوئنا قد نستيقظ فى كل وقت إذا بلغ منبه حد كافي من الشدة دليل على أن النفس تمكث حتى فى أثناء النوم على صلة لا تنقطع بالعالم الخارجى^(١) . وليس ما يمنع من أن تصير المنبهات التى تبلغنا على هذا النحو فى خلال للنوم مصادر للأحلام .

ومن أمثال هذه المنبهات عدد وفير يتفاوت بين تلك المحتملة التى تتضمنها حالة النوم ذاتها أو لا تجد متدحاً عن السباح بها من حين إلى حين ، وتلك العارضة الموقظة التى يكون

(١) [انظر ملاحظات بورداخ المذكورة فى ص ٨٨] .

من شأنها أن تنهى نومنا ولقد تنبه فعلا . فقد ينفذ ضوء ساطع إلى أعيننا ، أو تبلغ ضوءا سمعنا ، أو تهيج مادة رائحة غشاء الأنف المخاطي . وقد نتحرك في أثناء النوم حركة غير إرادية فنكشف عن جزء من الجسم ونعرضه لأحاسيس البرد ، أو نغير وضعنا فيكون ذلك سبباً في أحاسيس بالضغط والملاسة . وقد تلذعنا بعوضة أو يطبق طائر صغير من طواريئ الليل على عدة من الحواس معاً . ولقد جمع انتباه الملاحظين عدداً كاهلاً من أحلام ينج فيها التوافق بين المنبه الذي يتنبه المرء إذ يستيقظ عليه وبعض عتوى الحلم مدى بعيداً جداً حتى إنه أمكن أن نعرف في هذا المنبه مصدر هذا الحلم .

ونأقل عن يسن (١٨٥٥ ، ٥٢٧) مجموعة من أمثال هذه الأحلام التي يمكن تأثرها إلى تنبيه حسي . وضعوى - عارض إلى حد يزيد أو ينقص - : « يثير كل صوت يدرك إدراكاً غير متميز صوراً حامية توافقه : فينقلنا هدير الرعد إلى حومة الوعى ، ويستحيل صباح الديك إلى صرخة رجل وليّة الرب . ويستجلب صرير الباب لصرواً غزاة .

« فلان انزاح عنا الغطاء في أثناء الليل فقد نرى أننا نتجول عراباً أو نقع في الماء ، وإن استلقينا على السرير بعرضه وتجاوزت قدمانا حده حلمنا بالوقوف على شفا جرف مروح أو بالسقوط من ارتفاع شديد الانحدار . وإن اتفق أن اندفن رأسنا تحت الوادة حلمنا بصخرة ضخمة معلقة من فوقنا . توشك أن تقبرنا تحت ثقلها . وتراكم المني تتج عنه أحلام معسولة بينما تؤدي الآلام الموضعية إلى تخيل معاملة مغلظة أو هجوم عدائى أو أذى يلحق الجسم . . .

« وحلم ماير (١٧٥٨ ، ٣٣) ذات مرة بنفر من الرجال هجموا عليه وطرحوه أرضاً ثم جعلوا يدقون وتدّاً في الأرض بين إصبع قدمه الكبير والإصبع الذى يليه . وبينما كان يتخيل ذلك في الحلم . استيقظ فرأى قشة لصفت بين إصبعيه هذين . ويحكى هتسنجر (١٧٨٤ ، ٢٥٨) عن ماير أيضاً أنه قد حلم في مرة أخرى بالشتى إذ كان قميصه مشدوداً إلى عنقه شداً أحكم وثاقه بغض الشيء . وحلم هوفباور وهو شاب بأنه يسقط من فوق جدار عال ، فلما استيقظ رأى أن قاعمة السرير قد نهاوت وأنه وقع على الأرض حقيقة . . . وبيروى جريجورى أنه نام مرة وزجاجة من الماء الساخن على قدميه ، فرأى في الحلم أنه يصعد قمة جبل إتنا حيث كانت حرارة التربة لا تطاق . وحلم رجل آخر - نام بعد أن وضع كمادة ساخنة على رأسه . بمجاعة من الهنود الحمر ينزعون شواته ، في حين هبى إلى ثالث ، نام في

جلباب مبلول ، أن تيار ماء يجرفه . وكانت نوبة من نوبات النقرس طرأت فجأة في خلال النوم سبباً قذف في روع ، رريض أنه ، ائبل بين يدي محكمة التفتيش ممدداً على خشب التعذيب (« ماكنيش ») .

ومن شأن الحجة المستندة إلى التماثل بين المنبه ومحتوى الحلم أن تزيد قوة إذا أمكن أن ندخل منها شيئاً ما على التأمُّ إدخالاً متعمداً فثير عنده حلماً يتفق وهذا المنبه . ولقد سبق جبرو دى بوزارانج ، على ما يرويه ماكنيش ، إلى أمثال هذه التجارب : « ترك ركبته عارية ، فحلم أنه يسافر ليلاً في إحدى عربات البريد . وهو يلاحظ بهذه المناسبة أن المسافرين بهذه العربات يعلمون من غير شك كم تبرد ركبهم في أثناء الليل . وفي مرة أخرى ترك مؤخر رأسه عارياً فحلم بأنه يشارك في أداء أحد الطقوس الدينية في الهواء الطلق - وكان من عادات البلد الذي عاش فيه أن تغطى الرأس دائماً إلا في مثل هذه المناسبة » .

وحديثاً أورد مورى بضع ملاحظات عن أحلام عمد إلى إثارتها في نفسه (وإن لم تتد بضع تجارب أخرى له إلى نتيجة ما) .

١ - « هُيِّجَت شفتاه وأرنية أنفه بريشة ، فحلم بلون مروع من ألوان التعذيب : قناع من القطران يلصق على وجهه ثم ينزع عنه فينسلخ معه الجلد .

٢ - « حَكَّ مقص على ملقاط ، فسمع قرع أجراس ، ثم دقات ناقوس الخطر ، ثم إذا هو يعود إلى أيام [ثورة] يونية من عام ١٨٤٨ .

٣ - « أدنى ماء الكولونيا من شمه ، فرأى نفسه في القاهرة في محل جان ماريا فارينا ، ثم تبعت ذلك مغامرات مجنونة لم يستطع ذكرها .

٤ - « قرص عتقه قرصاً خفيفاً ، فحلم بدهان من الخردل يوضع عليه ، وفكر في طبيب كان يعالجه في طفولته .

٥ - « قرب حديد موقد من وجهه ، فحلم بجماعة من « الموقدين »^(١) اقتحموا المنزل وأرغموا أصحابه على تسليم نفوذهم بزج أقدامهم في السعير ، وعندئذ دخلت دوقة أبرانتس التي كان يعتقد في الحلم أنه كاتب سرها .

(١) *Chaufeurs* اسم أطلق على حصابات من القمصون اشتروا في ماطلة الفائدة [في أيام الثورة الفرنسية] وكانوا يلبسونها : إله هذا اللون من الصنوب .

٦ - أسقطت قطرة من الماء على أجبيه ، فأخذ يتصب عرقاً في إبطاليا ويشرب من نبيل أوفيتو الأبيض .

٧ - أسقط نور شمعة على وجهه من خلال ورقة حمراء ، فحلم بسماء مكفورة وسُعار وبعاصف بحرية كان قد دُدها في قناة المانش .

وروى دُرْهافى وفيجانت وغيرهما محاولات أخرى في إحداث الحلم بالتجريب .

ولقد عقب كثير من الكتاب على « قدرة الحلم العجيبة على أن يدخل في نسيجه انطباعاً مفاجئاً آتياً من العالم الخارجى بحيث يظهر هذا الانطباع في الحلم في صورة كارتة سبق التمهيد لها وسوقها بالتدرج » (هيلك برانت) . ويمضى هذا المؤلف فيقول : « كنت أستخدم في سنى الشباب منبهاً لكى أستيقظ في ساعة معينة من كل صباح . ولقد حدثت مئات من المرات أن أدرج الصوت المنبث عن هذه الآلة في حلم يبدو بالغ الطول مترابط الأجزاء إدراجاً محكماً . حتى ليبدأ إلينا أن الحلم كله إنما كان يعود فالحا الصوت خاصة : وأنه قد وجد فيه حله المنطقى اللازم أو خاتمه الطبيعية المرسومة » .

هنا ولن أثبت طويلاً دون أن أذكر في مناسبة أخرى ثلاثة من أسلام زين المنبه هذه .

ويقول فولكلت (١٨٧٥ ، ١٠٨) : « حلم مؤلف موسيقى بأنه في حجرة الدراسة يحاول توضيح مسألة من المسائل لتلامذته . فلما فرغ استدار إلى أحد الصبية يسأله : هل فهمتني ؟ فصرخ الصبي كن به مس : أه يا [أى نعم] ، فطافق الحلم يعنف الولد على هذا الصراخ المزعج . ولكن الفصل جميعه انطلق في صرخات كانت في أول الأمر : أريا ! ثم صارت أويريو ، ثم فويريو ! ^(١) . وهنا أيقظت النائم صرخات استغاثة من النار كانت تنبث من الطريق حقيقة » .

وينقل رادشوك عن جازنييه (١٨٦٥) أن انفجاراً أيقظ نابليون الأول وهو نائم في إحدى العربات من حلم رأى فيه أنه يعبر [نهر] التاليامتو تحت ضرب المدافع النسيوية إلى أن هب مدعوراً وهو يصيح : « لقد بشت الألغام تحتنا » .

ولورى (١٨٧٨ ، ١٦١) حلم اشتهر أمره : ذلك أنه كان مريضاً يلزم الفراش في غرفته وإلى جواره أمه . فرأى فيما يرى النائم أن الوقت وقت حكم الإرهاب في عهد الثورة [الفرنسية] ، وجعل يشهد بعض مناظر الموت المروعة ، ثم دُعِيَ إلى المشول أمام المحكمة ،

(١) [الأولى والثانية لا سنى لها ، والثالثة هي الصرخة المألوفة عند الحريق] .

وهناك رأى روبنسون ومارا وفوكيه - تانفيل وسائر الأبطال المفجعين فلما العهد الرهيب .
وسأله هؤلاء الحساب ، ثم بعد عدة من التفاصيل لم يعد يذكرها أدين وسبق إلى ساحة
الإعدام يحيط به جمهور لا حصر له . وصعد موري على المنصة وشده الجلاذ إلى العارضة
وانقلبت هذه وهوى نصل المقصلة وحس موري برأسه يفصل من جلده فاستيقظ في هيلة
بلغت آخر الفظاعة - فإذا هو يتبين أن رأس السرير قد سقط فأصاب عموده الفقري عند
العنق مثلما يفعل نصل المقصلة حقيقة .

ولقد كان هذا الحلم مثار مناقشة ممثلة بين لولوران وإيجر ، دارت رحاها في المجلة
الفلسفية^(١) ، وكان موضوع المناقشة هو : هل أمكن الحالم أن يحسّر مادة بلغت هذا
المبلغ من الرءاء الفائق - على حسب الظاهر - في البرهة الوجيزة المنقضية بين إدراك المنبه
الموقظ واليقظة نفسها ؟ وكيف كان ذلك ؟

ومن شأن الأمثلة التي من هذا القبيل أن تجعل المنبهات الحسية الموضوعية الطارئة في
خلال النوم تظهر بمظهر أشد مصادر الحلم ثبوتاً ، وهي أيضاً - أعني هذه المنبهات - تلك
التي يعرف لها غير المختصين شأناً ما . فلو قد سألت رجلاً من عامة المتقنين لا أفقه له بما
كسب عن الأحلام : كيف تنشأ هذه ؟ لكان من المحقق أن يجيبك بإشارة إلى مثال صادفه
عُِّل فيهِ الحلم بمنبه حسي موضوعي تبينه الحالم بعد استيقاظه . وأما البحث العلمي فلا
يستطيع الوقوف عند هذا الحد ، بل يرى ما يدعوه إلى إثارة أسئلة أخرى ، لما يلاحظه من
كون المنبه الذي يطبع حواسنا في خلال النوم لا يظهر في الحلم بصورته الحقيقية ، بل تحل
محلّه صورة أخرى مرتبطة به برباط ما . ولكن هذا الرباط بين منبه الحلم والحلم الناجم عن
هذا المنبه إنما هو - بتعبير موري (١٨٥٣ ، ٧٢) - : « مناسبة ما ، ولكنها ليست بالقرينة
المانعة »^(٢) . فلو أننا نظرنا في ثلاثة من أحلام زين المنبه التي يرويها هيلد برانت ، لم يكن
بد من السؤال : لماذا أثار المنبه الواحد ثلاثة أحلام متغايرة ؟ ولماذا أثار هذه دون غيرها ؟

يقول هيلد برانت (١٨٧٥ ، ٣٧) : « هأنذا في صبيحة يوم من أيام الربيع أتروض
بين الحقول الآهلة في الاخضرار حتى أبلغ قرية مجاورة فأرى أهلها وقد برزوا في أحسن
ثيابهم وتأبطوا كتب الترانيل متوجهين زرافات إلى الكنيسة . طبعاً ! فالיום يوم الأحد

["Revue Philosophique"]

(١)

[Une affinité quelconque, mais qui n'est pas unique et exclusive.]

(٢)

وصلاة الصباح الباكر تؤذن بالبدأ . فأعقد العزم على حضورها ، بيد أننى - وقد شعرت بالحرق قليلا من أثر المشى - أذهب أولا إلى القناء المحيط بالكنيسة ألتمس نفحة من البرد . وبينما أقرأ بعض شواهد القبور سمعت قارع الأجراس يصعد البرج ، وها هو ذا جرس الكنيسة أراه على أعلى البرج يوشك على الدق لإبداناً ببدء العبادة . إنه يظل برهة معلقاً حيث هو ، بلا حراك . ثم فجأة أخذت دقاته فى الدوى جليلة نفاذة . وكان من مبلغ جلالتها ونفاذها أنها أطارت نوى - ولكن الرنين كان رنين المنبه فى الساعة الموعودة .

« وها هو ذا مثال ثان : اليوم يوم وضىء من أيام الشتاء ، والشوارع يكسوها ثلج سميك . وكنت على موعد والبعض لنزهة فى مزقة . وكان على أن أنتظر فترة طويلة قبل أن يعلن مجئ المزلقة بالباب . ويبدأ إعداد المزلقة لركوبها : سجادة القراء تبسط ، ومدافئ الأقدام تمد ، وفى النهاية أتخذ مكانى . ومع هذا ظلت لحظة الرحيل مرجأة ، إلى أن هُزئت اللجم تؤذن للخيل المرقبة بالانطلاق . وتنطلق هذه وهز أجراس المزلقة هزاً عنيفاً ، مرسة جليدها المألوفة الأشبه بموسيقى الانكشارية - مرسة لإياها فى عنف كان من أثره أن تمرقت شبكة الحلم العنكبوتية فى لحظة البصر تمرقاً . ومن جديد لم يكن غير المنبه برنينه الحاد .

« ومثال ثالث : أرى خادماً تتقدم فى البهو المؤدى إلى غرفة الطعام وهى تحمل عشرات من الأواني الخزفية رُص بعضها فوق بعض . ويبدأ لى أن عمود الخرف الذى تحمله بين ذراعيها فى خطر من أن يخلت توازنه ، فصحت محملاً : انتبهى وإلا سقط حمالك كله ! وتعقب هى بالطبع بالجواب المحتوم : إنها قد ألقت مثل هذا العدل من قبل . . . إلخ . وفى أثناء ذلك استمر على متابعة هذا التراجع بعين قلقة . ولا يجذب ظنى . فوها هى ذى تعثر بعبئة الباب وتزلق الأواني المشقة وتقعقع وتقرقع متناثرة على الأرض فى مئات من القطع . ولكن لا ألبث أن أتبين أن هذا الدوى الذى لا ينتهى ليس قرعة بل رنيناً حقيقياً - رنيناً أعلم منه وأنا أعود إلى نفسى المستيقظة أن المنبه يؤدى واجبه » .

ويكاد السؤال عن السبب الذى من أجله تخطئ النفس فى الحلم طبيعة المنبهات الحسية الموضوعية أن يلقي جواباً واحداً من شرومبل وفوننت جميعاً . وهذا الجواب هو أن استجابة النفس فى الحلم تجاه ما يصل إليها من المنبهات فى أثناء النوم تتم تحت شروط تعين على تكرين الأوهام . ذلك لأننا نعرف انطباعاً حسيماً ما ، نفسه تفسيراً هيجياً ، أى ندرجه فى طائفة الذكريات التى ينتمى إليها بحسب خبراتنا السابقة جميعها ، إذا توافر لهذا

الانطباع حظ كاف من القوة والجلاء والدوام ، وإذا توافر لنا وقت يكفى عملية تعرفه . فإذا انتفى هذان الشرطان أعطانا الموضوع الذى يصدر عنه الانطباع ووهنا فيه . « فلو أن رجلا خرج إلى الحقول فرأى عن بعد موضوعاً ما رؤية غير متميزة ، فقد يظنه في مبدأ الأمر حصاناً » . فإن قرب منه فقد يفسره ببقرة راقدة ، ثم قد ترتد الصورة أخيراً على وجه التحديد إلى جماعة من الناس جلوس على الأرض . وهكذا الشأن في الانطباعات التى تتلقاها النفس أثناء النوم ، فطبيعتها تخلو بالمثل من التحديد ، وعلى أساسها تقيم النفس الأوهام ، من حيث إن الانطباع يثير عدداً كبيراً أو صغيراً من الصور الذكورية التى من طريقها تحصل للانطباع قيمته النفسية . ولكن من أى طاقة من عديد طوائف الذكريات التى تدخل عندئذ في الاعتبار سوف تستثار الصور التى تنسب إلى الانطباعات ؟ ولماذا يربط من روابط التداعي سوف تعمل عملها فى ذلك ؟ هذا أيضاً ما يظل فى نظرية شرومبلى من غير تحديد ، كأنه أمر متروك لأهواء النفس .

وهنا نواجه اختياراً بين أحد أمرين : فإما أن نسلم تسليمنا بحقيقة واقعة بأن من المحال تابعة القوانين التى تحكم تكوين الأحلام إلى أبعد من هذا المدى ، وعلى ذلك نمتنع عن البحث لها إذا كانت هناك شروط أخرى تحتم التفسير الذى يخلعه الحلم على الوهم الذى استدعاه الانطباع الحسى ، وإما أن نقدر أن المنبه الحسى الذى يبلغ النائم إنما هو مصدر شواضع فى توليد الحلم وأن هناك عوامل أخرى تحدد اختيار الصور الذكورية التى تثار فيه . والحقيقة هى أننا إذا فحصنا أحلام مورى المحدثنة بالتجريب - وهى أحلام أفضت فى ذكرها من أجل هذا الغرض - رأينا ما يقرينا بالقول : إن التجربة لاتبين فى الحقيقة سوى مصدر عنصر واحد من عناصر الحلم ، وأما سائر محتواه فيبدو أكثر استقلالاً وأكثر تعيناً فى جزئياته من أن يعمله اقتضاء واحد كضرورة موافقته للعنصر المدخل من الخارج بالتجريب . نعم إن المرء لا يلبث أن يشكك فى نظرية الوهم وفى قدرة الانطباعات الموضوعية على تشكيل الحلم حين يرى أن هذه الانطباعات تخضع أحياناً فى الحلم لأغرب التفسير وأبعدها . مثال ذلك ما يحدثنا به م . سيمون من حلم رأى فيه أشكال عملاقة جلسوا إلى مائدة وسمع لأفكهم طقطقة رهبة وهم يمضغون ، فلما استيقظ سمع حوافر حصان يركض قريباً من نافذته . فإذا كان وقع حوافر الحصان قد أثار فى هذه الحالة بالذات أفكاراً من نطاق الذكريات المحفوظة عن رحلات « جبالير » ، مثل الإقامة بين عملاقة

« برويد ينجناج » والإقامة بين المخلوقات الفاضلة المصورة على صورة الجياد - هذا إذا جاز لي أن ألقى بتخمين محض دون سند من العالم نفسه - أفلا يرجح أن تكون هناك دوافع أخرى عدا المنبه الموضوعي هي التي سهلت انقفاء طائفة من الذكريات هذا مدى بعدها عن المألوف (١) ؟

٢ - التهييجات الحسية الداخلية (الذاتية)

من الواجب أن نسلم بأن نصيب المنبهات الحسية الموضوعية في إثارة الحلم يظل غير متنازع ، مهما كان من أمر اعتراضاتنا . وإذا كانت مثل هذه المنبهات تبدو من حيث طبيعتها ومدى تردها غير كافية في تعليل كل صور الحلم ، فإنما بحثنا ذلك على أن نلتصق للحلم مصادر أخرى تعمل مثل عملها . ولست أدري متى انبعثت للمرة الأولى الفكرة الداعية إلى أن يحسب حساب التهييجات الداخلية (الذاتية) لأعضاء الحواس إلى جانب المنبهات الحسية الخارجية ، ولكن الواقع هو أن جميع المؤلفات الحديثة في علمية الحلم تنص على ذلك نصاً صريحاً ينقص في صراحته أو يزيد . فيقول فونت (١٨٧٤ ، ٦٥٧) : « وأعتقد أن جزءاً جوهرياً من أوهام الحلم يرجع كملك إلى الإحساسات الماتية البصرية والسمعية التي نألفها في حال يقظتنا في صورة نقاط وضاءة تشرح فوضاها في حقل البهر إذا أظلم ، أو طنين أو صفير في الأذن ، إلى آخر هذه الإحساسات التي تدخل ضمنها التهييجات الذاتية للشبكية بنوع خاص . وهذا هو ما يعلل ميل الحلم للمحوظ إلى أن يبهز أبصارنا بموضوعات زائخة تماثل هذه الإحساسات أو لا تفرق منها ، فينشر أماننا عدداً لا حصر له من الطيور أو الفراشات أو الأممك أو الحرز الملون أو الزهور . . . إلخ . فالغبار المضيء في حقل البصر المظلم قد اتخذ هنا أشكالا ممتعة في الخيال ، والحبيبات المتكررة التي يتكون منها هذا الغبار قد صار منها عدد يناظرها من متفرق الصور أدرج في جوف الحلم ، وتلوح

(١) إن ظهور الأشخاص الذين لم أحسب العاقلة في الحلم يبعثنا فنقد أن الحلم ليس شهدا من طفولة الحلم . ويتفق به ذلك أن التطير التي أوردته لهذا الحلم بالإشارة إلى ذكريات من رسلات جاليفر مثال طب ما يجب ألا يكون عليه تفسير الحلم : فن الواجب حل من يفسر الحلم ألا يطلق العنان لقرينه مهلا مستعجات الحلم .

هذه الصور في هيئة موضوعات متحركة ؛ لحركة هذا الخليط كله . وهذا ولا شك هـ أيضاً الأساس في ولع الحلم العظيم بصور الحيوان على أنواعها ؛ لأن في هذه الصور من التنوع والبراء ما يستطيع أن يجارى من غير عناء الأشكال المغربية التي تتخذها الصور الضوئية الذاتية .

والتهييجات الحسية الذاتية من حيث هي مصدر من مصادر صور الحلم مزية واضحة على المنبهات الموضوعية ؛ فهي لا تتوقف على مثل هذه الصلف الخارجية ، بل تقف طوع اليد - إن جاز التعبير - كلما دعت إلى ذلك حاجة التعليل . ولكنها لا تخرج غائمة من مقارنتها بالمنبهات الحسية الموضوعية ، من حيث إن نصيبها في إثارة الحلم يصعب إثباته بالملاحظة والتجريب بل يتعذر ، على عكس الحال في المنبهات الموضوعية . فالشاهد الوحيد الذى يؤيد قوة التهييجات الحسية الذاتية على إثارة الحلم يُلخص فيما يعرف باسم هلاوس ما قبل النوم التى يصفها يوهانس مولر بقوله : إنها « ظواهر خيالية بصرية » . وهذه الظواهر صور يغلب أن تكون شديدة الوضوح ، سريعة التغير ، تنزع إلى الظهور - ظهوراً مطرداً عند الكثير من الناس - في فترة الأخذ في النوم ، وقد تلوم أيضاً برهة بعد فتح العينين . ولقد درس مورى هذه الظواهر التى كانت تعرض له كثيراً ، وانتهى إلى تأكيد صحتها بصور الحلم بل وحدتهما (مثلما صنع مولر من قبله) . ويقول مورى : إن إحداث هذه الظواهر يستلزم قدرأ معيناً من الاستسلام النفسى ، بعضاً من الإرخاء الجهد الانتباه (١٨٧٨ ، ٥٩ وما يليها) . بيد أنه يكفى أن تحل بالمرء حالة سبات من هذا القبيل لا تزيد مدتها على الثانية لكي تقع إليه هلوسة قنبومية (بشرط أن يكون عنده الاستعداد الضرورى) ، وقد يستيقظ المرء بعد ذلك مرة ثانية ، ويتكرر هذا اللعب ، إلى أن يضع له النوم حداً . ووجد مورى أنه كان إذا عاد إلى الاستيقاظ بعد برهة ليست بالطويلة أمكنه أن يتبين في حلمه ذات الصور التى تأرجحت أمام ناظره في صورة هلاوس قنبومية ، قبل أن يأخذه النوم (ص ١٣٤ ذات المرجع) . ففى ذات مرة أخذت أشكال ممسوخة شامت وجوها وتقلنت بقلنسوات غريبة الهيئة - أخذت تاح عليه قبل أن يغلبه النوم في حاجة تفوق التصور ، فلما استيقظ تذكر أنه قد حلم بها . وفى مرة أخرى - وكان يعانى ألم الجرع فقد أخذ نفسه بنظام محدد في التغذية - لاحظت له رؤيا قنبومية من طبق ويد مزودة بشوكة تتناول منه الطعام ، فلما نام حلم بمائلة حافلة وسمع صوت

الآكلين بأشواكهم . وحدث بعد في مرة ثالثة أنه شرع في النوم وعيناه مهتاجتان موجعتان فترأت له هلوسة قبنومية عن علامات غاية في الدقة لم يستطع فكها إلا واحدة فواحدة بمشقة بالغة ، فلما استيقظ بعد ساعة من النوم تذكر حلماً رأى فيه كتاباً طبع بحروف صغيرة جداً كان يقرأها بمشقة بالغة .

ولقد نخطر قبيل النوم أيضاً هلاوس سمعية بألفاظ أو أسماء أو غيرها — على نحو ما تفعل الصور البصرية — ثم ترد هذه الهلاوس بعد ذلك في حلم ما ، مثلما تعلن فاتحة عن رموز الموضوعات النغمية المقدرة سماعها في الأوبرا اللاحقة .

وعلى مناج شرومبل ومورى نهج باحث أحدث عهداً هوج . ترمبال لاد. فقد أمكنه ببعض المرات أن يفلح في إيقاظ نفسه فجأة دون أن يفتح عينيه بعد أن ينام نوعاً تدريجياً ، تتراوح مدته بين اللقيقتين والحس دقائق ، وبدا أمكنته المقارنة بين الأحاسيس الشبكية التي تكون آخذة في الانحواء آتخذ وصور الحلم المتبقية في الذاكرة . وهو يؤكد أننا نجد في كل حالة علاقة باطنية بين الطرفين : فنقاط الضوء الشبكي أو خيوطه تزودنا — إن جاز التعبير — برسم مجمل أو بياني للأشكال المتركة في الحلم إدراكاً نفسياً . مثال ذلك حلم رأى فيه نفسه منكباً على قراءة سطور مطبوعة انتشرت أمامه في وضوح ، وكانت تقابل هذا الحلم في الشبكية مجموعة من النقاط المضيئة تنضدت في خطوط متوازية ، أو بتعبيره نفسه : لقد حالت الصفحة المطبوعة طبعاً جلياً في الحلم إلى موضوع لاح لإدراكه المستيقظ كأنه قصاصة من صفحة مطبوعة حقيقة ، ينظر إليها المرة من خلال ثقب في ورقة ، على مسافة لا تسمح له بأن يستخلص منها شيئاً ما استخلاصاً واضحاً . ويرى لاد — دون أن ينتقص شأن العوامل [الهية] المركزية — أنه لا يكاد يكون ثمت حلم بصري واحد لا تشارك فيه مادة مصدرها التهييج الداخلي لشبكة العين . ويصدق ذلك بنوع خاص على الأحلام التي تعقب النوم في غرفة مظلمة ، وأما مصدر التنبيه في الأحلام التي تقع في الصباح قبيل الاستيقاظ ، فهو الضوء الموضوعي الذي يتدفق إلى العينين في غرفة أخذ يغمرها النور . وإن ما يتميز به تهيج الضوء الشبكي من طابع التغير والتقلب غير المنقطعين ليساير ما تطالعنا به الأحلام من التعاقب المستمر للصور أدق مسابرة . فإذا علقنا على ملاحظات لاد هذه أهمية ، نستطع الاسهانة بما لهذه المصادر الذاتية للتنبيه من أثر في

الحلم ، فالصور كما نعلم هي المقوم الرئيسى للأحلام . وأما نصيب الحواس الأخرى - فيما خلا السمع - فقليل الأهمية ، غير موصول .

٣ - المنبهات الجسمية الداخلية العضوية

أما وقد أخذنا نلتمس مصادر الحلم في داخل الكائن العضوى وليس خارجه ، فنراى واجب علينا أن نذكر أن جميع أعضائنا الباطنة على التقريب - وإن تكن لا تكاد توقنا على شئ من أمرها وهى في حالة الصحة - تصبح مصدراً لإحساسات ذات نوع أليم في الأغلب إذا اتفق وجودها فيما نسميه حالات التهييج أو في خلال المرض ، ولهذا وجبت مساواتها بالمنبهات الحسية أو الألمية التى تصل إلينا من الخارج . ولا يعدو شروميل أن يعرب عن خبرة قديمة قدم الزمن إذ يقول (١٨٧٧ ، ١٠٧) : « إن النفس تصير في أثناء النوم أعمق وأشمل إحساساً بجسميتها منها في يقظتها ، وهى تضطر في خلاله إلى أن تستقبل ما لا حس لها به في يقظتها من انطباعات تصدر عن أجزاء من الجسم أو عما يصيب الجسم من التغيرات ، وتضطر إلى التأثر به » ، فقد كان من رأى أرسطو على مبلغه من القدم أن من الممكن كل الإمكان أن يستشعر المرء في أحلامه مبادئ مرض لم يستطع أن يلحظ شيئاً منها في حياة اليقظة ، وذلك لما يصيب الانطباعات من التجسيم على يد الحلم (انظر ما سبق في ص ٤٤) . وهناك كتاب أطباء لا شك في بعدهم عن الاعتقاد بقدرة الأحلام على التنبؤ ، وهم مع هذا قد سلموا لها بهذه الدلالة فيما يتعلق بالإنباء بالمرض على الأقل . (انظر سيمون ، ١٨٨٨ ، ٣١ ، وكثيراً من المؤلفين السابقين عليه)^(١) .

(١) من الواجب أن نذكر أهمية الأحلام العلاجية بين القدماء ، إلى جانب ما كان يرمى إليها (عند هيراط مثلاً) من هذه القيمة التشخيصية .

لقد كانت عند اليونان صايد تقضى فيها كهانة الأحلام . وكان من عادة المرضى أن يزوروا هذه المعابد ، فيدخل المريض سجد أبولون أو أسكليبيوس ، وهناك يقضى طقوساً مختلفة ، فيسل ويلبك ويطر ثم يد وقد أخذته الأضلة حل جلد كبش قدم قربانا . ثم بعد ذلك يستلم المريض للنوم ، فيحل بهلقير شافية قد تراه له في أشكالها الطليعية أو في رموز صور يتولى الكاهن عندئذ تفسيرها .

وللاستزادة في موضوع الأحلام الطبية عند اليونان انظر : بيمان (١٩٠٨ ، ١ ، ٧٤) وبوشيه لوكليز وهرمان (١٨٠٨ ، ٤١ ، ثم ١٨٨٢ ، ١٦٠٣٨) ، وبوتنجر (١٧٩٥ ص ١٦٣ وما بعدها) ، ولويد (١٨٧٧) ، ويجر (١٨٥٧ ، ١٣٠) .

ويبدو أن الأمثلة على قوة الأحلام التشخيصية لا تعدم مصدقين في الأزمنة الحديثة .
فهيكلها ينقل تيسيه عن أرتيج (١٨٨٤) قصة امرأة في الثالثة والأربعين من عمرها ظلت
تعلمها أحلام هيلة^(١) طوال بضع سنوات على رغم ما كان يبدو من احتمال صحتها ، ثم كان
أن فحصها الأطباء فوجدوا بها مرضاً بادئاً من أمراض القلب لم يلبث أن أنفذ فيها فله .

وأما الاضطرابات السافرة التي تصيب الأعضاء الباطنية ، فواضح أنها تعمل على إثارة
الحلم في عدد كبير من الحالات . فشروع أحلام الهيلة وأمراض القلب والربو أمر يعلمه
الجميع . ولقد أبرز هذا الجانب من جوانب الحياة الحاملة مؤلفون متعددون ، حتى إنني أقنع
بمحض الإشارة إلى ما وضع في هذا الباب : رادشوك ، شبيتا ، موري ، م . سيمون ،
تيسيه . بل إن من رأى تيسيه أن نوع العضو المريض يضيق على محتوى الحلم سماته الخاصة :
فأحلام من يعانون أمراض القلب وحيرة في العادة وتنهي إلى نهاية مروعة في لحظة اليقظة ولا
يكاد يكون بينها حلم إلا تضمن محتواه بعض مواقف الموت الرهيب ، وأما المصابون بأمراض
الربو فيحلمون بالاختناق والزحام والفرار وهم يستهفون إلى درجة ملحوظة للكابوس المألوف
الذي أفلح بورنر في إثارة إثارة تجريبية : بالنوم مستلقياً على الوجه أو بسد الفتحات
التنفسية . فإذا اضطرب المضم تضمنت الأحلام أفكاراً تتعلق بالاستمتاع بالطعام أو
الاشمئزاز منه ، وأخيراً فأنز التهييج الجنسي في محتوى الحلم شيء يستطيع كل امرئ أن
يقدره حتى قدره بالرجوع إلى خبرته ، وهو الذي يزود نظرية المنبهات العضوية جميعها
بأقوى سندها .

فوق هذا ، ما من أحد تغفل فيما كتب في هذا الموضوع إلا تبين أن بعض المؤلفين
(مثل موري وفيجانت) قد ذهبوا إلى الاشتغال بمشكلات الحلم للأثر الذي كان
لأمراضهم أنفسهم في محتوى أحلامهم .

غير أن هذه الوقائع - وإن ثبتت من وراء كل شك - ليس لها الخطر الذي قد نظنه
من حيث ما تضيفه إلى دراسة مصادر الحلم ، فالأحلام ظواهر تقع للأشخاص - وربما
كانت تقع لم جميعاً وربما كان وقوعها في كل ليلة - فمن الواضح أن المرض العضوي
لا يمكن أن يعد بين شروطها اللازمة . والذي يشغلنا ليس مصدر هذا الفريق من الأحلام
أو ذلك ، بل المصادر الباعثة على مألوف الأحلام عند السوي من الناس .

(١) [انظر الهاش الموضح في صفحة ١٨٤ من هذه الكلمة] .

ومع هذا فما نحتاج إلا إلى أن نخطو بعد ذلك خطوة لكي نجد مورداً من موارد الحلم يفوق كل ما سبق ثراء ، مورداً يبدو كأنه لن ينضب له معين . ذلك لأنه إذا كان من المؤكد أن باطن الجسم يصير حين المرض مصدر منبهات للأحلام وكنا نعلم بأن النفس إذ تنصرف في أثناء النوم عن العالم الخارجى تتمكن من التحول بقط أعظم من انتباهها إلى باطن الجسم ، لم يصعب علينا أن نفترض بعد ذلك أن أعضاءنا الباطنية ليست بحاجة إلى أن تمرض أولاً لكي تتمكن ثانياً من حمل النفس النائمة على أن تتلقى منها التهييجات التي تنقلب إلى صور في الحلم على نحو من الأنحاء . فالحساسية العامة بالجسم^(١) التي نلوكها في خلال اليقظة إدراكاً مبهماً في صورة كيف غامض لمزاجنا وحسب ، والتي تشترك في بنائها أنظمتنا العضوية جميعاً — على ما يرى الأطباء — تنمى في أثناء الليل ، إذ يشتد تأثيرها ويتميز فعل كل مقوم من مقوماتها ، أقوى المصادر الباعثة على صور الحلم وأكثرها شوعاً . وإذا كان الأمر كذلك لم يبق إلا أن نستقصي القوانين التي تتحول المنبهات العضوية بمقتضاها إلى صور حلمية .

تلك — في منشأ الحلم — هي النظرية التي تحظى بإيثار المؤلفين الأطباء قاطبة . وإن الغموض الذي يحجب عن معرفتنا لب وجودنا (" الأنا الحشوى ")^(٢) — بتعبير تيسيه — ثم هذا الذى يشمل بظلامه نشأة الحلم ليتوافقاً توافقاً لم يترك للفكر مناصاً من التقريب بينهما . وسبب آخر جعل لهذه الوجهة في التفكير التي ترجع صور الحلم إلى الإحساسات العضوية النباتية جاذبية خاصة في أعين الأطباء : هو كونها تسمح بتعليل موحد للحلم وللاضطراب العقلى على السواء — وهما اللذان تكثر أوجه التطابق بين مظاهرها أيما كثرة . ذلك أن تغيرات الحساسية العامة بالجسم وكذلك المنبهات المنبثقة من الأعضاء الباطنية تحسب لها جميعاً خطورة قصوى في نشأة حالات الدهان أيضاً . وما من عجب بعد ذلك إذا أمكن أن نتبع نظرية التنبيه العضوى إلى أكثر من داعية توصل إليها مستقلاً .

ولقد كان للرأى الذى بسطه الفيلسوف شوبنهاور في سنة ١٨٥١ تأثير حاسم في فريق من الكتاب . فالصورة التي يظهر لنا العالم عليها تنشأ — وفقاً لرأيه — بأن يأخذ عقلنا الانطباعات التي تأتيه من الخارج فيصبها في صور الزمان والمكان والعلية . ولا تحدث المنبهات

(١) [وهي المعرفة عندنا باسم " الحساسية الحشوية "] .

(٢) ["moi splechnique"]

المنبثة في أثناء النهار من داخل الكائن العضوى ، من المجموع العصبى السببائى ، إلا تأثيراً لا شعورياً في مزاجنا على أكثر تقدير . فإذا جاء الليل ولم تعد نغم آذاننا انطباعات النهار استطاعت تلك المنبثة من الداخل أن تجتذب الانتباه ، مثلما نسمع في هدوء الليل خرير نبع أغرقته ضوضاء النهار . ولكن كيف للعقل أن يستجيب لهذه المنبهات إلا بأن يودى تجاهها وظيفته الخاصة به ؟ وعلى ذلك سوف تصاغ من هذه المنبهات موضوعات تشغل المكان والزمان وتخضع لقوانين العلية ، وهكذا تنشأ الأحلام . ولقد حاول شرر - ومن ورائه فولكيت - أن يستقصى بعد ذلك أمر العلاقة بين المنبهات الجسمية وصور الحلم ، إلا أنني أرجئ النظر في هذه المحاولة إلى الفصل الخاص بنظريات الحلم .

وفى بحث بلغ مبلغاً ملحوظاً من التماسك المنطقى ، قام الطبيب النفسى كراوس [١٨٥٩ ، ٢٥٥] بتتبع منشأ الأحلام والأهذية والأفكار المجاسية إلى عامل واحد ، هو الإحساسات ذات الأصل العضوى . ومن الصعب في رأيه أن نجد جزءاً واحداً في الكائن العضوى يعجز عن أن يكون مبدأ حلم أو هجاس . والإحساسات الناجمة عن شروط عضوية « تجوز قسمتها قسمين : (١) تلك التى يتكون منها مزاجنا العام (الحساسية العامة بالجسم) و (٢) إحساسات نوعية خاصة بالكائن العضوى النباتى . وهذه تنقسم بدورها خمسة أقسام : ١ - إحساسات عضلية ب - تنفسية ج - هضمية د - جنسية ه - خاصة بسطح الجسم » .

ويقدر كراوس أن نشوء صور الحلم من المنبهات الجسمية يتم على ذلك النحو : يستدعى الإحساس المثار صورة تناسبه على حسب قانون من قوانين التداعى ، ثم يتركب من هذه الصورة وهذا الإحساس بناء ذو ترابط عضوى ، إلا أن الشعور يسلك إزاء هذا المركب مسلطاً شاذاً . فهو لا يعبر الإحساس انتباهاً ما بل يوجه انتباهه كله إلى الصورة المصاحبة - وهو ما يردنا في الوقت نفسه لم يظل هذا الوضع خافياً علينا طيلة هذا الزمن ^(١) . ويبتدع كراوس اسماً خاصاً يصف به هذه العملية هو : الاستحالة الجوهرية للإحساس إلى صورة حلمية .

إن تأثير المنبهات الجسمية العضوية في تكوين الحلم أمر يكاد ينعقد عليه الإجماع اليوم . فإذا تساؤلنا عن حكم العلاقة بين الطرفين ، افرقت الإجابات ولم تعد أن تكون

(١) [بمعنى أن انصراف الانتباه من الإحساس جل نصيب هذا الإحساس في نشأة الحلم يحث علينا] .

منطوقات غامضة في الكثير من الأحيان . وذلك لأن تفسير الحلم تقع عليه الآن - بناء على نظرية التنبيه العضوى - مهمة خاصة ، هي تأثير محتوى الحلم إلى المنبئات العضوية التي أحدثته ، فإذا لم يأخذ المرء بقواعد التفسير التي نص عليها شرر [انظر ص ١١٥ وما بعدها] رأى المرء نفسه في أحيان كثيرة يواجه تلك الواقعة الشائكة : وهي أن الشيء الوحيد الذي يتم على وجود المنبه العضوى هو على التحديد محتوى الحلم نفسه ليس غير .

يبدو أن هناك قدراً لا بأس به من الاتفاق على تفسير الأنواع المختلفة من الأحلام المسماة أحلاماً « نمطية » لأنها تقع لأناس كثيرين مع تماثل كبير في محتواها . مثال ذلك تلك الأحلام المألوفة بالسقوط من عل أو بوقوع سن أو بالطيران أو بارتباك المرء لمره أو نقص رداؤه . فهذا الحلم الأخير يعزى من غير مزيد إلى كون التأم يدرك أنه قد نحى الغطاء في أثناء نومه فاستهدف للهواء . ويعزى الحلم بسقوط الأسنان إلى منه « سنى » - وإن لم يكن هذا بالضرورة أن هياج الأسنان الذي ينجم عنه الحلم هياج مرضى . وفي رأى شرومبل أن حلم الطيران هو الصورة التي تراها النفس ملائمة لتفسير التنبيه الناجم عن صعود الرئتين وهبوطهما في وقت تن فيه الأحاسيس الجلدية للقفص الصدري حتى لا تعود تنعرج بها - وهذه الملابس الأخيرة هي ما يؤدي إلى الإحساس المقترب بفكرة الطواف في الهواء . وأما حلم السقوط من عل ، فيقال : إن مرجعه هو أنه قد يتفق في غياب الشعور بأحاسيس الضغط الجلدى أن تمتد ذراع بعيداً عن الجسم أو تنبسط ركية على غرة بعد انقباض ، ويكون من نتيجة هذه الحركة أو تلك أن يعود الإحساس بالضغط الجلدى إلى الشعور ، فيصور هذا الانتقال إلى الشعور تصوراً نفسياً بحلم السقوط (شرومبل ، ١٨٧٧ ، ١١٨) . وموطن الضعف الواضح في هذه المحاولات على وجاهتها هو كونها تجعل هذه المجموعة من الأحاسيس العضوية أو تلك تدخل في نطاق الإدراك النفسى أو تغيب عنه ، إلى أن يتوافر لها المزيج الذى يوائم التعليل المنشود للحلم ، وذلك دون استناد إلى أى شاهد آخر سوى ما تقول . وسوف تعرض لي فيما بعد فرصة العدد إلى مسألة الأحلام النمطية ومنشأها . [انظر ص ٢٥٨ وما بعدها] .

ولقد حاول م . سيمون أن يستخلص بعض القواعد التي بمقتضاها تحم المنبئات العضوية محتوى الأحلام الناجمة عنها ، وذلك بالمقارنة بين طائفة من أمثال هذه الأحلام ، فيقول (١٨٨٨ ، ٣٤١) : إذا اتفق في أثناء النوم أن جهازاً عضوياً يشارك مشاركة سوية

فى الإعراب عن انفعال ما قد هيجته علة خارجية التهييج الذى يقع له عادة بتأثير ذاك الانفعال ، جاء الحلم مشتملا على صورة تلائم الانفعال .

وتنص قاعدة أخرى (ص ٣٥) على أنه : إذا نشط فى أثناء النوم أحد الأعضاء أو هيج أو أزعج ، أتى الحلم بصور تتعلق بممارسة الوظيفة التى يقوم بها هذا العضو .

ولقد حاول مورلى فولد أن يثبت هذا التأثير الذى تقول به نظرية التنبيه الجسمى فى إحداث الحلم إنباتاً تجريبياً فى دائرة معينة ، فكان يغير وضع أطراف النائم فى أثناء النوم ثم يقارن بين التغييرات التى يحدثها والأحلام الناجمة عنها . وانتهى من ذلك إلى هذه النتائج :

١ - يطابق وضع الطرف الجسمى فى الحلم وضعه فى الحقيقة مطابقة تقريبية ، مثال ذلك أننا نرى العضو فى الحلم ساكناً وهو فى الحقيقة كذلك .

٢ - إذا حلم المرء بأن طرفاً من أطرافه يتحرك ، جاء أحد الأوضاع التى يمر بها الطرف فى حركته هذه مطابقة وضعه الحقيقى .

٣ - قد ينسب الوضع الذى يوجد عليه طرف الحلم نفسه إلى شخص سواه .

٤ - قد يحلم الحلم بعائق يعوق الحركة التى يدخلها المهرب .

٥ - قد يظهر الطرف فى الحلم ، بعد أن يتخذ وضعاً تجريبياً ، فى صورة حيوان أو مسخ ، وفى هذه الحالة يثبت وجود تماثل ما بين الحدين .

٦ - يشير وضع الطرف أفكاراً فى الحلم لما بعض الصلة بهذا الطرف : مثال ذلك أننا نعلم بالأعداد إذا أدخل التغيير على الأصابع .

والذى أجنح إلى استخلاصه من أمثال هذه المكتشفات هو أن نظرية التنبيه الجسمى نفسها لا تنجح كل النجاح فى رفع ما يبدو عليه اختيار الصور المهدئة فى الحلم من مظهر التحرر من الحلم^(١) .

٣ - المصادر النفسية للتنبيه

علمنا ونحن ننظر فى علاقة الحلم بحياة اليقظة وفى منشأ مادته أن بحنة الحلم - لا فرق فى ذلك بين الأقمليين منهم والمحدثين - يرون أن الناس يحلمون بما يصنعون نهاراً ، وبما يشغل اهتمامهم وهم أيقاظ . هذا الاهتمام المنقول من حياة النهار إلى النوم ليس قيداً نفسياً

(١) لقد نشر هذا المؤلف منذ ذلك الحين مجلدين غسهما تجاربه أمير إليسا فيها بعد [الظر ص ٢٤٣ فى الحاشئ] .

وحسب ، رباطاً يشد الحلم إلى الحياة ، إنه أيضاً مورد من موارد الحلم لا يبخس قدره ، مورد ربما كان كافياً أن يعطل صور الحلم جميعاً لو أننا أضفنا إليه الأشياء التي ينجذب إليها اهتمام النائم ، أى المنبهات التي تعمل عملها في خلال النوم . بيد أننا سمعنا أيضاً نقيض هذا الرأي : سمعنا أن الحلم يبعد النائم عن اهتمامات النهار وأن القاعدة هي أننا لا نبدأ نحلم بالأشياء التي تشغل جل اهتمامنا في النهار إلا بعد أن نفقد ما يمتاز به كل طريف من قلرة على الإثارة . وهكذا نصادف في كل خطوة نخطوها في سبيل تحليلنا للحياة الحاملة ما يشعرنا بأنه قد حرم علينا أن نضع قاعدة عامة بغير التحوط بقيود من « كثير » و « عادة » و « في معظم الأحيان » ، ودون أن نهني أنفسنا للتسليم بصحة الشواذ .

ولو أن اهتمامات اليقظة بالإضافة إلى المنبهات الحادثة في خلال النوم داخلية وخارجية كانت تكفي معاً في استرقاق علل الحلم ، لوجب أن نكون في موقف يسمح لنا بتبيان أصل كل عنصر من عناصر الحلم تبياناً شافياً ولحل بذلك لغز مصادر الأحلام ، فلا يبقى إلا أن نحلر نصب كل من المنبهات النفسية والجسمية في هذا الحلم الجزئي أو ذاك . ولكن الواقع أنه ما من حلم لقي حتى اليوم مثل هذا التعليل الكامل ، وما من أحد حاوله إلا وثقت بين يديه فقرات من الحلم — وفقرات كثيرة جداً في العادة — لا يستطيع أن يقول في أصلها حرفاً . فمن الواضح أن اهتمامات النهار — من حيث هي مصدر نفسي من مصادر الحلم — بعيدة كل البعد عن أن تكون لها هذه القيمة القصوى التي قد يتوقعها المرء إذ يسمع ما يتحدث به كل منا جازماً من انشغاله في أعماله نهاره .

ولكننا لا نعرف للحلم مصادر نفسية أخرى . ونتيجة ذلك هي أن كل تعليقات الحلم المضمتة فيما كتب عن هذا الموضوع — باستثناء تعليل شرزر الذي نمرض له فيما بعد [ص ١١٥ وما بعدها] — ترك فراغاً كبيراً حيثما يتعلق الأمر بتعيين منشأ الصور التخيلية التي هي أكبر مادة تميز الحلم . وفي هذا المأزق صار أغلب الكتاب ينزعون إلى خفض نصب العوامل النفسية من إثارة الحلم قدر الإمكان ، لصعوبة الاهتداء إلى هذه العوامل . نعم ، إنهم يقسمون الأحلام طبقتين رئيسيتين : أحلام ترجع إلى تنبيه عصبى وأخرى مرجعها للتداعي ، وهذه الأخيرة ليس لها من مصدر سوى الاستحضار^(١) : (فونت ، ١٨٧٤ ، ٦٥٧) ولكنهم مع ذلك لا يستطيعون التخلص من الشك في أنها إذا كانت هذه الأحلام تملك

(١) [استحضار ما سبقت خبرته في الماضي] .

الظهور بغير دفعة من منبه جسمى » (فولكيت ١٨٧٥ ، ١٢٧) . لا ، بل حتى إمكان الوصف يؤتى على أحلام التداعى المحض ، فيقول فولكيت (ص ١١٨) : « وأما أحلام التداعى بالمعنى الصحيح فلا تترك مجالاً للحديث عن مثل هذه النواة الراضخة [المستمدة من التنبيه الجسمى] ، بل يكون مركز الحلم نفسه واهى التماسك . فالحياة الفكرية التى لا تعرف فى الحلم عامة ضابطاً من عقل أو فهم لا تجد هنا ولو تهيباً جسمياً أو نفسياً ذا أهمية نسبية يحفظ تماسكها ، وهكذا تترك لانسايها وتلاحقها المتقلبين وتنداخلها الفوضى فيما بينها » . ويحاول فونت أيضاً أن ينقص شأن العامل النفسى فى إثارة الأحلام إذ يقول (١٨٧٤ ، ٦٥٦) : « ومن الخطأ أن تعدّ تهاويل الحلم هلاوساً صرفة . فالأرجح هو أن معظم صور الحلم إنما هى فى الحقيقة أوهام حسية ، من حيث إنها تنفرد عن الانطباعات الحسية الواهنة التى لا تخبو أبداً فى أثناء النوم » . ويعمم فيجاءت هذا الرأى على جميع صور الحلم فيقول (١٨٩٣ ، ١٧) : « إن عللها الأولى منبهات حسية ، ولا ترتبط المستدعات المستحضرة بهذه المنبهات إلا من بعد » . ويزيد تيسيه فى خفض نصيب المصادر النفسية للتنبيه ، فيقول (١٨٩٨ ، ١٨٣) : « إن الأحلام ذات الأصل النفسى الخالص شىء لا وجود له »^(١) ، وفى موضع آخر (ص ٦) : « إن الأفكار المشتلة عليها أحلامنا تنبىء إلينا من الخارج ... »^(٢) .

ولا يغفرت المؤلفين الذين يتخذون موقفاً وسطاً ، مثل الفيلسوف العظيم الأثر فونت ، أن يلاحظوا أن المنبهات الجسمية والبواعث النفسية (سواء أكانت خفية أم كانت واضحة الصلة بمشاغل النهار) تعمل متأثرة فى معظم الأحلام .

وسوف نعلم فيما بعد أن لغز تكوين الحلم يمكن حله بالكشف عن مصدر نفسى للتنبيه لم ينتج إليه التفكير . وإلى أن يتم ذلك لن ندهشنا المخالفة فى تقدير نصيب المنبهات غير الناشئة عن الحياة النفسية فى تكوين الأحلام ، فمثل هذه المنبهات ليست أسهل على الكشف وحسب - فضلاً عن إمكان التحقق منها بالتجريب - بل إن النظرة الجسمية إلى الحلم تنسق والترزعة الغالبة اليوم فى مجال الطب النفسى أكمل اتساق . نعم إن من الحق أن الجميع يؤكد اليوم سيطرة المخ على الكائن العضوى أقوى التوكيد ، بيد أن كل ما قد

[(Les rêves d'origine absolument psychique n'existent pas)]

(١)

[(Les pensées de nos rêves nous viennent d'ailleurs...)]

(٢)

يشتم منه أن للحياة النفسية أى استقلال عن . التغيرات العضوية الممكن إثباتها بالبرهان أو أى تلقائية في مظاهرها يشير اليوم دهر الطبيب النفسى ، كما لو كان التسليم بمثل هذه الأشياء يسترجع بالضرورة أيام فلسفة الطبيعة وأيام النظرات الميتافيزيقية في جوهر النفس . وهذا الحذر من جانب أطباء النفس قد كان من أثره أن صارت النفس تحت الرصاية — إن جاز التعبير . فليس ينبغي اليوم أن تم خلجة من خلجانها عن أية قدرة خاصة بها . غير أن هذا المسلك منهم إن دل على شيء فعلى قلة إيمانهم بصلق الرباط بين ما هو جسى وما هو نفسى . فالبحث وإن أرانا اليوم أن العلة الأولى لظاهرة من الظواهر هى علة نفسية ، فتعمقه كفى أن يوفق حيناً إلى متابعة الطريق حتى الثور على الأساس العضوى للحدث النفسى . ولكن إذا لم يكن لمعرفتنا اليوم متدح عن الوقوف عند ما هو نفسى ، فهل يكون ذلك سبباً في نيلها ؟

د

لماذا ينسى الحلم بعد اليقظة

إن الأحلام «تتبدد» في الصباح ، هذه حقيقة صارت مضرب الأمثال . نعم إن تذكر الحلم أمر يدخل في حيز المستطاع ، فما نعلم الحلم إلا بتذكره بعد الاستيقاظ ، ولكننا نشعر في الكثير الشائع من الأحيان بأننا لم نتذكر الحلم إلا تذكرنا ناقصاً وأن ما ضاع منه يربو على ما يتبقى . وفي مقدورنا فوق ذلك أن نتذكر كيف تضسحل ذكرى الحلم في سياق النهار — وكانت لم تزل حية في الصباح — فلا تتخلف منها سوى نبد قليلة ضئيلة . وفي أحيان كثيرة نعلم أننا حلمنا ، دون أن نعلم بماذا حلمنا . ولقد بلغ من مدى ألفتنا بكون الأحلام عرضة للنسيان أن صرنا لا نرى تناقضاً ما في القول بإمكانية أن يكون امرؤ قد حلم في خلال الليل على حين أنه لا يعلم شيئاً من محتوى حلمه ولا أن حلماً قد أتى . هذا ، بينما يتفق من جهة أخرى أن تبدى الأحلام قدرة خارقة على الثبات في الذاكرة ، فقد حلت أحلاماً لمضى وقت منذ خمسة وعشرين عاماً أو تزيد ، وأستطيع أن أذكر حلماً لى نفسى تفصل بينه وبين الآونة الحاضرة سبع وثلاثون سنة على الأقل ، وهو مع هذا لم يفقد شيئاً من نضارته في ذاكرتى . كل هذا عجيب أشد العجب ، ولا يدنو للفهم للوهلة الأولى .

وشر وميل أكثر من فصل الكلام في نسيان الأحلام . ومن الواضح أن هذا النسيان ظاهرة مركبة ، فشر وميل لا يرجعه إلى علة مفردة بل إلى عدة من العلل .

وأول ما يذكر من هذه جميع العلل التي ينتج عنها النسيان في حياة اليقظة كذلك . فمن عادتنا ونحن مستيقظون أن نسارع إلى نسيان عدد من الأحاسيس والمبركات يفوق الحصر ، إما لضعفها أو لقلّة التهييج النفسى المقترن بها . وهذا عينه يصدق على الكثير من صور الحلم : فنحن ننساها لأنها أضعف من أن تحفظ في حين نحفظ ما قد يجاورها من صور أشد قوة . بيد أن عامل الشدة في ذاته لا يحتم بقاء صور الحلم . فشر وميل يسلم ويسلم معه غيره من الكتاب (كالكينز) بأننا كثيراً ما ننسى صوراً من الحلم نعلم أنها كانت موفورة الحظ من الشدة ، في حين أن بين المتبقيات في الذاكرة عدداً وفيراً من صور هي إلى أن تكون ظلالاً من صور أشبه ، فقيرة في قوتها الحسية . ثم إن الإنسان - حتى في يقظته - أكثر نسياناً لما يحدث مرة وأكثر حفظاً لما يمكن إدراكه تكراراً ، ومعظم صور الحلم أحداث فريدة الوقوع ^(١) ، وفي هذا ما يسوق من غير تفريق إلى نسيان الأحلام جميعها . غير أن لعة ثالثة خطراً يفوق الذى لسابقتها بمقدار عظيم . ذلك أن الإحساسات والأفكار والخواطر وما إليها يجب - لكى يتحقق لها قدر كاف من قابلية التذكر - ألا تظل متفرقة ، بل أن تنتظم في وحدات وتآليف من نوع مناسب . فلو أنك قسمت بيتاً منظوماً قصيراً إلى كلماته ثم مزجتها ، لصعب ذكره أبداً صعوبة . فالكلمات إذا رُتبت على النحو الذى ينبغى وانتظمها سياق موافق لمقتضى الحال أعانت كل منها أختها وصارت لمجموعها معنى يدنو به للذاكرة ويثبت فيها زمناً طويلاً . وعلى الجملة فالكلم المفرغ من المعنى عسير الحفظ على الذاكرة شاذة ، كالتخاطب البهرى . [شر وميل ، ١٨٧٧ ، ٨٣] . وإن الأحلام لتعوزها العقول ويعوزها التنسيق في معظم الأحوال ، وتآليف الحلم مجردة من الصفات التي تطوعها للتذكر ، وبما إذن النسيان ، فهي في الأغلب لا تنقضى لحظة حتى تكون قد تفرقت بدداً وضئى عن البيان أن هذا الكلام جميعه لا يستقيم وما يقوله رادشوك [١٨٧٩ ، ١٦٨] من أنه قد لاحظ أن أشد الأحلام غرابية هي أحسنها لصوقاً بالذاكرة .

وهناك عوامل أخرى يراها شر وميل أشد أثراً بعدد في نسيان الحلم ، مرجعها العلاقة بين الحلم وحياة اليقظة . فمن الواضح للعيان أن استهداف الحلم لنسيان الشعور المستيقظ ليس

(١) إن الأحلام التي تنامد صاحبها على فترات قد لوحظت أكثر من مرة ، انظر بمجموعة شابانيكس .

إلا الوجه الآخر لحقيقة سبق الإلحاق إليها [ص ٥٩] ، وهى أن الأحلام قل أن تأخذ من حياة اليقظة ذكريات منظمة ، وإنما تأخذ قطوفاً من ذكريات ينتزعها الحالم من محيطها الذى يذكر فيه عادة ونحن مستيقظون . وهكذا لا تجد تآليف الحلم مكاناً فى مجتمع التسلسلات النفسية التى تمتلئ بها النفس وتموزها كل دعامة قد يستند الذكر إليها . وعلى هذا النحو ترتفع الأبنية الحلمية من فوق أرض الحياة النفسية - إن جاز هذا التعبير - وتحلق فى الفضاء النفسى مثلما تحلق سحابة لا يلبث أن يبددها أول نفس من الريح . [شترومبل ، ١٨٧٧ ، ٧٨] . ويعين على ذلك أننا لا نكاد نستيقظ حتى يهجم علينا عالم الحس فيضرب نطقاً حول انتباهنا فى قوة لا يستطيع الثبوت أمامها سوى القليل من صور الحلم . فهذه تدبر إذ تقبل انطباعات اليوم الوليد لإدبار النجوم بريقها وضوء الشمس الطالعة .

وأخيراً لا ننسى تلك الحقيقة بين عوامل نسيان الحلم : وهى أن معظم الناس لا يعبر أحلامه اهتماماً . فكل من أولى أحلامه انتباهاً حقبة ما (كأن يكون ذلك بقصد دراستها) زادت أحلامه فى هذه الحقبة عليها فيما عداها ، وهو ما يعنى من غير شك أن تذكره لأحلامه يزيد يسراً ويكثر مقداراً .

ويضيف بوناتيلي (على ما يرويه بنينى) عاملين آخرين إلى العوامل التى أحصاها شترومبل ، وإن كانا فى الحقيقة متضمنين فى هذه الأخيرة . وهذان العاملان هما : (١) أن التحول الذى يصيب الحساسية العامة بالجسم بين حالتي النوم واليقظة لا يعين على الاستحضار المتبادل بينهما ، (٢) أن الترتيب المختلف الذى يخلعه الحالم على مادته الفكرية يجعل الأحلام مستحيلة الترجمة - إن جاز هذا التعبير - من وجهة نظر الشعور المستيقظ .

فأما وقد اجتمعت على نسيان الحلم هذه الأسباب جميعها ، فلماذا العجيب فى الحقيقة - على ما يلاحظه شترومبل نفسه - هو أن تبقى الذاكرة بعد ذلك على هذا العدد الكبير منها . ثم إن ما يبذله بعض الكتاب من محاولات متكررة من أجل النص على القواعد التى يتم تذكر الأحلام وفقاً لما يعدل نوعاً من التسليم بأننا نجد أنفسنا هنا أيضاً إزاء شئء مغز لا تحليل له . فحديثاً ألح الكتاب بحق على سمات معينة يتميز بها تذكر الأحلام : كأن تذكر فى خلال النهار شيئاً اعتقدنا نسيانه فى الصباح ، ويكون تذكره هذا لأننا لمحم موضوعاً ما له بالحلم صلة عارضة (رادشتوك ، تيسيه) . بيد أن تذكر الأحلام يستهدف

في جملة إلى اعتراض من شأنه أن ينقص قيمتها أمام أعين النقد نقصاً بالغا : ذلك أنه إذا كانت ذاكرتنا تغفل من الحلم ما تغفل ، فما أدرانا أنها لا تزيف ما تبقى ؟

ويعرب شترومبل أيضاً عن هذه الشكوك في أمانة استحضار الحلم فيقول [١٨٧٧ ، ٦] :
« وهكذا يسهل أن يبرج الشعور المستيقظ من حيث لا يدري إضافات متعددة في ذكرى الحلم ، فبهياً إلينا أننا حللنا بأشياء من صنوف شتى ، وما حوى الحلم في الحقيقة شيئاً منها .
ويجزم بستن بخاصة في هذا المعنى فيقول (١٨٥٥ ، ٥٤٧) :

« ولا ننسى فوق ذلك ونحن نبحث حلماً متلاثم الأجزاء متسق السياق ونفسره — لا ننسى تلك الحقيقة التي لم تلق حتى الآن . فيما أرى ، سوى القليل من العناية : وهي أننا لانكاد نلتزم الواقع في مثل هذه الحالات أبداً ؛ لأننا إذ نستحضر حلماً في أذهاننا نميل إلى سد ما بين صور الحلم من الثغرات — دون أن نلاحظ ما نحن صانعوه أو نعهد إليه . فلا يحدث إلا نادراً — أولاً يحدث أبداً — أن يكون الحلم من الرباط في الحقيقة مثل ما يلوح له في الذاكرة . ويكاد يكون محالاً ولو على أشد الناس محبة للحقيقة أن يروى حلماً خليقاً بالذكر من غير حشو أو تزويق . فتزوع العقل الإنساني إلى رؤية الأشياء يتصل بعضها ببعض نزوع غلاب حتى ليكمل في الذاكرة غير عامد ما قد يحويه حلم مفكك من نقص الرباط » .

وتقرأ هذه الملاحظات التي كتبها إيجر [١٨٩٥ ، ٤١] فتحالها ترجمة لما قرأناه ليسن وإن يكن من المؤكد أنه قد انتهى إليها مستقلاً : « . . . إن ملاحظة الأحلام صعباً الناحية ، والوسيلة الوحيدة إلى تجنب كل خطأ في مادة هذا شأنها هي أن نودع الورق ما قد خبرناه للتو وألاحظناه ، دون أقل إهمال . فإن لم نفعل ، لم يابث النسيان أن يبيد سريعاً ، كاملاً أو جزئياً . والنسيان الكامل لا خطر منه ، وأما الجزئي فتأمر ؛ لأننا إذ نشرع بعد ذلك في رواية ما لم ننسه ، كنا عرضة لأن نكمل بالخييلة ما تزودنا إياه الذاكرة من القصصات المتنافرة المفككة ويصير كل منا فتاناً يجهل نفسه ، ثم الرواية إذ تتكرر بين الحين والحين تنتهي بأن تفرض نفسها على تصديق مؤلفها ، فإذا هو يقدمها وهو حسن الطوية كما لو كانت واقعة صادقة استوفيت إجراءات إثباتها كما ينبغي . . . » (١) .

(١) « L'observation des rêves a ses difficultés spéciales et le seul moyen d'éviter toute erreur en pareille matière est de confier au papier sans le moindre retard ce que l'on vient d'éprouver ou de remarquer; sinon, l'oubli vient vite et total ou partiel; l'oubli total est sans gravité; mais

ويعرب شبيتا (١٨٨٢ ، ٣٣٨) عن آراء مماثلة كل الماثلة ، فهو يعتقد — على ما يبدو — أن عناصر الحلم الواهية الرباط لا يخلطها أى ضرب من النظام إلا حين نحاول استحضار الحلم ، فنحن « نحيل ما هو متجاور وحسب إلى مقدم وتأخر »^(١) ، أى ندخل عملية من الربط المنطقي لا وجود لها في الحلم .
ولما كان التأييد الموضوعي هو الكفيل وحده أن يثبت صدق ذاكرتنا ، وكان ذلك محالا فيما يتصل بالأحلام وهى خبرتنا الخاصة التى لا نملك فى شأنها مرجعاً آخر غير ذاكرتنا ، فأى قيمة تبقى بعد ذلك لذكرى الحلم ؟



الخصائص السيكلوجية المميزة للحلم

إن دراستنا العلمية للحلم تبدأ من ذلك الفرض : أن الحلم نتاج لنشاطنا النفسى الخاص بيد أن الحلم بعد أن ينقضى يثير العجب من أنفسنا ، كأنه شىء غريب عنا ، بلغ من قلة التزامنا بالتسلّم بمسئوليتنا عنه أن صار سيان عندنا القول : « أنا فى حلم » أو « حلمت حلماً » ، فما أصل هذا الشعور بأن الحلم دخيل علينا ؟ إذا رجعنا إلى مناقشتنا فى مصادر الأحلام ، لزم أن ننقش أن يكون هذا الشعور ناجماً عن المادة الداخلة فى محتواها ، لأن معظم هذه المادة مشترك بين حياتى اليقظة والحلم . ومن ثم كنا نسأل : أنفع فى الحلم تغيرات فى عمليات النفس هى التى تحدث هذا الشعور الذى نتحدث عنه ؟ ثم نحاول بناء على ذلك أن نبين ما هى الصفات السيكلوجية للحلم .

ما من أحد كان أقطع من فخر فى توكيد الفرق الجوهرى بين حياة الحلم وحياة اليقظة ، أو استخلص من هذا الفرق مقدار ما استخلصه هو من النتائج البعيدة ، وذلك فى فقرة من كتابه « عناصر علم النفس الفيزيائى » (١٨٨٩ ، ٢٠ ، ٥٢٠) .

L'oubli partiel est perfide; car si l'on se met ensuite à raconter ce que l'on n'a pas oublié, on est exposé à compléter par l'imagination les fragments incohérents et disjointes fournis par le memoire...; on devient artiste à son insu, et le récit périodiquement répété s'impose à la créance de son auteur, qui, de bonne foi, le présente comme un fait authentique, dûment établi selon les bonnes méthodes."

(١) [تغير نشأ منه راحة الفلسفة الكانتية حيث تتكون الخبرة المركبة بنظامها بسبب المحسوس الخالص الذى هو تبدل محسوس فى صور الحسية (الزمان والمكان) ويقولات الزمن (العلية ، الجوهر ، إلخ) .

فهو يرى أنه « لا مجرد انخفاض الحياة النفسية الشعورية دون حثية النشاط سوى » ولا تراجع الانتباه عن مؤثرات العالم الخارجى يكفى في تحليل خصائص الحياة الحاملة من حيث مبادئها الحياة اليقظة ، بل يحدد أن الأرجح هو أن مسرح الحلم غير مسرح الحياة الفكرية المستيقظة . فيقول : « لو أن مسرح النشاط النفسى كان في أثناء النوم هو في اليقظة ما تجاوز الحلم . فإنا نرى ، أن يكون امتداداً للحياة الفكرية المستيقظة مع بعض الانخفاض في الشدة ، وكان فوق ذلك بالضرورة يقاسم هذه الحياة مادتها وصورتها . ولكن الواقع يخالف ذلك كل المخالفة » .

ولكن ما الذى عناه فخر بجديته من هذه النقلة للنشاط النفسى من مسرح إلى آخر ؟ ذلك ما لم يتضح قط ، ولا أعلم أن أحداً سلك الطريق الذى تشير إليه هذه الكلمات . فأن نزول هذه الجملة تأويلاً تشريحياً ، بمعنى أنها تلمح إلى تحيز فيزيولوجى عنى ، أو حتى إلى الطبقات النسيجية للقشرة الحية ، ذلك - فإنا نرى - ما يحق لنا أن نستبعد من غير تردد . بيد أنه قد يتضح في المستقبل أن الفكرة حصيفة خصبية ، إذا أمكن تطبيقها بالإشارة إلى جهاز نفسى تركب من عدة من جهات الاختصاص صفت كل منها وراء الأخرى ^(١) .

وأما سائر الكتاب فيقتنعون بجلب الانتباه إلى هذه الخاصة أو تلك من الخصائص البارزة للحياة الحاملة ، متخذين إياها دعامة يبدأون منها محاولاتهم من أجل الوصول إلى تحليل أشمل للحلم .

فلنلاحظ ، والملاحظة صائبة ، أن بين الخصائص الرئيسة للحلم خاصة تظهر في أثناء فعل الأخذ في النوم ، بحيث يمكن وصفها بالقول : إنها ظاهرة تبشر بالنوم . فالذى يميز حالة اليقظة ، على حسب شلاير ماخر (١٨٦٢ ، ٣٥١) ، هو كون النشاط الفكرى يتأدى أثناءها في تصورات مجردة لا صور . ولكن الفكر يتأدى في الحلم بوساطة الصور قبل كل شيء ، وفي مقدورنا أن نلاحظ حين يقترب منا النوم أن نشاطنا الإرادى إذ يتأني علينا أكثر فأكثر انبعث بقدر تأنيه الأفكار لا إرادية ، تندرج جميعها في طبقة الصور . فالعجز عن نوع العمل الفكرى الذى نشعر أننا نستهدفه استهدافاً إرادياً مع

(١) [رى الفكرة التى ينسبها فرويد في القسم الثانى من الفصل السابع من هذا المؤلف] .

انبعاث الصور الذى يصحب عادة هذا التشتت فى الانتباه خاصتان تستمران فى الحلم وبمعلنا التحليل السيكولوجى للأحلام على أن نرى فيها سمتين جوهريتين من سمات الحياة الحاملة . وقد رأينا من قبل [ص ٦٩] أن هذه الصور قبل النوية لا تفرق فى محتواها من صور الحلم ^(١) .

الحلم إذن يفكر فى صورة مرئية على نحو غالب ، ولكنه ليس نحواً مانعاً . فالأحلام تلجأ كذلك إلى الصور السمعية ، وقد تلجأ - وإن يكن بدرجة أقل - إلى انطباعات تنتمى إلى سائر الحواس . ثم إن الحلم كالبقطة سواء بسواء قد تعرض فيه أشياء كثيرة فى صورة أفكار أومعان ليس غير (وهو ما يعنى فى الراجع أنها تحضر بواسطة آثار الصور اللغظية [المحفوظة فى الذاكرة]) . بيد أن الذى يميز الحلم حقيقة على الرغم من ذلك إنما هو هذه العناصر من محتواها التى تسلك مسلك الصور ، أى تلك الأشبه بالمركات الحسية منها بالمذكورات ^١ . وإذا تركنا جانباً جميع المناقشات التى يعرفها الأطباء النفسيون فى طبيعة الهلاوس ، فلن نخالف أحداً من أهل الثقة فى الموضوع حين نؤكد أن الأحلام تهلوس ، أى تستبدل بالأفكار هلاوس . ولا فرق من هذه الناحية بين الصور المرئية والسمعية ، فقد لوحظ أن المرء إذا شرع فى النوم وبرأسه ذكرى نغمة موسيقية استحالت الذكرى إلى هلوسة موضوعها هذه النغمة عنها . فإذا استيقظ المرء ثانية تلاشت الهلوسة بدورها لتحل محلها الصور الذكورية التى هى أكثر خفوتاً ومختلفة فى الوقت نفسه كيفاً ، وقد يدوم التداول بين الحالتين أكثر من مرة بينا المرء آخذ فى التعاس .

بيد أن تغيير الأفكار إلى هلاوس ليس الناحية الوحيدة التى تختلف فيها الأحلام من مقابلاتها الفكرية فى القطة . فالحلم يصوغ من هذه الصور موقفاً ، إنه يمثل حدثاً يدور أمام أعيننا ، أو كما يقول شبيتا [١٨٨٢ ، ١٤٥] : إنه يخلق صورة الحركة المسرحية على فكرة ما . ولكننا لا نقدر هذه الخاصة من خصائص الحياة الحاملة حتى التقدير ، إلا حين نعلم فوق ما سلف بأننا حين نحلم لا نعتقد أننا نفكر ، بل نعتقد أننا نعيش ، أى نضيف تصديقاً تاماً إلى صور الحلم الهلوسية - أو هذا هو ما يقع عادة ، فهناك شواذ تتطلب نظراً

(١) لقد أورد سيلبرر قصة أمثلة جميلة تبين كيف تتحول الأفكار المجردة ذاتها إلى صور مرئية مشكلة تزيه الإحراج من ذات المعنى . وسأعود إلى هذا المكتشف فى موضع آخر [انظر « الظاهرة الوظيفية » فى الفهرست التحليل] .

خاصاً . وأما التعقيب الناقد ، كما يكون في قولنا : ما كنا نعيش على الإطلاق ، كل الأمر أننا كنا نفكر تفكيراً من طراز خاص أى نحلم – فهذا ما لا يكون إلا بعد أن تحل اليقظة . وهذه الخاصة هى التى تفرق الحلم الحق من حلم اليقظة الذى لا نخلط بينه وبين الواقع أبداً .

ويمحىل يورداخ ما تقدم الذلر فى من سمات الحياة الحاملة فى الكلمات الآتية [١٨٣٨، ٥٠٢] : « ومن بين سمات الحلم الجوهرية السمات الآتية :

(١) أن نشاط النفس الذاتى يظهر فى صورة موضوعية ؛ لأن ملكاتنا الإدراكية تنظر إلى نتائج نميلنا نظرتها إلى انطباعات حسية . . . ، (ب) أن النوم يعنى إبطال سلطة الذات ، ومن ثم كان الاستسلام للنوم يجلب معه قرأاً من القابلية الصرفة . . . فالشرط فى انبعاث الصور التى تصحب النوم هو نقصان سلطة الذات » .

ويبقى بعد ذلك أن نحاول تعليل التصديق الذى تضيفه النفس إلى هلاوس الحلم ، وهو التصديق الذى لا يظهر إلا حين ينقطع ضرب من نشاط نفسى ذى سلطان . هنا يحتج شرومبل (١٨٧٧) بأن النفس فى تصديقها هذا إنما تقوم بوظيفتها على وجه صحيح يمتق وقانون عملها . فعناصر الحلم بعيدة عن أن تكون محض تصورات ، إنها مخبرات نفسية ، صادقة ، فعلية ، من قبيل ما يعرض فى حالة الصحو من طريق الحواس (ص ٣٤) . فبينما تصوغ النفس المستيقظة معانيها وأفكارها فى صور لفظية وكلم ، إذا هى فى الحلم تصوغها فى صور حسية صحيحة (ص ٣٥) . ثم إن الحلم يتضمن فوق ذلك شعوراً بالمكان ، ففيه كما فى اليقظة تنظم الإحساسات والصور فى مكان خارجى (ص ٣٦) . ولا محيد إذن عن التسليم بأن موقف النفس من صورها ومدركاتها الحسية فى الأحلام لا يختلف منه وهى فى اليقظة (٤٣) . فإذا كانت النفس بعد ذلك مخطئة فى صنعها هذا . فلأنها تفتقر فى أثناء حالة النوم إلى المعيار الذى يمكنها وحده من التفرقة بين مدركات الحس الوافدة من الخارج وتلك المنبعثة من الداخل ، أى أنها لا تملك القدرة على امتحان صورها الحسية بالوسائل الوحيدة الكنية أن تثبت حقيقة الموضوعية . ثم هى بالإضافة إلى ذلك تغفل التفرقة بين الصور التى تملك تبديلها كما تريد وتلك التى ينبى فيها هذا التحكم : إنها على خطأ لأنها تعجز عن تطبيق قانون العلية على محتوى أحلامها (ص ٥٠ - ٥١) . وخلاصة القول هى أن انصرافها عن العالم الخارجى هو أيضاً

السبب في تصديقها علم الأحلام الذاتي .

ويصل دلبوف إلى النتيجة ذاتها بعد حاجة سيكولوجية مختلفة بعض الاختلاف . فهو يرى أننا نعتقد أن صور الحلم موجودة حقيقة ؛ لأننا لا نملك في أثناء النوم انطباعات أخرى نقارن بها هذه الصور ، لأننا مفصولون من العالم الخارجى . ولكنه ليس من الصحيح أننا نعتقد صدق هذه الخلاوس لأننا نعدم في النوم القدرة على امتحانها . فالحلم يستطيع أن يشبه علينا كل صنوف مثل هذا الامتحان ، كأن يجعلنا نلمس الوردة التي نراها - ومع هذا فما نحن إلا حالمون . فالمعيار الأوحده المتين لكوننا نياماً أو مستيقظين ليس في رأى دلبوف سوى واقعة اليقظة نفسها - وهو معيار لا نأخذ به إلا جريباً على العرف العملي العام . فأننا أستنتج أن كل ما خبرته بين أن نمت وأن استيقظت كان وهماً حين أثبتنا وأنا أستيقظ أنني راقد في سريري مجرداً من ثيائي . وما أخذت صور الحلم مأخذ الحقائق في خلال النوم إلا لعادة فكرية لا تنام هي افتراضى وجود عالم خارجى أعارض به أناي^(١) . وهكذا يرفع الانصراف عن العالم الخارجى إلى مرتبة العامل المحتم لظهور أبرز سمات الحياة الحاملة ، ومن الخلق إذن بعناتنا أن نذكر بعض ملاحظات نافذة أنها بورداخ منذ زمن قديم ؛ لأنها تنير أمر العلاقات بين النفس النائمة والعالم الخارجى

(١) لقد حاول هافز - مثل دلبوف - أن يفسر النشاط الحالم بالتحول الذى يطرا بالضرورة حل أداه الجهاز النفسى لوظائفه عندما يداخل هذا الجهاز عامل غير سوى ، مع بقائه سليماً فيما عدا ذلك . إلا أنه - أخص هافز - يصف هذا العامل وصفاً مختلفاً بعض الاختلاف . فهو يرى أن أول أمارات الحلم هي التحرر من الزمان والمكان ، أى تحرر التخيل من الموقع الذى يشغله الفرد في النظام المكاني والزمنى . وتلق تلك الخاصة الأساسية الثانية للحلم ، وهي احبار الخلاوس والتخيلات وتكليف الخيلة مدركات موضوعية . يقول هافز : " إن ملكاتنا النفسية العليا جميعها - بنوع خاص ملكة التجريد وملكة الحكم والاستدلال من ناحية ، وقدرة الجبر الذاتى من ناحية أخرى - يصطبغ نشاطها بصور الخيلة الحسية وتكون أمثال هذه الصور دائماً من وراء هذا النشاط ولهذا كان تحرر صور الحلم من كل شابط يصيب هذه الملكات أيضاً إلى حد ما . وأقول : " إلى حد ما " لأن ملكة الحكم والإرادة في ذاتهما لا تتغيران في أثناء النوم بحال من الأحوال . فنشاطنا لا يقل ذكاء وحرية عنه في اليقظة . فاستطيع إنسان ولو في الحلم أن يخرق قوانين الفكر من حيث هي كذلك ، أى أن يقول من الأشياء التى تلوح له متضادة ؛ إنها واحدة ، إلخ . وهو أيضاً في الحلم لا يستطيع أن يرغب إلا فيما يصور أنه الخبر (Sub rational basis) . ولكن قد يفضل العقل الإنسان أثناء الحلم في تطبيقه لقوانين الفكر بأن يأخذ فكرة في محل أخرى . وهكذا يقع أننا قد نطوف في الحلم بالنفس المتناقضات ورتكبتها ، بينما قد ننسى من جهة أخرى إلى أرحب الأحكام وأسلم النتائج ، ونستخذ أفضل القرارات وأطهرها . فانبساط الاجتهاد هو السر في هذا الشطط الذى تتلعب إليه مخيلتنا في خلال الحلم ، كما أن الانقصار إلى التأمل البقوى وإلى التنقل مع الآخرين هو المصدر الرئيس لما يديه الحلم من جوص في أحكامنا وآمالنا وريائتنا . " (١٨٧ ، ١٨٩)

ولأنها تفيد كذلك في تحذيرنا من المغالاة في تقدير شأن النتائج المتقدم ذكرها . يقول بورداخ : « إن النوم لا يحدث إلا إذا توافر هذا الشرط : أن تكف المنبهات الحسية عن تهيج النفس ، . . . غير أن الشرط في النوم ليس غياب المنبهات بقدر غياب الاهتمام بها ^(١) ، بل الحقيقة هي أن بعض المنبهات الحسية قد يكون لازماً لتهذبة النفس : فهكلا الطحان لا يذوم^٢ نومه الا وهو يسمع جمجمة الطاحونة ، كما أن النوم في الظلمة التامة يستحيل على من يرى أن إشعال بعض الضوء في الليل ضرورة يقتضيها الاحتياط » . (١٨٣٨ ، ٤٨٢) .

« إن النفس تنعزل في أثناء النوم عن العالم الخارجى وترتد عن حاقها نفسها [أى عن أعضاء الحس التى من طريقها تتصل بالعالم الخارجى] . . . بيد أن الصلة لا تنقطع كل الانقطاع ، فلو قد كان المرء لا يستطيع سماعاً ولا حساً في نومه وإنما يسمع ويحس بعد الاستيقاظ وحسب ، لما كان في الوسع إبقاؤه على الإطلاق . وأبين دليل على استمرار الإحساس هو كوننا لا ننتيقظ دائماً لما يكون عليه الانطباع من محض الشدة الحسية ، بل لصلته النسبية بنا : فالتألم لا توقظه كلمة لا تقع من نفسه موقعاً خاصاً ، فإن نادته باسمه أيقظته . . . أى أن النفس تميز في نومها بين مختلف الإحساسات . . . ولهذا السبب كان انقطاع أحد المنبهات كميلاً أن يوقظ المرء ، إذا كانت لهذا الانقطاع صلة بأمر له في فكر المرء أهمية : فيستيقظ الرجل الذى ينطوى في الليل ضوء مصباحه ، أو الطحان إذا وقفت الطاحونة ، أى إذا انقطع تنبيه حسي . وهذا يعنى أن كليهما كان يدرك هذا التنبيه ، لكن دون أن يتزعج له ، لأن هذا التنبيه لم يكن يحركه تحريكاً خاصاً بل كان على الأصح يطمثه » . (ص ٤٨٥ وما يليها) .

لقد نفى الطرف عن هذه الاعتراضات — وهى ليست بالهينة — ولكننا نظل مع ذلك مرغمين على أن نقر بأن ما بحثناه حتى الآن من خصائص الحياة الحاملة وقرنائه إلى انصرافها عن العالم الخارجى لا يوضح ما تنسم به هذه الحياة من طابع الغرابة كل التوضيح . ولولا هذا لكان من المستطاع أن نحول هلاوس الحلم من جديد إلى معان ومواقفه إلى خواطر ، وبهذا نحل مشكلة تفسير الحلم . وهذا التحويل في الحقيقة

(١) انظر ما يسميه كلاپاريد (١٩٠٥) "désintéressé" [انصراف الاهتمام] ، وهو الانصراف الذى يرى أن ميكانيكة حالة النوم تقوم فيه .

هو ما نصنع حين نستحضر حلماً من الذاكرة بعد اليقظة ، ومع هذا فسواء وفقنا في هذه الترجمة الثانية توفيقاً كلياً أم توفيقاً جزئياً ليس غير ، يظل الحلم مبقياً على إلغازه كاملاً غير منقوص .

ولهذا كان المؤلفون جميعهم يفترضون من غير تردد أن المادة الفكرية لحياة اليقظة نصيبها في الحلم تغيرات أخرى أعمق غوراً . ويريد شرومبل أن يعرب عن أحد هذه التغيرات في الفقرة الآتية (١٨٧٧ ، ٢٧) : « إن النفس إذ ينقطع نشاطها الحسى وينقطع [شعورها السوى بالحياة تفقد التربة التي تتأصل فيها مشاعرها ورغباتها واهتماماتها وأعمالها . ثم إن الحالات النفسية ، من مشاعر واهتمامات وأحكام تقويمية وما إلى ذلك مما لا تنفصم عراه من الصور الذكورية في حياة اليقظة ، تستهدف كذلك . . . لضغط يولد الغموض ، يكون من نتيجته أن تنفصم صلة هذه الحالات بالصور ، كما أن الصور الإدراكية المحصّلة في حياة اليقظة عن الأشياء والأشخاص والأماكن والأحداث والأفعال تستحضر منفردات في عدد كبير ، لكن دون أن تصبحها قيمتها النفسية : إن هذه القيمة تفصل عنها ، وهكذا تطوف هذه الصور في النفس كيفما يحلو لها . . . »

وفي رأى شرومبل أن تجريد الصور من قيمتها النفسية (وهو ما يرجع بدوره إلى واقعة الانفصال من العالم الخارجى) يشارك بنصيب رئيسى في خلق شعور الغرابة الذى يميز الحلم من الحياة الواقعة في ذاكرتنا .

ولقد سمعنا من قبل [ص ٨٤] أننا ما أن نستسلم للنوم حتى ننزل عن وجه من وجوه نشاطنا النفسى ، وأضحى به القدرة على ترجيه مجرى أفكارنا توجيهاً إرادياً . فلم لا نسمع الآن فرضاً آخر وهو على أية حال فرض قريب من الدهن بطبيعته : إن آثار النوم تتشر فتشمل ملكات النفس جميعاً ؟ ويبدو أن بعض هذه الملكات يعطل كل التعطيل ، وعلى ذلك نسال : هل تظل سائر الملكات بعدئذ على نشاطها السوى ؟ أهى مستطية أن تعمل عملاً سوياً في مثل هذه الملابسات ؟ وهنا قد يخطر لنا أن نطلل السمات المميزة للحلم بنقص النشاط النفسى في أثناء النوم ، ويحى الانطباع الذى يتركه الحلم في نفوسنا حين نستيقظ ونحكم بملكة مستيقظة فيقرنا على هذا الخاطر : فالحلم مفكك ، لا يجد غضاضة في قبول المتناقضات مهما عظمت ، وأما المستحيلات فحبها مرسل على غاربه ، وأما المعرفة التي نعلق عليها أكبر الأهمية في النهار فتختل إغفالاً ، ثم هو - أعنى - الحلم - يظهرنا في

مظهر البلهائه آداباً وخلقاً ، ولو أن أحداً سلك مستقيماً مسلكه في تصوير الحلم لظن به مساً ، ولو أن أحداً تحدث مستقيماً على نحو ما يتحدث الناس في أحلامهم ، أو أفاض بنوع الأشياء التي تعرض له في الحلم ، لخلناه مختلط الفكر أو ضعيف العقل ؛ فلا يبدو أننا تجاوزنا تسجيل الحقيقة حين نعرب عن أضال التقدير لنشاط النفس في الحلم وحين نقول : إن ملكاتنا العقلية — وما علا منها مرتبة بنوع خاص — تعطل في الحلم تعطيلاً ، أو على الأقل يتركها خلل بليغ .

وقل أن اتفق المؤلفون في شيء اتفاهم على مثل هذا النوع من الأحكام في صدد الحلم — وأعرض لمن شذ منهم فيما بعد [ص ٩٤ وما يليها] — وإن هذه الأحكام لتسوقهم بدورها إلى نظرية معينة أو إلى تعليل معين للحياة الحاملة . ولكن ينبغي على الآن أن أترك التلخيص مورداً بدله طائفة من النصوص لكتاب مختلفين — فلاسفة وأطباء — في موضوع الخصائص السيكولوجية للحلم .

ففي رأى لوموان أن الخاصة الجوهرية الوحيدة للأحلام هي فقدان التناسق بين صورها . ويؤيده موري فيقول (١٨٧٨ ، ١٦٣) : « لا وجود لحلم لا يجانب المعقول بعض المجانية ، أو لا تضم أعطافه بعضاً من التنافر أو من الخلط الزمني أو من فساد المنطق »^(١) . ويرى هجل — على ما يرويه شبيتا — أن الأحلام تخلو من كل تدسق موضوعي معقول .

ويقول دوجا : « الحلم هو الفوضى النفسية وجدانية وعقلية ، هو لعب الوظائف وقد أسلم لها حبلها ، ممارسة عملها من غير ضابط ولا هدف ، فالذهن يمس في الحلم آلة ذهنية »^(٢) .

وتتحدث فولكت نفسه — وهو البعيد عن أن تجرد نظريته النشاط النسي المذول في أثناء النوم من الغاية — يتحدث (ص ١٤) عن « الاسترخاء والتفكك والاختلاط التي تصيب الحياة الفكرية ، بعد ترابطها في خلال اليقظة بفعل القوة المنطقية للأنا المركزي » .

(١) "Il n'y a pas des rêves absolument raisonnables et qui ne contiennent quelque incohérence, quelque anachronisme, quelque absurdité."

(٢) "Le rêve c'est l'anarchie psychique, affective et mentale, c'est le jeu des fonctions livrées à elles-mêmes et s'occupant sans contrôle et sans but; dans le rêve l'esprit est un automate spirituel."

وأما فساد منطق الروابط التي تربط بين المستدعيات الواردة في الحلم ، فلا يكاد أحد يفضحه . يمثل قوة شيشرون في الكتاب الآنف الذكر الكتاب الثاني [فقرة ٧١] : « من المحال أن نتخيل شيئاً بلغ من الانعكاس والقوضى والشدوذ مبلغاً يعجزنا عن الحلم به »^(١) ويقول فخنز : (١٨٨٩ ، ٢ ، ٥٢٢) « كأن النشاط السيكولوجي قد نقل من مخ رجل عاقل إلى مخ مجنون » .

ويقول رادشوك (١٨٧٩ ، ١٤٥) : « الواقع أنه يبدو أمراً مستحيلاً أن نتميز أى قانون ثابت ينهج عليه هذا النشاط الملتاث . فالأحلام إذ تفلت من الحراسة الصارمة التي نقيمها الإرادة العاقلة وقيمها الانبثاء على مجرى الأفكار المستيقظة تندفع في دوامة جنونية من الخلط الكاليدوسكوبي » .

ويقول هيلد برانت (١٨٧٥ ، ٤٥) : « أى قفزات عجيبة لا يأتيها الحلم حين يستدل مثلاً ؟ بأى خفة يشهد أكثر دروس للتجربة ألفة وهي تتقلب رأساً على عقب ؟ أى متناقضات مضحكة يميزها في نظم الطبيعة والمجتمع قبل أن يتجاوز الأمر حدود النكتة — كما نقول — فإذا اغرقه في الغمر يوقظه — فنحن نحسب أن ثلاثة أضعاف الثلاثة تعدل العشرين دون أن نحرك ساكناً ، ولا يدعشنا أن يستشهد كلب ببيت من الشعر أو أن يمشي ميت إلى قبره بقلميه أو أن تسبح صحرة على وجه الماء . ولقد نرجه والوقار يحف بنا في بثة خطيرة إلى دوقية برنبورج أو إمارة ليختنشتاين لنستعرض أسطولها البحري ، أو نتطوع تحت لواء شارل الثاني عشر قبيل موقعة پولتافا » .

ويحدث بتس ونصب عينيه نظرية الحلم المقامة على أمثال هذه الآراء فيقول (١٨٧٨ ، ٣٣) : « بين كل عشرة أحلام تسعة على الأقل لا معنى لها . فنحن نربط في الحلم بين أناس وأشياء لا تحمل أقل صلة فيما بينها ، ثم ينقلب المنظر في لمح البصر كما في الكاليدوسكوب فإذا نحن أمام مجموعة أخرى ألرغ معنى وأشد جنوناً — إن أمكن — من سابقتها . وهكذا يضي الدهن النائم — ليس كل النوم — في لعبة المتقلب ، إلى أن نستيقظ فنفرع جباهنا ونسأل أنفسنا : ألا نزال نملك القدرة على الإيمان بأفكار وخواطر معقولة » .
وأما مورى فيأتى في صدد العلاقة بين صور الحلم والأفكار المستيقظة بمقارنة سوف يرى فيها الأطباء بلاغة خاصة ، إذ يقول (١٨٧٨ ، ٥٠) : « إن إحداث هذه الصورة التي

(٢) [Nihil tam praepostere, tam incendite, tam monstruosa cogitari potes, quod non posimus somnari.]

تولدها الإرادة في أغلب الأحيان عند الإنسان المستيقظ ، هو من الذكاء كالحركات التي يطالعنا بها الرقاص والاضطرابات الشللية بالنسبة إلى القدرة الحركية . . . » (١) وأما فيما خلا ذلك ، فالحلم عنده : « سلسلة مكتملة من درجات الانحطاط في الملكة العاقلة المستدلة » (٢) (ص ٢٧) .

ولا تكاد تكون ثمة حاجة إلى ذكر أقوال الكتاب الذين يكررون قضية موري مطبقة على مختلف الوظائف النفسية ذات المرتبة العالية .

ففي رأي شرومبل (١٨٧٧ ، ٢٦) أن جميع العمليات المنطقية القائمة على النسب والعلاقات يصيبها الخسوف في الحلم - ومن المفهوم أن هذا الرأي يظل صحيحاً وإن لم تتجلى في الحلم بجانب صريحة للمعقول . ويرى شبيتا (١٨٨٢ ، ١٤٨) أن الأفكار التي ترد في الحلم تبدو مستقلة كل الاستقلال عن قانون العلية . ويلج رادشوك وغيره على ما يميز الحلم من ضعف ملكتي الحكم والاستدلال . وفي رأي يودل (١٨٩٦ ، ١٢٣) أن الأحلام مجردة من ملكة النقد ، من القدرة على تصحيح مجموعة من المدرجات الحسية بالرجوع إلى محتوى الشعور في جملته . ويقول هذا المؤلف عنه : « إن جميع أنواع النشاط الشعوري تجيء في الحلم ، لكنها تجيء ناقصة ، مكفوفة ، معزولة » . وأما المتناقضات التي يفرق فيها الحلم بالقياس إلى معرفتنا المستيقظة فيعللها شريكر (مع الكثيرين من غيره) بنسياننا الحقائق في الحلم أو باختفاء العلاقات المنطقية (١٨٧٩ ، ٩٨) ، إلى آخر كل هذا .

غير أن الكتاب الذين ينظرون على الحملة هذه النظرة القاسية إلى الوظائف النفسية في الحلم ، يقرن للأحلام مع ذلك بقية باقية من النشاط النفسى ، وبهذا يسلم صراحة فونت الذى كان لنظرياته أثر حاسم في كثير من المشتغلين بهذا الموضوع . وقد يسأل سائل : وما طبيعة هذه البقية المستمرة في الحلم من النشاط النفسى السوى ؟ هناك اتفاق شامل أو يكاد على أن الملكة المستحضرة - أعني الذاكرة - هي أقل الملكات تأثراً ، بل هي تبدى في الحلم بعضاً من التفوق على نفسها في القطة (انظر ما سبق في ص ٥١ وما يليها) ، وإن بدا أن جزءاً من متناقضات الحياة الحاملة يرجع إلى نسيانها . وفي رأى شبيتا أن جزءه

(١) "La production de ces images que chez l'homme éveillé fait le plus souvent naître la volonté, correspond, pour l'intelligence, à ce que sont pour la motilité certains mouvements que nous offrons la chorée et les affections paralytiques..."

(٢) "Toute une série de dégradations de la faculté pensante et raisonnante"

النفس الذى لا يؤثر فيه النوم هو الحياة الوجدانية ، وهذه إذن هى الموجهة للحلم . وهو يعنى بلفظ « الوجدان » ^(١) « المشاعر فى مجموعها الثابت ، من حيث هو الماهية الباطنة العميقة للكانن الإنسانى » (١٨٨٢ ، ٨٤) .

ويلمح شولنس (١٨٩٣ ، ٣٧) فى الأحلام نشاطاً نفسياً يتجلى فى النزوع إلى تفسير مادة الحلم « تفسيراً استعاريّاً » . وكذلك زيبك (١٨٧٧ ، ١١) فهو يشاهد فى الحلم « ملكة التفسير التكميلى » التى تمارسها النفس إزاء جميع إحساساتها وإدراكاتها . وأما الوظيفة النفسية التى تدل الظواهر على أنها أعلى الوظائف منزلة - وأعلى الشعور - فىطوى تقدير شأنها بالنسبة إلى الحلم على صعوبة خاصة . فلا شك فى أن الشعور يبقّى فى الحلم ، فكل معرفتنا بالحلم إنما هى مستمدة منه ، ومع هذا يرى شبيتا أن الذى يدوم فى الحلم إنما هو الشعور وليس الشعور بالذات . بيد أن دلبوف يعترف بأنه عاجز عن أن يفقه شيئاً من هذه التفرقة .

وتصدق قوانين التداعى التى تحكم تعاقب الأفكار على صور الحلم كذلك ، بل إن سيطرتها تتجلى فى الحلم أشد قوة ووضوحاً . ويقول شرومهل (١٨٧٧ ، ٧٠) : « والظاهر هو أن الأحلام تجرى مجراها إما وفق قوانين الأفكار الخالصة ، وإما وفق قوانين المنبئات العضوية المصحوبة بأمثال هذه الأفكار ، أى دون أن يكون للتدبير أو الفهم أو اللوق الجمالى أو الحكم الخلقى أى أثر فيها » . والمؤلفون الذين أسوق آراءهم يتصورون عملية تكوين الحلم على نحو قريب من النحو الآتى : إن المنبئات الحسية المتولدة من مختلف المصادر التى سبق أن أحصيتها (انظر قسم ج) تثير مجتمعة عدداً من الأفكار فى النفس ، فتصوّر هذه الأفكار فى صورة هلاوس (والأصح فى رأى فونت هو أن نقول : فى صورة أوهام حسية ، نظراً لتفرعها عن منبئات خارجية وباطنية) وترتبط هذه الأفكار فيما بينها على حسب قوانين التداعى المعروفة ، ثم هى تستدعى طائفة أخرى من الأفكار (أو الصور) على حسب ذات القوانين ، وعندئذ يعمل الجزء الباقى على نشاطه من ملكات النفس المنظمة المفكرة عمله فى هذه المادة جميعها . بقدر مطاوعتها (انظر على سبيل المثال فونت وفيجانت) . ولكن ما من أحد وفق بعدد إلى بيان ما هى الدوافع التى تجعل استدعاء الصور غير الناشئة من الخارج يجرى وفق هذا القانون من قوانين التداعى أو ذاك .

بيد أن ثمت أمراً كثرت ملاحظته : وهو أن الروابط التي تصل بين صور الحلم هي روابط من نوع فريد على الإطلاق ، تختلف من تلك التي تعمل في الفكر المستيقظ . فيقول فولكيت (ص ١٥) : « إن المستعديات تتلاحق في الحلم وتلتامس وفق أوجه من الشبه عارضة وروابط تكاد تنق على الإدراك . ولا يخلو حلم من أمثال هذه المستعديات المراسية الواهنة » . ويعلق موري أهمية قصوى على هذه السمة التي تميز ترابط الأفكار في الحلم ، لأنها تمكنه من المماثلة بين الحياة الحاملة وبعض الاضطرابات العصبية . فهو يقول بسمتين رئيسيتين تميزان « الهذيان » : (١) نشاط النفس نشاطاً تلقائياً أشبه بالآلى ، (٢) تداعي الأفكار تداعياً فاسداً غير منتظم ^(١) (١٨٧٨ ، ١٢٦) . ويضرب موري نفسه مثالين ممتازين من أحلامه كان مجرد التماثل الصوتي واسطة الربط بين صور الحلم فيهما . فقد رأى في الحلم مرة أنه في حج (هلرينج) إلى القدس أومكة ، ثم بعد مغامرات متعددة رأى نفسه يزور الكيميائي بليتيه الذي سلمه - بعد أن تحدث إليه قليلاً - بحرفة (هل) من الزنك انقلبت في جزء تال من الحلم سيقاً مصفحاً (ص ١٣٧) . ورأى في حلم آخر أنه يسير في طريق ممتد وهو يقرأ أرقام الكيلو مترات الدالة على المسافات ، ثم بعد ذلك صار في دكان بقال رأى فيه ميزاناً ضخماً ورجلاً يضع في إحدى كفتي الميزان موازين كيلو جرامية لكي يزن موري ، ثم قال له البقال : « إنك لست في باريس بل في جزيرة جيلولو » وأعقبت ذلك مناظر أخرى رأى فيها أزهار لوبليا ثم الجنرال لوبيز - وكان قد قرأ نبأ موته منذ زمن قريب - ، وأخيراً استيقظ من نومه بينما كان ياحب اللعبة المسياه لولو ^(٢) .

ولكننا لن نفاجأ بالطبع إذا وجدنا أن هذا التقدير الضئيل لنشاط الحلم النفسى لم يترك بغير معارضة . ولا شك في أن المعارضة لا تبدو هنا بالشىء الهين . فلا وزن لأن يؤكد أحد محرقى الأحلام (شبيتا ، ١٨٨٢ ، ١١٨) أن ذات القوانين التي تهيم على حياة اليقظة تصدق على الحلم كذلك ، أو إذا أعلن آخر (دوجا) « أن الحلم لا يخالف العقل ، بل هو لا يخلو منه كل الخلو » ^(٣) ، ما دام لا يتكلمان عناء التوفيق بين مثل هذه الأقوال

(١) «délire» : (1) une action spontanée et comme automatique de l'esprit; (2) une association violente et irrégulière des idées.]

(٢) سوف نفهم فيما بعد [ص ٢٣٣ في الهامش] متى أمثال هذه الأحلام الحائلة بالجناس أو بالكلبات المبجلة بحرف متائلة .

[«le rêve n'est pas déraison ni même irraison pure»].

(٣)

وبين ما سبق أن قدماء عن فوضى الحياة النفسية في الحلم وتفكك جميع الوظائف العقلية في خلالة . ولكن ثمة فريقاً آخر من المؤلفين يبدو أنهم قد لحوا أن الحلم ربما كان له في جنونه منهج ، وأن هذا الجنون قد لا يبدو أن يكون قناعاً ، مثلما كان من أمر الأمير الدانمركي (هاملت) الذي أطلق على جنونه هذا الحكم الثاقب . ولا بد أن هؤلاء المؤلفين قد تجنبوا الحكم على الحلم بحسب ظاهره أو يكون الحلم قسطاً لهم بظواهر مختلف جداً .

فعل هذا النحو يتحدث هافلوك إليس عن الأحلام دون أن يتوقف طويلاً عند مظهر جانبها للمعقول فيقول : إنها « عالم أثيري من الانفعالات المبهمة والأفكار الناقصة » (١) ، عالم قد تكشف لنا دراسته عن المراحل البدائية لتطور الحياة النفسية . ويعرب ج . سوللي (١٨٩٣ ، ٣٦٢) عن هذا الرأي نفسه على نحو أشد بعدُ شمولاً ونفاذاً ، وإن كلماته تستحق المزيد من انتباهنا إذا تذكرنا أنه ربما كان أرسخ السيكولوجيين اقتناعاً بأن للأحلام معنى دقيقاً ، يقول : « وأحلامنا وسيلة تحفظ بها هذه الشخصيات المتعاقبة (القديمة) ؛ فنحن حين نكون نياماً نرجع إلى طرائقنا القديمة في النظر إلى الأشياء والتأثر بها ، إلى اندفاعات وهروب من النشاط كانت تسيطر علينا منذ زمن قديم » (٢) . ويتول مفكر مثل دلبوف - وإن لم يستند رأيه إلى كبير حتى لأنه لم يفند الوقائع التي تناقضه - : « إن جميع ملكات النفس فيها خلا الإدراك الحسي : الذكاء والخيالة والذاكرة والإرادة والخلق ، تبقى في خلال النوم هي هي في جوهرها ، كل الأمر أنها تطبق على موضوعات متخيلة لا ثبات فيها . فالحلم يمثل يظهر كيف يشاء : مجنوناً وهاقلاً ، جليداً وضحية ، قزماً وعلاقاً ، شيطاناً وملاكاً » (٣) . (١٨٨٥ ، ٢٢٢) ويبدو أن أشد من عارض الانتقاص من النشاط النفسي في الحلم هو الماركسي درفاي الذي جادله موري جداً مستحراً والذي ذهب كل جهودي من أجل العثور على كتابه عمياً . فوري يحدثن عنه قائلا (١٨٧٨ ، ص ١٩) : « إن الماركسي درفاي ينسب إلى الذكاء وهو قائم حرية غير منقوصة

["an archaic world of vast emotions and imperfect thoughts"]. (١)

["Now our dreams are a means of conserving these successive personalities. When asleep we go back to the old ways of looking at things and feeling about them, to impulses and activities which long ago dominated us."] (٢)

["Dans le sommeil, hormis la perception, toutes les facultés de l'esprit, intelligence, imagination, mémoire, volonté, moralité, restent intactes dans leur essence; seulement, elles s'appliquent à des objets imaginaires et mobiles. Le songeur est un acteur qui joue à volonté les fous et les sages, les bourreaux et les victimes, les nains et les géants, les démons et les anges"] (٣)

في العمل والانتباه ، وهو يبدو كأنما كان من رأيه أن النوم لا يقوم إلا في إطباق الحواس ، في إحصاءها دون العالم الخارجي ، بحيث لا يكاد يتميز الإنسان النائم على حسب نظرتة من هذا الذي يشرح فكره وقد سد منافذ حواسه . وكل الفرق الذي يفصل عندئذ بين التفكير المؤلف وتفكير النائم هو أن الفكرة تتخذ عند هذا الأخير شكلا مرئيا موضوعيا وتشبه الإحساس المتعين بالموضوعات الخارجية حتى لنخاطب بينهما ، وتستعير الذكري مظهر الواقعة الحاضرة (١) .

بيد أن موري يضيف إلى ذلك قوله : إن تمت فرقا فوق ذلك وفرقا له كل الخطورة ، وأعطى به أن الملكات العقلية للنائم لا تبدي التوازن الذي تلزمه عند المستيقظ (٢) .
 فإذا رجعنا إلى فاشيد الذي ينقل إلينا صورة أوفي عن كتاب دولاي ، وجدنا نصا لهذا المؤلف يعرب فيه عن رأيه في تجرد ظاهرة الحلم من التانسق على النحو الآتي :
 « صورة الحلم نسخة الفكرة ، فالجوهرى هو الفكرة ، وأما الرؤيا فلباس عارض . وإذا كان الأمر كذلك ، لزم أن نعرف كيف نتبع سير الأفكار ، لزم أن نعرف كيف نحلل نسج الحلم : حيث يصير اللاتانسق شيئا مفهوما ، وتصير أشد الأحلام لإغرابا في الخيال وقائع لا تعقيد فيها ولا خلل في منطقتها (٣) (١٩١١ ، ١٤٦) . ثم يقول (ص ١٤٧) :
 « وإن أكثر الأحلام غرابة لتلقى تحليلا كأكثر ما يكون منطقاً ، إذا عرفنا كيف نحللها » .
 ولقد نبه شاركة إلى مؤلف أقدم عهداً ، لم أكن أحلم من أمره شيئا ، حلل خلل الحلم من التانسق تحليلا مائلا في عام ١٧٩٩ ، هذا المؤلف هو فولف دافيدسون ، يقول (١٧٩٩ ، ١٣٦) : « إن القفزات الغريبة التي تقفزها أفكارنا في الحلم تمتد جميعها إلى قانون التداعي . غير أنه يحدث أحيانا أن تخطر هذه الروابط للنفس على نحو غامض

(١) "M. le Marquis d'Hervey prète à l'intelligence durant le sommeil, toute sa liberté d'attention et il ne semble faire consister le sommeil que dans l'occlusion des sens, dans leur fermeture au monde extérieur; en sorte que l'homme qui dort ne se distingue guère, selon sa manière de voir, de l'homme qui laisse vaguer sa pensée en se bouchant les sens; toute la différence qui sépare alors la pensée ordinaire de celle du dormeur, c'est que, chez celui-ci, l'idée prend une forme visible, objective et ressemblante, à s'y adonner, à la sensation déterminée par les objets intérieurs; le souvenir revêt l'apparence du fait présent."]

(٢) "Qu'il y a une différence de plus et capitale à savoir que les facultés intellectuelles de l'homme endormi n'offrent pas l'équilibre qu'elles gardent chez l'homme éveillé."]

(٣) "L'image du rêve est la copie de l'idée; la vision n'est qu'accommodée. Ceci établi, il faut savoir suivre la marche des idées, il faut savoir analyser le tissu des rêves; l'incohérence devient alors compréhensible, les conceptions les plus fantasques deviennent des faits simples et parfaitement logiques."]

جداً، بحيث يهبأ إلينا أننا نشهد قفزة من قفزات الفكر وليس في الحقيقة شئاً من ذلك.»
وهكذا يتفاوت تقويم الحلم من حيث هو نتاج نفسى متفاوتاً واسع النطاق في مختلف المؤلفات: فمن أقصى التحدير الذى رأينا صدوقاً من العبارة عنه، إلى الملامح إلى قيمة لم تُفصّل،
فإلى أقصى الإطناب الذى يقدم الحلم على وظائف حياة اليقظة جميعاً. ومن هذين الطرفين المتقابلين يؤلف هيلد برانت ثلاثة المناقضات الثلاث التى رأينا (في ص ٤٩) أنه يحمل فيها الخصائص السيكلوجية للحياة الحاملة، يقول (١٨٧٥، ١٩): «وثلاثة المناقضات تقوم في اشتداد الحياة النفسية والسمو بها سموً يبلغ حد المهارة المعجزة، من جهة، ولقص وهذف كثيراً ما يهيطن بها دون المستوى الإنسانى من جهة أخرى.»

«إليك الوجه الأول: من ذا الذى لا يجد في خبرته ما يؤيد أن عبقرية الحلم تبدى أحياناً — فيما تخلق وتحيك — عمراً في الوجدان وصدقاً، ورقة في الإحساس، ووضوحاً في النظر، ودقة في الملاحظة، وتوقد في القرينة، يحملنا التواضع على أن نفر بأننا لا نسلم بمثلها دائماً في يقظتنا؟ فللحلم شاعرية نهر، وتمثيل محكم، وفكاهة لا تجارى، وسخرية مستملحة. إنه ينظر إلى العالم في ضوء يضئ عليه مثالية فريدة، وكثيراً ما يعلى الأثر الذى لمجاليه يفهم عميق لماهيته. الجمال الدنيوى يمثله لناظرنا في بهاء سموى، وما سما خلق عليه أرفع حلل الجلال، وأما ما نعهد منه المخافة فيتخذ أشكاله، وأما الدعابة فتقلب مجوناً يلدغ إلى ضحك جارف لا يوصف. ولقد نستيقظ وخبرة من هذا القبيل لا تزال نستحوذ علينا، فلا نملك إلا أن نحدث النفس: يمثل هذا ما أنتنا دنيا الواقع قط.»

وللمرء أن يسأل بعد ذلك: أهو ذات الموضوع يأتى هاته الملاحظات المحققة وهما المديح المتقد؟ ألا يكون أن بعض الكتاب قد أغفل الأحلام فاسدة المنطق على حين أغفل البعض الآخر عميقها ومستدقها؟ وإذا كان كلا النوعين يقع — ما استحق هذا الحكم وما استحق ذاك — أفلا يكون من العبث أن نلتبس للحلم خاصة تميزه، ألا يكفى القول: كل شئ ممكن في الحلم، من انحطاط الحياة النفسية إلى أسفل درك، إلى سمو قل أن نلوة في حياة اليقظة؟ إن هذا الحل مهما كان من يسره وتيسره يأتى دونه تلك الحقيقة: وهى أن جهود بحثة الحلم جميعاً تبلى ومقامة على إيمانهم بأن ثمت بالفعل خاصة كهذه، تصدق في ملامحها الجوهرية صدقاً شاملاً، ومن شأنها أن ترفع هذه المناقضات.

ولا جدال في أن الوظائف النفسية للحلم كانت تلافى قبولاً أسرع وأحسن في تلك الفترة

العقلية التي تجثم اليوم ورامنا ، حين كانت الفلسفة هي المسيطرة على العقول وليس العلم المضبوط . فأن يقول قائل مثل شوبرت : إن الحلم خلاص للروح من قسر الطبيعة الخارجية ، تحرير للنفس من أغلال الحس ، إلى مثل هذا من أحكام فيخته الصغير وغيره ^(١) ، مما يصور جميعه الحلم في صورة سمو بالحياة النفسية إلى درجة أعلى ، أمر يبدو لنا اليوم فوق التصور أو يكاد ، وليس يردده في زماننا إلا المتصوفة والتقويون ^(٢) . فإن الأسلوب العلمي في التفكير قد جلب معه انقلاباً في تقويم الأحلام . فالمؤلفون الأطباء على التحديد هم أجنح الكتاب إلى وصف النشاط النفسي في الحلم بالتفاهة والتجرد من القيمة ، على حين أن الفلاسفة والملاحظين غير المحترفين - هواة السيكولوجيين - ممن لا يستهان بمددكم في هذا المجال بالذات ، قد ثبتوا بوجه عام على الأخذ بقيمة الحلم النفسية ، وهم في ذلك أكثر اتقافاً والإحساس الشعبي . وفنهم أن من نزع إلى حط قيمة النفس في الحلم يؤثر مصادر التنبيه الجسمية عند تعليقه للأحلام ، وأما من يترك للنفس الحاملة الجزء الأعظم من ملكاتها المستيقظة ، فلا يحتاج بالطبع إلى أن ينكر أن فعل الحلم قد تكون له أيضاً مهيجاته النفسية القائمة بلباتها .

وللاذكرة هي أظهر الملكات العالية المرتبة التي يمكن أن يغرى المرء بإضافتها إلى الحياة الحاملة حتى بعد المقارنة المترنة ، وسبق أن فصلنا الكلام فيما يثبت ذلك من خبرات لا يندر وقوعها . وميزة أخرى للبحاة الحاملة كثيراً ما أشاد بها الكتاب الأكاديميون ، هي سموها فوق فواصل الزمان والمكان . بيد أن من السهل أن نبين أن الأمر هنا لا يعدو أن يكون وهماً ؛ فهذه المزية - كما يلاحظ هيلد برانت - مزية موهومة ، لأن فعل الحلم إنما يسمو على الزمان والمكان مثلما يفعل التفكير المستيقظ سواء بسواء ، والمات السبب : وأضحى به أن هذا الفعل ليس إلا صورة من صور التفكير . ولقد نسبت إلى الحياة الحاملة مزية أخرى تتصل بالزمن ، هي استقلاله عن جريانه بمعنى آخر : فحللم كالدي رويناه أورى في صفحة ٦٤ بإعدامه بالمقصلة ، يبدو شاهداً على أن في مقلودر الحلم أن يحشأ في برهة من الدهر قصيرة غاية القصر محتوى إدراكياً يزيد كثيراً على ما يطبق تفكيرنا المستيقظ معالجته . بيد أن هذه

(١) انظر هانز وشبيتا .

(٢) [هاش أصيف سنة ١٩١٤] لقد قال الصوفي الموهوب دى بزل ، وهو أحد المؤلفين القلائل الذين أورد أن أعرب من أسن حل [إلى إياهم في الطبقات السابقة لهذا الكتاب : إن الحلم ، لا حياة اليقظة ، هو المنسل إلى المتأفزيقا ، بقدر ما يتلق الأمر بالإنسان (١٨٨٥ ، ٥٩٢) .

النتيجة قد قامت عليها حجج شتى ، ومنذ مقالات لاوران وإيجير عن « الديمومة الظاهرة للأحلام » وهذا الموضوع مثار مناقشة طويلة ، ممتعة ، لم تنته بعدُ على الرجوع إلى التعليل الأخير لهذه المسألة الدقيقة العميقة المضمون ^(١) .

وأما قدرة الأحلام على متابعة شواغل النهار العقلية والمضى بها إلى نتائج تعلم بلوغها في أثنائها ، قدرتها على أن تجلو شكوكاً ومشكلات وعلى أن تكون مصدر إلهام جديد للشعراء والمؤلفين الموسيقيين ، فهذا ما يبدو أمراً لا منازعة فيه بعد الرويات المتعددة وبعد الأمثلة التي جمعها شابانيكس . بيد أن الواقعة - وإن ارتفع الجدل في شأنها - لا يزال يستهدف مفهوماً لشكوك شتى تتناول المبادئ ذاتها ^(٢) .

وأخيراً فإذ يقال عن قوة الأحلام عن الإنباء بالغيب موضع لنزاع تُقابل فيه اعتبارات لا يكاد يكون لها دفع بتوكيدات عنيدة معادة . ولا شك في أننا نحسن صنعاً إذا تجنبنا إنكار كل سند من الواقع لهذا الرأي ؛ فقد نوفق عما قريب إلى تعليل سيكولوجي طبيعي لطائفة من الحالات .

و

الحاسة الخلقية في الحلم

لقد فصلت عن موضوع سيكولوجية الحلم تلك المشكلة الجزئية: هل تمتد الاستعدادات والمشاعر الخلقية إلى الحياة الحاملة ، وإلى أى مدى ؟ وذلك لأسباب لن نتضح إلا بعد الإحاطة بمباحثي . وهنا أيضاً سوف نجدنا من جديد أمام ذلك التناقض الذى عجبنا له من غير شك في حديث المؤلفين عن كافة الوظائف النفسية الأخرى في الحلم ؛ فيؤكد كتاب أن الحلم لا يعرف التزامات الخلق ، ويمثل نقمهم يؤكد كتاب آخرون أن خلق المرء يلدوم في حياته الحاملة .

فإن احتكمنا إلى خبرتنا المألوفة بالأحلام ، بدا أنها تؤيد أول هذين الرأيين تأييداً لا يرقى بعد ذلك . يقول يستن (١٨٥٥ ، ٥٥٣) : « إننا لا نصير في الحلم أحسن أو

(١) يجد القارئ مراجع أخرى ومناقشة نقدية لهذه المسائل في رسالة تورولوسكا الباريسية (١٩٠٠) .

(٢) انظر النقد الوارد في كتاب هـ . إليس (١٩١١ ، ٢٦٨) .

أفضل ، بل على العكس يبدو الضمير في الحلم أخرس ، فلا يستشعر المرء أثراً من شفقة ، ولقد يرتكب أبجع الجرائم ، فيسرق ويغتصب ويقتل ، دون أن يكثر أثراً أكثر مما هو فاعله ودون أن يلحقه الندم .

ويقول رادشوك (١٨٧٩ ، ١٤٦) : « ولا ننسى أن الحلم تخطر فيه المستدعات وتتصل الأفكار دون أقل التفات إلى التدبير أو العقل أو اللوق الجمالي أو الحكم الخالق . فلكة الحكم ضعيفة غاية الضعف والانصراف عن القيم الخلقية هو الغالب . »

ويقول فولك (١٨٧٥ ، ٢٣) : « الأحلام — كما نعلم جميعاً — مطلقة الجماح فيما يتصل بالأمور الجنسية بنوع خاص . فالحالم تغيب عنده كل قطرة من الحياء وبهجته كل شعور أو حكم خلقي ، ثم هو فيما يتعلق بالآخرين كذلك ، يراهم جميعاً — لا يستشعر منهم أولئك الذين يكن لهم أعظم الاحترام — في أحوال يرتفع في يقظته من التقريب بينهم وبينها ولو بالفكر . »

وعلى نقيض ذلك نجد أقوالاً كذلك التي يذهب إليها شوبنهاور تؤكد أن كلاً منا يسلك في الحلم ويتحدث بما يتفق وطبعه كل الاتفاق . فيؤكد ك . ب . فيشر^(١) أن المشاعر الدائية والرغبات والحالات الوجدانية والانفعالات تكشف عن نفسها في انطلاق الحياة الحاملة ، وأن الأحلام مرآيا تعكس الخواص الخلقية للناس .

ويقول هافتر (١٨٨٤ ، ٢٥١) : « وفيها خلا شواذ نادرة . . . يبقى الفاضل فاضلاً في حلمه ، فيقاوم الإغراء وينأى بنفسه عن الكراهية والحسد والغضب وسائر الرذائل ، وأما الأثيم فلا يرى في أحلامه عادة سوى صور سبق أن شطرت له في يقظته . »

ويقول شولتس (١٨٨٧ ، ٣٦) : « وفي الأحلام الحقيقة ، ففيها نرى أنفسنا على ما هم عليه ، بالرغم من كل قناع قد نتخله للملا بالنبالة أو بالمدة . فالكريم لا يرتكب جرماً شائناً ولو في الحلم ، فإن فعل استظف فعله كأنه شيء غريب عن طبيعته . والإمبراطور الروماني الذي أمر بموت أحد رعاياه لأنه رأى في المنام أنه يطوح برأس الإمبراطور ، لم يجانب الصواب كثيراً حين برر عمله استناداً إلى أن مثل هذه الرؤيا لا تأتي إلا من كانت له في يقظته مثل هذه الخواطر . وإنا نعرب عن الأمر الذي لا يمكن أن يكون له مكان في سريرتنا بعبارة لها مغزاها : ذلك ما لا ينحطر لي ولو في الحلم . »

(١) في كتابه الذي نشر في عام ١٨٥٠ — وأنقل رأيه هذا من شهبنا .

وعلى العكس من ذلك يرى أفلاطون أن أحسن الرجال من اقتصروا على أن يحملوا بما يصنع غيرهم وهم مستيقظون .

ويقول فاف^(١) على غرار كلمة معروفة : « خبرني بأحلامك ، أخبرك ما دخيلتك » . ومشكلة الخلق في الحلم هي المحور الذي يدور من حوله كتيب هيلد برانت الذي كثيراً ما استشهدت من قبل بنصوص منه ؛ لأنه بين كل ما وُضِع في دراسة الحلم أبلغه عبارة وأثره فكرياً . والقاعدة الثابتة في نظر هيلد برانت كذلك ، هي أنه بقدر طهارة الحياة تكون طهارة الحلم ، وبقدر دنسها دنسه .

فهو يعتقد أن طبيعة الإنسان الخلقية تبقى في الحلم كذلك ، ويقول : « فيينا لا يدعونا الخطأ في الحساب ، مهما كان ظهوره ، أو قلب القوانين العلمية ، مهما كان شططه ، أو خلط التواريخ ، مهما كان مضحكاً ، إلى التأفف أو حتى مجرد الاسترابة ، ترانا مع هذا نفرق بين الخير والشر ، بين الصواب والخطأ ، بين الفضيلة والرذيلة . فكل ما يلازمنا في نهائنا قد تمحوه ساعات المجوع ، كله أو جله ، إلا أمر كانت المطلق^(٢) فإنه يتعقب خطائنا كرفيق لا انفصال له عنا ولا خلاص لنا منه ولو بالنوم . . . وهذا ما لا يعمله إلا ثبوت الجزء الأساسي من الطبيعة الإنسانية أعنى ماهيتها الخلقية ، ثبوتاً وطيداً يقيا هذا الخلط الكاليدوسكوبي الذي يصيب في الحلم الخيلة والعقل والذاكرة وما شاكلها من سائر الملكات » . (١٨٧٥ ، ٤٥ وما يليها) .

غير أن كلا الفريقين من الكتاب لا يلبث أن يبدى في متأنف نقاشه في هذا الموضوع تذبذباً في الرأي وخروجاً عن منطقته خليقين بأن نذبه إليهما . فأوائلك الدين يرون في الحلم القضاء على الشخصية الخلقية للمرء كان يجب عليهم — إذا أردنا الصرامة في المنطق — ألا يبالوا بعد ذلك بالأحلام المنافية للأخلاق وكان يسعوم أن يمتنعوا عن كل محاولة تهدف إلى تحميل الحالم مسئولية أحلامه أو إلى الاستدلال بسوئها على سوء معنائه ، وذلك بمثل الملهوس الذي يمتنعون به عن محاولة شبيهة بهذه ، فلا يستدلون بخلط الحالم في أحلامه على ضمة وظائفه العقلية في يقظته . وأما من يرون أن « الأمر المطلق » يتغلغل إلى الحلم نفسه ، فكان من حق المنطق عليهم أن يقبلوا مسئولية الأحلام المنافية للأخلاق من غير قيد ، ولا

(١) في كتابه المنشور في عام ١٨٦٨ — نقلا من شيئا أيضا (١٨٨٢ ، ١٩٢) .

(٢) [المراد بهذا الأمر هو قانون الواجب] .

يبقى إلا أن نرجو لهم ألا تزورهم أحلام من هذا النوع الدميم تخطئ ليمانهم الوطيد بقيمتهم الخلقية .

ولكن الذى يبدو هو أنه ما من أحد يعلم بكل هذا اليقين إلى أى مدى خبير هو أم شرير ، وأنه ما من أحد يستطيع أن ينكر أنه يذكر أحلاماً له تنافى الأخلاق ، فالكتاب من كل فريق - بغض النظر عن تقابل آرائهم في صدد خلقية الحلم - يجاهدون^(١) لكى يبينوا أصل الأحلام المنافية للأخلاق ، وهنا يدب بينهم خلاف جديد في الرأى ، على حسب الوجهة التى يلتصقون فيها بهذا الأصل : أفى وظائف الحياة النفسية ، أم فيما يداخل هذه الحياة من تأثيرات ذات علل جسمية ؟ وهكذا تحمل قوة الواقع القائلين بمسئولية الحياة الحاملة والقائلين بارتفاع هذه المسئولية على السواء - تحملهم على أن ياتقوا جميعاً في التسليم بأن لا خلقية الحلم لها مصدر نفسى خاص .

ويعرض أولئك الذين يعتقدون أن الطبع الخلقى لا يبرح في الحلم على أن يتجنبوا الاصطلاح بمسئولية أحلامهم كاملة . فيقول هافنر (١٨٨٧ ، ٢٥٠) ، « نحن غير مسئولين عن أحلامنا ، فقد تقوض فيها أساس الإرادة والفكر ، هذا الأساس الذى به وحده يتوافر لحياتنا الصدق والوجود . . . ومن ثم ارتفعت التفضيلة والرديلة عن رغائب الحلم وفعاله . » بيد أن الإنسان يظل مع ذلك مسئولاً عن أحلامه الآتية ، من حيث كونه عليها غير المباشرة . ولهذا كان من الواجب عليه أن يطهر نفسه تطهيراً خلقياً في يقظته ، وبخاصة قبل التوجه إلى النوم .

ويزدنا هيلد برانت بتحليل أعمق كثيراً لهذا المزيج من الرفض والقبول لإزاء مسئوليتنا عن المحتوى الخلقى لأحلامنا . فهو بعد أن يفصل الكلام في أن من الضرورى عند النظر في مظهر الأحلام المنافر للأخلاق أن ندخل في حسابنا أسوأها الدراى^(٢) ، في التصوير ثم حشرها أعقد العمليات الفكرية في أنصر برهة من الزمن ، ثم ما تؤول إليه العناصر الفكرية في الحلم من فقدان القيمة ومن الاختلاط بالدين يسلّم بهما هو نفسه ، يعود فيعرف بأن ثمت اعتبارات من أخطر ما يكون تنبئ الروية فيها قبل أن نعارض كل مسئولية عن خطايا الحلم وذنوبه .

يقول (١٨٧٥ ، ٤٩) : « عندما نريد أن نبرئ أنفسنا بترّة قاطعة من تهمة

(١) [أى الذى يصوغ الفكرة في قالب الحركة المسرحية] .

محففة وجهت إلينا ، وبخاصة إذا تعلقت التهمة ببنائنا ومطامعنا ، فإننا نستعمل ذلك التعبير السائر : هذا ما لم يكن يحظر لى ولو فى الحلم . ولا شك فى أننا نفى بملك ، من ناحية ، أننا نعتبر الحلم أقصى وآخر منطقة يمكن أن نسأل فيها عن أفكارنا ، لأن الأفكار هناك لا يربط بينها وبين جوهرنا الحقيقى إلا رباط واه مترخ حتى لا نكاد نستطيع أن نعدّها منا ، ولكننا من حيث نشعر بدافع إلى أن نفى صراحة وجود مثل هذه الأفكار ولو فى تلك المنطقة ، نسلم فى الوقت عينه تسليماً ضمنيّاً بأن براءتنا لا يتحقق لها النجاس إلا إذا بلغت هذا المدى . وأعتقد أننا نتحدث عندئذ بلغة الحق ، وإن يكن على غير وعى منا .

ثم يقول (ص ٥١ وما بعدها) : « ومن المحال أن نتصور فعلاً من أفعال الحلم لم يعرض للنفس المستيقظة الدافع الأصيل إليه فى صورة رغبة أو شهوة أو اندفاع » . ومن الواجب أن نقول فى صدد هذا الاندفاع الأول : إن الحلم لم يتبدعه ابتداءً ، كل الأمر أنه حاكاه وأنماه ، أو هو لم يعد أن يصوغ فى قالب درامى رقعة من نسج تاريخنا عثر عليها فى أنفسنا ، إنه يخرج ^(١) كلمة الرسول : كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس ^(٢) . ولقد نسم بعد أن نستيقظ ونحن شاعرون بقوتنا الخلقية لجميع هذا الطيف الذى أحكم خلقه الحلم الأثيم ، ولكن ما من ضحك يستطيع أن يخلصنا من المادة الأولى التى خلق منها الحلم . فالإنسان يشعر بأنه مسئول عما يرتكبه وهو حالم من المعاصى — لا عنها جميعاً ، ولكن عن نسبة مئوية منها مع ذلك . « وخلاصة القول هى أننا إذا أخذنا كلمة المسيح : من القلب تخرج أفكار شريرة ^(٣) ، بهذا المعنى الذى لا يكاد يحتمل جدالاً ، تعلم علينا أن نغالب الاعتقاد بأن كل لثم يؤتى فى الحلم يمر معه على الأقل حداً أدنى مبهماً من استئذاب النفس » .

وهكذا يرى هيلد برانت مصدر لا خلقية الحلم فيما يعرض للنفس نهاراً ، فى صورة أفكار أمارة بالسوء ، من بلمور الاندفاعات الشريرة ومضائنها ، ثم هو لا يتردد فى أن يحسب لهذه العناصر المذاتية للخلق حسابها فى تقدير خلق الشخص . ونعلم أن هذه الأفكار الأمارة بالسوء عينها ، وأن ذات النظرة فى تقديرها ، هى التى سافت الأتقياء والقديسين من

(١) [بالملئى المرسى لهذه الكلمة] .

(٢) [رسالة يوحنا الرسول الأول ، الإصحاح الثالث ١٥٢] .

(٣) [إنجيل متى ، الإصحاح الخامس عشر ، ١٩] .

جميع العصور إلى التحسر على استبداد الخطيئة بهم ^(١) .

وما من شك في أن هذه الأفكار الميانية لما عداها شيء كثير الوقوع عند الغالبية العظمى من الناس ، وفي ميادين أخرى غير الميدان الخلقى . ولكن الحكم عليها كان أقل صرامة أحياناً ، ويستشهد شپينا (١٨٨٢ ، ١٤٤) بنصر من تسلر (١٨١٨) يناسب هذا المقام : **وقل أن يكون لعقل آدم سداد التنظيم ما يمكنه من قواه كاملة في كل وقت ، ويصون دائماً سير فكره الواضح المنتظم من أن تعوقه أفكار لا تقول : ثانوية وحسب ، بل قبيحة معكوسة إلى أبعد المدى أيضاً . ولقد رأى أعظم المفكرين على التأكيد ما يدعونه إلى الشكوى من هذه الحالة من الخواطر الشبيهة بالحلم ، الماجنة ، المعذبة ، فهي تزج أعرق تأملاتهم وأشد أفكارهم أجداً ومهابة .**

وليلد برانت ملاحظة أخرى تلقى ضوءاً أسطع على المغزى السيكلولوجي الذي تتضمنه هذه الأفكار الميانية ، ومؤدى ملاحظته هو أن الأحلام تتيح لنا النظر بنظرة عارضة إلى أفرار وجودنا وثناياه ، هذا الوجود الذي يظل موصداً دوناً عادة في خلال اليقظة . ويعرب كانت عن هذه الفكرة نفسها في فقرة من كتابه في علم الإنسان (١٧٩٨) ، يعلن فيها أن الغاية من الحلم ربما كانت الكشف عن استعداداتنا الدفينة ، وإظهارها لا على ما نحن عليه بل على ما كان يحتمل أن نكونه لو أننا نشئت تنشئة أخرى . ويقول رادشوك (١٨٧٩ ، ٨٤) **« إن الحلم إنما يظهر ما لا نود صراحة أنفسنا به ، ونحن إذن نظلمه حين نزيهه بالكذب والخذاع »** . ويقول ي . ل . إردمان : **« ما أرتقى الأحلام قط كيف ينبغي لي التفكير في شأن رجل ما ، فأما كيف أفكر فيه حقيقة ، وما هي نياتي نحوه ، فذلك — بالغ دهش — ما علمني الحلم إياه أحياناً »** . ويقول ي . ه . فيخته (١٨٦٤ ، ١ ، ٥٣٩) : **« إن الطابع الذي يسم أحلامنا مرآة تصور لنا حالتنا النفسية في مجموعها تصويراً أصدق كثيراً مما نستطيع تحصيله في يقظتنا بالملاحظة الذاتية »** . وإن انبعاث هذه الاندفاعات الغريبة عن شعورنا الخلقى ليناظر ظاهرة أخرى عرفناها من قبل ، وأعني بها نفاذ الحلم إلى مادة فكرية تغيب في حالتنا المستيقظة أولاً لا يكون لها في أثناء هذه الحالة سوى شأن ضئيل . وهذا هو ما

(١) قد يفيدنا أن نعلم موقف محكمة التحقيق من مشكلتنا هذه فقد جاءت في مؤلف توماس كارينا (١٦٥٩) الفقرة الآتية : **« إذا تلفظ أي شخص ببسطة في أثناء نومه ، وجب حل المشتبهين أن يروا في ذلك دأماً إلى أقصى مسلكه »** . فإبراهيم الإنسان في نومه إلا ما يشغل في نهاره . (من إفادة من الدكتور هانجر ، سان أوربان ، سويسرا) .

تبيننا إليه ملاحظة مثل ملاحظة بنيتي : « إن رغباتنا التي ظننا زماً أنها قد اندثرت وانطأقت توقظ من جديد ، ومن جديد تبعث إلى الحياة الانفعالات القديمة المقبورة ، وتمثل أشياء وأشخاص لا تفكر في أمرها وأمرهم إطلاقاً »^(١) . (١٨٩٨ ، ١٤٩) ، أو ملاحظة فولكلت : « وكذلك الشأن في الأفكار التي تلج الشعور غير ملحوظة أو لا تكاد والتي قد لا نستحضرها إلى الذاكرة بعد ذلك قط ، فإنها كثيراً جداً ما تعلن عن وجودها في النفس ببساطة الحلم » (١٨٧٥ ، ١٠٥) . وأخيراً قلنا أن نتذكر في هذا المعرض حديث شلايرماخر عن اصطحاب فعل الأخذ في النوم بانبعاث الأفكار (أو الصور) اللاإرادية . (انظر ص ٨٤) .

ولنا إذن أن ندرج في باب « الأفكار اللاإرادية » جميع المادة الفكرية التي يثير انبعاثها استغرابنا ، في الأحلام اللاخفية واللامعقولة على السواء . بيد أن ثمة فارقاً هاماً بين الحالتين . هذا الفارق هو أننا نرى أن الأفكار اللاإرادية المتعلقة بالجهال الخلقي تناقض ما نألف من مشاعرنا ، بينما تبلو لنا الأخرى عجيبة وحسب . وما من خطوة اتخذت حتى اليوم من أجل الوصول إلى معرفة أعمق غوراً تتجاوز هذه التفرقة .

والآن ، ما هو معنى ظهور الأفكار اللاإرادية في الحلم ، وأي النتائج تخلص لهم النفس المستيقظة والحاملة من هذا الانبعاث الليلي للنوازع الخفية المأبئة ؟ هنا تعود الآراء فتتقسم من جديد ، ويعود المؤلفون أيضاً فيجتمعون أو يتفرقون شيئاً على نحو جديد . فالفكرة التي قال بها هيلد برانت وغيره من الذين يشاطرونه جوهر رأيه تسوق لا محالة إلى التسليم بأن الاندفاعات اللاخفية تملك قدراً من القوة في حياة اليقظة نفسها ، غير أنها قوة مكفوفة لا تملك التقدم إلى حيز العدل ، وبأن شيئاً يعطل في أثناء الليل ، كان له في النهار فعل الكف ، فحال دوننا والانتباه إلى وجود أمثال هذه الاندفاعات . والحلم إذن قد يكشف عن طبيعة الإنسان الحقيقية ، وإن لم يكشف عن طبيعته كلها ، وقد يكون لإحدى الوسائل في تقريب باطن نفسه المستتر من معرفتنا . فهذا الفرض وحده هو الذي يحول هيلد برانت أن يعزو إلى الحلم قوة التدبير الذي يجلب انتباهنا إلى معايينا الخفية ، مثلما يعزو إليه الطبيب قوة الكشف عما تفوت ملاحظته الشعور من أدواء الجسم . ولا شك

[(١) "Certe nostre inclinazioni che si credevano soffocate e spente da un pezzo, si ridestano; passioni vecchie e sepolte rivivono; cose e persone a cui non pensiamo mai, ci vengono dinanzi."]

في أن شيئاً كذلك إنما يترشد هذه النظرة حين يتحدث عن مصادر التبيج التي تؤثر في النفس في سن المراهقة مثلاً ، فيعزى الحالم بأنه إذا التزم الحياة الفاضلة في يقظته وكان حريصاً على أن يقع الأفكار الآتمة كلما انبثت وعلى أن يحول بينها وبين أن تنضج وتصير فعلاً ، فقد صنع كل ما وسعه أن يصنع . ويحق لنا وفاقاً لهذه النظرة أن نعرف الأفكار « اللاإرادية » بقولنا : إنها أفكار « قمعت » في خلال النهار ، ويحق علينا أن ننظر إلى انبعاثها فنظرتنا إلى ظاهرة سيكولوجية صادقة .

يبد أن تمت كتاباً آخرين يرون أننا لا نملك ما يبرر النتيجة الآتية . ففي رأى يسن أن الأفكار اللاإرادية في الحلم كما في اليقظة وفي هذيان الحسى وغير الحسى من الحالات « تتم بإخلاد النشاط الإرادى إلى السكينة ، وبتوارد الصور والأفكار المستتارة باندفاعات باطنة توارداً آلياً إلى درجة تزيد أو تنقص » (١٨٥٥ ، ٣٦٠) . وكل ما يدل عليه الحلم اللاخلى من الحياة النفسية للحالم هو أن الحالم قد سبق له معرفة بمحتوى الحلم الفكرى ، ولكن الحلم لا يشهد على التأكيد بمحصل صاحبه على نزوع نفس ما . فإذا رجعنا إلى مؤلف آخر هو مورى كاديباً إينا أنه لا ينسب إلى الحلم القدرة على هدم النشاط النفسى هدماً لا هدف من ورائه ، وإنما القدرة على رده إلى مقوماته . فهو يقول في صدر الأحلام التي يتخطى فيها المرء موانع الأخلاق : « إن نوازعنا هي التي تتحدث وتحركنا إلى العمل دون أن يحسنا الضمير وإن حذرنا أحياناً . فإن لى نقائصى ونوازعى إلى الرذيلة ، فإن كنت مستيقظاً جهدت في مغالبتها ، ولا يندر أن أفلح فلا أسلمها قيادى . وأما في أحلامى فأسلمه دائماً ، أو قل : إننى أعمل بدفعها ، من غير خوف ولا ندم فن الواضح أن الرؤى التي تتوارد أمام فكرى والتي منها يتكون الحلم ، توحى إلى الحواجز التي أحسها والتي لا تمنع إرادتى الغالبة إلى كتبها . » (١٨٧٨ ، ١١٣) .

وما من أحد يؤمن بقدرة الحلم على أن يرفع النقاب عن ميل للحالم منافع للخلق اشتملت عليه نفسه حقيقة وإن كان مضموعاً أو مستتراً ، كان يستطيع أن يعرب عن هذا

["Ce sont nos penchants qui parlent et qui nous font agir, sans que la conscience (١) nous retienne, bien que parfois elle nous avertisse. J'ai mes défauts et mes penchants vicieux ; à l'état de veille je tâche de lutter contre eux, et il m'arrive assez souvent de n'y pas succomber. Mais dans mes songes j'y succombe toujours ou pour mieux dire j'agis par leur impulsion, sans crainte et sans remords... Evidemment les visions qui se déroulent devant ma pensée et qui constituent le rêve, me sont suggérées par les incitations que je romens et que ma volonté absente ne cherche pas à refouler."]

المعنى بأدق من قول موري (ص ١١٥) : « في الحلم إذن ينكشف الإنسان لنفسه كله ، على ما ولد عليه من عرى وعوز . فهو ما أن يعلق استعماله لإرادته حتى يصير ألعبوبة لجميع الانفعالات التي ينهانا عنها ونحن مستيقظون الضمير والإحساس بالشرف والخوف » ^(١) . وفي فقرة أخرى نقرأ له هذه الكلمة الثابتة (ص ٤٦٢) : « إن الذي ينكشف في الحلم هو على الأخص الإنسان الغريزي . فالإنسان حين يحلم يعود إلى القطارة - إن جاز التعبير . وكلما قل تأصل الأفكار المكتسبة في نفسه ، زاد احتفاظ النوازع المخالفة لما بسلطانها عليه في الحلم » ^(٢) . ومثاله على ذلك هو أنه كثيراً ما يبلو في أحلامه ضحية الخرافات التي يحاربها في كتاباته أشد محاربة .

ولكن ينقص قيمة هذه الملاحظات الثابتة لموري من حيث أثرها في معرفتنا السيكولوجية بالحياة الحاملة رفضه أن يرى في الظاهرة التي أصاب في ملاحظتها إلى هذا المدى شيئاً آخر غير « الأوتوماتية السيكولوجية » ^(٣) التي تسيطر على الحياة الحاملة في زعمه ، والتي يرى فيها الضد التام للنشاط النفسي .

هذا ، ونجد عند شربنكر (١٨٧٩) فقرة يقول فيها : « إن الحلم لا يتكون من أوهام وحسب ، فحين يخاف المرء في الحلم غائلة اللصوص مثلاً ، فاللصوص يقينا من صنع خياله ، لكن الخوف حقيقي » . وفي هذا ما بينهنا إلى أن الحالات الوجدانية في الحلم لا تقبل الحكم الذي يصلق على سائر محتواه . ومن ثم تنشأ هذه المشكلة : أي عمليات الحلم النفسية يمكن اعتبارها عمليات حقيقية ؟ وهذا يعني : أيها يستحق أن يقدم له مكان بين العمليات النفسية لحياة البقطة ؟

(١) "En rêve l'homme se révèle donc tout entier à soi-même dans sa nudité et sa misère natives. Dès qu'il suspend l'exercice de sa volonté, il devient le jouet de toutes les passions contre lesquelles, à l'état de veille la conscience, le sentiment d'honneur, la crainte nous défendent."

(٢) "Dans le rêve, c'est surtout l'homme instinctif qui se révèle... L'homme revient à l'état de nature quand il rêve; mais moins les idées acquises ont pénétré dans son esprit, plus les penchants en désaccord avec elles conservent encore sur lui d'influence dans le rêve."

["automatisme psychologique"].

ز

نظريات الحلم ووظيفة الحلم

كل مقال عن الحلم يهدف إلى تعليل أكثر ما يمكن لتعليله من خصائصه الملاحظة مستنداً في ذلك إلى وجهة نظر بعينها ، ثم في الوقت نفسه يعرف مكان الحلم ضمن دائرة أوسع نطاقاً من الظواهر ، تجوز لنا تسميته نظرية في الحلم . وتتميز نظريات الحلم المختلفة فيما بينها من حيث تعلل هذه الخاصة أو تلك إلى مرتبة الخاصة الجوهرية للحلم وتقيم عليها التعليلات والعلاقات . ولا يتحتم أن تتفرع عن كل نظرية وظيفة ما للحلم ، سواء أكانت وظيفة نفعية أم لم تكن ، بيد أننا وقد ألقنا أن نتوقع للأشياء غاياتها أكثر ترجيحاً بهذه النظريات التي تلزم منها للحلم وظيفة .

ولقد أحطنا من قبل بنظرات متعددة تستحق بهذا المعنى أن يطلق عليها اسم النظريات . فاعتقاد القداى أن الحلم ترسله الآلهة لهداية الإنسان في أفعاله كان نظرية أفادت أصحابها خبراً بكل ما كانت تنبئ معرفته عن الحلم . ومنذ أن صار الحلم موضوع بحث علمي ، عرفنا عدداً وافرأ من النظريات ، ولكن الكثير منها غاية في النقص .

فإذا لم ندع الاستيعاب ، أمكن أن نقسم نظريات الحلم تلك الأقسام الإجمالية الثلاثة ، وذلك من حيث مسلماتها الضمنية فيما يتصل بدرجة النشاط النفسى في الحلم ونوع هذا النشاط :

١ - نظريات تترك النشاط النفسى يستمر كله في الحلم ، مثل نظرية دلبوف . فالنفس على حسب هذه النظريات لا تنام ، وجهازها يظل سليماً ، ولكنها إذ تخضع لشروط حالة النوم المختلفة من شروط حياة اليقظة تحدث بأدائها السوى لوظائفها نتائج تختلف بالضرورة في أثناء النوم منها في اليقظة . والسؤال الذى نسأله بصدد هذه النظريات هو : هل هى تستطيع أن تشرح كل الفروق القائمة بين الحلم والتفكير المستيقظ من شروط حالة النوم وحدها ؟ ثم هى فوق ذلك لا تملك سبيلاً تستطيع منه أن تبين للحلم وظيفة ، فنحن لا نعلم لم نلحلم ، لم تستمر الميكانيكية المعقدة للجهاز النفسى في العمل حتى بعد الانتقال به إلى ملابسات لا يلبسها مداً لها . فالتنوم من غير حلم واليقظة إن وقع منه مزيج ،

هما وحدهما اللذان يظلان استجابتين نافعتين ، بدل الثالثة التى هى الحلم .

٢ - نظريات أخرى تفترض على العكس أن الحلم يتضمن نقصاً فى النشاط النفسى وتزاحياً فى الروابط وفقرأ فيها يستطيع امتلاكه من المواد . ويلزم من هذه النظريات أن تكون للنوم خصائص تختلف كل الاختلاف من تلك التى يضيفها إليه دلبوف مثلاً . فالنوم وفق هذه النظريات ينال من النفس أكبر منال ، فلا يقتصر على إيصاها دون العالم الخارجى ، بل ينفلد إلى ميكانيكيها ويبطل عملها إبطالاً موقوتاً . ولو كان لى أن أجازف بتشبيه مستمد من مجال علم الطب النفسى ، لقلت : إن النظريات الأولى تركب الحلم على غرار البارانونيا ، بينما تصوره الثانية على صورة الضعف العقلى أو الحالات الخلطية .

والنظرية القائلة : إن الحياة النفسية لا تجد فى الحلم إعراباً إلا عن جزء منها ، فقد شلها النوم - هى النظرية المفضلة كثيراً عند الكتاب الأطباء وفى اللوائح العلمية بوجه عام . فهى النظرية التى يمكن وصفها بأنها النظرية السالدة - بقدر ما يمكن القول بأن هناك اهتماماً عاماً بتعليل الأحلام . ولا يفوتنا أن نلاحظ مدى السهولة التى تتجنب بها هذه النظرية الاضطراب بالعقبة الكأداء التى تعرض كل محاولة فى تعليل الحلم ، وأغنى به صعوبة فض متناقضاته . فهذه النظرية ترى فى الحلم نتيجة بقطة جزئية (بقطة تدريجية ، جزئية ، هى فى الوقت نفسه بقطة غير موية إلى أبعد مدى « بتعبير هربارت ، ١٨٩٢) ، ولهذا فقد وسعها بسلسلة متدرجة من حالات التيقظ تتوجها البقطة التامة أن تملل درجات التفاوت فى نتاج النشاط النفسى للحلم ، من أحطه الذى يتجلى فى مجانبه كل معقولة إلى التفكير المركز تمام التركيز .

وأولئك الذين لا يرون لأنفسهم غنى عن لغة الفيزيولوجيا ، أو يرون لهذه اللغة طابعاً علمياً لا يرونه لغبرها ، سوف يحملون ضالهم فى قول بينتس (١٨٧٨ ، ٤٣) :

« ولكن هذه الحالة (حالة السبات) لا تشرف على الانتهاء فى ساعات الصباح المبكر إلا بالتدريج ، فتتناقص المواد المتركة من التعب فى ألومين المخ ، ويزداد ما يفسد منها أو يكسحه جريان الدم غير المنقطع . وهكذا تستيقظ هنا وهناك مجموعات متفرقة من الخلايا بينما يبقى ما يحيط بها على حالة من السبات . وهنا يظهر أمام الشعور النائم أثر النشاط المنعزل لمجموعات الخلايا المنفردة دون أن تكبحه سائر أجزاء المخ المتحركة فى المستديعات . ولهذا السبب كانت الصور الناشئة عن ذلك والى يستمد معظمها من الانطباعات المادية

لما ضينا القريب ترتبط بعضها ببعض على نحو همجي ، لا ضابط له . ولكن كلما أخذت خللايا المخ المستيقظة تزداد عدداً ، نقص خبل الحلم شيئاً فشيئاً .

وتصور الحلم بقطة جزئية غير مكتملة تصو نصادفه يقيناً ، أو على الأقل نصادف آثاراً من نفوذه ، في كتابات كل فيزيولوجي أو فيلسوف معاصر . ومورى هو أكثر من فصل الكلام فيه ، فهذا المؤلف يبدو في كثير من الأحيان كأنه يتخيل أن حالة البقطة أو النوم تقبل النقلة من منطقة تشريحية إلى أخرى ، هذا مع ارتباط كل منطقة تشريحية في رأيه بوظيفة نفسية خاصة بها ارتباطاً لا شك فيه . ولكنى لا ابتغى في هذا الموضع سوى الإلماع إلى أن نظرية البقطة الجزئية - حتى إذا لاقت ما يؤيدها - تظل معرضة أشد التعريض لنقاش طويل في دقائقها .

وطبعي أن هذه النظرية لا تترك مجالاً للحديث عن وظيفة معينة للحلم . بل الأصح أن بيتس يستخلص نتائجها المنطقية فيما يتصل بمقام الحلم ومغزاه حين يقول (١٨٧٨ ، ص ٣٥) : « إن كل الوقائع تدفعنا - كما نرى - إلى أن نعد الحلم عملية جسمية معلومة النفع في جميع الحالات ، مرتبطة على التحقيق في الكثير منها . »

ولا شك في أن تطبيق الثت « جسمى » - الذى يدين بإبرازه إلى المؤلف نفسه - على الأحلام ، أمر له أكثر من دلالة . فهو يشير أولاً إلى علية الحلم التى كانت ولا شك تلوح لعين بيتس ذات وجهة خاصة حين كان يدرس إحداث الأحلام بالتجريب ، بإعمال المواد السامة . لما يتسق وهذا الضرب من النظريات أن يقصر الحافز إلى الحلم على علل جسمية ، قدر الإمكان . ولو أننا صفنا هذه النظرية في أشد صورها تطرفاً ، لكان منطوقها هكذا : إننا ما أن نبعد عن أنفسنا كل منبه فنتقدم كل حاجة إلى الحلم وكل مناسبة تبعث عليه ، إلى أن يبعث الصباح فتوارد المنبهات من جديد وتأخذ من جانبنا في الاستيقاظ وينعكس ذلك في ظاهرة الحلم ، بيد أن صيانة النوم من كل منبه ضرب من الهال ، فالمنبهات تقتحم النائم من كل الجوانب ، مثل بلور الحياة التى ضج منها « فيستو بالشكوى ، ^(١) تفتححه من داخل ومن خارج ، بل من أجزاء من جسمه لا نلاحظ شأنها مطلقاً ونحن مستيقظون ، وهكذا ينزعج النوم وتهتز إلى البقطة هذه الزاوية من النفس ثم تهتز تلك ، وتعمل النفس بشطرها المستيقظ سعيدة إذا استطاعت أن تعود إلى النوم من

(١) [فليت ، الجزء الأول ، المبدأ الثالث : في مكتب فليت .]

جديد ، والحلم إنما هو استجابة إلى الإزعاج الذى تجلبه المنبهات على النوم - استجابة لا طائل منها بعدُ على الإطلاق .

ثم إن وصف الحلم - الذى يظل مهما قبل وجهاً من أوجه النشاط النفسى - بكونه عملية جسمية ، ينطوى أيضاً على مقصد آخر : فيه يجرد الحلم من قيمة العملية النفسية . وربما كان مثل « العازف الجاهل الذى تجرى أصابعه العشرة على الأوتار » ، هذا المثل البالى الذى يطبقه ولادة العلم المضبوط على الحلم ، هو خير ما يصور أية استهانة يلقيها بينهم النشاط النفسى للحلم . وعلى حسب هذه النظرة يصبح الحلم شيئاً لا يقبل تفسيراً ، فأنى للعازف الجاهل أن تجرد أصابعه العشرة بمقطوعة من الموسيقى ؟

ولم تعد نظرية البقطة الجزئية نقادها حتى فى الماضى البعيد . فقد كان من رأى بورداخ عام ١٨٣٨ : « أننا حين نقول : إن الحلم بقطة جزئية ، فهذا القول - أولاً - لا يلقى ضوءاً ما سواء على البقطة أو على النوم ، ثم هو - ثانياً - لا يعلو قولنا : إن بعض القوى النفسية تنشط فى أثناء الحلم بينما يظل البعض الآخر ساكناً . ولكن مثل هذا التفاوت يقع فى كل وقت من الحياة . . . » (ص ٥٠٨)

والى هذه النظرية السائدة التى ترى فى الحلم عملية جسمية ، يستند فرض خليف أكبر الاهتمام ، كان روبرت أول من ذهب إليه عام ١٨٨٦ ، وهو فرض له جاذبيته لأنه يعرف كيف يجعل للحلم وظيفة أو نتيجة نافعة . ويقدم روبرت نظريته على واقعيتين من الوقائع الملاحظة ، سبق لنا النظر فيهما ونحن نبحث فى مادة الحلم (انظر ص ٥٧) . وهاتان الواقعتان هما : أننا غالباً ما نحلم بأكثر انطباعات النهار تفاهة ، وأننا نادراً ما نتابع فى الحلم مشاغل النهار الهامة . ويؤكد روبرت أن من الصحيح بوجه لا استثناء فيه أن الأشياء التى فرغنا من التفكير فى أمرها لا تحفز إلى الحلم إطلاقاً ، وإنما تحفز إليه تلك التى تعلق بالذهن دون أن تكتمل ، أو التى يكون الذهن قد مر بها مروراً خاطئاً (١٨٨٦ ، ١٠) . - « والسبب الذى من أجله نعجز عادة عن تحليل أحلامنا هو أن عليها هى على التحديد تلك الانطباعات الحسية التى لم يتعرفها الحالم فى اليوم السابق تعرفاً كاملاً » . فالشرط فى تسرب انطباع ما إلى الحلم هو إما أن يحول حائل دون الفراغ من التفكير فى أمره ، وإما أن يكون هذا الانطباع ضئيل الشأن بحيث لا يتطلب مثل هذا التفكير على الإطلاق .

والحلم إذن ، فى تصور روبرت ، « عملية نزح جسمية ، نصير إلى الشعور بها فى

استجابتنا إليها . « إن الحلم نزع لأفكار محقت في المهد . « ولو أن إنساناً سلب القدرة على الحلم ، لانتفى به الأمر حيناً إلى اللحل العقل ، إذ سوف يزدحم في ذهنه عدد يفوق الحصر من الحواطر الناقصة المعلقة ومن الانطباعات السطحية . بحيث تختنق تحت ثقل هذه الحواطر والانطباعات تلك الأفكار التي يجب أن تتمكث في الذاكرة في صورة كل مكتمل . فالحلم يعمل عمل صمام الأمان بالنسبة إلى الذهن المثقل ، وإن الأحلام تمثل قدرة مغلية مختلفة . (ص ٣٢) .

غير أننا نخطئ فهم روبرت إذا نحن سألناه كيف يفيد تمثل الأشياء في الحلم في تخفيف أعباء النفس . فن الواضح أن المؤلف قد خلص من هاتين الخاصتين اللتين تميزان مادة الحلم إلى أن الانطباعات المجردة من القيمة يتم نزعها في أثناء النوم على نحو من الانحماض بفعل عملية جسمية ، وإلى أن الحلم ليس عملية نفسية قائمة بذاتها ، بل هو المعرفة التي تبلغنا عن هذا النزع . والنزع بعد ذلك ليس الشيء الوحيد الذي يحدث ليلاً . النفس ، فروبرت نفسه يضيف إلى ما سبق أن الأفكار المختلفة من اليوم المنقضى قد يتم فوق ذلك إحكامها ، وأن « ما لا يتسنى نزعها من المواد التي تبقى في الذهن دين أن تهضم قد يربط فيما بينه بخيوط مستعارة في الأضيلة بحيث يكون كلاً مؤلفاً ، وبهذا يتنظم في الذاكرة كصور خيالية لا ضرر منها » . (ص ٢٣)

ولكن روبرت يخالف النظرية السائدة تمام المخالفة من حيث تقديره لطبيعة المصادر التي يصلو عنها الحلم . فبينما يخلص من تلك النظرية أن الإنسان ما كان ليحلم لولا المنبهات الحسية التي توقظ النفس بدون انقطاع من الداخل ومن الخارج ، تقيم نظرية روبرت الدافع إلى الحلم في النفس ذاتها ، في ثقل أحمالها وحاجتها إلى التخفيف ، ثم بعد ذلك يستخلص روبرت من رأيه هذا نتيجة المنطقية فيقرر أن حال الحلم المنبعثة من أحوال الجسد إنما تشغل مرتبة ثانوية ، وأن ذهناً لم يختزن من شعوره المستيقظ مادة يبنى بها أسلامه ما كانت تسوقه هذه العلل إلى الحلم بحال من الأحوال . والقيد الوحيد الذي يفيد به روبرت رأيه هذا هو تسليمه بأن الأضيلة المنبعثة في الحلم من أعماق النفس قد تتأثر بفعل المنبهات العصبية (ص ٤٨) . وهكذا لا يكون الحلم في النهاية ، على حسب روبرت ، متوقفاً كل التوقف على الأحداث الجسمية . ومع هذا فالحلم في رأيه ليس بالعملية النفسية ، ولا له من محل بين العمليات النفسية لليقظة ، إنه عملية جسمية تقع كل ليلة في الجهاز المختص بالنشاط

النفسى ، عملية لها وظيفة تؤديها ، هي وقاية هذا الجهاز من فرط التوتر ، أو إذا جاز أن نستبدل بالتشبيه تشبيهاً فهذه الوظيفة هي : تنظيف النفس .

وعلى ذات الخاصتين المتجليتين في اختيار مادة الحلم يقيم مؤلف آخر ، هو إيف دولاچ ، نظريته . وإنه لمن المفيد في هذا المعرض أن نرى كيف تؤدي حيدة خفيفة في النظر إلى ذات الأشياء إلى نتيجة مختلفة الدلالة كل الاختلاف .

فقد لاحظ دولاچ عن خبرة وقعت له ، بعد أن أفقده الموت عزيزاً لديه ، أن المرء لا يحلم بما يستبد بفكره نهائياً ، أولاً يعلم به إلا بعد أن نأخذ شواغل النهار الأخرى في تخطيطه . فلما استعلم غيره تأيد عنده عموم هذا الوضع . وإنه ليأتى في صدد أحلام المتروحين حديثاً بملاحظة تكون خليقة بالاهتمام لو ثبت اطراد صدقها ، يقول (١٨٩١ ، ٤١) : « إذا كان كلاهما شديد الشغف بالآخر ، لم يكده يحلم به مطلقاً قبيل الزواج أو في خلال شهر العسل فإن حلم بفرام ، فلكي يرتكب في حلمه خيانة ما مع ثالث لا منزلة له في النفس أو كريبه إليها » (١) . ثم تحلم النفس إذن ؟ يرى دولاچ أن المادة التي تعرض في أحلامنا تتكون من نبل مستقاة من انطباعات الأيام الأخيرة أو التي قبلها ون بقاياها . فكل ما يظهر في أحلامنا ونترع في أول الأمر إلى أن نعهده خلقاً من خلق الحياة الحاملة ، لا نثبت أن نتبين حين نفحصه عن مقربة أنه استحضار لم نعرفه (لخبرة سابقة) ، أنه و ذكرى لاشعورية » (٢) . بيد أن هذه المادة الفكرية تبدى خاصة مشتركة : فهي تنشأ من انطباعات كان تأثيرها في حواسنا أشد على الأغلب منه في عقولنا ، أو من انطباعات تحول عنها الانتباه على أثر وقوعها . فكلما قل حظ الانطباع من الشعور وزاد مع ذلك حظه من القوة ، ازداد احتمال أخذه من الحلم القادم بنصيب .

هاتان المقولتان من مقولات الانطباعات : ما خلا من الشأن وما لم نفرغ من أمره بعد ، هما من حيث الجوهر ذات المقولتين اللتين ذكرهما روبرت نلقاهما من جديد . ولكن دولاچ ينحو بالمسألة نحو آخر ، فهو يرى أن هذه الانطباعات لا تحدث الحلم لخلوها من الشأن بل لكوننا لم نفرغ من استيعاب التفكير فيها . ومن الصحيح أن الانطباعات التافهة

["S'ils ont été fortement épris, presque jamais ils n'ont rêvé l'un de l'autre avant (١) le mariage ou pendant la lune de miel; et s'ils ont rêvé d'amour c'est pour être infidèles avec quelque personne indifférente ou odieuse."]

["souvent inconscient"]

هى أيضاً بمعنى من المعانى انطباعات لم تلق منا معالجة كافية ، فهى — وهى الحديثة العهد — تكون بمثابة « لولب مشدودة »^(١) ترخى فى أثناء النوم . والانطباع القوى الذى اتفق أن حال حائل دون الفراغ من معالجته أو الذى كبح جماحه عن عمد له حق فى المشاركة فى الحلم يفوق ما يكون لانطباع ضعيف لم يكده يلقى انتباهاً . فالقوة النفسية المختزنة فى أثناء النهار نتيجة للكف والقمع تصير القوة الدافعة إلى الحلم فى الليل : فى الحلم يبرز المكبوت النفسى^(٢) .

ومن سوء الحظ أن دولاج يقف بنظريته عند هذا الحد . فهو لا يستطيع أن يعزو إلى نشاط نفسى مستقل إلا أقل نصيب فى الحلم ، وبهذا يرتد بنظريته إلى ما يتفق والنظرية السائدة ، نظرية الصحو الجزئى : « وخلاصة القول هى أن الحلم نتاج الفكر الضال من غير هدف ولا اتجاه ، متوقفاً على التعاقب عند الذكريات التى بقى لها من الشدة ما يمكنها من اعتراض طريقه واستيقاف سيره ، رابطاً بينها برباط يضعف ويرخو حيناً ثم يشد حيناً آخر ويضيق ، على حسب التفاوت فى مقدار ما يحموه النوم من نشاط المخ الفعلى »^(٣) . (ص ٤٦) .

٣ — ونستطيع أن ندرج فى طائفة ثالثة تلك النظريات التى تمزج إلى النفس الحاملة قدرة وزوعاً إلى أنواع بعينها من النشاط النفسى تعجز عن أدائها فى الحياة المتيقظة كل العجز أو لا تؤديها إلا على نحو ناقص جداً . وإن تشغيل هذه القدرات لأمر يمدل حادة للحلم وظيفة . وفى هذه الطائفة الثالثة تدخل معظم آراء علماء النفس الأسبقين فى تقدير الحلم ، بيد أننى أقنع بأن أنيب عنهم نصاً لبورداخ بخلص منه أن الحلم « هو النشاط الطبعى للنفس ، نشاط لا يقيده طغيان الفردية ، ولا يعطله الشعور بالذات ، ولا وجهه

["autant de ressorts tendus"] .

(١)

(٢) يعرب أناتول فرانس من فكرة مائلة كل المائلة إذ يقول :

"Ce que nous voyons la nuit, ce sont souvent les restes malheureux de ce que nous avons négligé dans la veille. Le rêve est souvent la revanche des choses qu'on méprise ou le reproche des êtres abandonnés." (Le lys rouge)

[" إن ما نراه فى خلال الليل هو فى الكثير من الأحيان تلك البقايا النسي لما أغفلناه فى يقظتنا ، فالحلم كبيراً ما يكون ثار الأشياء التى احترناها ، أو خاب الكائنات التى هجرناها " . الزبقة الحمراء .]

["En somme le rêve est le produit de la pensée errante, sans but et sans direction, se fixant successivement sur les souvenirs qui ont gardé assez d'intensité pour se placer sur sa route et l'arrêter au passage, établissant entre eux un lien tantôt faible et indécis, tantôt plus fort et plus serré, selon que l'activité actuelle du cerveau est plus ou moins abolie par le sommeil."]

الحلم اللداني ، وإنما هو حيوية المراكز الحسية وقد خلت للعب الطليقي . (١٨٣٨) ،
(٥١٢) .

ومن الواضح أن بورداخ وسائر من ذهب مذهبه يرون أن هذا البلخ في استخدام النفس قواها حالة تنتمش النفس فيها وتجتمع لها بها قوة جديدة على عمل النهار ، شيء أشبه بالإجازة . ولهذا كان بورداخ يستشهد بالكلمات الساحرة التي يشهد فيها الشاعر نوافيس بمملكة الحلم ، ويقبل هذه الكلمات : « الحلم درع بيننا وبين راتب الحياة وألوفها ، استرواح طليق للمخيلة تضرب فيه جميع صور الحياة بعضها ببعض وتقطع جد الراشد المستديم بلعب الطفل المرح ، فلولا الحلم لكان من المستبين أن تسبق شيخوختنا أولانها . وهكذا يستطيع الإنسان أن يرى في الحلم هبة غالية ، وإن جاز ألا تكون مرسله من عليين ، وأن يعده رفيقاً مخلصاً يصحبه في حجه إلى قبره . »

ويصف پوركينيه هذه الوظيفة الطبية المجددة لقوى الحياة وصفاً أكثر يعد إلحاحاً ، فيقول (١٨٤٦ ، ٤٥٦) : « والأحلام المبدعة بنوع خاص هي التي تقوم بهذه الوظائف . فهذه الأحلام هي لعب المخيلة أمباً سهلاً وليس يربط بينها وبين أحداث النهار وباط ما . فالنفس راغبة عن إطالة ما تتضمنه الحياة المستيقظة من التوترات ، بل هي تنشأ إرضاءها والاستجمام منها . ثم هي قبل كل شيء تخلق حالات تضاد حالات اليقظة ، فتعالج الحزن بالفرح ، والهم بالأمل وصور السلوان ، وتعالج الكراهية بالحب والصدقة ، وتلطف بالشجاعة والثقة ، وتهدئ الشك باليقين والاعتقاد الراسخ ، ولا تنتظر حلى غير طائل بالتحقيق . وكثير من جراح القلب التي لا تلتئم أبداً في النهار يدأوها النوم الذي يسترها ويصونها من كل هائج جديد . وعلى هذا يبنى إلى حد فعل الزمن الشافي . » ومن جميعاً نشعر بأن للنوم فعله الطيب في الحياة النفسية ، كما أن الإحساس الغامض الذي لاروح الشعبي يأبى إباءاً صريحاً أن يسلب اعتقاده بأن الحلم أحد الطرق التي منها يبذل النوم أفضاله .

ولكن أشد المحاولات أصالة وأعقها غوراً في تحليل الحلم باعتباره نوعاً خاصاً من النشاط النفسي لا يستطيع الانفلاق حرراً إلا في خلال النوم ، هي تلك التي أناها شرزرسنة ١٨٦١ . لقد كتب شرزرس كتابه بأسلوب ثقيل ، طنان ، مشبع بحماسة للموضوع تكاد تقارب التمل ، أسلوب من شأنه أن يصد كل قارئ لا ينساق في تياره ، ثم هو يقيم في وجه من

يتعرض لتحليل صعوبات تجعلنا نفاض عنه طواعية بالعرض الواضح الموجز الذى كتبه الفيلسوف فولكت لنظريات شرر . « من خلال هذه الأركام التصوفية ون ثانيا هذه السحب من الفخامة والبهاء توفى ، ويض البرق ، لمحات المعنى المكنون . لكن هذه لا تثير طريق انجيلسوف . » ذلك هو الحكم الذى يصدره على أسلوب شرر تلميذه نفسه . (فولكت ١٨٧٥ ، ٢٩) .

إن شرر ليس من هؤلاء الكتاب الذين يدعون للنفس كل ملكاتها حين تنتقل إلى الحياة الحاملة . كلا ، بل هو يرينا كيف تجرد بؤرة الأنا المركزية ، طاقته التلقائية ، من قوتها الدصية في أثناء الحلم ، وكيف ينجم عن هذه اللامركزية المُدْخَلَة أن تتغير حمايات المعركة والإحساس والإرادة والتصور ، وكيف تعدم البقايا المتبقية من هذه الوظائف النفسية كل طابع عقلى حتى ، وتصير حركات آلية ليس غير . بيد أن الملكة التى تجوز تسميتها بخيلة تظهر في مقابل ذلك بسيطرة غير مقيدة : فهي تتحرر من سيادة العقل وتتحرر - من ثمة - من كل قاعدة تلتزم . صحيح أن خيلة الحلم تستمد كل مواد بنائها من ذكريات اليقظة القريبة ، ولكنها تشيد منها تراكيب لا تحمل أدنى شبه بتركيب الحياة المستعطة ؛ فهي تكشف في الحلم عن قدرة مبدعة ، لا مستحضرة فحسب . وخواصها هى ما يخلع على الحياة الحاملة سماتها ؛ فهي تؤثر من الأشياء المفلط والمفرق والمهول . غير أنها ، في الوقت عينه ، إذ تتحرر من موانع الفكر بمقولاته تكتسب قدراً أعظم من الادونة والخفة والتقلب ؛ فهي حاسة كأرشف ما يكون الحس بدقائق الخلدات الرقيقة مثلها بعنيف الانفعالات ، ثم هى سريعة إلى تجسيد حياتنا الباطنة في صور خارجية يلمسها البصر . فخيلة الحلم مسلوقة القدرة على لغة التصورات المجردة ، وهى إذن مضطرة إلى أن تصوغ ما تريد قوله في تصاوير ، وإنما لتستخدم هذا الأسلوب المصور استخداماً كاملاً قوياً ، فما هناك من تصورات مجردة تكسر شوكتها . لهذا كانت لغتها - مهما بلغ وضوحها - مسبهة ، ثقلية ، متعثرة . ثم ينقص وضوحها بنوع خاص صدوقها عن تمثيل الموضوع بصورته الخاصة به وإثارتها صورة غريبة عنه إذا كان في هذه الصورة ما يعرب عن هذا المحمول الذى يهيمها تمثله وحده دون سائر محمولات الموضوع . وذلك هو النشاط الرمزي للمخيلة ... وأمر آخر له أهميته القصوى ؛ هو أن خيلة الحلم لا تصور الموضوعات أبداً تصويراً مستوفى بل مجملاً فقط ، حتى هذا الإجمال تأتية في كثير من الحرية ؛ ولهذا جاءت صورها أشبه بتخطيطات مبتكرة .

غير أن مخيلة الحلم لا تتقف عند مجرد تمثيل الموضوع ، بل تدفعها ضرورة باطنة إلى أن تدخل أنا الحلم في علاقة بهذا الموضوع إلى حد ينقص أو يزيد ، وبهذا تخلق حدثاً . مثال ذلك أن حلماً صادراً عن منبه بصرى قد يصور قطعاً ذهبية ملقاة في الطريق : عندئذ سوف يلتقطها الحلم ويمضى فرحاً .

وأما المادة التي تتناولها مخيلة الحلم بنشاطها الفنى هذا ، فأهم مصادرها ، على حسب شرزر ، المنبهات الجسمية العضوية التي تظل مبهمة في خلال النهار (انظر ص ٦٨ و١٠١ يليها فيما سبق) . وهكذا يكون ثمت تطابق تام فيما يتعلق بمصادر الحلم ومنبهاته بين هاتين النظريتين الكاثنتين على طرفي نقيض في كل ما خلا ذلك : نظرية شرزر المخففة في الخيال ونظرية فونت وغيره من الفيزيولوجيين ، المتزنة اتزاناً قد يكون فيه بعض الغاو . ولكنه بينما تري نظرية الفيزيولوجيين أن الاستجابة السيكلوجية إلى المنبهات العضوية الباطنية تكمل إذا ما استمظلت أفكار تناسب هذه المنبهات على نحو من أنحاء المناسبة ، أفكار تثير غيرها من طريق التداعى ، وإلى هذا الحد تنتهى سلسلة العمليات النفسية — ترى نظرية شرزر أن عمل المنبه العضوى ينحصر في ترويد النفس بالمادة التي تمكنها من تحقيق أهدافها التخيلية . فتكوين الحلم في رأى شرزر إنما يبدأ حيث يرى المؤلفون الآخرون أنه ينتهى .

ومن المؤكد أننا لا نستطيع أن نرى فيما تصنعه مخيلة الحلم بالمنبهات الحديثة شيئاً ذا قصد نافع ، فهي إنما تلعب بها لعباً عابثاً وتصور المصادر العضوية التي تنبعث منها هذه المنبهات بضرب من الرمزية المشكّلة . ويرى شرزر — وفي هذا يفترق منه فولكاك وكاير وغيره — أن مخيلة الحلم تملك طريقة بعينها تؤثرها في تصوير الكائن العضوى في مجموعه : تلك هى تصويره في صورة المنزل . إلا أنها لحسن الحظ لا تبدو تلتزم هذه الطريقة الواحدة في التصوير . ثم هى قد تشير على العكس إلى عضو مفرد من أعضاء الجسم بهصف بأسره من المنازل : كأن تصور منبهاً معوياً بشوارع اصطفت المنازل طويلاً على جانبيه . ويتفق في مرة أخرى أن تنوب أجزاء متفرقة من المنزل عن أجزاء متفرقة من الجسم : مثال ذلك أن حلماً ناجماً عن صداع قد يصور الرأس فيه بسقف منزل تغطيه عناكب أشبه بالضفادع تبحث على الغثيان .

وإذا تركنا رمزية المنزل جانباً ، فقد تستخدم مخيلة الحلم أى موضوع آخر يروقها في تصوير أجزاء الجسم الصادرة عنها المنبهات : « فيرمز إلى الرئتين وهما تنفسان بالموقد المستعر

بما له من زثير كالريح ، ويرمز إلى القلب بالصناديق والسلال المحبوة ، وإلى المثانة بالموضوعات المستديرة الشبيهة بالأكياس أو بالموضوعات المقورة على وجه أعم . فإن كان الحلم راجعاً إلى منه جنسى رأى الحلم أنه يصادف في الطريق مبسم « كلارينت » أو غليون طباق أو قطعة من الفراء كذلك . وهنا تمثل « الكلارينت » أو غليون الطباق الشكل التصريبي لعضو الذكورة ، بينما يمثل الفراء شعر العانة . وأما الأحلام الجنسية عند الإناث ، فقد يرمز فيها إلى الفرج الضيقة بين الفخذين حين يلتصقان بفناء ضيق أحاطت به المنازل ، بينما يرمز إلى الفرج بممر ناعم ، زلق ، شديد الضيق ، يجري عبر الفناء ، ترى الحاملة نفسها مضطرة إلى المسير فيه لكي تحمل ، مثلاً ، رسالة ما إلى رجل من الرجال . (فوللكت ، ص ٣٤) . وإنه لأمر له أهميته الخاصة أن تخيلة الحلم قد ترفع النقاب عن وجهها — إن جاز هذا التعبير — في نهاية هذه الأحلام الناجمة عن منه جنسى ، إذ تكشف صراحة عن العضو الذى يتعلق به الأمر أو عن وظيفته . وهكذا يقع عادة أن تنتهى « أحلام الأسنان » بأن يتسرع الحلم سناً من فمه .

بيد أن تخيلة الحلم قد لا توجه انتباهها إلى شكل العضو المنبث فقط ، بل ترمز كذلك إلى المادة المحتواة في هذا العضو : مثال ذلك وحل الطريق في الأحلام الناجمة عن منه معوى ، وزيد الماء في تلك الناجمة عن منه بولى . أو قد يتناول التمثيل الرمزي المنبث من حيث هو كذلك ، أو نوع التهييج الذى يحدثه ، أو الموضوع الذى يصبو إليه ، أو قد يدخل أنا الحلم في علاقة منظورة بالرموز التى تصور حالته النفسية : مثال ذلك أن يمارع الحلم صراع المستमित كلاباً مسعورة أو ثيراناً هائجة في حالة المنبهات الأليمة ، أو ترى الحاملة نفسها ورجل عار يطاردها في حلم جنسى . فإذا تركنا جانباً كل هذه الرؤى في وسائل التصوير الممكنة ، ينبى أن النشاط الرمزي للمخيلة هو القوة المركزية في كل حلم . واقد حاول فوللكت في صفحات كتابه أن يتعمق ماهية هذه المخيلة وأن يجد لها محلاً في ملهف فاسفى ، ولكن كتابه ، وإن سطر بأسلوب بديع قوى ، يظل صعب الفهم في الغاية على من لم يعده تعليمه المبكر لإدراك التصورات الفلسفية بروح من القبول .

ولا تقرّن هذه المخيلة الرامزة التى يقول بها شررر بأية وظيفة نافعة : إن النفس تلعب حالة بما يعرض لها من المنبهات . ومن حق القارئ أن يستخلص أنه لعب أدنى إلى الأدنى منه إلى النفع — ولكن من حق القارئ أيضاً أن يسألنا : وعلام إذن كان هذا

الاهتمام الطويل بنظرية شرر ، وهى نظرية يبدو جلياً خاوها من كل سند غير إرادة صاحبها وخروجها على كل قواعد البحث ؟ ولعل من حقنا على سبيل الجواب أن نمجّل ههنا احتجاجنا على هذا الترفع الذى تنطوى عليه إرادتنا أن ننبل نظرية شرر دون سابق فحص . فهذه نظرية تستند إلى الوقع الذى أحدثته فى نفس رجل أسلامه ، وهو رجل أولاها أعظم انتباهه وتدل الدلائل على أنه ذو موهبة تؤهله أحسن التأهيل للغرض فى دياجير النفس . ثم هو فوق ذلك يعالج موضوعاً ظل البشر آلاف السنين وهم يعدونه من غير شك لغزاً ، لكن لغزاً خطيراً فى ذاته ومتضمناته ، ولم يعد العلم المضبوط — باعتباره هو — سوى الشئ القليل فى سبيل إيضاحه ، فيما خلا محاولة تهدف إلى تجريده من كل مضمون أو مغزى ، على نقيض الاعتقاد الشعبي . وأخيراً فلعل من الأمانة أن نقول : إن الأمور تبدو كما لو كان من الصعب علينا بمكان أن نشرع فى تعديل الحلم دون أن تقع فى حبال الخيال . فهناك أيضاً خيال اسمه : التحلّيا العقديّة . وإن الفقرة التى نقلناها (ص ١٠٩) عن باحث متزن دقيق مثل بينتس ، تلك الفقرة التى تصف كيف يشرق فجر اليقظة على مجاميع التحلّيا النائمة فى المخ ، لا تترك لمحاولات شرر قصب الدق فى شطاط الخيال وضعف الاحتمال . وآمل أن تكون لى القدرة على أن أبين أن وراء هذه المحاولات الأخيرة يكمن جانب من الحق ، وإن كان من المقطوع به أن هذا الجانب لم يدركه شرر إلا على نحو غامض ، وأنه يفتقر إلى طابع العموم الذى لا تكون بغيره نظرية فى الحلم جذيرة بهذا الاسم . وإلى أن يتحقق ذلك ، فالتعارض بين نظرية شرر ونظرية الأطباء يربنا أى طرفين لا يزال الشك يؤرّجح بينهما تعليلات الحلم إلى يومنا هذا .

ح

العلاقة بين الحلم والأمراض العقلية

عندما نتحدث عن علاقة الحلم بالاضطرابات العقلية ، فقد نعنى بملك ثلاثة أشياء مختلفة : (١) العلاقات العلية الإكلينيكية ، مثلما يقع حين يمثل حلم من الأحلام حالة ذهانية أو حين يستلها أو يتخلف عنها ، (٢) التغيرات التى تطرأ على الحياة الحاملة فى حالات المرض العقلى ، (٣) العلاقات الباطنة بين الحلم وحالات اللهاة ، فيبينها من

أرشد النماثل ما يشير إلى قرابة جوهرية . ولقد كانت هذه العلاقات المتشعبة بين الظاهرتين موضوعاً يؤثره المؤلفون الأطباء بعنايتهم في الماضي ، وهم اليوم يؤثرونه من جديد — كما يتضح من قوائم المراجع التي جمعها في هذا الشأن شبيتا ورادشوك ومورى وتيسيه . وحديثاً جداً أعار سائته دى سانكتيس هذه المسألة انتباهه ^(١) . ولكن يكفيني فيما نترجاه أن نلمس هذه المسألة الهامة لمأ .

ولما فيما يتصل بالعلاقات الإكلينيكية والعلية بين الحلم والذهان ، فأورد الملاحظات الآتية على سبيل المثال : يرى هنبام (على ما يقوله كراوس) أن التفجر الأول للجنون الهجاسي ينبعث في أحيان كثيرة من حلم هيلة مروع ، وحينئذ يكون ثمت ارتباط بين الفكرة المتسلطة والحلم . ويورد سائته دى سانكتيس ملاحظات مماثلة في صدد حالات من البارانويا ، معلناً أن الحلم في بعض هذه الحالات قد يكون هو العلة الحقيقية المحتملة للجنون ^(٢) . ويقول سانكتيس : إن الذهان قد ينبعث إلى الحياة دفعة واحدة بانبثاق الحلم الذي يخرج فيه التأويل الهجاسي إلى الضوء ، أو قد يتمخض رويداً رويداً خلال سلسلة من الأحلام تأتي بعد ذلك إلى أن يغلب الاعتقاد الهجاسي كل شك . واتفق في إحدى حالاته أن الحلم التأويلي كانت تعقبه نوبات هستيرية خفيفة ثم صارت تعقبه حالة سودابية تصبحها الهيلة . ويروى فيريه (على ما يقول تيسيه) حلماً نجم عنه شال هستري . وفي هذه الأمثلة يساق الحلم على أنه علة الاضطراب العقلي ، واكتنا نصدّق الواقع أيضاً إذا نحن قلنا : إن الاضطراب العقلي يظهر في الحياة الحاملة أول ما يظهر ، أو إن أول انبثاقه يكون من خلال الحلم . وفي أمثلة أخرى تنحصر الأعراض المرضية في نطاق الحياة الحاملة أو يقتصر الذهان على هذه الحياة وهكذا يجلب تومابر الانتباه إلى أحلام هيلة يرى أن الواجب أن نعدّها أعدالا لنوبات صرعية . ولقد وصف أليسون (يذكره رادشوك) حالة جنون ليلي ^(٣) كان المريض يبدو فيها مكتمل الصحة كل الاكثال نهاراً ، ثم لا تأتي ليلة إلا استهدف للهلاوس ولنوبات من الهياج . . إلخ . ويورد دى سانكتيس ملاحظات شبيهة بهذه (حلم يعدل البارانويا عند رجل مدمن على الكحول ،

(١) ومن الكتاب الذين احتوا بهد ذلك هذه العلاقات : ليرييه وليلدر لاسج ويشتون وديمي ولها وجيهر وكازوفسكي وبهاكاتنوف .

["la vraie cause déterminante de la folie"]

(٢)

[nocturnal insanity]

(٣)

وكان الحلم يصور له أصواتاً تنم زوجه بالحياة) وكذلك يفعل تيسيه . ويوفق المؤلف الأخير ملاحظات حديثة متعددة عن أفعال مرضية (كالسلوك المقام على مقدمات هجاسية أو اندفاعات قهرية) تفرعت عن الحلم . ويرى جيسون حالة انقلب فيها النوم إلى جنون يأتي على فترات .

فلا شك في أن الأطباء إلى جانب بحثهم في نفسية الحلم ، سوف يوجهون يوماً اهتمامهم إلى مرضيته .

وكثيراً ما يتاح لنا أن نلاحظ بوضوح خاص في حالات النقاة من المرض العقلي أن الأحلام لا تزال تخضع لتأثير الذهان ، بينما تعمل الوظائف على نحو سوى في خلال النهار . ويقول كراوس : إن جريجورى هو أول من جلب الانتباه إلى هذه الحقيقة . ويرى ما كاريو (على حسب تيسيه) أن مريضاً بالهوس كان بعد أسبوع كامل من شفائه لا يزال يستهدف في أحلامه لتلك الأفكار المناسبة والاندفاعات الجائعة التي عرف بها في مرضه .

وأما التغيرات التي تطرأ على الحياة الحاملة في حالات الذهان المزمن فلم تلق من البحث إلا حظاً ضئيلاً كل الضالة حتى اليوم . بيد أن الانتباه قد اتجه منذ زمن طويل إلى القرابة الكامنة بين الحلم والاضطراب العقلي ، وهي قرابة تم عليها سعة مدى الاتفاق بين مظاهرها . ويقول موري : إن كابانيس كان أول من وجه النظر إليها ، وتلاه ليلو ، ثم ج . مورو ، ثم الفيلسوف مين دى بيران بنوع خاص . ولا شك في أن المقارنة بين الظاهرتين أقدم بعد عهدا . فرادشتوك يستهل الفصل الذى يعالج فيه هذا الموضوع بإيراد عدة من النصوص يماثل مؤلفوها بين الحلم والجنون ، فري كانت يقول في موضع ما : « الجنون حلم يقظان » . ويعلم كراوس أن « الجنون حلم يحلمه المرء وهو مستيقظ الحواس » . وأما شويهاور فيسمى الحلم جنوناً قصيراً والجنون حلماً طويلاً . وأما هاجن فيصف الهلاليان بقوله : إنه حياة حاملة أدخلها المرض لا النوم . ويقول فونت : « والحقيقة هي أننا أنفسنا قد نم في أحلامنا بما يكاد يعدل جميع المظاهر التي نصادفها في مستشفيات المجانين » .

ويعدد شويتا مواضع الاتفاق التي تقوم على أساسها هذه المقارنة على نحو شبيه كل الشبه بما يسبق إليه موري : (١) يعطل الشعور بالذات أو على الأقل يؤثر ، وينجم عن ذلك جهل الشخص بحالته ، ومن ثم العجز عن الدهش وفقدان الشعور الخلقى .

(٢) يتغير إدراك الأعضاء الحسية ، فينقص في الحلم ولكنه يزداد بزيادة عظمى في الجنون ، (٣) يتم الترابط بين الأفكار وفقاً لقوانين التداعي والاستحضار وحدها ، أى أن الأفكار تجتمع في سلسلات على نمط آلى محض ، وينجم عن ذلك فقدان التناسب في العلاقة بين الأفكار (المبالغات والأوهام) ، ويؤدى كل أولئك إلى (٤) تحول الشخصية أو انقلابها في بعض الحالات ، وأحياناً يقع ذلك في سمات الطبع "الانحرافات" .

ويضيف رادشوتك إلى ما سبق سمات قليلة أخرى تتصل بمآثل الظاهرتين . من حيث المادة : « فعالية الهلاوس والأوهام تقع في مجال حاستي البصر والسمع ثم الحساسية الإجمالية بالجسم . فحاستا الشم والذوق لا تشاركان هنا - شأنهما في الأحلام - إلا بأقل العناصر . وفي الحمى كما في الحلم تنبعث ذكريات من الماضي السحيق ، فالنائم والمرضى يذكر كلاهما أشياء تبدو نسبياً منسياً عند المستيقظ والمعافي » . بيد أننا لا نقدر التآمل بين الحلم والنهان تمام التقدير إلا إذا رأيناها يمتد ، مثل شبه عائلي ، إلى دقائق الحركات المعبرة وإلى خصائص تعابير الوجه .

« إن من برحته آلام الجسد والروح يظفر في الحلم بما أباه الواقع عليه ، بالصحة والسعادة . وكذلك المرض العقلي ، فهو يحفل بصور براقية من السعادة والعظم والجلال والثراء ، فأكثر ما يشتمل عليه الهذيان امتلاك مزعوم للخبرات أو تحقيق تمثيل لرضيات كان امتناعها أو دمارها هو العلة التي أدت بالفعل إلى الجنون ، فتحظى من فقدت ابنها الحبيب بجمع الأمومة في هذيانها ، ويعتقد من فقد ماله أن ثروته قد تجاوزت كل حد ، وترى الفتاة المخدوعة نفسها موضع الحب والحنان » .

(هذه الفقرة المقبسة من رادشوتك تلخص ملاحظة ثاقبة أتاها جريزنجير (١٨٦١) ، ١٠٦) وبين فيها بجلاء تام أن الخاصة المشتركة بين الأفكار في كلا الحلم والذهان هي كونها تحقق رغبات . ولقد علمتني مباحثي أيضاً أن ذلك في الحقيقة هو المفتاح إلى نظرية سيكولوجية في الحلم والذهان على السواء) .

« والارتباط المغرب بين الأفكار مع ضعف الحكم هما الخاصتان الرئيستان للحلم والذهان » . ففي كليهما نرى الشخص يغالى في تقدير قدراته العقلية مغالاة تروح جوفاء لاهين المتزنة . ثم إن سرعة جريان الأفكار في الحلم يوازها انسياب الأفكار في الذهان ؛ ففي كليهما يغيب كل معيار زمني . وانقسام الشخصية في الحلم - مثلما يقع حين تتوزع

معركة الحلم نفسه بين شخصين يصبح أحدهما ، وهو الغريب ، خطأ أنا الحلم الخاص — يطابق انقسام الشخصية الذي نعرفه في البارانونيا الهلوسية كل مطابقة ، ثم إن الحلم أيضاً يسمع أفكاره هو تنطق بها أصوات غريبة . وحتى الأفكار المهجاسة : فهي تجد نظيرها في الحلم المرضى الذي يراود صاحبه على نمط لا يتغير (الحلم القهري) ^(١) . ولا يندر أن يقول المرضى بعد شفائهم من هذاء مروا به : إن فترة مرضهم جميعاً تآوح لهم أشبه بحلم لم يكن يخلو من المسرة كل الخلو ، بل لأنهم ليحدثوننا أحياناً أنهم حتى في خلال مرضهم كانوا بين الحين والحين يساورهم الشعور بأنهم إنما وقعوا في حبال حلم من الأحلام ، مثلما يحدث كثيراً في أحلام الليل .

فلا عجب بعد كل أولئك أن يلخص رادشوك رأيه ورأي الكثيرين معه في قوله : « إن الجنون — هذه الظاهرة المرضية غير السوية — هو اشتداد حالة سوية منتظمة الوقوع ، هي حالة الحلم » . (ص ٢٢٨) .

ولقد حاول كراوس أن يقيم بين الحلم والجنون علاقة قد تكون أوثق رباطاً من تلك التي يمكن أن تخرج من هذا التماثل بين مظاهرها الخارجية ، مؤسساً هذه العلاقة على العال أنفسهم (أو — بعبارة أصبح — على مصادر التبعج) . فالعنصر المشترك يكمن في رأيه — كما رأينا [ص ٧٤] — في الإحساسات المحتملة عضوياً ، الإحساسات الناشئة عن مصادر جسمية ، أي في الحساسية الإجمالية بالجسم ، المبنية على مشاركة أعضاء الجسم جميعاً (انظر رأي بيس في كتاب موري ، ١٨٧٨ ، ٥٢) .

هذا الاتفاق غير المتنازع فيه والممتد إلى خواص التفاصيل بين الحلم والاضطراب العقلي يمكن أن نعدده سنداً من أقوى سند النظرية الطبية في الحلم ، وهي النظرية التي ترى في الحلم عملية مزعجة لا طائل منها ومظهراً يعرب عن نشاط نفسي منقوص . ومع هذا فليس لأحد أن يطعم في الآونة الحاضرة في الوصول إلى تعليل أخير للحلم من طريق النظر في اضطرابات النفس ؛ لأن معرفتنا بهذه الاضطرابات لا تزال غير كافية — كما يعلمه الجميع . ولكن من الراجح على العكس كل الرجحان أن تغييراً في موقفنا تجاه الأحلام قد يكون له أثره في نظرتنا إلى الميكانيكية الباطنية للأمراض النفسية ، ومن ثم جاز لنا أن نقول : إننا نعمل على تعليل اللسان حين نتكلف مشقة الكشف عن سر الحلم .

ملحق ، ١٩٠٩ :

إن وقوفى عن أن أتابع الحديث فيمثل المؤلفات التى ظهرت تعالج مشكلات الحلم فى الحتبة الممتدة بين أول ظهور هذا الكتاب وطبعته الثانية، أمر يستوجب تبريراً . وقد لا يبدو المبرر مقنعاً للقارئ ، ولكنه كان على أية حال ذا أثر حاسم بالنسبة إلى . فالدواعى التى حدثنى إلى أن أتحدث أى حديث عن نهج الكتاب الأسبقين فى معالجة مشكلات الحلم ، قد استفدها الفراغ من هذا الفصل الذى قدمت به . وما كان المضى فى هذا العمل إلا ليكلفنى مشقة بالغة على غير كبير إفادة أو نفع . ذلك أن هذه الحقبة من السنوات التسع لم تأت — سواء فى المادة أو فى الآراء — بقم أو جديد يكون فيه ما يثير الموضوع ، وظلت معظم المؤلفات التى ظهرت فى هذه الأثناء لا تعبر كتابى ذكراً ولا نظراً . وكان أقل المنهين إليه بالطبع أولئك المسمون « بمحة الحلم » ، فضربوا بلباك مثالا ساطعاً على هذا المزوف عن تعلم كل جديد الذى هو سمة تميز العلماء . ولقد قال أناطول فرانس بسخرية المعهودة : « إن العلماء لا يحبون الاستطلاع » ^(١) . ولو أن العلم كان يعرف شيئاً اسمه حق القصاص ، لكان من حقى يقيناً أن أغفل من جانبي كل ما نشر منذ أن نشر هذا الكتاب . فالملاحظات القليلة التى ظهرت فى الصحف العلمية عنه كانت تم عن تجرد من الفهم أو عن فهم عطى لا أملك لنقادی معهما إلا جواباً واحداً : هو دعوتهم إلى أن يقرأوا هذا الكتاب من جديد . لا ، بل ربما كان الأنسب أن تكون الدعوة إلى قراءته وحسب .

وأما مؤلفات الأطباء وغيرهم، ممن قرروا أن يتبعوا المنهج التحليلى النفسى فى العلاج ، فتشتمل على عدد وافر من الأحلام، نشرت وحلت وفقاً لتعاليمى . ولقد أوردت نتائج هذه المؤلفات فى سياق حديثى بمقدار ما تلعب هذه النتائج إلى أبعد من مجرد تأييد آرائى . غير أننى أضفت فى نهاية المجلد قائمة بالمراجع حوت أهم المؤلفات التى ظهرت منذ أن نشر هذا الكتاب للمرة الأولى . وأما الكتاب المسبب الذى وضعه سانه دى سانكتيس عن الأحلام والذى ظهرت له ترجمة ألمانية عقب صدوره ، فقد كان تاريخ ظهوره يوافق تاريخ كتابى بحيث استحال على أن أعقب على كتاب المؤلف الإيطالى كما استحال عليه أن يعقب على كتابى . بيد أننى لم أملك إلا أن أرى أسفاً أن هذا الكتاب ، على ما تكلف فيه صاحبه من

الجهد ، فقير في أفكاره كل الفقر - فقير ، حتى إن القارئ لا يشعر منه ولو مرة بوجود المشكلات التي عالجها .

وليس ثمت ما يذكر سوى كتاين اثنين ، يقتربان من علاجي لمشكلات الحلم . فقد حاول فيلسوف شاب ، هو ه . سقوبودا ، أن يمد إلى الأحداث النفسية فكرة الدورة البيولوجية التي اكتشفها فيلهلم فليس (دورة طرما ٢٣ يوماً ودورة طرما ٢٨ يوماً) ، فعمل في كتاب يتسم بسعة كبيرة في الخيال (١٩٠٤) على أن يستخدم هذا المفتاح في حل لغز الحلم ، بين غيره من المشكلات . ولو صححت آراؤه لتفقت أهمية الأحلام سرياً ، فهو يزعم أن المادة التي يتألف منها محتوى الحلم ينبغي تعليلها باجتماع جميع الذكريات التي تختتم إحدى هذه الدورات البيولوجية ، سواء أكان ذلك للمرة الأولى أم لأي مرة تشاء . ولقد دعئني رسالة شخصية من المؤلف إلى أن أقدر أنه نفسه لم يعد يأخذ نظريته هذه مأخذ الجدل ، ولكني قد أخطأت التقدير ، فيما يبدو ، وسوف أورد فيما بعد [ص ١٨٩] بضع ملاحظات أتيها للتثبت من فكرة سقوبودا ، دون أن أخرج منها بنتيجة مؤقتة . بيد أنني لم أكن إلا أعظم سروراً حين التقيت في مجال لم أكن أتوقع فيه مثل هذا الالتقاء برأى يطابق لب نظريتي تمام المطابقة . فإذا رجعنا إلى التواريخ ، تبين أن من المحال أن يكون صاحب هذا الرأي قد تأثر بكتابي . وعلى ذلك أرى لزماً على أن أجي فيه المثال الوحيد الذي أستطيع اكتشافه لمؤلف يتفق معي في جوهر نظريتي . وأما الكتاب الذي حرى الفقرة التي أعنيها في موضوع الحلم ^(١) ، فقد ظهر في طبعته الثانية عام ١٩٠٠ بعنوان « خيالات واقعي » ، كتبه لينكويس ^(٢) .

ملحق ١٩١٤ :

كتبت صفحة التبرير السابقة عام ١٩٠٩ . ولقد تغيرت الأوضاع يقيناً منذ ذلك الحين ، لما عاد العمل الذي قمت به في « تفسير الأحلام » يغفل في أدب الموضوع . بيد أن الموقف الجديد إنما يجعل متابعة العرض السابق ضرباً من المحال . فقد أثار « تفسير الأحلام » طائفة كاملة من الآراء والمشكلات الجديدة تنوعت فيها طرق المناقشات أكبر التنوع . ولست أستطيع أن أتحدث عن هذه الكتابات قبل أن أفصل الكلام في آرائي نفسها التي إليها استند هؤلاء المؤلفون . وعلى ذلك فكل ما لاح ذا قيمة عرضت له في موضعه المناسب من مقال الذي يتلو الآن .

(١) [وهي فقرة يوردها فرويد كاملة في ص ٣٢٠ ، في الهامش] .

(٢) انظر مقال المنفى : يوسف هيرر - لينكويس ونظرية الحلم (١٩٢٣ و) .

الفصل الثاني

المنهج في تفسير الأحلام

تحليل حلم على سبيل المثال

إن العنوان الذي عُلِّقَ به هذا الكتاب يبين أى تقليد سُلِّيَ في تصور الحلم أنزع إلى الانتساب إليه . فالغرض الذي أضعه نصب عيني هو أن أبين أن الأحلام تقبل التفسير ، ولقد أجيء في سياق ذلك بما يعين على حل المسائل المعالجة في الفصل السابق ، ولكن ذلك لن يكون إلا فضلاً يعرض في خلال المعنى إلى هدفى الخاص . وأنا إذ أزعم أن الأحلام تقبل التفسير أراى دفعة واحدة في موقف يخالف النظرية السائدة عن الأحلام ، بل يخالف في الحقيقة نظريات الحلم جميعاً ، فيما خلا نظرية شرزر وحدها . فأن « تفسر » حلماً معناه أن تتحدد له « معنى ما » ، أى أن تستبدل به شيئاً آخر ينتظم في سلك أفعالنا النفسية كحلقه لها من القيمة والشأن مثل ما لغيرها . ولكن النظريات العلمية ، كما رأيناها ، لا تترك مجالاً للحديث عن أية مشكلة تتصل بتفسير الحلم ، لأن الحلم بحسبها ليس فعلاً نفسياً على الإطلاق ، بل عملية جسمية يُستَبَدُّ إلى وقوعها لعلامات تبلغ الجهاز النفسى . وأما رأى سواد الناس من جميع العصور فكان مختلفاً : فإنهم قد أعملوا حقهم المقرر في أن ينفلوا السلامة المنطقية ، فسلموا من جهة بأن الأحلام غير معقولة ، باطلة ، دون أن يجمعوا أنفسهم مع ذلك على إعلان خلوها من كل مغزى . فهم يبدون كأن شعوراً مبهماً يقودهم إلى أن يقدروا أن لكل حلم مغزاه وإن خفى هذا المغزى ، وأن الحلم قد جعل ليحل محل عملية فكرية أخرى ، وليس علينا إلا أن نرفع هذا البديل على النحو الصحيح لكى نصل إلى ذاك المعنى الخفى .

ولما جهد عامة الناس منذ أقدم العصور في « تفسير » الأحلام ، وهم قد اتبعوا في ذلك منهجين مختلفان اختلافاً جوهرياً . فأما أولهما فينظر إلى محتوى الحلم في مجموعه ويسمى إلى أن يستبدل به محتوى آخر معقولاً بمائل الأول من بعض الوجوه . ذلك هو التفسير الرمزي للأحلام ، وهو منهج لا يلبث أن يتضح بالضرورة عجزه حين يواجه أحلاماً تتسم

بالنشوء فوق لا معقوليتها . وقد يكون في التفسير الذى تذكره التوراة عن يوسف الحلم فرعون ، مثال على ذلك المنهج : فأن يرى فرعون سبع بقرات سمان تأكلهن سبع عجاف تأتي من بعدها ، ذلك كان بديلاً رمزياً لنبوءة تنبئ بسبع سنين من المجاعة في أرض مصر تأكل فانضى السنوات السبع وافرة الغلة . وغالبية الأحلام المصطنعة التى يبتدعها خيال الكتاب إنما يراد بها إلى مثل هذا التفسير الرمزى ، فهى تمخلع على فكرة الكاتب قناعاً يتدفق وما نعلم من خبرتنا أنه سمات الحلم^(١) . واعتقاد الناس أن الحلم يشغل بالغيث أولاً ويكشف عن وجهه — وهو أثر من الدلالة التنبؤية التى كانت تنسب إلى الحلم يوماً ما — هو الذى يدعو بعد ذلك إلى الانتقال بمغزى الحلم المكتشف بالتفسير الرمزى إلى الزمان المستقبل ، بإدخاله سوف عليه .

وأما السؤال : كيف يجد المرء طريقه إلى مثل هذا التفسير الرمزى ؟ فذلك بالطبع أمر لا سبيل إلى تبيان والإرشاد له ، والنجاح فيه يظل مرهوناً بالتخمين الحاذق والحسد المباشر ومن ثم أمكن أن يعلى تفسير الأحلام بالرموز إلى مرتبة النشاط الفنى الذى يتطلب «وهبة خاصة»^(٢) . وأما المنهج الشعبى الآخر في تفسير الحلم ، فبعد كل البعد عن مثل هذا الادعاء . وفى وصفنا أن نسبه «منهج الشفرة» ، لأنه يعالج الحلم كما لو كان ضرباً من كتابة سرية تمكن ترجمة كل علامة من علاماتها إلى علامة أخرى معروفة المعنى وفق مفتاح ثابت : مثال ذلك أن أحلم بخطاب ثم يمتازة ، إلخ . فاستشير كتاب الأحلام فأجد «الخطاب» يترجم إلى «نكد» و «الامتازة» إلى «خطبة» ، ويبقى على بعد ذلك أن أنشئ من هذه المقومات التى قمت بفك مغلقها على هذا النحو جملة مفيدة أنقلها من جديد إلى الزمان المستقبل . وفى كتاب أرميدوروس الأفسوسى عن تفسير الأحلام تبدل حرى بالاهتمام يصحح بعض التصحيح ما يتسم به منهج الشفرة هذا من طابع النقل الآلى

(١) لقد عثرت بالصدفة في رواية «جرادينا» للكاتب ف . يزنز على أحلام متعددة خلقها المؤلف خلقاً ، ولكنها كانت مع ذلك صحيحة كل الصحة في بنائها ، وأسكن تفسيرها كما لو كانت صدرت من أشخاص حقيقيين ولم تكن من بدع الخيال . وقد ذكر لي المؤلف رداً على سؤال من جاني أنه لم يكن يعلم شيئاً من نظريتي في الحلم . ولقد اتخلت من هذا الطابق بين مباحثي وخلق للكاتب شاهداً على صحة تحليلي للأحلام . (انظر فرويد ١٩٠٧) .

(٢) يقول أرسطر في هذا الصدد : إن أحسن مفسر الحلم هم أقدم من إدراك أوجه التنازل ، وذلك لأن صور الحلم تشبه بفعل الحركة مثل الصور في الماء بحيث يصيب التجاع من استطاع أن يتوهم الشكل الصحيح من وراء الصورة المشوشة (بوكسشوفس ١٨٦٨ ، ١٥) .

المحض^(١). فهذا المنهج المعدل لا يحسب حساب محتوى الحلم وحده بل يدخل كذلك في تقديره طبع الحلم وملاسات حياته ، بحيث يختلف معنى العنصر الحلمى هو هو عند الغنى أو المتزوج أو المخطيب منه عند الفقير أو الأعزب أو التاجر مثلاً . والشئ الجوهرى في منهج الشفرة على أية حال ، هو أن عمل التفسير لا يوجه فيه إلى الحلم في جملته بل يتناول كل جزء من محتواه على حدة ، كما لو كان الحلم حجراً جيولوجياً تستوجب كل شظية من شظاياها تقديرأ خاصاً . ولا شك في أن الأحلام المختلطة المفككة هى التى أدت إلى اختراع هذا المنهج^(٢) .

(١) لقد ترك لنا أرتيموروس الأنسى ، الموليد في القرن الثانى من الميلاد على الأرجح ، كتابا في تفسير الأحلام كما كان يعرف في العالم اليونانى الرومانى يفوق كل ما عده من حيث الاستيعاب وضخامة الجهد . وهو يلج في كتابه هذا - كما بينه جيورجس - على ضرورة تأسيس تفسير الحلم على الملاحظة والخبرة ، ويفرق تفرقة قاطعة بين فنه وبينه من الفنون الخادعة . وأما المبدأ الذى يقوم عليه فنه التفسيرى فلا يختلف بحسب جيورجس من مبدأ السر : إنه مبدأ التداخلى ، فالشئ الملقى في الحلم يعنى الشئ الذى يرد على اللحن في صده - وعلى من البيان أن المراد هو ذهن المفسر لا الحلم . وإذا كان عنصر الحلم يذكر المفسر الواحد بأشياء مختلفة ، ويذكر هذا بغير ما يذكر به ذاك ، فقد كان ذلك مصداقاً للحيرة والمضى لا سبيل إلى التغلب عليه . وتختلف الطريقة التى أصفها في الصفحات القادمة من طريقة القدماء في تلك الناحية الجوهرية : وهى أنها تلقى صاء التفسير على الحلم نفسه ، فهى لا تحسب حساباً لما يطرأ على بال المفسر وإنما اهتمامها بما يرد على ذهن الحلم . وتريثنا الروايات الحديثة للبشر تفنككجى (١٩١٣) أن مفسرى الأحلام الحديثين في الشرق يمتدحون هم أيضاً اهتماماً كبيراً على موازنة الحلم ، فهو يتحدث عن مفسرى الأحلام بين أرباب ما بين النهرين قاتلاً : « ولكن يفسر حلم ما تفسيراً مضبوطاً ، ترى أمر المفسرين يسألون من يشاورونهم عن جميع الملاسات التى يرون ويروى معرفتها من أجل الوصول إلى الحل الصحيح . . . وعلامة القول هى أن مفسرينا لا يتركون كبيرة أو صغيرة تفرغهم ، ولا يدلون بالتفسير المنشود إلا بعد أن يتكلموا الجواب عن جميع أسئلتهم تعلم الاستكشاف » .

["Pour interpréter exactement un songe, les oniromanes les plus habiles s'informent de ceux qui les consultent de toutes les circonstances qu'ils regardent nécessaires pour la bonne explication .. En un mot nos oniromanes ne laissent aucune circonstance leur échapper et ne donne l'interprétation désirée avant d'avoir parfaitement su et reçu toutes les interrogations désirables."]

ومن بين الأسئلة التى يوجهها المفسرون أسئلة تهدف إلى الإنعام بأرقى صلات الحلم بلوى قرباء - والوالدين والزوجة والأبناء - كما نجد صيغاً محفوظة كهذه : " هل جامعت زوجك في هاتيك الليلة قبل الحلم أم بعده ؟ "

["Habuitis in hac nocte copulam conjugalem ante vel post somnium ?"]

" هذا والفكرة المسيطرة على تفسير الأحلام تقوم في تفسير الحلم بفسده . "

("L'idée dominante dans l'interprétation des songes consiste à expliquer le rêve par son opposé.")

(٢) نبهى الدكتور ألفريد رويشك إلى أن كتب الأحلام الشرقية التى تعد كتبنا بمجاولها سرقات حرية بالرئاء كثيراً ما تستند في تفسير عناصر الحلم إلى ما بين الألفاظ من الاتفاق والجرس أو التآكل . وضياح هذه العلاقات ضياحاً محضاً عند الترجمة هو الذى يمل استغلال بعض التفسيرات التى نجدها في كتب الأحلام الشامية بيننا . ويحد القارئ في مؤلفات هوسيكركلوز مزيداً من المعلومات عن القيمة الحاقية التى تملقها للدنات الشرقية =

ولسنا نستطيع أن نشك برهه في أن هذين المهجين الشعبيين في تفسير الأحلام لا يمكن استخدام أى منها في معالجة الموضوع معالجة علمية ، فالمنهج الرمزي محدود التطبيق ولا يمكن شرحه على أسس عامة ، وأما منهج الشفرة فكل شيء يتوقف فيه على إمكانية الثقة « بالمفتاح » ، أى كتاب الحلم ، وهنا يعوزنا كل ضمان . وهكذا قد يري المرء بأن يسلم بأن الحق للفلاسفة وأطباء النفس ، فيمحو معهم مشكلة تفسير الحلم محوًا ، باعتبارها « شروحاً خيالياً محضاً »^(١) .

بيد أنني قد تعلمت ما هو خير من ذلك ؛ فلأنى لم أجد بداً من أن أدرك أننا نواجه هنا مرة أخرى حالة من هذه الحالات غير النادرة التي يبدو فيها اعتقاد شعبي قديم قدم الزمن ، لا تتزعزع عنه النفوس أقرب إلى حقيقة الأمور من الحكم السائد اليوم في دنيا العلم . وإزام على أن أؤكد أن الحلم له في الحقيقة معناه وأن من الممكن أن يكون ثمت منهج علمي لتفسيره . وأما معرفة هذا المنهج فقد أثبت إليها من ذلك الطريق :

لقد شغلت سنوات طويلاً بتحليل بعض التراكيب النفسية المرضية ، مثل المخاوف المستبرية والأفكار الفهرية وما شاكلها ، مستهدفاً في ذلك علاجها . وشغلت بها على التحديد منذ أن علمت من كلمة هامة ليوسف بروير أن هذه التراكيب التي تعد عراضاً مرضية - يتطابق فيها التحليل والحل^(٢) . (انظر بروير وطرويد ، ١٨٩٥) .

= القديمة حل التورية والعب القفطي . وعلى مثل هذا اللعب يقوم أجمل مثال حل تفسير الحلم انحدر إلينا من الأزمنة القديمة ، وهو مثال يرويه أرتيميدوروس إذ يقول (ص ٢٥٥) : ويخيل إلى كلك أن أريتنا ندرس قد تلقى أحسن التوفيق في تفسير حلم الإسكندر المقدوني . فبينما كان هذا الأخير يحاصر مدينة تيروس (صور) وقد حاصه طيل الحصار وأطلقه ، رأى في المنام ساتيروس (كائن أسطوري) يرقص على درعه . واتفق أن كان أريستاندورس قريباً من صور ، فقد كان في محبة الملك أثناء حملته على السوريين ، فأمكنه بتضم كلمة ساتيروس إلى «هـ (سا - ك) » و «هـ (تيروس - صور) » أن يثبت الملك على الاستماتة في الحصار حتى استسلمت المدينة . " والحق أن الرابطة بين الحلم والتعبير القفطي قوية إلى درجة دعت فروني إلى أن يلاحظ بحق أن لكل لسان لغة الخلفية الخاصة ، بحيث يستحيل بوجه عام أن يترجم الحلم إلى لغة أخرى . ولا أخال إلى أن الأمر كذلك في كتاب مثل هذا الكتاب ، بيد أن الدكتور أ . أ . بريل ، من مدينة نيويورك ، وآخرين من بعده ، قد أفلحوا مع ذلك في ترجمة « تفسير الأحلام » .

(١) لقد عثرت بعد أن فرغت من هذا الكتاب على مقال كتبه ستوف اتفقت فيه آراؤه مع ما أرى إليه من التدليل على أن حلم سناء وأنه يقبل التفسير . بيد أنه يجرى تفسيراته بالاستماتة برمزية ذات طابع استعاري تخيلي ، دون أن يكون ثمت أقل دليل على جواز منهجه بوجه عام .

(٢) [Aufhebung und Lösung - والمراد هو أن الكشف عن سر هذه الحالات لا يفرق من علاجها] .

فإن أمكن اقتفاء فكرة مرضية من هذا القبيل حتى العناصر التي نشأت منها هذه الفكرة في حياة المريض النفسية ، ابحث الفكرة وخلص المريض منها . وإزاء العجز الذي لمسته في جهودنا العلاجية الأخرى ، وإزاء الطابع الملمز الذي تتسم به هذه الاضطرابات ، رأيتني أغري بالمضي في الطريق الذي دلتني إليه بروير على الرغم من كل صعوبة ، حتى ينجلى الأمر كاملاً . وسوف يتسنى لى في مناسبة أخرى أن أفصل الكلام في الصورة التي اتخذها هذا المنهج أخيراً وفي النتائج التي انتهت إليها جهودي . ولما أقول الآن : إننى إنما التفتيت بتفسير الأحلام في خلال هذه المباحث التحليلية النفسية . ذلك أن مرضاى ، بعد أن أستمهد منهم الإفضاء إلى بكل فكرة أو خاطر يعن لهم ، كانوا يقصون على أحلامهم ضمن ما يقصون ، وهكذا تعلمت منهم أن الحلم يمكن إدراجه في السلسلة النفسية التي يجب اقتفاء أثرها في الذاكرة ابتداء من الفكرة المرضية . ومن هذا إلى أن يعامل الحلم نفسه معاملة العرض وأن يطبق عليه ذات المنهج التفسيري الذي أحكم تديره للأعراض - لم يكن أمد بعيد .

وهذا العمل يقتضى بعض الإعداد السيكولوجى للمريض . فنحن نهدف معه إلى أمرين : زيادة انتباهه إلى مدركاته النفسية ، وتعليق ملكة النقد التي اعتاد أن ينخل بها ما ينبعث من أفكاره . ولكى يتمكن المريض من تركيز انتباهه في الملاحظة الذاتية فن الخبر له أن يستلقى في وضع هادئ ويفضض عينيه ، وعلينا أن نطلب منه صراحة الإقلاع عن كل نقد للأفكار التي يدركها ، ونخبره أيضاً أن نجاح التحليل مرتب بملاحظته كل ما يدور برأسه وروايته إياه دون أن ينقاد إلى قمع هذا الخاطر من خواطره لأنه يبدو له خالياً من الشأن أو خارجاً عن الموضوع ، أو إلى قمع ذلك لأنه يبدو له غير معقول . فعليه أن يقف تجاه خواطره جميعاً موقف الحياد التام ، لأنه إذا كان لا يوفق عادة إلى الإيضاح المنشود للحلم أو الفكرة القهرية أو ما إليها ، فالإخفاق مرده هذا الموقف النقدي على التحديد .

ولقد لاحظت في خلال عملى التحليل النفسى أن الوضع النفسى للمرء وهو يفكر يغير كل المغايرة وضعه وهو يلاحظ عملياته النفسية . فالتفكير يتضمن نوعاً من النشاط النفسى يزيد على المتضمن في الملاحظة الذاتية ، مهما بلل المرء في هذه من الانتباه ، وبهذا تشهد - بين سائر الشواهد - هيئة الفكر المتوترة وجبهته المتعقدة ، على نقيض التعبير الساكن لمن

يلاحظ نفسه . فى كلا الحالين يلزم تركيز الانتباه ، ولكن من يفكر يعمل ملكة النقد فوق ذلك : ينحى بعض خواطره بعد أن يدركها ويقتضب بعضها الآخر دون أن يتابع مسالك الفكر التى كانت توحى بها . ثم هو يعرف كيف يسلك حيال فريق ثالث منها مسلماً لا تبلغ معه إلى الشعور البتة : فتتجمع قبل أن تدرك . وأما الذى يلاحظ نفسه ، فليس عليه إلا أن يقمع ملكته النقدية . فإن أفلح ، تواردت إلى شعوره أفكار لا حصر لها ما كان ليحتازها بغير ذلك . وهذه المادة المكسبة حديثاً لإدراكه الذاتى على هذا النحو يمكن تفسير أفكاره المرضية وتراكيبه الحلمية على السواء . فالمسألة كما نرى هى أن نقيم حالة نفسية تماثل بعض المماثلة تلك التى تسبق النوم (وتماثل أيضاً حالة التنويم المغناطيسى من غير شك) ، من حيث توزيع الطاقة النفسية — أعنى توزيع الانتباه المتحرك . فقبيل النوم تنبعث « أفكار لا إرادية » ، نتيجة لاسترخاء نشاط إرادى معين (هو أيضاً نشاط نقدي ما فى ذلك من شك) كنا نتركه يؤثر فى مجرى أفكارنا ونحن مستيقظون . وأما سبب هذا الاسترخاء ، فنقول عادة : إنه « التعب » . وتستحيل هذه الأفكار اللاإرادية المنبثقة [قبل النوم] إلى صور بصرية وصحيفة (انظر ملاحظات شلاير ماخر وغيره فيما سبق ، ص ٨٤ وما بعدها)^(١) . وأما فى الحالة المستخدمة لتحليل الأحلام والأفكار المرضية ، فيترك المرء هذا النشاط تركاً مقصوداً متعمداً . ثم يعمل الطاقة النفسية المدخرة على هذا النحو (أو يعمل جزءاً منها على الأقل) فى الانتباه المتصل إلى الأفكار اللاإرادية التى تأخذ الآن فى الانبعاث ، والتى تظل — وهنا الفرق بين هذه الحالة وحالة الأخذ فى النوم — محتفظة بطابع الأفكار . وهكذا تحول الأفكار « اللاإرادية » إلى أفكار « إرادية » .

ويبدو أن هناك كثيراً من الناس لا يسهل عليهم الوقوف الموقف المطلوب حيال الأفكار المنبثقة « انبعاثاً حراً » فى ظاهره ، واطراح النقد الذى ألفوا ممارسته إزاءها . فمن شأن « الأفكار اللاإرادية » أن تحرك مقاومة عنيفة فى الغاية ، تهدف إلى الحيلولة دون انبعاثها . ومع هذا فالخلق الشعرى نفسه لا بد يتضمن موقفاً يماثل الذى نصفه كل مماثلة — هذا إذا أولنا التصديق شاعرنا وفيلسوفنا العظيم فردريك شيللر . فهو فى فقرة من رسائله إلى كورنر

(١) لقد أتى شلاير بتأليج هامة فى تفسير الحلم ، وذلك بملاحظة هذا التحول للأفكار إلى صور ملاحظة مباشرة (١٩٠٩ ، ١٩١٠ ، ١٩١٢) . [انظر « الظاهرة الوظيفية » فى الفهرست التحليل] .

يرجع فضل الكشف عنها إلى أوتورانك ، يرد على شكوى صديقه من افتقاره إلى القدرة الخالقة فيقول : « أعتقد أن السبب في شكوك يرجع إلى استبداد عقلك بخيالك ، وسأضرب لمعانى بتشبيه بمنزلة لك : فإن العقل إذا غالى في إكساب النظر إلى الأفكار التي ترد عليه كأنه واقف لها بالمصاد وهي لا تزال على الأبواب — إن جاز هذا التعبير — لم يكن في ذلك نفع بل لعله يعرقل عمل النفس الخالقة . فالفكرة إن أخذتها على حدة قد تبدو تافهة كل التافهة ، غريبة أقصى الغرابة ، ولكن أخرى قد تتلوها فإذا هي ذات شأن ، أو هي قد ترتبط بأفكار غيرها تلوح في مثل سخفها فإذا هي الحلقة المفقودة ، فما يستطيع العقل أن يحكم على الكل إذا هو لم يمسك بالفكرة أمداً كافياً ليتأملها مقرونة بأخرى ، وأما الدهن الخالق — فيما يبيا إلى — ففيه على العكس يرفع العقل الحراسة عن الأبواب ، تاركاً الأفكار تهجم شذر منر ، وعدثد — عندئذ فقط — يأخذ في النظر إليها وفحصها مجتمعة . وأما أنتم يا حضرات النقاد — أو أيّاً كان الاسم الذي يحلو لكم — فتستحيون — أو ترهبون — هذا الجنون العابر الموقوت الذي يعرفه كل خالق حقيقى ، والذي يفرق طول أمده أو قصره بين الفنان المفكر والحالم . ومن ثم شكواكم من العمى ، فأنتم تبهذون سريعاً وتفرقون صفاء . (خطاب الأول من ديسمبر ١٧٨٨) .

ومع هذا فما يسميه شيلر « رفع الحراسة عن أبواب العقل » ، أى التحول إلى حال من الملاحظة الذاتية التي لا يشوبها إعمال النقد ، ليس على الإطلاق بالأمر المتعذر .

فعظم مرضاى يوفقون إليه بعد سماع إرشادات الأولى ، وأنا نفسى أقوم به على أوفى وجه إذا استعنت في خلاله بتدوين الحواطر التي تمنى لى . ويتفاوت مقدار الطاقة النفسية التي تنقص من النشاط النقدي وتزداد بها شدة الملاحظة الذاتية تفاوتاً ضخماً بحسب الموضوع الذي يراد تثبيت الانتباه عليه .

وتعلمنا الخطوة الأولى في استخدام هذا المنهج أننا لا نستطيع أن نتخذ الحلم في مجموعه موضوعاً للانتباه ، وإنما الأجزاء المتفرقة لمحتواه . فلو سألت مريضاً لم يزل حديث العهد بالمنهج : ما الذى يخطر له في صدد هذا الحلم ؟ ، لم يجد في العادة شيئاً يدركه في حقله النفسى . فإن قسمت له الحلم أجزاء أمكنه أن يدلى في صدد كل جزء بطائفة من المستدعات يجوز لنا وصفها بأنها « الأفكار المستترة » وراء هذا الجزء . وهكذا يختلف منهج التفسير الذى أزاولة من المنهج الشعبى التاريخى الطائر الذكر ، منهج التفسير بوساطة الرموز ،

من هذه الوجهة الهامة الأولى ، ويقرب من المنهج الثاني « منهج الشفرة » : فهو - كهذا الأخير - يفسر الحلم جزءاً فجزءاً وليس جملة ، وهو - مثله - يعد الحلم منذ البداية شيئاً مركباً ، مجتمع مكونات نفسية شتى .

ولقد فسرت في خلال اشتغالي بالتحليل النفسي للعصابيين ما يربو على ألف حلم ، ولكني لا أريد أن أستخدم هذه المادة في التمهيد الحاضر إلى طريقة تفسير الحلم ونظريته . فهناك - بغض النظر عن كون استخدام هذه الأحلام يعرضني لقول المعترض : إنها أحلام عصابيين لا تجوز النتائج المستخلصة منها على أحلام السويين - وهناك بغض النظر عن ذلك سبب آخر يفرض على هذا الامتناع ، فمن الطبيعي أن يكون الموضوع الذي تنوق إليه أحلام مرضاي هو دائماً تاريخ المرض الكامن وراء أعصابهم ، لذلك كان كل حلم من أحلامهم يستلزم تمهيداً مسبباً وغرضاً في طبيعة الأعصاب وشرطها العلية ، وهذه في ذاتها مسائل ذات جدة ، بحيرة إلى أقصى مدى ، فقد تصرف الانتباه عن مشكلات الأحلام ، بينما أريد على العكس أن أتخذ تحليل مشكلات الحلم ذريعة إلى حل المشكلات السيكولوجية للأعصاب - وهي الأشد صعوبة . فإذا أغفلت الآن مادتي الرئيسة - أعني أحلام العصابيين - لم يعد لي أن أتعبص في الاختيار بين ما يتبقى ، فما تبقى سوى أحلام من قبيل ما يرويه لي بين الحين والحين أشخاص سويين بين معارف ، أو من قبيل تلك المساقاة على سبيل المثال في المصنفات الموضوعة عن الحياة الحاملة . ولكن هذه الأحلام جميعاً لا تصطبغ لسوء الحظ بالتحليل الذي لا أستطيع بدونه أن أكشف معنى الحلم .

فنهجى من غير شك ليس له يسر منهج الشفرة الشعبي ، حيث يترجم كل جزء من محتوى الحلم وفق مفتاح ثابت ، بل أنا أتوقع على العكس أن يكن ذات المحتوى معنى يختلف باختلاف الناس أو الملايسات . وهكذا أساق إلى أحلامي نفسي من حيث هي مادة وفيرة صدرت عن شخص قريب من السواء ، تتصل بوقائع متعلدة الألوان من حياة كل يوم . ولا مرية في أن البعض سوف يتشكك في إمكان الثقة بمثل هذه التحليلات الذاتية ، وسوف أسمع أن مثل هذه التحليلات لا تتجنب الهوى . بيد أني أعتقد أن الأوضاع قد تكون في الحقيقة أعون على ملاحظة الذات منها على ملاحظة الغير . ومهما يكن من أمر ، فلم لا نحاول أن نرى لإلام نستطيع المفنى في تفسير الحلم بواسطة التحليل الذاتي ؟ وهناك عدا ذلك صعوبات أخرى يتحتم على التغلب عليها ، صعوبات ألقيا هذه المرة في داخل

نفسى : فبالإنسان نفور طبيعى يصده عن الإفراط فى البوح بسرائر نفسه . ولا هو يضمن أن الغرباء لن يسيئوا التأويل . ولكن لا بد للمرء من أن يستطيع التغلب على مثل هذه الصعوبات . ولقد قال دليوف : « من الواجب على كل عالم نفسى أن يففى حتى بمواطن ضعفه ، إذا اعتقد أنه يلقى بذلك بعض الضوء على مشكلة غامضة » ^(١) . ثم إنى أقدر أن القارئ أيضاً لن يلبث أن يزول اهتمامه الأول بالأمور التى أراى مضطراً إلى الإفضاء بها ، ليحل محل هذا الاهتمام اشتغال مانع بالمشكلات التى يعين هذا الإفضاء على حلها ^(٢) . وعلى ذلك أمضى فأنتخب حلماً من أحلامى وأوضح طريقى فى التفسير بتطبيقها عليه ولكن كل حلم من هذا القبيل يستلزم بعض التمهيد . فلزام على الآن أن أسأل القارئ أن يجعل مشاغلى مشاغله فترة ، وأن ينغمس معى فى أدق تفاصيل حياتى ؛ فتل هذا التحل بل أمر يقتضيه اهتمامنا بالمعنى الخبيء للأحلام اقتضاء آمراً .

تمهيد

كنت فى صيف عام ١٨٩٥ أعالج بالتحليل النفسى سيدة فى مقتبل العمر كانت تربطها بى وبأسرتى صداقة وثيقة . ونفهم أن من شأن مثل هذا التداخل فى العلاقات أن يثير كثيراً من المشاعر المضطربة فى نفس الطبيب ، وبخاصة إذا كان طبيباً نفسياً . فاهتمام الطبيب الشخصى يزيد ، لكن سلطته تقل . فإن أخفق ، كان فى ذلك ما يهدد صداقته القديمة بلوى المريض . بيد أن العلاج كان قد انتهى فى هذه الحالة إلى نجاح جزئى ؛ فقد برئت المريضة من هيلتها المسترية ، لكن دون أن تبرأ من جميع أعراضها الجسمية . وكنت فى ذلك الحين لا أعلم بعد علم اليقين ما هى المعايير التى تدل على انتهاء التاريخ المرضى لحالة من حالات المستريا انتهاء لا رجعة بعده ، وكنت قد اقترحت على المريضة حلاً بدا لها غير مقبول . وبين هذا الخلاف أوقفنا العلاج ؛ لإجازة فصل الصيف . وفى ذات يوم زارنى زميل يصغرى سنّاً ، وهو أيضاً صديق من أقرب الأصدقاء إلى . وكان قد حل ضيفاً على المريضة - إرماً - وعائلتها فى مقرهم الصيفى ، فسألته عن حالها ، فأجابنى :

(١) ["Tout psychologue est obligé de faire l'avou même de ses faiblesses s'il croit par là jeter du jour sur quelque problème obscure."]

(٢) ولا أنسى مع هذا أن أقيد هنا القول فأضيف أنى لم أكد أورد ولو مرة كل التفسير الذى أمره به حلم واحد من أحلامى . وأغلب الظن أنى كنت مصيباً حين اقتضت فى الثقة بتفسير القارئ .

وحسنة ، لكنه ليس الحسن كله . وأعلم أن كلمات صديقي أوتو - أو نبرات صوته حين إلقاءها - قد ضايقني ، فقد خيل إلى أني أسمع فيها لوماً : كأن أكون وعدت المريضة بأكثر مما استطعت . وكان أني عزوت - سواء مصيباً أم مخطئاً - ما توهمته من تعصب أوتو عليّ إلى تأثير أهل المريضة الذين لم ينظروا قط بعين الرضا إلى علاجي - أو هكذا كان ينسرب إلى ظني . ولم يكن هذا الانطباع المؤلم واضحاً لي على أية حال ، كما أنني لم أبدأ ما يعرب عنه . وفي مساء ذلك اليوم كتبت تقريراً في تاريخ مرض إرما ، كنت أنوي إعطائه إلى الدكتور م . (وهو صديق مشترك كان في ذلك الوقت صاحب الكلمة المسموعة بيننا) ، كأنما كنت أريد أن أبرئ نفسي . ثم في الليل (أو في الصباح المبكر على الأرجح) حلمت بهذا الحلم الذي بادرته إلى تدوينه عقب اليقظة مباشرة ^(١) .

حلم ليلة ٢٣ - ٢٤ من يوليو ١٨٩٥

قاعة كبيرة - ضيوف كثيرون ونحن نستقبلهم - بينهم إرما ، أبادر إلى الانتحاء بها جانبا ، كأنما أريد أن أبدأ حل خطابها ، أن ألويها على كرتها لم تقبل " الحل " ^(٢) بعد . أقول لها : إذا كنت ما زلت تتألمين ، فالقلب في الحقيقة ذنبك وحلك . تجبني قائلة : لو علمت أية أوجاع أسبأ الآن في الحلق والمعدة والبطن ، إنها تستغني - أنزع وأناظر إليها . إنها تبدو شاحبة متضخمة ، أحدث نفسي : لا بد أن تمت شيئا مضربا أفكته . آخذها إلى جوار الثالثة وأناظر في حلقها . حيث تبدو بض المائنة ، شأن النساء اللاتي يحملن أسنانا صناعية . أقول لنفسي : وما بها مع هذا من حاجة إلى ذلك . عندئذ ينفتح لها كما ينبغي ، فأرى بقعة كبيرة بيضاء ^(٣) على الجانب الأيمن ، وفي موضع آخر أرى قشورا كبيرة ذات لون رمادي يضرب إلى البياض ، انتشرت فوق زوائد متجمدة ، فريبة الشكل ، كان من الجلب أنها قد صينت حل فخرار الخيشام الأنفية . - أستحي الدكتور م . حل الفور ، فبعد الفحص ويلده . . . إن الدكتور م . يبدو مختلفا من نفسه كل الاختلاف ، فهو شاحب جداً ، يمرج في شفته ، حليق الفلق . . . الآن يقف بجانبها صديق أوتو كذلك ، وصديقي ليربولد ينظر صدرها من فوق الصدر ويقول : إن تمت منطقة صلب على الجانب الأيسر إلى أسفل ، ثم ينه أيضاً إلى رقعة مرتشحة من الجلب على الجانب الأيسر (وهو ما المظهر مثله على الرغم من الرداء) . . . يقول م : لا شك في أن هذه عدوى ، ولكن هذا ليس بشيء ، سوف تعقب المستاريا وينتظر السم . . . إننا نعلم أيضاً علماً مباشراً من أين نشأت العدوى . فقد حقنها صديق أوتو منذ قريب ، وقد ساءت مصتها يوماً ، سقنة من مركب من البروبيول . . . برويلين . . . حامض البروبيونيك . . . تريبتيلامين (وهذا أرى المعادلة الخامسة بتركيب هذه المادة الأخيرة مطبوعة أمامي بحروف سمكية) . . . إن مثل هذه الحقن لا يقدم عليها المرء بمثل هذه الخفة ، وأغلب الظن أن الحقنة لم تكن نظيفة كذلك .

(١) ذلك هو أول حلم حالته تحليل مستغنيا .

(٢) "Lösung" ، ومعنى أيضاً " المحلول " .

(٣) [أسقطت كلمة " بيضاء " من طبعة سنة ١٩٤٢ وحلها وهو إسقاط مرجعه السهو من غير شك] .

إن لهذا الحلم ميزة على أحلام كثيرة غيره : فنحن نرى على الفور بأى أحداث اليوم السابق يرتبط وأى موضوع يعالج . فالكلمة التى مهدت له بها تأتى فى ذلك بالبيان : فالأنباء التى حملها إلى أوتو عن حالة إرما ، وتاريخ مرضها الذى أنهكت فى تحريره إلى ساعة متأخرة من الليل قد ظللا يشغلان نشاطى النفسى حتى بعد أن نمت . ومع هذا يعجز من ألم بالتهديد وبمحتوى الحلم عن أن يحلر معناه . ولا كنت أنا نفسى أعلمه . فأنا أعجب للأعراض التى تشكوها إرما فى الحلم ، فهى غير الأعراض التى من أجلها عالجتها . وأما هذه الفكرة الجوفاء ، عن حقنة مركبة من حامض البروبيونيك ، وكذلك كلمات الغراء الموضوعة على لسان الدكتور م . ، فكل هذه تدعونى إلى الابتسام . ثم إن الحلم يبدو لى فى نهايته أكثر إبهاماً وكثافة منه فى أوله . ولا بد ، لكى أعرف معنى هذا كله ، من أن أعقد العزم على تحليله تحليلًا دقيقاً .

التحليل

القاعة - ضيوف كثيرون ، ونحن نستقبلهم . كنا نقضى ذلك الصيف فى بلوى (١) فى منزل منعزل قام على أحد التلال الملتحقة بالكالنبرج . وكان قد قصد فى بناء هذا المنزل إلى أن يكون مكاناً للهر ، ولهذا كانت به غرف تخرج عن المألوف فى علو أسقفها ، أشبه بالقاعات . وفى بلوى أيضاً وقع لى هذا الحلم ، وكان وقوعه يسبق عيد ميلاد زوجى بأيام معدودات . وكانت زوجى قد ذكرت لى فى اليوم الذى سبق الحلم أنها تتوقع أن يزورها عدد من الأصدقاء - بينهم إرما - يوم عيد ميلادها هذا . فالحلم لاذن يسبق إلى هذا الموقف : إنه عيد ميلاد زوجى ، ونحن نستقبل ضيوفاً كثيرين - ومن بينهم إرما - فى القاعة الرجبة بمنزل بلوى .

أرما إرما لم تبق معنا لم تقبل الحل ، أقول لها : إذا كنت ما زلت تأملين ، فالذنب فى الحقيقة ذنبك وسلك . لقد كان من الممكن أن أقول لها هذا الكلام فى حياة البقطة ، أو قد أسكون قلته فعلاً . فقد كان من رأى فى ذلك الوقت (وهو رأى عرفت خطأه فيما بعد) إن مهمتى تقف عند إطلاع المريض على المعنى المستتر لأعراضه ، فأما أن يقبل المريض هذا

الحل أو ألا يقبله ، فأمر لا شأن لي فيه - وإن كان النجاح مرهوناً به . ولقد كان من فضل هذا الخطأ على (وإن أكن صحته اليوم لحسن الحظ) أنه هون على الحياة في وقت كان من المفروض فيه أن أظفر بنتائج علاجية ناجحة مع جميع ما كنت عليه من جهل محتم . بيد أني ألحظ من العبارة التي أتحدث بها في الحلم إلى إرما أنني إنما أريد قبل كل شيء أن أكون بريئاً من ذنب الآلام التي لا تزال تعانيتها : إذا كان الذنب ذنبها ، لم يكن ذنبي . أنلتمس هدف الحلم في هذا الاتجاه ؟

شكايات إرما : أوجاع في الحلق والبطن والمعدة ، كانت تختفي . كانت آلام المعدة بين أعراض مريضتي . لكنها لم تكن من أعراضها البارزة ، بل كان معظم شكواها من أحاسيس بالغثاس والاشمئزاز . وأما آلام الحلق والبطن وانقباض الحلق . فلم يكذب يكون لها نصيب في مرضها . وإني لأعجب لم قررت أن أختار هذه الأعراض في الحلم . بيد أني لا أعلم سر ذلك الآن .

لها تبدو شاحبة مضطربة . لقد كانت مريضتي متوردة اللون دائماً . إني ليساوري الشك في أن يكون شخص آخر قد حل محلها هنا .

أفزع إذ أفكر في أنني ربما كنت أهكك مرضاً عضوياً ما . إن من السهل أن نصدق أن مثل هذا الإغفال مصدر هيلة لا تنقطع عند طبيب متخصص لا يكاد يرى غير العصبيين وصار من عاداته أن ينسب إلى المستري عدداً كبيراً من الأعراض التي يعالجها الأطباء الآخرون معالجة الأمراض العضوية . وهناك من ناحية أخرى شك خالف أخذ يتسرب إلى نفسي - من أين ؟ لا أدري - هو الشك في أن يكون فزعي هذا فزعاً صادقاً كل الصدق : إذا كانت آلام إرما ذات أصل عضوي ، لم أكن - مرة أخرى - مستولاً عن شفاؤها ، فعلاجي إنما يزيل الآلام المسترية . وهكذا يخطر لي أنني ربما كنت في الحقيقة راغباً في أن يكون ثمت خطأ في التشخيص ، فحينئذ يزول غنى أيضا اللوم على الإخفاق .

أخذنا إلى جوار النافذة لكي أنظر في حلقتها . تبلى بعض المانة شأن النساء اللاتي يحملن أسناناً صناعية ، أقبل لنسى : وما بها مع هذا من ساحة إل ذلك . لم يعرض قط في علاج إرما ما يدعو إلى فحص تجويف فيها . وإنما يذكرني ما يقع في الحلم بفحص آخر أجرته منذ وقت ما : كانت المريضة مربية تبدو للوهلة الأولى صورة من صور الجمال

الغض ، فلما وجب أن تفتح فاهها ، أخذت تحتاط لكي تخفى - طقم - أسنانها .
ويسوقني ذلك إلى ذكريات أخرى عن الفحوص الطبية وما تكشف عنه من أسرار صغيرة
لا تسر طبيباً ولا مريضاً . وأما قبلي : وما بها مع هذا من حاجة إلى ذلك ، فيبدو للوهلة
الأولى إطرار لإرما : بيد أني أنصوّر له معنى آخر عدا ذلك - وإن المرء إذا عمل
انتباهه في أثناء التحليل ، أحسّ أنه استفد كل الأفكار المستترة التي يصح له توقعها
أم لا . ثم إن الوضع الذي اتخذته إرما وهي واقفة إلى جوار النافذة يذكرني فجأة برواقعة
أخرى : فقد كانت لإرما صديقة حميمة كنت أكن لها أكبر التقدير ، ثم اتفق أني زرتها
ذات مساء فوجدتها واقفة إلى جوار النافذة في الوضع الذي أحاده الحلم ، وقال طبيبها -
وكان الدكتور م . عينه - إنها تشكو من غشاء دفتيري . إن شخص الدكتور م . يظهر
من جديد في الحلم ويظهر أيضاً الغشاء . وهنا يحضر لي أني في الأشهر القليلة الأخيرة قد
دعنتي كل الأسباب إلى أن أفرض أن هذه السيدة الأخرى إنما تشكو كذلك آلاما
هسترية . لا . بل إن إرما نفسها قد كشفت ذلك لي . ولكن ما الذي أعلمه عن حالها ؟
شيء واحد على التحديد : وهو أنها تشكو اختناقاً هسترياً ، شأن إرما في الحلم . وأنا إذن
في الحلم قد استبدلت بإرما صديقتها . ويحضرني الآن أني كثيراً ما داعبتني تلك الفكرة :
إنها أيضاً - أعني صديقة إرما - قد تسألني يوماً الخلاص من أعراضها . على أني كنت
أقدر في الوقت نفسه أن هذه فكرة بعيدة عن الاحتمال ، لما كان بطبع هذه السيدة من
شدة التحفظ : إنها تمنع مثل إرما في الحلم . وسبب آخر لموقفها : وهو أنها لم تكن بحاجة
إلى ذلك ، فهي في الحقيقة قد أبدت حتى هذه اللحظة قدرة كافية على مغالبة ما بها من
غير حاجة إلى عون خارجي . وتبقى بعد ذلك بضع ملامح لا أستطيع إسنادها إلى إرما
أو صاحبها : شاحبة - منتفخة ، أسنان زائفة . فأما الأسنان الزائفة فتذهب إلى المربية
التي سبق أن ذكرتها ، وأشعر الآن أنني أستطيع أن أكتفي بهذا القسط في باب الأسنان
الرديئة . وأفكر بعدئذ في شخص آخر قد يكون في هذه الملامح ما يورث إليه : إن التي
أعني لم تكن أيضاً بين مرضاي . ولا كنت أحب أن أكون طبيبها ، فقد لاحظت منها
تحرّجاً شديداً في محضري . ولا أظنها كانت تكون مريضاً سهل القياد . إنها كانت شاحبة
اللون عادة واتفق حيناً أن بلغت معها أوجها فكانت تلوح ممثلة^(١) . وهكذا أقارن إرما في

(١) ربما كان من الممكن أن نرد إلى هذا الشخص الثالث أيضاً شكوى آلام البطن التي بقيت من غير -

الحلم بشخصين آخرين ما كانا هما أيضا إلا ليديا عاتمة في العلاج لو قد أخذنا فيه . فأى داع دعاني أن أبذل بإرما صديقتها ؟ لعله أتى كنت أرغب في هذا التبدل فعلا ؛ إما لأن الأخرى كانت تحرك في نفسى انعطافا أكبر إليها أو لأنى كنت أرفع تقديرها لذلك ، فقد كنت أراه حقيقا من إرما أنها لم تقبل الحل . فأما الأخرى فكانت تكون أكثر فطنة ومن ثم أسرع استسلاما ، حيث كان يفتح الفم كما ينبغي : إنها كانت ستفضى إلى بأكثر مما أفضت به إرما^(١) .

ما أراه في الخلق : بقية بيضاء وخياشيم عليها قشور . إن البقعة البيضاء تذكرنى بالدفترى ومن ثم بعددقة إرما . ولكنها تذكرنى أيضا بالمرض الذى أصاب ابنتى منذ عامين على التقريب وبكل الجزع الذى عانته في هذه الأيام التعبة . وأما القشور المنتثرة على الخياشيم فتذكرنى بقلتي يساورنى على صحنى نفسى . فقد كنت في هذه الأيام أكثر من استخدام الكوكايين لأخفف به تورما أنفيا ممضا ، وكنت سمعت قبل الحلم بأيام قلائل أن إحدى مرضاى حلت حذوى فأصابها نكروز واسع النطاق في الفشاء الأنفى المخاطى . ولقد كنت أول من أوصى باستعمال الكوكايين في سنة ١٨٨٥^(٢) ، وجررت على هذه التوصية ملائم خطيرة . ثم إن الإفراط في استعمال هذا الدواء قد عجل بموت صديق عزيز على . وكان موته قبل سنة ١٨٩٥ .

استمى الدكتور م . حل الفور ، فيجد الفحص ويليه . ذلك ما يتفق ومكانة الدكتور م . بيتنا . غير أن « على الفور » هذه تستلقت نظرى ، بحيث يقتضى أمرها سلاحيح . وفى من البيان أن هذا الشخص الثالث كان زوى نفسى ، وتذكرنى آلام البطن بمنسبة لخلت فيها تمريرها . ولا أجد مقرا من أن أصادح نفسى بأن لا أحسن في هذا الحلم إلى إرما ولا إلى زوى . ولكن قد نلاحظ على سبيل المنة أنى إنما أقارنها بمثال المريضة الشجاعة العليمة .

(١) إلى أحسن أنى لم أوصل تفسير هذا الحلم حتى أثار كل معنى غمى ، ولو أنى أردت أن أوصل المقارنة بين النساء الثلاث لذهب في ذلك متحبا بعيدا . إن في كل حلم مؤسسا واحدا على الأقل يخفى فيه قراءه سره - إن جاز التعبير - يرتبط منها بالمجهول .

(٢) [هذا خطأ لم يصححه فرويد في أى من الطبقات الثمان التى ظهرت في حياته . والصحيح أنه أوصى باستعمال الكوكايين في مقال نشر له عام ١٨٨٤ . ولقد يدرك المرء سر هذا الخطأ إذا قرأ الفصل السادس من الجزء الأول من كتاب جوز عن حياة فرويد ، وهو مختص لأبحاث فرويد في الكوكايين وما ارتبط بها من الأحداث . ومنه نعلم أيضا أن « الصديق العزيز » المشار إليه هو فلايشر فين ماركسوف أحد صافى ببركة في المهدي فيرولوى الذى حل في فرويد . ويجد القارئ فيما بعد إشارات أخرى متعددة إلى هذه القصة .

إيضاحاً خاصاً . إنها تذكرني بمحادثة فاجعة وقعت لي في أثناء القيام بمهنتي : فقد حدث مرة أنني كنت سبياً في أن أصيبت إحدى مريضاتي بنسب حاد ، وذلك بأن وصفت لها المرة بعد المرة دواء كان يعد في ذلك الوقت لا ضرر منه (السيلفونال) . وكان أنني هلمت إلى هذا الزميل الذي يكبرني سنّاً وحنكة ، ألتبس منه العون والسند . وهناك قرينة تؤيد أنني كنت أفكر حقيقة في هذا الحادث : فقد كانت المريضة التي أودى السم بها تحمل اسم ابنتي الكبرى . وما فكرت قط في هذا الاتفاق من قبل . ولكنه يلوح لي الآن أشبه بقصاص من القدر ، لكأنما كان من الحتم أن يواصل تبديل الأشخاص بعضهم ببعض في تلك الوجهة الأخرى : ماتيلدا هذه بماتيلدا تلك ، عين بعين وسن بسن . إنه ليدو أنني كنت ألتبس كل مناسبة أستطيع أن أؤنب بها نفسي على افتقارها إلى الضمير الطيب .

الدكتور م . شاحب الوجه ، حليق اللقن ، يعرج في شيء . جانب الصدق في ذلك هو أن الدكتور م . كثيراً ما يثير مظهره المعتل قلق أصدقائه . وأما السمعان الأخريان فإنما تصدقان من غير شك على شخص آخر : إلى أذكر هنا أخى الأكبر الذي يعيش في الخارج ، فهو حليق اللقن ، وإذا لم تكذبني الذاكرة فقد كان م . الحلم يشبهه . وكنا قد علمنا قبل الحلم بأيام قلائل أنه كان يعرج في مشيته لالتهاب مفصل في أعلى فخذة اليسرى . ولا أرى أن تمت سبياً من أجله أدمجت في الحلم الاثنين في واحد : وإلى لأذكر بالفعل أنني كنت واجداً على كليهما لأسباب متماثلة ، فكلاهما قد رفض اقتراحاً كنت عرضته عليه .

صديق أوتو يفت الآن بجانبنا بينما يفحصها صديق ليوبولد ويكشف من منطقة صباء في أسفل الجالِب الأيسر . إن صديقي ليوبولد طبيب كذلك وله بأوتو قرابة . وقد شاء القدر إلا أن يكونا غريبين ، فقد سلكا اختصاصاً واحداً وكانت المفاضلة بينهما لا تنقطع . وقد عاونني كلاهما بضع سنوات حين كنت أدير مستشفى خاصاً بالأمراض العصبية للأطفال وكانت تقع هناك مشاهد شبيهة بالتي يقع في الحلم : فبينما كنت أناقش أوتو إحدى الحالات كان ليوبولد يعود إلى فحص الطفل المريض ثم يخرج بجديد يكون له أثره الحاسم في قرارنا . وكان بين الاثنين من التباين في الطبع مثل ما بين المفتش برازييج وصديقه كارل^(١) : فأحدهما قد عرف بحضوره وتوقده ، وأما آخرهما فبطيء ، لكنه

(١) [شخيتان لسمعان في رواية كتبها فريش رويتر (١٨٦٢ - ٦٤) وكان لها ذعور عظيم

لا يترك كبيرة ولا صغيرة . وجلى أننى إذ أفاضل في الحلم بين أوتو وليوبولد الحذر فلما أبتنى من وراء ذلك إعلاء ليوبولد ، فالفاضلة بينهما أشبه بها بين مريضى العصبية إرما وبين صديقتهما التى كنت أراها أكثر رجاحة . وهأنذا ألحظ الآن أحد المسالك التى عرج عليها تداعى الخطوط فى الحلم : من الطفلة المريضة إلى مستشفى الأطفال - وأما المنطقة السماء بأسفل الجانب الأيسر فيخيل إلى أنها تطابق فى كل تفاصيلها حالة مماثلة أدهشنى فيها ليوبولد بدقته . وبذهنى أيضاً فكرة مبهمة ، هى أن هذا الكثر ربما كان وليد سروح مرضى^(١) . ولعل فى هذه الفكرة ما يلمح كذلك إلى الصديقة التى كنت أود علاجها بدل إرما ، فقد ظهرت من هذه السيدة - بقدر - ما وسعنى الحكم - أعراض تحاكى الدرن .

رقعة مرتشحة من الجلد على الكتف الأيسر . أرى على الفور أن المراد هنا هو الرومانترم الذى أعانيه فى كفى نفسى والذى لا أسهر ليلة حتى ساعة متأخرة إلا أحسته . وإن الطريقة التى ركبت بها عبارة الحلم نفسها لتتسم هى أيضاً بالاشتراك^(٢) إلى أبعد حد : « وهو ما ألحظه مثله . . . » . ألحظه فى جسمى نفسى - هذا هو المقصود^(٣) . ويتبادر إلى فحشى عدا ذلك كيف يخرج هذا التعبير : « رقعة مرتشحة من الجلد » عن المألوف ؛ فقد كان من عادتنا أن نقول : « ارتشاح بأعلى اليسار خلفا » - وهو ما يشير إلى الرئة فلى الدرن مرة أخرى .

على رغم الرداء . هذه الكلمات لا تخرج على التأكيد عن أن تكون إضافة ثانوية ؛ فنحن بالطبع كنا نفحص الأطفال فى المستشفى وهم مجردون من ثيابهم ، على عكس ما يجب اتباعه عند فحص النساء . وأذكر أنه كان يروى عن أحد الأطباء المشهورين أنه كان يجرى الفحص الجسمى لمرضاه من خلال ثيابهم . وأما فيما عدا ذلك . فلست أتميز شيئاً . والصراحة هى أننى لا أريد التعمق فى هذا الموضوع .

يقول الدكتور م : « إنها على ، ولكن ذلك ليس بشئ » سوف تغلب القستاريا ويخطو السم . ذلك ما يبدو لى شيئاً مضحكاً للوهلة الأولى . ولكن لا بد مع هذا من تحليله

(١) [اتصال اللمة من عضو لآخر] .

(٢) [اللفظ المشترك هو ما كان له معنيان] .

(٣) [والاتصال من المعنى الأول إلى المعنى الثانى يسهل فى الألمانية لعب بالألفاظ بضحك عند الترجمة ؛

ون wie er spure (بمعنى « ألحظه مثله ») لا يكاد يختلف فى النطق من verbare (بمعنى « أحس »)] .

تحليلاً مستوفى ، شأنه شأن غيره . وإلى لألمح فيه ضرباً من المعنى إذ أقرب النظر إليه . فالمرض الذى اكتشفته بالمريضة كان التهاباً دفترياً بالحلقت . وإلى لأذكر مناقشة دارت أيام مرض ابنتى حول العلاقة بين الالتهاب الدفتري الموضعى والدفتريا ، فالأخيرة هى العدوى المعمة التى تنشأ من الدفتريا الموضعية وكان ليوبولد يستدل على مثل هذه العدوى المعمة من وجود المنطقة الصماء التى يصبح تبعاً لذلك أن نعلها ناتجة عن السروح المرضى . وأما أنا فكنت أعتقد أن مثل هذا السروح المرضى لا يقع فى الدفتريا ، بل هو يذكرنى على الأكثر بالحمى الصديدية : [!]

ذلك ليس بشئ . إن المراد هو العزاء . وأما وجه الحاجة إلى العزاء فى هذا المقام ، فهو الآتى : لقد كان مضمون الجزء السابق من الحلم أن مريضتى تشكو آلاماً ترجع إلى علة عضوية خطيرة . وبهذا إلى أنى إنما كنت أبتنى من وراء ذلك أن أصرف اللوم عن نفسى ، فالعلاج النفسى لا يمكن أن يُسأل عن دوام آلام دفترية ، ولكن ينغصنى مع هذا أن أكون اخترعت لإرباء مثل هذه العلة الخطيرة لا لغاية سوى أن أبرئ نفسى ، ففى هذا تظهر القسوة كل القسوة ، وأنا إذن بحاجة إلى من يؤكد لى حسن العاقبة ، وأخل أنى لم أسئ الاختيار حين أجريت العزاء على لسان الدكتور م . بالذات . بيد أنى أسمو بنفسى فوق الحلم فى هذا الموضع ، وهذا نفسه يحتاج إلى إيضاح .

ثم لماذا صيغ العزاء فى هذه العبارة المجردة من كل معنى ؟

الاستتاريا : أسرح إلى ضرب من فكرة نظرية غامضة فحواها أن المواد السامة يمكن أن تطرد من طريق الأمعاء . أليكون أنى أريد أن أهزأ بنحسب الدكتور م . فى تصور التعليلات المستعجلة وإنشاء العلاقات المرضية غير المتوقعة ؟ إن الاستتاريا تذكرنى أيضاً بشئ آخر : فقد عانيت منذ بضعة شهور بشاب كان يعانى مناعب عجيبة تتعلق بالتبرز ، عاجلها زملاء آخرون على أنها « فقر دم مع تغذية سيئة » . وأدركت من جانبي أن الأمر يتعلق بحالة هسترية ، بيد أنى لم أرد أن أجرب معه علاجى النفسى ، وأرسلته فى رحلة بحرية . وحدث قبل الحلم بأيام أنى تلقيت لأمته خطاباً يائساً من مصر جاء فيه أن نوبة جديدة ألمت به هناك وأن الطبيب أعلن إليه أنها الاستتاريا . وأكبر ظنى أن هذا التشخيص خطأً انزلت إليه زميل غير عليم ترك الهستريا تمكراً به ، ولكنى لا أستطيع مع ذلك أن أجنب نفسى اللوم على أنى جعلت المريض فى موقف قد تُصاب منه أمعاؤه بمرض عضوى فوق

مرضها المسترى . وفوق ذلك فلفظ « دستريا » يشبه في الجرس « دفتريا » - وهو اسم نحس لا يعرض ذكره في الحلم .

نعم ، هو هذا من غير شك : لأننى أسخر من الدكتور م . إذ أجرى على لسانه هذه النبوة المعزية : سوف تعقب الدستاريا . . . إلخ - فأنا أذكر أنه نفسه - قبل ذلك بسنوات - قد روى مرة وهو يضحك قصة جد مماثلة عن زميل من الزملاء : فهو - أعنى الدكتور م . - قد دعى مرة لينشاور وهذا الزميل في شأن مريض اشتد به العلة اشتداداً خطيراً . وأحس الدكتور م . أن الواجب يقتضيه أن ينبه زميله - وكان يدوجم التفاضل - إلى أنه قد وجب - ببول المريض مادة الألبومين . ولكن الزميل أبى أن يأبه لذلك وأجاب هادئاً : « ذلك ليس بشيء يا سيدى العزيز ، فلسوف ينطرد الألبومين سريعاً ! » وهكذا لا أملك التشكك بعد الآن فى أن هذه الفقرة من الحلم تحوى فى طياتها استخفافاً بالزملاء الذين لا يعلمون أمر المستريا . وهما هى ذى فكرة أخرى تجول الآن بخلدى كأنما أريد بها أن تؤيد هذا الرأى : أيعلم الدكتور م . أن الأعراض التى تشكوها مريضته مديقة لإرما - والتى تحدوه إلى خشية السل ، إنما تنبعث هى أيضاً من المستريا ؟ أتراه تضح المستريا ، أم تراها ضحكت عليه ؟

ولكن أى دافع يدفعنى إلى أن أسمى إلى هذا الصديق كل هذه الإساءة ؟ الجواب من : ذلك أن « الحل » الذى أرتأيه لإرما لا يلقى من قبول الدكتور م . إلا ما يلقاه من إرما نفسها . وهكذا أكون انتقمتم فى هذا الحلم من شخصين : من إرما حين أقول : إذا كنت ما زلت تأملين . فالذنب ذنبك أنت . ثم من الدكتور م . بمنطوق العزاء المجرد من المعنى الذى وضعته على شفثيه .

إننا نلم أيضاً علماً مباشراً من أين نشأت العدوى . هذه المعرفة المباشرة فى الحلم مدعاة إلى العجب ، فما كنا نعلم من أمرها شيئاً منذ هتية . إذ كان ليوبولد أول من اكتشف وجود العدوى .

حقها صديق أوتو منذ قريب حين ساءت صحتها يوماً . لقد روى لى صديقى أوتو حقيقة أنه قد استدعى يوماً فى أثناء إقامته القصيرة مع أسرة إرما إلى فندق مجاور ليحشن شخصاً ساءت صحته فجأة . وتذكرنى الحقن مرة أخرى بصديقى التمس الذى سم نفسه بالكوكاكين . لقد كنت أوصيته باستعمال هذا الدواء من الباطن فحسب (أى من طريق الفم) بعد

ابتداء التخلص من المورفين . ولكنه بادر إلى حقن نفسه بالكوكايين .

مركب من البروبيل ... بروبيلين ... حامض البروبيك . كيف اتفق لى التفكير في ذلك ؟ لقد حدث في الأسبوع السابقة - قبل أن أكتب تاريخ الحالة المرضية ويأتيني هذا الحلم - أن فتحت زوجتي زجاجة شراب كيب عليها « أناناس »^(١) وكانت هذه الزجاجة هدية من صديقنا أونو ، فقد كان من عادته أن ينهر كل مناسبة لكي يرف هداياه . والأمل أن يرقى يوما بزواج فيبراً من هذه العادة^(٢) . وكانت تفوح من هذا الشراب رائحة زيت الفوزل . حتى إنني امتنعت عن مذاقه . وخطر لزوجي أن تعطى الحلم هذه الزجاجة ، ولكنني كنت أكثر حنناً منها ، فأجبتها بهذه الملاحظة الإنسانية : هم أيضاً لا يجب أن يتسمموا . وعلى أن رائحة زيت الفوزل (آميل ...) قد استدعت هذه السلسلة كلها : بروبيل ، ميتيل ، وما إليها - وهو ما يعلل ورود مركب البروبيل في الحلم . صحيح أنني أجريت هنا بعض التبديل . فحلمت بالبروبيل بعد أن شممت الأميل . ولكن مثل هذه التبديلات قد تجوز في الكيمياء العضوية بخاصة .

تريبتلين . لقد رأيت في الحلم المعادلة الكيميائية لهذه المادة . وهو ما يشهد بمجهود عظيم من جانب ذاكرتي . ثم إنني رأيتها مطبوعة بحروف سمكية ، كأنما أريد أن ينصّ لها على أهمية خاصة في هذا السياق . فلألام يسوفي التريبتيلامين الذي يفرض على انتباهي على هذا النحو؟ إلى حديث دار يوما بيني وبين صديق كان يعلم كل شيء عن مؤلفاتي وهي في طور النشر كما كنت أعلم منه المثل^(٣) . فني خلال هذا الحديث أفضى إلى صديقي بأرائه في كيمياء العمليات الجينية وكان يبين ما ذكره لي أن التريبتيلامين - على ما يعتقد -

(١) وهناك بعد ذلك جناس ملحوظ بين « أناناس » واسم عائلة مريضتي إرما .

(٢) [هاش أضيف في عام ١٩٠٩ ثم حُلت ابتداء من عام ١٩٢٥] . لم يكن الحلم نبيا من هذه الناحية ، ولكنه كان كذلك في ميدان آخر : فالآلام التي كانت تعانيها مريضتي إرما " من غير حل " والتي كنت حريصاً كل هذا الحرس على ألا آلام عليها قد ثبت أنها كانت العلامة الأولى على اضطراب خطير ناجم من حصوة في كيس الصفراء .

(٣) [الصديق الذي تذهب إليه هذه الإشارة هو فيلهلم فليس ، وكان اختصاصيا في أمراض الأنف والحنجرة في مدينة برلين ، ولكن اهتماماته شملت ميدان علم الحياة بأجسه ، وكانت له في هذا العلم نظريات أقل ما يقال فيها هو أنها كانت تنتم بالفراية . ولكني تعرف شيئا عن هذه النظريات ومن صلة صاحبها بفرويد وأثره في حياته ، فلا مدنى من قراءة رسائل فرويد إليه التي نشرت أخيراً مع ملقمة كتبها إرنست كريس (فرويد ١٩٥٠) . هذا سوف يكثر ذكر هذا الصديق في خلال الصفحات القادمة ، دين الإشارة إلى اسمه أو مشاراً إليه بحرف اللام] .

أحد المواد الناتجة عن الميتابوليزم الجنسي . وهكذا تسوقى هذه المادة إلى الحياة الجنسية ، وهى العامل الذى أعزوا إليه أكبر الأهمية فى نشوء الاضطرابات العصبية التى أروم علاجها . ومريضى إرما أرملة فى مستقبل العمر ، فلو سُئلت عنراً أبرد به لإنخاف علاجى ، ما وجدت خيراً من الاحتجاج بهذا الوضع الذى يود أصدقائها لو تغير . ولكن يا للعجب تركيب مثل هذا الحلم ! فالمرأة الأخرى - تلك التى جعلتها مريضى بدل إرما - أرملة شابة هى الأخرى .

إنى أحذر الآن لم أبرزت معادلة التريمتيلامين كل هذا الإبراز فى الحلم ؛ فكلم من أمور ذات بال تلتقى فى هذه الكلمة الواحدة ! إن التريمتيلامين لا يشير إلى الحياة الجنسية بسلطانها الغلاب وحسب . إنه يلمع فوق ذلك إلى صديق يسعدنى أن أذكر تأييده كلما أحست عزلى الفكرية . وصديقٌ هذا شأنه فى حياى ، ألا يكون من المهتموم أن يتردد فى الحلم ذكره ؟ نعم . إن له إلماً خاصاً بعواقب أمراض الأنف وجيوبه . وهو قد كشف للعلم عن علاقات جديدة بأكبر الإعجاب بين خياشيم الأنف وعضو الإنسال عند الأنثى (الزوائد الثلاث المتجمدة فى حلق إرما) . ولقد جعلته يمحس إرما مرة ليرى هل كان لأوجاع المعدة عندها أصل أنى . ولكنه نفسه يشكو التهاباً صديدياً فى الأنف يثير القلق فى نفسى ، وإلى هذا توفى من غير شك الحمى الصديدية التى طاف ذكرها بخلدى فى صدد السروح المرضى المذكور فى الحلم .

إن الإنسان لا يقم على مثل هذه الحقن بمثل هذه الخفة . هنا يوجه اللوم على الخفة إلى صديقى أوتو مباشرة . وأعتقد أن خاطراً من هذا القبيل قد طرأ على بعد الظهور حين خيل إلى من كلماته ونظراته أنه يتعصب على ، كأنما قامت : ما أسهل التأثير فيه ! بأى خفة يرسل أحكامه ! - وفوق هذا . تذكرنى هذه الحملة من جديد بصديقى المتوفى الذى التجأ إلى حقن الكوكايين من غير ترو ، فافكرت على الإطلاق - كما قلت من قبل - فى أن يأخذ هذا الدواء حقناً . وألاحظ أيضاً أنى إذ ألوم أوتو على نزقه فى استخدام المواد الكيميائية ألس مرة أخرى قصة ماتيلدا التعمسة ، وهى القصة التى تعرضنى لهذه المؤاخذة عينا . وجل أنى أجمع هنا الشواهد على حساسية ضميرى ، ولكنى أجمعها أيضاً على العكس .

وأغلب الظن أن الهفتة لم تكن نظيفة كذلك . ذلك لوم آخر يوجه إلى أوتو ، ولكنه

لوم مختلف المصدر . فقد اتفق أنى قابلت فى اليوم السابق ابن سيدة عجوز فى الثانية والثمانين من عمرها . كنت قد كلفت بحقنها حقنتين من الموفين كل يوم . وكانت السيدة تقيم فى الريف حين قابلت ابنها . فأخبرنى أنها تعاني التهاباً وريدياً . فخطرلى على الفور أن الأمر ربما كان ارتشاحاً نجم عن حقنة قذرة . فقد كان من أسباب فخارى أننى لم أسبب لها ارتشاحاً واحداً خلال سنتين . فنظافة الحقنة هى همى الدائم : لأننى - وذلك هو بيت القصيد - ذو ضمير . وتعود فى الذاكرة من الالتهاب الوريدي إلى زوجى الذى اشتكت مرة من انسداد وريدى أصابها فى إحدى فترات الحمل . وهنا تمثل فى ذاكرتى ثلاثة مواقف متماثلة مع زوجى وإرما وماتيلدا المتوفاة . وواضح أن تماثل هذه المواقف هو الذى خول لى فى الحلم تبديل هذه الوجوه الثلاثة فيما بينها .

• • •

الآن أكلت تفسير الحلم^(١) . وكنت وأنا ماض فى هذا التفسير أجهد ما استطعت فى تجنب الأفكار التى لم يكن مفر من أن توحىها المقارنة بين محتوى الحلم والأفكار الكامنة وراءه . وفى هذه الأثناء أشرق فى ذهنى « معنى » الحلم . لقد لاحظت أن ثمت مأرباً وأن هذا المأرب قد صار فى الحلم شيئاً واقعاً ، وهو هو الذى كان لا محالة دافعى إلى الحلم . فالحلم يحقق بضع رغبات أثارها فى نفسى أحداث الأهمية السابقة : الأبناء المتلفعة من أوتو وتاريخ الحالة المرضية الذى دونته . وحاصل الحلم هو أننى برىء من شكاة إرما المستمرة ، فإنما المذنب أوتو . والحقيقة هى أن أوتو قد أثار حفيظتى إذ أشار إشارته إلى شفاء إرما شفاء غير تام . والحلم يثار لى إذ يرد اللوم إليه . ثم هو يعفىنى من كل مسئولية فيما عليه إبرما إذ يرد حالها إلى عوامل أخرى - وهو يبتدع هنا طائفة كاملة من التعليقات . الحلم - إذن - يصور وضعاً من أوضاع التصوير الذى أحب : إن محتواه يحقق رغبة والداه إليه رغبة .

كل هذا يقتحم العين . ولكن تفاصيل الحلم كذلك يدنو الكثير منها للفهم إذا نحن نظرنا إليه من وجهة تحقيق الرغبة . فأننا لا أثار من أوتو لتعجبه فى التعصب على وحسب ، رامياً إياه بالهور فى علاجه (الحقنة) ، بل أثار منه كذلك للشراب الرديء الذى يفوح منه زيت القوزل ، وأجد فى الحلم تعبيراً يوحد الملامتين : حقنة من مركب البروبيل .

(١) وإن كان من المفهوم أننى لم أرو كل ما خطر لى فى أثناء عملية التفسير .

ثم لا يكفني ذلك . فأمضي في انتقاي . فأفاضل بينه وبين منافس ثقة عنه . كأنما أبتغي القول : إنه أحب إلى منك . ولست أصعب جام غضبي على أوتو وحده . بل أنتقم أيضاً من مريضتي العاصية إذ استبدل بها أخرى أعقل وأطوع . بل الدكتور م . نفسه لا أنسى له معارضته إياي ، بل أريه بإشارة لا تخفى أنه لا يفقه من الأمر شيئاً (هـ) سوف تعقب الدستاريا ... إلخ) . وإنه ليبدو لي أنني أتحول عنه إلى حكم آخر أوسع معرفة . مثلما تحولت من قبل عن إرما إلى صديقها وعن أوتو إلى ليوبولد . لكأنني أقول : أبعدها عني هؤلاء الثلاثة وآتوني بثلاثة أنقسم من غيرهم . ترتفع عني هذه الملامات التي لا أريدها مستحقة ثم هذه الملامات ذاتها لا يلبث أن يساق البرهان في الحلم على بطلانها ، مسبها كأكثر ما يكون الإسهاب : فألام إرما لا تقع علي ، بل هي الملوثة ، لأنها ترفض حتى . ثم ما شأني وآلام إرما وهي بطبيعة عضوية . فلا يشفيها علاج نفسي ؟ ثم إن في ترميل إرما التعليل الكافي لدائها (التريبتيلامين ١) . ولا حول لي على تغيير هذا الوضع . ثم إن علة إرما قد ولدتها حقنة من مادة غير مناسبة ، لم يأخذ أوتو فيها بالحذر — وهو أمر ما كان ليصدر عني قط . ومرض إرما — مثل التهاب الوريدى الذى أصاب مريضتي العجوز — منشؤه حقنها بإبرة قذرة ، وأنا الذى ما أضرت حقنة أحداً قط . ولا يفوتني بالطبع أن هذه التعليلات لمرض إرما لا تتفق فيما بينها وإن اتفقت على تبرئتي ، بل إن كلامها يمنع غيره . فالدفاع كله — وما هذا الحلم إلا دفاع — يُذكر برجل أنهم جاره بأنه اقترض منه قدراً ثم أعادها بعد أن أفسدها . فأجاب الرجل بأنه قد أعاد القدر على خير حال — هذا أولاً — ثم إن القدر — ثانياً — كانت مثقوبة حين استعارها . ثم هو — أخيراً — لم يستمر شيئاً على الإطلاق . والنفع في الإكثار : فلو لم تجز من حجج الرجل إلا واحدة . لكننى ذلك أن يخلى سبيله .

وفي الحلم فكر أخرى تشارك في بنائه دون أن تكون لها مثل هذه الصلة الواضحة برغبتى في أن أُبرأ من مرض إرما : مرض ابنتي ومرض سميتها ، الأذى الذى جره الكوكابين ، إصابة مريضتي المسافر بمصر . قلتي على صحة زوجي وأخى وصحة الدكتور م . شكاياتي نفسى ، قلتي على صديقي الغائب وهو يعانى التهاب الصديدي الأمنى . ولكننى إذا نظرت إلى كل أولئك رأيتهم مجتمع في دائرة فكرية واحدة عنوانها : القلق على الصحة ، لنفسى ولغيرى . الضمير المهنى . وإنى لأذكر إحساساً أليماً غامضاً خالجتني حين أثنائي أوتو بأنائه

عن إرما . وفي مقدورى الآن - وقد سمرت هذه الطائفة من الأفكار التى كان لها فى الحلم نصيبها - أن أرجع إلى هذا الإحساس العابر فأثبتته فى كلم . إلى كنت كأنما أسمعه يقول لى : أنت لا تأخذ تبعاتك الطبية مأخذ الجذ . أنت لا ضمير لك ، أنت لا تنجز ما تعد . وكان أن وائتنى هذه الطائفة من الأفكار لكى أتمكن بها من تبيان أى ضمير مرهف هو ضميرى . ولم أحرص على صحة ذوى وصحة أصدقائى ومرضى : وحرى بالملاحظة أن هذه المادة قد حوت كذلك أفكاراً تؤيد اتهام صديقى أوتو أكثر مما تبرئى ، إنها مادة محايدة - إن جاز التعبير . ولكن هناك مع ذلك رباط لا ينفى بين هذه المادة الأوسع نطاقاً والتى ينهض عليها الحلم وبين الموضوع الأضيق الذى يعالجه هذا الحلم والذى نشأت عنه الرغبة فى البراءة من كل ذنب فى مرض إرما .

ولست أريد أن أقول : إلى كشفت معنى هذا الحلم كشفاً كاملاً أو أن تفسيره يخلو من الثغرات .

لقد كان يسنى أن أفرغ له مزيداً من الوقت وأن أخرج منه بمزيد من العلم وأن أناقش فى صدره مشكلات جديدة ما زال يثيرها . وأنا نفسى أعلم ما هى المواضيع التى ينبغى تتبع المستدعيات الفكرية الجديدة ابتداء منها . ولكن توقفنى دون واصله التفسير اعتبارات تظهر فى صدر كل حلم . فإن أحس البعض بنفسه مسارة إلى استنكار مثل هذا التحفظ منى . كفاء أن يحاول غلبتى فى الصراحة . فأما أنا فأقنع فى الوقت الحاضر بتلك المعرفة المفردة الجديدة : إذا سرنا على منهج تفسير الحلم المبين فى هذه الصفحات ، رأينا أن الحلم له فى الحقيقة معنى وأنه بعيد غاية البعد عن أن يكون مظهرًا لنشاط غنى متجزئ ، كما يريد المؤلفون : إذا تم التفسير تبين أن الحلم تحقيق رغبة^(١) .

(١) [فى خطاب إل غليس بتاريخ ١٢ من يولية ، ١٩٠٠ يتحدث فرويد من حياة الأسرة فى بلن

ثم يردف قائلا :

" أنظر أن لوحا من المرمر سوف يعلق يوما على هذا المنزل وقد نقشت عليه تلك الكلمات ؟ -

فى هذا المنزل ، فى ٢٨ من يولية ، ١٨٩٥

كشف سر الأحلام

للككتور سيجموند فرويد

إن الأصل فى ذلك يلوح ضمينا فى الوقت الحاضر "] .

الحلم تحقيق رغبة

لو أن رجلاً ضرب في متعطف ضيق ثم إذا هو يستوى فوق قمة عالية تنشعب منها الطرق وينتشر الأفق ثرباً في كل اتجاه . لكان من الأوفى للرجل أن يتمهل برهة ليتدبر في نفسه ما هي مقبلة عليه . وحالنا وحال هذا الرجل سواء . بعد أن استتب لنا أول تفسير فسر به حلم ما . فنحن نقف ونور الكشف المباحث بفمنا . فالحلم ليس بالأصوات الناشئة تنبعث من معزف قرعته قوة خارجة لا يد الموسيقى . والحلم ليس خلواً من المعنى ولا فاسده ، ولا هو يدعنا نفترض أن فريقاً من أفكارنا المختزنة ينام بينما يصحو فريق . إنه ظاهرة نفسية صادقة كأصدق ما تكون الظاهرة النفسية : إنه تحقيق رغبة ، والطريق موصول بينه وبين ما نعقل من نشاطات النفس في بقلتنا . وبنائوه من صنع نشاط ذهني على كبر من التعقيد . بيد أننا لا نكاد تأخذ في الابتاج لهذا الكشف حتى يهجم علينا سيل من الأسئلة : فإذا كان الحلم يمثل رغبة محققة — كما يحدثنا به التفسير — فما مآل الصورة العجيبة التي يتخلها هذا التحقيق ؟ أى تغيير ينال أفكار الحلم قبل أن تحول إلى الحلم الظاهر الذي نذكره في بقلتنا ؟ كيف يقع هذا التغيير ؟ من أين تأتي المادة التي تحول إلى حلم ؟ وما أصل الخصائص الكثيرة التي نستطيع ملاحظتها في أفكار الحلم — كقبولها التناقض مثلاً ؟ (انظر مثال القدر المستعارة ص ١٤٧) . هل يستطيع الحلم أن يعلمنا شيئاً عن عملياتنا النفسية الباطنة ؟ هل يستطيع معنواه أن يصحح آراء كنا نعتقد صدقها في أثناء النهار ؟ إلى أى مدى نرى أن ندع جانباً جميع هذه الأسئلة في الوقت الحاضر . وأن نتقدم ببحثنا في طريق واحدة : لقد رأينا أن الحلم يحقق رغبة . فواجبنا الآن هو أن نبحث هل هذه خاصية مشتركة بين الأحلام جميعاً أو هو اتفاق عرضي في محتوى ذلك الحلم الجزئي الذي به بدأنا تحليلنا (حلم حفنة لإرما) . فلقد تقبل التسليم بأن لكل حلم معناه وقيمه النفسية . ولكن من الواجب مع ذلك أن نترك مكاناً لإمكان تفاوت هذا المعنى بتفاوت الأحلام . فحللنا الأول قد حقق رغبة ، ولكن قد يجيء ثان فلذا هو يحقق مخالفة ، أو ثالث فلا يخرج

محتواه عن أن يكون فكرة ما . أو رابع يستحضر إحدى الذكريات وحب . أهناك إذن أحلام رغبة أخرى عدا هذا الحلم ، أم لعله لا وجود لأحلام سوى أحلام الرغبة ؟

إن من السهل أن نتبين أن تحقيق الرغبة كثيراً ما يرد في الأحلام سافراً غير خاف ، حتى إن المرء ليعجب لأن لغة الأحلام لم تفهم منذ زمن طويل . إليك مثالا على ذلك أستطيع إحدائه كلما شئت . كأنما كان ذلك بالتجريب : إذا أكلت في الليل أنشوجة أو زيتونا أو غيرها من الأطعمة الشديدة الملوحة ، أحسست في الليل العطش وأيقظني هذا الإحساس . ولكن هذه البقطة تجيء دائماً في أعقاب حلم لا يختلف محتواه ، ومحتواه أني أشرب : أشرب جرعات كبيرة من الماء ، ولما حلو المذاق كما يحلو السلسيل والحلق جاف . عندئذ أستيقظ وأراني حقيقة مسوقاً إلى تلمس الماء . فالمناسبة الداعية إلى هذا الحلم غير المعقد هي العطش الذي أحسه حين أستيقظ . ومن هذا الإحساس تنبعث الرغبة في الارتواء . وهذه الرغبة يصورها الحلم متحققة . وهو إذ يفعل يؤدي وظيفة أحذرهما على الفور : فأنا أنام نوما عميقاً ولم آلف أن توقظني حاجة من حاجات الجسد . فلو قد أفلحت في أن أسكن عطشي بحلم أراني فيه شارباً ، لأغثاني ذلك عن الاستيقاظ لإرضاء لهذا العطش ، فهذا الحلم حلم أخذ بالتي هي أسهل : لقد حل الحلم محل العمل - كما يقع أيضاً في غير ذلك من مواقف الحياة . ومن سوء الحظ أن الحاجة إلى الماء إرواء لعطشي لا يمكن إشباعها بحلم مثل ظمئى إلى الثأر من صديق أوتو ومن الدكورم . ولكن حسن القصد في الحالتين واحد . وحدث منذ وقت غير بعيد أن اتخذ هذا الحلم نفسه صورة مختلفة بعض الاختلاف . فقد أدركني العطش قبيل النوم فأفرغت في جوفى كوباً من الماء أضعه على منضدة صغيرة بجوار سريري ، ولكن العطش عاودنى في خلال الليل بعد ذلك بساعات واستعج ما يستعج من إزعاج . فكان على أن أردت لغلنى ارتواء أن أنهض باحثاً عن الكوب الموضوع على مائدة زوجي . وعلى ذلك أتاني حلم مناسب للمقام ، فرأيت زوجي تقدم إلى وعاء به شراب . وكان الوعاء جرة خزف إترورية^(١) من قبيل ما يحفظ فيه رماد الموتى بعد إحراقهم . كنت قد جلبتها معي من رحلة إلى إيطاليا ثم أهديتها إذ ذاك إلى البعض . ولكن الماء كان مالح المذاق (وجلي أن ذلك من أثر الرواد) . حتى

(١) [نسبة إلى إتروريا ، وهي المنطقة من إيطاليا المسماة اليوم توسكانيا ، وبها استقر قوم يظلب أنهم من أصل آري ، وأتهم وفدوا إليها من آسيا الصغرى ، وكانت لهم حضارة رفيعة منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد] .

إنني استيقظت . ولا يفوتنا أن نلاحظ كيف سهل هذا الحلم الأمور على أوفق وجه . ففرضه الأوحدهوأن يحقق رغبة ، ومن ثم جازله أن يكون أنانياً مطلق الأنانية . والحق أن حب السهولة لا يستقيم ومراعاة الآخرين . والراجع أن إدخال الجرة الخفية في الحلم كان يحقق أيضاً رغبة : فأنا أسف على أن هذا الإناء قد خرج من حوزتي - كما يخرج من متاولي الإناء الموضوع على مائدة زوجي . والجرة برماها تنشق أيضاً وإحساس المذاق المالح الذي كان آخذاً إذ ذاك في الاشتداد والذي أعلم أنه موقظي لا محالة^(١) .

وكانت أحلام السهولة هذه تقع لي كثيراً في شبابي ، فقد كان من عادتي دائماً أن أعمل حتى ساعة متأخرة من الليل وكان الاستيقاظ المبكر أمراً صعباً على دائماً . فكنت أحلم حينئذ أنني قد غادرت الفراش . وأقف بجوار الحوض أغتسل . ونفى عن البيان أنه لم يكن في مستطاعي أن أتمادى في التغافل عن الواقع إلى غير حد . ولكنني كنت أظفر في هذه الأثناء ببرهة من النوم . وحلثني زميل شاب ، كان يشاركني هذا الغرام بالنوم على ما يبدو ، عن حلم كسل من هذا القبيل . اتخذ عنده صورة فريدة في طرافها . ذلك أن هذا الزميل كان قد طلب إلى السيدة التي يقيم بدارها قريباً من المستشفى أن توقظه في ساعة محددة كل صباح . وكان ذلك أمراً مشدداً ، ولكن السيدة لم تلبث أن تبينت أن تنفيذه لم يكن بالأمر المين . وفي ذات صباح لاح له النوم فريداً في حلاوته ، وجاءت السيدة تصيح وهي بالباب : « يا سيد يبي استيقظ ، لقد جاء وقت الذهاب إلى المستشفى » . فكان جوابه حلماً رأى فيه أنه نائم في إحدى حجرات المستشفى وقد علقت فوق سريره لافتة خط عليها : « يبي ه . طالب طب . ٢٢ سنة » فكان أن حدث نفسه - وهو ما زال بجلهه - قائلاً : « لا حاجة بي إلى أن أذهب إلى المستشفى ما دمت هناك » - ثم تقلب في فراشه ومضى في نومه . وهكذا اعترف اعترافاً صريحاً بدفاعه إلى الحلم .

(١) عرف فيجانت أيضاً بقرع أحلام العطش هذه ، فهو يقول : (٤١١٨٩٣) : « وهذا الإحساس بالعطش هو الذي يملك أقد إدراك ، وهو يثبت دائماً على تصور الارتواء . وأما الطريقة التي يصور بها الارتواء في الحلم ، فتختلف وتتبدل صورتها الخاصة من إحدى الذكريات القريية . وظاهرة أخرى مطردة الوقوع في هذا المجال : هي أن فكرة إرواء العطش لا يلبث أن يتلوها للشعور بالحمية؛ لقلعة غناه هذا الارتواء الوهمي . » إلا أن فيجانت يغفل المنزى الكل الذي تنضه استجابة الحلم إلى المنبه . هذا ، وإذا كان بعض الناس قد يدرهم العطش في أثناء الليل فيستيقظون دون أن يحلموا ، فذلك ليس اعتراضاً على تجربتي ، وإنما هو دليل على أن هؤلاء الناس أرباباً نوماً من طيرهم . - انظر سفر إسماء ، الإصحاح ٢٩ ، ٨ : « ويكفي كما يحل الخائف أنه يأكل ثم يستيقظ وإذا نفسه فارغة . وكما يحل العطشان أنه يشرب ثم يستيقظ وإذا هو راجع ونفسه مشبعة » .

وها هو ذا حلم آخر فيه كذلك أحدث المنبه فعله في خلال النوم نفسه . فقد أمر الأطباء إحدى مريضاتي - وكانت قد أجريت لها عملية في الفك لم تنصب النجاح المأمول - بأن تضع على خدنها المصاب جهازاً مبرداً . ليلاً ونهاراً . ولكنها كانت لا تكاد تنام حتى تسارع إلى إلقائه . وسئلت ذات يوم أن أعفها بعض التعنيف على مسلكتها هذا ؛ فقد رمت جهازها مرة أخرى . ولكنها أجابني قائلة : « الحق أني لم أكن أملك حيلة فيما وقع هذه المرة ، وإنما المستول حلم حلمته في الليل . فقد رأيتني في شرفة بدار الأوبرا وقد أخذ المشهد بلبي ، ولكن الهر كارل ماير كان راقداً في المستشفى وهو يشكو ألماً في فكه مر الشكوى . فقلت لنفسي : لا حاجة لي إذن إلى هذا الجهاز ما دمت أنا لا أعاني ألماً . وكان أني رمت الجهاز » . إن حلم هذه الشاكية المسكينة يبدو تصويراً أميناً لعبارة شائعة ترد على اللسان عفواً حين يرى الإنسان نفسه في موقف لا يحسد عليه : « الحق أني كنت أستطيع أن أتصور ما هو ألطف من ذلك » ؛ فالحلم إنما يصور هذا الألفظ ، فقد كان الهر كارل ماير الذي حولت إليه الحاملة أوجاعها آخر شاب يمكن أن ينتج إليه تفكيرها بين من تعرف .

وبمثل هذه السهولة نستطيع أن نتبين تحقيق الرغبة في أحلام أخرى جمعتهما من أناس أصحاء . فقد قال لي يوماً صديق كان يعرف نظرياتي في الحلم وتحدث بها إلى زوجه : « سألتني زوجي أن أخبرك أنها حلمت بالأمس أن الحيض قد جاءها . لعلك تعلم ما معنى ذلك » . وبقينا أني أعلمه : فإن تحلم هذه الزوجة الشابة بأن الحيض قد جاءها . معناه أن الحيض قد انقطع . وأستطيع أن أتصور أنها كانت تود لو استمنت بحريتها بعضاً آخر من الوقت قبل أن تبدأ تكاليف الأمومة : إن الحلم كان طريقة ماهرة في الإنباء بحملها الأول . وكتب إلى صديق آخر يقول : إن زوجه قد حلمت منذ قريب بأنها تلاحظ بقاءً من اللبن على صدرها . وهذه أيضاً بشرى تنبئ بالحمل ولكنه ليس الحمل الأول : فالأم الشابة تأمل أن تدر لرضيعها الثاني أكثر مما أدت لرضيعها الأول .

وظلت سيدة شابة أسابيع طويلاً بمعزل عن المجتمع ، لأنها كانت تتعهد ابنها المريض مرضاً معدياً . فلما كسب له الشفاء . حلمت بمجلس التقت فيه بالفونس دوديه وبورجيه ومارسيل بريفو وغيرهم من الكتاب . وكان لطف الجميع تجاهها غاية ، وسروا عنها أجمل تسرية . وكانت للمؤلفين المحذمين ملامح كالتى لهم في صورهم ، إلا مارسيل بريفو

الذى لم تكن قد رأت صورته ، فقد كان يشبه . . . موظف وزارة الصحة الذى يجر غرفة المريض يوم أمس وكان أول زائر يزورها منذ وقت طويل . وهكذا يبدو أن فى الإمكان أن نترجم هذا الحلم ترجمة وافية : لقد آن أوان الانصراف إلى شيء أكثر تسلية من هذا القمريض الأبدى .

لعل هذه المقطعات كافية أن ترينا أننا نجد فى أحيان كثيرة جداً وبين ملايات على أشد ما يكون اختلافاً - أحلاماً لا تترك مجالاً لفهمها بغير كونها تحقق رغبة . أحلاماً يسفر محتواها عن فحواها فى غير خفاء . إنها فى الأغلب أحلام قصيرة غير معقدة تباين التأليف الجمالية المشوشة المسببة التى جذبت بنوع خاص انتباه المؤلفين مابينة حسنة الوقع . بيد أن جهدنا لن يفيج مع ذلك هباء إذا نحن وقفنا عند هذه الأحلام غير المعقدة بعض الوقت . ولنا أن نتوقع أبسط صور الحلم عند الأطفال ؛ فلا شك فى أن نتائج نشاطهم النفسى أقل تعقيداً من نظيراتها عند الراشدين . واعتقد أن من المقدر على علم نفس الطفل أن يسدى إلى علم نفس الراشدين خدمات نافعة كالتى أسدتها دراسة بنية الحيوانات السفلى وتطورها إلى دراسة بنية الحيوانات الأعلى مراتب . ولكن الجهود التى بذلت عن قصد من أجل الانتفاع بعلم نفس الأطفال لهذا الغرض لا تزال قليلة حتى اليوم .

إن أحلام الأطفال لا تخرج فى أحيان كثيرة^(١) عن أن تكون تحقيق رغبات ، وهى تخلو عندئذ^(٢) من القيمة . بالقياس إلى أحلام الراشدين ، لأنها لا تثير ألبالاً تنتظر الحل . ولكنها بالطبع تظل ذات قيمة لا تقدر من أجل البرهنة على أن الأحلام تنفى فى جوهرها الدين تحقيق رغبة . ولقد أمكننى أن أجمع بضعة أمثلة عليها . من مادة زوجنى بها أطفالاً نفسى .

إذ أشكر لرحلة قمنا بها فى صيف عام ١٨٩٦ من أوسى إلى قرية هالشتات الجميلة^(٣) أن كانت سبباً فى حلمين أتت أولهما ابنتى ، وكانت تبلغ من العمر إذ ذاك ثمانية أعوام

(١) [" فى أسنان كثيرة " أسهلت فى طبعة ١٩١١ . ولغزويد ملاحظة على هذا التعيد يقول لها (الكتابات المصنوعة ، الجزء الثالث ، ١٩٢٥ ، ص ١٢) : " لقد بينت الخبرة أن الأحلام المشوشة التى تحتاج إلى تفسير تقع أيضاً للأطفال الذين يبلغون الرابعة أو الخامسة . وذلك ما يتفق تمام الاتفاق وأرائها النظرية من الشروط التى تتم تشويه الأحلام . "]

(٢) [قبل عام ١٩١١ كنا نقول : " من أجل ذلك " بدلاً من " عندئذ "] .

(٣) [فى منطقة سالتسكا مريوت بأعمال النمسا] .

ونصف العام ، وأقى ثانيهما ولد تجاوز الخامسة بثلاثة شهور . ومن اللازم أن أقول على سبيل التمهيد : إننا كنا نقضى ذلك الصيف على تل قريب من آوسى ، كنا نستمتع منه إذا صحا الجو بمنظر بديع من مناظر جبل الداخشتاين . وكان من الميسور إذا استعنا بمنظار مقرب أن نتيين منه فى وضوح كوخ^(١) سيموفى . ولقد حاول الأطفال رؤيته من خلال المنظار تكررًا ، ولست أعلم مدى نجاحهم فى ذلك . وكنت قد ذكرت للأطفال قبل الرحلة أن هالشتات تقع على سفح الداخشتاين ، وكانوا هم ينتظرون اليوم الموعد فى فرح شديد . ومن هالشتات أخذنا نصعد فى [وادي] اشرنثال الذى يخلب الأطفال بمشاهده المتقلبة ، إلا أن واحداً منهم - وهو الولد الذى فى الخامسة - أخذ يتلمر ، فكلمنا لاح للنظر جبل جديد جعل يسأل : أهذا هو الداخشتاين ؟ فأجيبه : كلا ، إنه أحد التلال التى على سفحه فقط . وبعد أن كرر سؤاله هذا بضع مرات ، التزم الصمت التزاماً تاماً وأبى مصاحبنا فى المرتقى الذى يقود إلى مسقط المياه . وظننت أنه كان تعباً ، ولكنه أقبل فى الصباح وعلامات البشربادية عليه ، وقال : « لقد حلمت فى الليلة الماضية أننا كنا فى كوخ سيموفى » . وإلى لأفهمه الآن : فهو قد توقع حين تحدثت عن الداخشتاين أن يصعد الجبل فى أثناء رحلتنا إلى هالشتات وأن يرى عن كعب كوخ سيموفى الذى طالما كان موضع حديثنا ونحن ننظر إليه بالمنظار . فلما رأى أن عليه أن يقنع بتلال على السفح ويمسقط مياه ، خاب ظنه وصار صموتا . ولكن الحلم عوضه عما فاته . ولقد حاولت أن أعرف بعض تفاصيل الحلم . ولكننى لم أظفر منه بالشئ الكثير ، فكل ما استطاع قوله هو : « إن المرء يصعد ست ساعات قبل أن يصل إلى هناك » . وهو - حتى فى هذا القليل - إنما يردد ما سمع .

كذلك الفتاة البالغة من العمر ثمانى سنوات ونصف السنة ، فقد تركت هذه الرحلة أيضا فى نفسها رغبات لزم أن يرضيها حلم . فقد أخذنا معنا إلى هالستات ابن الجيران . وكان فى فى الثانية عشرة من عمره كله فروسية ، تدل الدلائل على أنه قد نزل من الآتية الصغيرة منزل القبول . فى الصباح التالى روت لى الفتاة هذا الحلم : « تصور أفى حلمت أن إميل واحد منا ، يناديكما "ماما" و "بابا" وينام معنا فى الحجرة الكبيرة مثل إخوتى

(١) [Hauel] - يطلق على بيوت صغيرة من الخشب تقام فى أنحاء متفرقة من الجبل ويأوى إليها الناس ليولدا بها من الخمر ، أو لسترىحوا ويطلق على كل منها اسم الجهة المقام فيها .

الصبية . ثم جاءت ماما وألفت بملء يديها تحت أسرتنا ألواحاً كبيرة من الشوكولاته لفت في ورق أزرق وأخضر . فلما سمعها إخوتها الذين لم يرثوا القدرة على تفسير الأحلام - كما نرى - صاحوا مثل المؤلفين الذين نعرف : هذا الحلم هراء . بيد أن الفتاة نفسها دافعت عن جزء واحد من الحلم على الأقل ، ومن المفيد لنظرية الأعصاب أن نعلم أى جزء هو ، قالت : « أن يكون إميل واحداً منا ، هذا هراء . وأما حكاية الشوكولاته فلا » . وكان هذا الجزء على التحديد هو الجزء الذى خفى على ، ولكن أم الأولاد أتنى ببيانه : ذلك أن الأطفال قد توقفوا وهم في طريقهم من المحطة إلى المنزل أمام موزع آلى بغية الحصول على ألواح من الشوكولاته لفت في ورق معدنى لامع من هذا النوع عينه ، كانوا يعلمون من سابق خبرتهم أن الآلة تخرجها . غير أن أمهم رأت بحق أن اليوم قد حقق لهم من رغباتهم الكفاية ، وبذلك تركت للحلم تحقيق هذه الرغبة الأخيرة . وكان هذا المشهد الصغير قد فاتنى . وأما جزء الحلم الذى تخاذلت ابنتى عن الدفاع عنه ، فقد فهمته على الفور : فلقد سمعت بأذنى ضيفنا المهذب وهو يطلب من الأولاد أن ينتظروا « بابا » و « ماما » ، فجعل الحلم من هذه القرابة الموقوتة تبنياً مستديماً . فعاطفة الفتاة لم تكن تعرف بعد شكلاً آخر من أشكال الحياة المشتركة غير الذى صوره الحلم مستوحياً علاقتها بإخوتها . وأما كون ألواح الشوكولاته قد رميّت تحت الأسرة ، فهذا بالطبع ما لا يتسنى توضيحه إلا باستفسار الطفلة .

وحدثنى صديق يحلم يشبه حلم ابنتى تمام الشبه : كان الحلم لفتاة فى الثامنة . فقد خرج أبوها وفى صحبته جماعة من الأطفال فى نزهة إلى دورنياخ وفى نيتهم أن يزوروا كوخ روهـر . ولكن الوقت تأخر بهم ، ففعل الأب بعد أن وعد الأطفال بأن يعرضهم عما فاتهم فى مرة أخرى . وبينما هم عائدون مروا بسارية تشير إلى الطريق المؤدى إلى الضيعة ، فسأله الأطفال أن يأخذهم إليها ، ولكن كان عليهم فى هذه المرة أيضاً ، ولذات السبب ، أن يعزوا أنفسهم بوعد الزيارة فى يوم آخر . وفى صباح اليوم التالى ذهبت الفتاة ذات الأحوام الثمانية إلى والدها ، تقول له وعليها علائم الرضا : « بابا ، لقد رأيت الليلة الماضية فى الحلم أنك كنت معنا فى كوخ روهـر وفى الضيعة » . وهكذا سبق صبرها النافذ إلى تحقيق ما وعد به أبوها .

وها هو ذا حلم آخر لا يقل صراحة أوجاه جمال الطبيعة فى آوى إلى ابنة أخرى

كانت تبلغ من العمر إذ ذاك ثلاث سنوات وثلاثة شهور . فهي كانت عبرت البحيرة للمرة الأولى . وبدت لها الرحلة أقصر مما كان ينبغي . فأبت أن تغادر القارب حين رسا وبكت مر البكاء ، فلما جاء الصباح قالت لنا : « لقد ركبت البحيرة في الليلة الماضية » . نرجو أن تكون رحلة الحلم هذه قد دامت وقتاً أبعد على رضاها .

وأما ابني الأكبر - وكان عمره ثمانى سنوات - فكان قد سبق إلى الحلم بتحقيق خيالاته ، فهو قد رأى نفسه يركب إحدى عربات القتال مع أنجيليوس ، وكان ديبويد سائق العرب . ولا غرو إذا كانت أساطير اليونان التي قرأها في اليوم السابق في كتاب مهدى إلى أخته الكبرى قد ألهمت حماسه .

وإذا جاز أن ندرج الألفاظ التي يتفوه بها الأطفال وهم نيام في عداد الأحلام ، أمكننى أن أسرد في هذا الموضع حلماً بين أحدث من في مجموعتي . فقد أصيبت ابنتى الصغرى - وكان عمرها تسعة عشر شهراً - بنوبة من التواء ذات صباح ، ففتحت عن الأكل طيلة النهار . فلما كان الليل الذى أعقب ذلك النهار الجائع سمعناها تنادى وهى محتاجة في نومها : « أنا ف (ر) ويد . ف (ر) يز . ف (ر) يز . ف (ر) ي . أوجليت ، ك (ر) يه ! » . وهى إذن تستخدم اسمها نفسها للدلالة على فعل الملك - كعادتها إذ ذاك - كما أنها قد ضمنت قائمة الطعام بالطبع كل ما لاح لها أنه يؤلف وجبة شبيهة . وأما ذكرها صنفين من الفريز فكان إظهاراً لاحتجاجها على القواعد الصحية المرفوعة في المنزل ، وهو احتجاج بعث عليه ملازمة لم تغب على التأكيد عن ملاحظتها : ذلك أن المربية كانت قد عزت توصيحتها إلى تخمة أصابها من جراء الإفراط في أكل الفريز . وهكذا كانت الطفلة تتأثر من هذا الحكم الذى لم يصادف هوى من نفسها^(١) .

فإذا كنا نشهد بسعادة الطفولة لبرامتها من الرغائب الجنسية فلا ننسى أى مصدر خصيب للخيبة وللنزول المكره - ومن ثم أى منه إلى الحلم - تتضمنه ثنائية العزيزين

(١) واثق بعد قليل أن حقق الحلم الجدة ما قد حققه للطفلة الصغيرة - ويبلغ عراها ما شئتاً يقرب من السنين ستة - فقد أجبرت الجدة على التزام الحمية فيما لانضطراب راجع إلى كلية ساجدة ، فكان أن حلت في الليلة التالية - وقد حلها حلها من غير شك إلى أيام شبابها البهيجة - بأنها قد دعيت إلى تناول كلتا الوجبتين الرئيسيتين في الخارج ، وفى كل رغبة كانت تقدم إليها أفسى الأطعمة .

الحويتين الكبيرين^(١) . وها هو ذا مثال آخر على ذلك : وكلت إلى ابن أخى - وكان له من العمر اثنان وعشرون شهراً - مهمة القيام بنهتى بعيد ميلادى مع تقديم سلة من الكريز الذى لا تُرى فى هذا الوقت من العام سوى بواكيره هديةً إلى . ويبدو أن المهمة كانت شاقة عليه ، لأنه جعل يردد جملة : « فيها ك (ر) يز » دون أن يتيسر إقناعه بترك السلة تخرج من يديه . إلا أنه عرف على أية حال كيف يعوض ما فاتته . فقد كان من عادته حتى ذلك الوقت أن يعلن إلى أمه فى كل صباح أنه قد حلم « بالضبابط الأبيض » أى بضابط من ضباط الحرس الإمبراطورى كان قد أعجب به يوماً فى الطريق إذ شاهده بعباته البيضاء - ولكنه فى صبيحة اليوم الذى أعقب تلك التضحية من جانبه ، نهض فرحاً ليعلن نبأ لا يمكن أن يكون له مأتى غير الحلم : « ه (ر) مان أكل الك (ر) يز كله ! »^(٢) .

(١) (١٩١١) : هذا ويعلمنا النظر الأدق إلى الحياة النفسية للأطفال أن القبح الفريزية الجنسية تشارك - وإن يكن حل صورة طفلية - بنصب كبير ، ظناً تغفل أمره زناً طويلاً ، فى النشاط النفسى للأطفال . كما نخرج أيضاً من مثل هذا النظر بأسباب تدعينا إلى التشكك بنفس الشيء فى سعادة الفتوة كما يصورها الراشدون لأنفسهم من بعد . انظر كتاب : " ثلاث مقالات فى نظرية الحياة الجنسية " (١٩٠٥ د) .

(٢) (١٩١١) : يجب أن نذكر أن الأطفال سريعاً ما يأخذون فى الحلم بأحلام أكثر تعقيداً وأقل شفافية ، بينما قد يحمل الراشدون فى بعض الملابس بأحلام ذات طابع خال من التعقيد ، طفل . ويجد القارئ أمثلة حل ما قد تزخر به أحلام الأطفال المتروسة أحلامهم بين الرابعة والخامسة من المادة غير المتوقعة فى طلق : " تحليل مخالفة شاذة عند غلام فى الخامسة " (١٩٠٩ ب) ، ويضيف (١٩٠٩ أ) . وأرجح أيضاً فيما يتصل بالتضمرات التحليلية لأحلام الأطفال إلى هوج - هلموت وهينريش ورثه وشيلبرلين وتاوسك . وتجد أحلاماً أخرى عند بيالاكبرى وبورتمان ودوليا ، وبخاصة عند فيجاس الذى ألغى حل نزوع هذه الأحلام إلى تحقيق الرغبة . ويبدو من جهة أخرى أن الأحلام ذات الطابع الطفلى يكثر وروبوها عند الراشدين إذا وجدوا أنفسهم فى ملابس غامضة أو بالفلوجا . مثال ذلك ما يتحدث به أوتو لورد نيكسوك فى كتابه " القطب الجنوى " (الجزء الأول ، ص ٣٣٦) عن أعضاء بحث الذين قفروا منه فصل الشتاء هناك ، يقول : " وكانت أحلامنا أشد ما تكون دلالة على استجالات أفكارنا العنيفة ، ففى لم تكن فى يوم من الأيام أشد وضوحاً أو أكثر حداً ، بل حتى أولئك الرفاق الذين لم يكونوا يحملون إلا نادراً ، قد صاروا يصبحون وفى جيبهم القصص الطوال يقصونها حين يتبادل آثر خبراتنا فى عالم الخيال . وكانت هذه الأحلام جميعها تتعلق بالعالم الخارجى الذى صار الآن بعيداً عنا أما بعد ، وإن جاءت أيضاً فى كثير من الأحيان متكيفة بنفس التكيف مع ملابس حياتنا الحاضرة . ومن أكثر هذه الأحلام دلالة على ذلك ، حلم يحمل فيه إلى أحد الرفاق أنه قد عاد إلى مقعد الدراسة ، وكان عليه فى الحلم أن يسلخ كلاب بحر مصفزة صنعت غسماً لأفراص تعليمية . وكان الطعام والشراب هما المحور الذى تدور حوله معظم أحلامنا : فكان أحلامنا - وكان لنا موهبة ممتازة فى الاختلاف ليلاً إلى موائل العشاء الفاخر - يفرش حيوراً إذا هو استطاع أن يبيتنا فى الصباح بأله . قد ظهر بمشاه من ثلاثة أصناف . هذا بينما كان يحمل آخر بالطباق ، بمجالته ، وثلاث بسفينة تنجيه نحوفاً وقد البسط من حويلها المياح تمتره غمراً . ثم حل آخر جدير بالذكر : يقبل ساعى البريد ويرقر فى شرح للسب الذى من أجله أقبل متأخراً ، فقد حمل البريد إلى عنوان غير العنوان الصحيح ولم يصطح استرجاعه

أما بم يحلم الحيوان ، فهذا ما لا أعلم عنه شيئا . ولكن هناك مثلا سائرا - أدين بمعرفته لأحد تلاميذى - يدعى معرفة الجواب : يسأل المثل : بم تحلم الأوزة ؟ ثم يجيب : بالذرة ^(١) . إن النظرية القائلة : « إن الأحلام تحقيق رغبة » محتواه جميعها في هاتين الجملتين ^(٢) .

وهكذا نرى أنه كان في مقدورنا أن نصل إلى المعنى الخبيء للحلم من طريق أقصر لو أننا استرشدنا العرف اللغوي . صحيح إن اللغة الدارجة تتحدث عن الأحلام أحيانا حديث الزاوية . وحين تقول هذه اللغة : « الأحلام أضغاث » فكأنها تبغى بقولها هذا أن تؤيد الحكم العلمى . ومع ذلك فالأحلام في اللغة الدارجة هي قبل كل شيء المحققات المباركات للرغبات . فنحن نصبح إذ يستخفنا الطرب لأن الواقع قد جاوز ما كنا نتوقه : ذلك ما لم أكن أتخيله ولو في أشد أحلامي جرأة .

إلا بالمجهود الجهدى . وكنا نعلم على التأكيد بأحلام أخرى أنه بعد استعالة من هذا . ولكن فقر الهيلة في هذه الأحلام جميعا - ما أنانى نفسى وما سمعت عن غيرى - كان مصيبا أكبر العيب . ولقد جعلت كل هذه الأحلام ، لكان من المألوف أن تكون لها قيمة سيكولوجية كبرى . ومن السهل أن نفهم بعد ذلك كيف كنا نلجئ إلى النوم ، فلم يكن غير النوم ليجب كلا منا إلى ما كانت نفسه تصرق شوقا إليه . " ويقول دوبريل كذلك (١٨٨٥) ، (٢٣١) : " إن مسجون يهلك حين أشرف على الموت فلما في إحدى رحلاته الإفريقية كان لا يتقطع عن الحلم برامى وطه ووديانه التى تجرى فيها المياه . وكذلك تركك حين عطبه الجوع وهو يحس في قلعة ماجد بروج ، فلما كان يرى نفسه محاطا بأفئدة صنوف الطعام . أما جورج يلك - وكان عضوا في بعض فرائكلىن الأولى - لكان حين أشرف على الموت جوعا لا يكف عن حلم واحد لم يتغير : الطعام الكثير " .

(١) وهناك مثل هنجارى استشهد به فرسى ، يزيد على ذلك فيقول : " يحلم الخنزير بشمر البليوط وتحلم الأوزة بالذرة " . ويقول مثل هيدى : " بم تحلم القرنة ؟ بالفسح " . (برنشتاين ، ١٩٠٨ ، ١١٦) . (٢) لست أفكر في القول : إن إرجاع الحلم إلى الرغبة لم يخطر قط لخلف من قبل (انظر مطلع الفصل القادم) فمن ممكنة من يعلق أهمية ما حل مثل هذه الخفوس المبكرة أن يرجع إلى الأوزة القديمة وأن يستشهد هيرودفيلوس - وهو طبيب عاش في أيام بطليموس الأول . فعلى الريل - حل ما يروى بوكنشوتس (١٨٦٨) ، (٣٣) - قد فرق بين ثلاثة أنواع من الأحلام : أحلام ترسلها الآلهة ، أحلام طبيعية تنشأ حين تتصور النفس ما فيه نفعها وما سوف يقع ، أحلام مختلطة تنشأ نشوا تلقائيا باجتماع الصور بعضها إلى بعض وذلك حين نرى ما نرهب فيه . ولقد نبه شاركة إلى حلم في مجسوة شرزر يصفه المؤلف نفسه بأنه تحقيق رغبة ، يقول شرزر (١٨٦١ ، ٢٣٩) : " إن الحلم قد حقق الرغبة التى أضربنا الحالة في اليقظة ، لا لشيء سوى أن هذه الرغبة كانت تحرك نفسها تحريكا شديدا . " ويدرج شرزر هذا الحلم في قائمة " الأحلام المزاجية " إلى جانب " أحلام الشبق عند الذكور والإناث " و " أحلام المزاج المختل " . ومن هذا نرى أن شرزر لا يفكر أقل تفكير في أن ينسب إلى الرغبات أهمية أخرى في إثارة الحلم غير التى لغيرها من سائر حالات اليقظة ، وأقل من ذلك أن يفكر في الربط بين الرغبة وجوهر الحلم .

الفصل الرابع

تشويه الحلم

لو أننى سقت الآن تلك القضية : إن تحقيق الرغبة هو المعنى الذى يتطوى عليه كل حلم . أى أن من المحال أن تكون ثمت أحلام غير التى تحقق رغبة . لكان من الحق مقدما أن أتى أقطع المعارضة . سوف يقول لى القائلون : « إن هناك أحلاما ينبغي فهمها بكونها تحقق رغبات ، ذلك ليس بالشئ الجديد . بل كثير من المؤلفين قد لخطوه منذ زمن طويل (انظر رادشوك ص ١٣٧ . ١٣٨ وفولكلت ص ١١٠ . ١١١ وهوركينيه ص ٤٥٦ ونيسيه ص ٧٠ وحديث م . سيمون فى ص ٤٢ عن أحلام الجوع التى عرفها البارون ترنك وهو سجين ، ثم الفقرة الواردة فى ص ٨٩ عند جريزنجر)^(١) . وأما أنه لا وجود لأحلام غير التى تحقق رغبات ، فتعميم جديد من هذه التعميمات التى لا مبرر لها ، وهو لحسن الحظ تعميم يسهل دحضه . فالأحلام التى تطالعنا بمحتوى أليم أشد الألم دون أن تضم أقل أثر من تحقيق الرغبة ليس أكثر منها . ولا شك فى أن الفيلسوف المشائم إدوارد فون هارتمان كان أبعد المبعدين عن نظرية تحقيق الرغبة هذه ؛ فهو يقول فى إيجزه الثانى من كتابه « فلسفة اللاشعور » (١٨٩٠ ، ٥٢ ، ٣٤٤) : « وأما الحلم ، فيه تنتقل إلى النوم منفعة اليقظة . فلا شئ ينقصه سوى الشئ الوحيد الذى قد يصلح إلى حد بين الرجل المذتف والحياة : أعنى متعة العلم والفن . . . بل إن من الملاحظين من هم أقل منه برما بالحياة وهم مع ذلك يلحون على أن الألم والضريريكثُران فى الحلم اللذة : مثال ذلك شولتس (١٨٩٣ ، ٥٧) وفولكلت (١٨٧٥ ، ٨٠) وغيرهما . وأكثر من ذلك أن السيدتين سارا ويد وفلورنس هالام قد قلرتا غلبة الألم فى الأحلام تقديراً عديداً استندتا فيه إلى دراسة أحلامهما ؛ فأحصتا فى كل مائة حلم ٥٧,٢ حلما ألما ، وأما الأحلام السارة من غير لبس فلم تعد ٢٨,٦ حلما . ثم هناك إلى جانب هذه الأحلام التى تنتقل إلى النوم ما تضمه الحياة من ضروب المشاعر الأهمية ، هناك أحلام الهيلة التى فيها يبرزنا - حتى ليذهب الكرى

(١) قديماً قال فيلسوف الأتلاطية الجديدة أفلطين : « إذا انبثت الرغبة ، جاءت الهيلة فنسرت مانا يشبه موضوع هذه الرغبة . » (عن دوهل ١٨٨٥ ، ٢٧٦) .

عنا - هذا الشعور الذى يفوق فى هوله كل شعور عداه . ولا تزور أحلام الهيلة هذه أحداً بمثل السهولة التى تزور بها الأطفال^(١) . وهم الذين وجدت عندهم أحلام الرغبة فى صورتها الصافرة .

والحق هو أن أحلام الهيلة على التحديد تبدو عائقاً يحول دون أى تميم للقضية التى خرجنا بها من الأمثلة المسوقة فى الفصل السابق : أن الحلم تحقيق رغبة . لا ، بل لأنها لتلغ مثل هذه القضية بالبطلان .

بيد أننا لا نجد مع ذلك كبير صعوبة فى دفع هذه الاعتراضات التى تلوح ذات قوة ملزمة . فكل ما نحتاج إليه هو أن نتذكر أن نظريتنا لا تقوم على النظر فى محتوى الحلم الظاهر . بل هى تحيل إلى الأفكار التى يكشف عنها التفسير من وراء الحلم . ومن الواجب أن نفرق بين محتوى الحلم الظاهر ومحتواه الكامن . فمن الحق أن نمت أحلاماً يكون محتواها الظاهر من النوع الأليم ، ولكن هل حاول أحد أن يفسر هذه الأحلام وأن يكشف عن المحتوى الفكرى المستتر وراءها ؟ إذا كان الجواب نفياً ارتفع عنا كلا الاعتراضين الموجهين إلينا ؛ فقد يتبين بعد تفسير الأحلام المثولة وأحلام الهيلة أنها أيضاً تحقق رغبات^(٢) .

(١) انظر حديث دوباك من الفرع اللب .

(٢) (١٩٠٩) : إن من الصعب أن نصور مدى إصرار قراء هذا الكتاب وبقائه على أن يفضوا طرفهم من هذه الطريقة الجوهرية بين محتوى الحلم الظاهر ومحتواه الكامن . (١٩١٤) : هذا ولست أجد فى أدب الموضوع شيئاً يقرب من رأيى فى الحلم قرب تلك الفقرة التى تنهى فى مقالة ج . سولى " الحلم من حيث هو كشف " ، وإلى لا يتالك من تقيسها أننى لم أستشهد بها من قبل : " وهكذا قد يتبين أن الأحلام ، مهما يكن من أمر ليست كلها ترواه ، على ما ذهب إليه بعض الفئات من أشكال تشوش وشكسبير وويلتون . فالتأليف المخططة الناجمة عن غيلتانا البهية تلك مغزى وتغلل مفرقة جديدة . فنقش الحلم كخطاب كتب بالشفرة لا تكاد تتم النظر إليه إلا فقد طابع العاطلة الذى لاح له لهولة الأول ولبس ثوب الرسالة الجادة المقولة . أو إذا أردت أن تدبر التشبه لليل ، فقد نقول إن مثل الحلم كمثل مخطوط قديم مسح ليسطر فى محله كلام لا وزن له ولكننا نستطيع مع ذلك أن نتبين من وراء أحرف هذا الكلام أنراً من إرادة قديمة ثمينة " .

["Dreams as a revelation" — "It would seem, then, after all, that dreams are not the utter nonsense they have been said to be by such authorities as Chaucer, Shakespeare and Milton. The chaotic aggregations of our night fancy have a significance and communicate new knowledge. Like some letter in cipher, the dream inscription when scrutinized closely loses its first look of haladerdash and takes on the aspect of a serious intelligible message. Or, to vary the figure slightly, we may say that, like some palimpsests, the dream discloses beneath its worthless surface — characters traces of an old and precious communication."]]

إذا اتفق أن واجهتنا مشكلة صعبة الحل ونحن بسبيل بحث علمي ، فقد يكون من النافع في أحيان كثيرة أن نصيف إلى هذه المشكلة أخرى ، على نحو ما يسهل كسر جوتين معاً عن كسرهما واحدة فواحدة . وعلى ذلك فلن نواجه هذا السؤال وحده : كيف يمكن أن تكون الأحلام المثلة وأحلام الهيلة تحقيقات لرغبات ؟ بل نصيف إليه سؤالاً ثانياً نستطيع أن نخرج به من مناقشتنا السابقة في أمر الحلم : تلك الأحلام التي تُبدى محتوى خالياً من اللذة والألم على السواء ثم يتضح بعد ذلك أنها تحقق رغبات ، لماذا لا نعرب عن معناها هذا إعراباً سافراً ؟ إليك هذا الحلم الذي أطلنا في مناقشته ، حلم حقنة إرما : إنه لم يكن حلماً أليماً بحال ما ، ثم تبين بتفسيره أنه كان مثلاً ساطعاً على تحقيق الرغبة . ولكن لماذا أحوج الأمر إلى تفسير على الإطلاق ؟ لماذا لم يعرب الحلم عن مراده إعراباً مباشراً ؟ فالحقيقة أن حلم إرما لا يوحى للوهلة الأولى أنه يصور للحلم تحقق إحدى رغباته : فلا قارئ الحلم قد خرج من قراءته بهذا الشعور ، ولا أنا نفسي كنت أعلمه حتى أدخلت في تفسيره . فإذا سمينا هذا المسلك الذي يتطلب تعليلاً ظاهرة لشو به الحلم ، كان سؤالنا الثاني هو : ما منشأ هذا التشويه في الأحلام ؟

ههنا قد تخطر لنا على الفور عدة من الحلول الممكنة لهذه المشكلة ، كأن نقول : إن النوم يتضمن ضرباً من العجز عن الإعراب عن أفكارنا الحلمية إعراباً مباشراً . ولكن تمت أحلاماً بجملة تحليلها على التماس تعليل آخر لتشويه الأحلام . وأمثلة لذلك بجم آخر من أحلامى . ويجزئى هذا التعليل من جديد إلى البوح بأمور شئى ، ولكن يعوض عن هذه التضحية الشخصية أن تتضح المشكلة اتضاحاً تاماً .

تمهيد : علمت في ربيع عام ١٨٩٧ أن أستاذين جامعيين قد رشعاني للدرجة أستاذ مساعد^(١) . وكان هذا الخبر مفاجأة لى وكان سرورى به عظيماً ، فقد رأيت فيه تقديراً صادراً عن رجلين جليلين ، لا يمكن عزوه إلى علاقات شخصية . ولكننى حنرت نفسى عند سماعه من أن تجرى وراء الأمل : فلقد ضربت الوزارة صفحاً عن اقتراحات من هذا القبيل في خلال السنوات الأخيرة^(٢) . وهناك زملاء كثيرون يكبرونى سنّاً ويعدلونى — على الأقل — استحقاقاً ظلوا مع ذلك سنوات يتظرون هذا المنصب هباءً ، ولم يكن

(١) [ترجمة تقريبية لما يسمى في جامعات النسا (Professor extraordinarius) .]

(٢) [كانت أمثال هذه الترقيات تصدر إذ ذاك بقرار من وزير المعارف] .

ثمت أى سبب يجعلنى أنوقع أن تغير الحال معى . لهذا وطدت النفس على الخيبة ، ولست - فيما أعلم - بالرجل الواسع المطامع ، ثم لى كنت ألاقى فى مهنتى نجاحاً مرضياً من غير حاجة لى أن يزكىنى لقب . وعلى أية حال لم يكن ثمت مجال للسؤال عن العنب أحلو هو أم مر ، فقد كان من المقطوع به أنه كان مرثعاً جداً .

وفى ذات مساء زارنى صديق من أولئك الزملاء الذين اتخذت لنفسى من مصيرهم نذيراً ، فقد ظل زماناً طويلاً مرشحاً للدرجة الأستاذية التى تجعل من الطبيب فى مجتمعنا نصف إله فى نظر مرضاه . إلا أنه كان أقل منى استسلاماً ، فكان يتردد بين الحين والحين على مكاتب الوزارة ، مذكراً كبار المسؤولين ، آملاً تحقيق مطلبه . وكان مجيئه لى بعد زورة من هذه ، فقص على كيف أنه فى هذه المرة قد جذب الكبير المسئول لى أحد الأركان ثم سألته إذا كان تعوين ترقية لا يرجع فى حقيقة الأمر لى اعتبارات دينية^(١) . فكان الجواب هو : إنه بالنظر لى تيار المشاعر العامة فى الوقت الحاضر ، فإن معالى الوزير لا يجد نفسه - مؤقتاً - فى موقف يسمح له . . . إلخ . ثم أردف صديقى قائلاً : « الآن أعرف على الأقل أين أنا » ، ثم أخذ يذلل روابيته التى لم تكن تحمل لى جديداً وإن دعمت تلىسى بالأمر الواقع ، فثلك الاعتبارات الدينية تصدق على كذاك .

وفى الصباح الذى أعقب هذه الزيارة وقع لى الحلم الآتى ، وهو حلم استرعى نظرى من أجل الصورة التى اتخذها كذاك ، فقد تكون الحلم من فكرتين وصورتين : فكرة فصورة ثم فكرة فصورة . ولا أذكر هنا سوى النصف الأول وحده ، لأن النصف الآخر لا علاقة له بالغرض الذى من أجله أورد هذا الحلم .

١ - صديق ر . هو مى - أشهر نسو بمحان كبير .

٢ - أرى وجهه أمامى وقد أصابه بعض الخفق : كأنه استطال . يبرز فى وضوح شديد لحيته صفراء أحاطت به .

ثم يعقب الجزمان الآخران اللذان أحذفهما : فكرة أيضاً فصورة .

ولقد وقع تفسير الحلم على هذا النحو :

عندما خطر هذا الحلم ببالى فى خلال الصباح ، ضحككت وحدثت نفسى قائلاً : هذا الحلم هراء . ولكن الحلم لم ينفك عنى ، بل ظل يلاحقنى طوال النهار ، لى أن أنبت

(١) [كانت المشاعر المعادية لاسامية متأجبة فى ذلك الوقت فى ليبيا ، وفرويه - كما نعلم - يهودى] .

نفسى أخيراً ، فى المساء ، قائلاً : « لو أن مريضاً من مرضاك لم يجد فى خلال تفسير حلمه خيراً من قوله : إن هذا الحلم هراء ، لأخذت فى تأنيبه ولظننت أن الحلم يخفى قصة كريمة يريد الحالم أن يحجب نفسه مؤونة العلم بها . فخذ نفسك بما تأخذ به ذيرك . إن اعتقادك أن الحلم هراء إنما يدل على مقاومة باطنة بإزاء تفسيره . فابدأ ، ولا تدع مانعا يمنحك » . وعلى ذلك شرعت أفسره .

« ر . ر . هو مى . ما معنى ذلك ؟ إلى لم يكن لى قط سوى عم واحد ، عمى يوسف^(١) وكانت لهذا الم قصة مؤلة : فقد حدث مرة - منذ أكثر من ثلاثين عاما - أن دفعه الطمع فى الكسب إلى التورط فى صفقة من النوع الذى يعاقب عليه القانون عقابا صارما ، وكان أن عوب . وكان من عادة والدى الذى شاب رأسه من الحزن فى أيام معلودات أن يردد دائما قوله : إن الم يوسف ليس بالرجل الشرير ، ولكنه أبله - تلك كانت كلماته . فلو كان صديقى ر . هو عمى يوسف ، لكان معنى ذلك أنى أقول : إن ر . أبله . أمر لا يكاد يصدق ، كربه على النفس كل الكراهة ! ولكن هناك الوجه الذى أراه فى الحلم بملامحه المستطيلة ولحيته الصفراء . لقد كان لعمى حقيقة وجه كهذا الوجه ، مستطيل الشكل ، يحيط به إطار من لحية جميلة شقراء . وأما صديقى ر . فكان فى أول أمره أسود الشعر حالكة - ولكن ذوى الشعور السوداء إذ تتقدم بهم الأيام يقفلون بهاء شبابهم . فلحاقهم الداكنة يلب فيها - شعرة فشعرة ، تحول فى اللون لا يصر ، فوى تصوير فى بادئ الأمر ضاربة إلى الحمرة ، لضاربة إلى الصفرة ، ثم تحول بعدئذ فقط إلى الرمادى الخالص . وقد كانت لحية صديقى ر . تمر بهذا الطور الأخير - وكذلك كانت بعدُ لحيى ، كما كنت ألحظه فى غير رضا . فالوجه الذى أراه فى الحلم هو وجه صديقى ر . ووجه عمى فى آن معا : إنه كان أشبه بصور جالتون المركبة - فقد كان جالتون يعاين على اللوحة الواحدة وجوها متعددة إظهاراً لما قد يكون بين ذوى القربى من الشبه المشترك . وما من شك إذن فى أننى كنت أعنى أن أصف صديقى ر . بالبله - مثل عمى يوسف .

ولست أعلم حتى الآن ما هو الغرض الذى أتوخاه من هذه المماثلة التى لا أزال أثور

(١) من العجيب أن نلاحظ كيف ضاق نطاق - ذاكرى المستيقظة - هنا ، فلم يجد يتسع لنبر أفراس التحليل . فالحقيقة هى أنى أملك خنة أهمل ، أحببت واحداً منهم وأجعله ، ولكنى ما أن تغلبت على المقاومة التى كانت تصد عن تفسير الم حتى قلت لنفسى : إلى لم يكن لى قط سوى عم واحد - الم المقصود فى الم .

عليها . ثم هي مع ذلك مماثلة لا عمت فيها . فقد كان عمى مجرماً ، على حين أن صديقي ، .
 برىء من كل شائبة ... اللهم إلا من غرامة أدين بها يوماً لأنه صدم صبيّاً بدراجته .
 أليكون أنى أفكر فى هذه القفلة ؟ إن معنى ذلك هو أننى أجرى المماثلة مجرى المزاح .
 ولكننى أذكر الآن حديثاً دار منذ بضعة أيام بين زميل آخر - هو ن . - وبفى ، وأذكر
 أن مدار الحديث كان هذا الموضوع عينه . فقد قابلت ن . فى الطريق ، وكان أيضاً
 مرشحاً للدرجة الأستاذية ، فلما علم أنى نلت مثل هذا الشرف هنأتى عليه . ولكننى قاطعته
 قائلاً : « إنك آخر من يحق لم المزاح فى هذا الباب ؛ فأنت تعلم من خبرتك نفسك ما هى
 قيمة مثل هذا الترشيع » . فأجابنى وهو فى الأغلب غير جاد : « من يدري ؟ فالموقف
 يختلف معى . ألا تعلم أن امرأة قد اتهمتنى يوماً فى ساحة القضاء ؟ لا أظننى بحاجة إلى أن
 أؤكد لك أن الحق قد رجع إلى نصابه وأن الأمر لم يعد أن يكون محاولة دنيئة للابتزاز ،
 ولقد تحملت مع ذلك كل مشقة لكى أجنب تلك المبلغه الكاذبة جزاءها . ولكن ربما
 كان القوم فى الوزارة يتخلون من هذه القصة تعلقاً للحيلولة دون ترقىي . وأما أنت فلا شائبة
 تعلق بك » . وهأنذا إذن أملك المجرم وأملك معه تفسير الحلم ومرواه : فعنى يوصف
 يصور لى كلا الزميلين اللذين لم يرقيا إلى الأستاذية : فأما أولهما ؛ فلأنه أبله . وأما آخرهما ؛
 فلأنه مجرم . وأعلم الآن أيضاً ما هو وجه الحاجة إلى هذا التصور : فلو قد كان لعامل
 الدين أثر فى إرجاء ترقية صديقى ، لكانت ترقىي كمنالك فى خطر ، فإن استطعت أن
 أبجد لإخفاقهما عللاً أخرى ، بقى لى الأمل دون أن يضطرب . وعلى هذا يعمل الحلم :
 فهو يجعل من الأول أبله ويجعل من الآخر مجرماً - ولا كنت وأست بهلدا ولا بلاك ،
 فلا شيء يجمع بيننا ومن حتى أن أهنى نفسى على الأستاذية وأن أستنى شخصى فلا أطبق
 عليه النتيجة المؤسفة التى تخلص من رواية صديقى ر . عن حديث الموظف الكبير إليه .

بيد أنى لا أبجد بدءاً من المضى فى تفسير هذا الحلم إلى أبعد من هذا المدى ؛ فأزلت
 أشعر بأننى لم أنه منه إلى النهاية التى أرتضيها ، وأنا لا أزال أضطرب لهذا الاستخفاف
 الذى أضع به من قدر زميلين جليلين لكى يخلو لى الطريق إلى الأستاذية . نعم ، إن من
 المستيقن أن سخطى على هذا الأسلوب قد أدركه الوهن منذ تعلمت كيف أقدر شهادة
 الحلم حق قدرها : فلا أخالى إلا منكراً أشد الإنكار كل إشارة قد يفهم منها أنى أعد ر .
 أبله حقيقة ، أو أننى لا أصدق حقيقة قصة البلاغ الكاذب كما رواها ن . ، ولا أنا

أصدق بالطبع أن إرما قد أصابها مرض خطير لأن أوتو حبّتها بحقنة من البروبيل ، فالحلم هنا ، شأنه هنالك ، إنما يعرب عن رغبتي في أن تكون الأمور كذلك . حل الفارق هو أن العبارة التي تتحقق فيها رغبتي تلوح في الحلم الثاني أقل سخفا منها في الحلم الأول ، فهي قد صيغت في هذه المرة باستخدام بعض السند من الواقع استخداما أكثر مهارة ، كتجريح ذكي يُحْتَمَلُ إليك أن « من وراء الدخان ناراً » فقد وقع إذ ذاك لصديقي ر . أن أستاذاً من كليته قد صوت ضده ، وأما صديقي ن . فقد زودني هو نفسه بمادة القلف من حيث لا يدري . ولكنني - مع هذا كله - أعود فأقول : إن الحلم لا يزال يقتضي مزيداً من الإيضاح .

إني أذكر الآن أن هذا الحلم قد احتوى جزءاً آخر أغفل التفسير أمره حتى الساعة : ذلك أنني بعد أن خطر لي أن ر . هو عمي شعرت في الحلم بحنان كبير نحوه . قلبي من يتجه هذا الشعور ؟ فأما عمي يوسف ، فطبعي أنني لم أشعر نحوه بمثل هذا الشعور في يوم من الأيام . وأما صديقي ر . فقد ظللت سنوات أكن له المودة والتقدير ، ولكنني لو قد ذهبت إليه لأعرب له عن مودتي في كلمات تقارب الحنان الذي خالطني في الحلم لما كان دهشه من غير شك بالقليل . فحناني في الحلم نحوه يظهر لي زائفاً مبالغاً فيه ، مثل حكمي على مقدراته العقلية ، وهو الحكم الذي أعربت عنه حين أدمجت شخصيته في شخصية عمي ، وإن تكن المبالغة قد انحلت هناك الاتجاه المضاد . ولكن ضوءاً جديداً قد أخذ يشرق الآن علي : فالحنان الذي أحسسته في الحلم لا ينتمي إلى المحتوى الكامن ، إلى الأفكار المستترة خلف الحلم ، بل هذا الحنان ضد هذا المحتوى وما أريد به سوى أن يخفي عني تفسير الحلم . والراجع أن ذلك على التحديد كان الداعي إلى وجوده . وأذكر الآن كيف أخذت في تفسير هذا الحلم على كره مني ، وكيف انتحلت الأعداء لإرجائه زمناً طويلاً ، وكيف قلت : هذا الحلم هراء محض . ولقد علمتني ممارسة العلاج بالتحليل النفسي كيف ينبغي تفسير هذا النوع من النبذ : إنه مجرد من كل قبة من حيث هو حكم ، ولا يعلو أن يعرب عن شعور قائله . فأبنتي الصغيرة إذا رغبت عن تفاحة قلمت إليها ، أكدت أن التفاحة مرّة وهي لم تذوقها . فإن صنع مرضاي صنيع الصغيرة علمت أن ثمت مخاطراً يريدون له الكبت . وهذا عينه يصدق على حلمي : فأنا لم أكن أرغب في تفسيره ، لأن تفسيره ينطوي على شيء أعاليه . وأعلم الآن - بعد أن أكلت التفسير - ما هو هذا

الشيء ، إنه قول : إن ر . أبله . ولست أستطيع أن أرجع الحنان الذى أحست به إلى أفكار الحلم الكامنة ، بل الأخرى لإرجاعه إلى تلك المغالبة . فإذا كان الحلم قد شوه في هذا الموضع بالقياس إلى محتواه الكامن — وشوه بحيث ينقلب إلى ضده — فقد كان الحنان الظاهر في الحلم مطية هذا التشويه ، أو بعبارة أخرى : إن التشويه يتبين في هذه الحالة تشويها متعمداً وطريقة من طرق الاستخفاء . فأفكار الحلم كانت تتضمن قدحاً في ر . ، ولكي أعمى عن هذا القدح ، ظهر في الحلم الضد ، ظهر نحوه حنان شديد .

إن من الجائز أن يكون ذلك كشفاً شامل الصدق — نعم ، إن من الحق أن هناك أحلاماً يتجلى فيها تحقيق الرغبة من غير خفاء — كما اتضح من أمثلة الفصل الثالث — ولكن حينما خفيت الرغبة أوتقنت ، وجب أن يكون ثمت باعث يبعث المرء على أن يقف من هذه الرغبة موقف المدافع ، ويكون من أثر ذلك أن تعجز الرغبة من أن تفصح عن نفسها إلا إفصاحاً مشوهاً . وهذا الذى يحدث في مجال الحياة النفسية سأحاول أن أجده له نظيراً في حياة المجتمع : أين تصادف في مجال الحياة الاجتماعية مثل هذا التشويه للأفعال النفسية ؟ نصادفه حينما نجد شخصين حظ أحدهما أن يملك القوة وحظ الآخر أن يحسب ماله القوة حسابها ، حينئذ نرى هذا الشخص الثانى يشوه أفعاله النفسية ، ونستطيع كذلك أن نقول : إنه يستغنى . والأدب الذى أمارسه في كل يوم هو إلى مدى بعيد استخفاء من هذا القليل . وإلى حين أفسر للقارئ أحلامى أراى مضطراً إلى مثل هذا التشويه . ومن ضرورة مثل هذا التشويه يشتكى الشاعر إذ يقول :

« ثم إن خير ما تستطيع علمه قد لا تملك قوله للصبيان »^(١)

ويعرف الكاتب السياسى مثل هذا الموقف ، إذا كانت لديه حقائق لا تسر ذوى السلطان . فهو إن أعرب عن رأيه في غير موارد قمعت الحكومة كلماته — قمعاً رجعيّاً

(١) [إيتان بلوته، يجرى على لسان فيستوفليس أثناء الحوار بينه وبين فارست في المشهد الرابع من الجزء الأول من "فاوست" . والمراد بالصبيان هم التلاميذ الذين يأخذون عنه المعرفة . ولد كان فرويد يجب الاستشهاد بهلن البيتين ؛ فهو يذكرهما في موضع آخر من "تفسير الأحلام" (انظر ص ٤٥٣) ، وكان قد استشهد بهما قبل ذلك في خطاب إلى ليس بتاريخ ٣ من ديسمبر سنة ١٨٩٧ وخطاب بتاريخ ٩ من فبراير سنة ١٨٩٨ (فرويد ١٩٥٠) ، ثم رجع فاستشهد بهما في أواخر حياته بمناسبة منحه جائزة جوته الأدبية سنة ١٩٣٠ ، مطبقاً لهما في هذه المرة على جوته نفسه (فرويد ١٩٣٠) .]

إن كان قد أضحى برأيه مشافهة ، وقهراً وقائياً إن كانت كلماته لا تزال في سبيلها إلى النشر . فعل الكاتب أن يحسب للرقابة حسابها ، وهو من أجل ذلك يتلطف في تعبيره ويشوهه . وقد يرى نفسه مضطراً - على حسب شدة الرقيب وحاسيته - إما إلى مجرد الإقلاع عن بعض صور المهاجمة . أو إلى التحدث تلميحاً لا تصريحاً ، أو إلى أن يخلع على روايته غير المرضي عنها ثوباً من البراءة . فيتحدث مثلاً عن خلاف بين كبيرين من كبار الصين ، بينا المصنعي^١ كبيران في بلدته . وكلما زادت الرقابة ضغطاً ، زاد التضعف استغفالاً وربما زادت كلماتك الحيل التي يشتم منها القارئ حقائق الأمور^(١) .

(١) لقد روت الدكتور هـ . فين هوج - علموت (١٩١٥) حلاً ربما كان أصح من أي حل آخر في تبرير المصلحات التي اعتمدها . فالتشويه في هذا العلم يستخدم طريقة لا تختلف عن الطريقة التي كانت تتمد إليها رقابة البريد في خلال الحرب لتخلص من الفقرات التي تثير اعتراضاً : كانت الرقابة تلجأ إلى ترجمة مثل هذه الفقرات ترجيحاً تاماً لكي تجعل من قراءتها شيئاً مستحيلاً ، بينما عمدت رقابة العلم إلى إحلال مدسة غير مفهومة في مكانها .

ولكن نفهم هذا العلم أذكر أن الحاملة كانت سيدة محترمة ، على درجة عالية من الثقافة ، بلغت الخمسين من عمرها . وهي أرملة توفى زوجها - وكان غابطاً كبيراً - منذ اثني عشر عاماً ، ولها ولدان راشدان كان أحدهما في جبهة القتال حين وقع العلم .

واليك الآن حل " خدمات الحب " [اللفظ الألماني " Liebesdienste "] يعني أولاً الخدمات الجليلة من غير مقابل ، أي بدافع من الحب ، ولكنه يقبل أيضاً تأويل آخر يسبل [إدراك] : " تنجب الحاملة إلى المشتق رقم ١ ، وتضجر الحارس لرافقه بالباب أنها يجب أن تقابل الطبيب الأول . . . (وهنا تذكر اسماً لا عهد لها به) ، لأنها تريد التطوع للخدمة في المشتق . بيد أنها تنطق كلمة " الخدمة " بطريقة تجعل ضابط الصف يدرك على الفور أنها تعني " خدمة حب " ، فيتردد بعض التردد ، ولكنه يندفع تمر ؛ لما يراه من تقديسها في السن . غير أن السيدة يدرك أن تلعب إلى الطبيب الأول ، تدخل حجرة كبيرة ، شبه مظلمة ، كان بها عدد كبير من الضباط والأطباء العسكريين جلسوا إلى مائدة طويلة أو وقفوا حولها . وتوجه السيدة بمقرعها إلى طبيب أركان حرب فيدرك مرادها ولما تفه إلا بكلمات قليلة . وكان نص كلامها في العلم ما يلي : " إنني أعلم أن اقتراحنا هذا يبدو لكم على جانب كبير من الغرابة ، ولكننا جادأت فيه غاية الجهد . ولا يسأل الجنسي في الميدان أريد الموت أم لا أريد " وهنا يسود صمت أليم خلال بضع دقائق . ثم بعد ذلك يطوقها ضابط أركان الحرب بفرأه ويقول : " يا سيدتي الكريمة ، تصوري ماذا يكون الموقف ، لو أن الأمر انتهى حقيقة إلى . . . " (مدسة) فضلت منه وهي تتحدث نفسها قائلة : " إنه لا يختلف عن غيره " ، ثم تنجيه : " يا إلهي ، إنني سيدة متقدمة في السن ، وأظن أنني لن أنثى إلى ذلك أبداً . وهناك على أية حال شرط واحد يجب ملاحظته : مراعاة السن ؛ فلا ينبغي لسيدة عبوز وفي حديث . . . (مدسة) ، إن ذلك يكون أمراً مروها . - ويجب الطبيب : " إنني أقدر ذلك تمام التقدير " . وعندئذ ينطلق بعض الضباط في الضحك بصوت عال ، وكان من بينهم ضابط كان قد طلب يدعا وهي في شبابها . وتبرم السيدة عن رفيقها في أن ترى الطبيب الأول الذي تعرفه معرفة شخصية لكي تنهى معه هذه المسألة جميعها . ولشد ما كانت دهشها حين رأت أنها لم تكن تعرف اسمه . بيد أن طبيب أركان الحرب يريها في أدب واحترام بالغين سلباً من الحديدي ، حلزونياً ، شديد اللصيق ، يسلم مباشرة إلى الطابق

هذا التطابق الذى يمس دقائق التفاصيل بين ظواهر الرقابة والتشويه يخول لنا أن نفترض أن لكليهما شروطاً متماثلة . وفى مقدورنا إذن أن نقول : إن الذى يعين شكل الحلم عند كل فرد قوتان (ونستطيع أن نسميهما تيارين أو نظامين) . ، إحداهما هى الرغبة التى يعرب عنها الحلم ، والأخرى هى التى تقوم بالرقابة على لعله الرغبة وبذلك تؤدي بالضرورة إلى تشويه التعبير عنها . ولا يبقى إلا أن نسأل : فمى تقوم سلطة هذا النظام الثانى ، تلك السلطة التى تمكنه من أن يفرض رقابته ؟ إذا لم ننس أن أفكار الحلم الكامنة هى أفكار لم نكن نشعر بها قبل أن نقوم بالتحليل ، على حين أننا نتذكر الحلم الناشئ عنها تذكراً شعورياً ، لم نكن بعيدين عن أن نقدر أن المزية التى يحظى بها هذا النظام الثانى هى مزية لإذن بدخول الشعور . فلا شئ يدخل الشعور من النظام الأول إلا مر بهذا النظام الثانى ، كما أن هذا النظام الثانى لا يترك شيئاً يدخل الشعور بدون أن يمارس حقوقه ودون أن يدخل على الفكرة الصائبة إلى الشعور كل ما يراه مناسباً من التغييرات . ونحن نتوسم من وراء ذلك فكرة محدودة تمام التحديد عن « ماهية » الشعور : فالضرورة إلى الشعور تصبح فى نظرنا فعلاً نفسياً خاصاً ، له تميزه واستقلاله عن عملية تكوين الأفكار أو التصورات كما أن الشعور يتبدى لنا فى صورة عضو من أعضاء الجسم يتناول بإدراكه مادة تنشأ فى جهات أخرى . ومن الممكن أن نبين أن علم الأمراض النفسية لا يملك الاستثناء عن هذه الفروض الأساسية بحال من الأحوال . بيد أننا لا نجد بدءاً من أن نرجى النظر فى هذه الفروض إلى موضع آخر . [انظر الفصل السابع ، وبخاصة القسم و] .

فلذا أدخلنا بفكرة النظامين التفسيرين وعلاقتها بالشعور ، وجدنا فى مجال الحياة السياسية مثالا يصور أحسن التصور هذا الحنان العجيب الذى شعرت به فى الحلم نحو صديق ر . مع ما أظهره التفسير من حط قدره : « إلى أتخيل الحياة السياسية فى بلد يغار حاكمه على سلطته أشد الفيرة وينازعه إياها رأى عام يقف : قد يثور الشعب على رجل من رجال الدولة بغضى إليه ويطالب بإقالته ، ولكن الحاكم المستبد يريد أن يظهر ازدراؤه

سالكين . وبينما تصمد تسع شايلا يقول : " إنه قرار ما أجسه ، ويستوى أن تكون صاحبة صغيرة السن أو مضمة ، لما كل إجلائنا ! "

وتبقى الحالة مصعدة فى درجات لا تنهى ، يملأها الشعور بأنها إنما تؤدي واجباً .

وتكرر هذا الحلم مرتين فى خلال بضعة أسابيع دون أن يحد - هل حسب ما لاحظته السيدة - سوى تغيير مجرد من كل أهمية أو مغزى .

لإرادة الشعب ، فإذا هو يخلع على رجل الدولة هلاً شرفاً كبيراً ما كان لينحه إياه لولا ذلك . وعلى هذا النحو يجود النظام الثاني الذى يتحكم عندى فى الطريق إلى الشعور بطفحة من الحنان على صديق ر . ، لا لشيء سوى أن النزاع المنتحية إلى النظام الأول كانت تبغى لو رمت ر . بآلبه ، لمنفعة خاصة كانت تجلبها فى ذلك الحين^(١) .

لعلنا نلمح الآن أن فى مقدور تفسير الأحلام أن يلتقى على تركيب جهازنا النفسى ضوءاً ظللنا ننتظره عبثاً من الفلسفة . بيد أننا لن نملك هذه السبيل ، بل نعود وقد وضحنا أمر تشويه الحلم - إلى المشكلة التى ابتدأنا منها . لقد كان سؤالنا هو : كيف يمكن أن ترد الأحلام الأهمية إلى تحقيقات للرغبات ؟ وما نحن أولاء نرى أن ذلك أمر ممكن إذا طرأ التشويه على الحلم ، وإذا لم يكن المحتوى الأليم سوى قناع لأمر تنجبه الرغبة إليه . ويمكننا أيضاً أن نقول بالإشارة إلى ما افترضناه من وجود نظامين نفسيين : إن الأحلام الأهمية تتضمن حقيقة شيئاً مؤثلاً بالنسبة إلى النظام الثانى ولكنها تحقق فى الوقت عينه رغبة للنظام الأول ، فهى أحلام رغبة من حيث إن كل حلم يصدر عن النظام الأول ، وأما علاقة النظام الثانى بالحلم فعلاقة دفاعية لا إنشائية^(٢) . ولو أننا قصرنا أنفسنا على النظر فيما يضيفه النظام الثانى إلى الأحلام ، ما أمكننا قط أن نتوصل إلى فهمها : إن جميع الألفاظ التى لاحظها المؤلفون أمرها فى صدد الحلم تنقل عندئذ قائمة .

أن يكون لكل حلم حقيقة معنى مستتراً لا يخرج عن أن يكون تحقيق رغبة أمر يجب تبياناه بالتحليل فى كل حالة من جديد . وعلى ذلك أنتخب قليلاً من الأحلام ذوات المحتوى الأليم وأحاول تحليلها . وبعض هذه الأحلام قد أتاها أشخاص هسريون ، وهى

(١) إن أشغال هذه الأحلام المناقشة غير نادرة الوقوع سواء عنى أم عند غيرة . ولقد اتفق بيننا كنت أشتغل بمشكلة عليية معينة أن أزمعنى حلم عايدى فى خلال عدة ليال متقاربة . وكان مضمونه هو الصلح مع صديق كنت قد تحولت عنه منذ زمن بعيد . وأخيراً ، بعد المرة الرابعة أو الخامسة ، أظلمت فى فهم هذا الحلم : إنه كان تعريضاً على أن أدع البقية الباقية من الاحتراب التى كنت أكنه لهذا الشخص ، وعلى أن أسمر نفسى منه تحميراً تاماً ، وهو ما تقنع بقناع الفقد فلما . ولقد ذكرت فى موضع آخر (١٩١٠ ل) حلماً حلته البعض فيه حل الحنان الظاهر محل النزعات العدوانية ورفبات الموت المتضمنة فى الإنكار الكائن . وسوف أذكر فيما بعد لوباً آخر من أحلام الضلال (انظر الفصل السادس " عمل الحلم " [ص ٧١] وما بعدها) [] تصديق المشار إليه فى هذا الماخذ هو من غير شك فيلهلم فليس ، والمخلص كله قد أعيد فى سنة ١٩١١ .

(٢) (١٩٣٠) سوف نصادف أيضاً - فيما بعد - أمثلة أخرى تمرب - على العكس - من رغبة هذا النظام الثانى . [انظر " أحلام المقاب " فى الفهرست التحليل] .

إذن تستدعى تمهيداً طويلاً وتستدعى في بعض المواضع غوصاً في العمليات النفسية التي تتميز بها hysteria . ولكنني لا أجد سبيلاً إلى إزالة هذه الصعوبات التي تنقل عرض حجبتي .

عندما أعالج أحد العصبيين بالتحليل النفسي ، فالقاعدة — كما سبق أن ذكرت — هي أن تغدو أحلامه موضع حديثنا . ولست أجد بداً في خلال هذه المناقشة من أن أطأه على كل الإيضاحات السيكلوجية التي أعانني نفسي على فهم أعراضه . وهذا أسمع منه نقداً لا هوادة فيه ، لا يقل صرامة — على التأكيد — عن هذا الذي أتوقعه من زملائي . ولم يفت مريضاً من مرضى أن ينقد قول: إن الأحلام جميعها تحقق رغبات . وها هي ذى بضعة أمثلة من تلك الأحلام التي ساقها أصحابها تدليلاً على بطلان نظريتي .

قالت مريضة فطنة من مرضى : « إنك تقول دائماً : إن الحلم يحقق رغبة . إليك إذن حلماً كان على عكس ذلك تماماً ، فقد كان مؤداه أنني لا أحقق إحدى رغباتي . فكيف توفق بين ذلك وبين نظريتك ؟ وها هو ذلك الحلم :

« أريد أن أقيم مأدبة عشاء ، ولكنني لا أجد لدى سوى قليل من سمك السالمون المدخن . أفكر في الخروج لكي أشتري شيئاً ما ، ولكنني أتذكر أننا في مصر يوم الأحد وأن جميع المحال مغلقة . فأحاول الاتصال ببعض الموردين ، ولكن التليفون كان متطلا . وعلى ذلك لا أجد بداً من النزول من رغبتي في إقامة مأدبة العشاء . »

وكان جوابي بالطبع هو : أن التحليل وحده هو الذي يستطيع أن يقرر ما معنى هذا الحلم ، وإن كنت أسلم بأنه يلوح للوهلة الأولى معقولاً متناسق الأجزاء ، وأنه يرينا عكس تحقيق الرغبة . « ولكن أية مناسبة دعت إلى هذا الحلم ؟ فأنت تعلمين أن الحافز إلى الحلم يكمن دائماً بين أحداث اليوم السابق . »

التحليل : إن زوج المريضة — وهو رجل أمين قدير يشتغل بتوريد اللحوم بالجملة — قد أخبرها في اليوم السابق أنه أخذ يفرط في السمنة ، وأنه — لذلك — قد اعتزم أن يبدأ علاجاً يخفف وزنه : أن يستيقظ في ساعة مبكرة من الصباح وأن يقوم ببعض التمرينات البدنية ، مع الأكل بنظام دقيق في التغذية ، ثم هو — قبل كل شيء — لن يقبل أى دعوة إلى العشاء . — وأضافت المريضة كيف تعرف زوجها في المطعم الذي اعتاد أن يتناول فيه وجبة الغداء برسام ألح في طلب رسمه إلحاحاً شديداً ، لأنه — أعنى الرسام — لم ير في

حياته رأساً كانت للملاحه مثل هذه القوة المعبرة. إلا أن زوجها أجابه بطريقته القاطعة :
 إنه شاكر جزيل الشكر ولكنه واثق من أن طرفاً من مؤخر فتاة جميلة سوف يكون أحب
 إلى الرسام من رأسه هو بأكله^(١) . إنها الآن مولعة بزوجها أشد الولع ، وتتحين المناسبات
 لمعاكسته . وهى أيضاً قد طلبت منه أخيراً أن يكف عن تقديم الكافيار لإليها . ما معنى
 ذلك ؟

الحقيقة هى أنها تمنى منذ زمن طويل لو قد استطاعت أن تأكل ساندويش من
 الكافيار كل صباح ، ولكنها تغالب نفسها خشية التكاليف . إنها تستطيع بالطبع أن
 تنال على الفور كل الكافيار الذى نشاء لو قد سألت زوجها ، ولكنها طلبت منه - على
 العكس - ألا يهدى إليها شيئاً منه ، لكى يتاح لها المنهى فى معاكسته .

(إن هذا التعليل يبدو لى مفتعلاً . وأمثال هذه البيانات غير المقنعة تسر فى العادة
 دوافع لا يصارح بها صاحبها نفسه . إنها تذكرنا بالمرضى الذين كان يزومهم برنهام تنوعياً
 مغناطيسياً والذين كانوا ينفذون بعد استيقاظهم ما أمروا فى خلال تنويمهم بأدائه ، فإن
 سئلوا عن دوافعهم ، لم يقولوا : لا ندرى ، بل انتحلوا فعلهم سبباً بظهور للعيان بعده عن
 الصواب . وأغلب الظن أن ذلك هو الشأن فيما يتصل بكافيار مريضتى . وألاحظ أنها قد
 سقت إلى أن تخلق لنفسها رغبة غير محققة فى حياة اليقظة . والحلم أيضاً بصور هذا
 النزول عن الرغبة . فما وجه حاجتها تلك إلى رغبة لا تتحقق ؟)

إن الأفكار التى ظفرنا بها حتى الآن لا تكفى فى تفسير الحلم ، فألح فى طلب المزيد .
 وإذا هى - بعد وقفة قصيرة تتفق والوقت الذى استغرقه ظهورها على بعض المقاومة -
 تقص على أنها فى اليوم السابق قد زارت صديقة لها تعرفت مريضتى بغيرتها منها ، لأن
 زوجها لا يكف عن امتداحها . ومن حسن الحظ أن هذه السيدة نحيفة عجفاء ، بينما
 يعجب زوجها بالأشكال المليئة . والآن : عم تحدثت هذه الصديقة العجفاء ؟ تحدثت
 بالطبع عن رغبتها فى أن تملأ بعض الامتلاء . وهى أيضاً قد سألت مريضتى : ترى متى
 تدعيننا إلى وجبة أخرى ؟ فالطعام الذى نأكله عندك ما أطيبه دائماً !

والآن اتضح معنى الحلم ، وأستطيع أن أقول لمريضتى : « لكأنك - حين سألتك

-- (١) انظر قولنا : " بعد الصور " ثم يلى جونه :

وإذا لم يكن السيد التيل مؤخره
 فكيف يستطيع السيد التيل تسود ؟

صديقتك سؤالها - قد حدثت نفسك قائلة : « حقاً أتريدن أن أدعوك إلى منزل حتى تأكلى وتسمى وتظفري من إعجاب زوجي بالمزيد إلى لأفضل ألا أدعو أحداً للعشاء بعد الآن ، والحلم يقول لك : إنك لا تستطيعين أن تدعى أحداً إلى العشاء ، فيحقق بذلك رغبتك في ألا تفعل ما من شأنه أن يستدير جسم صديقتك . وإن عزم زوجك على أن يرفض دعوات العشاء تجنباً للسنة قد ذكرك أن المرء يسمن في الولائم » . ولا تنقصنا بعد ذلك إلا مصادفة توريد حلنا : ذلك أن عجب السالمون المدخن في الحلم لم يكن قد تبين أمره بعد . فلما سألت المريضة : « كيف اتفق لك التفكير في السالمون ؟ » أجابت : « إن السالمون المدخن هو طبق صديقتي المفضل » . ويتفق أنني أعرف هذه السيدة ، وأستطيع أن أقول : إنها تحل لنفسها من السالمون المدخن مقدار ما تستحله مريضتي من الكافيار .

إن هذا الحلم لا يزال يقبل تفسيراً آخر ، اللطف وأخفى ، تقتضيه ملابسة ثانوية . ثم هو تفسير لا يتناقض سابقه ، بل إنهما ليتداخلا ضاربين لنا مثالا طيبا على هذا التكرار في المعنى الذي تنطوي عليه الأحلام عادة شأنها في ذلك شأن سائر الظواهر النفسية المرضية جميعا . فنحن نذكر أن مريضتي حين وقع لها الحلم الذي تخلت فيه عن إحدى رغباتها كانت تعمل على أن تخلق لنفسها رغبة معوقة في الحياة الواقعة كذلك (رغبة ساندوئش الكافيار) . وكانت صديقها قد أعربت من جانبها عن رغبة لها - هي الرغبة في أن تزيد امتلاء . وما كنا لننحس لو أن مريضتي قد حملت بأن رغبة صديقها قد جانبها التحقيق ، فذلك على التحديد هي رغبة مريضتي ، إنها الرغبة في ألا تتحقق رغبة صديقها في أن تزيد وزناً . ولكنها - بدل ذلك - تحلم بلا تحقق إحدى رغباتها هي . وإن الحلم ليكسب تفسيراً جديداً إذا لم تكن هي المعنية في الحلم بل صديقها ، إذا كانت قد وضعت نفسها مكان صديقها أو عينت ذاتها^(١) بها ، كما يمكننا أن نقول .

(١) [مكلما ترجم فلا ذا أصل لافى ، ثم انتقل من اللاتينية إلى جميع اللغات الأوروبية ، دون أن يكون له مرادف تام في العربية . ومعنى هذا الفعل هو (أ) أن تقول من يشين إنهما ذات الشيء ، أن تقول من أحدهما إنه الآخر أى أن تعرف به ، أو (ب) أن تجعلهما كذلك . ثم استخدم فرويد هذا الفعل ليسى به السلبية النفسية أو العلاقة التي يتحدث عنها الآن بين الذات وغيرها . فمن الواضح من المثال الذي ذكره أن قول المريضة فيها يتصل بصديقها : « لا أريد أن تتحقق رغبتي » قد انتقل في الحلم صورة : « لا أريد أن تتحقق رغبتي » . ومنه تظهر المسارة أو المطابقة التامة بين ياء المتكلم وضير الغالبة . فكانت المريضة قد دلت على نفسها بصديقها ، مرفها بها ، وهذا هو المعنى الأول للكلمة . - ومنه باختصار إلى أن الأمر لا يتعلق بالطبع بمريضته

وأعتقد أن ذلك هو ما قد وقع حقيقة ، وإن كونها قد خلقت لنفسها رغبة محببة في الحياة الواقعة لعلامة على هذا التعيين لذاتها بصديقتها . ولكن ما معنى هذا التعيين المستر ؟ إن ذلك ما يحتاج إلى شرح مطول . فالتعيين لحظة بالغة الأهمية في ميكانيكية الأعراض المسترية . فهو الذى يمكن المرضى من أن يعربوا بأعراضهم لا عن خبراتهم أنفسهم فقط ، بل عن خبرات عدد كبير من الناس فوق ذلك ، حتى لكأنهم يلمون

مستدركها المريضة وملكها ، أى معرفة تنطق بها وتجهلها موضع قول ، بل الأصح هو أن نقول : إن هذه المعرفة هى التى تملك المريضة وتكسبها وتقلها عن حقيقتها ، إنها معرفة ماثلة قبل كل شيء . وبمرزنا هذا إلى المعنى الثانى : فقد " وضعت المريضة نفسها مكان صديقتها " أى أنها قد صارت هى الموقوفة ، أى هى الصديقة . وترجيتنا لا تنقل هذا المعنى الثانى نقلاً مباشراً ، ولكن يبررها أنه إذا كان الأمر كذلك ، فكأن المريضة قد تعينت بصديقتها بالمعنى الأرسطوطاليسى الذى نقول به : إن المادة تعين بالصورة .

وإذا أردت أن تمثل العلامة التى يراد التعبير عنها بمثل مألوف قلنا : حين نرى رجلاً انزعجه شخصية نابليون عن نفسه انزعاجاً جزئياً (وسيتلحى بكون الأمر غروباً ، قل أو كثر) أو انزعاجاً كلياً (وسيتلحى بكون جنوناً) - فإننا نعرب عن ذلك بأن نقول حينئذ : إنه « فإكر نفسه نابليون » ، ولقول حينئذ آخر : إنه « حامل نفسه نابليون » . وهذه الحرية فى اختيار إحدى الصيغتين دليل على أننا نشعر بأن العلامة المراد الإعراب عنها ، بين المجهين والبالغيين ، هى علاقة ذات وجهين : وجه معرفى (اعتقادى) هو الذى يبرز حين نقول : فإكر نفسك (وهى معرفة هى فى الوقت نفسه ضلال) ، ثم وجه معاشى هو الذى يبرز حين نقول : حامل نفسك (وهو فعل هو فى الوقت نفسه غيالى) . ونسمن نرى كيف ينطلق الفعل الأوروبى بمبنيته على هذه العلاقة بينهما جميعاً أحسن الانطلاق . أما بالمرية فلم نجد غيراً من قولنا إن المجهين قد " عين ذاته " بنابليون .

وأما الترجمتان الموضوعتان من قبل : تقمص وتوجد ، فلم نجد بداً من تركهما . فقد خضفتا الطرف عن الطابع المجازى لأولاهما ومن الخطأ القصرى الذى فى ثانيتهما - لما تجلجى المناقشة إلا بعد التسليم بمقاصد الخلل - ومع هذا بقى سببان يحلان دون قبولنا : الأول ، هو أن كلا هاتين الترجمتين تفعل الوجه المعرفى لفكرة المراد ترجمتها إغفالاً تاماً . ولقد كنا نفرض الطرف من ذلك نظراً لأن هذا المعنى وإن كان متضاداً من غير أدنى شك فى القلق الأوروبى إلا أن فرويد لا يبرزه فى المادة صراحة حين يتحدث عن العلاقة التى يفسحها هذا اللفظ ، ولكن هناك السبب الثانى ، وهو الأهم : ذلك أن كلتا هاتين الترجمتين ترمضاننا ترميضاً شديداً لفهم التعيين الدقيق على أنه محاكاة ؛ فقولنا : " تقمص فلان فلاناً أو توجد به " يحسبنا تفهم حاداً أنه يحاكيه بمحاكاة شديدة ، هل حين أن فرويد نفسه يفرق بين على تفرقة قاطعة صريحة بين التعيين الدقيق بالمعنى التحليلى وبين العملية السيكلوجية المعروفة باسم التقليد . وألقى هو أن التقليد عملية تتم بين طرفين مكونين من قبلهما المقلد والمقلد ، فى حين أن التعيين الدقيق هو العملية أو العلاقة التى تتكون الذات بها فيها . أو بمباراة سيبنوزية : إن فكرة التعيين الدقيق فكرة تقمصنا فى مستوى الطبيعة المطابقة أو المكونة لا الطبيعة المطبوعة أو المكونة ، ويجب أن تفهم فى هذا المستوى . وإن ذلك عنه هو الذى يحمل فيها هذا عبراً غاية السر على غير الملائمين ، وليس مثل المحلل ليدرك فى وضوح العلم قول الشاعر : " Je est un autre " .

هذا ولقد أردنا أن نجنب القارئ كل غلط ممكن فاستمنا فى طوي هذا الكتاب وعرفه عن أن نستعمل مادة " عين " إلا فيما يبادل *identifizieren* فلم نقل " عين ذاته أو نفسه " إلا لمادة *identifizieren* كما لم نقل " التعيين " إلا فى معنى *Identifizierung* [.

بوصاطه نيابةً عن جمهور بأكله من الناس ، ويمثلون بمفردهم أدوار الرواية جميعا .
 وسوف أسمع من يقول : إن هذا إلا التقليد المسترى المعروف ، قدرة المسترين على أن
 يقلدوا أى عرض قد يستدعى انتباههم عند غيرهم من الناس ، إنه المشاركة الوجدانية وقد
 اشتدت - إن جاز التعبير - إلى حد التكرار . بيد أن هذا القول إنما يدل على الطريق
 الذى تسلكه العملية النفسية فى حالة التقليد المسترى . والطريق شىء ، والفعل النفسى الذى
 يسلك هذا الطريق شىء آخر ؛ فهذا الفعل يقوم فى عملية استنباطية لاشعورية ، كما يتضح
 بمثال : لنفرض أن طبيباً يعالج مريضة تعاني نوعاً من التشنج فى حجرة واحدة من حجرات
 المستشفى مع غيرها من المرضى : إن الطبيب لن يدهش إذا رأى ذات صباح أن هذا النوع
 من النوبات المسترية قد وجد مقلدين ، ولن يزيد الطبيب على أن يقول : « لقد رآها
 سائر المرضى ، فحلوا حنوها ؛ هذه حالة من حالات العلوى النفسية » - نعم ، ولكن
 هذه العلوى النفسية قد وقعت على نحو يقرب من الآتى : إن المرضى يعلمون فى العادة ،
 كل عن الآخر ، أكثر مما يعلمه الطبيب عن كل منهم على حدة ، وهم - بعد أن تفرغ
 زيارة الطبيب - يتحولون إلى الاهتمام بعضهم ببعض ، فافرض أن مريضة قد انتابتها اليوم
 إحدى أزماتها : إن البقية لن تلبث أن تعلم أن العلة خطاب تلقته من أهلها أو هائج غرام
 هاج شجوها أو شىء يشبه ذلك ، ثم إذا كل منهم تنور مشاركته ، وتكون فى نفسه تلك
 النتيجة - وإن لم تبلغ شعوره - : « إذا كان من الممكن أن يعانى المرء مثل هذه النوبة
 من جراء مثل هذه العلة ، فأنا أيضاً قد أعانيها ، لأن مثل هذه العلة قد تعرض لى ،
 ولو كانت هذه نتيجة تستطيع أن تبلغ الشعور ، لأمكن أن تسلم إلى الهيلة من معاناة
 مثل هذه النوبة ، ولكنها قد تكونت فى منطقة نفسية مغايرة ، ولما كانت تنشئ لى
 تحقيق العرض المخوف . وهكذا لا يكون تعيين الذات بغيرها تقليدياً وحسب ، بل تمثلاً^(١)
 قائماً على ادعاء علة مماثلة ؛ إنه يعرب عن فكرة « ما من فارق » ويتعلق بتعصر مشترك
 يظل باقياً فى اللاشعور .

ويستخدم التعيين فى المسترى - أكثر ما يستخدم - تعبيراً عن شركة جنسية . فالمرأة
 المسترية أسرع ما تكون - وإن لم يكن ذلك على نحو مانع - لى أن تعين ذاتها فى
 أعراضها بأولئك الأشخاص الذين كانت لها بهم علاقة جنسية ، أو بمن كانت لهم بأولئك

هذه العلاقة نفسها . وتدخل اللغة في حسابها تصوراً مماثلاً للأمر ، فيقال عن العاشقين :
 «إنهما شيء واحد» . ويكنى من أجل وقوع التعيين ، في الخيلة المستمرة كما في الحلم ،
 أن يفكر المرء في علاقات جنسية . دون أن تكون هذه العلاقات حقيقة بالضرورة .
 لمريضتنا إنما تتبع قواعد التفكير المسترى حين تعرب عن غيرتها (وهي بعد غيرة تسلم
 هي نفسها مجلّوها من كل مبرر) بأن تضع نفسها موضع صديقها وتعين ذاتها بها بخلق
 عرض من الأعراض (هو الرغبة المنوعة) . ولنا أن نعرب عن العملية في كالم على النحو
 الآتي : إن المريضة قد وضعت نفسها في محل صديقها لأن صديقها قد شغلت منزلتها
 هي في نفس زوجها ، ولأنها - أعني مريضتي - كانت تود لو تحل محل صديقها في
 إعجاب زوجها^(١) .

وأرادت مريضة أخرى (هي أمهر حالماتي) أن تنقص نظريتي في الأحلام ، فأمكن
 أن يجل حلمها حلاً أقل تعقيداً وإن ظل متفقاً مع ذات القاعدة : أن لا تحقق إحدى
 الرغبات معناه تحقق أخرى . ذلك أنني شرحت لها يوماً أن الحلم يحقق رغبة ، فأنتنى في
 اليوم التالي بحلم رأت فيه أنها تسافر وزوجة أبيها لتقضي فصل الصيف معاً في الريف .
 وكنت أعلم أنها قد ثارت ثورة شعواء على فكرة المصيف قريبا من زوجة أبيها ، وأنها -
 قبل ذلك بأيام- قد أفلحت لحسن حظها في الإفلات من هذه الصحبة المخوفة فاستأجرت
 منزلاً في الريف يبعدها عن حيث كانت امرأة أبيها كل البعد . وما هو ذا الحلم قد أتى
 فإذا هو يقلب هذا الوضع رأساً على عقب . ألا ينقص ذلك نظريتي في تحقق الرغبة
 بوساطة الحلم أقطع نقض ؟ يقينا ، ولا يحتاج المرء إلا إلى أن يستخرج النتيجة التي تخلص
 من هذا الحلم لكي يحصل على تفسيره : إن الذي يخلص من هذا الحلم هو أنني كنت
 على خطأ . وهكذا فقد كانت رغبتي هي أن أكون على خطأ والحلم يربها بتحقيق هذه

(١) إنني آسف إذ أدرج في سياق كلامي هذه الفقرات الخاصة بسيكويولوجية المسترى ، وهي - فقرات
 لا يمكن أن تأتيها بنور كبير لتقطع عرضها ولا لتزاعها من محيطها . بيد أنه لو أمكن أن تدلنا هذه الفقرات على
 العلاقات الباطنة بين الأحلام والأحسنة ، لخلق ذلك الفرض الذي أوردتها من أجله . [هي من المرة الأولى التي
 يتحدث فيها فرويد في كتاباته المنشورة عن فكرة التعيين وإن يكن قد أشار إليها من قبل (١٨٩٧) في رسالته
 إلى فليس . وتزيد أهمية هذا النص إذا علمنا أن فرويد لا يعود إلى مثل هذا النظر المفصل إلا بعد ذلك بما يزيد
 على العشرين عاماً (فرويد ١٩٢١ ج . الفصل السابع) وأن الأمر يتعلق بفكرة لا تفعل إذا قلنا إنها حبر الزاوية
 في كل النظرية التحليلية النفسية - ونرجو أن يبدوا ذلك على الحاشي الطويل الذي وضعت في تقرير ترجمتنا لهذا
 المصطلح . هذا ويطلق لفظ التعيين أيضاً على عملية أخرى تكون جزءاً من عمل الحلم ، يتحدث فيها فرويد في
 القسم من الفصل السادس ، ص ٣٣٠ . وهذه العملية الأخيرة تختلف في دلالتها من تلك التي تحدث
 فيها فرويد الآن اختلافاً طليقاً ، وإن اشتركت معها في الاسم] .

الرغبة . بيد أن رغبتي في أن أكون قد جانبت الصواب - وهي الرغبة التي ارتبط تحقيقها بقصة إجازة الصيف - كانت في الحقيقة تتصل بشيء آخر أكثر خطراً . ذلك أنني كنت قد استتجت في ذلك الوقت من المادة التي جلبها تحليلها أن أمراً كان له أثره الحاسم في نشأة مرضها لا بد قد وقع لها في فترة معينة من حياتها . ولكنها نفت ذلك ؛ لأنها لم تكن تذكر شيئاً منه . وما لبث أن تبين أنني كنت على صواب . ورغبتي إذن في أن أكون على خطأ كانت تجيب رغبة أخرى لها وجاهاً ، هي الرغبة ألا تكون قد وقعت قط تلك الأمور التي كانت المريضة قد أدخلت تحدرها إذ ذاك للمرة الأولى .

وحدث مرة أنني جازفت ففسرت من غير تحليل ما بل بنخمين محض قصة صغيرة جرت لصديق لي كان زميلي في المدرسة طيلة ثماني سنوات . فقد استمع يوماً إلى محاضرة ألقيتها في دائرة صغيرة وكان موضوع المحاضرة هو هذه البدعة القائلة : إن الحلم تحقيق رغبة . فلما عاد إلى منزله حلم بأنه قد حصر جميع قضاياه - وكان محامياً - ثم جامعي يشتكي في هذا الصدد . فكان أنني هربت قائلاً : « إن المرء لا يستطيع أن يكسب جميع قضاياه » . بيد أنني قد حدثت نفسي قائلاً : « إذا كنت قد ظللت ثماني سنوات وأنا أول الفصل على حين كان هو يتأرجح في مكان ما بمتصفه ، فهل من عجب في أن تساوره تلك الرغبة المتخلفة من أيام الصبا في أن أبوه يوماً بالخلدان ؟ »

وها هو ذا حلم آخر أقم طابعاً ساقته أيضاً إحدى مريضاتي اعتراضاً على نظرية أحلام الرغبة . كانت المريضة فتاة في مقتبل العمر ، قالت : « تذكر أن أختي لم يبق لها الآن إلا ولد واحد ، هو كارل ، فقد توفي أخوه الأكبر أوتو حين كنت لا أزال أسكن بمنزلي ، وكان أوتو هو الولد المفضل عندني ، فأنا في الحقيقة التي نشأتني . نعم ، إن الولد الأصغر عزيز علي كذلك ، لكنه إعرزاز لا يقارب ما كنت أكنه لأخيه المتوفى . وفي الليلة الماضية حلمت أن أرى كارل يرقد ميتاً في نبتة الصغير وقد تشابكت يده وأحاطت به الشروع ، وبالاختصار كان المشبه شيئاً كل الشبه حين مات صغيري أوتو تلك الليلة التي تعلم إلى أي حد صدمني . والآن خبرني ، ما معنى ذلك ؟ إنك تعرفني . هل أنا من القسوة بحيث أتمنى لأختي أن تفقد طفلها الوحيد ؟ أو أن ذلك يعني أنني كنت أفضل لو كان الميت كارل وليس أوتو الذي آثرته ذلك الإيثار الكبير ؟ »

وهنا أكدت لها أن التفسير الأخير تفسير ينبغي استبعاده كل الاستبعاد . ولم يعجزني

— بعد قليل من الروى — أن آتيا بالتفسير الصحيح . وقد سغنى ذلك لأننى كنت أعلم من قبل تاريخ الحالة بروته .

نمت الفتاة وهى فى مطلع حياتها فنشأت فى منزل أخت لها تكبرها فى السن كثيراً . ولقيت الفتاة بين من كانت تلقى من أصدقاء المنزل وزواره رجلاً ترك فى قلبها أثراً لا يمحو . وجاء وقت لاح فيه أن هذه العلاقة التى ما كادت تبلغ مبلغ التصريح سوف تنتهى إلى الزواج ، ولكن أختها قضت على هذه الخاتمة ، لأسباب لم تستر قط كل الاستشارة . ولا حلت القطيعة انقطع عن المنزل الرجل الذى خصته مريضتى بحبا ، واستقلت هى بعيشها بعد أن مات أوتو الصغير الذى كانت تحولت إليه فى إبان ذلك بحبا . بيد أنها لم تفلح فى التحرر من تعلقها بصديق شقيقها . كان كبرياؤها ينهاها عن لقاءه ، لكنها كانت عاجزة عن أن تخلع حبا على غيره من الطلاب الذين تواردوا عليها . وكان من المحقق إذا أعلن رجلها الحبيب — وهو من المشتغلين بالأدب — عن محاضرة يلقيها ، أن تجدها بين سامعيه . وكانت إلى ذلك لا تترك فرصة تتيج لها أن تراه فى مكان عام دون أن تُرى . وأذكر أنها قد أبلغتني فى اليوم السابق أن الأستاذ ذاهب إلى حفل موسيقى وأنها أيضاً ذاهبة إليه حتى تنعم بطلعته مرة أخرى . كان ذلك فى اليوم السابق على الحلم : وكان يوم الحفل هو اليوم الذى قصت فيه الحلم على . وهكذا تيسر أن أستنتج التفسير الصائب : سألتها هل هناك حدث تخصه بالذكر بعد موت أوتو ، فأجابت على الفور : « طبعاً ، لقد جاء الأستاذ إذ ذاك بعد طول غيبة ، فرأيت مرة أخرى بجوار أوتو الراقدة فى نعش الصغير » ، وكان ذلك عينه هو ما حميت ، ففسرت لها الحلم على هذا النحو : « لو أن الولد الآخر مات الآن ، لتكرر ذلك مرة أخرى . سوف تقضين اليوم فى منزل أختك ، ويجيء الأستاذ على التأكيد للتعزية وترينه من جديد فى ذات الملاحظات التى رأيت فيها من قبل . ولا يعنى الحلم سوى هذه الرغبة فى العودة إلى رؤيته ، تلك الرغبة التى تكافحها فى دخيلة نفسك . وأعلم أنك تحملين فى حبيبك تذكرة لحفل اليوم ، فحللمك حلم صبر نافذ : إنه يستبق لقاء اليوم بساعات قليلة » .

فالمريضة لكى تخفى رغبتها قد اختارت موقفاً جرت العادة على أن تكبت فيه أمثال هذه الرغبات ، موقفاً يطنى فيه الحزن على المرء فلا يجد مسعاً للتفكير فى الحب . ومع هذا فإن من الممكن كل الإمكان أن تكون الفتاة قد عجزت — حتى وهى واقعة حقيقة بجانب

نعش الولد الأسير الذى أثرته بحبها - يعنى أن تكبت مشاعرها الرقيقة تجاه ذلك الزائر الذى طالما اشافت إليه .

وهناك حلم آخر يماثل الذى سبق ، بيد أنه لى تفسيراً مختلفاً ، وهو حلم أنه مريضة عرفت فى صباها بسرعة النكة ومرح المزاج وكانت لا تزال تبدى هذه الصفات فى المستشفيات التى كانت تدور بخاطرها فى أثناء العلاج على الأقل . فقد خيل إلى هذه السيدة ، ضمن ما خيل إليها فى سياق حلم طويل ، أنها ترى ابنتها الوحيدة البالغة من العمر خمسة عشر ربيعاً وقد رقدت أمامها فى صندوق رقدة الموت . وكانت السيدة تود لو قد أقامت من ظاهر حلمها حجة على نظريتى ، ولكنها كانت تشعر هى نفسها بأن ملابس الصندوق تنطوى لا محالة على ما قد يؤدى إلى فهم مختلف للحلم^(١) . وأخذنا فى التحليل فخطر لها أن الحديث قد دار فى سهرة الأمس حول كلمة "box" الإنجليزية وحول الكلمات الألمانية التى تترجم معانيها المختلفة فى الإنجليزية ، مثل Schachtel [صندوق] و Loge [مقصورة] و Kasten [خزانة] و Ohrfeige [لكمة] . وكان فى سائر فقرات ذلك الحلم ما يسمح لنا بأن نضيف إلى ذلك أن السيدة قد حلمت العلاقة بين الكلمة الإنجليزية "box" وبين الألمانية "Büchse"^(٢) وأنها قد تذكرت عندئذ - ولم تبحرهما الذكرى - أن كلمة "Büchse" تستخدم فى لغة السوق للدلالة على الأعضاء التناسلية عند المرأة . وبهذا أمكننا أن نسلم - مع قليل من التسامح تجاه معرفتها بالتشريح الموضعى - بأن وجود الطفلة فى الصندوق كان يعنى جنينا فى رحم أمه . فلما بلغنا من الاستشارة هذا المبلغ ، لم تعد المريضة تنكر أن الصورة كانت تعرب حقيقة عن رغبة من رغباتها . فهى - شأن الكثيرات من الزوجات الصغيرات السن - لم تستشر أقل سعادة حين رأت نفسها حاملا ، بل هى قد صرحت أكثر من مرة بما كانت تمنناه من موت الطفل وهو جنين . وأكثر من ذلك أنها قد أخذت مرة - فى نوبة من الغضب أعقبت مشادة حامية مع زوجها - أخذت تقزع بطنها بقبضتى يديها لكى تصرع الجنين الذى تحمله . وهكذا كانت صورة الحلم تحقق بالفعل رغبة ، ولكنها رغبة انطوت منذ خمسة عشر عاما . وما من إعجب إذا كان المرء لا يرجع يعرف رغبة له تحققت بعد هذا الإرجاء الطويل ، فكيف تبدلت فى خلال ذلك بالأمور أمور .

(١) كما كان الشأن مع السالمون المسخن فى حلم الرغبة المنطوية [ص ١٧٢] .

(٢) [وتضى أية أرواء . ويتلفظ "بوكسه" . بضمه مشوية الكسر] .

وسوف أعود ، تحت باب الأحلام النمطية [القسم د من الفصل الخامس] إلى هذه الطائفة من الأحلام التي ينتمي إليها الحلمان الأخيران والتي يمثل محتواها موت قريب عزيز . وسوف أتمكن من أن أبين ببعض الأمثلة الجديدة كيف يجب تفسير هذه الأحلام بكونها تحقق رغبات على الرغم من محتواها غير المرغوب فيه . وأما الحلم الآتي الذي رواه صاحبه أيضاً لكي يردني عن التعجل في تعميم نظريتي ، فلا أدين به لمريض بل لرجل نابه من رجال القانون تربطني به معرفة وثيقة . قال محدثي : « حلت لي أسير أمام منزلي وقد اتكأت سيدة على ذراعي . وهناك أتى عربة ملققة ورجلا يخرج منها وجهه نحوي ثم يطلني على ما يثبت أنه من نباط الشرطة ويطلب مني أن أتبعه ، فأريو منه أن يهملني برفق أربب فيها حواسي . أفتعتقد أنني ربما رغبت في أن يقبض علي ؟ - فلا أجده إلا أن أجيبه : « كلا ، يقينا . ولكن أترك تذكر لأي تهمة قبض عليك ؟ » - « نعم ، أظنها قتل رضيع . » - « قتل رضيع ؟ ولكنك تعلم أن هذه جريمة لا ترتكبها إلا أم نحو وليدها ؟ » هذا صحيح ^(١) - « وما هي الملابس التي صاحبت وقوع هذا الحلم ؟ ما الذي حدث في الليلة السابقة عليه ؟ » - « ذلك ما أؤثر الامتناع عن الحديث عنه ، فهي مسألة حساسة » - « ولكنني أحتاج إليها . وإلا صرفنا النظر عن فكرة تفسير هذا الحلم » - « اسمع إذن : إنني لم أقض الليلة الماضية بمنزل بل بمنزل سيدة تعني الشيء الكثير بالنسبة إلي . فلما استيقظنا في الصباح عدنا لما فعلناه من قبل . وبعد ذلك نمت مرة ثانية وحلمت الحلم الذي رويته لك . » - « أهي سيدة متزوجة ؟ » - « نعم . » - « وأنت لا تريد أن تعقب منها ولداً ؟ » - « كلا ، كلا ، فذلك ما قد يفضح سرنا . » - « ولست - إذن - تمارس الجماع السوي ؟ » - « إنني أحتاط فأنصح قبل الإنزال » - « هل أفترض أنك قد أعلت هذه الحيلة أكثر من مرة تلك الليلة وأنت لم تكن واثقا من النجاح بعد تكرارك الأمر في الصباح ؟ » - « ممكن جداً » . « إذن حلمك يحقق رغبة ، فهو يؤكد لك أنك لم تعقب ولداً أو أنك قتلت ، والأمران سيان ، وفي وصي أن أبين لك من غير عناء ما هي الحلقات التي ربطت بينهما . أتذكر أننا كنا نتحدث منذ أيام قليلة عن متاعب الزواج وعن التناقض الذي في إباحتنا الجماع مع الاحتياط لمنع النسل في حين أننا نعد

(١) يحدث في كثير من الأحيان أن يرى الحلم متفرقا في أول الأمر ولا تنتج ذكرى الأجزاء الملتصقة إلا في أثناء التحليل . وسيجد بوضوح دائما أن هذه الأجزاء التي تضاف من بعد هي التي تزودنا بمفتاح تفسير الحلم . انظر مناقشة نسيان الأحلام فيما بعد [القسم أ من الفصل السابع] .

كل تدخل يحدث بعد التقاء البريضة والحیوان المنوى وبعد تكون الجنين جريمة ؟ لقد تذكرنا بهذه المناسبة المناقشة التي دارت في القرون الوسطى عن اللحظة التي تنفذ فيها الروح إلى الجنين لأن تطبيق فكرة القتل لا يكون إلا ابتداء من هذه اللحظة . ثم إنك تعرف من غير شك قصيدة ليناو المروعة التي يسرى فيها بين قتل الرضيع ومنع النسل . - « العجيب هو أنني قد فكرت في ليناو هذا الصباح ، كأنما جاء ذلك اتفاقاً . - « ذلك صدى آخر لحلمك . وأريك الآن في حلمك تحقيقاً آخر ثانوياً لرغبة أخرى : ذلك أنك تسير إلى منزلك والسيدة بلدرايك ، أى أنك تأخذها إلى دارك^(١) بدل أن تقضي الليل بمنزلها كما هو الأمر في الواقع . أما كون تحقيق الرغبة قد اتخذ في الحلم هذه الصورة غير السارة ، فأمر قد يكون له أكثر من سبب . فلعلك علمت من مقالتي في « على أعصبة الهيلة » [فرويد ١٨٩٥ ب] أنني أدخل الجماع المنقطع في عداد العوامل التي تنشأ عنها الهيلة العصابية . وإنه ليثقت وذلك أن يتركك تكرارك مثل هذا الجماع في حالة من القلق صارت بعدئذ أحد العناصر المقيمة لحلمك . ثم إنك تستغل هذه الحالة المزاجية لكي تخفي بها تحقيق رغبتك . وعلى أية حال فإن إشارتك إلى قتل الرضيع لم ينجل أمرها بعد . كيف اتفق أن خطرت لك تلك الجريمة التي تنفرد بها النساء ؟ - « أعترف لك بأنني قد تورطت مرة - منذ بضع سنوات - في قصة شبيهة بهذه . فقد كنت مشغولاً عن إقدام إحدى الفتيات على الإجهاض لكي تدرأ ما نجم عن صلتها بي . ولم يكن لي أقل دخل في تنفيذه ما اعتزمته ؛ ولكنني ظللت بالطبع زمناً طويلاً في خشية من أن يفضح الأمر . - « أفهم ذلك . وإن هذه الذكرى لتزودنا بسبب ثان يربنا لم كان من الحلم أن يركبك القلق عند توجسك الإخفاق في حيلتك .

ومعنى طبيب شاب أروى هذا الحلم في قاعة محاضراتي ، ولا بد أن هذا الحلم قد أصاب من نفسه الشيء الكثير ؛ لأنه سارع إلى محاكاته بحلم من عنده طبق فيه ذات الأسلوب الفكرى على موضوع مختلف : فهو قد أدى في اليوم السابق لإقرار الدخول ، وكان إقراره صريحاً لا مواربة فيه لأنه لم يكن يملك سوى الشيء القليل ليقربه ، ثم بعد ذلك رأى في الحلم أن صديقاً من معارفه يحمي إليه بعد اجتماع لجنة الضرائب ويبلغه أن جميع الإقرارات قد مرت من غير استيقاف إلا إقراره ؛ فقد أثار تشكك الجميع ، وأنه

(١) *heimathum* ، يعنى « أخذنا إلى دار » ويعنى أيضاً « تزويجها » .

قد يدان من جراء ذلك بغرامة كبيرة . إن هذا الحلم ليس إلا قناعاً شفافاً لبسته الرغبة في أن يكون طبيباً ذا دخل كبير . وإنه ليذكر بقصة الفتاة التي نصحتها الناصحون بأن ترفض رجلاً طلب يدها ، لأنه رجل حاد المزاج ولأنه لا محالة سوف يتفاهم معها بالكلمات بعد الزواج ، فكان أن أجابت الفتاة : « لو ضربني ! » فرغبة الفتاة في الاقتران شديدة حتى إنها لتقبل ضمن البيعة منفصات هذا الزواج ، بل تمنهاها .

لو أني جمعت هذا النوع من الأحلام الشائعة أكبر الشيوخ ^(١) والتي تبلى تناقض نظريتي مناقضة مباشرة من حيث تحتوى على رغبة حيل دونها والتحقق أو من حيث تحتوى على أمر تصدق عنه النفس صلوفاً جليلاً تحت عنوان «الأحلام المضادة للرغبات»، لرأيت أنها ترتد جميعاً إلى مبدأين لم أذكر أحدهما بعد على كبير خطره في حياة الناس كما في أحلامهم . فأول قوة دافعة إلى هذه الأحلام هي الرغبة في أن أكون على خطأ . وتظهر هذه الأحلام في خلال العلاج دون أن تتخلف ، إذا مر المريض بفترة من المقاومة تجاهي ، وأستطيع أن أستثير عند المريض حلاًماً من هذا القبيل وأنا واثق أكبر الثقة من ذلك إذا شرحت له للمرة الأولى نظريتي في أن الحلم تحقيق رغبة ^(٢) . بل إنى أتوقع أن تجرى الأمور على هذا المنوال مع الكثيرين من قرأني ، فيمنعوا أنفسهم في الحلم لإحدى رغباتها طواعية ، لا لغرض سوى التدليل على خطئي . ويصور لنا ذلك مرة أخرى الحلم الآتي - وهو آخر ما أذكر من هذا النوع من الأحلام التي تقع تحت العلاج - والحالة هنا فتاة في مقتبل العمر استطاعت أن تستمر في علاجها بعد أن كافحت لإرادة أهلها وإرادة من شاورتهم من أولى الأمر كفاحاً شاقاً ، رأت : أن أهلها يمنونها من المهزلة إلى ، فذكرني بما وصلت إياه من الدواية حل علاجها من غير مقابل إذا لزم ذلك ، ولكنني أجبها : إنى لا أرف احتباراً لأحد في سائل التثويد .

الواقع أن تبين الرغبة في هذا المثال ليس أمراً سهلاً بيد أننا نجد في جميع أمثال هذه الحالات مشكلة أخرى يعين حلها على حل المشكلة الأولى . فمن أين جاءت المريضة بهذه الكلمات التي وضعها على لسانى في الحلم ؟ إن مثل هذا القول لم يصلر عنى قط

(١) [أضيفت هذه الفقرة والتي تليها في عام ١٩٠٩] .

(٢) لقد سمعت تذكراً في خلال السنوات القليلة الأخيرة كثيراً من هذه «الأحلام المضادة للرغبات» وكان أصحابها من المستعين إلى محاضراتي ، وكانت أحلامهم هذه هي استجابتهم تجاه أول التفاهم « بنظرية الرغبة » في الأحلام .

بالطبع ، ولكن أخأ لها — هو صاحب التأثير الأعظم فيها — كان من اللطف بحيث خصني بهذه الملاحظة والحلم — إذن — يهدف إلى إثبات صواب أخبها وهي لا تصر على أن يكون الحق لأخبها هذا في الحلم وحده ، بل ذلك كان شاغل حياتها ودافعها إلى المرض .
وها هو ذا حلم آخر^(١) يبدو للوهلة الأولى أنه يواجه نظرية تحقيق الرغبة بصعوبات خاصة ، وهو حلم أتاه طبيب وفسره (ورواه أوجست شتاركة ، ١٩١١) :

” أرى حل العقلة الأخيرة من السلسلة اليسرى أول آثار [Primaraffect] الفلس ” .

إن المرء قد يحجم عن تفسير هذا الحلم بعد الروية ، فهو حلم واضح متناقض ، فيما خلا محتواه غير المرغوب فيه. ولكن لو أن أحداً تكلف مع ذلك عناء تحليله ، لعلم أن “Primaraffect” تعادل “Primo Affectio” (الحب الأول) ، ولتين أن القرحة المنفرة كانت — كما يقول شتاركة — تمثل تحقيق رغبات ذات شحنة وجدانية شديدة .

وأما الدافع الثاني إلى الأحلام المضادة للرغبات^(٢) . فواضح حتى ليسهل خطر إغفاله ، كما كان الشأن معي زمناً طويلاً . ذلك أن التكوين الجنسي يضم عند كثير من الناس مقوما ماسوشياً ينشأ عن انقلاب المقوم العلواني السارى إلى ضده . ويسمى أمثال هؤلاء الناس ماسوشيين « نفسيين » ، إذا لم يلتسوا اللذة في إيقاع الألم الجسمي بأنفسهم ، بل في المذلة وعلاب النفس . وتذكر على الفور أن هؤلاء الأشخاص قد تقع لهم أحلام برغبات مضادة أو أحلام مؤلة ، وهي مع ذلك لا تخرج عن أن تكون تحقيقات رغبات ، لأنها تشبع نوازعهم الماسوشية . وإليك حلماً من هذا القبيل ، وهو لشاب كان يعذب في صباه أخاه الأكبر شر العذاب وكان له بهلما الأخ شغف جنسى ، فلما تغير طبعه تغيراً أساسياً جماعه ذلك الحلم على ثلاثة أجزاء : ١ - أخوه الأكبر يغيظه . ٢ - شخسان بالغان يلاطف أحدهما الآخر لغاية جنسية مظنة . ٣ - باع أخوه المؤنة التجارية التي كان يطلع في إدارتها يوماً ما . ويستيقظ الحلم من الحلم الأخير نهبا لأشد الأحاسيس ألماً . والحلم مع ذلك حلم رغبة ماسوشية تمكن ترجمته على هذا النحو : إنه لجزء عدل أن يعقد أخى هذا البيع على كره منى عقاباً لى على كل ما اضططر إلى احتماله من العذاب على يدى .

أرجو أن تكون الأمثلة المتضمنة كافية — حتى يظهر اعتراض جديد — في توسيع

(١) [أضيف ذكر هذا الحلم مع التحقيق عليه في عام ١٩١٤] .

(٢) [وهو الدافع الذى قال فرويد فى الصفحة السابقة إنه لم يذكره بعد - أضيفت هذه الفقرة فى عام ١٩٠٩] .

القول بوجوب تحليل الأحلام الأهمية المحتوى كما لو كانت هي أيضا تحقق رغبات^(١) .
ومن الواجب كذلك ألا نعد الأمر صدفة إذا كان تفسير هذه الأحلام يوقفنا في كل مرة
على موضوعات ينفر الناس من الصلح عنها أو التكفير فيها . فلا شك في أن الشعور
الألم الذي تثيره هذه الأحلام لا يختلف من النفور الذي يحلونا - بنجاح في غالب
الآحيان - إلى الإساءة عن معالجة هذه الموضوعات أو ذكرها والذي تتحتم على كل منا
مغالبة إذا لم نجد مع ذلك بدءاً من مواجهتها . بيد أن هذا الشعور غير اللاذ الذي يردد
تبعاً لذلك في الأحلام لا يمنع من أن تكون تمت رغبة من الرغبات ، فلكل امرئ رغبات
يؤثر كتمها عن غيره من الناس ، بل رغبات لا يريد أن يصارح نفسه بها . ونحن ، من
ناحية أخرى ، محتمون حين نربط بين الطابع غير اللاذ لهذه الأحلام جميعاً وبين
واقعة تشويه الحلم ، وحين نخلص إلى تلك الأحلام إنما نالها ذلك التشويه وأن تحقيق
الرغبة إنما تقنع فيها إلى حد الخفاء لأن تمت نفوراً من موضوع الحلم أو من الرغبة المتفرقة
عنه ، ونية مبيتة على كبتها . وهكذا يتضح أن تشويه الحلم هو في الحقيقة فعل من
أفعال الرقابة . ونحن إذ ندخل في حسابنا كل ما قد أظهره إلى الضوء تحليل الأحلام
غير اللاذ حين نعدل الصيغة التي أردنا أن نعرب بها عن ماهية الحلم هذا التعديل : الحلم
تحقيق (ملقن) لرغبة (مقموعة أو مكبوتة)^(٢) .

(١) أشير هنا إلى أنني لم أرغب بعد من هذا الموضوع فراغاً تاماً . وسوف أعود إليه فيما بعد [انظر " أحلام
الغاب " في الفهرست التحليلي] .

(٢) (هاش أضيف عام ١٩١٤ :) لقد توصل كاتب معاصر كبير - وهو على ما علمت يوفى أن
يسمع كلمة واحدة من التحليل النفسي أو من تفسير الأحلام - إلى صيغة في ماهية الحلم لا تكاد تختلف من
تلك التي وضعها ، فهو يقول : إن الحلم " انبعاث من غير تصريح لرغبات وأمان مقموعة ، تمت ملاح وأحما
مزيلة " . (شينرل ، ١٩١٤) .

(١٩١١ :) وأسبق الأمور هنا بذكر التصحيح والتعديل اللذين أدخلهما أوتو رانك على الصيغة الأساسية
المذكورة في النص : " إن الحلم يصور دائماً ، في صورة مقننة ومزيلة ، تحقق لرغبات حاضرة ، هي أيضاً في
في المقابلة لرغبات جنسية ، وبذلك بالاستناد إلى مواد مستمدة من الحياة الجنسية الطفلية المكبوتة ومعدولتها " .
(رانك ، ١٩١٠) .

(١٩٢٥ :) هذا ولم يحدث قط أني ذكرت في أي موضع من المؤلف أن صيغة رانك تعرب عن رأيي .
وإن الصيغة الأقصر ، هل ما وردت عليه في النص ، ليعبر لي وافية بالفرض . ولكن مجرد ذكر التعديل الذي
أدخله رانك كان كافياً لأن تنال على التحليل النفسي اتهامات لا يحصى عددها ، مؤداها أن التحليل النفسي
يلو كذا جميع الأحلام ذات مخزى جنسي . وهذه الجملة إذا فهمت بالمعنى الذي يراد فهمه منها فلأنما تدل على
مدى التجرد من التفسير الذي يظهره التقاد في قيامهم بمسلمهم ، وعلى مدى مسارعة الخصوم إلى التماس من كل

تبقى الآن أحلام الهيلة من حيث هي نوع أسفل من أنواع الأحلام الأنيمة المحتوى ، وهي التي سوف يلاقى تصورها على أنها أحلام رغبة أقل الترحيب بمن لا يعلمون . غير أنى لا أستطيع مع ذلك أن أعرض لأحلام الهيلة فى هذا الموضوع إلا عرضاً موجزاً غاية الإيجاز . وذلك لأنها لا تواجهنا بوجه جديد لمشكلة الحلم ، وإنما المشكلة هنا هي أن نفهم الهيلة العصابية بوجه عام . فالهيلة التي نستشعرها فى الحلم لا يعقلها محتوى ذلك الحلم إلا فى الظاهر . فإذا أخضعنا محتوى الحلم للتحليل رأينا أن الهيلة فى ذلك الحلم لا تعلق بمحتواه [الظاهر] خيراً مما تعلق الهيلة فى مخافة من المخاوف الشاذة بالفكرة التي تغترن بها هذه المخافة — مثلاً . فمن الحق — مثلاً — أن المرء قد يقع من الشباك وأن على المرء لهذا السبب أن يأخذ ببعض الحيلة إذا وقف قريباً من الشباك ، لكننا لا نفهم لم كانت الهيلة فى مخافة الشبايك كبيرة إلى هذا الحد ولم كانت تلاحق ضحاياها ملاحقة تعدو ما تجيزه عليها الظاهرة بمدى بعيد . والذي نكتشفه عندئذ هو أن ذات التعليل يصدق على المخافة المرضية مثلما يصدق على حلم الهيلة : فالهيلة فى كلتا الحالتين إنما تلتصق بالصالح بالفكرة التي تصحبها ، وأما منبعها فشيء آخر .

هذه العلاقة الوثيقة بين الهيلة فى الحلم والهيلة فى العصاب ^(١) لا تترك لى مفرّاً من

حقيقة مهما بلغ وضوحها ، ما دامت لا تتلام وتزمامهم الطوانية ؛ إذ يكفى القارى أن يرجع صفحات قليلة إلى الورد ليرى أنه ذكرت أحلاماً تحقق عند الأطفال وفيات متنوعة (كنزعة بالبر أو ببحيرة ، أو كصيفى أكلة فانت ، الخ .) ، كما ذكرت فى موضوع آخر أحلاماً أثارها العطش أو الحاجة إلى التبول وأخرى لا تخرج من أن تكون أحلام استهبال . بل إن رانك نفسه لا يرسل القول على إطلاقه ؛ فهو يقول : "مى أيضاً فى القاعدة وفيات جنسية " ، وهو قول يمكن تأييده تأييداً واسعاً فى أحلام معظم الراشدين .

ولقد كان الموقف يختلف لو كان نقادى استخدموا لفظ " جنسية " بالمعنى الذى شاع استخدامه فيه اليوم فى التحليل النفسى — معنى " ليروس " [اسم يونانى لإله الحب كان من حظه أنه صار يستخدم منذ قديم كاسم كل لمسيح التواضع المنجى — فى الطبيعة كما فى الإنسان — إلى التوحيد والخلق ، فى مقابل التفرقة والهدم أو السلب] ولكن نقادى كانوا يمدّين غاية البعد من أن يفكروا فى تلك المشكلة الهامة : هل الأحلام جميعها من خلق النفس للفريزية " القصدية " (فى مقابل " التفسيرية ") ؟

(١) [الهيلة Angst لغة هي المخافة من الأمر لا يدرك المرء ماذا يهجم عليه منه . ويراد بها فى التحليل النفسى الخوف الذى يكون من ممكن مستقبل فصب (كهروب العاصفة أو الرسوب فى الامتحان أو — أخيراً — الموت) وليس من موضوع بيته (كالمرض أو النار) . ولكن كلمة " Angst " يكثر أيضاً استخدامها فى اللغة الألمانية للدلالة على الخوف مجرداً وبأى درجة من درجاته ، وقد يجرىها ليرويد بهذا المعنى . ويقال أيضاً فى العربية " الهول " ولكننا لم نلجأ لنستخدمه قط لشروع معناه فى غير ذلك — هذا وقد احفظنا بكلمة " القلق " لترجمة معنى " Borge " أو " Worry " .]

الإشارة إلى الثانية عند مناقشة الأولى . لقد قلت منذ زمن ما في مقال قصير عن عصاب الهيلة (فرويد ، ١٨٩٥ ب) : إن الهيلة العصابية تنشأ عن الحياة الجنسية ، وأنها توافق ليبيلو صرفت عن غايتها ولم تجد شاغلا يشغلها . ومنذ ذلك الوقت لم تجد هذه القضية إلا ما يزيد بها ثبوتاً . وهي تمكننا الآن من أن نستخلص منها أن أحلام الهيلة أحلام ذات محتوى جنسى ، تحولت الليبيلو المتصلة بها إلى هيلة . وسوف يتسع المقام فيما بعد لتأييد هذه القضية بتحليل بعض أحلام المرضى العصبيين . كما سوف يتاح لى فى خلال محاولة قادمة من أجل الوصول إلى نظرية فى الحلم أن أتحدث عن شروط أحلام الهيلة وعن اتفاقها مع نظرية تحقيق الرغبة [انظر ص ٥٦٧ وما بعدها] .

مادة الحلم ومصادره

عندما تبين لنا من تحليل حلم حقنة لربما أن الحلم تحقيق رغبة ، اتجه كل اهتمامنا بادئ ذي بدء إلى أن نعرف هل هذه خاصة مشتركة بين الأحلام جميعاً ، وفي خلال ذلك أخذنا كل تطلع علمي آخر كان يمكن أن يثار ونحن نقوم بعمل التفسير . ويحق لنا الآن - وقد بلغنا من هذا الدرب نهايته - أن نقفل أدرابنا ، وأن نختار موضعاً آخر نبدأ منه استكشافاتنا في مشكلات الحياة الحاملة ، وإن اضطرننا ذلك إلى أن نتناهى بعض الوقت مشكلة تحقيق الرغبة التي لم نزل بعيدين عن استيعابها .

لن الطبعي - وقد أمكننا بتطبيق منهجنا في التفسير أن نرفع النقاب عن محتوى كامن للحلم تعدو قيمته قيمة المحتوى الظاهر بآماد وآماد - أن تكون المهمة التي تعجلنا الآن هي أن نتناول مشكلات الحلم من جديد واحدة فواحدة ، لكي نرى إذا كانت الألفاظ والمتناقضات التي لاحت لنا متعلدة ونحن لا نعرف من الحلم غير ظاهرة تلقى الآن عندنا حلاً مرضياً .

ولقد فصلنا الحديث - في الفصل الذى قلعنا به هذا الكتاب - عن آراء المؤلفين السابقين في علاقة الحلم بالحياة المستيقظة وفي منشأ مادته . ولإنا لنذكر هذه الخصائص التي تتميز بها الذاكرة في الحلم والتي لاحظها المؤلفون كثيراً ، دون أن يوضحوا أمرها قط :
١ - أن الحلم يؤثر انطباعات الأيام الأخيرة لإثارة ظاهراً (روبرت ، شرومبل ، هيلد برانت ، ويد ، هالام) .

٢ - أنه ينبج في اختياره على مبادئ تختلف عن تلك التي تنهجها ذاكرتنا المستيقظة من حيث كونه لا يختار ما هو جوهرى وهام ، بل الثانوى وغير الملحوظ .

٣ - أنه يملك استحضار انطباعات ترجع إلى طفولتنا المبكرة ، بل يستعيد من تلك الفترة من حياتنا تفاصيل تلبو لنا على جاناب كبير من التفاهة ، وكنا نعتقد ونحن

مستيقظون أننا قد نسيناها منذ زمن طويل^(١) .
وغنى عن البيان أن جميع هذه الخصائص التى يتميز بها اختيار مادة الحلم إنما لاحظها المؤلفون بصدد محتوى الحلم الظاهر وحده .

أ

الحديث والتأفة فى الحلم

إذا استرشدت خبرتى الشخصية فيما يتصل بمشأ العناصر التى تدخل فى محتوى الحلم ، لم أجد مناصاً من أن أقدر ، بادئ ذى بدء ، أنه ما من حلم يخلو من بعض الصلة بأحداث اليوم الذى انقضى . وما من حلم تناولته بالبحث ، سواء أ كان من أحلامى أم كان من أحلام غيرى ، إلا أيد عندى هذه الخبرة الشخصية . وفى مكنتى - وقد علمت هذه الحقيقة - أن أبدأ تفسير الحلم بالبحث عن حدث اليوم السابق الذى حرك إليه ، بل تلك فى الحقيقة هى الطريق الأقصر فى كثير من الحالات . والحلمان اللذان فصلت تفسيرهما فى الفصول السابقة (حلم حقنة إرما وحلم عمى ذى اللحية الصفراء) تنضج فيهما هذه العلاقة باليوم السابق انضاجاً لا نحتاج بعده إلى توضيح . ولكنى أورد هنا بعض الأمثلة أنتخبها من أسجل أحلامي الخاصة ، لكى أبين كيف يمكن التثبت من هذه العلاقة على نحو مطرد . ولن أرى هذه الأحلام إلا بالقسط الذى أحتاج إليه من أجل الكشف عن مصدرها الذى نبحث عنه .

١ - أزور منزلاً لا أستطيع دخوله إلا بعد صوبات ... إلخ ، وفى هذه الأثناء أدع سيدة تستقر .
المصدر : محادثة مساء أمس مع إحدى قريباتى : إن عليها أن تتنظرو حتى تستلم سلعا اشتريتها ... إلخ .

٢ - كتبت بحثاً خاصاً بنوع (غير واضح) من أنواع النبات .

(١) من البين أننا لا نستطيع أن نأخذ بفكرة روبرت قائلا : إن غاية الحلم هى تغليبنا من الانطباعات غير الناعمة المختلفة من النهار ، إذا كانت الصور الذاكرة المشبعة من طوفاننا ترد فى الحلم أى ترد ، وإلا كان معنى ذلك أن الحلم إنما يقرم بوظيفته تلك حل نحو ناقص جداً .

المصدر : رأيت في الضحى بحثاً خاصاً بفصيلة السيكلامين في عارضة إحدى المكتبات .

٣ - أرى في الطريق امرأتين : أما وابنتها ، والأخيرة منها مريضة من مرضى .

المصدر : حدثتني البارحة إحدى مريضاتي عن الصعوبات التي تقيّمها أمها في طريق استمرارها في العلاج .

٤ - أجريت بحكمة س . اشتراكاً في إحدى الدوريات ، وكانت قيمة الاشتراك عشرين فلورين سنوياً .

المصدر : ذكرتني امرأتى أمس نهاراً أنني لا أزال أدين لها بعشرين فلورين من مصروف الأسبوع الماضي .

٥ - تلقيت رسالة من لجنة الحزب الاشتراكي الديمقراطي ، وفي هذه الرسالة وجه إلى الكلام باحتبار حضراً .

المصدر : كنت قد تلقيت في وقت واحد رسالتين : إحداهما من اللجنة الانتخابية لحزب الأحرار والثانية من جماعة الإخاء الإنساني التي أنا عضو فيها حقيقة .

٦ - ريجل يقف على حضرة في مرض البصر على أسلوب بوكلين^(١) .

المصدر : دريفوس في جزيرة الشيطان ، وفي الوقت نفسه أنباء من أقارب المقيمين بإنجلترا ، إلخ .

وقد نسأل : ألا تكون صلة الحلم إلا بأحداث اليوم الذي يسبق الحلم مباشرة ، أم هي قد تمتد إلى فترة أطول من فترات الماضي القريب ؟ الراجع أن ذلك سؤال لا ينطوي على كبير أهمية نظرية ، ومع ذلك أراني أميل إلى الأخذ بأهمية اليوم الأخير (ونسمه يوم الحلم) أهمية مانعة . فكلما خيل إلى أن مصدر الحلم كان انطباعاً يرجع إلى ما قبل الحلم بيومين أو ثلاثة أيام ، أمكنني بكتاب النظر أن أقتنع بأن ذلك الانطباع قد تمثل للذاكرة يوم الحلم ، أي أن استحضاراً بئساً قد وقع في خلال اليوم الذي يسبق الحلم مباشرة فتوسط بين يوم الحدث ووقت الحلم ، وأمكنني فوق ذلك أن أبين ما هي المناسبة الحديثة التي ربما كانت السبب في تذكر هذا الانطباع الأقدم . بيد أنني - من جهة أخرى - لم أر ما يقتضي بوجود أية فترة منتظمة ذات مغزى بيولوجي بين الانطباع الهازي المبهج ورجوعه

(١) [أسلوب بوكلين هو الرومانسية المفرقة ، فالصنوبر التي أكثر من رسمها صنوبر تملوها ألبيات البحر ومراثي في بحر عاصف متلاطم الأمواج ، صنوبر " فاجريه " - إن جاز التعبير] .

في الحلم (وكان سفوبودا قد ذكر أن أول فترة من هذا القبيل تستغرق ثمانى عشرة ساعة^(١)) وكذلك أعلن هافلوك إليس الذى أولى أيضاً هذه المسألة انتباهه أنه عجز عن أن يعثر في أحلامه على مثل هذا الاستحضار الدورى المنتظم رغم البحث عنه . وهو يروى حلماً رأى فيه أنه يسافر في أسبانيا وبغيتة مكان يدعى : داراوس أو فاراوس أو زاراوس . فلما استيقظ عجز عن أن يذكر مكاناً له مثل هذا الاسم وصرف النظر عن الحلم . ثم ثبت له بعد ذلك بشهور قلائل أن زاراوس حقيقة اسم لمحة تقع بين سان سباستيان وبيلباو ، وكان قد مر بها في القطار قبل تاريخ الحلم بمائتين وخمسين يوماً .

(١) (١٩١١ :) لقد حاول هرمان سفوبودا - حل ما ذكرته في كلمة الملقباً بالفصل الأول (ص ١٢٥) أن يطبق حل مجال الأحداث النفسية بوجه عام فكرة الدورات البيولوجية المؤلفة من ٢٣ و ٢٨ يوماً وإلى اكتشافها فلهلم فليس (عام ١٩٠٦) . وهو يؤكد بوجه خاص أن هذه الدورات هي التي تحمّ البعثات العنصر التي تظهر في الحلم . ولو قد ثبت صحة هذا الرأي ، لما غير ذلك من تفسير الأسلام تفسيراً جيئرياً ، كل ما هناك هو أننا نكون اكتشافنا بذلك مصدراً جديداً من مصادر الحلم . ومع هذا قمت حديثاً ببحث عدد من أحلامى ؛ بهدف التحقق من صدق " لنظرية الدورات " عليها ، واشترت من أجل هذا الفرض عناصر حلمية تلتفت للنظر بنوع خاص ، أمكن التيقن من تاريخ ظهورها ، في الحياة الواقعية .

١ - حلم ١ - ٢ من أكتوبر ١٩١٠ .

(نبذة) ... في مكان ما بإيطاليا . ثلاث بنات يرعى تحفا صغيرة الحلم - كما لو كان ذلك في دكان آثار . ومن جالسات في حجرى . أقول بصدد إحدى القطع : لقد أخلتن هذه نى . وبينما أقول ذلك أرى قناعاً يمثل جانب وجه " سافرونا رولا " بمقاطيعه الخادة .

تم رأيت صورة سافرونا رولا للمرة الأخيرة ؟ تقول مذكرة رسلان: إنى كنت بفلورنسا في الرابع والخامس من شهر سبتمبر . وهناك خطر لى أن أرى رفيق في الرحلة المحفر الذى يحمل ملاح ذلك القرايب المتعصب في (الميدان المسى) Piazza Signoria ، بالبقعة التي لى فيها الموت حرقاً . وأظن أنى جلبت انتباهه إلىه في صباح اليوم الخامس من شهر سبتمبر . فالفترة المنقضية بين هذا الانطباع وبين تكرره في الحلم هي يقيناً : ٢٧ + ١ يوماً - وهي مدة " الدورة الأتورية " حل حسب فليس . [لاحظ الملاحظ في هذه الحبة . ولقد وضع سترافى " المثلثات من سبتمبر " بدل " الخامس " وبنه إلى أن " الخامس " خطأ طبعى ورد في الطباعات الحديثة . ومن شأن تبديله هذا أن يصلح الحبة ، ولكنه من جهة أخرى لا يستقيم وما ورد من إشارة المذاكرة إلى وجود فرويد بمدينة فلورنسا في الرابع والخامس من سبتمبر [. بيد أننى - لسو حظ القصة البرهانية التي لنفك المثلث - لا أجد بداً من أن أضيف أنه قد اتفق يوم الحلم نفسه أن زائف زميل قدير لكنه ذو طلمة متعقبة ، كنت ألقبه منذ سنوات " سيدى الماخام سافرونا رولا " . وقدم لى زميل مريضاً ذكيت حادثة نزلت بقطار برينسيا السريع - وهو القطار الذى كنت سافرت فيه منذ أسبوع - فربح ذلك بذاكرتى إلى رحلى الأخيرة في إيطاليا . وهكذا نرى أن ورود ذلك العنصر الذى يلفت النظر " سافرونا رولا " في محضى الحلم تلمه زيارة زميل يوم الحلم بيناً تفقد فترة الثمانية والعشرين يوماً كل مفزاه .

٢ - حلم ١٠ - ١١ من أكتوبر .

أدرس الكيمياء من جديد بمعمل الجامعة . يدفع الأستاذ لى إلى مكان ما ويقضى في أحد الأروقة مسكناً

وعلى ذلك أعتقد أن لكل حلم حافزاً نجد بين تلك الحفيزات التي ولم ينقض عليها الليل بعده.

أمامه مصباح أربالة أخرى فيها يده المصتبة وقد امتد رأسه إلى الأمام على هيئة خاصة ، ولاح كن ينظر في نفاذ (٢) (إلى يمينه ؟) . ثم بعد ذلك نصل إلى مكان فضاه . . . (نسيت البقية) .

إن أكبر ما يسترى الانتباه من محتوى هذا الحلم هو الطريقة التي حصل بها الأستاذ ل. المصباح (أو العنسة) أمامه وقد أنفذ بصره إلى بعيد . ولم أكن رأيت ل. منذ سنوات متعددة ، ولكنني أدرك على الفور أنه إنما كان شخصاً بدلاً من محل آخر يطول شأناً ، محل أرشيفس . . . الذي انتصب تحالاه بالقرب من نافورة أرهتورا ، في سيرا قوسية ، وقد اتخذ تلك الهيئة عنها : ممسكا برأته المحرقة بيده ، ماذا بصره إلى الجيش الروماني المحاصر . لم رأيت هذا التمثال للمرة الأولى (والأخيرة) ؟ رأيت - على حسب مفكروني - في مساء اليوم السابع من سبتمبر ، ومن بين ذلك اليوم ووقت الحلم قد انقضت حقيقة ١٠٣-٢٣ يينا - وهي "العورة المذكرة" بحسب مجلس . بيد أن من سوا المخذ أننا لا نتفق تفسير الحلم حتى نرى في هذا الاتفاق أيضاً جزءاً يفقد من قوته البرهانية . فقد كانت النسبة التي سطرزت إلى الحلم نبأ ضمه يوم الحلم ، كان مواءم أن العبادة التي كنت أستضاف للحاضرة بقاعها قد أدركت نقلها إلى مكان آخر . وقدرت أن المكان الجديد لن يكون إلا بجهة مطرقة جداً وقلت لنفسي : وما الفرق بين ذلك وبين ألا تكون ل. قاعة أحاسر فيها على الإطلاق ؟ وكان لزاماً أن ترجع في الذاكرة عند ذلك إلى أيام بدأت حياتي كمحاضر بالمجاسة حين كنت حقيقة لا أجد قاعة أحاسر فيها ، وحين لم تكن جهوى من أجل الحصول على قاعة تصادف إلا القليل من ترحيب أساتذة المجاسة وأصحاب كراسيها الذين كان يدعم السلطان . وأذكر أن فغبت إذ ذاك إلى ل. - وكان عميداً ويختل وكننت أهدى حانيا - لكي أشكو إليه حاجتي . فوجدني باليونان ، ثم لم أجمع منه بعد ذلك شيئاً . وهو في الحلم أرشيفس يطحن *Pou est* [مكاناً أتف به باليونانية] ، ويقفني بنفسه إلى أهل الجدي . فأما أنا رفية الانتقام والشموخ بالنسبة لا يلبثان من أفكار هذا الحلم - فذلك ما يسيل تخيلته على كل عايف بالضير . وإنما الذي أريد أن أقوله هو أن أرشيفس ما كان ليبدو طريقة إلى الحلم في حاله القليلة لولا تلك المناسبة - كما أنني لست واثقاً من أن ذلك الانطباع القوي ، الحديث العهد به ، الذي أثاره في نفسي مثال سيرا قوسية - لم يكن يستطيع أن يحدث كملك أثره في نفسي بعد فترة مختلفة من الزمن .

(٣) حلم ٢ - ٣ أكتوبر ١٩١٠ .

(نبذة) . . . شيء من الأستاذ أوزر الذي وضع بنفسه قائمة الأسئلة التي يجب أن أتناولها ، وهو ما يدخل على نفسي ارتياحاً كبيراً (وأشياء أخرى نسيت) .

هذا الحلم استجابة لآذانه اضطراب نفسي سطحي أفكر في ضرورة الانتباه إلى أحد زباني لكي يقرر نظام التفتية التي يجب أن أتبعه . وأما كوني قد اخترت لأجل ذلك الغرض الأستاذ أوزر الذي مات في خلال الصيف فربيع السبب فيه إلى موت مدرس جامعي آخر كنت أعجب به أشد الإعجاب ، وكان موته قبل الحلم بزمين قليل (في الأول من أكتوبر) فمن مات أوزر ؟ وفي خمت ليه ؟ يتضح من المصنف أنه قد مات في الثاني والعشرين من أغسطس . وكننت في ذلك الوقت في هولندا ، وكانت مصف فيينا تصل إلى بالنظام ، فلابد أني قرأت فيه في الرابع والعشرين من أغسطس . ولكن هذه الفترة لا تتفق وأنى من الدوريتين : فهي تمثل ٢٧ + ٣٠ + ٢ = ٥٩ يينا ، وقد تكون ٤٠ ، ولست أستطيع أن أذكر أني تحدثت عن أوزر أو فكرت فيه في هذه الأثناء .

وأشال هذه الفقرات التي لا يمكن التطبيق بينها وبين نظرية الدورات دون مزيد من التفتين في الحسابات تتفق في أحاسيس كثيرة التي تتفق وهذه النظرية . والملاحظة الوحيدة التي أراها ترد بالنظام هي تلك التي تصل الحلم بانطباع من اليوم السابق ، على ما أذكرته في النص .

ولا تسفر إذن انطباعات الماضي الحديث (باستثناء اليوم الذى يسبق الحلم) عن علاقة بمحتوى الحلم تختلف فى نوعها من تلك التى لغيرها من انطباعات الزمن الماضي بوجه عام أيّاً كان بعده . فالحلم قادر على أن يختار مادته من أى فترة من فترات الحياة ما دام ثمة خيط فكري يصل بين خبرة يوم الحلم . (أى « أحدث » الانطباعات) وبين سابقاتها .

ولكن لم نحصت أحدث الانطباعات بهذا الإيثار ؟ سوف نصل إلى تكوين رأى فى هذه المسألة إذا أخذنا حلماً من الأحلام التى استشهدت بها توا [ص ١٨٧] فحللتناه تحليلاً أوفى . وعلى ذلك أختار :

حلم المبحث النباتى

كتب مبحثاً خاصاً بنبات ما . الكتاب مائل أمامى وأنا أدير فى تلك اللحظة صفحة مطوية وضمت فيها لوحة ملونة . ربط فى داخل كل نسخة نموذج مجفف من ذلك النبات ، كأنه مأخوذ من مشب (١)

التحليل

كنت رأيت فى الصباح كتاباً جديداً فى واجهة إحدى المكتبات عنوانه : فصيلة السيكلامين - ومن الواضح أنه كان مبحثاً خاصاً بذلك النبات .

السيكلامين هو الزهرة المفضلة عند زوجتى . إلى ألوم نفسى على أنى قلما أفكر فى أن آتيا بالأزهار ، مثلما تحب . وتذكرنى فكرة نسيان الأزهار بقصة سردها حديثاً على جماعة من الأصدقاء لكى أدلل بها على أن النسيان كثيراً جدّاً ما يحمل غرضاً لاشعورياً وأنه يمكننا دائماً من أن نستنتج ما تنطوى عليه نفس الناسى من نيات مستترة . فقد ألقت امرأة شابة أن تتلقى باقة أزهار من زوجها يوم عيد ميلادها . واتفق فى سنة أنها افتقدت هذه الأمانة على الحب ، فطفقت تبكى بدمع غزير . وفيما هى كذلك أقبل زوجها ، فلم يدر سبباً ليكائها حتى أخبرته أن ذلك كان يوم عيد ميلادها . ففرض جبينه يده

(١) [وهو مجموعة الأعشاب الجليدية] .

وصاح قائلاً : إني لآسف ، ولكنى نيت ذلك كل النسيان . وأراد أن يخرج على الفور لكى يبحث لما عن الأزهار . بيد أنها تأبى العزاء لأنها رأت فى نسيان زوجها برهاناً على أنها لم تعد تشغل من أفكاره المكان الذى كانت تشغله من قبل . هذه السيدة ، كانت قد قابلت زوجى منذ يومين ، وأخبرتها أنها فى خير حال ، ثم سألتها عني - وكنت قد توليت علاجها قبل ذلك بسنوات .

ثم ها هي ذى بقية جديدة : لقد كتبت مرة - حقيقة - شيئاً أشبه بمبحث خاص بنبات ما ، وكان على التحديد مقالاً عن نبات الكوكبة جذب انتباه كارل كوللر إلى خصائص الكوكباين المهددة (فرويد ١٨٨٤هـ) . لقد أشرت في بحثي الذي نشرته إلى إمكانية استخدام القلواني هذا الاستخدام ، ولكنى لم أكن من الدقة بمبحث أتابع تلك المسألة^(١) . وأذكر الآن أن الفكر قد ذهب في غداة الحلم - ولم أكن وجدت متسعاً لتفسيره إلا في المساء - ذهب في إلى الكوكباين فيها يشبه أن يكون حلماً من أحلام اليقظة . لو أصابني الجلوكونا لسافرت إلى برلين وأجريت هناك ، في منزل صديقي البرليني [فليس] عملية جراحية على يد طبيب يزكيه صديقي ، دون أن أعلم الطبيب من أنا . وسوف ينوه الطبيب مرة أخرى - وهو لا يدري على من أجرى عملياته - بمدى السهولة التي صارت تجري بها هذه العملية منذ إدخال الكوكباين ، ولن أبدى في خلال ذلك أقل بادرة ثم على أنني قد أدخلت في ذلك الكشف بنصيب . وسأقضي هذا التخيل إلى خواطر تلور حول مدى الحرج الذي يستشعره الطبيب - مهما يكن من أمر - حين يسأل زملاءه علاجاً لنفسه . ولكن جراح العيون البرليني لن يعرف من أنا وسيكون في وسعي أن أنقذه أجره مثلما يصنع أى مريض آخر . وألاحظ الآن لأول مرة ، بعد أن تذكرت هذا الحلم من أحلام اليقظة ، أنه كان يحتمل وراءه ذكرى حدث بعينه : فقد أصابت الجلوكونا والذى ، فكان أن أجرى له صديقي الدكتور كوليجشتاين جراح العيون عملية ، وتولى الدكتور كوللر التخدير بالكوكباين ، ولاحظ كوللر بتلك المناسبة أن هذه الحالة قد جمعت الأشخاص الثلاثة الذين أدخلوا في إدخال الكوكباين بنصيب .

وتلعب خواطري بعد ذلك إلى المرة الأخيرة التي ذكرت فيها بقصة الكوكباين هذه :

(١) [انظر صفحة ١٣٩ ، ٢٨٠ .]

كان ذلك منذ أيام قلائل حين تلقيت نسخة من كتاب تذكاري أصدره بعض التلاميذ العارفين بالجميل احتفالاً منهم بيوبيل معلمهم ومدير معلمهم . وجاء في هذا الكتاب - بين ما أحصى من مآثر المعلم - أن اكتشاف الخصائص المخدرة للكوكايين قد تم هناك على يد كولفر . إلى أرى الآن فجاءة أن حلمي كان يتصل بمحدث وقع في الماء : فقد صحبت الدكتور كونجشتاين بالذات إلى منزله . وأخذت معه في حديث تناول أمراً يلهمني ذكره كلما ورد . وبينما كنت أتحدث إليه في مدخل البيت أقبل الدكتور جارتزر [ومعناه البستاني] ومعه زوجته الشابة . فلم أملك إلا أن أهتما على مظهرهما المزدهر . ولقد كان الأستاذ جارتزر أحد اللذين حرروا الكتاب التذكاري الذي أشرت إليه نوأ . ومن الجائز - إذن - أن يكون قد ذكرني به . ثم إن السيدة ل . التي رويت منذ هنية كيف خاب أهلها يوم عيد ميلادها قد عرض ذكرها أيضاً في خلال حديثي مع الدكتور كونجشتاين - وإن يكن قد عرض في سياق مختلف قطعاً .

وأحاول بعد أن أبين كذلك ما هي المحتات الأخرى لهذا الحلم . لقد ضُمنَ البحث نموذجاً مجلفاً من النبات ، كأنه معشب . إن المعشب بقدرتي إلى ذكرى ترجع إلى أيام المدرسة الثانوية . فقد استدعى ناظر مدرستنا مرة طلبة الفصول العالية وأسلمهم معشب المدرسة لكي يقوموا بمراجعته وتنظيفه ؛ فقد وجدت به بعض الديدان الصغيرة - ديدان كتب . ويبدو أن ناظر المدرسة كان قليل الثقة بقدرتي على المعاونة ، لأنه لم يسلني إلا ورقات قليلة . ولا أزال أذكر إلى اليوم أن هذه كانت تتضمن بعض الصليبيات^(١) . إن العلاقة بيني وبين علم النبات لم تكن قط بالعلاقة الحميمة . وقد حدث وأنا أؤدي الامتحان التمهيدي في علم النبات أني أعطيت أيضاً نباتاً من فصيلة الصليبيات لكي أقول ما هو . فلم أحر جواباً . ولولا أن معارف النظرية أسفغني ، لآلت الأمور معي مآلاً سيئاً . ومن فصيلة الصليبيات انتقل إلى فصيلة المركبات . والخرشوف يدخل بحث في عداد هذه . وهو الذي أستطيع بقينا أن أدعوه زهرتي المفضلة . وكثيراً ما تعود زوجتي من السوق - وهي أكثر كرمياً مني - حاملة إلى تلك الأزهار التي أوترها .

أرى البحث الذي كتبه ماللا أمافي . هذا أيضاً يذكرني بشيء . فبالأمس كتب إلى صديقي البصير الذي يسكن برلين [فليس] خطاباً جاء فيه : « إن كتابك عن

(١) [أي من فصيلة النباتات الصليبية] .

الأحلام يشغل حيزاً كبيراً جداً من تفكيرى : إنى أراه مائلاً أمامى وأزانى أديب صفحاته . لكم غبطته على قدرته هذه كراء ! لو أنى أيضاً استطعت أن أراه مائلاً أمامى كاملاً !

اللوحة الملونة المطوية . كنت وأنا أدرس الطب ضحية لدافع لائى يدفعنى إلى تعلم الأشياء من طريق الأبحاث المقصورة على موضوع واحد دون غيرها . وكنت على الرغم من ضيق مواردى أتزود بعدد كبير من منشورات الجمعيات الطبية . كانت تخلى لوحاتها الملونة . وكنت أستشعر الفخر بهذا التزوع إلى الاستيفاء . فلما بدأت أنشر مقالاتى . لم يكن بد من أن أرسم لوحاتها بنفسى . وأذكر أن إحداها بلغت من الركاسة مبلغاً حمل زبيلاً من أهل الخبر على أن يسخرمنى . وههنا تحضرنى - لا أدرى كيف - إحدى ذكريات الطفولة . فقد عن لوالدى مرة أن يعطينى مع كبرى أخوانى كتاباً حوى لوحات ملونة (وكان يصف رحلة فى بلاد فارس) لكى ندمره - وهو أمر لا يسهل تبريره من الوجهة التربوية . وكنت أبلغ من العمر إذ ذاك خمس سنوات ولم تكن أختى بلغت الثلاث . وإن صورتنا ونحن آخذان كلانا - وقد فاض بنا الحبور - فى تمزيق هذا الكتاب (وأزانى أقول : كالحوشوف : ورقة فورقة) لمى الذكرى الوحيدة التى أذكرها من هذه الفترة من حياتى فى صورة مرئية . فلما صرت طالباً تكون عندى ولمع لا يوصف يجمع الكعب وامتلاكهما ، أشبه بالتزوع إلى دراسة الأبحاث ذات الموضوع الواحد ، أى هواية مفضلة (وفكرة الهواية المفضلة قد ظهرت من قبل فى صدد السيكلامين والحوشوف) . لقد صرت دودة كعب (انظر معشب) . وقد كنت منذ أخذت أفكر فى أمر نفسى - أرجع دائماً هذا الغرام الأول فى حياتى إلى ذلك الانطباع الطفلى . أو قل : إنى عرفت فى هذا المشهد من مشاهد طفولتى « ذكرى ستارية » لصداقتى اللاحقة بالكعب . وقد اكتشفت أيضاً بالطبع منذ تلك السن المبكرة أن غرم المرء كثيراً ما يكون فى غرامه ، فقد كان لى وأنا بالسابعة عشر حساب لا يستهان به عند بائع الكعب دون أن تكون لى القدرة على سداذه . وكان الذى لا يكاد يقبل الاعتذار بأن نوازى كان يمكن أن تتجه إلى ما هو شر من ذلك . بيد أن ذكرى تلك الخبرة المتأخرة من خبرات حدثتى ترجع فى دفعة واحدة إلى حديثى مع صديق الدكتور كونيشتاين : فقد كان مثل ذلك اليوم على إفراطى فى البحرى وراء هواياتى المفضلة ، أحد الموضوعات التى تناولا الحديث فى تلك الأمسية التى سبقت الحلم ،

وللى هذا الحد أقف بتفسير ذلك الحلم ، لأسباب لا محل لذكرها . وإنما أشير
 محض إشارة إلى الطريق الذى يسلم إليه . لقد تذكرت وأنا أفسر الحلم حادثى مع
 الدكتور كونجشتاين . وتذكرتها من أكثر من وجهة . وإنى إذ أنظر فى الموضوعات التى
 دار بها هذا الحديث أرى معنى الحلم يتضح لى . فجميع خيوط الفكر التى ننتدى من
 الحلم : الأفكار المتعلقة بأزهار زوجتى المفضلة وأزهارى . ثم بالكوكابين وبالخرج الذى
 فى طلب المعالجة بين الزملاء الأطباء . ثم بإيثارى دراسة الأبحاث المقصورة على موضوع
 واحد وإغفال بعض فروع العلم مثل النبات . كل هذه تسلم فى النهاية - إذا المره
 تابعها - إلى فرع من فروع تلك المصادفة المتعددة الشعاب . والحلم ينقلب مرة أخرى إلى
 تبرير . إلى دفاع عن حقى : شأن الحلم الذى فسرناه أول ما فسرناه . حلم حقنة إرما .
 نعم . إنه يتابع الموضوع المثار هناك . ويناقشه بالإشارة إلى مادة جديدة تجمعت فى
 الفترة الواقعة بين الحلمين . بل حتى صور الحلم بما اتسمت به من لا مبالاة ظاهرية
 هى أيضاً لهجة^(١) ، إنها تعنى : ومع هذا فأنا الرجل الذى كتب تلك المقالة القيمة ذات
 الأثر عن الكوكابين . مثلما كنت أقول من قبل : ومع هذا فأنا طالب مجد لا يترك
 مجالاً لعائب . وحاصل القول فى الحالتين هو : ومن حقى إذن أن أستبيح ذلك لنفسى .
 بيد أفى أكتفى من تفسير الحلم بهذا القدر : فما أردت بروايته سوى أن أصور بمثال ،
 علاقة محتوى الحلم بخبرة اليوم السابق التى أثارته : ما دمت لا أعرف من ذلك الحلم
 سوى محتواه الظاهر لم تتضح لى سوى علاقة واحدة للحلم بانطباع واحد من انطباعات
 النهار . فأما بعد أن قمت بالتحليل فيظهر مصدر ثانٍ للحلم فى خبرة أخرى من خبرات
 ذلك النهار نفسه . فأما أول هذين الانطباعين اللذين تعلق بهما الحلم فانطباع يستوى
 شأنه عندى . إنه ملاعبة ثانوية : أرى فى إحدى العارضات كتاباً يعذب عنوانه انتباهى
 لحظة . ولا يكاد محتواه أن يثير منى أقل اهتمام . فأما الخبرة الثانية فذات قيمة نفسية
 عالية ؛ فقد تحدثت ساعة تامة إلى صديقى 'طبيب العيون حديثاً مشوباً' : لحت فى خلاله
 تلميحات كان من شأنها أن تصيب كليتنا من قريب ، واستثيرت ذكريات جعلتنى
 أنتبه إلى ما انطورت عليه دخيلى من تهيجات ذات صنوف شتى . أضف إلى ذلك أن

(١) [Akzent - ونقول " لهجة " بالمعنى الذى تكوين هذه الكلمة من خلال استخدامها العامى مل
 الألف ، وهو معنى تمييز الصوت عند الكلام ، كما فى قولنا " لهجة التبول " أو " لهجة الحمى " مثلاً . والمراد
 بالطبع هو : حتى صورة الحلم لا تخلو من المعنى كما لا تخلو منه " لهجة " الكلام] .

الحادثة قد انقطع جلها قبل تمامها إذ أقبل علينا بعض معارفنا . فإعلاقة هذين الانطباعين
النهاريين كلا بالآخر ثم بحلم الليلة التالية ؟

فأما محتوى الحلم [الظاهر] فلا أرى فيه سوى إشارة إلى الانطباع المجرد من
القيمة الخاصة . وبذا أستطيع أن أؤيد قول القائلين : إن الحلم يؤثر أن يلتقط من
الحياة الواقعة ما هو ثانوي لكي يدرجه في محتواه . وأما تفسير الحلم لكل شيء فيه يقود
على العكس إلى الخبرة الهامة التي أهاجني بحق . فلو حكمت على معنى الحلم على النحو
الوحيد الصحيح ، أى بحسب محتواه الكامن الذي أخرجه التحليل إلى الضوء ، رأيت
أنى قد انتهيت على غير توقع إلى كشف جديد ذى خطر . فأننا أرى اللغز المتضمن في
قولنا : إن الحلم إنما يشغل بأشياء معدومة القيمة في حياة النهار – أراه يتبدد ، ولست
أجد كذلك بدءاً من مناقضة القضية للقائلة بأن الحياة النفسية التي نعرفها في اللحظة لا تتواصل
في الحلم وأن الحلم – تبعاً لذلك – إنما هو نشاط نفسى يتفق في الصفات : إن الضد
هو الصحيح ، فما يشغلنا في النهار يسيطر أيضاً على أفكار الحلم . وما نكلف أنفسنا
عناء الحلم إلا بتلك الأمور التي كانت في النهار داعية إلى التروى .

إن أقرب تعليل لكيفي أحلم بالانطباع المجرد من القيمة ، في حين أن ما حملني على
الحلم كان الانطباع الذى أهاجني بحق ، هو من غير شك أننا نواجه هنا مرة أخرى ظاهرة
من ظواهر التشويه الحسنى الذى أرجعناه فيما سبق إلى قوة تعمل عمل الرقابة . وفي هذه
الحالة تكون ذكرى البحث الخاص بفصيلة السيكلامين قد استخدمت من أجل الإشارة
إلى حديثي مع صديقي ، مثلما نابت إشارة « السالمون المدخن » في حلم العشاء المعاق
[ص ١٧٢] عن ذكر الصديقة . وسؤالنا الوحيد هو عن الحلقات الوسطى التي مكنت
انطباع ذلك البحث من أن يعمل كإشارة إلى حديثي مع طبيب العيون ، فإثمت من
صلة واضحة للوهلة الأولى بين الطرفين . ففي مثال العشاء المعاق كانت الصلة قائمة
مقدماً : « السالمون المدخن » – وهو طبق الصديقة المفضل – كان يدخل من غير
تكلف ضمن طائفة الأفكار التي كان يحتمل أن تثيرها شخصية الصديقة في نفس
الحالة . وأما في مثالنا الجديد فكل ما هنالك انطباعان منفصلان لا يبدو بينهما للوهلة
الأولى جامع مشترك سوى وقوعهما في ذات اليوم : في الصباح يلتفت البحث الخاص
بفصيلة السيكلامين ناظري ، ثم في المساء أتحدث إلى صديقي . إن الجواب الذى يضعه

التحليل بين يدينا هو هذا : إن أمثال هذه العلاقات التي لا توجد من قبل بين انطباعين من الانطباعات تنسج من بعد بين المحتوى الفكرى الذى لأحد هذين الانطباعين وذلك الذى لآخرهما . ولقد جذبت الانتباه من قبل إلى الحلقات الوسطى فى مثالنا هذا بالكلمات التى أبرزتها عند رواية التحليل . فلولا التأثير الذى جاء من جهة أخرى ما أدت فكرة البحث الخاص بفصيلة السيكلامين - فى الأغلب - إلا إلى فكرة أن تلك هى الزهرة التى تؤثرها زوجتى . وربما سافت أيضاً إلى باقة السيدة المفتقدة . ولست أعتقد أن تلك الأفكار المسترة كانت تكنى عندئذ فى أن تشير حلماً ، فكما يجرى فى « هاملت » : « ولا حاجة بنا . يا سيدى ، إلى شيخ يخرج من قبره لكى يأتينا بهذا الخبر »^(١)

ولكن انظر ! لقد تذكرت فى خلال التحليل أن الرجل الذى قطع جبل حديثنا كان يدعى جارتنر [البستاني] وأن زوجه لاحت لى مزدهرة . بل إنى لأذكر الآن وأنا أكتب هذه الكلمات أن الحديث بيننا قد دار برهة حول مريضة من مريضاتى كانت تحمل ذلك الاسم الجميل : فلورا [أزهار] . فلا بد أن الذى حدث هو أن تلك الحلقات الوسطى المنبثقة من دائرة الأفكار النباتية قد وصلت ما بين خبرتى اليوم : المجردة من القيمة والمثيرة . ثم استبقت بعد ذلك روابط أخرى . وأخى بها تلك التى كانت تصحب فكرة الكوكايين - وهى فكرة كانت تملك الحق كل الحق فى أن تتوسط بين شخص الدكتور كونيجشتاين وبين بحث نباتى كنت قد كتبه - فكان أن وثقت هذه الروابط اندماج كلتا الدائرتين الفكرتين . بحيث صار من الممكن أن يستخدم جزء من الخبرة الأولى فى الإشارة إلى الثانية .

إنى أتوقع أن يرد البعض هذا التحليل ، لكونه يجرى اعتباطاً أو لأنه مفتعل : فإذا ترى ، كان يحدث لو أن الأستاذ جارتنر وزوجه المزدهرة لم يقبلا ، أو لو أن المريضة التى جرى الحديث بذكرها لم تكن تدعى فلورا بل آنا ؟ والجواب مع ذلك هين : فلو قد غابت تلك الروابط الفكرية لاتجه الاختيار من غير شك إلى غيرها . وما أسهل إنشاء أمثال هذه الروابط ! كما يتضح من التوريات والنكات التى يتدعها الناس كل يوم لكى يلهو بها : إن سلطان النكتة لا يعرف حدوداً . ونستطيع أن نذهب إلى أبعد من ذلك فنقول : إنه لو قد تعذر إنشاء روابط كافية بين انطباعى النهار لما خرج الأمر عن

أن يحىء الحلم مختلفاً ؛ كان يحىء انطباع آخر مجرد من القيمة - من قبيل ما يعرض لنا زرافات ثم لا نلبث أن ننساه - فيقوم بالنسبة إلى الحلم مقام « المبحث الخاص » ، فيرتبط بمضمون المحادثة وينوب عنها في محتوى الحلم . ولما كان هذا المبحث دون غيره هو الذى قد خص بهذا القدر ، فعنى ذلك أنه كان من غير شك أنسب الانطباعات لهذا الارتباط . ولسنا بحاجة إلى أن نتعجب مع هانشن سلاو - في [إحدى لُمع] لسنج (المنظومة) - من « أن أغنياء الدنيا وحدهم هم الذين يملكون معظم المال » .

بيد أن العملية النفسية التى يوساطها تحل الخبرة المجردة من القيمة محل الخبرة ذات القيمة النفسية - على حسب كلامنا - لا يمكن إلا أن تبدولنا مع ذلك مثار شك وحيرة . وسوف نعمل في فصل قادم (الفصل السادس . قسم ب . ص ٣١٧ وما يليها) على تقريب خصائص تلك العملية اللامعقولة مظهرها من أفهامنا . وأما في هذا الموضع فلنستل إلى نتيجة تلك العملية التى تدفعنا إلى التسليم بها خبرات لا تحصى . مطردة الوقوع . في تحليل الحلم . بيد أننا نقول الآن : إن العملية تبدو كأن نقطة - أنقول : في الثبة ^(١) النفسية ؟ - تقع على طول الطريق المؤلف من هاته الحلقات الوسطى ، إلى أن تكتسب الأفكار ذات الشدة الضعيفة أصلاً شحنة الأفكار التى كانت مستشرة في الأصل استثاراً شديداً . وبذلك تتمكن من شق طريقها إلى الشعور ^(٢) . وأمثال هذه النقلات لا تثير عجبنا على الإطلاق حين يتعلق الأمر بكميات وجدانية أو بوجوه النشاط الحركى عامة : فإن تتحول عانس وحيدة بحجها إلى الحيوانات . أو أن يصبح الأعزب من المغرمين بجمع الأشياء ، أو أن يزود الجندى بمهجته عن خرقه ملونة ، علمه ، أو أن تطول ضغطة اليد لحظة فتضيض بالعاشق النشوة ، أو أن يفقد مندبل في « عطيل » فيطلق فقده غضباً عارياً - كل أولئك أمثلة على النقل لا تجادل فيها . ولكن أن يتقرر أمر ما يدخل الشعور وما يقبض عنه - أى ما نفكر فيه وما لا نفكر فيه - أن يتقرر ذلك على هذا النحو عينه

(١) [Asens] - ويبنى أيضاً رفع الصوت أو خفضه عند التلق بالمقاطع أو العلامات الدالة على ذلك ، ورجوعه بالثبة من " نر " أى رفع صوته بعد انقراض . ويستخدم هنا كناية عن الشدة أو الأهمية النفسية من حيث إن الصوت يرتفع في المقاطع التى يراد إبراز أهميتها] .

(٢) [سوف يرى القارئ كيف يحاول فرويد في الفصل السابع أن يبنى نظرية في الحياة النفسية تقوم على فكرة " الطاقة " . ومن شأن فكرة الطاقة أن تجر إلى فكرة الاستثار أى صرف هذه الطاقة واستخدامها في الأوجه المختلفة . والأفكار المستشرة استثاراً شديداً هى إذن تلك التى وضعت أو صرفت فيها كيات كبيرة من الطاقة النفسية ، أو المحصورة بشحنات نفسية كبيرة] .

ووفقاً لتلك المبادئ الأساسية ذاتها - ذلك ما بلوح لنا حدثاً مرضياً . ونسميه خطأ في التفكير حيناً وقع في حياة اليقظة . وأسبق الأمور هنا بذكر نتيجة سوف نخلص إليها فيما بعد . فأقول : إن العملية النفسية التي شاهدهاها في النقل الحلمى لا يمكن أن تعد اضطراباً مرضياً . بيد أنها تختلف مع ذلك من العمليات السوية . ومن الواجب أن نعتبرها عملية ذات طبيعة أكثر أولية [انظر الفصل السابع . القسم ٥] .

ونحن - إذن - نفسر كون محتوى الحلم يلتقط آثار الحبرات الثانوية بأنه مظهر من مظاهر التشويه الحلمى (تشويه بالنقل) . ونذكر في هذا الصدد أننا قد عرفنا في تشويه الحلم أثراً من آثار الرقابة التي تعمل عملها في منتصف الطريق بين نظامين نفسيين [ص ١٦٨] ولهذا نتوقع أن يكشف لنا تحليل الحلم بانتظام عن مصدر حياة النهار الحقيقى . ذى القيمة النفسية - ذلك المصدر الذى نقلت الثيرة من ذكره إلى الذكرى المجردة من الوزن . ونحن إذ نتصور الأمور على هذا النحو نرانا نعارض نظرية روبرت - (ص ١١١) التي تفقد عندئذ كل جدوى بالنسبة إلينا - تمام المعارضة . فالواقعة التي توخى روبرت نعليلها واقعة لا وجود لها ، وتسليمه بها يرجع إلى فهم خاطئ ، إلى إخفاق روبرت في أن يستبدل بالمحتوى الظاهر للحلم معناه الحقيقى . واعتراض آخر يمكننا توجيهه إلى نظرية روبرت : فلو كانت مهمة الحلم الحقيقية هي أن يخلص ذاكرتنا بفعل نفسى خاص من « حالة » ذكريات النهار . للزم من ذلك أن يكون النوم أكثر عذاباً وأبلغ مشقة من الحياة النفسية المستيقظة ؛ فمن الواضح أن عدد الذكريات المجردة من القيمة التي كان ينبغي عندئذ حماية الذاكرة منها يفوق الحصر : إن الليل بأكمله ما كان ليكنى الفراغ من مثل هذا الحشد . والأرجح من ذلك كثيراً هو أن نسيان الانطباعات المجردة من الوزن يتم من نفسه دون أن تتدخل قوانا النفسية في ذلك تدخل فعالاً .

بيد أننا نشعر مع ذلك بما يحذرنا من أن ننصرف عن أفكار روبرت دون مزيد اعتبار ؛ فما فسرنا بعد تلك الواقعة ، وأعنى بها : أن انطباعات لا منزلة له من انطباعات اليوم - اليوم الأخير على التحديد - يشارك دائماً في محتوى الحلم . فإن العلاقة بين هذا الانطباع وبين مصدره الحقيقى في اللاشعور لا تقوم منذ البدء ، بل هي - كما رأينا - قد لا تنسج إلا من بعد في خلال عمل الحلم^(١) ، كأنها قد سمخت تسخيراً لتحقيق

(١) [تلك هي المرة الأولى التي يذكر فيها فرويد تلك الفكرة الجوهرية التي يخصص لها الفصل السادس من هذا الكتاب ، وهو أطول فصوله وأهمها جميعاً] .

النقل المستهدف . وعلى ذلك فلا بد أن تمت قوة القاهرة تدفع إلى إنشاء روابط في اتجاه الانطباع الحديث . المجرد مع ذلك من القيمة . دون غيره . ولا بد أن هذا الانطباع قد خسر بكيف يجعله يصلح لهذا الغرض صلاحية خاصة . فلو لا هذا لكان من السهل كذلك أن تنقل أفكار الحلم شدتها إلى عنصر غير هام مما يدخل : في دائرة معانيها هي .

إن الملاحظات الآتية قد نعيننا على توضيح هذه المسألة : إذا حمل النهار في طياته خبرتين جديرتين بأن تستثيرا حلماً - أو أكثر من خبرتين - أدمج الحلم ذكر كليهما في كل واحد : إنه يخضع للدافع قهري يدفعه إلى أن يؤلف منهما وحدة . وما هو ذا مثال على ذلك : دخلت في عصر يوم من أيام الصيف عربة قطار فوجدت بها رجلين أعرفهما دون أن يعرف أحدهما الآخر . وكان أحدهما زميلاً كبير النفوذ وكان الآخر وجهاً من عائلة معروفة كانت تطلب مشورتي الطبية . فعرفت كلا منهما بالآخر . بيد أنهما ظلّا طيلة الرحلة يتبادلان الحديث من خلالي : بحيث كان على أن أتحدث في مختلف الموضوعات مع أحدهما طويلاً ثم مع الآخر طويلاً آخر . ورجوت من زميلي أن يركب شاباً يعرفه كلانا . كان قد بدأ يزاول مهنته كطبيب في ذلك الحين . فأجاب الزميل بأنه واثق أكبر الثقة من كفاءة هذا الشاب . بيد أنه يعتقد أن مظهره المتواضع لن يجعل نجاحه وسط العائلات الكبيرة أمراً سهلاً . فأجبت : « وهذا عينه هو الذي يجعله محتاجاً إلى توصية » . ثم استدوت بعد ذلك إلى رفيقي الآخر في السفر أستفسره عن صحة عمة . وهي أم إحدى مريضاتي ، وكانت تلزم الفراش إذ ذاك لمرض خطير ألم بها . وفي الليلة التي جاءت في أعقاب تلك الرحلة : رأيت في الحلم صديقي الشاب الذي رجوت تركيته واقفاً في قاعة أنيقة جمعت كل من أعرف من الأكابر والأغنياء ، وهو يلقي عليهم - ولا شيء ينقصه من مسحة رجل المجتمعات - خطاباً في رثاء السيدة العجوز (التي اعتبر الحلم موتها شيئاً واقعاً) عمة رفيقي الثاني في السفر . (وأعترف بأن العلاقة بيني وبين هذه السيدة لم تكن على ما يرام) . وهكذا عرف الحلم مرة أخرى كيف يقيم الروابط بين انطباعي النهار وكيف يؤلف منهما موقفاً واحداً .

ولست أرى بدءاً من أن أقرر - استناداً إلى خبرات كثيرة من هذا القبيل - أن عمل الحلم يخضع لنوع من القسر يدفعه إلى أن يؤلف من جميع المصادر التي تزود الحلم بمحتواته

وحدة واحدة في الحلم^(١) .

ونأظر الآن في تلك المسألة : أمن الحلم في كل مرة أن يكون المصدر الحافظ إلى الحلم والذي يقود إليه التحليل حدثاً قريب العهد (وذا أهمية) ، أم أن من الممكن أن نقوم بعمل الحافظ إلى الحلم خبرة باطنة . وأخى بذلك تذكر حدث ذى أهمية نفسية ، أى تفكيراً فيه ؟ إن الجواب الذى نخلص إليه من عدد كبير من التحليلات يؤيد الاحتمال الثانى أقطع التأييد . فالحافظ إلى الحلم قد يكون عملية باطنة . اكتسبت حداثة العهد – إن جاز التعبير – لأن الفكر قد اتجه إليها في خلال النهار . ولقد حان الوقت لكى نجمل الشرائط التى نرى خضوع مصادر الحلم لها .

إن مصدر الحلم قد يكون :

- (أ) خبرة حديثة ذات أهمية نفسية تُمثل في الحلم تمثيلاً مباشراً^(٢) ، أو
- (ب) عدة من الخبرات الحديثة الهامة يندمجها الحلم في وحدة^(٣) ، أو
- (ج) خبرة أو أكثر من الخبرات الحديثة الهامة تمثل في محتوى الحلم بذكر خبرة أخرى معاصرة لها لكنها خالية من القيمة^(٤) ، أو
- (د) خبرة باطنة ذات أهمية (ذكرى من الذكريات أو خيطاً فكرياً) تمثل باطراد في الحلم بذكر انطباع حديث لكنه مجرد من الوزن^(٥) .

ومن هذا نرى أن تفسير الأحلام يحقق ذلك الشرط في جميع الحالات : أن يكون أحد مقومات محتوى الحلم تكراراً لانطباع حديث من اليوم السابق . وهذا الانطباع الذى

(١) إن نزوع عمل الحلم إلى أن يندمج في موقف واحد جميع الأحداث ذات الشأن والى تقع في وقت واحد ، ظاهرة لاحظها مؤلفون عديون من قبل ، مثل فولاچ (١٨٩١ ص ٤١) ودليف الذى يتحدث في هذا الصدد عما يسميه "rapprochement forcé" [التقريب القهري] (ص ٢٣٧) [هذا وقد كانت تلك الفقرة تنهى بالجملة الآتية التى أنشئت في طبعة ١٩٠٩ ثم حلت من جديد بعد سنة ١٩٢٢ : " سوف نصادف في فصل قادم (من عمل الحلم) هذا النافع القاهر إلى الإدماع من حيث هو حالة من حالات تكثيف الحلم . وهو نوع آخر من العمليات الأولية . "]

(٢) كما في حلم حقة إرميا وحلم عمى ذى العمة الصفراء .

(٣) كما في حلم خطبة الرثاء التى يلقيها الطبيب الشاب .

(٤) كما في حلم المبحث النبأى .

(٥) معظم أحلام مرضى في خلال العلاج تنسب إلى هذا النوع .

يتحتم تمثيله في الحلم إما أن يكون داخلاً في دائرة الأفكار التي ينتمى إليها الحافظ الحقيقي إلى الحلم - سواء كجزء جوهري منها أم كجزء غير هام - وإما أن يكون قد أخذ من مجال الانطباع لا قيمة له وربطت بينه وبين الأفكار المحيطة بالحافظ إلى الحلم حلقات يزيد عددها أو ينقص . والكثرة الظاهرة في هذه الشروط إنما تنوقف في الحقيقة على هذين الاحتمالين : أن يحدث النفل أولاً يحدث ، وحرى بنا أن نلاحظ كيف يمكننا هذان الاحتمالان من تحليل كل درجات التباين بين مختلف الأحلام ، بمثل السهولة التي كان يتيحها للنظرية الطبية فرض الخلايا الخفية المتدرجة من اليقظة الجزئية إلى حتى اليقظة التامة (انظر ص ١٠٩) .

ونلاحظ بعد ذلك فيما يتصل بهذه الحالات الأربع الممكنة أن عنصراً حديثاً لكنه خال من القيمة قد يستبدل من أجل تكوين الحلم بعنصر نفسي ذي قيمة لكنه غير حديث (سلسلة الأفكار أو الذكرى) وذلك على أن يتوافر الشرطان الآتيان : (أ) أن يكون محتوى الحلم على رباط يربطه بخبرة حديثة العهد ، (ب) أن يظل الحافظ إلى الحلم عملية نفسية ذات قيمة . ولا يجتمع هذان الشرطان في ذات الانطباع إلا في حالة واحدة ، هي (أ) . فإذا لاحظنا - فوق ذلك - أن الانطباعات المجردة من المنزلة والتي يمكن استخدامها في تكوين الحلم طالما ظلت على حداثتها - تفقد هذه الصلاحية إذا ما انقضى عليها يوم واحد (أو بضعة أيام على الأكثر) ، لم يكن بد من أن نخلص إلى أن حداثة الانطباع في ذاتها تخلع عليه نوعاً من القيمة النفسية تعدل بوجه من الوجوه القيمة التي للذكريات أو للسلاسل الفكرية ذات النبرة الوجدانية . وأما الأساس الذي تنهض عليه هذه القيمة التي تملكها الانطباعات الحديثة فيما يتصل بتكوين الحلم فلن يتضح لنا إلا في سياق مناقشاتنا السيكلوجية التالية ^(١) .

هذا ولقد يتجه اهتمامنا بهذه المناسبة إلى تلك الظاهرة ، وهي : أن مادتنا الذكرية والفكرية قد نصيبها تغييرات تقع في خلال الليل دون أن يلحظها الشعور . فمن البين أن النصيحة التي تسدئ إلينا بإسلام أنفسنا للنوم ليلة قبل أن نتخذ قراراً أخيراً في صدد أمر ما هي نصيحة لها ما يبررها . ولكننا نتقل هنا من سيكلوجية الأحلام إلى سيكلوجية

(١) انظر ما ورد من " التحصيل " في الفصل السابع [ص ٥٥١ وما بعدها] .

النوم . ولن تكون هذه هي المناسبة الأخيرة التي نغرى فيها بهذا الانتقال ^(١) .
غير أن تمت اعتراضاً يهدد بلفع نتائجنا الأخيرة . ذلك أنه إذا كانت الانطباعات
المجردة من المنزل لا تشق طريقها إلى الحلم إلا ما دامت على حداثتها . فكيف يتفق
أن يشتمل محتوى الأحلام كذلك على عناصر مستمدة من فترة سابقة من فترات الحياة :
لم تكن لها - على حسب كلمات شرومبل - أية قيمة نفسية حتى في إبان حداثة
عهدنا . وكان الواجب - من ثم - أن يعف عليها النسيان منذ زمن بعيد : أى عناصر
لا هي بالطازجة ولا هي بذات أهمية نفسية ؟

إن في إمكاننا أن نفرغ من هذا الاعتراض فروغاً تاماً إذا استعنا بمكتشفات التحليل
النفسى للعصابيين . والحل الذى تلقاه المشكلة عندئذ هو هذا : إن النقل الذى يبذل
بالمادة ذات الأهمية السيكلولوجية مادة أخرى لا قيمة لها (فى الحلم كما فى التفكير على
السواء) قد وقع فعلاً فى تلك الحالات فى هاته الفترة السابقة من فترات الحياة . ثم نب
من بعد ذلك فى الذاكرة . فالانطباعات التى كانت مجردة من القيمة فى مبدأ الأمر
لم تعد كذلك منذ أن اكتسبت بوساطة النقل قيمة المادة ذات الأهمية النفسية . وما بقى
بغير أهمية حقيقة لا يمكن استحضاره فى الحلم بعد ذلك أبداً .

ومن المناقشات المتقدمة يستخلص القارئ بحق أننى أذهب إلى أنه لا وجود لحافز
مجرد من القيمة ولا وجود - من ثم - لأحلام بريئة . وذلك هو ما أعنيه بكل صراحة ومن
غير قيد - هذا إذا تركنا جانباً أحلام الأطفال وربما بعض الاستجابات الحسية

(١) لقد قام هيرشل بعمل هام فى تبيان النصب الذى يرجع إلى الانطباعات الحديثة العهد فى
تكوين الحلم ، وذلك فى مقال ثرى فى مضمثاته (١٩١٧) . فقد قام هيرشل بتجارب كان يطلب لها إلى عدد
من الأشخاص أن يرموا ما قد لاسخلو ملاحظة شعورية من صورة تعرض على أسباصم بواسطة التاغيستوسكوب
[جهاز يستخدم لعرض الصورة فى فترة قصيرة جداً من الزمن] . ثم بعد ذلك كان يحج بهم إلى أحلامهم التى
يحلون بها فى خلال الليلة التالية ويطلب منهم مرة أخرى أن يقيمو برسم أجزاء مناسبة منها . وحينئذ كان يجين
بما لا يقبل الشك أن التفاصيل التى لم يلاحظها هؤلاء الأشخاص ملاحظة شعورية من الصور المعروضة عليهم هى
التي كانت تؤمر مادة أحلامهم على التحقيق ، على حين لم تكن تتكرر فى المحتوى الظاهر للحلم تلك التفاصيل التى
أدركت إدراكاً شعورياً وجمعت بالرسم بعد أن مرست الصورة . وكانت المادة التى يقتبسها حلم الحلم تعدل بوساطة
على طريقته " التحكية " المألوفة (لر ، على الأصح ، " الأوتوماتية ") تعديلها يسخرها لأغراض تكوين
الحلم . وإن المشكلات التى تثيرها تجارب هيرشل لتبدو كثيراً نطالق تفسير الحلم كما نعالجه فى هذا الكتاب . ومع
هذا ينبغي علينا أن نثير بكلمة عابرة إلى مدى الفرق بين هذا المنهج الجديد فى دراسة تكوين الأحلام بالتجريب
وبين الطريقة القديمة الفجة التى كانت تتلخص فى أن تدخل على محتوى الحلم منبهات مزجية للنوم .

القصورة إلى أحاسيس يستشعرها المرء في خلال الليل . وأما فيما خلا ذلك فما نحلم به إما أن يكون ذا قيمة نفسية سافرة ، وإما أنه قد شوه فلا يعود تملك الحكم عليه حتى نفكره ، وحينئذ يكشف مرة أخرى أنه ذو قيمة . فالحلم لا يشغل أبداً بالتوافه ، ولنا ندع نوعاً نزرعه الصفائر^(١) . والأحلام البريئة مظهر لا يلبث أن يتبين مكرها إذا تجشم المرء عناء تحليلها . وإذا جاز لي أن ألبأ إلى هذا التعبير الجارى ، قلت : إنها ترينا « تحت الثبن ماء » ولا كانت هذه مسألة أتوقع المناقضة في صدها ، وكنت أرحب بكل فرصة تتيح لي أن أفصح تشويه الحلم وهو يعمل عمله - فقد انتخبت من مجموعتي عدداً من « الأحلام البريئة » لكي أقوم بتحليلها .

١

روت شابة ذكية ، مثقفة ، لكنها من أولئك الذين يسود التحفظ مسلكهم ، الذين يشبهون : « الماء الساكن »^(٢) - روت ما يلي : حلمت أني وصلت إلى السوق بعد فوات الوقت ، فلم أسمع أن أخرج بشيء ، لا من الجزار ولا من بائنة الخضار . حلم برئ من غير شك ، لكن الأحلام لا تكون بهذه البساطة ، فأسألها أن تزيد تفصيلاً ، فتدلى إلى بالرواية الآتية : تلعب إلى السوق ومعها طامبا وهو يصل السلة . تسأل الجزار شيئاً ما ، فيقول لها : « لم يمد نيل ذلك في الإمكان » ويعرض عليها شيئاً آخر بدله قاللا : « هذا أيضاً لا بأس به . » تعرض عنه وتلعب إلى بائنة الخضار ، وتريد حله أن يبيعها نوعاً غريباً من الخضار ربط حزياً ، لكنه كان أسود اللون . تقطع الحاملة . ولا أعرف ذلك ، لا أعلمه . إن الحلم صريح الصلة باليوم السابق . فهي - حقيقة - قد ذهبت متأخرة إلى السوق ، فخرجت منه خالية الوفاض : كان دكان الجزار مغلقاً - هذا هو ما يتبادر إلى

(١) يقول هالليك إليس - وهو من أشهر نقاد « تفسير الأحلام » - : « وهذا هو الموضع الذي لا يستطيع الكثيرون منا أن يتابعوا فرويد بهمه . » (١٩١١ ، ١٦٩) . بيد أن هالليك إليس لم يتم قط تحليل أى حلم من الأحلام ، وهو لا يريد أن يصدق كم يكون من الجور أن يقيم المرء حكمه على معنى الحلم الظاهر .
(٢) [دم الذين لا يظهر شيئاً ما بهم ، وهم مع ذلك الشيء الكثير ، كالماء الساكن لا تظهر حركة على سطحه وهو مع ذلك بعيد الغور] .

الذهن كوصف لما حدث . ولكن مهلا ! أليس ذلك - أو على الأصح ضده - تعبيراً سهوياً يشير إلى نوع بعينه من الإعمال قد يأتيه الرجل في ملبسه ؟^(١) أينما كان الأمر فإن الحاملة لم تستخدم هذه العبارة ؛ ولعلها تجنب استخدامها . فلنصل - إذن - حل أن نفسر تفاصيل هذا الحلم .

إن كل ما يحمل في الحلم صفة الكلام الصريح . أى كل ما يقال أو يسمع ولا يقف الأمر عند مجرد التفكير فيه (والفرقة ممكنة في معظم الأحيان عن يقين) فهو مستمد من كلام قيل فصلا في الحياة المستيقظة - وإن كان من المغرور منه أن هذا الكلام إنما يعالج معالجة المادة الخام . فيقتطع . ويعدل بعض التعديل . ويتزع من محيطه بنوع أخص^(٢) . ولنا حين نفسر حلما أن نبدأ بأمثال هذه العبارات المنطوقة ؛ فما هو - إذن - مصدر كلمة الجزار : إن نيل ذلك لم يعد في الإمكان ؟ أنا المصدر . فقد ذكرت لما منذ أيام قلائل أن أقدم خبرات الطفولة لم يعد في الإمكان نيلها من حيث هى كذلك . بل نحل محلها في التحليل «التحويلات» والأحلام . وهكذا أكون أنا الجزار ، وهى ترفض هذا التحويل إلى الحاضر للأساليب القديمة في التفكير والإحساس - وما مصدر قولها في الحلم : لا أعرف ذلك ، لا أعلمه ؟ ذلك ما يقتضى التحليل تجزئته . إن « لا أعرف ذلك » كلام قاله هى في اليوم السابق لطاهايا إذ احتدم النقاش بينه وبينها . بيد أنها قد أردفت إذ ذاك قائلة : الزم حدودك ! ومن البين أن نقلا قد وقع في هذا الموضع ؛ فهى لم تلج في حلمها من الحلمتين اللتين وجهتهما إلى طبائخها سوى الجملة التى لا خطر منها . لكن الجملة المقصودة وحدها : « الزم حدودك » هى التى تتلام وبقية محتوى الحلم . إنها الجملة التى يجوز توجيهها إلى رجل خرج عن اللياقة ونسى « دكان جزائره مفتوحاً » . وأما أننا قد وفقنا حقيقة إلى الأمر الصحيح بتفسيرنا هذا فذاك ما يثبت بعدئذ من التجاوب بين هذا التفسير وبين التلميحات

(١) « دكان الجزار مفتوح » تعبير دارج في لغتنا منناه : « أضرار البتولون مفكوكه . »

(٢) الظر ما سوف يحى مصدر الكلام في الأحلام الفصل الخامس يحمل الحلم [القسم ٥ ص ١٩] بأنها وليس هناك سوى كاتب واحد يترجم أنه حرف مصدر العبارات المنطوقة في الحلم ، وأنى به دليوب الذى يشبه هذه العبارات بالـ "كلماته" .

الكائمة وراء قصة بائعة الخضر . فصنف الخضر الذى يباع فى حزم (وحزم مستطيلة ، كما أضافت الحاملة من بعد) . وهو إلى ذلك أسود اللون - هذا الصنف ما عساه أن يكون إلا مزيجاً حليماً من الحليين والفجل الأسود ؟ وأما الحليين فلا أظننى بحاجة إلى تفسيره لعارف أو عارفة^(١) . وأما الصنف الآخر من الخضر - وانظر كيف يتحول (اسمه : Schwarzer Rettig أى الفجل الأسود) إلى تلك الصبيحة : Schwarzer Rettig [أهرب ، يا أسود !]^(٢) - فبهاً إلى أنه يشير كذلك إلى ذات الناحية الجنسية التى خناها منذ البدء حين استشرنا الليل إلى أن ندرج فى رواية الحلم جملة : كان دكان الجزار مغلقاً . ولنا بحاجة إلى أن نعرف معنى هذا الحلم معرفة كامئة ، فالشيء الثابت هو هذا : أن للحلم معنى ومعنى بعيداً عن البراءة^(٣) .

١٢

وها هو ذا حلم آخر برىء لهذه المريضة ، وهو بمعنى ما بمثابة الكفة الأخرى للميزان بالنسبة إلى الحلم الأول : يسألها زوجها : ألا يبنى علينا أن نضبط أصوات هذا المعزف فتجيب قائلة : إن الأمر لا يستحق العناء ، فالطائر يحتاج إلى أن تركب مع الأوتار الصبيحة على أية حال . هذا أيضاً تكرر لحدث حقيقى من أحداث اليوم السابق ، فقد سألتها زوجها هذا السؤال وأجابته بمثل هذا الجواب فما معنى حلمها به ؟ . إنها تقول عن المعزف : إنه قصص يبعث على الاشتزاز . منكر الصوت ، شيء كان يملكه زوجها

(١) « نبات ذو قصبان ريشة بها لبن » - من « تقريب الموارد » .

(٢) لاحظ الجناس .. وأما كيف ولده هذا الجناس الإشارة الجنسية التى يراها فرويد فى اسم هذا النبات فأمر غير بين . ويرجع مترافى هذه للنسبة أن فرويد ربما كان يتحدث هنا وهو يذكر لنزاً من الألفاظ المصورة التى كانت ذاتة أكبر البهوع فى مجلات ذلك العصر المزيلى وبخاصة مجلة : "Fliegende Blätter" أو "المصاحف الطائرة" . وسوف يرد ذكر هذه المجلة يذكر ألفاظها المصورة فى مواضع شتى من هذا الكتاب .

(٣) أقول لمن أراد العلم أن هذا الحلم يبنى وراءه تمهيداً مداره أن أسلك مسلكاً متافهاً للأدب ، منظوياً على استطرار جنس ، وأنها تصد هذا المسلك من جانبى . فإن هذا هذا التفسير شيئاً بعيد عن التصديق ، ذكرت القارىء بالحالات التى يرى فيها الأطباء أنفسهم هدفاً لاهتمامات من هذا القبيل من جانب نساء هنريات لم يظهر هذا التحليل متعناً مشوهاً فى صورة حلم ، بل يظهر ظهوراً شمورياً سافراً فى صورة هدائية - [١٩٠٩ :] وقد كانت الحالة فى بدء تحليلها حين أنشأها هذا الحلم ، ولم أعلم إلا فيما بعد أنها إنما كانت تكرر بهذا الحلم الصدمة الأولى التى كانت منشأ حساسها . ومنذ ذلك الحين وأنا ألحظ هذا المسلك عين من جانب أشخاص كانوا فى مقولاتهم شغايا لمثل هذه المحاولات الجنسية ثم صاروا الآن كأنهم يتسبون تكرارها فى أحلامهم .

من قبل الزواج ^(١) : إلخ . بيد أن مفتاح الحل إنما يكمن في قبيلا : إن ذلك لا يستحق العناء . فهي قد استمدت هذه الكلمات من زيارة قامت بها في اليوم السابق لإحدى صديقاتها . ودعها الصديقة إلى أن تنزع سترها ولكنها أبت قائلة : شكرًا . ولكن الأمور لا يستحق العناء ؛ فأنا ذاهبة بعد قليل . وبينما كانت تقص على ذلك . تذكرت أنها في خلال جلسة التحليل بالأمس قد أمسكت بسترها فجاءة ؛ فقد انفك أحد أزرارها . وهكذا تكون كمن أرادت أن تقول : أرجو ألا تلتفت . إن الأمر لا يستحق العناء . وبذا يكتمل القفص فيصبح : القفص الصدري . ويعود بنا تفسير الحلم دفعة واحدة إلى زمن نضجها الجسدي في خلال المراهقة . حين بدأت تشعر بقلّة رضاها عن هيئة جسمها . بل إنه ليقودنا إلى أزنة تسبق ذلك كثيراً إذا اعتبرنا « يبعث على الاشتغال » و « منكرو الصوت » . وإذا تذكرنا في هذا الصدد كيف يكثر في التلميح وفي الحلم أن يحل نصف الكرة الأصفران من جسم المرأة محل النصفين الأكبرين – على سبيل التقابل أو التبديل .

٣

وأقطع هنا هذه السلسلة من أحلام تلك المريضة بإيراد حلم قصير . يرى ، أناه شاب في مستقبل العمر : فقد رأى أنه يرتدى سطله الشهي من جديد ، وكان ذلك شيئاً مروماً . إن السبب الظاهر لهذا الحلم هو هجوم البرد هجوماً مفاجئاً . بيد أننا نلاحظ إذا أنعمنا النظر أن الجزئين القصيرين اللذين تركب منهما هذا الحلم لا يستقيمان كلا والآخر : إذا ما هو « المروع » في ارتدائك في البرد معطفاً ثقيلاً أو سميكا ؟ إن من سوء حظ براءة هذا الحلم أن أول ما يحضر ذاكرة الحلم في أثناء التحليل هو أن سيدة قد أسرت إليه الباردة بأن الفضل في حياة ولدها الأخير يرجع إلى تمزق الحجاب المانع للنسل . فقد أجرى الحلم أفكاره بما يتفق وما سمع : الحجاب الرقيق خطر ، لكن السميكة ردىء . ولقد تمثل الحجاب بحق في صورته المعطف ؛ فكلاهما يُعْتَطَفُ . ولا شك في أن حادثة من قبيل ما أفضت به السيدة قد كانت تكون شيئاً « مروماً » بالنسبة إلى رجل أعزب . ولكن لنعد الآن إلى حاملتنا البريئة .

(١) وهو ما يظهر على إبدال لفظ بالقد كما سيتضح من تفسير الحلم .

٤

إنها تضع شمعاً في الشمعدان ، ولكن الشمعة تنكسر فلا تنصب كما ينبغي . وتقول رفيقاتها في المدرسة : إنها غير حافظة . بيد أن المدرسة تقول : إن الذنب ليس ذنبها .

إن لهذا الحلم أيضاً مناسبة من الحقيقة . فهي — حقيقة — قد وضعت البارحة شمعة بالشمعدان ، إلا أن هذه الشمعة لم تنكسر . وقد لجأت الحاملة إلى رمز شفاف : فالشمعة موضوع يهيج أعضاء المرأة الجنسية ، وإنكسارها بحيث لا تنصب كما ينبغي يعنى عجز الرجل الجنسي (« إن الذنب ليس ذنبها ») . ولكن أتعرف السيدة الشابة هذا الاستعمال للشمعة ، وهي التي نشأت تنشئة ملوثة العناية وظلت بمنأى عن كل قبيح ؟ لقد اتفق أنها كانت قادرة على أن تبين كيف بلغ ذلك علمها : فهي كانت تركب نهر الراين يوماً حين مر بهم قارب علك جماعة من الطلبة استخفهم الطرب فرفضوا عقائدهم بأغنية ينشدونها — أو بالأحرى تصابحوا بها — هي : « عندما تقف ملكة السويد ، خلف مصراع النافذة المظلل ، وهي بشموع أبولو . . . »^(١)

إن السيدة لم تسمع الكلمة الأخيرة (المهدوفة) أو سمعتها فلم تفهمها . ولا بد أن زوجها قد أدلى إليها بالإيضاح المنشود . وقد استبدلت بهذه الأبيات في محتوى الحلم ذكرى بريئة تتعلق بعمل كلفت به المريضة وهي لا تزال بالمدرسة فلم تحذف لأدائه ، لأن مصراع النافذة كان مظللاً — وهو العامل المشترك الذي يسر التبديل . وأما العلاقة بين فكرتي الاستثناء والعجز الجنسي فواضحة بما فيه الكفاية . و « أبولاو » المتضمن في المحتوى الكامن لهذا الحلم كان حلقة وصل بينه وبين حلم سابق تمثلت فيه (الآلهة) بالامن العنصرية . كل هذا بعيد في الحقيقة عن البراءة .

٥

ولكن لا نغفل أن الاستدلال بالحلم على الحياة الحقيقية للحالم أمر جم السهولة ،

(١) [أبيات من أغنية معروفة من أغاني الطلبة . " وشعور أبولو " اسم لنوع من الشموع . وأما الكلمة الحلقية فهي " onanism " أى " تمنى "] .

أضيف حلماً آخر - ظاهره البراءة أيضاً - من أحلام تلك السيدة . قالت : لقد حلت بشئ. صنت بالأس حقيقة ، فقد رأيت أنى ألاء غزاة صغيرة بالكعب حتى تطل على إلهائها ، وكان ما حلت به هو هو الذى قد حدث حقيقة . فى هذا المثال ينصب معظم إلحاح الحالة نفسها على الاتفاق الذى بين الحلم والحقيقة . وإن كل ما يعنى فى صدد الحلم من أمثال هذه الأحكام والملاحظات - وإن حلت فى الفكر المستيقظ - إنها يكون دائماً ، فى الحقيقة ، جزءاً من محتوى الحلم الكامن - كما سوف نؤيده الأمثلة فيما بعد [ص ٤٤٥] . والذى تحدثنا به الحالة - إذن - هو أن الحدث الذى يصفه الحلم قد وقع حقيقة بالأس . وإن المطاف ليبعد بنا كثيراً لو أردنا أن نروى كيف خطر لنا أن نستعين باللغة الإنجليزية فى تفسير هذا الحلم . يكفى أن نقول : إن الأمر يدور من جديد حول box صغير (انظر حلم الطفل الميت فى الصندوق ، فى ص ١٧٨) ، امتلاً حتى نعلم أن يدخله بعد ذلك شئ . وما من شائقة - إذن - فى هذه المرة على الأقل .

ومن البين فى جميع هذه الأحلام « البريئة » أن العامل الجنىسى هو الدافع إلى الرقابة بيد أن ذلك موضوع ذو أهمية رئيسة يجب أن ندعه جانباً .

ب

مادة الطفولة

من حيث هى مصدر من مصادر

الحلم

قلنا - متفقين فى ذلك مع كافة المؤلفين إلا روبرت - : إن ثلاثة الخصائص التى تميز محتوى الحلم هى أن الحلم قد تظهر فيه انطباعات ترجع إلى حياة الطفولة الأولى ، انطباعات تبدو بعيدة عن تناول الذاكرة فى اللحظة . ومن الصعب بطبيعة الحال أن نقرر

إلى أى حد ينثر ورودها أو يكثر . ما دمت لا نعرف بعد اليقظة مصدر عناصر الحلم . فالبرهان على أن الأمر يتعلق فى هذا الحلم أو ذاك بانطباع مستمد من الطفولة يجب أن يؤسس على شهادة موضوعية . وهو أمر لا تنجحه الفرض إلا نادراً . ومن الأمثلة القليلة الدلالة على ذلك قصة مورى عن الرجل الذى اعتزم أن يزور مسقط رأسه بعد غيبة دامت ما ينيف على العشرين عاماً : فقد حلم الرجل فى الليلة السابقة على الرحيل بأنه فى مكان لا عهد له به على الإطلاق وأنه يلتقى فى الطريق هناك برجل لا يعرفه ويتحدث إليه ، فلما عاد إلى وطنه تاح له أن يقتنع بأن المكان المجهول موجود حقيقة على مقربة من بلده ، وأما رجل الحلم الغريب فصدى من أصدقاء والده المتوفى لم يكن لا يزال على قيد الحياة بذلك المكان . وذلك من غير شك دليل على أنه قد رأى فى طفولته كلا الرجل والمكان . والحلم بعد ذلك حلم ينبغى إدراجه بين أحلام الصبر النافذ ، كحلم الفتاة التى كانت تحمل تذكرة الحفل الموسيقى فى جيبها (ص ١٧٦) . أو حلم الطفلة التى وعدتها أبوها برحلة إلى الضيعة (ص ١٥٥) . إلى آخر ذلك . فأما الدوافع التى جعلت الحالم لا يستحضر من طفولته إلا تلك الانطباعات دون غيرها - فأمر لا يبين بالطبع من غير تحليل .

وأخبرنى أحد المستمعين إلى محاضراتى - وكان يفخر بأن أحلامه قلما يصحبا التشويه - بأنه قد حلم منذ زمن غير بعيد بأنه يرى منه الخناس القديم راقداً فى سرير واحد مع الزوجة التى ظلت بمنزله حتى الحادية عشرة من عمره . وحضره فى الحلم أيضاً مكان ذلك المشهد . وأثار كل هذا فى نفسه فضولاً شديداً ، فقص الحلم على أخيه الأكبر الذى أكد له ضاحكاً صلق الحلم ، فهو - أخى الأخ الأكبر - يذكر ذلك تمام اللذكرى ، فقد كان عمره ، إذ ذاك ستة أعوام : كان من ذاب العاشقين أن يسكرا الأخ الأكبر بالجملة كلما هيات لهما الفرصة أن يجتمعا ليلاً ، وأما الأخ الأصغر - حالنا الذى كان يبلغ إذ ذاك الثلاثة أعوام . وكان ينام مع المربية فى غرفة واحدة - فلم يكن بعد خطراً .

وتمت حالات أخرى يسهل علينا فيها أن نقطع باحتواء الحلم على عناصر مستمدة من حياة الطفولة دون استعانة بتفسير الأحلام . وذلك إذا كان الحلم مما يسمى بالأحلام المتكررة عن قديم . أى إذا كان حلماً يأتى صاحبه للمرة الأولى وهو ما زال طفلاً ثم

يعاوده بعد ذلك في الرشد من حين إلى حين . وأستطيع أن أضيف إلى الأمثلة المعروفة على هذا النوع من الأحلام أحلاماً قليلة جمعها . وإن لم أكن قد وقع لي قط حلم متكرر من هذا القبيل : فقد قص على طبيب في العقد الرابع من عمره أن أسداً أصفر اللون كان يترأى له كثيراً في أحلامه منذ عهد طفولته إلى يومنا هذا . وكان في استطاعته أن يصفه أدق الوصف . ثم جاء يوم فإذا هو يكشف هذا الأسد الذي عرفه من حلمه متجسماً في صورة لعبة من الخزف عني عليها الدرر . وحينئذ علم الشاب من أمه أن هذا الأسد كان لعبته المفضلة في طفولته . وإن لم يعد يذكر شيئاً من ذلك .

وإذا تركنا المحتوى الظاهر للحلم إلى أفكاره الكامنة التي لا تنال بغير التحليل ، أدهشنا أن نرى أثر خبرات الطفولة في أحلام ما كان محتواها ليدعونا قط إلى مثل هذا الظن . وأدين لزيملي المبجل . صاحب « الأسد الأصفر » . بمثال على ذلك فريد في لطفه ودلالته النظرية . فقد أتاه - بعد أن قرأ وصف نازنرس لرحلته القطبية - حلم رأى فيه أنه في حقل من الجليد يعالج هذا المستكشف المقدام علاجاً كهربائياً لنوبة ألّت به من مرض عرق النساء ! وبينما كنا نحلل الحلم تذكر قصة من طفولته لولها لظل الحلم مستقلاً على الفهم كل الاستغلاق : ذلك أنه - وهو طفل في الثالثة أو الرابعة - كان يصنى يوماً إلى حديث دار بين من يكبرونه حول رحلات الاستكشاف حين سأل والده : أذلك مرض خطير ؟ وكان جلياً أنه قد خلط كلمة « وايزن » (رحلات) بكلمة « رايسن » (تشنجات) . وتكفلت سخرية إخوته وأخواته بالألا تنزلق تلك الخبرة الهزبة إلى النسيان .

وإننا لثاناً لئام مثال شبه بذلك كل الشبه حين أعثر وأنا أحلل حلم المبحث الخاص بفصيلة السيكلامين على إحدى ذكريات طفولتي : ذكرى والدي حين جعلني - وأنا في الخامسة - أمزق كتاباً زين بلوحات ملونة . وقد نتشكك في أن تكون تلك الذكري قد أخذت حقيقة بنصيب ما في تشكيل محتوى ذلك الحلم . ونرجح أن يكون التحليل هو الذي أوجد هذه العلاقة من بعد . ولكن غزارة الروابط الاستدعائية وتشابكها يضمنان صحة وجهة النظر الأولى : السيكلامين - الزهرة المفضلة - الطبق المفضل - الخرشوف ، تمزيق كتمزيق الخرشوف ورقة فورقة (لوهي جملة كانت تطرق أساحتنا كل يوم بمناسبة تمزيق الإمبراطورية الصينية) . الملعب - دودة الكتب التي تجد في الكتب

غذامها المفضل . ثم إنى أستطيع أن أؤكد للقارئ أن المفزى الأخير لذلك الحلم - وهو
مالم أفص به هنا - كان متصلاً بأوثق الاتصال بمضمون ذلك المشهد الطفلى .

وبرينا التحليل فى طائفة أخرى من الأحلام أن الرغبة التى أثارت الحلم فعلاً .
والى صور الحلم تحقيقها - قد تفرعت عن حياة الطفولة ، حتى إن المرء يدعش إذ
يرى الطفل باندفاعاته وهو ما زال حياً فى الحلم .

وفى هذا الموضع أستاذنى تفسير حلم سبق أن خرجنا منه بجديد ، وأعنى به حلم :
صديقى ر . هو عمى (ص ١٦٢ وما يليها) لقد مضينا فى تفسيره إلى أن تبين لنا
فى جلاء أن الرغبة فى أن أرق إلى منصب الأستاذية كانت إحدى الرغبات الدافعة إليه ،
وعلنا الحنان الظاهر فى الحلم تجاه صديقى ر . بأنه كان نتاجاً أمله معارضتى
ومدافعتى للمطامع الموجهة فى أفكار الحلم نحو زميلى . ولقد كان الحلم حلمى ، ولى
- إذن - أن أتابع تحليله بأن أقول : إننى وقد انتهيت من حله إلى هذا المدى لم أشعر
بالرضا بما انتهيت إليه . فقد كنت أعلم أن حكمى المستيقظ على الزميين اللذين أسأت
إليهما فى الحلم كل هذه الإساءة كان حكماً مختلفاً كل الاختلاف ، وكان سلطان
الرغبة فى ألا أشاركهما مصيرهما فيما يتصل بمسألة الرقية بيدولى أضعف من أن يفسر
هذا التناقض بين التقديرين : تقدير القطة وتقدير الحلم . فلو أن احتياجى إلى أن ألقب
بلقب مختلف كان شديداً إلى هذا الحد ، لكان ذلك دليلاً على طموح مرضى لا أحده
فى نفسى وأعتقد أنه بعيد عنى . ولست أدرى ما هو حكم الغير ، ممن يعتقدون معرفتى ،
فى هذا الصدد . ربما كنت طموحاً حقيقة . ولكن إذا كان الأمر كذلك ، فهذا الطموح
قد انصرف منذ أمد بعيد إلى موضوعات أخرى غير لقب الأستاذ المساعد أو منصب .

من أين - إذن - أتى الطموح الذى ألمنى هذا الحلم ؟ هنا تحضرنى قصة كثيراً
ما سمعتها تحكى فى طفولتى : ذلك أنه اتفق حين ولدت أن تنبأت فلاحه عجوز لأمى
السعيدة بوليدها الأول بأنها قد أنتت إلى الدنيا برجل عظيم . ولا شك أن أمثال هذه النبوءات
شئ كثير الوقوع : فكلم فى الدنيا من أمهات آمالات وكم فيها من عجائز فلاحات - أو
غير فلاحات - ممن هجرتهن قواهن الدنيوية فتحولن جهة الغيب ! ثم إن المنتبئة لن
تصيرها النبوءة . أليكون ذلك هو النبع الذى منه كان ظمى إلى العظمة ؟ ولكننى أذكر

هنا انطباعاً آخر يرجع إلى ما أعقب من سنوات حدائى . انطباعاً يزودنا بتعليل أفضل : فقد حدث ذات مساء فى مطعم فى (حديقة) برانر اعتاد والدائ أن يصطحباني إليه وأنا غلام فى الحادية أو الثانية عشرة من عمرى أن جلب انتباهنا رجل كان يتنقل من مائدة إلى أخرى مرتجلاً لقاء هبة صغيرة أبياتاً من الشعر فى أى موضوع يعرض عليه . وأرسلت فى طلب الشاعر إلى مائدتنا ، فأبدى شكره للرسول ، وقبل أن يسألنا أى موضوع اخترنا ألقى ببضعة أبيات غنى . ثم أعلن فى غمرة الإلهام أننى على الأرجح صائر فى يوم من الأيام « وزيراً » . وما زلت أذكر أحسن الذكرى أى انطباع أحدثته هذه النبوة الثانية فى نفسى . لقد كانت تلك أيام وزارة الطبقة المتوسطة^(١) ، وكان والدى قد أحضر إلى المنزل منذ قريب صور أولئك الأقطاب البورجوازيين : هربست وجيسكر وأونجر وبرجر وغيرهم . وكنا قد أشعلنا الأنوار تكريماً لهؤلاء السادة . بل لقد بلغ من الأمر أن كان بينهم يهودى فكان يهيا لكل غلام يهودى مجتهد أنه يحمل كرسى الوزارة فى حقيقته المدرسية . ولا بد أن الانطباع الذى تخلف فى نفسى من ذلك العهد قد كان له أثره فى أننى بقيت إلى ما قبل التحاق بالجامعة بزم قصير وأنا أنرى أن أدرس القانون ، ولم أعد إلا فى اللحظة الأخيرة . ومن اشتغل بالطب صدت دونه أبواب الحياة الوزارية من غير رجعة . ونعود الآن إلى حلمى : إننى ألحظ للمرة الأولى أنه يتنقل فى من الحاضر المهن إلى أيام الوزارة البورجوازية المليئة بالأمال المرحية ، وأنه يبذل ما وسعه من أجل أن يحقق ما كنت أرغب فيه إذ ذاك : فأنا إذ أسىء إلى زميلى العالمين الجليلين إلى هذا المدى لأنهما يهوديان ، وإذ أعد أحدهما أبله وأعد الآخر مجرمًا - أسلك كأننى كنت الوزير : لقد وضعت نفسى فى موضعه . ياله من انتقام حاسم من صاحب المعالى ! إنه يرفض ترقىي أستاذًا مساعدًا ، وأنا أرد له الكيل بأن أضع نفسى مكانه .

وأمكننى أن ألحظ فى حالة أخرى أن الرغبة التى تنثر الحلم - وإن تكن رغبة حاضرة - قد لقيت مع ذلك تعزيزاً قوياً من ذكريات امتدت جذورها بعيداً فى الطفولة . وأنا أفكر هنا فى طائفة من الأحلام كان أساسها الحنين إلى زيارة روما . ولسوف أمكث زمناً طويلاً وأنا مكروه على أن أرضى هذا الشوق بوساطة الأحلام ؛ ففى هذا الفصل من

(١) [*Bürgerministerium*] - وزارة كانت لها آراء من قبيل الآراء المتأثرة من أحزاب الأحرار ،

انضمت بعد وضع الدستور النمساوى الجديد عام ١٨٦٧ .

العام الذى أتمكن فيه من الترحال يتحتم على أن أتجنب الإقامة فى روما لأسباب صحية^(١) وهكذا رأيت مرة فى الحلم أننى أنظر من نافذة عربة قطار إلى نهر التيبر وجسر سانت أنجلو، ثم يأخذ القطار فى الحركة ، فيخطر لى أننى لم أطلأ المدينة قط . وكان المنظر الذى رأيته فى الحلم مقتبساً عن رسم معروف وقع عليه بصرى برهة فى حجرة جلوس أحد مرضاى . وفى مرة أخرى يقودنى قائد إلى قمة تل ويربى منى روما وقد تلفعت بالضباب نصف تلفع وبعدت بعداً شقيقاً حتى لأعجب معه من وضوح منظرها . ويحتوى الحلم أكثر ثراء مما أستطيع روايته . ولكن من السهل أن نستشف فيه فكرة « أرض الميعاد وهى تلوح من بعيد » . والمدينة التى رأيته للمرة الأولى على هذا النحو ، ملفعة بالضباب ، كانت : لوليك . وأما التل فقد رأيت أنموذجه فى - جلاينجبرج . وفى حلم ثالث أراى أخيراً فى روما - على ما حدثنى به الحلم - بيد أنى - تخيبة أمل - أرى منظرًا لا يشبه المدن فى شيء . أرى : نهراً حلك مائه وحلت إحدى ضفتيه ضوراً سوداً وانتشرت على الأخرى مراعى اخترت فيها أزهار كبيرة بيضاء ، ثم الحظ رجلاً يمشى السيد تسوكر (وهو رجل لى به بعض المرحمة) وأقعد للزمن على أن أسأله عن الطريق المؤدية إلى المدينة . وحلى أننى كنت أحاول عبثاً أن أرى فى الحلم مدينة لم أرها فى حياة اليقظة قط . وإنى إذ أجزئ مشهد الحلم إلى عناصره أرى الأزهار البيضاء تعود لى إلى مدينة رافانا التى أعرفها والتى احتلت مكانة روما كعاصمة لإيطاليا - بعض الزمن على الأقل . وفى المستنقعات المحيطة برفانا وجدنا أجمل الزنايق المائية نامية فى الماء الأسود . وكنا نكابد العناء فى اقتطافها من الماء . فجعلها الحلم تنبت فى المرحى ، مثل التريجس فى آوىسى . وأما الصخرة السوداء القريبة ذلك القرب من الماء فتذكرنى تذكراً شديداً بوادى التهل ، على مقربة من كارلسباد . ويمكننى الآن « كارلسباد » من أن أفسر تلك اللوحة العجيبة : وأخى بها سؤالى السيد تسوكر عن الطريق : إن المادة التى نسج منها الحلم قد تضمنت فى هذا الموضع قصتين من تلك القصص اليهودية ، الممتعة ، المنظوية على علم عميق بأحوال الدنيا . هو فى غالبية الأحيان مرير ، والتى يطيب لنا كثيراً أن نستشهد بها فى

(١) [١٩٠٩ :] لقد تاملت منذ ذلك الحين أن تحقيق الرغبات التى يظل المرء زياناً طويلاً وهو يعتقد استنامها إنما يحتاج إلى قليل من الشهادة . [١٩٢٥ :] ومنذ هذا الحين وأنا من حجاج روما المواطنين على زيارتها . [سوف يلحق القارئ من هذه الأحلام على الأهمية النفسية التى كانت ترتبط فى نفس فرويد بفكرة زيارة مدينة روما ، وهو أمر يتضح فى مواضع كثيرة من رسائله إلى فليس . هذا وقد حقق فرويد تلك الرغبة للمرة الأولى فى صيف عام ١٩٠١ .]

أحاديثنا ورسائلنا . وأما الأولى فهي قصة « البنية » . وهي تروى كيف يدلّف يهودى مسكين إلى قطار كارلسباد السريع دون تذكرة . ثم يفتضح أمره . ولا يمر المفتش للمراجعة إلا طرده من القطار وزاد إغلاظاً إليه . ثم يلتقى به صديق في إحدى محطات سكة الأوجاع هذه . فيسأله عن وجهته . فيجيبه : « إلى كارلسباد - إذا احتملت بنيتي »^(١) . وتنتقل ذاكرتي إلى القصة الثانية . وهي تدور حول رجل يهودى لا يعرف الفرنسية . كلف أن يسأل في باريس عن شارع ويشليو . وقد كانت باريس أيضاً هدفاً لأشواقى سنوات طويلاً . والعادة التي أحسّها وأنا أنزل قدى على رصيفها لأول مرة قد لاحت لى بشيراً بتحقيق أمنيات أخرى . ثم إن السؤال عن الطريق كان إشارة مباشرة إلى روما ، فإلى روما تذهب كل الطرق كما نعلم . وكذلك اسم تسوكو (أى سكر) : إنه يشير من جديد إلى كارلسباد ، فن عادتنا أن نرسل إلى هذا البلد مرضى السكر . وهو مرض مرده البنية . ولقد كان الحافز إلى هذا الحلم اقتراحاً من صديقى البرلينى فليس بالالتقاء في براج . في خلال عيد الفصح . وكان بين الموضوعات التي كان مفروضاً أن نتحدث فيها موضوع له رباط آخر « بالسكر » « وبمرض السكر » .

ويعود بى إلى روما من جديد حلم رابع تلا الحلم السابق بزمان قليل : رأيت أمامى ناصية طريق ، وأدهش لكثرة ما أراه من اللافتات المكتوبة باللغة الألمانية . وكنت في اليوم الذى سبق هذا الحلم قد كتبت إلى صديقى أخبره - وكأنما كنت أقرأ الغيب - أن براج لن تكون بالمكان الذى يدخر لسائح ألماني إقامة طيبة . وهكذا يعرب الحلم في آن واحد عن الرغبة في ملاقاته صديقى في روما بدل ملاقاته في مدينة بوهيمية . ثم عن الرغبة في أن تحظى اللغة الألمانية بمزيد من التسامح في براج - وهي رغبة نرجع في الأرجح إلى أيام التلمذة . ولا بد أننى كنت أفهم اللغة التشيكية في السنوات الأولى من طفولتى ، فقد ولدت بمدينة صغيرة في مورافيا وسط شعب سلافي . ولقد سمعت مرة وأنا في السابعة عشرة من عمري بيتا من الشعر الذى يغنى للأطفال . فعلق البيت في ذاكرتى دون ما جهد منى حتى أننى لأستطيع ترديده إلى اليوم - وإن كنت لأدرك شيئاً من معناه . وهكذا لاتخلو هذه الأحلام أيضاً من روابط تربطها بطفولتى الأولى .

(١) [يشير فرويد إلى هذه القصة في كتابه من رسائله إلى فليس : رسالة ٥٤ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٣٠ .

سلا . وهو في الرسائلين الأخيرتين يستختم روما وكارلسباد رمزاً للأهداف التي لا تترك .]

وكان في خلال رحلتي الإيطالية الأخيرة التي حملتني إلى ما وراء بحيرة تراسيمن أنني اكتشفت في النهاية - بعد أن رأيت التبر وقفلت راجعاً على مضض وأنا على ثمانين كيلو متراً من روما - كيف تعزز شوقي إلى المدينة الخالدة بانطباعات حدائتي . فقد كنت أفكر في رحلة تحملني في العام القادم إلى نابولي ماراً بروما حين خطرت لي تلك الحملة التي لا أشك في أنني قرأتها في نص من نصوصنا الماثورة^(١) : « إنه لسؤال : أي الرجلين كان أنفد صبراً وهو يلرع الحجرة طويلاً وعرضاً بعد أن قر قراره على اللهاب إلى روما : وكيل ناظر المدرسة فينكلمان أو القائد الأعظم هانيبال ؟ » نعم ، إنني في الحقيقة كنت أقفوا خطي هانيبال . فقد كتب على ، مثلما كتب عليه ، ألا أرى روما . وهو أيضاً قد توجه إلى كامبانيا حين كان العالم أجمع ينتظره في روما . ولكن هانيبال الذي انعقدت بيني وبينه تلك المائلة كان بطلي الأثير وأنا ما زلت بالمدرسة . فشاعري . شأن الكثير من الفلمة بتلك السن ، قد انحازت في حروب قرطاجنة إلى جانب القرطاجنيين وليس إلى جانب الرومان . ثم حين أخذت أدرك في سنوات المدرسة الأخيرة ما يجره على المرء انهائوه إلى جنس غريب ، وحين نهضت مشاعر العداء السامي بين الأكران إلى أنني لم يعد لي مفر من أن أتخذ لي موقفاً - حيث زاد أيضاً شخص القائد السامي علواً في ناظري . فهانيبال وروما كانا يرمزان في عيني للصبي للصراع بين عناء اليهودية ونظام الكنيسة الكاثوليكية . ومنذ ذلك الحين وحركة العداء السامي لا تزيد آثارها في حياتنا الانفعالية إلا خطورة . فأعان ذلك على تثبيت أفكار تلك الأيام المبكرة وأحاسيسها . وهكذا صارت رغبة الذهاب إلى روما في حياتي الحاملة ثوباً ورمزاً تكتسبها رغبات أخرى أشد احتداماً . رغبات يقتضي تحقيقها بذل الجهد بكل دأب القرطاجني وبكل عزوفه عما ليس من قصده ، وإن بدا في الحاضر أن تحقيقها لن يلقى من موأاة القدر إلا ما لاقته الرغبة التي صاحبت هانيبال في حياته جمعاء . رغبة الدخول في روما .

والآن أعر لأول مرة على خبرة الحداثة التي ظلت تعرب إلى اليوم عن سلطانها في كل هاته الانفعالات والأحلام . ربما كنت في العاشرة أو في الحادية عشرة من عمري حين بدأ والدي يصطحبني في زمراته ويكاشفني في أحداثه بنظراته في أمور هذا العالم الذي نحيا فيه . وهكذا حدثني مرة بالقصة الآتية لكي يريني كم تفضل الأيام التي

(١) إن الكاتب الذي قرأت منه هذه الجسلة لابد أن يكون - من غير أدنى شك - جان بول .

ولدتُ بها أيامه . قال : كنت وأنا شاب أتنزه في يوم سبت في شوارع البلد الذي ولدت به وقد لبست لباساً حناً ووضعت على رأسي قلنسوة من الفراء وإذا مسيحي يقبل فيضرب بقبضتي في الوحل . صائحاً : أيها اليهودي انزل عن الرصيف ! فسألت والدي : وماذا فعلت ؟ فأجابني في هدوء : نزلت إلى عرض الطريق والتقطت القلنسوة . لقد بدا لي ذلك مسلماً مجرداً من البطولة إذ يصدر عن الرجل الضخم القوى الذي كان يقودني ممسكاً يدي - أنا الولد الصغير . وقارنت هذا الموقف الذي لم يرضني بآخر أكثر تلاحقاً ومشاعري . قارنته بالشهد الذي فيه يستحلف هاميلكار باركاس^(١) - أمام مذبح العائلة - ابنه هانيبال إلا أن يأخذن بالتأثر من الرومان . ومنذ ذلك الحين وهانيبال يحتل مكاناً بين تخاييلي .

وأظنني قادراً بعد على تأثر هذه الحماسة للقالد القرطاجني إلى عهد أقدم من عهد طفولتي ، بحيث لا يخرج الأمر هنا أيضاً عن أن يكون تحويلاً إلى حامل [أي موضوع] جديد للعلاقة عاطفية متكونة من قبل . فقد كان من أوائل الكتب التي وضعت بين يدي وأنا طفل حديث العهد بالقراءة كتاب تير « تاريخ القنصلية والإمبراطورية » . وما زلت أذكر كيف ألصقت بالظهور المسطحة للجنودى الخشبية قصاصات من الورق تحمل أسماء القواد الإمبراطوريين . وأذكر أن ماسينا (باليهودية : منشا) كان بطل المفضل إذ ذاك^(٢) . (وهو تفصيل يفسر أيضاً من غير شك بكوني قد ولدت في ذات التاريخ . قرناً بعده) . ونابليون خليفة هانيبال ، لعبوره جبال الألب . وربما أمكن أن أتتبع نشأة هذا المثل الأعلى الحربى إلى زمن أقدم من طفولتي : إلى علاقتي في خلال السنوات الثلاث الأولى من حياتي بولد يكبرني بعام واحد ، وإلى المشاعر التي لا بد قد أثارها في نفس أضعف الرقيقين تلك العلاقة التي كانت طوراً صداقة وطوراً حرباً^(٣) . وكلما تعمق المرء تحليل أحد الأحلام ، زاد عشوه على آثار خبرات الطفولة التي كان لها نصيبها بين مصادر المحتوى الكامن لهذا الحلم .

(١) [١٩٠٩] جاء هذا الاسم في الطبعة الأولى حل تلك الصورة : هامدروبال . وهو خطأ صحيح لفرته في كتاب : سيكروالوجية الحياة البيئية (١٩٠١ ب ، الفصل العاشر) .

(٢) [١٩٣٠ :] وأشير عرضاً إلى أن الأصل اليهودي لهذا القاليد موضع شك .

(٣) [أصبحت هذه الجملة عام ١٩١٤] .

(٤) [سمحت لرويد من هذه العلاقة كثيراً فيما بعد] .

وقد علمنا من قبل (ص ٥٩-٦٠) أنه يندر غاية الندرة أن يستحضر الحلم الذكريات الاستحضار الذى يجعلها تؤلف - دون أن ينالها اقتضاب أو تحريف - كل المحتوى الظاهر للحلم . ومع هذا فهناك أمثلة على ذلك لا يتطرق إليها الشك . وفى استطاعتى أن أضيف إليها بضعة أمثلة أخرى تتعلق من جديد بمشاهد مستمدة من الطفولة . فقد اتفق مرة أن واجه الحلم أحد مرضاى باستحضار كاد يخلو من التشويه لواقعة جنسية تبين على الفور أنها ذكرى صادقة . والحقيقة هى أن هذه الذكرى لم تضع قط من حياته المستيقظة كل الضياع . ولكنها غمضت غموضاً شديداً وكان بعثها أثراً من آثار العمل الذى تم من قبل فى خلال التحليل . فالحلم كان قد ذهب وهو فى الثانية عشرة من عمره ليزور رفيقاً من رفاق المدرسة لزم الفراش حين تعرى هذا الرفيق تعرياً جاء فى أغلب الظن عفواً بحركة فى فراشه . فلما رأى المريض أعضاء الولد التناسلية ولبه نوع من الدافع القهري ، فرى نفسه وأمسك ببعضه الولد الآخر الذى نظر إليه مستكراً دهشاً ، فأسقط فى يده وخطئ . وقد أعاد الحلم هذا المشهد بعد ذلك بثلاثة وعشرين عاماً ، وأعاده بكل المشاعر التى صاحبته . إلا أنه عُدل بحيث أخذ الحلم الدور السلبي بدل الإيجابي . بينما استبدل برفيق المدرسة شخص معاصر .

والقاعدة المستيقنة هى أن مشهد الطفولة لا يرد فى محتوى الحلم الظاهر إلا تلميحاً ، ولا معدى عن استخلاصه من الحلم بالتفسير . والأمثلة على ذلك لا تحمل روايتها كبير إقناع ، فليس ثمت فى معظم الأحيان شاهد آخر على وقوع خبرات الطفولة هذه : إنها - وقد وقعت فى سن مبكرة جداً - لا ترجع الذاكرة تعرفها . وإن حقنا فى أن نستدل عامة بالأحلام على وقوع مثل هذه الخبرات إنما يخلص من خلال العمل التحليلي من جملة من العوامل تبدو خفيفة بالركون إليها من حيث اتفاقها فيها بينها . فإذا انتزعت هذه الإشارات الراجعة إلى خبرات الطفولة من محيطها بغية تفسير الحلم . كان من المحتمل ألا تترك إلا تأثيراً قليلاً ، وبخاصة إذا كنت لأذكر مرة واحدة كل المادة التى يستند إليها التفسير . بيد أننى لن أدع ذلك يردنى عن رواية بعض الأمثلة .

١

بين مريضاتى مريضة تمتاز أحلامها جميعاً بذلك الطابع : وهو كون الحالة تظهر «مُعْجَلة»^(١) . فهى تعجل لكى تصل فى الميعاد . أو تعجل لتلايقونها القطار . وهكذا . وفى أحد أحلامها رأت أنها تنام لزيارة إحدى صديقاتها وقالت لها أمها أن تلعب وراكبة لا ماشية ، ولكنها تطلق جريها ولا تكف فى أثناء ذلك عن الطرّح . — لقد مكنتنا المادة المنبعثة فى سياق التحليل من التعرف على ذكريات تتصل بهياج الأطفال (ونعلم ما يسميه أهل فيينا « هيعة »)^(٢) . وأشار أحد أحلامها بخاصة إلى تلك المازحة التى يحبها الأطفال كثيراً ، وهى أن يكرروا جملة : « جرت البقرة حتى وقعت » بسرعة شديدة حتى تبلى الجملة كأنها كلمة واحدة — وهو أيضاً ضرب من « الجرى » . وقد استحضرت اللاكرة كل هذا الجرى البريء بين الصديقات الصغيرات ؛ لأنه كان يخفى وراءه ذكريات أخرى أقل براعة .

٢

وها هو ذا حلم ثان لمريضة أخرى : إنها فى حيرة كبيرة انصبت فيها آلاآت من كل نوع ، شئ أشبه بما كانت تتخذه من أحد ماعد تقويم الأجسام . وتسمع أنى لا وقت حتى وأنه لا معنى لها من أن تقبل معالجتها فى وقت واحد مع خسة آخرين . ولكنها تأب وتتمنع من الرقود فى السرير المخصص لها ، أو فى النعش الذى ظهر هل أنه السرير ، أبداً كانت حقيقتة . وتقف فى الركن وتتظر أن أقبل لها ؛ إن ذلك غير صحيح . وفى هذه الأثناء يضحك منها الآخرون ، قائلين : إنه دلالة المجهود . فى الوقت نفسه : كأنما كان عليها أن ترسم مربعات كثيرة صغيرة .

يرتبط الجزء الأول من هذا الحلم بالعلاج وبتحويلها لمشاعرها إلى " . وأما الجزء الثانى فينتطوى على إشارة إلى مشهد من مشاهد الطفولة . ووصل بين الجزئين ذكر السرير . فعهد تقويم الأجسام يرجع إلى حديث لى قارنت فيه العلاج من حيث مدته وطبيعته بعلاج

(١) [من لعل Zu hetzen ويبنى عجل ، وهجرى وراه الصيد أو طرد وحل سبيل المجاز اصطهد ، ثم ميج وأثار .]

(٢) [eine Hetzen وهو الحفل المرح الحافل بالاستشارة الذى يترك كل مشترك فيه لنفسه العنان .]

يستهدف تقويم الجسم . ولقد اضطرت عند ابتداء علاجها إلى أن أخبرها أنني لا أستطيع أن أخصص لها في الوقت الحاضر إلا وقتاً قليلاً ، ولكنني سوف أفرغ لها ساعة كاملة كل يوم فيما بعد . وحرك ذلك حساسيتها القديمة التي هي سمة يتميز بها الأطفال المهيأون للهستيريا ، فرغبهم في الحب لا تزوى . ومريضتي كانت صغرى ستة إخوة وأخوات (ومن ثم : مع خمسة آخرين) . وكانت لذلك الطفلة المحببة إلى والدها ، ولكن يبدو أنها كانت ترى رغم ذلك أن والدها لا يفرغ لها سوى القليل من الوقت والالتفات . وأما كونها تنتظر حتى أقول لها : إن ذلك غير صحيح . فأتاه ما يلي : أحضر صبي طرزي ثوباً إليها ، فسلمته النقود ، ثم بعد ذلك سألت زوجها هل هي ملزمة بأن تدفع النقود مرة ثانية لو أن الغلام أضعها . فأجابها زوجها بغية معاكستها : يقينا (المعاكسة في الحلم) ، وظلت تعاد السؤال المرة تلو المرة وهي تنتظر أن يقول لها في النهاية : إن ذلك غير صحيح . وهكذا أمكن أن نستخلص أن أفكار الحلم كانت تتضمن تلك الفكرة : هل هي ملتزمة بأن تدفع ضعف المبلغ حين أفرغ لها ضعف الوقت ؟ فكرة شحيحة تشتمل لها نفسها . (ومن الشائع أن يحمل إمسك المال محل قلادة الطفولة في الحلم ، وكلمة " باعث على الاشتزاز " ^(١) هي هنا حلقة الوصل) . فلو صح أن كل تلك الفقرة حول انتظارها حتى أقول ذلك لها . . . إلخ . إنما هي ترجمة مسببة لكلمة " باعث على الاشتزاز " ، لكان مما يفتق وذلك الوقوف في الركن وإياه الرقود في السرير باعتبارهما عنصرين من مشهد طفلي تكون قد وسخت فيه سريرها فكان عقابها أن وقعت في الركن وقد هددت بأن بابا سوف يكف عن حبها ، بينما ضحك منها لإخوتها وأخواتها . . . إلخ . وأما المربعات الصغيرة فكانت تحيل إلى ابنة أختها - أو أخيها - الصغيرة التي أرثها تلك الحيلة الحساسة التي تلخص في أن تكتب أرقاماً داخل تسعة مربعات - على ما اعتقد - بحيث تجمعها في أي اتجاه ، فيكون المجموع خمسة عشر .

٣.

وها هو ذا حلم أتاه رجل : يرى سيون يتضاربان ، إنيما من غير شك صبا صانع إبراهيم ، كما يستعجه من العدد المجرة سولما . يطرح أحد الولدين الآخر أرضاً يحمل الولد للطروح قرطاً ذا أسجار زرقاء .

(١) [Schmutzky وهو يستخدم قلادة ويخلل الشديد على السواء] .

إنه يتطلع لمر ضاربه رالمأ عصاء لكن يفتص منه . وليد الضارب بامرأة تقف بجوار حاجز عشي . كأنها كانت أمه . إنها امرأة من الطبقة العاملة ، وهي تقف وظهرها إلى الحلم . ولكنها تستدير إليه في النهاية وتصب إليه نظرة مروعة حتى ليولن الإدهار وقد ملكه الرب . كان يسع المرء أن يرى الدم الأحمر بلحنيا الأسفلين وقد برز تحت حينها .

إن هذا الحلم يستغل أحداثاً تافهة مما وقع في اليوم السابق استغلالاً واسعاً . فبالأمس رأى الحلم في الطريق حقيقة ولدين طرح أحدهما الآخر أرضاً . فلما تقدم منهما ليفض العراك لاذا بأهذاب الفرار . أما كونهما صبي صانع براميل ، فلا يفسره إلا حلم تال استخدم فيه هذا التعبير : « خرق لاج البراميل » [أى : أفرغ ما بنفسه] . وأما الأقراط ذات الأحجار الزرقاء فيقول الحلم إن خبرته قد دلته على أن البهايا من اللأى يحملنها بنوع خاص . وعلى ذلك يحظر له بيت من أغنية شعبية ذائعة عن ولدين : « الولد الثاني كان اسمه ماري » (أى أنه كان فتاة) . والمرأة الواقعة ؟ إنها تجعله يتذكر أنه قد ذهب بعد مشهد الولدين لكى يتنزه على شاطئ الدانوب ، وأنه انتهز خلوته لكى يتبول بجوار حاجز عشي . . ثم بعد ذلك بقليل صادف في طريقه سيدة مسنة عمتشة الرداء ابتسمت له في لطف وأرادت أن تعطيه بطاقة من بطاقات الزيارة .

ولما كانت المرأة تقف في الحلم كما وقف هو من قبل عند تبوله ، فالأمر يتعلق بامرأة تتبول . ومن هنا كانت « النظرة » المروعة ، وكان بروز اللحم الأحمر الذى لا يمكن أن يشير إلا إلى تجويف أعضاء المرأة حين تجلس القرفصاء ، تلك الأعضاء التى رآها في طفولته فترجع من بعد إلى ذاكرته في صورة « لحم منتفش » في صورة « جرح » . والحلم يوحد بين مناسبتين مكنتاه وهو صبي صغير السن من أن يرى أعضاء فتاة صغيرة : إذ طرحها على الأرض مرة ، وحين رآها تتبول مرة أخرى ، وهو — كما يتبين من بقية الحلم — لا يزال يحفظ ذكرى عقاب أو وعيد أناه من والده على ما أبداه في هاتين المناسبتين من التطلع الجنسي .

وأما الحلم الآتى — وهو لسيدة مسنة — فتكمن وراءه طائفة كاملة من ذكريات

الطفولة ، أدمجت بقدر الإمكان في تخييل واحد :

تخرج متجولة في قضاء بعض الحاحيات . تقع على ركبتيها في شارع جبرلين كأنما أصابها كبتة . يتحج من حولها حشد من الناس ومن الحوذية ينزع غاصر ، لكن ما من أحد يعينها على النهوض . تبذل من جهدها مرات مصددة من غير جدوى . لا بد أنها قد أفلمت أخيراً ، لها هي ذى توسع في إحدى العريبات لكن تقويها إلى منزلها . يقلت البض وراها ، من خلال نافذة العربة ، بسة كبيرة مثقلة (من قبيل ما يحصل في التصق) .

تلك هي السيدة التي تظهر دائماً معجلة في أحلامها ، مثلما كان شأنها في طفولتها . وجلى أن المشهد الأول من الحلم مستمد من رؤيتها جواداً يقع : كما أن الكبتة تشير أيضاً إلى سباق الجياد . والحالة كانت فارسة في شبابها ، وأرجح الظن أنها ، وهي بعد أكثر شباباً ، كانت أيضاً جواداً . وإلى السقوط نرجع ذكرى من أوائل ذكريات طفولتها ، عن ابن البواب البالغ من العمر سبعة عشر عاماً ، فقد سقط يوماً في عرض الطريق وقد نزلت به نوبة من الصرع . وأحضر إلى المنزل محمولاً في عربة . إنها بالطبع لم تعلم ذلك إلا سماعاً ، ولكن فكرة نوبات الصرع . فكرة « التنازلة » ، قد اكتسبت سلطاناً عظيماً على تخيلها ، وكان لها فيها بعد أثرها في تشكيل نوباتها المستيرية . وإذا حلمت امرأة بالسقوط كان في حكم القاعدة أن لذلك معنى جنسياً : إنها تغلوصاقلقة . وإذا كان هذا التفسير يثير شكاً فهو لا يثير في حلمنا إلا أقله ، لأنها تسقط في طريق جبرلين ، أي في ذلك المكان من قبينا الذي عرف بكونه مراح العاهرات ومغذاهن . وأما سلة التسوق فتحتمل أكثر من تفسير : فهي . من حيث إنها سلة - رفض^(١) ، تذكرها بالسلال المتعددة التي وزعتها أول الأمر على المتيمين بها ، ثم عادت بلورها - كما تعتقد - فتلقها . ومن ثم جاء أنه مامن أحد يريد أن يعرنها على النفوس - وهو ما تؤوله بنفسها على أنه يعنى الازدراء بها . وتذكرها سلة السوق بعد ذلك بتخيلات سبق ظهورها في خلال

(١) [Sinnlosheit = سلة السحق . وللفظ Korb له معنيان : السلة والرفل أو الإباء . و " أصله

سلة " تعبر ألماني جار ، بمعنى : صدت حبه أو طلبه الزواج منها] .

تحليلها ، وكان مدارها أنها قد تزوجت زواجاً دون منزلتها بكثير . حتى صارت تذهب إلى السوق بنفسها لكي تقضى منه حاجياتها . وسلة التسوق - أخيراً - قد تكون شارة يدل بها على خادم . وفي هذا الصدد تحضرها ذكريات أخرى من طفولتها : الذكرى الأولى عن طاهية طردت لأنها سرقت ، إنها - أيضاً - قد سقطت على ركبتيها تطلب الغفران . لقد كان عمر الحاملة إذ ذاك اثنتي عشرة سنة . وأما الذكرى الثانية فمن خادم طردت من المنزل لعلاقة بينها وبين الخوذي - ونقول عرضاً : إن الخوذي قد تزوج الخادم بعد ذلك . وهكذا نرى هذه الذكرى أحد مصادر الخوذية في الحلم (إلا أن هؤلاء لا يأخذون بساعد المرأة الساقطة ، على خلاف ما قد وقع في الحقيقة) . ويبقى علينا أن نفسر قذف السلة ، وقذفها من خلال النافذة : إذ ذلك يذكرها بتشجيع الطرود بسكة الحديد ، وبعبادة العشاق في الريف أن ينجحوا بحبوباتهم لبلا بالنوافل ، وكذلك ببضعة انطباعات صغيرة تركتها حياتها في الريف : كيف رى سيد سيدة بيضاء برقوبات زرقاء من خلال نافلتها ، وكيف فزعت أختها الصغرى يوماً لأن معنوها عابراً تطلع إلى غرفتها من خلال النافذة . ومن خلال هذا كله تنبثق ذكرى معتمة من سننها العاشرة عن مربية اشتبكت وهم بالريف في علاقة غرامية - يحتمل أن تكون الفتاة قد أدركت شيئاً منها - مع أحد الخدم ، فكان جزاؤها أن شيعت من المنزل وقللت إلى الخارج (وفي الحلم الضد : قذف إلى الداخل) - وهي قصة كنا قد أقرنا منها من وجهات أخرى متعددة . بيد أن متاع الخادم أو صنوفها يسمى في ثميننا على سبيل الاستخفاف « بالسبع برقوبات » : « احزى برقوباتك السبع وانزحى ! »

إن مجموعتي تزخر بالطبع بأحلام كهله من أحلام المرضى ، يسوق تحليلها إلى انطباعات من الطفولة لم تعد تذكر إلا ذكراً غامضاً ، أو لا تذكر ألبتة ، انطباعات كثيراً ما ترجع إلى السنوات الثلاث الأولى من الحياة . بيد أن تطبيق النتائج المستخلصة منها على الأحلام عامة عمل غير مأمون . فأصحابها كانوا دائماً من العصابين ، وبخاصة هستيريين . فن الجائز أن يكون نصيب المشاهد الطفلية في أحلامهم راجعاً إلى طبيعة العصاب عندهم وليس إلى ماهية الحلم . بيد أنني وأنا أفسر أحلامي نفسي - وهو مع ذلك تفسير لا أفعله من جراء أعراض مرضية بالغة - يتفق لي بمثل تلك الكثرة أن أضرب

في محتوى الحلم الكامن ، وأنا خالي البال ، على مشهد من مشاهد الطفولة ، وأن أرى مجموعة كاملة من أحلامي ترتبط [دفعاً واحدة] بمستدعيات تنشعب من خيرة وقعت في طفولتي . وقد مقت من قبل أمثله على ذلك ، وسوف أسوق أمثلة أخرى منها في مناسبات شتى . ولعل خير ما أختتم به هذا الجزء كله هو أن أسرد بعضاً من أحلامي تلتقي فيه مناسبات حديثة بخبرات من الطفولة انسحب عليها النسيان دهرًا طويلاً ، فكانت جميعاً مصادر للحلم .

(١) أويت إلى الفراش وأنا متعب جائع ، ثم أخذت حاجات الحياة الكبرى تعلن عن نفسها ، فكان أن حلمت الحلم الآتي : أذهب إلى المطبخ في طلب بعض الخبز . هناك ثلاث لسانه واثلاث ، إحداهن هي مضيفة المنزل . إنها تتبر شيئاً في يدها كما لو كانت تصنع لخبزاً . تتجسس أن على بالاضطرار حتى تفرغ (لم يكن من الواضح أنها قد تكلمت) ينفذ صبري وانصرف متأدباً . أرتدى مطقاً ، ولكن المطق الذي أجبره ألا يفرط الطويل . أعلمه وأدعش إذ أراه على بالفراء . أرتدى مطقاً ثانياً له ذيل طويل ، موشى برسوم تركية . يقبل رجل غريب ، ذو وجه مستطيل ولحية مدنية ، ويمتنع من ارتدائه ثاللاً : إن المطق مطقه . أريه أن المطق مطلق كله يوشى تركي . يسألني : « وما لك و (الرسوم ، الايول . . .) التركية ؟ وكنتا سرمان ما نصبح صديقين حميمين .

عندما أخذت أحلل هذا الحلم . اتجه خاطري على غير توقع إلى أول رواية قرأتها - ولعل كنت إذ ذاك في الثالثة عشرة من عمري^(١) وأقول قرأتها والحقيقة هي أنني بدأتها من نهاية المجلد الأول . وما علمت قط اسم الرواية ولا اسم مؤلفها ، ولكن خاتمتها لا تزال حية في ذاكرتي : يتردى البطل في هاوية من الجنون وهو يردد أسماء النساء الثلاث اللاتي كان لمن في حياته أعظم النصيب من سعادتها ومن شقاؤها . وكان يبالغ في أحده هذه الأسماء . ولست أعلم بعد ما أنا صانع بهذا الخاطر في التحليل . وههنا تنبثق في خاطري - بصدد النساء الثلاث - آلهات القدر الثلاث اللاتي ينسجن مصائر الناس . وأعلم أن إحدى النساء الثلاث - وأعني المضيفة في الحلم - هي الأم التي تهب الحياة ثم تغطي الحى (كما كان الشأن معي) أول غذائه . إن الجوع والحب يلتقيان على صدر المرأة . والقصّة تُروى عن شاب غدا من كبار المعجبين بالجمال الأنثوي ، دار الحديث عن جمال الموضع التي غلته وهو وليد ، فأعرب عن أسفه إذ لم ينثر القرصة بخير مما فعل . وإن

(١) [لا شك في أن فرويد يهي أول رواية من أدب المحدثين ، لن المقطوع به أنه كان قد قرأ نظم الأدب الألماني المأثور وهو بذلك إسن] .

من عادق أن أستعين بهذه القصة لأوضح بها عامل التأثير البعدي^(١) في ميكانيكية الأعصاب - كانت إحدى الآلات - إذن - تفرك يديها كأنها تصنع فطيراً : إنها لمستغلة عجيبة بالقياس إلى إحدى آلهات القدر^(٢) ، ولا بد لها من إيضاح عاجل ! إن هذا الإيضاح تحمله ذكرى أخرى ، أقدم عهداً ، من ذكريات طفولتي : فقد كان المفروض - وأنا طفل في السادسة أتلقى من أبى أول دروسى - هو أن أصدق أننا جعلنا من طين وأنا - إذن - إلى الطين نعود ، ولكن النظرية لم ترقى وارتبت في أمرها ، وحيتل فركت أبى كفيها - مثلما تفعل حين تصنع الفطير سوى أنه لم يكن عجيج بين يديها - ثم أرتى ما انفرك من القشور الصغيرة السوداء لطبقة الجلد الخارجية ، برهاناً على الطين الذى صنعنا منه . لقد كان دهشى لهذا البرهان العيانى لا يعرف حداً ، وكان أبى أسلمت نفسى لما سمعته من بعد يؤدى في تلك العبارة : إن عليك للطبيعة ميتة^(٣) وهكذا فألهات القدر هن حقاً من أجد حين أذهب إلى المطبخ ، مثلما كنت أفعل كثيراً في طفولتي حين كنت أحس الجوع ، وكانت أبى تأمرنى - وهى بجانب النار - بأن أنتظر حتى يعد الغذاء - والآن إلى الفطير (بالألمانية كنودل) ! إن بين من علمونى في الجامعة معلماً واحداً على الأقل - وهو على التحقيق من أدين له بمعرفتى في علم الأنسجة (الطبقة الخارجية للجلد) سوف يذكره اسم كنودل (من حيث هو اسم علم) بشخص اضطر

(١) [Nachtraglichkeit من Nachtraglich بمعنى « من بعد » والمعاد هو أن الخبرة الماضية لا تحدث تأثيرها عند وقوعها ، بل بعد أن تنقضى حقبة من الزمن . وتأثيرها هذا المعنى يكون وفلاً مرجباً « deferred action » - وذلك بالفعل هى الترجمة المطردة إلى يستعملها سترائى لهذا الاصطلاح . غير أن هذه الترجمة تغفل بهذا آخر من أبعاد هذه الفكرة : ذلك أن « من بعد » تعنى أيضاً أن الخبرة لا تحدث تأثيرها إلا بعد أن يمد عليها صاحبها فينظها تنظيمًا جديدًا ويخلع عليها معنى لم يكن لها في المبدأ . ففى القصة التى يشير إليها فرويد يخلع الشاب معنى تناسلياً على عقاله لم يكن لها سوى طابع لى . وهذا المعنى الثالث هو من غير شك المعنى الأهم وهو الذى يحمل للفكرة أصالة يستحيل معها ردها إلى تصورات علم النفس التجريبى . ولم نجد - للإبقاء على المعنويين - غيراً من أن نقول : عامل « التأثير البعدي » .]

(٢) [من المعلوم أن أول آلهات القدر - وهى المشرقة على الولادة - كانت تمسك المزلزل ، وكانت الثانية تدبر البكرة ، وأما الثالثة فتقطع خيط الحياة .]

(٣) [إن كلا الانفعاليين اللذين صحبا هذا المشهد : الدخس والاستسلام للسحرم - قد أتانى من قبل في حلم سبق هذا الحلم بوقت قصير وكان أول ما ذكرنى بتلك الخبرة الطفولية [هذا ولقد استشهد فرويد بتلك الكلمات في إحدى رسائله إلى فليس (الرسالة رقم ١٠٤) فلها لبهاها إلى شكسبير والنس الصحيح من شكسبير هو : « إن عليك قد ميتة » (الجزء الأول من هنرى الرابع ، الفصل الخامس ، المشهد الأول ، بقوله الأمير هال لفالستاف .) ولكن وفى دينه الطبيعية « كان تميراً دائماً في زمن جيتو » يعرب من فكرة العصر من الموت .]

معلمى إلى مفاضاته لأنه نقل كتاباته . وأن يرتكب المرء مثل هذا النقل [هلاجيات] ، وأن يستحل لنفسه كل ما صادفه وإن كان ملكاً للغير — ذلك ما ينتقل بنا ، كما هو ظاهر ، إلى الجزء الثانى من الحلم الذى أعامل فيه مثلما عومل سارق المعاطف الذى زاول حرفته حياً فى قاعات محاضراتنا . ولقد استخدمت كلمة « هلاجيات » [نقل أو سرقة أدبية] عن غير قصد لا لشيء سوى أنها خطرت لى ، وإكفى الحظ الآن أن من الممكن أن تكون هذه الكلمة قد استخدمت جسراً [بروكة بالألمانية ، وهو أيضاً اسم أحد أساتذة فرويد] يصل بين الأجزاء المختلفة لمحتوى الحلم الظاهر . فلسفة المستدعات : هلاجى — هلاجيات — هلاجيوسوم^(١) (أى سلك القرش) — مائة السباحة عند السك^(٢) ، قد وصلت الرواية التى قرأتها قديماً بمحادثة كنودل وبالمعاطف التى تشير من غير خفاء إلى عدة لمواجه استخدامها الجنسى [ارجع إلى ص ٢٠٧] . (انظر حلم مورى عن [الملسة الجنسية] كيلو — لوتو ، فى ص ٩٤) وذلك على التأكيد رباط قد بلغ الغاية من الافتعال ومن اللامعقولة ، ولكننى ما كنت قط لأجد القدرة على اختراعه ، لو لم يكن قد أنشئ من قبل فى خلال عمل الحلم . لا ، بل لكأن هذا الدافع القهرى إلى فرض الروابط لا يعرف لشيء حرمة : فها هو ذلك الاسم الموقر ، اسم بروكة (انظر الجسر اللغظى فيما سبق) يستغل فى تذكيرى بالمعهد الذى قضيت به أسعد أيام حياتى ، طالباً خات نفسه من كل حاجة سوى الدرس (وهكذا أنت على صدر الحكمة ، سوف تجد فى كل يوم لذة)^(٣) — بما يبين كل المبينة تلك الرغبات التى تعلبنى [فى الألمانية : هلاجين] وأنا نائم . وتنبثق أخيراً ذكرى معلم آخر أكبره ، كان اسمه — فلايشل^(٤) — (فلايش = حلم) — يمانس أيضاً اسم غلام (مثل كنودل) ، ثم ذكرى حادثة فاجعة تدخل فيها لشعور الطلبة الخارجية للمجلد (الأم المضيفة) والاضطراب العقلى (الرواية) ودواء من أدوية العطارة (الترجمة

(١) لقد تجنبت عمداً التوسع فى صدد « هلاجيوسوم » إله يذكرنى بمناسبة غير سارة جرت حل الخمره اسم الملم اللاكور.

(Pélagie - Flageat - Plagiatorien (Halbfische) — Fischblase)

(٢)

(٣) [بيتان من المشهد الرابع من الجزء الأول من فاونت : " فى مكتب فاونت "] .

(٤) (انظر فيما يتصل بروكة وفلايشل بعض الحقائق التى سردناها عنها ومن صلة فرويد هما فى

هلش وضمناه (فى صفحة ٤٨٠)] .

الحرفية هي : من المطبخ اللاتيني) يسكن الجوع - وهو الكوكابين .
 لقد كان يسمي أن أتابع خيوط الفكر المتشابكة على هذا النحو ، وأن ألقى الضوء
 كاملا على هذا الجزء من الحلم الذي لا يزال يتقصنا تحليله . ولكني لأجد بدءاً من التخلي
 عن هذا العمل لما يقتضيه من تضحية شخصية فادحة . وإنما أكتفي بأن أقبض على خيط
 واحد من بين الخيوط التي تقودنا إلى أفكار الحلم الكامنة وراء هذا الخليط : إن الرجل
 الغريب ذا الوجه المستطيل والحية المدببة ، والذي يمنعني من ارتداء المعطف - يحمل
 ملامح تاجر في سهالاتواشرت منه زوجي كثيراً من الأقمشة التركية . وكان الرجل يدعي
 بوبوفيتش^(١) - وهو اسم مريب ، عقب عليه من قبل أحد الكتاب الفكاهيين ، هو
 شتينهايم ، بملاحظة غامزة إذ قال : وذكر لي اسمه ثم ضغط يدي وقد احمر وجهه خجلاً .
 ولكن هأنذا أراي من جديد إزاء ذلك اللب بالأسماء الذي رأيناه من قبل في هيلاجي
 وكنودل وبروكه وفلايشل . وما من أحد يجادل في أن مثل هذا اللب ضرب من الخبث
 الطفلي . فإذا كنت أمعن فيه ، فذلك قصاص لنفسي ، فقد اتفق في مناسبات لا تحصى
 أن كان اسمي أيضاً ضحية لأمثال هذه المحاولات السهلة في الفكاهة^(٢) . وقد لاحظ جوته
 مدى حساسيتنا فيما يتصل بأسمائنا التي نحس أننا قد نمونا معها نمونا في جامدنا ، وكانت
 تلك الملاحظة حين نظم هردر في اسم جوته قوله :

« أنت يا سليل الإله أو الغوط أو الطين »

« هكذا باتت صوركم الآلهية تراباً »^(٣)

إني ألحظ أن هذا الاستطراد حول إساءة اللب بالأسماء إنما قصد به إلى التمهيد لذلك
 الشكاية . ولكن لنقف هنا . إن صفقة سهالاتوا تذكركم بأخرى في كاتارو كانت

(١) [يهود لفظ يطلق في لغة الأطفال على الموعر] .

(٢) [« فرويد » يعني في الألمانية السرور] .

(٣) "Der du von Gotzen abstammst, von Gothen oder vom Kote"

"So seid ihr Gotterbilder auch zu Staub."

[يلاحظ القارئ أن Gotzer في الكلمتين المرتبتين لا تكاد تختلف في النطق من اسم الشاعر الكبير جوته ،
 وهو ما يفسح عند الترجمة . ويقول ستراشي : إن السطر الأول قد نظم هردر في رسالة ظريفة يث بها إلى جوته
 يسأله إعازته بعض الكتب ، وبقيته : أي جوته ، يث إلى بها ! وأما السطر الثاني فيلحق بالأول في ذعن فرويد
 حل سبيل الاستعفاء الحر ، وهو مستمد من مسرحية جوته المنطوية : " ليفيجينا في ثوريدا " ، تعرب به ليفيجينا
 من ألها حين ينهوا ميلاد أي عدد من الأبطال ماتوا في أثناء حصار طروادة] .

يدى فيها شديدة القبض فضاعت على فرصة الظفر بشيء جميل . (فوات الفرصة على صدر الموضع - انظر ما سبق) فبين الأفكار التي أوحاها الجوع إلى الحالم فكرة ذلك فحوها : إن من الواجب ألا يدع المرء شيئاً يفوته وأن يأخذ المرء كل ما استطاع أخذه وإن جرد ذلك بعض الجور ، على المرء ألا يضع فرصة ، فالحياة قصيرة والموت محتم . ولا كان هذا الدرس في « اغتم من الحاضر لذاته »^(١) يرسل على إطلاقه وكانت الشهوة لن تحجم عن الجور ، فقد حقت له خشية الرقابة وحق عليه أن يستتر بحلم . ومن ثمت كان الإعراب عن أفكار مضادة من كل نوع : من ذكرى الزمن الذي كان الحالم يقنع فيه بالغطاء الروحي وحده ، إلى أفكار تتصل بكل ضروب الموانع ، لا ، بل إلى تهديدات بألوان من العقاب الجنسى من أشد ما يكون تنفيراً .

(٢) وما هو ذا حلم ثان يتطلب تمهيداً طويلاً بعض الطول :

كنت قد ركبت عربية إلى محطة الغرب (في قينا) لكي أبدأ منها رحلة الإجازة إلى آوى . بيد أنني وصلت إلى الرصيف مبكراً وقطار إشل الذي يرحل قبل قطار آوى لا يزال واقفاً . وهناك لحت الكونت تون^(٢) في طريقه مرة أخرى إلى مقابلة الإمبراطور في إشل . جاء الكونت على رغم المطر في عربية مكشوفة ، ثم مرق لا يلوى على شيء من مدخل قطر الضواحي ، منحياً بإشارة مقتضبة من يده لا يصحبها أى إيضاح حارس الباب الذي لم يعرفه وأراد أن يأخذ التذكرة منه . وكان الواجب على بحسب النظم أن أغادر الرصيف عائداً إلى حجرة الانتظار بعد أن رحل قطار إشل ، بيد أنني استطعت - بعد شيء من الجهد - أن أحصل على إذن بالبقاء . وأخلت أقطع الوقت أترقب من ذا الذي يأتي فيحاول أن يحصل بطريق المصوبية على مقصورة محجوزة ، عاتداً العزم على أن أرفع الصوت عندئذ بالشكوى ، أى على المطالبة بحق مماثل . وفي هذه الأثناء كنت أذندن بشيء لم ألبث أن عرفت فيه ذلك اللحن من زواج فيجارو :

(١) [*carpe diem*] كلمة خالصة لموراس ترجمتها الحرفية « اغتم يومك » ولما المعنى الذى لكلمة الخيام

المعروفة .]

(٢) (ريل من رجال الدولة النمساويين ، ذو آراء رجعية ، عاش بين عامى ١٨٤٧ - ١٩١٦ . كان

يليه قيام حكومة ذات استقلال ذاتى في بوهيميا ، معارضا مطالب الوطنيين الألمانين . ولت الوزارة عام ١٨٩٨ ،

١٨٩٩ . - وأما إشل Ischl فكانت المصيف الرئيسى للبلاط ، بأعمال النمسا .)

إذا أراد سيدى الرقص ، الرقص ،
فأعليه سوى الطلب ،
وأنا كفيف بالعزف .

(وما أظن أن أحداً غيرى كان يعرف ماذا أغنى) .

لقد كنت طيلة المساء فى مزاج ناثر شكس ، فهكمت بانندل وبسائق العربية
— دون أن أجرح شعورهما ، أو هذا على الأقل ما أرجوه . وتجول الآن برأى خواطر
جريئة ثورية من كل صنف ، خواطر تتفق وكلمات فيجارو وتتفق وذكري مسرحية
بومارشيه التى رأيتها تمثل فى الكويدي فرانسيز : كلمة فيجارو عن كبار السادة الذين كبسوا
أنفسهم عناء الهوى إلى الحياة ، حق السيادة الذى يريد الكونت ألما فيفا أن يستولى
باسمه على سوزانا (حبيبة فيجارو) ، ثم النكات التى تجريها جرائد المعارضة الخبيثة عندنا
حول اسم الكونت تون إذ تسميه الكونت ليختستون^(١) . حقاً ، لست أحسده ؛ فهناك
مقابلة عسيرة تنتظره مع الإمبراطور . وما الكونت « فاهل لا شيء » حقيقة إلا إباى :
فأنا المسافر حراً طليقاً فى إسبارة . وتتلو ذلك ألوان من المشاريع السارة أدبرها . ثم يقبل
سيد كنت قد عرفته مراقباً موفداً من قبل الحكومة فى امتحان كلية الطب واستحق على
نشاطه فى هذا المضمار أن يلقب بذلك اللقب اللطيف : « نرؤام الحكومة » . إنه يطلب
بماله من صفة رسمية نصف تذكرة بالدرجة الأولى . وأسمع أحد الموظفين يسأل موظفاً
آخر : « بأى مقصورة نضع السيد صاحب نصف تذكرة الدرجة الأولى ؟ »
ذلك أيضاً لون طريف من ألوان الضيقة ، فأنا قد دفعت درجتى الأولى كاملة . صحيح
أننى حصلت على مقصورة كاملة ، ولكنها فى عربة لا دهليز لها ، بحيث أظل طيلة الليل
ولا مرافق فى متناول . وأشتكى إلى الموظف ، فلا تشر الشكاية شيئاً ، فأثار لنفسى بأن
أقترح عليه أن يصنع على الأقل ثقباً بأرض تلك المقصورة ، فقد يحتاج إليه المسافرون .
ثم فى الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والأربعين من الصباح ، أستيقظ حقيقة — وبى
حاجة ملحة إلى التبول — من الحلم الآتى :

سعد من الناس ، اجتماع طلبة يخطب فى الجمع كونت (اسمه تون أو تاله^(٢)) . يتعدها البعض أن يقول

(١) [أى الكونت " فاهل لا شيء " Thun (تون) يعنى أيضاً " لعل " Nichten يعنى " لا شيء " .]

(٢) Taffe (١٨٣٣ - ٩٥) سياسى ألماني ، ولد بملسة الوزارة بين عامي ١٨٧٠ ، ١٨٧١ ثم من

١٨٧٩ إلى ١٨٩٣ . وكان مثل الكونت تون يجلب منحه الاستقلال الدائم للأجانب غير الألمان من الإمبراطورية
النموية .

شيئاً من الألمان ، فاجيب بمركبة ثم من الازدحام : إن زهرتهم المفضلة هي حشيشة السعال ، تم يبت في حروته شيئاً لشبه بوقعة مزقة من أوراق الشجر - أو حل الأصح هيكلها الجسد . أحب ثالثاً ، وأحب ثالثاً ، (١) يد أنحب مع ذلك لانتقال هذا . ثم في وضوح أقل : المكان أشبه بقاعة الاحتفالات الكبرى في الجامعة [Hall] الأبواب محاصرة ولا بد من الفرار . أشق طريق في سلسلة من الغرف فرشت فرشاً جميلاً ، كان جلياً أنها حجرات رسمية ، نجد أثاثها بلون متوسط بين البني والبنيغسي . وأخيراً أبلغ بهوا جلست فيه خادم - امرأة عجوز بدنية . أتجنب التحدث إليها ، ولكن كان من الواضح أنها كانت تحب أن في حقاً في المرور من هناك ؛ لأنها تسألني : هل تراققني بالمسباح ؟ أمهما أوافق لها ، إن عليا أن تلزم السلم ، وحيث إلى في أثناء ذلك أنفي شديد الهارة ، إذ نصحت في أن أفلت في النهاية من التفتيش وهكذا بلغت أسفل السلم ، فأرى أمامي طريقاً ضيقة شديدة الضيق ، أمشي لها .

وفي غير وضوح كذلك : . . . كأنما مشكلتي الثانية هي الفرار من المدينة كما قررت قبل ذلك من المنزل . أركب حربة وأطلب من السائق أن يذهب بي إلى إحدى محطات السكة الحديدية . أقول السائق وقد أثار اعتراضاً ما كان أكون كلفته ما لا يطاق : « إنني لا أستطيع أن أركب معك مسافة الخط الحديدية . نفس . » لكننا كنت في أثناء ذلك قد ركبت معه بالفعل جزءاً من المسافة التي يركبها المرء عادة بالقطار . المحطات محاصرة ، وأنا أفاضل بين اللعاب إلى كرسى أو إلى تساميم . بيد أنني أفكر في أن البلاط ربما كنت مقبلاً هناك ؛ فأعقد العزم على اللعاب إلى جراتس أو إلى مكان يشبهها . أجلس الآن في حربة قطار أشبه بحربة من عربات خط الفولفس ، وفي حروتي شيء غريب الشكل ، ضئيل ، مستطيل ، حله أزهار بنفس ذات لون بنفسجي بني ، صنعت من قماش غشش ، ويصعب الناس لذلك كبيراً . وهنا ينقطع المشهد .

أراق أمام المحطة مرة أخرى ، يد أنني في حصة سيد حرم . أفكر في خطة تمكنني من البقاء بمجمل الشخصية ، ولكنني أبعد الخطة قد تحققت بالفعل : كأنما كان التفكير والخبرة العقلية شيئاً واحداً . يبدو ذلك السيد فلقد البصر أو حل الأقل أمور ، أنه له بعبارة زجاج الرجال (كان علينا أن نشرجها من المدينة أو أننا اشتريناها هناك) أنا إذن مرضى بين واجب أن أمد له البقرة لأنه أحمى . لو أن المفتش رأى تلك الحال لتعاضى من غير شك عنا . هنا يظهر العميان في صورة تامة الشكل وضع الرجل ومضو المتبول . وفي ههنا الموضع كان أني استيقظت وفي حاجة إلى التبول .

إن ههنا الحلم في جملمته يلوح تخيلاً يحمل الحلم إلى ثورة عام ١٨٤٨ التي جدد ذاكرها يوبيل [الإمبراطور فرانسيس جوزيف] عام ١٨٩٨ ، كما جددتها ذكرى رحلة

(١) تكرار تسلل وأنا أجعل الحلم دون أن يكون لذلك سبب ظاهر سوى السهر . ولكنني تركته كما هو ؛ فسوف يبين التحليل أن له معناه .

قصيرة إلى فاشاو ، زرت في أثنائها إمرسودوف^(١) حيث مشى زعيم حركات الطلبة فيشهوف الذى ربما كان في بعض عناصر الحلم ، ما يؤي إليه . وتذهب في المستدعات بعد ذلك إلى إنجلترا ، إلى منزل أخى الذى دأب على أن يمازح زوجه بأن يردد على مسمعا تلك الكلمات المكتوبة من عنوان لإحدى قصائد الأورد تينسون : « منذ خمسين عاماً مضت »^(٢) فيصححها الأطفال قائلين : منذ خمسة عشر عاماً . بيد أن هذا التخيل الذى تفرع عن الحواطر التى أثارها في نفسى رؤية الكونت تون يخلو - مثل واجهة كنيسة إيطالية - من كل رابطة عضوية تجمع بينه وبين البناء الذى من خلفه ، وإن كان يختلف بعد ذلك من مثل تلك الواجهة في أنه على عكس الثغرات ، مشوش ، وفى أن بعض الأجزاء الداخلية قد برزت في كثير من المواضع . فالموقف الأول من الحلم خليط من مشاهد متعددة أستطيع أن أفرق بينها . فالمهمة المتعاطمة التى اتخذها الكونت في الحلم تنسخ مشهداً وقع في المدرسة الثانوية ، كنت حينه في الخامسة عشرة من عمرى : فقد كنا نأمرنا على معلم مكروه جاهل ، وكان الروح الحرك للمؤامرة رقيقاً تدل الدلائل على أنه - منذ ذلك الحين قد اتخذ من هنرى الثامن ملك إنجلترا مثالا يحتذى . وكانت قيادة الضربة القاضية قد وكلت إلى . وكانت العلامة المؤنثة بالثورة المكشوفة هى أن نفتح نقاشاً في أهمية الدانوب بالنسبة إلى النمسا (انظر فاشاو)^(٣) . وكان في زمرة المتآمرين الرفيق الوحيد الأستورقراطى الأصل بيننا ، وكنا نسميه « الزرافة » لما كان بأطرافه من طول مفرط . وأذكر أنه حين أخذ يناقشه الحساب طاغية المدرسة - وأعنى به أستاذ اللغة الألمانية - قد وقف بمثل وقفة الكونت في الحلم . وأما الزهرة المفصلة ووضعى في العروة شيئاً لا بد من أن يكون أيضاً زهرة (وهو ما يجعلنى أفكر في محالب كنت أحضرها في ذلك اليوم إلى صديقة لى ، وأفكر فوق ذلك في وردة من ورد أريحا)^(٤) فيذكرانى تذكراً عجباً

(١) فاشاو ذلك خطأ ، لكنه ليس هفوة هذه المرة ! لما علمت إلا فيما بعد أن إمرسودوف الواقعة في فاشاو هي غير البلد المسمى أيضاً بهذا الاسم والذي أدى إليه الزعم الخورى فيشهوف .

(٢) [بالإنجليزية في الأصل . ويقول سترائى : إنه لا يبرر أن تينسون قصيدة لما هذا المطلع .]

(٣) [فاشاو شبة من وادى الدانوب تبعد قرابة الخمسين ميلاً من فيينا] .

(٤) [نسبة إلى أريحا وهي أول بلد استولى عليه بنو إسرائيل بعد أن عبروا الأردن على حسب قصة دالمة تجعلها في الإصحاح السادس من سفر يشوع . ولهذا النوع من الورد خاصة عجيبة هي أنه يلهى في الجفاف ثم لا يلهى أن يمتد إلى الحياة إذا وجد في الرطوبة . وهو - إذن - ورد « البعث » .]

بالمشهد الذى يصور فى إحدى روايات شكسبير التاريخية^(١) ابتداء حروب الوردتين الحمراء والبيضاء - وورود ذكر هنرى الثامن قد مهد السبيل لهذه الذكوى . والمسافة بعد ذلك غير بعيدة من الورد إلى القرنفل الأحمر والأبيض . (وفى هذه الأثناء يتسرب إلى التحليل سطران من الشعر أولهما ألماني وثانيهما أسباني : ورد خزانى أو قرنفل ، كل الأزهار تذبل . إيزابيلنا لا تبك ، فالأزهار من بكائك تذوى^(٢)) والبيت الأسباني يرجع إلى « فيجارو ») والقرنفل الأبيض قد صار عندنا ، فى فئينا ، شارة أهداء الساميين بينما الأحمر شارة الاشتراكيين الديمقراطيين . ومن وراء ذلك تكمن ذكرى حادثة من حوادث استفزاز الساميين وقعت فى خلال رحلة بالسكة الحديدية فى ريف ساكس الجميل (انظر آجلو ساكسون) . وأما المشهد الثالث الذى شارك فى تكوين الموقف الأول من الحلم فيرجع إلى الستين الأولى من حياتى المدرسية : فقد جرت فى ندوة للطلبة الألمان مناقشة فى علاقة الفلسفة بالعلوم الطبيعية ، فاندفعت - وأنا لا أزال فى غضاً ملأت رأسه النظريات المادية - أذود عن وجهة نظر متطرفة لا مهادة فيها . وهنا نهض زميل يكبرنى سنّاً وعقلاً ، أبدى منذ ذلك الحين قدرته على توجيه الرجال وتنظيم الجماعات وكان بعد يحمل اسماً من المملكة الحيوانية^(٣) ، نهض فألقمنا حجراً : فهو أيضاً قد رعى الخنازير فى صباه ثم رجع ثائلاً إلى بيت أبيه^(٤) . وعندئذ هبت لالراً (كما فى الحلم) وأجبت ، فى غلظة التحزير^(٥) : أنى وقد علمت أنه قد رعى الخنازير يوماً ، لا أعود أدهش للهجة خطابه . (فى الحلم أدهش للموقف الوطنى الألمانى الذى اتخلته . وهنا عم الصخب ، وارتفعت الأصوات من جوانب متعددة

(١) [الجزء الثالث من هنرى السادس الفصل الأول ، المشهد الأول .]

(٢) [Isabella, no flores, que se marchitan las flores.]

(٣) [المثلثون أنه فيكتور آدلر Adler = نسر) الزعيم الاشتراكى الديمقراطى (١٨٥٢ - ١٩١٨) . وانظر الإشارة إلى سترود قريباً إلى هذا الاسم .]

(٤) [إشارة إلى مثال معروف لسيد المسيح تجده فى إنجيل لوقا ، الإصحاح الخامس عشر ، ويهرب لمرى يركب رأسه ثم يعود إلى مشيرته ستغفراً .]

(٥) [ترجمة حرة لوصف جار Baugrab .]

تطالبني بأن أسحب كلمتي ، ولكنني ثبت على موقفي . وكان الزميل المهان أعقل من أن يرى في تلك البادرة تحدياً موجهاً إليه ، فترك المسألة تهدياً من تلقاء نفسها .

وأما العناصر المتبقية من هذا الموقف الأول في الحلم فتنبعث من طبقات أعمق . فما معنى أن يعلن الكونت عن « حشيشة السعال » ما أعلنه ؟ لا مناص لي هنا من أن أسأل مستدعياتي ، فأجد : حشيشة السعال [والترجمة الحرفية لاسمها الألماني هي : غصن الحافار] - غصن - سلطة - كلب السلطة^(١) . إننا نجد هنا ذخيرة من أسماء الشتائم : زَرَّ - الله [« الله » بالألمانية معناه القرد] ، مخزير ، كلب - وكان يسعى لو قد عرجت على اسم آخر أن أتوصل إلى حمار ، وأن أبحر بذلك مدرساً جامعياً آخر . وأنا - عدا ذلك - أنزعج حشيشة السعال إلى الفرنسية - ولست أدري هل الترجمة صحيحة أم لا - بكلمة "pisse-en-lit"^(٢) . ولقد استنتجت ذلك من رواية زولا « جومينال » فبقها نرى الأطفال يكلفون يجمع هذا النبات لأجل السلطة . والكلب ينطوي اسمه الفرنسي - chien - على جناس مع اللفظ الدال على الوظيفة العضوية الكبرى Chter [تبرز] مثل pissier [بالنسبة إلى الوظيفة الأصغر] ولا يلبث أن تجتمع لنا القدرة في كل حالاتها المادية [الصلبة والسائلة والغازية] : فإنه تلك الرواية عنها « جومينال » - وهي تلور إلى مدى كبير حول الثورة القادمة - قد اشتملت على وصف منافسة فريدة في نوعها حول إنتاج مستخرج غازي اسمه فلاتوس^(٣) (نفس أو ربح) . ولا يسعى الآن إلا أن ألحظ كيف مهلت الطريق المؤدية إلى « فلاتوس » هذا منذ أمد طويل . من الأزهار عبر البيت الإسباني إلى إيزابيلينا ، إلى إيزابيلا ولوردينا ثم عبر هنري الثامن إلى التاريخ

(١) ["Salambut"] أي « كلب السلطة » تيمير نسوي يقال استيأس في الحشيش بشي . لا عن رفيقته له بل لأن غيره قد رغب فيه . ونشأ هذا التيمير قصة لاقت ذيوها حظاً في الكتابة أرجحى فصار تشالاه عن كلب لم يكن يسطيه صاحبه سوى الخس وكان الكلب لا يأكله إلا دالها ، إلى أن جاء يوا كلب أنقع منه تقراً فأراد أن يزاخه في أوراق الخس هذه ، فهض الكلب يطرد حرمه ويدافع عن غصه دفاع المستعص .]

(٢) ["Pissen-lit"] في الحقيقة هو المنصب أو الخس البري . تنطبع الكلمة على التحرف الواردة في النص يحملها تحمل هذا المعنى : بال في السرير .]

(٣) وهو ما لم يرد في الحقيقة في Germinal بل في terre هي [الأرض] - وهي خلطة لم أخطأها إلا بعد أن قرأت من التحليل . لاحظ الاشتراك في الحروف بين "Salambut" و "Huffelrich" [حشيشة السعال] .

الإنجليزي وقت حملة الأرمادا (التي شنها الأسبان) على إنجلترا ، وهي الحملة التي صك الإنجليزي بعدها « ميداليا » حضروا عليها تلك الكلمات : « ونفخ ، فنبعثوا »^(١) ، لأن الربيع قد بعثرت شمل الأمطول الإسباني^(٢) ولكن تلك كلمات كنت قد فكرت نصف مازح في أن أتخذها عنواناً لفصل عن « العلاج » ، لو قد بلغت يوماً إلى أن أكتب شرحاً مفصلاً لنظريتي في المستريا وعلاجها .

وأما المشهد الثاني من الحلم فلست أستطيع الخوض فيه بمثل هذا التفصيل ، حاسباً للرقابة حسابها . فأنا أضع نفسي هنا في مكان سيد رفيع المقام من رجال ذلك العهد الثوري ، كانت له أيضاً مغامرة مع نسر [آدلر] ، وقيل إنه كان يعاني فقدان القدرة على ضبط الأمعاء ... الخ .. وأعتقد أنني لا أكون محققاً في تجاوز الرقابة هنا ، وإن يكن الجانب الأكبر من تلك القصة قد رواه لي مستشار بالبلاط (Aula, conciliaris aulicus)^(٣) . وأما سلسلة الحجرات فشقة من عربة القطار الخاصة بصاحب السمو والتي كنت أفلحت في أن ألقى نظرة عليها . ولكن الحجرات [Zimmer] - كما هو الحال غالباً في الأحلام - تعني أيضاً النساء [Frauenzimmer]^(٤) - و « نساء مشاعة » في هذا المثال . وأما شخصي الخادم فيومي إلى سيدة عجوز بارعة النكتة إيماء أجزئها به سوءاً على حسن ترحيبها وعلى القصص العديدة الطيبة التي كانت تفتق بها علي في منزلها . وأما الإشارة إلى المصباح فترجع إلى جريبلهارتسر^(٥) الذي دون

[Flavit et dimpatit sunt]

(١)

(٢) (١٩٢٥ :) أعطى كاتب تطوع بتاريخ حيوات غير مرجو - هو الدكتور فريش فيلتز أنني حللت اسم « يوم من تلك الكلمات . [١٩٢٠ :] وإن المداليا الإنجليزية لتحمل اسم الرب بالمعروف الجربة على صحابة في الخلف ، بحيث يستطيع المرء أن يراها على أنها جزء من الرسم أو من تلك الكلمات على السواء .

(٣) (Aula) هي الاسم الذي كان يطلق على قاعات الاحتفالات الكبرى بالجامعة (انظر صدر المشهد الثاني من الحلم) ومن معانيها في اللاتينية « بلاط الملك » أما « مستشار البلاط » أو « مستشار ملكي » فترجمة حرفية لكلمة الألمانية « Hofrat » ، وهو لقب كان يمنحه الإمبراطور لكل من امتاز بخدمة طويلة مشهودة في وظائف الحكومية أو في الحياة العامة ، دون أن تعني أن لصاحبها أمل صلة بالبلاط . [

(٤) [ومنهم بالحرف « حجرة النساء » لفظ جار يطلق في اللغة الألمانية - مع شيء من التحقير - على النساء .]

(٥) [من أكبر كتاب النحس المسرحيين في القرن الماضي (١٧٩١ - ١٨٧٢) . لا تزال مسرحياته تفضل إلى اليوم .]

حادثة ظريفة من نوع مماثل كانت قد وقعت له حقيقة ، ثم أدرجها بعد ذلك في مأساته « هير و لياندر »^(١) (أمواج البحر والحب - الأرمادا والعاصفة)^(٢) .

ولست أجد كذلك بدءاً من أن أسلك عن التحليل المفصل للجزئين الباقيين من هذا الحلم^(٣) . وأكتفى بأن أنقط تلك العناصر التي تفودنا إلى مشهدى الطفولة اللذين ما أخلت في مناقشة هذا الحلم على الإطلاق إلا من أجلهما . وسنحذر بحق أن هذا التكميم قد أُلحأت إليه مادة جنسية . ولكننا لا نحتاج إلى أن نقف عند هذا التعليل قانعين ، فكثيرة هي الأمور التي يصارح بها المرء نفسه وإن واراها عن غيره اضطراباً . ثم إن المسألة لا تتعلق ههنا بالأسباب التي تحملنى على أن أخفى الحل ، بل بدوافع الرقابة الباطنة التي أخفت المحتوى الصحيح للحلم عنى نفسى . وعلى ذلك لا أجد مناصاً من أن أقول : إن التحليل قد بين أن هذه الأجزاء الثلاثة الأخيرة ، [بعد الجزء الخاص بامتصاص الطلبة والكونت الخطيب] إنما هي مباهاة سليطة ، دفقة من جنون باطل بالهزيمة كبحت جماعه في حياتى المستيقظة زمناً طويلاً ، واقتضت بعض شعابه محتوى الحلم الظاهر نفسه (هوى إلى أننى كثير الدهاء) ، ثم هو يعلنا من غير شك نفهم أحسن الفهم ذلك المزاج الفاتر المتعاطف الذى كنت فيه في المساء الذى سبق الحلم . وقد شملت المباهاة جميع الميادين ، فذكر [مدينة] جراتس - مثلاً - كان يرجع إلى تلك الحملة العامة : « ما نحن جراتس ؟ » - وهى الحملة التي يعرب بها المرء عن اغتباطه إذ يشعر بوفرة المال . وكل من يذكر وصف رايلى المتقطع النفاير في حياة جاريجانتوا وابنه بانتاجروبل^(٤) وأعمالها

(١) [لياندر فى من أيدوس أخته هير - وكانت كاهنة للنيون - أفرق نفسه في التديفيل] .

(٢) (١٩١٠) : لقد حاول سيلبر (١٩١٠) في مقال هام أن يدلل من هذا الجزء من حللى على أن حلم الخ لا يمكنه تمثيل الأفكار الكائنة وحدها ، بل كذلك العمليات النفسية التي تقع في خلال تكوينه (وهو ما يسميه « الظاهرة الوظيفية ») . (١٩١٤) : بيد أننى أعتقد أنه يغلل بذلك تلك الحقيقة : وهى أن « العمليات النفسية التي تقع عند تكوين الحلم » إنما هى بالنسبة إلى مادة تشغل فكرى شأنها شأن غيرها . فمن الواضح أننى أفسر في هذا الحلم المتباهى بأننى قد اكتشفت تلك العمليات .

(٣) [إلا أن فرويد يحلل الجزء الأول منها (ركوب العربة إلى المحطة) ، فيايد ص ٤٣١] .

(٤) (من وقائع جاريجانتوا الثلاثة واقعة سوف يشار إليها في هذا الكتاب وهى أنه اعتل كيسة تفودام بباريس وبها على أهلها « بولا صيفاً حتى أفرق منهم مائتين وستين ألفاً وأربعة مائة وثمانية عشر رسلاً هذا النساء والأطفال » . وله ولايته وقائع متعدة في هذا الباب وما يمدله .]

سوف يدرج تحت باب المفارقة ما ألحت إليه الفقرة الأولى من الحلم كذلك . ولكن
 ها هي ذى تلك المادة التي يتسبب إليها مشهدا الطفولة الاذان وعدت بها : كنت قد
 اشتريت من أجل تلك الرحلة حقيبة جديدة ، ظهر لونها - وكان بنيًا بنفسجياً - مرات
 متعددة في الحلم (أزهار البنفسج ذات اللون البني البنفسجي ، المصنوعة من قماش
 خشن ، بجانب شيء يسمى « مصيدة بنات »^(١) ، ثم أثاث الحجرات الرسمية) . ونحن
 نعلم أن الأطفال يعتقدون أن كل جديد يجذب الأنظار . ولقد قصص على هذا المشهد
 من مشاهد طفولتي الذي حلت روايته في ذاكرتي محل ذكره ، قبل : لأنني وأنا في الثانية
 من عمري كنت لا أزال أبطل فراشي بين الحين والحين ، وكنت إذا قرعني وائي على ذلك
 عزيت واعدت إياه بأن أبتاع له سريراً جميلاً جديداً أحمر اللون من ن . ، وهي أقرب
 مدينة لها بعض الحجم إلينا . ومن هنا جاءت في الحلم تلك الجملة الاعتراضية فيما
 يتصل بالميوعة الزجاجية ، اشتريناها من المدينة أو كان علينا اذراءها - إذا وعد المرء فقد
 حق عليه الوفاء (ونلاحظ التجاور بين الميوعة الزجاجية - رمز ملوك - والحقيقة
 أو الصندوق - رمز مؤثث [انظر ص ١٨٧] . إن كل جنون العظمة عند الطفل
 منضغ في وعدى هذا . ولقد عرفنا من قبل ونحن نفسر حلماً سابقاً مدى ما يكون لصعاب
 الطفل المتصلة بالبول من خطر في الحلم [انظر ص ٢٢٠] . كما أن التحليل النفسي
 للمصابين قد علمنا مدى الارتباط الوثيق بين بال الفراش وبين تلك السمة من سمات
 الطبع التي هي الطهوح^(٢) .

ثم جاء بعد ذلك - وأنا في السابعة أو الثامنة من العمر - مشهد عائلي آخر ما زلت
 أذكره أبين الذكر : فقد تفاضيت يوماً عما ينهى عنه الاحتشام من إجابة بعض الحاجات
 في غرفة الوالدين وفي محضرم ، وكان أن أتى والدي - وهو يقرعني - بتلك الملاحظة ،
 هذا الولد لن يصير شيئاً ما . ولا بد أن هذه كانت صدمة مروعة لطفولي ، فالإشارات
 إلى هذا المشهد لا تزال تترى في أحلامي من غير انقطاع ، مصحوبة بتعديد ما حققته
 وأصبت فيه نجاحاً ، كأنما أريد أن أقول : « أتري ؟ لقد صرت مع ذلك شيئاً » وهذا
 المشهد الطفلي يزودنا الآن بالمادة التي نسجت منها صورة الحلم الأخيرة بعد أن تبدلت
 فيها الأدوار بدافع من الانتقام بالطبع : فالرجل العجوز - من الواضح أنه والدي ،

(١) [تعبير بمعنى حريد أو قنص لسه .]

(٢) [الجملة الأخيرة قد أعيدت عام ١٩١٤ .]

وما يشير العور إلا إلى الجلوكونا التي أصابت عينا من عينيه^(١) - هو الذي يتبول الآن أمامي ، شأني أمامه من قبل . ثم إن في الجلوكونا تذكيراً لوالدي بالكوكابين الذي أعانه على احتمال العملية التي أجريت له [انظر ص ١٩٣] ، كأنما كنت بذلك قد حققت وعدى . وأنا بالإضافة إلى ذلك أهزأ به : فهو أعمى ، وأنا للملك مضطار إلى أن أمد له الزجاجة ، ثم أسترسل في تلميحات إلى مكشفتائي في نظرية المستعريا التي أنا فخور بها^(٢) . ولكن إذا كان مشهدا التبول المستمدان من طفولتي مرتبطين على أية حال بباب

(١) وتفسير آخر : إنه أمر مثل أودين ، أب الآلهة [في الأساطير الجرمانية] . - عزاء أودين (اسم رواية أسطورية كتبها Felix Dahn عام ١٨٨٠) . تعزيزي لها في مشهد الطفولة بوجد بشراء سريد جديد .
(٢) وما هي ذي عادة تفسيرية أخرى : إن الإمساك بالزجاجة يذكرني بقصة الفلاح الذي ذهب إلى النظاراتي فظل يحرب الزجاجة [أي القمصة] بعد الزجاجة دون أن يستطيع الفراعة . (مصيدة فلاحين) ويقال للمحتال [- مصيدة بنت ، في الفقرة السابقة من الحلم . -] المعاملة التي يلغاها الأب على أهدى الفلاحين بعد أن ضحك قلبه في رواية زولا « الأرض » - المقاصة الفاجعة حين أخذ والذي في أواخر أيام حياته يوضح الفراش بعوده كاللعل ، ولما كان أتى ظهرت مرضا - " كان التفكير والخبرة الفعلية شيئا واحدا هنا " . يذكرني ذلك بمسرحية أدبية ذات طابع ثوري عثيف كتبها أوسكار بانيسا ، فيها يلقي الأب - وقد تشكل في صورة رجل صبور مثلي - شر المعاملة ، " وكن " و " يكون " كانتنا هنا شيئا واحدا ، فكان على ملك من ملائكة - أشبه بجانيتميد (ساق الآلهة في الأساطير اليونانية) - أن يحول بينه وبين الفن والحب وإلا تحققت دعواته على الفنون - وأما التفكير في خطة علوم موسى إلى والذي يرجع إلى فترة لاحقة في نمو ملكي التنقية . وألحق أن كل معنى الحلم بما فيه من تمرد ومن عيب في الذات الملكية وانتقاص السلطة العليا إنما يرجع إلى ثورة على والذي . فالأمير يدعي أبا الشعب ، والأب تقدم السلطات وأولها ، وهو بالنسبة إلى الطفل السلطة المفردة ، ومن هيمس المطلقه غرعت في خلال تاريخ الحضارة سائر السلطات (الهوم إلا بالقدر الذي يقتضيه به) النظام الأموي ، تقيد هذه القضية - وبمسلة الحلم : « كان التفكير والخبرة القمائية شيئا واحدا » تصل بتفسير الأعراف المستيرية ، وجاهد أيضا تحصل الجولة الزجاجة . فلست أحتاج إلى أن أفرح لمن كان من أهل فيينا ما هو المبدأ الأساسي الذي تقوم عليه اللعبة المسماة " Gachnag " : إنها تتلخص في أن تركب من مواد تافهة أو - وهو أفضل - مضحكة ، مدفوعة القيمة . موضوعات تبدو لادرة غالية ، كأن تصنع دوما من أوعية المطبخ والقفش وألفه الخبز المكورة وفيها - وهي تسليمة يخلط بها فالناريا في سهراتهم البرومسية . ولقد لاحظت أن المستعريين يجرؤون على تلك التورية ، فهم إلى جانب ما يقع لهم حقيقة يعيشون لأنفسهم - لا شعوريا - أحداثا متخيلة ، مروعة أو منزعجة ، يركبونها من أقل عبراتهم شعرا أو أكثرها ألفه . وأعرافهم ترتبط في المرتبة الأولى بهذه التخييلات وليس بذكرهايات الأحداث الحقيقية ، سواء أكانت هذه أحداثا جديدة أم كانت أحداثا خالية من الشأن . ولقد أعانني هذا الكشف على تمييز من الصعوبات ، ويطلب لي سرورا لا يمدله سرور . وأنا الذي مكثت من الإلحاح إلى هذا كله ببساطة هذا التمييز من الحلم ، " ببول الرجال الزجاجة " ، فهو ما سمعت من ليلة « الكشكش » الأخيرة من أن كاسا سامة من كنوس لوكريس بورجيا قد عرضت فيها ، وكان هيكلها وأهم أجزائها مكشفا من ببول زجاجة للرجال ، من قبل ما يستعمل في المشتبهات .

الحنون بالعظمة أوثق الارتباط ، فقد أعان بعد ذلك على تنبيههما في خلال رحلة آوى ما اتفق من خلوص مقصودى من المرافق ومن أننى كنت أنوقع تلك الورطة ، مثلما حدث بالفعل في اله باح : فقد استيقظت إذ ذاك وأنا أشعر بحاجة عضوية . وأغلب ظنى أننا قد نميل هنا إلى أن نرى في هذا الشعور العامل الذى أطلق الحلم فعلا . ولكننى أؤثر وجهة نظر أخرى ، هى على التحقيق : أن الحاجة إلى التبول إنما بعثت عليها أفكار الحلم . فإنه لأمر غريب على كل الغرابية أن تزعجنى في أثناء النوم حاجة جسمية من أى نوع كانت ، وبخاصة في ذلك الوقت الذى استيقظت فيه - الثانية والخامسة والأربعون . ويبقى اعراض آخر أدفعه بأن لاحظ أننى لم أشعر قط في رحلات آخر تحقق له فيها من أسباب الراحة قسط أوفر بالحاجة إلى التبول بعد الاستيقاظ مبكراً . وليس يه يرنى على أية حال أن أترك تلك المسألة من غير بت .

ولا كانت خبراتى في تحليل الأحلام قد جلبت انتباهى إلى أنه حتى تلك الأحلام التى يبدو تفسيرها للوهلة الأولى أمراً مفروغاً منه لأننا اكتشفنا من غير عناء مصادرها والرغبات المحافظة إليها - تخرج منها هى الأخرى خيوط تمتد إلى أبعد عهود الطفولة ، لأنى لم أجد مفرّاً من أن أسأل : هل هذه الخاصة أيضاً شرط جوهرى من شروط الحلم ؟ ومعنى ذلك - إذا وضعنا القضية في صورة كلية - هو ، أن كل حلم يرتبط في محتواه الظاهر بخبرات حديثة العهد ، لكنه - في محتواه الكامن - مرتبط بأشدّ الخبرات قديماً ، تلك الخبرات التى تمكنت من أن أبين بالفعل في تحليل المستريا أنها قد ظلت على حدايقها بالمعنى الصحيح للكلمة حتى الزمن الحاضر . بيد أن هذا الظن مازال يبدو بحق صعب البرهان غاية الصعوبة ، وسوف أعود في مناسبة أخرى (الفصل السابع [القسم ب ، ص ٥٤٣-٥٤٤]) إلى مناقشة النصب المحتمل الذى تقوم به خبرات الطفولة المبكرة في تكوين الحلم .

إذا رجعنا إلى الخصائص الثلاث التى تتميز بها الذاكرة في الحلم وإلى أحصيتها في مطلع هذا الفصل ، وجدنا أن الواحدة - تفضيل ما هو ثانوى في محتوى الحلم - قد لقيت حلاً مرضياً بإرجاعها إلى تشويه الحلم . فأما الاثنتان الأخريان - تغليب الحديث والطفلى - فقد تأيد لنا وجهودهما ، بيد أننا لم نتمكن من استنباطهما من الدوافع المؤيدة إلى فعل الحلم . فلا ننسى هاتين الخاصيتين اللتين يبقن علينا تعليلهما أو تقديرهما ؛ فهما - لا محالة - واجدتان مكانهما في موضع آخر : إما في سيكولوجية حالة النوم ، أو

عند البحث في تركيب الجهاز النفسى - وهو البحث الذى سوف نشرع فيه حين نكون تعلمنا أن تفسير الحلم أشبه بنافذة نستطيع أن نلقى منها نظرة إلى باطن هذا الجهاز [انظر الفصل السابع] .

غير أن هناك نتيجة أخرى تلزم من تحليلات الأحلام السابقة ننبه إليها دون إهمال ، وهى : أن الحلم كثيراً ما يبدو حاصلًا على أكثر من معنى واحد . فهو كما يتبين من أمثلتنا - قد لا يقتصر على أن يحقق رغبات متعددة جنباً إلى جنب بل قد يتضمن فرق ذلك جملة من المعانى أو تحقيقات الرغبات يفترش كل منهما غيره حتى نعتز في القاع على تحقيق رغبة ترجع إلى أقصى عهود الطفولة . وهنا نسأل من جديد : أليس الأصديق هو أن نفع « دائماً » بدل « من الشائع » في تلك القضية ؟ ^(١) .

ج

المصادر الجسمية للحلم

لو أننا أردنا أن نبث أحد المثقفين غير المختصين على الاهتمام بمشكلات الحلم ، فسألناه من أجل هذا الغرض أى المصادر تصدر عنها الأحلام في زعمه ، لوجدنا في معظم الأحيان أن من نسأله يظن أنه واثق كل الثقة من امتلاكه هذا الجزء من الجواب عن السؤال : فهو يفكر لفوره في الأثر الذى يحدثه في تكوين الحلم هضم معتل أو صير (« الأحلام تأتي من المعدة » [انظر ص ٦٠] أو وضع يعرض للجسم أو حدث صغير يقع أثناء النوم ، وهو لا يظهر أبداً ولو ربية في أننا إذا حسبنا لهذه العوامل جمعاء حسابها بقى بعدها شئ يقتضى مع ذلك إيضاحاً .

فأما النصيب الذى تمزوه المؤلفات العلمية إلى المصادر الجسمية للتنبيه في تكوين الحلم ، فذلك ما أطلنا في تبياناه في الفصل الذى قلنا به [ص ٦٠] بحيث لا يحتاج

(١) إن تراكم معانى الحلم بعضها فوق بعض طبقات مشكلة من أدق مشكلات تفسير الحلم وإن تكن كذلك من أمثلتها . وكل من نسي هذه الإمكانية سهل عليه أن يفضل الصواب وأن يتقاد إلى قضاي لا يمكن الأخذ بها في ماهية الحلم . يبع هذا فالأبحاث الموضوعة في هذا الباب لا تزال قليلة غاية القلة . لا نجد حتى الساعة من دراسة عميقة سوى تلك التى خصصها أوتو رانك (١٩١٤ أ) لتراكم الرمزى المتظم إلى حد كبير في الأحلام الناشئة من منه بطل .

هنا إلى غير التدكير بنتائج ذلك البحث : لقد سمعنا أن هناك ثلاثة أنواع من المصادر الجسمية للتنبيه تنبى التفرقة بينها : المنبهات الحسية الموضوعية الناشئة عن موضوعات خارجية ، الحالات التهييجية الباطنة لأعضاء الحواس - وهذه ليس لها إلا أساس ذاتي - ثم المنبهات الجسمانية المنبئة من باطن الجسم . ولا حظنا بالإضافة إلى ذلك نزوع المؤلفين إلى أن يهونوا من قيمة كل مصدر نفسى للحلم بجانب هذه المنبهات الجسمية ، أو إلى أن يستعملوه جملة [ص ٨٧] . فلما فحصنا ما يدعى لهذه المنبهات الجسمية من شأن ، انتهينا إلى أن قيمة المنبهات الموضوعية لأعضاء الحس - وبعضها عارض في أثناء النوم وبعضها يستحيل تجنيد النفس إياه ولو كانت نائمة - أمر تثبت الملاحظات المتعددة ويؤيده التجربة [ص ٦٢] ، وأما نصيب التهييجات الحسية اللاتية فيثبته - فيما يبدو - رجوع الصور الحسية قبل النوم في الأحلام [ص ٦٨] ، وأخيراً فإن ما يقال على إطلاقه من رجوع صور الحلم وأفكاره إلى منبهات جسمية باطنية أمر يستحيل قطعاً إثباته في كل مدهاء ، ولكنه قد يجد مع ذلك سنداً فيما هو معروف من تأثير حالات التهييج الذى يعصب أعضاء المضم والتبول والإنسال في أحلامنا [ص ٧٤] . وهكذا يكون « التنبيه العصبى » و « التنبيه الجسمانى » هما المصدران الجسميان للحلم ، أى - في رأى كثير من الكتاب مصدراه الوحيدان على الإطلاق .

غير أننا قد سمعنا أيضاً أصواتاً تعرب عن عدد من الشكوك ، وإن كان من الحق أن هذه الشكوك لا تبلى موجهة إلى صحة نظرية التنبيه الجسمى ، بل إلى كفايتها .

فهما كان من ثقة المنتصرين لهذه النظرية من ناحية أسسها الواقعية - وعلى الأخص فيما يتعلق بالمنبهات العصبية الخارجية العارضية التى يسهل قفوها في محتوى الحلم دون ما عنام - فما غاب عن أحدهم أن في الأحلام من ثراء المحتوى الفكرى ما يستحيل تفريعه من المنبهات العصبية الخارجية وحدها . ولقد مكثت الآتسة مارى هويتون كاتكنيز سنة أسابيع تبحث من هذه الوجهة أحلامها وأحلام شخص آخر ، فلم تجد على الترتيب سوى ١٣٠٢ و ٦٠٧ من المائة حلماً أمكن فيها الاعتماد إلى عنصر الإدراك الحسى الخارجى ، ولم يكن في المجموعة كلها سوى خدعين أمكن إرجاعهما إلى إحساسات عضوية . فالإحصاء يؤيد هنا ما قد خمنت من نظرية عاجلة إلى خبراتى الخاصة .

وكثيراً ما يرتضى البعض أن تفصل أحلام « التنبيه العصبى » - باعتبارها نوعاً سافلاً

من الأحلام تمت دراسته دراسة وافية - من سائر أشكال الحلم . ومثال ذلك شيئا إذ يقسم الأحلام قسمين : أحلام تنبيه عصبى وأحلام تداع . بيد أن من الواضح أن ذلك سوف يظل حلا غير مرض . ما دنا لانفلق في تبيان الرباط بين المصادر الجسمية للحلم وبين محتواه الفكرى .

وهكذا ينهض إلى جانب الاعتراض الأول : أن المصادر الخارجية للتنبيه ليست كثيرة الوقوع الكثرة الكافية - ينهض اعتراض ثان : أن تعليل الأحلام التى تأتى بواسطة مثل هذه المصادر ليس بالتعليل الكافى . ذلك لأن أنصار هذه النظرية مدينون لنا بإيضاحين : الأول : لم كان المنبه الخارجى لا يُعرَف فى الحلم على طبيعته الحقة، بل يعرف دائماً معرفة خاطئة [أنظر أحلام جرس المنبه فى ص ٦٥] ؟ والثانى هو : لم كانت استجابة النفس النائمة لهذا المنبه الذى يعرف معرفة خاطئة تتنوع كل هذا التنوع الذى لا ضابط له ؟ لقد سمعنا شروميل يقول فى الإجابة عن هذا السؤال : إن النفس وقد انصرفت فى أثناء النوم عن العالم الخارجى لم تعد قادرة على أن تفسر المنبهات الموضوعية الحسية تفسيراً صحيحاً ، بل هى مضطرة إلى أن تشيد أوهاماً حية على ما يصل إليها من تنبيه مبهم فى كثير من نواحيه . أو بعبارة هو (١٨٧٧ ، ١٠٨) :

« إنه ما إن يشار فى النفس النائمة - نتيجة لمنبه عصبى خارجى أو باطنى - إحساس أو مركب من الإحساسات أو انفعال أو أية عملية نفسية بوجه عام ، وما إن تدرك العملية المشاركة على هذا النحو بواسطة النفس - حتى تستدعى العملية صوراً حسية تستمد من نطاق خبرات اليقظة المتخلفة فى النفس . أى متركبات سابقة . نجىء إما مجردة من قيمتها النفسية التابعة لها وإما مصحوبة بها . وهكذا تحبط العملية نفسها بعدد يزيد أو ينقص من أمثال تلك الصور التى من طريقها يكتب الانطباع الناشئ عن المنبه العصبى قيمته النفسية . ونحن نقول هنا (مثلما اعتدنا أن نفعل فيما ينصل بسلوك اليقظة) إن النفس تفسر الانطباعات الناجمة عن المنبه العصبى . ونتيجة هذا التفسير هى ما نسميه حلم تنبيه عصبى . أى حلماً تحتتم مقوماته بواسطة منبه عصبى . أحدث أثره النفسى فى النفس النائمة وفقاً لقوانين الاستحضار » .

ويطابق تلك النظرية مطابقة جوهريّة قول فونت : إن أفكار الحلم يصدر الجزء الأعظم منها على الأقل عن منبهات حسية ومنبهات الحساسية العامة بالجسم بنوع خاص ، تفسير الأحلام

ولهذا كان معظمها أوهاماً تخيلية ولم تكن إلا إلى حد ضئيل في الراجع ذكريات خالصة اشتدت إلى درجة الهلاوس . ولقد عثر شرومبل على تشبيه موفق للعلاقة التي تخلص من هذه النظرية بين محتوى الحلم وضمياته ، وذلك إذ يقول : « إن الأمر يبدو كأن رجلاً لا يملك أقل معرفة بالموسيقا قد أجال أصابعه العشرة على مفاتيح المزف » . وهكذا لا يكون الحلم بحسب تلك النظرة ظاهرة نفسية تقوم على دوافع نفسية ، بل نتيجة لتنبية فيزيولوجي أعربت عنه أعراض نفسية ، لأن الجهاز الذي أصابه المنبه لا يملك أية صورة أخرى من صور التعبير . وعلى مسلمة مماثلة يقوم - مثلاً - التشبيه اللاتع الذي أراد ما ينيرت أن يعالج الأفكار القهرية بوساطته ؛ ميناء الساعة تبرز عليها بعض الأرقام لأنها قد زيلت تحديداً .

غير أنه مهما كان التحيز الذي صارت تنعم به نظرية التنبية الجسائي ومهما بدا من جذبها ، فن المين كذلك أن نيين موطن الضعف فيها . فكل منه من منبهات الحلم الجسمية التي تحت الجهاز النفسي الثام على تفسيرها بتشديد الأوهام يستطوع أن يطلق عدداً لا يحصى من أمثال هذه المحاولات التفسيرية ، وأن ينتهي بذلك إلى أن تمثله في الحلم أفكار لا حصر لها^(١) ولكن نظرية شرومبل وقوتها تعجز عن أن ترينا أي دافع يضبط العلاقة بين المنبه الخارجي وبين فكرة الحلم المختارة لتفسيره ، أي عن أن تعلق « هذا الاختيار العجيب » الذي كثيراً ما تبديه المنبهات « في خلال نشاطها المنتج » (ليس ، ١٨٨٣ ، ص ١٧٠) . ثم هناك اعتراض آخر يمتد إلى المسئلة التي تنبئ عليها نظرية الوهم بأسرها ، وهي المسئلة القائلة بأن النفس حين تنام تفقد القدرة على تعرف الطبيعة الحقيقية للمنبهات الموضوعية الحسية : فقد بين الفيزيولوجي بورداخ منذ زمن طويل أن النفس تملك في النوم كذلك قدرة تامة على أن تفسر ما يصل إليها من الانطباعات الحسية تفسيراً صحيحاً ، وعلى أن تستجيب بما يتفق وهذا التفسير الصحيح ، وذلك حين ذكر بأن في وسع الإنسان أن يستشعر من الإهمال الذي يشمل الانطباعات الحسية عند النوم تلك الانطباعات التي تبدو له ذات بال (المرضع والطفل) ، وأن استيقاظ المرء على صوت اسمه أوثق كثيراً من استيقاظه على انطباع سمعي آخر لا يهيمه في شيء وكل هذا يتضمن

(١) لقد أخرج موريل فولد مجلدين يحويان على وصف دقيق مفصل لطائفة من الأحلام أحدها بالتجريب ، مجلدين أشير على كل قارئ يدراسهما ؛ حتى يفتح بنفسه الضوء الذي تلقاه الشروط التجريبية الموصوفة في هذين المجلدين على محتوى الأحلام الجزئية ، ثم بقلة غناء أمثال هذه التجارب عامة في فهم مشاكل الحلم .

من غير شك أن النفس تفرق في النوم كذلك بين الاحساسات [الفصل الأول ص ٨٨] .
 ويخلص بورداخ من هذه الملاحظات إلى أن ما ينبغي اقتراضه في خلال حالة النوم ليس
 العجز عن تفسير المنبهات تفسيراً صحيحاً ، بل نقص الاهتمام بها . وهذه الحجج التي
 استخدمها بورداخ عام ١٨٣٠ تعود هي هي عام ١٨٨٣ عند ليس في نقده لنظرية
 التنبيه الجسماني . وهكذا تبدو النفس مثلها مثل الحالم الذي تحكي عنه الحكاية ، فقد
 سأله سائل : « هل أنت نائم ؟ » فأجاب : « كلا » ، فلما أثنى السائل : « إذن أقرضني
 عشرة ريال » ، تعطل قائلا : « إني نائم » .

ومن الممكن أن نثبت عدم كفاية نظرية التنبيه الجسمي بطرق أخرى . فالملحظة
 تظهر أن المنبهات الخارجية لا تدفعني إلى الحلم دفعاً وإن كانت هذه المنبهات تظهر في
 الحلم بمجرد ما أحلم وإذا ما حلمت . ودعنا نفترض أن منبهاً من المنبهات - بضغط أو
 بلمس ، قد عرض لي في أثناء النوم : إن في متناولي أن أستجيب له باستجابات مختلفة :
 فأنا أستطيع أن أغض الطرف عنه لكي أكتشف حين أستيقظ أن ساقاً من ساق قد
 نعترت أو أن ساعداً قد ضغط - وفي علم الأمراض شواهد موفورة على أن منبهات حسية
 أو حركية شديدة التهيج . مختلفة النوع قد تلبث دون أن تحدث أثراً في خلال النوم .
 ثم أنا قد أستشعر هذا الإحساس وأنا نائم ، أستشعره « من خلال » النوم ، كما نقول ،
 (وتلك هي القاعدة في حالة المنبهات المؤلمة) ولكن دون أن أنسج من الألم حلاً . وفي
 استطاعتي - ثالثاً - أن أستجيب لهذا المنبه بالاستيقاظ لكي أتخلص منه ^(١) . وأما أن
 يسوقني المنبه العصبي إلى الحلم - فإن هذا إلا احتمال رابع - يقع ، ولكن الاحتمالات
 الأخرى تقع أيضاً بمثل كثرته على الأقل . وما كان ذلك ليكون أولاً أن الدافع إلى الحلم
 يكمن خارج المصادر الجسمية للحلم .

وقدر بعض الكتاب - وأعني به شررر والفيلسوف فولكلت الذي تابعه - قدروا
 شأن تلك الثغرات التي عانيت عليها الآن في تحليل الحلم بواسطة المنبهات الجسمية تقديراً
 صائباً ، فحاولوا أن يعرفوا بمزيد من الدقة ما هي أوجه النشاط النفسي التي تؤدي

(١) انظر مقالة لانداور عن السلوك في أثناء النوم (١٩١٨) . وإن في اصطلاح كل منا أن يلاحظ
 أناساً نائمين وهم يهيمون بأفعال ذات دلالة واضحة . فالإنسان لا يرتد عنه النوم إلى اليقظة المطلق ، إنه - بل
 العكس - يظل قادراً على الإتيان بأفعال منطقية متسمة .

إلى نشوء صور الحلم المتقلبة من المنهات الجسمية . أى أن يعودوا بماهية الحلم فيقيموها من جديد في النفس وفي نشاطها . فشزن لم يكفه أن يترك لنا وصفاً يزخر بالإحساس الشاعري ويفيض حياة للخصائص النفسية المتجلية في تكوين الحلم . بل هو قد اعتقد فوق ذلك أنه اكتشف المبدأ الذى تملك النفس بمقتضاه حيال المنهات التى تعرض لها . وهذا المبدأ هو : إن عمل الحلم — وقد أطلقت الخيلة فيه من قيود النهار — ينزع إلى تصوير العضو الذى ينبعث منه المنبه وكذلك طبيعة هذا المنبه تصويراً وهزياً . وهكذا يخرج لنا ما يشبه أن يكون كتاباً من كتب الأحلام . مرشداً إلى تفسيرها ، به يتسنى لنا أن نستدل من صور الحلم على أحاسيس الجسم وحالة الأعضاء وطبيعة المنهات . فصورة القط تعرب عن مزاج مساء غضوب . بينما تعرب صورة الخبز الأملس الفاتح اللون عن عرى الجسم . والجسم الإنسانى فى مجموعه تصويره تخيلة الحلم فى صورة منزل وتصور كل عضو منه يجره من أجزاء المنزل . وفى (الأحلام ذات المنبه السنى) يقوم بهو مرتفع السقف مقوصه مقام الفاه . ويقوم سلم مقام الطريق النازل من الخلق إلى البلعوم . وأما (أحلام الصداق) ففيها يصور أعلى الرأس سقف غطته عناكب شبيبة بالصفادع السامة ، تبعث أشكائها على الغثاس (فولكت ١٨٧٥ : ٣٩) وينوع الحلم فيختار من هذه الرموز العدد الكبير للدلالة به على ذات العضو ؛ فالرثان وهما تنفسان قد تجدان رمزهما فى موقد استعرله وصار له خفيف . بينما يجده القلب فى صناديق أو سلال خاوية . وتجد الكلية فى موضوعات مستطيلة تشبه الأكياس أو مجوفة وحسب بوجه عام . والمهم بنوع خاص هو أن العضو الذى أثار الحلم — أو وظيفة هذا العضو — كثيراً ما يتكشف فى ختام الحلم صراحة ، ويتكشف فى معظم الأحيان فى جسم الحالم نفسه ، وهكذا ينتهى عادة الحلم الناجم عن منبه سنى بأن يرى الحالم نفسه وهو يتخلع سنا منه فيه (ص ٣٥) . ولا يستطيع المرء أن يقول : إن هذه النظرية قد لاقت من المؤلفين ترحيباً كثيراً . فالغربة أظهر ما فيها . حتى إن الكتاب ترددوا فى أن يسلّموا لها ولو بهذا القسط من الوجاهة الذى نرى أنه حق لها . فهى تؤدى — كما نرى — إلى أن يبعث من جديد تفسير الأحلام برساطة الرموز — وهو المنهج الذى اتبعه القدماء — سوى أن النطاق الذى تؤخذ منه التفسيرات قد حدد بحدود الجسم الإنسانى نفسه . ثم إن خلو نظرية شزن من كل نهج فى التفسير نستطيع تعقله بأسلوب علمى قد ضيق من غير شك إمكان تطبيقها تطبيقاً عظيماً . وأما الاسترسال مع

الموى فى تفسير الحلم فلا يبدو أن تلك النظرية تمنعه بحال من الأحوال ، وبخاصة أن من الجائز - هنا أيضاً - أن يظهر المنبه الواحد فى محتوى الحلم بصور شتى ، وهكذا عجز أيضاً تلميذ شرر . فولكلت . عن أن يؤيد ظهور الجسم فى صورة المنزل . واعتراض آخر لابد منه . وأغنى به أن النفس تدع مرة أخرى القدرة على الحلم وكأنها أودعت شيئاً لا نفع منه ولا غاية له . فالنفس تقنع فى تلك النظرية التى نحن بصدددها بأن تحيك التخيلات حول المنبهات التى تشغلها ، دون أقل إشارة إلى وظيفة تستهدف التخلص من تلك المنبهات .

يبد أن هناك اعتراضاً آخر ينال نيلا بالغا من نظرية شرر فى أن الحلم يعبر عن المنبهات الجسمية تعبيراً رمزياً : فهذه المنبهات قائمة فى كل وقت ، ومن الأمور المتفق عليها أن النفس أشد إحساساً بها فى النوم منها فى يقظتها ، وعلى ذلك كنا لا نفهم لم لا تحلم النفس طيلة الليل كله من غير انقطاع . بل لم لا تحلم فى كل ليلة بجميع الأعضاء . لقد نحاول تجنب هذا الاعتراض . فنقول : إنه لكى يستثار نشاط الحلم فلا بد من أن تصدر عن العين والأذن والأستان والأحشاء وغيرها من الأعضاء تهيجات علما المألوفة . وعندئذ نواجه صعوبة أخرى . ألا وهى أن نثبت وقوع هذا الاشتداد فى التنبيه - وهو ما لا يتسنى إلا فى عدد قليل من الحالات . فلو أن أحلام الطير كانت رمزاً للريتين حين تلوان وحين تهبطان ، لكان الواجب - كما لاحظته شررومبل - أحد أمرين : فلما أن يكون لهذه الأحلام من كثرة الوقوع ما يزيد عن المألوف زيادة كبرى ، ولما نثبت أن النشاط النفسى قد اشتد فى أثنائها . وهناك بعد احتمال ثالث هو أرجح الاحتمالات جميعاً ، وأغنى به أن دوافع خاصة قد تعمل عملها فى هذه اللحظة أو تلك فتجلبب الانتباه إلى الإحساسات الأحشائية القائمة فى كل وقت ، ولكن ذلك احتمال يحملنا إلى ما وراء نظرية شرر .

إن القيمة التى لأفكار شرر وفولكلت تقوم فى كونها تجلبب الانتباه إلى عدد من الخصائص التى يتميز بها محتوى الحلم - وهى خصائص تتطلب تعليلاً وتنبؤاً بشراً باكتشافات جديدة . فمن الحق كل الحق أن الأحلام تحمل فى طياتها رموزاً ترمز لأعضاء الجسم ووظائفه : إن الماء فى الحلم يشير كثيراً إلى منه بولى ، وإن أعضاء التناسل عند الذكر قد تصور بعضاً مثبتة تثبتاً عمودياً أو بعمود أو بما أشبه . والأحلام التى يزدحم

فيها الحقل البصرى بالحركة وبالألوان الزاهية - على خلاف ما يسود بعض الأحلام الأخرى من قسمة - هذه الأحلام لا نكاد نستطيع تفسيرها بغير كونها « أحلاماً ذات منبه بصرى » ، ولا نحن نستطيع أن ننازع في دخول الأوهام الحسية في الأحلام التى تحوى ضوضاء ولفظاً . فلم كالذى يرويه شرر عن فريقين من الصبية الحسن الشقر اصطفا على جسر فى صفتين متقابلين ، أخذ كل منهما يهجم على الآخر ثم يعود إلى موضعه ، إلى أن يرى الحلم نفسه فى النهاية وقد جلس على جسر وهو يخلع سنّاً ، أو حلماً كالذى يرويه فولكلت ، كان لصفين من الأدراج شأن فيه وانتهى مرة أخرى بسن يخلع - أحلام كهذه يورد منها هذان المؤلفان العدد الوفير لا تسمح لنا بأن نبذل نظرية شرر كما لو كانت اختراعاً لا طائل منه دون أن نبحت لها الطيب . ومهتنت إذن هى أن نجد تعليلاً من نوع آخر للتعبير الرمزي المفترض عما يقال إنه منبه منى .

لقد امتنعت طيلة هذا الوقت الذى شغلنا فى أثناءه بنظرية المصادر الجسمية للحلم عن استخدام الحجة التى تلزم من تحليلاتنا للأحلام . فلو قد تسنى لنا بطريقة لم يطبقها سائر المؤلفين على المواد المتجمعة عندهم عن الأحلام أن نثبت أن للحلم قيمته الخاصة من حيث هو فعل نفسى ، وأن الدافع إلى تكريره رغبة ، وأن خبرة اليوم السابق تمدّه بأقرب مادة يبنى منها محتواه ، فإن كل نظرية أخرى فى الحلم تغفل طريقة فى البحث تلك أهميتها وتظهر الحلم من ثمة فى صورة استجابة نفسية ، معلومة القيمة ، معماة ، إزاء بعض المنبهات الجسمية - هى نظرية مقضى عليها من غير حاجة إلى نقد خاص . هذا ، وإلا يجب أن يكون ثمة نوعان من الأحلام مختلفان أكبر الاختلاف ، مر أحدهما بى وحدى ومر الآخر بالبحثة السابقين وحدهم - وهو أمر بعيد كل البعد عن الاحتمال . والذى يبقى علينا - إذن - إنما هو أن نجد فى نطاق نظريتنا عن الحلم مكاناً للوقائع التى قامت عليها النظرية السائرة ، نظرية التنبيه الجسمى للأحلام .

لقد خطونا بالفعل الخطوة الأولى فى هذا الاتجاه حين مقنا تلك القضية ، وهى : أن الحلم يعمل مدفوعاً إلى أن يصوغ فى وحدة كل حوافز الحلم الناشطة فى وقت واحد (ص ٢٠٠) . وكنا رأينا أنه إذا تخلفت من اليوم السابق خبرتان أو أكثر من الخبرات القادرة على أن تستثير انطباعاً فإن الرغبات المتفرعة عن هذه الخبرات تدمج فى حلم واحد ، ورأينا كذلك أن الانطباع ذا القيمة النفسية يدرج فى مادة الحلم إلى جانب خبرات اليوم

السابق التافهة ، بشرط أن يتسنى لإيجاد أفكار تصل ما بينهما . وهكذا يبدو الحلم استجابة لكل ما يجتمع حضوره في النفس حضوراً ناشطاً . فعادة الحلم — بقدر تحليلنا لإياها حتى الآن — قد رأينا أنها مجموعة من البقايا النفسية والآثار الذكورية . اضطربنا (لما بدا من إثارة المادة الحديثة والطفلية) إلى أن ننسب إليها صفة نفسية تركناها حتى الآن من غير تحديد ، هي صفة الحضور الناشط . وعلى ذلك كنا لا نصادف كبير حيرة في أن نتنبأ بما يقع إذا ما جاءت مادة جديدة — هي الإحساسات — فأنضافت في خلال النوم إلى هاته الذكريات الحاضرة حضوراً ناشطاً : إن هذه التهيجات الحسية سوف تكتسب هي الأخرى أهمية بالنسبة إلى تكوين الحلم لكونها حاضرة حضوراً ناشطاً ، وهي سوف توحّد مع ما عداها من المواد النفسية ذات الحضور الناشط من أجل تزويد الحلم بالمادة التي تلزم تكوينه . وبعبارة أخرى : إن المنبهات التي تقع في خلال النوم سوف تصاغ بحيث يخرج منها تحقيق رغبة تتكون سائر مقوماته من بقايا النهار النفسية التي نعرف أمرها . ولكن هذا التوحيد أو الإدماج لا يحدث هرورة ، فقد رأينا أن المنبهات الجسمية التي تقع في أثناء النوم يمكن التصرف إزاءها بأكثر من طريقة . فإذ حدث ، لم يكن ذلك إلا لأن الوصول إلى مادة تستطيع أن تمثل كلا مصدرى الحلم — الجسدى والنفسى — قد تيسر .

وليس يغير من ماهية الحلم في شيء أن تضاف مادة جسمية إلى مصادره النفسية ؛ فالحلم يظل تحقيق رغبة أيّاً كانت الطريقة التي يتم عليها تحتم الصورة المفصحة عن هلا التحقيق بوساطة المادة الحاضرة حضوراً ناشطاً .

ولإني أفصح المجال هنا طواعية لطائفة من العوامل التي من شأنها أن تحدد مدى ما يكون للمنبهات الخارجية من الأهمية بالنسبة إلى الحلم ، فأن يسلك المرء على هذا النحو أو ذاك في حالة بعينها من الحالات التي يشتد فيها التنبيه الموضوعي في أثناء النوم اشتداداً نسبياً ؛ ذلك — كما أتصوره — أمر تحدده مجموعة متآزرة من عوامل فردية ، فيزيولوجية ، عارضة ، تنشأ عن ملاسبات الساعة : فعمق النوم عمقاً مألوفاً أو عارضاً — مأخوذاً في علاقته بشدة المنبه — سوف يتيح في حالة قمع المنبه بحيث لا يزعج النائم ويضطرب النائم في حالة أخرى إلى الاستيقاظ أو يؤيد محاولته في أن يسكت المنبه بإدخاله في نسج حلم من الأحلام . وعلى حسب هذه التراكيب المتعددة الممكنة فإن الإفصاح

عن المنهات الخارجية الموضوعية في صورة حلم سوف يكثر عند هذا الشخص - أو يقل - عنه عند ذاك . فأما فيما يتعلق بي - أنا الذى أنام نوماً ممتازاً وأرفض رفضاً عنيداً أن أنزعج في خلال النوم لأية علة كانت - فيندر كل الندرة أن تجد العلة الخارجية للتنبيه منفذاً إلى أحلامي ، في حين يتضح أن الدوافع النفسية تجعلني أحلم في سهولة لا مزيد عليها . والحق أني لم ألحظ لإحلامي واحداً يمكننا أن نعرف فيه على منه موضوعي أليم ، ويفيدنا فائدة كبرى أن نبحث أى أثر أحدثه المنبه الخارجي في هذا الحلم بالذات .

أركب حساناً ويمضى اللحن ، أركب أول الأمر في جبل ومن غير مهارة كما لو كنت لا أفعل سوى الصلح به . أتقابل أحد الزبلاء ، ب . ، وقد اضطررت جواده عالياً ، مرتدياً حلة من الصوف . يجذب ب . نظري إلى شيء ما (لعله سور ركوب) . أراق الآن أحكم ركوب جولدي ذى الذكاء الخارق إحكاماً متزايداً ، فأسفر عليه سترجماً ، وألاحظ أنني أجذب كل صوته كما لو كنت في داري . يقوم مقام السرج عندى شيء يشبه الحشية ، يشغل كل المسافة ، بين عق الجواد ومؤخره . أجرى على هذا النحو بين مرتين . بعد أن طعلت شوطاً من الطريق أستدير وأريد النزول أول الأمر عند كنيسة صغيرة ، مفتوحة ، تقوم في مواجهة الطريق . ثم بمثل أنزل بالفعل أمام كنيسة أخرى تقرب من الأولى . كان فنقي يقف في الطريق نفسه ، وكان يسئ أن أترك الحصان ينهب إليه بمفرده . ولكنني آثرت أن أقوده إليه . كأنما كان على أن أستمر النجول إذ أصل إلى هناك راكباً . يقف أمام الفتق غلام يطلق على مذكرة لا مَر عليها ، وهزاً بي من جرائها . كان مكتوباً على المذكرة - وقد غط طرطن تحت ما كتب : « لا أكل » ، ثم جملة ثانية (غير متميزة) مثل : « لا عمل » . تصعب ذك فكرة سبعة موداه أننى في مدينة غريبة لا أعلم فيها شيئاً .

إن المرة لا يفظن للوهلة الأولى إلى أن هذا الحلم قد جاء بتأثير من منه أليم ، أو - على الأصح - تحت إكراهه . ولكنني كنت منذ بضعة أيام أعانى خراجات جعلت على من كل حركة عذاباً . وأخيراً ظهر في كبس الحصين خراج بحجم التفاحة ، فكان سبباً في ألم لا يطاق مع كل خطوة أخطوها . وحالف الألم على تنفيهي كلال عموم وفقدان للشبهة ثم عمل النهار المضنى الذى مضيت رغم ذلك فيه . ولم أكن أملك كل القدرة على أداء تبعاى الطبية . ولكن من السهل - وتلك طبيعة العلة وموضعها - أن نتصور عملاً آخر ، كنت من غير شك أقل صلاحية له منى لأى عمل سواء ، وأعنى به : الركوب . وذلك على التحقيق هو النشاط الذى يسلمنى الحلم إليه ، لذلك جاء أقوى إنكار للمرض يستطيع أن يذهب إليه الخيال . والحق أنى لا أعرف الركوب ولا حلمت به غير هذا الحلم ، كل الأمر أنى أجلس على حصان مرة في حياتي وكان الحصان بغير سرج ولم أجد في ذلك متعة . ولكنني أركب في هذا الحلم ، كان لم يكن عندى خراج فنيا بين الفخذين أو - على الأصح - لأننى لا أريد أن يكون ثمة خراج .

وما السرج الذى جلست عليه - إذا حكمنا استناداً إلى وصفه - إلا الكمادة التى أعاننى على النوم . وأغلب الظن أنى - وقد هدأتى فعلها - لم أشتعر الألم فى خلال الساعات الأولى من النوم . بيد أن الإحساسات المؤلمة أخذت بعدها فى الظهور عاملة على إيقافى ، فأتى عندئذ الحلم يقول مهونا : « امضى فى سباتك فإياك من حاجة إلى الاستيقاظ ، وما بك خراج . فأنت تركب جواداً وما يستطيع امرؤ الركوب لو كان يشكو خراجاً فى مثل هذا الموضع ! » ونجح الحلم فى مأربه . فأخرس الألم ومضيت فى نوى .

ولكن الحلم لم يكفه أن « يوحى إلى » زوال الخراج ، بالإلحاح على فكرة لا تنفى مع الألم الذى كنت أعانيه . متخذاً فى ذلك مسلك الهجاس الملوذى الذى تسلكه الأم فقدت ولدها^(١) أو التاجر ضيعت خسائره ثروته . كلا . بل إن تفاصيل الإحساس المراد استبعاده وتفاصيل الصورة التى استخدمت فى كبت هذا الإحساس قد أفادت الحلم هى الأخرى من حيث كانت أداة توصل بها الحلم إلى أن يربط بالموثف الذى ظهر فيه سائر ما كان حاضراً فى النفس حضوراً ناشطاً وتوصل بها إلى تصويره . فأننا أركب حصاناً ومادى اللون ، ولون الحصان هو هولون الحلة التى كان يرتديها صديقى ب . حين قابلته أخيراً فى الريف : لون الملح واللؤلؤ . ولقد عزوت خراجانى إلى أننى كنت أكلت طعاماً زخر بالتوابل - وهو تحليل أقل ما يقال عنه هو أنه يفضل مرض السكر الذى قد ينتجه الذهن إليه أيضاً بمناسبة الخراجات . وصديقى ب . يجب أن يركب جواده العالى معى^(٢) منذ أن خلفنى لدى مريضة من المريضات كنت قد أظهرت فى علاجها الأملالين (كنت فى أول الحلم أركب الحصان من جانب واحد مثلما يفعل راكب متلفن) ، ولكنها فى الحقيقة - مثل الجواد فى قصة فارس الأحد^(٣) - كانت تقودنى حيثما تشاء .

(١) انظر الفقرة الواردة عند جرايزنجر [والمشار إليها فى ص ١٢٢] ، وكذلك الملاحظات الواردة فى مقالتي الثانية من الأصبه النفسية الدغامية (فرويد ١٨٩٦ ب) .

(٢) [تعبير يقال كتابة من الاستعلاء واليهابة] .

(٣) [بين خطابات فرويد إلى فليس (فرويد ١٩٥٠ أ) خطاب يتحدث فيه عن "البدا المروث" ، مبدأ ليصبح فارس الأحد : ليصبح ، إلام أنت راكب ؟ لا تسألنى ، أسأل الحصان أ "] .

وهكذا صار الحصان يرمز للمريضة (كان خارق الدكاء في الحلم) . وأما جملة « أحس أننى على صهوة كذا لو كنت فى دارى » فتشير إلى المكائنة التى كنت أشغلها فى منزل هاته المريضة قبل أن يخلفنى فيه ب . وكان أحد القلائل من ذوى الفضل على بين كبار أطباء هذه المدينة قد قال لى منذ زمن غير بعيد وهو يشير إلى هذا المنزل : « كنت أظنك ثابتاً على السرج هناك » . ثم أن أقوم بالتطبيب النفسى من ثمانى إلى عشر ساعات فى اليوم وبى كل هذا الأكم - ذلك أيضاً كان فعل رجل ههنا^(١) . غير أننى كنت أعلم أننى لن أستطيع « واصله على الجمل الصعوبة بغير عافية مكتملة » ، والحلم ملء بالإشارات العابسة إلى ما ليس بد من حدوثه عندئذ (المذكورة . مثل المذكرات التى يحملها مرضى النوراستانيا لكى يروا الطبيب إياها) : لا عمل ، لا أكل . وحين واصلت تفسير الحلم رأيت أن عمل الحلم قد أفلح فى أن يجد طريقاً يمتد من الموقف المرغوب فيه ، موقف الراكب ، إلى مشاهد شجار ترجع إلى طفولتى المبكرة . مشاهد لا بد أنها وقعت بينى وبين ابن أخ لى يعيش اليوم فى إنجلترا ، وكان بعد يكبرنى بعام واحد . والحلم فوق ذلك قد استمد بعض عناصره من رحلاتى إلى إيطاليا : فالشارع قد تركب من انطباعات من فيرونا وسينا . ثم إن تعمق التفسير إلى أبعد من ذلك يسوق إلى أفكار جنسية . وإلى لأتذكر ماذا كانت تعنيه الإشارة إلى إيطاليا فى أحلام مريضة لم تكن قد رأت قط هذا البلد الجميل (gen Italien [إلى إيطاليا] - Genitalien [الأعضاء التناسلية]) ، ولم يكن ذلك أيضاً بغير ارتباط بالمنزل الذى كنت طبيبه قبل ب . وبالموضع الذى ظهر فيه خراجى .

وثمة حلم آخر أفلحت فيه بطريقة مماثلة فى أن أدفع خطراً هدد بأن يقطع نوى ، أتى هذه المرة من منه حسى ، إلا أن الصدفة وحدها هى التى مكنتنى فى تلك الحالة من أن أكتشف الرابطة بين هذا الحلم وبين منه الطارئ ومن أن أفهم الحلم تبعاً لذلك . فقد استيقظت ذات صباح - وكان ذلك فى أوج الصيف ، فى مكان جبلى بالتيروول - وأنا أذكر أننى قد حلمت بهذا الحلم : مات البابا . واستعصى على أن أفسر هذا الحلم القصير . غير البصرى ، ولم أذكر سوى أصل من أصوله ، وهو أننى كنت قد طالعت فى

(١) لى يفعل الأعاجيب .

إحدى الصحف أن قدامة البابا كان يشكو توعكاً خفيفاً . غير أن امرأتى سألنى فى خلال الصباح : أسمعتم قرع الأجراس المغرز صباح اليوم ؟ ولم أكن أعلم ذلك ، لم أكن أعلم أنى سمعتها ، ولكنى أفهم الآن حلمى : إنه كان استجابة استجابتها حاجتى إلى النوم تجاه الضوضاء التى أراد أهل التبرول الانتباه إيقاظى بها : لقد أدركت منهم ثأرى بأن خلصت إلى تلك النتيجة التى تكون منها عتوى الحلم ، ثم مضيت فى نوى دون أدنى مزيد من الاحتفال بالأجراس وقرعها .

وبين الأحلام التى ذكرناها فى الفصول السابقة أحلام كثيرة ، يمكن اتخاذها أمثلة على الصياغة الجديدة التى تلقاها المنبهات المسماة منبهات عصبية . فاحلمت به من شرب الماء على جرعات كبيرة [ص ١٥٠] كان مثالا على ذلك : فقد كان المنبه الجسمى مصدره الوحيد - فيما يبدو - وكانت الرغبة الناشئة عن الإحساس - وأعطى بها العطش - هى الدافع الوحيد إليه . والأمر أشبه بذلك فى أحلام أخرى خالية من التعقيد ، يبدو المنبه الجسمى فيها قادراً بذاته على أن يخلق رغبة . وحلم المريضة التى ألفت فى أثناء الليل بالجهاز المبرد عن خلدتها [ص ١٥٢] يرينا منبهاً غير مألوف فى الاستجابة إلى المنبه الأليم بتحقيق الرغبة : إن الموقف يبدو فى هذا المثال كما لو كانت الحاملة قد نجحت فى أن تجرد نفسها من حاسة الألم بأن تنسب آلامها إلى شخص عداها .

وحلمى ، حلم آلهات القدر الثلاث [ص ٢٢٤] : كان صراحة حلم جوع ، إلا أنه عرف كيف ينقل الحاجة إلى الطعام راجعاً بها إلى رغبة الطفل فى صدر أمه ، وكيف يجعل من تلك الرغبة البريئة غطاء يستر به أخرى أشد خطراً ولا يجوز الإعراب عنها بمثل هذه الصراحة . وفى وسعنا أن نرى فى حلم الكونت تون أى طرق تربط بين حاجة جسمية عارضة وبين نوازع هى أشد نوازع الحياة النفسية عمقاً ، وإن تكن أيضاً أشدها حفظاً من القمع . وإذا كان القنصل الأول [نابليون] - على ما يرويه جازنيه - قد نسج حلماً بمعركة من دوى قبلة انفجرت قبل أن يوقظه هذا الدوى ، فإنه قد كشف بذلك فى وضوح فريد فى بابهِ عن الدافع الأوحى الذى من أجله يشغل النشاط النفسى فى خلال النوم بالإحساسات . وأعرف محامياً شاباً نام فى عصر يوم وهو ممتلئ الرأس بأول قضاياها الهامة ، سلك مسلكاً لا يفتقر من مسلك نابليون العظيم فى شيء : فقد حلم برجل يدعى

ج . رايخ من [مدينة] هوسباين . وكان قد تعرف به في قضية من القضايا ، وظل اسم هوسباين هذا بلع عليه حتى استيقظ فإذا زوجته - وكانت تشكو رشحاً صدرياً - قد أخذتها نوبة من السعال [بالألمانية husten] .

ولنقارن حلم نابليون الأول الآنف الذكر (ونعلم أن نابليون كان ينام نوماً خارق العمق) بحلم ذلك الطالب النؤوم الذى جاءت ربة الدار توقظه . وكان عليه أن يذهب إلى المستشفى . فحلم أنه هناك . راقد على أحد الأسرة . ثم مضى في نومه بحجة أنه لا يحتاج إلى النهوض من فراشه لكي يذهب إلى المستشفى ما دام موجوداً به [ص ١٥١] . إن من الواضح أن هذا الحلم حلم أخذ بالأسهل . ولقد صرح الحالم نفسه بدفاعه إلى الحلم من غير خفاء . ولكنه بهذا عينه يكشف الغطاء عن سر من أسرار الحلم عامة : فكل الأحلام أحلام أحمال بالأسهل . بمعنى من المعاني ، فالهدف الذى تخدمه هو إطالة النوم بدل الاستيقاظ : إن الأحلام حراس النوم لا مزعجاته . ويتاح لنا في موضع آخر أن نبرر هذه النظرة فيما يتعلق بالعوامل النفسية التى تدفع إلى اليقظة [القفيل السابع ، القسم د] . ولكننا نستطيع منذ الآن أن نبين صدق انطباقها فيما يتصل بصيب المنبهات الخارجية . فالنفس إما أن تغفل جملة مناسبات الإحساس في أثناء النوم - إذا سمعها هذا الإغفال على رغم شدة المنبهات ورغم ما تعرف من دلالتها - ، أو هى قد تلجأ إلى الحلم لكي تنكر به وجود هذه المنبهات . أو هى - ناكث حين لا تجد مفرّاً من التسليم بها - تلتصق لها تفسيراً من شأنه أن يحيل الإحساس الحاضر الناشط إلى جزء مقوم من أجزاء موقف مرغوب فيه ، يتفق والنوم . فالإحساس الحاضر الناشط إنما يسج في حلم لكي يُسَلَّبَ والعيته . ولنابليون أن يعضى في نومه ؛ فما يعدل على إزعاجه سوى حلم يذكره بقصف المدافع في آر كول ^(١) .

وهكذا فرغبة النوم التى يستغرق فيها الأنا الشعورى والتى تُكوّن بالإضافة إلى الرقابة وإلى المراجعة الثانوية التى يجرى ذكرها فيما بعد نصيب الأنا الشعورى في الحلم يجب أن يحسب حسابها في كل حالة من حيث هى دافع إلى تكوين الحلم ، وكل حلم

(١) إن المرجعين الذين عرفت منهما هذا الحلم لا يطلقان في روايته .

فاجح هو تحقيق هذه الرغبة . وسوف نبحث في موضع آخر أمر العلاقة بين هذه الرغبة العامة التي لا تختلف ولا تختلف - رغبة النوم - وبين سائر الرغبات التي يحقق محتوى الحلم الواحدة منها حيناً ثم الأخرى حيناً آخر . وأما الآن فلنا اكتشافنا في رغبة النوم هذه ذلك العامل الذي يستطيع أن يسد وجه النقص في نظرية شرومبل وفونت وأن يفسر الطريقة الفاسدة التعسفية التي تفسر بها المنبهات الخارجية . فالتفسير الصحيح الذي يستطيع الذهن النائم إتيانته تمام الاستطاعة يتضمن اهتماماً فعالاً ويستلزم إنهاء النوم . ولهذا السبب لم يُترك المجال إلا لما كان - بين جميع التفسيرات الممكنة - متفقاً مع الرقابة المطلقة التي تزاوجها الرغبة في النوم . وكأني بالحلم يقول : إنه البلب لا القبرة ؛ فلو أنها كانت القبرة . لكان معنى ذلك أن ليل العاشقين قد حان ختامه . وعلى ذلك لم يكن يُستحب من بين التفسيرات التي يمكن تفسير المنبه بها إلا هذا التفسير الذي يستطيع أن يوفر أحسن رباط بالاندفاعات الراغبة التي تبرز في النفس . وهكذا كل شيء محتوم من غير لبس . ولا شيء متروك للهوى . وخطأ التفسير لبس وهماً ، بل هو - إن جاز التعبير - محاطلة . ولكن علينا أن نلّم بأننا نجد أنفسنا هنا من جديد - كما في حالة التبدل بالنقل وفقاً لمقاصد الرقابة [انظر ص ١٩٩] - بإزاء فعل يجهد عن العمليات النفسية السوية .

وحيث تبلغ المنبهات العصبية الخارجية والمنبهات الحسية الباطنية حدّاً من الشدة يحمل النفس على الانتباه إليها . فلها نصير - هذا إذا أدت إلى الحلم وليس إلى اليقظة - بمثابة النقطة الثابتة في تكوين الحلم . نواة تتجمع من حولها مادته . ويدور البحث عن تحقيق رغبة متشقة معها ، على نحو ما يدور البحث عن أفكار وسطى تربط ما بين منبهين نفسيين (انظر ما سبق [في ص ٢٤٦-٢٤٧]) . وإلى هذا المدى يصدق على بعض الأحلام أن العنصر الجسمي يملئ فيها محتوى الحلم . ولقد يذهب الأمر في هذه الحالة المتطرفة إلى حد استدعاء رغبة ليست بالحاضرة الناشطة من أجل تكوين الحلم . بيد أن الحلم لا يملك إلا أن يصور رغبة وقد تحققت في موقف من المواقف ؛ فهو - إن جاز التعبير - يواجه تلك المشكلة : أن يبحث عن الرغبة التي يمكن تصوير تحقيقها بواسطة الإحساس الناشط حاضراً . فإن كانت هذه المادة الحاضرة ذات طابع كرهية أو مؤلم . لم يكن ذلك بالضرورة أن استخدامها من أجل تكوين الحلم قد صار محالاً ؛ فإن بالنفس رغبات يجلب تحقيقها

الأم ، ولقد يبدو ذلك شيئاً متناقضاً ، ولكنه يبدو للفهم إذا لم ننس وجود عاملين نفسيين ووجود رقابة بينهما .

فى الحياة النفسية - كما رأينا - رغبات مكبوتة تنتمى إلى النظام الأول ، ويناقض النظام الثانى تحقيقها . وأنا إذ أقول : إن ثمة رغبات مكبوتة من هذا القبيل ، لا أطلق حكماً تاريخياً قصاراه أن هذه الرغبات قد وجدت حيناً ثم اُمتعت ، بل إن نظرية الكبت التى لا يستغنى عنها المرء فى دراسة الأعصاب تؤكد أن هذه الرغبات المكبوتة لا تزال قائمة وإن قام فى الوقت نفسه معها كف يوازنها . ويصيب العرف اللغوى (فى الألمانية) كيد الحقيقة حين يتحدث فى صدد هذه الاندفاعات عن « *Unterdrücken* » [أى « دفع إلى أسفل » ومعناه القمع] . والحيل النفسية التى تمكن هذه الرغبات المقموعة من أن تشق طريقها إلى التحقيق لا تنفى قائمة ، قابلة للاستخدام . ولكن دع رغبة مقموعة من هذا القبيل توضع موضع التنفيذ : إن كف النظام الثانى ، المطلوب على أمره (وهو النظام القادر على الصبر إلى الشعور) يفصح عندئذ عن نفسه فى صورة الأم . ولكى نختم هذه المناقشة نقول : إنه إذا نشأت فى أثناء النوم إحساسات ذات طابع أليم صادرة عن مصادر جسمية ، استغل عمل الحلم هذا الوضع فى تصوير تحقيق رغبة تلاقى عادة بالكف - هذا مع بقاء الرقابة إلى درجة تنقص أو تزيد ^(١) .

وهذا الوضع هو الذى يتيح وقوع طائفة من أحلام الهيلة ، فى حين تم عن ميكانيكية مختلفة طائفة ثانية من تلك التراكيب الحلمية التى لا تحمل على تأييد نظرية الرغبة : ذلك أن الهيلة فى الأحلام قد تكون هيلة عصابية ، ناشئة عن تهيج نفسى جنسى ، وهى فى هذه الحالة تعدل ليبدو مكبوتة . وعندئذ تكون للهيلة : كما حلم الهيلة جميعه . قيمة العرض النفسى ، ونكون اقترابنا من الحد الذى يتخطى عنده ميل الحلم إلى تحقيق الرغبة . وأما أحلام الهيلة الأخرى فالهيلة فيها تنجم عن الجسم (مثلاً) يقع حين تمرى مرضى الرثتين أو القلب صعوبة فى التنفس . وفى هذه الحالة تستغل الهيلة فى المعاونة على أن تتحقق فى صورة الحلم رغبات مكبوتة كبتاً عتيقاً ، لو أن الدوافع إلى الحلم بها كانت دوافع نفسية لكانت النتيجة انطلاق الهيلة كذلك . وليس

(١) [يعود فرويد إلى معالجة هذا الموضوع فى القسم ج من العمل السابع ، ص ٥٤٧ وما بعدها .]

من الصعب أن نجتمع بين هاتين الحالتين على ما يبدو من انفصلهما ؛ ففي كليهما نجد عنصرين نفسيين مرتبطين كلا بالآخر أوثق الارتباط ؛ هما نزوع وجداني ومحتوى فكري . يستدعى أحدهما - وهو الحاضر الناشط - العنصر الآخر حتى في الحلم ؛ فطوراً تستدعي الهيلة المحتمة بعلم جسمية المحتوى الفكري للحلم . وطوراً آخر يستتبع المحتوى الفكري- بعد أن تحرر من عقال الكبت بما يصحبه من تهيج جنسى- يستتبع انغلاق الهيلة . ونستطيع أن نقول عن الحالة الأولى : إن حالة وجدانية محتمة بعلم جسمية قد لقيت فيها تفسيراً نفسياً ؛ وأما الحالة الثانية فالكل فيها ذو أصل نفسى إلا أن تفسيراً جسمياً يتلامم والهيلة قد حل فيها من غير عتاء محل المحتوى الذى كان مكبوتاً . وعلى أية حال . فإن الصعوبات التى نلقاها فى فهم هذا كله لا تحمل كبير صلة بمسألة الأحلام ؛ إنها ترجع إلى كوننا نقرب ههنا من مشكلة نشوء الهيلة ومشكلة الكبت .

وما من شك فى أن الحالة المزاجية العامة للجسم [انظر ص ٧٢] تدخل فى عداد المنبهات الجسمانية الباطنة التى تتحكم فى محتوى الحلم ؛ لالكونها تستطيع أن تمد الحلم بمحتواه ، ولكنها تمل على أنكار الحلم أن تختار ما تختاره من المادة المعدة لأن تصور فى محتوى الحلم . وذلك من حيث إنها تقرب ما كان من أجزاء تلك المادة متلائماً وطبيعياً بينا تبعد الأجزاء الأخرى . أضف إلى ذلك أن تلك الحالة المزاجية العامة المتخلقة من النهار ترتبط ببقايا النهار النفسية - مع ما لهذه من أهمية بالنسبة إلى الحلم . ولقد يبق هذا المزاج هو هو فى خلال النوم ، وقد تم الغلبة عليه ؛ فإن كان أليماً انقلب إلى الضد .

وهكذا أقدر أن مصادر التنبيه الجسمية (أى إحساسات النوم) إنما تأخذ من تكوين الحلم بنصيب يماثل نصيب ما يتخلف عن النهار من انطباعات حديثة العهد لكنها خالية من الشأن - هذا إلا إذا كانت تلك المصادر ذات شدة غير مألوفة . أى أنهى أعتقد أن الأحاسيس الجسمية إنما يستعان بها فى تكوين محتوى الحلم إذا كانت تتلامم والمحتوى الفكرى المستمد من مصادر الحلم النفسية بحيث يمكن التوحيد بينها وبين هذا المحتوى الفكرى ، وإلا لم يستعن بها . فهى تعامل بمثل ما تعامل به مادة رخيصة سهلة

النال في كل وقت . تنطاع للمرء كلما احتاج إليها . وليس كعادة ثمينة . نفرض بلاتها وجه استخدامها . فمثل الحال هنا كمثل أحد الحاديين على القنون الجمعية أتى فناً بججر كريم - كقطعة من العقيق - لكى يصوغ منه أثراً فنياً ، إن حجم القطعة ولونها وتشريحها سوف تعين الفنان على أن يقرر أى رأس أو أى منظر يصلح لأن يصور فيها . على حين أن الفنان لا يحتاج في مادة متساوية موفورة - كالمرمر أو الحجر - إلى غير متابعة الفكرة التى تهبأت في ذهنه . وعلى هذا النحو وحده نفهم - فيما يبيأ إلى - تلك الحقيقة : أن المنهات العضوية ذات الشدة المألوفة لا تظهر آثارها في عتوى الحلم في كل حلم وفي كل ليلة . وإن زودت الحلم ببعض محتواه أحياناً^(١) .

[انظر ص ٢٤٥] .

وربما كان أحسن ما يوضح معناه مثلاً يعود بنا من جديد إلى تفسير الأحلام . فقد كنت أجهل ذات يوم في فهم المعنى الذى تراه يكون لهذا الإحساس الذى يكثر في الأحلام أبما كثرة ويقرب من الهيلة أبما قرب : حين يشعر المرء بأنه قد كف ، أو سمر في موضعه . أو فقد القدرة على إتيان عمل من الأعمال . إلخ . فلما كان الليل جامعاً هذا الحلم أسعد السلم وأنا مرتد ثياب منقوصة إلى حد كبير ، من شقة في الطابق الأرضى إلى طابق أهل . كنت أنهب السلم ثلاث درجات في كل خطوة وأنا سعيد بهذه الهفة . أرى فجأة غادماً تنزل السلم ، لى مقبلة نحوى . يتولأ النجل وأريد أن أمسى سرماً . وفى هذه اللحظة يحل بى هذا الشعور بالكف : لقد سمرت على الدروج ولم أجد أستطيع حراكاً من ونسى .

التحليل : إن الموقف الذى يظهر في الحلم مأخوذ من واقع كل يوم ، فأنا أشغل في منزل بفتينا شقتين لا يصل بينهما سوى السلم المشترك . وتقع غرفة الاستشارة مع مكتبى في الطابق الأول . بيئنا تقع غرف السكن في الطابق الأعلى . فإذا فرغت من عملى في ساعة متأخرة من الليل صعدت السلم إلى حجرة النوم . وكنت في الأمسية التى سبقت الحلم قد قطعت هذه المسافة القصيرة وأنا حقيقة مبهرت الثياب بعض الشيء . وأعنى أننى نزعت البنيقة وربطة العنق والأكام . وتزيد في الحلم درجة التجرد من الثياب - وإن

(١) لقد بين رانك في مقالات متعددة أن الأحلام الجالبة لليقظة والتى تحدث من منبهات عضوية (مثل الأحلام ذات المنبه البيل وأحلام الإنزال) تصلح صلاحية خاصة للبرمة حل الصراع بين الحاجة إلى النوم ومطالب الحاجات النفسية ، وكذلك على تأثير تلك الحاجات في محتوى الحلم .

بقيت غير معدة . كما هو الشأن عادة . [انظر ٢٦٠ و ٢٦٢] ومن عادى أن أنهب السلم على هذا النحو . وهى عادة كان جلياً فى الحلم أيضاً أنها تحقق رغبة ، فالسهولة التى أصعد السلم بها كانت تطمئننى إلى حالة القلب عندى . وعدا ذلك ، كانت هذه الطريقة فى الصعود تناقص الكف الذى أعقب فى النصف الثانى من الحلم مناقضة فعالة ، إنها كانت تريبى - وهو ما لم يكن محتاجاً إلى برهان - أن الأحلام لا تجد أقل صعوبة فى تصوير الأفعال المركبة وهى تؤدى أداء يبلغ حد الكمال . ويمكن أن يفكر المرء فى أحلام الطيران !

غير أن الدرج الذى أصعده لم يكن درج منزلى . وقد عجزت لاهولة الأولى عن معرفته . ولم أثبت أى مكان هو المعنى إلا حين عرفت من هو الشخص الذى أقبل نحوى : إن هذا الشخص خادم تعمل لدى سيلة متقدمة فى السن أزورها فى كل يوم مرتين لكى أحققها . والسلم أيضاً كان يشبه كل الشبه سلم منزلي ، هذا السلم الذى كنت أصعده فى النهار مرتين .

ولكن كيف كان لهذا السلم ولهذا الشخص الأثوى أن يدخل حلمي ؟ إن الحجل لتجردى من الثياب بعض التجرد خجل ذو طابع جنسى من غير شك . ولكن الخادم الذى أحلم بها تكبرنى سنّاً ، عبوس ، عاطل ولاشك من الجاذبية . الجواب الوحيد الذى يخطر لى هنا هو هنا : كنت عندما أزور هذا المنزل زيارة الصباح يتأبى السعال عادة وأنا أصعد السلم . ولم يكن بد من أن يقع البصاق على الدرج ، فلم تكن هناك مبصقة فى أى من هذين الطابقين ، وكانت وجهة نظرى هى أن نظافة السلم لا ينبغي صونها على حسابى ، بل يجب تسييرها بوضع المبصقات . ولكن بوابة المنزل - وهى أيضاً عجوز عبوس وإن تكن فطرت على النظافة - كما أسلم به طائعاً - كانت ترى رأياً مختلفاً : فهى تريقنى لترى هل أبيع لنفسى الفعل الذى ذكرته . فإن رأيته أفعله سمعت لها همهمة لا تُخطأ ، وظلت بعد ذلك أياماً لاتجيب التحية بمنزلها . واتفق فى يوم الحلم أن انتصرت الخادم لحرب البوابة : فقد كنت فرغت على عجل - شأني دائماً - من زيارة المريضة ، حين استوقفتنى الخادم لتلئ بهذه الملاحظة : « يا سيدى الطبيب أما كان يسعدك أن تمسح نعليك اليوم قبل أن تدخل الحجرة ، لقد اتسخت السجادة الحمراء

كلها من قدميك مرة أخرى . وهذا هو كل ما يجوز للسلم والخادم أن يظهر في حلمي .

وهناك رباط باطن يربط ما بين انتهاب السلم والبصق عليه . فالعمال - كمرض القلب - يعد لوناً من العقاب على رذيلة التدخين . وهي رذيلة كان من جرائها أن سمعى من ناحية النظافة لم تكن على أحسن ما يرام قبل السلطات المعنية في منزل نفسي ؛ إنها ضعيفة في كلا المنزلين على السواء حتى إن الحلم قد مزجها في صورة واحدة .

ولست أجد بدءاً من أن أرجئ المضي في تفسير الحلم حتى أبين منشأ هذه الأحلام الخفية التي نرى فيها أنفسنا متجربين بعض التجرد من الثياب . وإنما أكتفى هنا بالإشارة إلى نتيجة موقوفة تخلص من الحلم الذى رويته ؛ وهي : أن الشعور بكف الحركة إنما ينشأ في الحلم كلياً انتضت ذلك ملابس خاصة . فمن المحال أن تكون علة هلا المحتوى الحلمى تغييراً خاصاً طرأ على قدرتي الحركية في أثناء النوم ؛ فقد رأيتني منذ لحظة سبقت (كأنما كان المراد دعم ما أقول) وأنا أهول على الدرج دون ما عناء .

د

الأحلام الخفية

إننا لانجد نفسنا - بوجه عام - في موقف يسمح لنا بأن نفسر أحلام شخص سوانا ، إلا إذا قبل الحالم أن ينقل إلينا أفكاره اللاشعورية الكامنة وراء محتوى الحلم ؛ ولهذا حُدّ إلى مدى كبير إمكان التطبيق العملي لمنهجنا في تفسير الأحلام^(١) . غير أن هناك أحلاماً تخالف كل المخالفة هذه الحرية التي يملكها كل فرد في أن يشكل دنيا

(١) إن القول بأن منهجنا في تفسير الأحلام لا يمكن تطبيقه إلا إذا وقفنا على المادة الاستيعابية عند الحالم يقتضى نكته بالنص على أن نشاطنا التفسيري يصبح مستقلاً عن هذه المستعجلات في حالة واحدة ؛ إذا -

الحلم عنده على حسب خصوصيته . جاعلا فهمها أمراً ممتنعاً على الآخرين : إنها أحلام لا يكاد يكون بيننا امرؤ لم يحلم بها على نحو لا يختلف عنده منه عند الآخرين . وألفنا أن نفترض لها معنى واحداً عند الجميع . هذه الأحلام النطية هي أيضاً أحلام ذات أهمية خاصة ، لأنها تنشأ في الراجع من مصادر واحدة عند جميع الناس ، وهي لذلك تبدو ذات صلاحية خاصة لأن تلقى بعض الضوء على مصادر الحلم .

ومن ثمة كنا نأخذ في تطبيق منهجنا التفسيري على هذه الأحلام النطية ونحن نعتقد عليه آمالاً كبيراً . لكي نتيقن بعد ذلك على مضمض أن منهجنا هذا لا يجيب تلك الآمال الكبار فيما يتصل بهذه المادة بالذات . ذلك أن الذي يقع عادة حين نتعرض لتفسير الأحلام النطية هو أن تفيض خواطر الحالم — تلك الخواطر التي كانت تتبع لنا فهم الحلم في غير ذلك من الحالات — أو هي تفضض وتندر ، بحيث نعجز عن أن نحل مشكلتنا بمعاونتها .

فما منشأ ذلك ؟ وكيف نسد هذا النقص في طريقتنا ؟ ذلك ما سوف يتضح في موضع آت من هذا الكتاب . [القسم هـ من الفصل السابع] وعندئذ سوف يتبين أيضاً للقارئ لم كنت لا أستطيع أن أتناول هنا سوى أعماط قليلة من مجموعة الأحلام النطية ، مرجحاً مناقشة ما عداها إلى ذلك الحين .

(أ) أحلام الارتباك من جراء العرى

إن الأحلام التي يرى فيها المرء نفسه عارياً من الثياب أو متجرداً بعض التجرد منها قد تسم أيضاً بتلك السمة : وهي أن يغيب عند الحالم كل شعور بالحجل أو بما شاكله . ولكننا لن نشغل بأحلام العرى إلا حين يستشعر فيها المرء الحجل والارتباك ، ويريد الفرار أو الاختباء . وعندئذ يتولاه كف غريب . فلا يستطيع من موضعه حراكاً ،

— استخدم الحالم عناصر رمزية في محتوى الحلم . فعندئذ يتسنى لنا أنفتحيه للمفسر في تفسير الحلم يمكن وصفه وصفاً دقيقاً بأنه منج ثانوي مساعد . (انظر ما يلي [القسم هـ من الفصل السابع]) .

ويحس العجز عن أن يغير من موقفه الألم . وبغير هذه المصاحبة لا يكون الحلم حلمًا نمطيًا ؛ فلا شيء يمنع إذا هي ارتفعت من أن تدرج النواة التي ينور من حولها محتوى الحلم وسط ملايات من كل نوع . أو من أن تزان بتطاريظ تختلف باختلاف الأفراد . فالحلم يقوم في جوهره [من حيث هو حلم نمطي] على هذا الشعور الألم الذي هو خجل . وفي كون المرء يود لو أخفى عريه - بالحركة في أغلب الأحيان - ولكنه يجد نفسه عاجزاً دون ذلك . وأعتقد أن الغالبية العظمى من القراء قد عرفوا هذا الموقف في الحلم .

والأولف هو أن يكون نوع العري ومداه بعيدين عن الوضوح . فقد نسمع الحلم يقول : « كنت أرتدى قميصاً » ، ولكن قل أن تكون هذه صورة متميزة ، فالعري في الأغلب غير محدد . حتى إن الراوى بعدد في وصفه الاحتمالات : « كنت ألبس قميصاً أو معطفاً » . والنقص في الثياب لا يكون في العادة خطيراً إلى المدى الذي يبدو معه مرراً لما يصحبه من الخجل ، بل إن العري كثيراً ما تستبدل به عند من ألف الملابس العسكرية طريقة في الارتداء تخرج بعض الشيء على التعليقات : « كنت أسير في الطريق بغير سيف ورأيت بعض الضباط يقبلون » ، أو « كنت بغير ربطة عنق » ، أو « كنت أرتدى سراويل مدنية » : إلخ .

وأما الناس الذين يستشعر المرء قبالتهم هذا الخجل فيكادون أن يكونوا دائماً غرباء تركت سياهم من غير تحديد . ولا يحدث أبداً في الحلم النمطي أن تلقى طريقة الارتداء التي توقع صاحبها في كل هذا الارتباك اعتراضاً ، ولا هي تُعَارِ التفاناً ، بل تحمل الناس على العكس وجوهاً لا تبالى أو - كما لحظته في حلم فريد في دلالاته - وقورة ، جامدة . لئى ذلك مدعاة إلى التفكير .

نعم ، إن ارتباك الحلم وقلة احتفال الناس يطالغاننا - مجتمعين - بتناقض من قبيل ما يكثر وقوعه في الأحلام : فإنما كان يماشى مشاعر الحلم أن ينظر إليه الغرباء في دهش واستهزاء أو مستكرين . بيد أنى أظن أن هذا الوجه الفاضح من الموقف قد أزيل بفعل تحقيق الرغبة في حين أبقت على الوجه الآخر [الارتباك] قوة من القرى ، وهكذا لا يتوأم الشطران كلا والآخر . ولدينا شاهد مجمع على أن الحلم في صورته التي شوهدتها الرقابة تشويهاً جزئياً لم يلق فهمه الصحيح . ذلك أن هذا الحلم قد كان الأساس الذي بنيت عليه قصة صرنا جميعاً نعرفها في رواية هانس أندرسن (« حلة الإمبراطور الجديدة ») .

ونظمها حديثاً لودفيج فولدا في «الطلسان» : تحدثنا قصة أندرسن عن محتالين نسجا للإمبراطور رداء غالى الثمن لا يراه إلا الأختيار اغتصون . ويخرج الإمبراطور مرتدياً هذا الرداء الخفى . ويخاف الناس مما يزعم للتسيج من القدرة على امتحانهم . فيسلكون كما لو كانوا لا يرون عرى الإمبراطور .

ولكن هذا عينه هو الموقف الذى نجده فى حلمنا . ولنا نجاحف كثيراً حين نقدر أن لا معقولة الحلم هى التى كانت الحافز إلى اختراع رداء يجعل لهذا الموقف - كما يمثل فى ذاكرتنا بعد الحلم - معنى ما . صحيح إن الموقف يُسلب فى أثناء ذلك معناه الأصلى ويسخر فى خدمة أغراض مغايرة . ولكن مثل هذا الفهم الخاطئ الذى يلقاه محتوى الحلم من جانب النشاط الفكرى الشعورى الصادر عن نظام نفسى ثان - سوف نعلم أنه أمر كثير الوقوع وأنه يجب أن يعد بين العوامل التى تخلف على صورة الحلم شكلها الأخير^(١) ، وسوف نعلم فوق ذلك أن أخطاء مماثلة فى الفهم - تقع أيضاً فى نطاق الشخصية النفسية الواحدة - تشارك بنصيب رئيسى فى تكوين الأفكار القهورية والخافوف الشاذة . ثم إن من السهل فيما يتصل بحلمنا أن نبين من أين استقيت المادة التى أقيم عليها التفسير الخاطئ : فالمحتال هو الحلم . والإمبراطور هو الحالم نفسه . والميل إلى الموعظة الخلقية ينم عن معرفة مبهمة بأن الأمر يدور فى محتوى الحلم الكامن حول رغبات حمرة ، ذهبت ضحية الكبت . والحق أن السياق الذى تظهر فيه أمثال هذه الأحلام فى أثناء قيام بتحليل العصابين لا يترك أقل مجال للشك فى أن الحلم قائم على ذكريات ترجع إلى الطفولة المبكرة . فطفولتنا هى الزمن الوحيد الذى كنا نرى فيه غير مكتملى الثياب سواء من الآخرين أم من الغرباء . كالمربيات والخدم والوزار . ولم تكن إذ ذاك نشعر بالجلجل لمرينا^(٢) ونستطيع أن نلاحظ كيف يطرب الكثير من الأطفال . ممن تقدموا مع ذلك بعض التقدم فى السن . حين ينزعون ملابسهم . بطربون إلى ما يقارب المثل بدل أن ينجعلوا . فهم يتصاحكون ويتواثبون ويتبادلون الضربات على صفحات أجسامهم ، بينما تفرعهم أمهم أو من اتفق حضورها قائلة : آه . إن هذا عار لا يجوز . والأطفال كثيراً ما يظهرون التذاذهم بأن يعرضوا أنفسهم ، فلا يكاد المرء يمر بقرية فى ريفنا دون أن

(١) [يشير فرويد هنا إلى عملية " المراجعة الثانوية " التى يشرحها فى القسم الأول من الفصل السادس].

(٢) قصة أندرسون يظهر فيها طفل كلك ، طفل هو الذى يصيح : ولكنه عار !

يصادف طفلاً في الثانية أو الثالثة يرفع أمامه جلبابه الصغير - ربما على سبيل التكريم .
 وبين مرضى مريض حفظت ذاكرته الشعرية مشهداً وقع له وهو في الثامنة من عمره ،
 حين أراد وقد نزع ثيابه متأهباً للنوم أن يرقص وليس عليه سوى القميص في الحجرة
 المجاورة حيث أخته الصغيرة . فصدته المربية عن مراده . والتعوى أمام أطفال الجنس
 الآخر ظاهرة لها نصيب ضخم في تاريخ الطفولة عند العصائين : كما أن ما يهيا في
 البارانونيا للمريض من أنه ملحوظ حين يرتدى ثيابه وحين ينزعها يجب إرجاعه إلى خبرات
 من هذا القبيل . هذا بينما نجد بين من بقوا على انحرافهم طبقة اشد عندنا هذا الاندفاع
 الطفلي حتى بلغ مبلغ العرض المرضي : تلك هي طبقة المستعرضين .

هذه الفترة من الطفولة التي لا تعرف الخجل تبدو للنظر حين نرده إليها ضرباً من
 الفردوس ، والفردوس نفسه إن هو إلا تخيل جماعي عن طفولة الفرد ، لهذا كان الناس
 في الفردوس كذلك عراة لا ينجلون حين يتواجهون ، إلى أن جاء أوان فاستيقظ
 الخجل ودب الهول وتبع الطرد^(١) وأخذت الحياة الجنسية ومشاعل العمران في المسير .
 ولكن الحلم مستطيع أن يسرى بنا فيعيدنا إلى هذا الفردوس من جديد ، ولقد أعربت من
 قبل [ص ٢٤١] عن ظن مؤداه أن انطباعات الطفولة (أعنى من فترة ما قبل التاريخ
 إلى أن تقارب السنة الثالثة ختامها) تسمى إلى التكرار من تلقاء ذاتها ولذاتها ، وربما
 سعت إليه بغض النظر عن محتواها ، وأن تكرارها هذا يحقق رغبة . وهكذا تكون أحلام
 العرى أحلام استعراض^(٢) .

والحلم الاستعراضى تتكون نواته من الحلم الذى لا يترأى على ما كان عليه في طفولته
 بل كما هو في حاضره ، ومن رذاته المنقوص الذى يبدو غير متميز ، سواء أرجع ذلك إلى
 تراكم ما أعقب من ذكريات لا حصر لها عن نزع ملابسه أم رجع إلى الرقابة ، ثم يأتي
 بعد ذلك الأشخاص الذين ينجل في محضرهم . ولست أعرف مثالا واحداً عاود فيه
 الظهور في الحلم أولئك الذين قد شهدوا حقيقة ذاك الاستعراض الطفلى ؛ فالحلم لا يكون

(١) [الطرد . هو طرد آدم وسواه من الجنة على حسب قصة التوراة المعروفة في سفر التكوين ، وقد رواها القرآن رواية مقتضبة أطولها ما جاء منها في سورة البقرة . والهول بمعنى الهيلة] .

(٢) لقد سجل فرنسى طائفة جديرة بالاهتمام من أحلام العرى حملت بها نساء . ولم تكن هناك صعوبة
 في تأثر هذه الأحلام إلى الرغبة الطفلية في الاستعراض ، إلا أنها كانت تختلف في بعض نواحيها عن الأحلام
 " النمطية " التي أبلغها في النص .

أبدا ذكرى وحسب ، ومن العجيب أن أولئك الأشخاص الذين يتجه إليهم اهتمامنا الجنسي في طفولتنا يتركون جانباً في كل استحضار يقع في الحلم أو في المستريا أو في العصاب القهري . البارانونيا وحدها هي التي تعود إلى هؤلاء المشاهدين فتنبسهم من جديد وتستدل على وجودهم في يقين ملؤه التعصب ، وإن ظلوا غير منظورين . وأما ما يحمل محلهم في الحلم - « كثرة من الغرباء » لا تليق بالآلة إلى المشهد المعروض عليها - فإن هو على التحديق إلا الضد المرغوب لذلك الشخص المفرد عنه الذي قد ألفه الحلم يوماً والذي من أجله كان التعري . وهذه « كثرة من الغرباء » تظهر بعد في الأحلام كثيراً : في سياق يتنوع بتنوع المقاصد . وهي عندئذ تعني دائماً - باعتبارها رغبة مضادة - « في الخفاء »^(١) . وأنا لنلحظ كيف لا تخلو البارانونيا ذاتها - حيث يتحقق استرجاع الوضع القديم - من أثر هذا الاتجاه المضاد ، ففيها يحس المريض أنه لم يعد وحده : إنه موقن من أن ثمة آخرين يرقبونه . ولكن مراقبيه « كثرة من الغرباء » متروكين من غير تحديد على نحو عجيب .

والكبت أيضاً له كلمته في أحلام الاستعراض : فالشعور الألم الذي يرد في الحلم إنما هو رد النظام النفسي الثاني على نجاح المشهد الطفلي في أن يعرب عن محتواه على الرغم من تحريمه . والسبيل الوحيد إلى تجنب هذا الألم هو ألا يبعث ذلك المشهد أبداً . ونعود فيما بعد إلى الشعور بالكف [ص ٣٤٤] . وإنما نقول الآن : إنه يصور في الحلم - تصويراً ما أوقفه ! - صراع الإرادة . يصور « كلا » : فالغاية اللاشعورية تأتي إلا متابعة الاستعراض ، والرقابة تأتي إلا إيقافه .

وما من شك في أن الروابط بين أحلامنا الخفية وبين قصص الأطفال وغيره من مؤلفات الخيال ليست بالقليلة ولا بالعارضة . ويتفق أحياناً أن تتسنى لفنان خالق نافذ البصر معرفة تحليلية بعملية التحول التي لا يكون الفنان عادة سوى معطيها . فإذا هو - وقد تتبع تلك العملية في اتجاه عكسي - يرد الأثر الفني إلى الحلم . ولقد نبهني صديق إلى فقرة خطها جوفريد كيلر في « هابنريخ اليانغ » جاء فيها : « ولست أود لك يا عزيزي أن تعلم أبداً علم المتعظ بنفسه ما حواه من صدق لاذع فريد ذلك الموقف من الأوديسا ، حيث يظهر أوليس عارياً ، مغطى بالوحل أمام أعين نوميكا وقريناتها .

(١) وما له هذا المعنى أيضاً حضور « العائلة مجتمعة » وذلك لأسباب لا تخفى على القلم .

أتريد أن تعلم كيف يقع ذلك ؟ لننعم النظر إذن إلى مثالنا : لو أنك جولت في الغربة بعيداً عن وطنك وعن كل عزيز عليك ، ورأيت كثيراً وخبرت كثيراً . وعرفت الأسى والهم ، وصرت إلى تعس وضياح بلغا منك النهاية . إذن لحلمت لا محالة في ليلة أنك تدنو من وطنك . لسوف تراه مشرقاً زاهياً في أبهى الألوان ، وهامى ذى أطراف رحيمة ، رقيقة . حبيبة تقرب منك ، وهنا ينكشف لك فجأة أنك في أسحال ، عار ، عليك غبار . وعندئذ يتولاك خجل لا وصف له ، وسوف تبحث عما يسترك أو يخفيك ، ثم تصحو في عرق مصبوب . ذلك ، ما بقي على الأرض الإنسان ، حلم الرجل أنقلته الأحزان وقطارحته الرياح ، فما استمد هومير صفحاته هاته إلا من أعماق أعماق الوجود الإنساني وخالده .

وأعمق ما في الوجود الإنساني وخالده ، هذا الذى يعتمد الشاعر عادة على استشارته ، يقوم في هذه الاندفاعات النفسية التى تضرب جذورها في طفولة آلت من بعد إلى ما قبل التاريخ . فهناك رغبات من رغبات الطفولة مكبوتة ، ممنوعة . تنفذ إلى العلم مسترة وراء رغبات الشريد التى لا اعتراض عليها والتي يمكن قبولها في الشعور . ولهذا كان الحلم الذى يتجسم في أسطورة نوسيكاً ينقلب دائماً إلى حلم هيلة .

وحلمى المروي في ص ٢٥٦ ، الذى رأيتني فيه أنهب السلم نهياً ثم لا أثبت أن أنسر على درجاته كان أيضاً حلماً استعراضياً لأنه يحمل الأمارات الجوهرية على ذلك . ولا بد إذن من أن يكون في الوسع تأثيره إلى ذكريات وقعت في الطفولة . ومعرفة هذه الذكريات بدورها لابد أن تعيننا على أن نقدر إلى أى مدى أعان مسلك الخادم إزائى - وأعنى تفريعها إياى على توسيع السجادة - على أن نجد لها محلاً في الحلم . والواقع أنني أستطيع أن أتى بالإيضاح المطلوب : إن التحليل النفسى يعلم المرء أن يفسر التقارب في الزمن بالترابط في المضمون . [انظر القسم ج من الفصل السادس ، ص ٣٢٤] فإذا تعاقبت فكرتان على غير رباط ظاهر كان ذلك دليلاً على أنهما تتسميان إلى كل واحد ينبغي الكشف عنه ، كما أنك إذا كتبت أ ثم أردفت بهاب وجب النطق بهما مقطوعاً واحداً : أب ، والأمر كذلك إذا وقع الترادف في الحلم . وحلم السلم هذا قد اخترته من بين سلسلة من الأحلام ألمت بمعناها بعد تفسيرها . وهو إذن يعالج ذات الموضوع من غير شك . وأقول الآن : إن هذه الأحلام كانت تقوم على ذكرى مربية عهد بي إليها في فترة ما ، امتدت من

زمن الرضاعة إلى أن بلغت الستين والنصف . وما زلت أحفظ في الشعور ذكرى غامضة عنها وقد كانت هذه المرأة - على حسب ما علمته أخيراً من أمي - عجوزاً ، قبيحة ، لكنها كانت ماهرة . قديرة . ثم هي لم تكن - بحسب النتائج الذي يجوز لي استخلاصها من أحلامي - تعاملني دائماً أطف المعاملة ، وأظنها كانت تسمحني خشناً إذا قصرت في بلوغ المستوى المطلوب من النظافة . وهكذا حق للخادم - وقد أخذت على عاتقها من جديد متابعة تلك المهمة التربوية - أن تعامل في الحلم كما لو كانت نسخة جديدة من عجوز ما قبل التاريخ . ونستطيع أن نفترض بالطبع أن الطفل كان يهدى حبه إلى من لفته هاته الدروس على الرغم من سوء معاملتها ^(١) .

(ب) أحلام موت الأحياء

وهناك طائفة أخرى من الأحلام تصح تسميتها أحلاماً نمطية ، هي تلك التي يرد في محتواها أن حبيباً قد مات . كأحد الوالدين أو الإخوة أو الأبناء . وعليها أن نبادر بالفرقة بين طبقتين من هذه الأحلام : الواحدة هي التي يظل الحلم فيها دون أن يحرك الموت في نفسه شيئاً ، حتى ليدهرش - إذا استيقظ - لجمود حسه . وأما الأخرى فيحزن فيها الحلم للموت حزناً عميقاً . حتى ليدفق دمه غزيراً وهو نائم .

ولنا أن نترك الطائفة الأولى من هذه الأحلام . إذ ليس هناك ما يحول لها أن تعد أحلاماً نمطية . لأننا نجد إذا حللتها أنها تعني شيئاً آخر غير ما تحويه ، وأنها قد جاءت لكي تستر رغبة أخرى من الرغبات . ومثال ذلك حلم الحالة التي رأت ابن أختها الوحيد مسجى أمامها [ص ١٧٨] : فهذا الحلم لم يكن يعني أنها كانت تريد الموت لابن أختها

(١) وما هو ذا تفسير آخر : لما كان "Spucken" [: البصق ويسمى أيضاً الولاية أو السلط حين يقالان للأرواح] من مهام الأرواح ، فإن "Spuckern" [بمعنى البصق] على السلم ، يذهب بالنفس - من طريق ترجمة واهية - إلى : "esprit d'escalier" [تعبير فرنسي ترجمته الحرفية : "روح السلم" ، ويسمى بطله البهيمية عند الرود ، من كونك لا يسفك الجواب ثم تجده "وأنت نازل على السلم"] . وهذا التعبير يدل على غفلة في الأملية قولنا : "Schlagfertigkeit" [ومناه الحقي : التأهب للضرب] وهو استعداد لا أرى إلا أنه ينقضى . ولكن أنراه كان ينقص مربى ؟ [يشير فرويد إلى هذه المربية في نهاية الفصل السابع من كتاب " ميكونياولوجية الحياة البهيمية " ويتحدث عنها بمزيد من التفصيل في خطابين إلى فليس : ٧٠ ، ٧١ (فرويد ١٩٥٠)] .

الصغير ، كل ما هناك - كما رأينا - هو أن الحلم كان يحنى رغبة في أن ترى بعد طول قطيعة شخصاً حبيباً إليها ، هذا الشخص عينه الذى سبق لها لقاءه مرة - بعد انقطاع دام كذلك طويلاً - بجوار ابن أختها الآخر وهو راقد في نومه . ولم يكن من شأن هذه الرغبة التى كانت تكون محتوى الحلم الحقيقى أن تثير حزناً ، وعلى ذلك لم يكن في الحلم حزن . فنحن نلاحظ هنا أن الشعور الذى أحست به الحاملة لم يكن يتعلق بمحتوى الحلم الظاهر بل بالباطن ، وأن محتوى الحلم الوجدانى قد سلم من التشويه الذى أصاب محتواه الفكرى .

ولكن الأمر يختلف في تلك الأحلام التى يتخيل فيها الحالم موت قريب حبيب ، وبأنم لذلك وجدانه : هذه الأحلام - كما يتحدث به محتواها - تعنى الرغبة في موت الشخص المقصود . ولا كنت أتوقع هنا أن تنور مشاعر قرائ كافة ، هم وكل من وقع له مثل هذا الحلم . لم يكن بد من أن أحاول إقامة دليل على أوسع أساس ممكن .

لقد ناقشنا من قبل حلماً علمنا منه أن الرغبات التى يصور الحلم تحقيقها لا تكون دائماً بنت يومها ، بل هى قد تكون أيضاً رغبات ماضية ، مهجورة ، مدفونة ، مكبوتة ، لا يحملنا على أن ننسب إليها نوعاً من الوجود المستمر سوى رجوعها إلى الانبعاث في الحلم . فهى - تلك الرغبات - ميتة ، لا كالموتى في تصورنا ، بل كأشباح الأوديسا التى لا تلبث أن تبعث إلى الحياة حين تلغ الدم . فحلم الطفلة الميتة في صندوقها (ص ١٨٠) كان يتصل برغبة كانت منذ خمسة عشر عاماً رغبة حاضرة وكانت الحاملة إذ ذاك تعلمها سافرة . ولا أظنه أمراً يخلو من القيمة بالنسبة إلى نظرية الأحلام أن أضيف أن هذه الرغبة كانت تقوم هى أيضاً على ذكريات من ذكريات الطفولة : ذلك أن الحاملة قد سمعت في طفولتها - دون أن تدري منى تحديداً - أن أمها قد افترسها في أثناء الحمل الذى كانت هى ثمرته انقباض شديد ، وأنها ودت وداً حاراً لو أن الطفل قد مات وهو جنين . فلما كبرت الحاملة وصارت حاملاً ، لم تفعل إلا أن حذت حذو أمها .

فإذا حلم البعض وهو يفصح عن كل علائم الألم أن أباه أو أمه أو أخاه أو أخته قد مات ، لم أفكر على الإطلاق في أن أقيم من هذا الحلم دليلاً على أن الحالم يريد اليوم موت هذا القريب . فنظرية الحلم لا تقتضى كل هذا ، بل تقع بالانتهاء إلى أنه - أعنى الحالم - قد اشئى هذا الموت في فترة أو أخرى من فترات الطفولة . غير أنني أخشى ألا

يفلح هذا التحفظ في تسكين المعترضين ؛ فهؤلاء سوف ينكرون احتمال أن تكون مثل هذه الفكرة قد طرأت لهم يوماً بمثل القوة التي ينكرون بها أن تكون تلك رغبتهم اليوم . وعلى ذلك لا يكون مفر من أن أبعث من جديد بعض ما غبر من حياة الطفولة النفسية استناداً إلى شهادة الحاضر^(١) .

دعنا ننظر بادئ ذي بدء في علاقة الطفل بإخوته . لست أدري لماذا نفترض مقدماً أن هذه العلاقة لابد أن تكون حبة . فمن ذا الذي لم ير بين الراشدين شواهد على شقاق الإخوة ؟ وكم يتاح لنا التحقق من أن هذا الشقاق قد تأصل في الطفولة وأنه لم ينقطع يوماً ! أضف إلى ذلك أن كثيراً من الراشدين الذين تربطهم اليوم بإخوتهم أواصر المودة وينصرونهم عند الشدة كانوا في طفولتهم يعيشون وإياهم على عداوة لا تكاد تلين . فالأكبر كان يسمى إلى الأصغر ويقهره ويسلبه لعبه ، في حين يصرى الأصغر مما به ، من غيظ العاجز المقهور . فهو يحسد أخاه الأكبر ويخشاه أو قد يستدير إلى مضطهده فيواجهه بأوائل ثوراته محبة للحرية وشعوراً بالعدل . هذا بينما يردو الوالدان أن أبناءهما لا يصطلحون ، دون أن يعرفوا لذلك سبباً . ولا يصعب أن نرى أن الطفل ولو كان حسن الطبع لا يحقق كل ما نأمل في رؤيته عند الراشد . فالأطفال أنانيون مطلقو الأنانية ، وهم يشعرون بحاجاتهم شعوراً بالغ الشدة ، ويجهدون في إرضائها غير حاسبين لما عداها حساباً ، وبخاصة في وجه الغرماء من سائر الأطفال ، ومن الإخوة في المثل الأول . غير أننا لا نقول من أجل ذلك : إن الطفل « شرير » بل نصفه « بالرداءة » ؛ فهو لا يسأل عن سوء فعله ، في نظرنا كما في نظر القانون . ومن العدل أن تكون الأمور كذلك ، فلنا أن نتوقع أن تستيقظ قبل ختام تلك الفترة المسماة طفولة النزعات غيرة : وأن تستيقظ الأخلاق ، أو أن يأتي أنا ثان – بتعبير ما ينيرت – فيغضى الأول ويكفه . ومن الحق أن الأخلاق لا تظهر في كل النواحي في وقت واحد . وأن مرحلة الطفولة اللاخلاقية بتفاوت طولها بتفاوت الأفراد . فإن وقف هذا التخلق عن النمو . أحببنا الحديث عن « الانحلال » بينما الواضح أننا نواجه كماً في النمو . وأما بعد أن ينفط النمو اللاحق الطبع الأول . فقد يعرى هذا الطبع ثانية : على الأقل إلى حد في حالات المرض المسترى . والحق أن الشبه عجيب بين ما ندعوه الطبع المسترى وبين رداءة الأطفال . وأما العصاب القهري فيوافق

(١) انظر " تحليل ثقافة شاذة عند طفل في الخامسة " (مريد ١٩٠٩ ب) . وكذلك مقالتي في " بعض النظريات الجنسية عند الأطفال " (١٩٠٨ ج) .

على العكس تخلفاً مفرطاً أريد به تعزيز القدرة على مغالبة ما يتحرك من جديد من الطبع الأول .

هناك إذن قوم كثيرون ممن يحبون اليوم لإخوتهم ويستشعرون فداحة الفقدان لو قد حق عليهم الموت ، وهم مع ذلك يصمرون لهم في شعورهم رغبات خبيثة من العهد الأول قادرة على أن تتحقق في الحلم . ولكن الذى يفيدنا هنا أكبر الفائدة هو أن نلاحظ مسلك صفار الأطفال إلى سن الثالثة أو الرابعة تجاه من يصغرونهم من أشقائهم وشقيقاتهم ، لقد ظل الطفل حتى ذلك الحين وهو الطفل الأوحده . وما هو ذا يعلم اليوم أن اللقلق قد أتى بطفل جديد : إنه لينعم النظر في هذا الوافد الصغير ثم يعلن في عزم : « ليعده به اللقلق من حيث أتى ! »^(١).

ولئى لأعتقد وأنا جاد تمام الجدد أن الطفل يعرف كيف يقدر تقديرًا صائبًا كل ما يتظره على يد الدخيل الصغير . وما هى ذى سيدة من معارف تربطها اليوم أحسن الروابط بأختها التى تصفرها بأربعة أعوام - تخبرنى أنها قد تلقت نبأ وفادة أختها لأول مرة بهذا التحفظ : « ولكننى لن أعطيها معطى الأحمر مهما يكن » ومن هذا التاريخ تبدأ عداوة الطفل ولو لم يترك موقفه إلا فيما بعد . وأعرف طفلة لما تبلغ الثالثة حاولت أن تخنق رضيعاً فى مهده لأنها لم تستبشر بمحضرة خيراً . والغيرة فى هذا الوقت من الحياة شئ يستطيعه الأطفال بكل شدته ووضوحه . وهب الأخ الصغير أو الأخت قد خلى مكانه بالفعل عاجلاً ، وعاد الطفل يحتكر كل عطف المنزل ، ثم يأتى اللقلق بوافد جديد : أليس من المنطق أن يصغر طفلنا المدلل الرغبة فى أن يلقى منافسه الجديد مصير سابقه حتى تسير الأمور بما يشئى ، شأنها فى البدء وفيما بين القترتين^(٢) . ومن الطبعى أن يتفاوت مسلك الأطفال هذا تجاه من يولد بعدهم بتفاوت الأعمار . فقد يحدث إذا بلغ الفرق فى السن حداً معيناً أن تستثار فى الأخت الكبرى أول بشائر الغريزة الأموية تجاه هذا الوليد الذى لا عون له .

(١) ومانس البالغ من العمر ثلاث سنوات ونصف السنة والذى كانت مخافته الشاذة موضوع التحليل المشار إليه فى المباحث السابق - قد صاح وهو محرم حين ولدت أخته : ولكننى لا أريد أعطاء صغيرة . ثم هو قد أعرب صراحة فى أثناء عصابه - بعد ذلك بثمانية عشر شهراً - من رغبته فى أن تلقى أمه الطفلة فى سجرة الاستحمام حتى تموت . ومع هذا كان هانس ولداً حسن الطبع ، طويلاً ، سرعان ما شفت بأخته الصغرى وشفت على الأخص بحمايتها .

(٢) إن حالات الموت التى يمارسها الطفل على هذا النحو أمر قد تسارع العائلة إل نسيانه ولكن البحث التحليل النفسى يربطنا أن لها أهمية قصوى فى النصاب الذى يحى من بعد .

وما من شك في أن مشاعر العداوة بين الإخوة تزيد في سن الطفولة كثيراً عما يلحظه منها الراشدون الغافلون^(١).

ولقد ضيعت فيما يتعلق بأبنائي الذين تتابعوا الواحد إثر الآخر في تعاقب سريع فرصة إتيان مثل هذه الملاحظات . ولكنني أدرك اليوم ما فاقني مع ابن أخت صغير جاءه غريم أنثوى فأدخل الاضطراب على حكمه المطلق بعد أن دام خمسة عشر شهراً . نعم ، لقد سمعت أن الشاب الصغير يسلك بإزاء أخته مساكاً جد كريم ؛ فهو يقبل يديها ويلاطفها . بيد أنني رأيت ما يقتضيه بأنه قد أخذ - ولما يكمل الثانية - في استخدام قدرته اللغوية في نقد هذا المخلوق الذي لم يكن يبدو إلا نافلة : فهو كلما دار الحديث عنها أقحم نفسه وصاح متأففاً : « صغيلة جداً ! صغيلة جداً ! » ولا ترعرت الطفلة في الشهور الأخيرة وصارت من الكبر بما يرفع عنها هذه الزرابة : التمس صاحبنا سنداً جديداً لزعمه أنها لا تستحق كل هذه الرعاية ، فلا تسنح فرصة إلا ذكرنا بأنها لا أسنان لها^(٢). ولا تزال أسرتنا جميعها تذكر عن البنت الكبرى لأخت لي أخرى كيف أخذت مرة - وكانت في السادسة - تلح ساعة كاملة على جميع عماتها ، تسألن لكي يؤلفن لها : « إن لوسي لا تستطيع أن تفهم ذلك بعد ، أليس كذلك ؟ » وكانت لوسي منافستها التي تصفرها بعامين ونصف العام .

ولم أجد - مثلاً - بين جميع مريضاتي مريضة واحدة أخطأها هذا الحلم الدال على أقصى العداوة : بموت أخ أو أخت . لم أجد إلا امتشاء واحداً لم يصعب تفسيره بما يؤيد القاعدة . فقد كنت أشرح هذا الوضع لإحدى السيدات في خلال جلسات تحليلية لأنه بدا لي ذا حساب يحسب في العرض الذي كان مطروحاً على بساط البحث في ذلك

(١) إن ملاحظات لا يصحها المد عن عداوة الأطفال في المبدأ نحو إخوتهم وأحد والديهم قد لوحظت ورجلت في المؤلفات التحليلية منذ أن غطت هذه السطور . ولكن الشاعر [السويسري] شيلر قد صور لنا هذا المسلك العقل النطلي تصويراً فريداً في صفته وسداجته استمد من طفولته : « وكان هناك عدا ذلك - أدولف ثان : مخلوق صلب زهواً أنه أنثى وإن كنت لا أنهم كثيراً وجه النفع منه ، وأنهم أقل لم يحفلوا له مثلاً يحفلون لي أنا . لقد كانت نفسي تكلمني ، لما حاجني لأخ ؟ ولية كان عديم النفع وحسب ! بل هو يزيد أحياناً فيصير عقي : فإذا ما كنت جلفي أراد أن يماكسها مثل ، وإن خرجت للزفة جلس قبالي ، فلا يكون مناس من أن تضارب بأقدامنا » .

(٢) وهذه الكلمات حينها قد استعارها أيضاً هانس الصغير وهو في الثالثة والنصف من عمره في نقده الجارف لأخته الصغيرة (ذات المرجع) . وكان يقدر أن مجزها عن الكلام راجع إلى انضمارها إلى الأسنان .

اليوم ، وإذا هي تجيبني لدعشتي أنها لم تر مثل هذا الحلم قط . غير أن حلماً يبدو منقطع الصلة بالموضوع طراً ببالها ، وهو حلم أتاها في الرابعة - وكانت إذ ذاك أصغر أفراد الأسرة - ثم عاودها بعد ذلك تكراراً : جع من الأطفال - كلهم من الإخوة والأخوات ، صبية وبنات - يزحفون في حقل ثم فجأة ظهرت لهم أجنحة ، فطاروا كلهم ثم اضطروا . ولم تكن الحاملة تملك أقل فكرة عن هذا الحلم . ولكن من السهل علينا أن نعرف أنه في صورته الأصلية التي لم تغير منها الرقابة إلا قليلاً حلم بموت إخوتها وأخواتها جميعاً . وأجازف إلى افتراض التحليل الآتي : عندما مات أحد هؤلاء الأطفال - وكانت الحاملة وإخوتها قد نشأوا هم وأولاد عم لهم في أسرة واحدة - اتجهت الحاملة - ولا بلغت الرابعة - إلى أحد الكبار العاقلين تسأله : ما الذي يحدث للأطفال حين يموتون ؟ ولا بد أنه أجابها : تنمو لهم أجنحة ويصبحون ملائكة صفراً . ونحن نرى في الحلم الذي أعقب هذه الإفادة أن إخوة الحاملة قد صارت لهم جميعاً أجنحة كالملائكة وأنهم - وهنا المهم - قد طاروا بعيداً ، ولم يبق سوى صغيرتنا صانعة الملائكة^(١) ، وتأمل : إنها الباقية الوحيدة من الحشد كله ! وأما أن يزحف الأطفال في حقل قبل طيرائهم فهو ما لا نكاد نجانب الصواب إذ نرى فيه إشارة إلى الفراشات ، وكأنما كانت الطفلة مسوقة بذلك التداعي الفكري الذي ساق القداى إلى أن يصوروا الروح في صورة فراشة ذات أجنحة .

وهنا قد يتعرض البعض قائلًا : « نسلم بأن الأطفال عرضة لدفعات عدائية نحو إخوانهم ، ولكن أتى لقلب الطفل أن يبلغ من الفساد إلى تلك القمة ، حتى ليشتى موت من نافسه أو قوى عليه من رفاق اللعب ، كأنما كان لا يعرف غير الموت عقاباً لكل جريمة ؟ » بيد أن قائل مثل هذا الكلام ينسى أن فكرة الطفل عن « الموت » لا تحمل - بعد اللفظ - إلا أقل الشبه بفكرتنا نحن . فإعلم الطفل شيئاً من شناعة الفساد ، ومن الرعدة في قبر بارد كالثلج ، ومن هول العدم الأبدي - وكلها أمور قلما احتمل الكبار تصورها ، دليل ذلك كل الأساطير المنسوجة حول العالم الآخر . فالخوف من الموت غريب عن الطفل ، ومن ثم كان لعبه بالكلمة المائلة والتجاؤه إليها لكي يهدد بها أحد الرفاق : « ستموت لوعدت إلى ذلك مثلما مات فرائنس ! » .

(١) [صانعة الملائكة تعبير يقال لقابلة الى نزاول عمليات الإجهاض - من كونها تقتل الأولاد ولا يرادوا بصير رن ملائكة] .

وتسرى الرعدة في الأم المسكينة . ولعلها لا تستطيع أن تنسى أن الشطر الأكبر من البشر مواليد الأرض لا يتجاوز حياتهم سنى الطفولة . بل لقد يبلغ الطفل الثامنة ثم لا يزال قادراً على أن يقول لأمه وقد عاد إلى المنزل من جولة في متحف التاريخ الطبيعي : « ماما ، ما أكثر حبي لك ! إذا مت فسأجعلهم يحشونك : سأضعك هنا ، في هذه الغرفة ، حتى أستطيع رؤيتك دائماً . دائماً ! » . إلى هذا المدى يختلف الطفل منا في تصوره للموت ^(١) .

ولما كان الطفل يحب فوق ذلك مشاهدة آلام الاحتضار ، فالمرت عندة يعنى إلى حد كبير « الغياب » . الكف عن إزعاج الأحياء المتبقين . وهو لا يميز بين أسباب هذا الغياب : أسفر أم طرد أم غربة أم موت ^(٢) . فلو أن طفلاً طردت مربيته وهو مازال بالمرحلة قبل التاريخية ثم ماتت أمه بعد ذلك بقليل . لتطابق الحدثان في ذهنه وكونا سلسلة واحدة - كما يكشف عنه التحليل . وأما أن الطفل لا يفتقد الغائب كثيراً فهذا ما تعلمه الكثيرون من الأمهات لحسرتن حين يعلنن إلى دورهن بعد أسابيع قضيتها في إجازة الصيف فيقابلن بهذا النبأ : إن الأطفال لم يسألوا عن أمهم مرة واحدة . فإن ذهبت الأم حقيقة إلى هذه « الأرض المجهولة التي لا يعود منها مسافر » بدا على الطفل للوهلة الأولى أنه نسيها ولم يأخذ إلا من بعد في تذكر موتها .

وهكنا إذا رأى طفل ما يدعوه إلى أن ينضم غيب شخص آخر ، فليس ما يمنعه من أن يلبس أمنيته هذه لبوس الرغبة في الموت ، كما أن الاستجابة النفسية إلى الأحلام

(١) لقد أدهشني أن أسمع ولدا في العاشرة عالى الذكاء وهو يقول على أثر وفاة والده وفاة مفاجئة : « إنى أنهم أن يكون والدى ميتا ، ولكنى لا أرى لم لا يحضر إلى المنزل ليشاء . » ويجد القارئ مادة أخرى تتصل بهذا الموضوع في الباب الذى تشرف على تحريره الدكتور هـ . فيون هوج - هلموت تحت عنوان « نفس الطفل » بجملة *Image* ، المجلدات ١ - ٥ ، ١٩١٢ - ١٩١٨ .

(٢) أن أحد الآباء من لم يلزم بالتحليل النفسى ملاحظة أرتة الحقة التى أدركت فيها ابنة له في الرابة على نحو عقل كبير ما هو الفرق بين « الموت » و « البعد » . ذلك أنها سلكت على المألولة سلوكاً مزجياً يفسى الشيء وأحست أن إحدى الملاحظات تنظر إليها في غير استحسان فأعربت لوالدها عن شعورها قائلة : « أود لو ماتت جوزفين ! » فألها والدها مهذبا : « ولم الموت ؟ ألا يكن أن تبتد ؟ » فأجابت الطفلة : « كلا ، وإلا عادت ثانية . » إن بحبة الذات المطلقة عند الأطفال (الترجسية) تجعلهم يرون في كل تدخل جريمة ساس بالذات الملكية ، وشاغرم - مثل قوانين دراكون - لا تعرف لكل جريمة من هذا القبيل إلا تلك الصورة من العقاب التى لا تحتمل وسطاً .

المنظورة على رغبات في الموت تربنا أنه مهما تنوع محتوى هذه الرغبات عند الطفل فهي تنعنى مع ذلك على نحو من الأنحاء ما تعنيه نظيراتها عند الراشدين .

ولكن إذا كانت رغبة الطفل في موت إخوته وأخواته تجد ما يفسرها من أنانيته التي تجعله يرى في هؤلاء منافسين له ، فكيف تفسر رغبته هذه تجاه والديه اللذين يمنحانه الحب ويقضيان له حاجاته واللذين كان يخلق بأنانيته تلك أن تدعوه إلى اشتهاً بقائهما ؟

هذه صعوبة يهدينا إلى حلها ما نلاحظه من أن الحلم بموت والدين يصيب في الغالبية الغالبة من كان من الزوجين والوالدين يشارك الحلم جنسه ، فالرجل يحلم في الأغلب بموت الأب وتحلم المرأة بموت الأم . ولست أستطيع أن أدعى لتلك القضية عموم القاعدة ، ولكن غلبة الاتجاه الذى أشير إليه بينة إلى حد يتطلب تعليلها بعامل ذى قيمة كلية كذلك^(١) : إن الأمور تجري - إذا تركنا كل تعبير مخفف - كما لو كان ثمة إشارا جنسى يستشعره الطفل وهو فى باكورة الحياة ، كما لو كان الصبي يرى فى أبيه - والفتاة فى أمها - غريماً لن يصيبه من لإزاحته غير النفع .

ولأنه ليجلر بنا هنا أيضاً - قبل أن ننبل هذه الفكرة معتبرين إياها فكرة شنعاء - أن ننعم النظر إلى العلاقات الحقيقية بين والدين والأبناء . وعلينا بنوع خاص أن نفرق بين تلك العلاقة كما يريدنا واجب التقوى البنية الذى يقتضيه العمران وبين ما يتكشف بالملاحظة اليومية أنه واقع تلك العلاقة: إن وراء العلاقة بين والدين والأبناء لأكثر من مناسبة من مناسبات العدواة ، إنها لعلاقة تزدهم فى وفرة ما بعدها وفرة بكل العوامل التى تبعث على رغبات لا يمكن أن تواجه الرقابة . ولتقفن بادئ ذي بدء على العلاقة بين الأب والابن : إنى أعتقد أن القداسة التى أسبغناها على ما سنته الوصايا العشر من نواه قد أمتت أبصارنا عن إدراك الحقيقة الواقعة . ولعلنا لا نكاد نجرؤ على ملاحظة أن الشطر الأعظم من أبناء النوع الإنسانى يخرجون عن طاعة الوصية الرابعة^(٢) . فتقوى الأبناء نحو آباءهم - فى أسفل مراتب المجتمع كما فى أعلاها - تطفى عليها عادة مطاعم أخرى . والبلاغ الحالك الذى ينحدر إلينا عبر الملاحم والأساطير عن العصور الأولى للمجتمع

(١) (١٩٢٥ :) إن السويس كثيراً ما يشعل هذا الموقف لظهور دافع عقابى يمدد الحلم بموت من

يجب من والديه على سبيل الجزاء الخلقى .

(٢) [• أكرم أبك وأمك لك تطيل أيامك على الأرض التى يطيق الرب إهلك • (خروج ، ٢٠)]

الإنسانى يرينا ما لا تطرب له النفس من مطلق سلطان الأب ومن قساوته في مزاوله هذا السلطان . فكرونوس قد اتهم أبناءه مثلما يفعل الخنزير الوحشى بخلف أبنائه ، وجاء زوس فأخصى أباه^(١) ونصب نفسه سيداً في مكانه . وكلما خلا سلطان الأب في العائلة من كل قيد ، وجد الابن نفسه بالضرورة - وهو الوريث المنتظر - في موقف العدو من أبيه ، ونفذ بالضرورة صبره وهو يتربظ الظفر بالسيادة عبر موت أبيه . ولا يزال الأب في طبقتنا المتوسطة بأبى على ابنه الاستقلال وبأبى عليه العدة لبلوغه ، متعهداً بذلك ببلور العداوة التى تكمن بطبيعتها في هذه العلاقة . وكثيراً ما يتاح للطبيب أن يلحظ كيف يمجز حزن الابن لفقد أبيه عن قمع فرحه إذ يظفر أخيراً بحريته . وكل أب يتشبث اليوم بانسا بما يتبقي في عصرنا من « سلطة لرب العائلة »^(٢) صارت إلى قدم لا يذكر بالخبر ، وكل كاتب - مثل لابسن - يبرز هذا الصراع الأزلئ بين الآباء والأبناء إلى مكان الصدارة من كتاباته فله أن يكون على ثقة من أنه يحدث في النفوس أثرًا . وأما البنت وأما فتناً فرص النزاع بينهما حين تشب البنت فترى في أمها رقيباً عليها . على حين تطمح هي إلى الحرية الجنسية ، هذا بينما ترى الأم من ناحيتها في تفتح ابنتها نذيراً ينذر أنها قد حان وقت التزول عن مطالها الجنسية .

كل هذا ظاهر يعلأ أعين الجميع . لكنه لا يعيننا على ما نهدفه من تفسير الأحلام بموت الوالدين عند أناس رسخت تقواهم نحو والديهم رسوخاً وطيداً منذ زمن طويل . أضف أن المناقشات السابقة قد أعدت لنا لأن نعلم أن رغبة الموت تجاه الوالدين تنبعث جذورها من الطفولة الأولى .

إن هذا الفرض يتأيد تأييداً لا يتطرق إليه أدنى شك بالنسبة إلى العصبيين الذين يأخذون في التحليل النفسى . فنحن نعلم عندئذ أن رغبات الطفل الجنسية - إذا كانت هذه الرغبات تستحق هذا الوصف وهى لا تزال في طورها الجنينى - تنشأ منذ وقت مبكر ، وأن أول نزوع الفتاة يكون لأبيها كما تتجه رغائب الولد أول ما تتجه إلى أمه ،

(١) أو ذلك ما ورد في بعض الأساطير . وقد روايات أخرى أن الإغصاء إنما أوقته كرونوس على أبيه أورانوس . بلغة المزي الأسطورى الذى لهذه المسألة أقرأ رانك ، ١٩٠٩ ، وكذلك رانك ١٩١٢ ج ، الفصل التاسع ، القسم الثالث .

(٢) [*potestas patris familiaris* الإشارة هنا إلى نظام العائلة الرومانية وسلطة الأب فيها] .
تفسير الأحلام

وبذلك يصبح الأب للولد - مثل الأم للبنت - مزاحماً مزعجاً ، ولقد رأينا من قبل - فيما يتعلق بالإخوة - كيف يكفى الشيء القليل من مثل هذا الشعور في سوق الطفل إلى اشتهاه الموت للغريم . ويظهر مثل هذا الإثارة عادة عند الوالدين كذلك ؛ فهناك نسبة طبيعية ترمى الأمور بحيث يدلل الزوج ابنته الصغيرة وتأخذ زوجه جانب الابن ؛ بينما يعمل كلاهما - هذا إذا لم يفسد حكمهما سحرُ الجنس - على تنشئة صفارهما تنشئة دقيقة . ويلحظ الطفل هذا الإثارة تمام الملاحظة وينقلب على الجانب الذى يعارضه من الزوجين الوالدين ؛ فالحظوة بحب الراشد لا تشجع حاجة بعضها من حاجات الطفل وحسب ، إنها تعنى بنوع أخص أن رغبته مجابة في كل ناحية أخرى من النواحي . وهكذا يتبع الطفل دافعه الجنسي ويزيد في الوقت عينه نزوع والده به حدة جديدة ، حين يتفق اختياره بينهما واختيارهما .

ومن عادتنا أن نفرض النظر عن معظم علائم هذه النزاع الطفلية ، بيد أننا نستطيع مع ذلك أن نلاحظ بعضها حتى بعد انقضاء السنوات الأولى من الطفولة : فأنا أعرف فتاة في الثامنة لا يدعو أمها داع إلى المغيب عن المائدة دون أن تنتهر الفرصة لتعلن أنها قد خلفتها : « سأصبح أنا ماما الآن . كارل ، أتريد مزيداً من الخضر؟ خذ بعضاً من فضلك ! » وهكذا . ولقد شفت هذه الناحية من سيكولوجية الطفل شغافية خاصة عند طفلة في الرابعة على جانب ملحوظ من الحيوية والذكاء ، كانت تقول : « الآن تستطيع ماما أن تذهب . وستزوجني بابا بعد ذلك على التأكيد ، وأصبح أنا زوجه » - هذا دون أن تتناقى هذه الرغبة عند الطفلة مع حبها أمها حباً ملؤه الحنان . وإذا أبيع لطفل أن ينام إلى جانب والدته والوالده مسافر ثم أعيد مكرها فور رجوعه إلى غرفته المعتادة حيث ينام مع شخص آخر لا يحبه إلا حباً يقل كثيراً عن حبه لأمه . كان من السهل أن تنشأ عنده الرغبة في أن يظل والده غائباً على الدوام : حتى يتمكن من استبقاء أمه الحبيبة الجليمة على الدوام . وحتى أن من الوسائل إلى ذلك أن يصبح الأب في عداد الأموات ؛ فقد علم الطفل من تجربته شيئاً : هو أن الموتى يظلون دائماً على غيبتهم - مثل جده - ولا يرجعون منها إلى أبد الآبدين .

هذه الملاحظات قبل الأطفال الصغار وإن وافقت التفسير الذى أقترحه دون أن نحملها ما لا تحتل ، لا تجلب مع ذلك مطلقاً هذا الاقتناع الكامل الذى يفرضه على

الطبيب تحليل الكبار الراشدين . فالأحلام التى نحن فى صددها ترد هنا مصحوبة بمقدمات يستحيل معها تجنب تفسيرها بغير كونها أحلام رغبة . ولقد وجدت يوماً إحدى مريضاتى مكتبة دامة وقالت المريضة لى : « إننى لا أريد أن أرى أقربائى أبداً . لا بد أنهم يرتعدون منى فرقا » . ثم أردفت تقول - من غير ما صلة تقريباً - : إنها تذكر حُلماً من أحلامها ، وإن تكن بالطبع لا تفقه شيئاً من معناه . هذا الحلم قد أتاها فى الرابعة ، وهذا هو نصه : يحول فيه أو تعذب ^(١) على سطح البيت ، عند سقط شئ من أجل ، أو هى نفسها قد سفت . ثم تحمل أنها بينة إلى خارج المنزل - وهنا تنحب الحاملة نحيباً موجعاً . وما كدت أخبرها أن هذا الحلم لا بد يعنى رغبة أضمرت بها وهى طفلة فى أن ترى أمها ميتة وأن هذا الحلم ولا شك هو الذى جعلها تظن أن أقرباءها يرتعدون منها فرقا . حتى أسلمتني مادة ألقت على الحلم الضوء : ذلك أن « عين الفهد » شتية رماها بها ولد من أولاد الأزقة وهى لا تزال صغيرة جداً ، ثم إن حجراً قد سقط من السطح وهى فى الثالثة والنصف فأصاب رأس أمها وأدامها غزيراً .

وأنتج لى مرة أن أدرس درساً وافياً فتاة مرت بحالات نفسية متقلبة : فقد بدأ مرضها بحالة من الهيجان الخلطى . كانت تبدى فى خلالها نفوراً بالغ الشدة من أمها ، تضربها وتشتمها كلما اقتربت من سريرها ، بينما ظلت فى الوقت عينه على حبا وانطياها لأخت تكبرها كثيراً ، ثم أعقبت هذه حالة من صفاء الذهن ، وإن صاحبها شئ من الخمود الانفعالى مع اضطراب فى النوم . وفى هذه المرحلة أخذت فى علاجها وتحليل أحلامها ، وكان عدد عظيم منها يدور - على نحو يزيد أو ينقص استخفاء - حول موت أمها : فهى طوراً تشترك فى تشيع جنازة امرأة عجوز ، وطوراً آخر تجلس مع أختها إلى المائدة وقد ارتدبتا ثياب الحداد - بحيث لم يعد هناك أقل مجال للشك فى معنى هذه الأحلام . فلما زادت حالها تحسناً أخذت مخاوف هستيرية فى الظهور . وكان أشد هذه المخاوف تعبيراً لها الخوف من أن تصاب أمها بمكروه ، فكانت - حينما كانت - تضطر إلى أن تمجى بالعودة إلى المنزل . حتى تقتنع بأن أمها لا تزال حية ترزق . هذه الحالة - هى وتجارى الأخرى مجتمعة - قد علمتني الشئ الكبير ؛ فهى قد أرغى - فيما يشبه الترجمة إلى لغات مختلفة - تنوع الطرق التى يستجيب بها الجهاز النفسى إلى فكرة

(١) [هناك جناس شديد بين اسمي هذين الحيوانين فى الأصل : Fuchs - Luchs] .

مهيجة : ففى حالة الهيجان - التى أتصورها على أنها طغيان النظام النفسى الأول الذى يظل فى العادة مكبوتاً على النظام النفسى الثانى - يجد العداء نحو الأم متنفساً حركياً قوياً ، فلما أخذت الحالة فى الهدوء وقمعت الثورة واستتب سلطان الرقابة من جديد ، لم يبق لعداوتها من مجال مفتوح غير مجال الحلم تحقق فيه رغبتها فى موت أمها ، ولما قويت الحالة السوية بعد ذلك ظهر قلقها المفرط على أمها من حيث هو استجابة هستيرية مضادة وظاهرة من ظواهر الدفاع ، وهنا لا يعود يغمض علينا لم كان من الشائع إلى هذا المدى أن تعلق الغنيات المستيريات بأمهاتهن فى تحنان زائد .

ولأتاحت لى فرصة أخرى أن أسبر غور الحياة اللاشعورية عند شاب فى مقتبل العمر كاد عصابه القهرى أن يعجزه عن الحياة . فهو لم يكن يخرج إلى الطريق ؛ لأنه إذا خرج عذبه الخوف من أن يقتل كل من مر به . وكان يقضى أيامه وهو يفكر فى دليل يثبت به براءته إذا وقعت جريمة قتل فى المدينة وأخذ هو يجرى بينها - وغنى عن البيان أن هذا الشاب كان على مقدار عظيم من علو الخلق والثقافة على السواء . لقد بين التحليل (وهو تحليل أدى إلى شفاة) أن أساس هذه الفكرة القهرية الالهية كان دافعاً إلى القتل يستهدف أباه ، وكان هذا الأب على صرامة لا تخلو من بعض الغلو . ولقد أعرب المريض لفرط دهشه عن هذا الدافع إعراباً شعورياً وهو فى السابعة من عمره ، وإن كانت نشأة الدافع ترجع بالطبع إلى ما قبل ذلك كثيراً من سنن الطفولة . فلما قضى الأب نحبّه بعد مرض حفل بالعذاب ركب المريض - وكان فى الحادية والثلاثين - تأنيب قهرى تحول إلى الغرابة فى صورة هذه المخافة . وكأنما كان المريض يحدث نفسه قائلاً : إن من استطاع أن يرغب فى أن يدفع أباه من قمة جبل عال إلى هاوية سحيقة لا يمكن أن يؤتمن بحال من الأحوال على احترام حياة الغير ممن هم أقل قرباً إليه ؛ ولذا كان صواباً منه أن يلزم غرفته حبساً .

وتشهد خبرتى - وهى خبرة بلغت مدى واسعاً - بأن الوالدين يقومان بالدور الرئيسى فى الحياة النفسية الطفلية لكل من صار فى مستأنف حياته عصائياً . فحبة أحد الوالدين وكراهية الآخر من المقومات الجوهرية فى خزانة الاندفاعات النفسية التى تتكون فى ذلك الوقت والتى تملك أكبر الأهمية فى تشكيل أعراض العصاب الذى يجمع بعد ذلك . بيد أننى لا أعتقد أن العصابين يختلفون فى هذه الناحية اختلافاً جوهرياً من أولئك

الذين يظنون سوين أى أنهم يملكون القدرة على أن يخلفوا شيئاً جديداً مطلق الجدة ،
خاصاً بهم كل الخصوص . بل الذى يرجح ذلك كثيراً وتؤيده أيضاً الملاحظات المعارضة
عن الاطفال السوين هو أن العصبيين بمشاعرهم هذه - من حب وكره نحو والديهم -
إنما يطلعوننا فى صورة مكبرة على ما يعتل فى نفوس معظم الأطفال بوضوح أقل وشدة
منقوصة . ولقد جاءتنا من الزمن القديم أسطورة لا سبيل إلى أن نفهم فعلها العميق
الشامل فى النفوس إلا إذا كان الغرض الذى قدمته فى سيكولوجية الطفل صحيحاً كذلك
صحة شاملة .

وأنا أشير هنا إلى أسطورة الملك أوديب وإلى مسرحية سوفوكليس التى تحمل
اسمه : ولد أوديب من لايرس ملك طيبة ومن زوجه يوكاستا . وأتى به إلى العراء وهو
بعد رضيع . لأن نبوءة أعلمت لايرس - وابنه ما زال بالرحم - أن ابنه هذا سوف يكون
قاتله . إلا أن منفذاً أنقذه وشب الطفل ولياً للعهد فى بلاط أجنبي إلى أن خامره الشك
فى أصله فراح بدوره يستفسر العرافة فأئذنته إياه والإقامة فى وطنه ، فقد قضى عليه أن
يقتل أباه وأن ياهل أمه . وبينما هو هائم على وجهه فى طريق يبعده عما يظن أنه وطنه إذا
هو يلتقى بالملك لايرس فيصرعه فى قتال نشب على غرة . وأقبل بعدها إلى طيبة ، وهناك
حل لغز أبى الهول ^(١) الذى كان يعترض الطريق إلى المدينة فنصبه الطيبون ملكاً عليهم
عرفاناً منهم بجميل صنعه ، وأهدوا إليه يد يوكاستا . وظل أوديب يحكم دهرآ آهنا معزراً ،
وأعقت له أمه المجهولة منه ولدين وابنتين . إلى أن نزل وباء فكان سبباً فى أن يذهب
الطيبون فى سؤال العرافة من جديد . وهنا تبدأ مأساة سوفوكليس : يعود ائزسل بهذا
البلاغ : ينقطع الوباء إذا ارتحل قاتل لايرس عن الديار . ولكن بأى أرض هو ؟
« أين نجد هذا الأثر الخفى للجرمة غابرة ؟ »

(السطر ١٠٩)

ولا تقوم المعالجة المسرحية فى شيء آخر سوى الإفضاء - لإفضاء تتزايد الإثارة فى
سياقه رويداً رويداً ويتم بعد تعويق ما هر ، حتى لتجوز مقارنته بسير التحليل النفسى
- بأن أوديب نفسه هو قاتل لايرس وأنه أيضاً ولده ، منه ومن يوكاستا . ويرتاع

(١) [لغز أبى الهول فى أشهر صيفه هو الآق : من ذا الذى إذا طلع النهار سار حل أربع ، لأن انصف
لعل اثنين ، فإن ضرب إلى المتبى فل ثلاث ؟ والجواب هو : الإنسان - الذى يستند إلى الصا فى شيخوخته .

أوديب لول ما أتى غير عالم ، فيفقأ عينيه ويهجر وطنه . وهكذا تصدق النبوة .

« أوديب ملكا » تدخل بين ما يعرف باسم مأسويات القدر . ويقال ؛ إن تأثيرها المأسوى يقوم في التضاد بين مشيئة الآلهة القاهرة وبين محاولة الإنسان سدى أن يجنب نفسه الويل الذى يتهده . ويقال أيضاً ؛ إن الدرس الذى يخرج به من شهد المسرحية فلكته — هو الاستسلام للمشيئة الإلهية والبصر بقلة حوله . وعلى ذلك أراد المؤلفون المحدثون أن يلفوا مثل هذا التأثير المأسوى ، فحاكوا هذا التضاد عينه في خيال من عندهم . ولكن المشاهدين ظلوا لم يحركوا ساكناً وهم ينظرون كيف تتفقد عرافة أو نبوءة مهما بدل برىء في دفعها ؛ إن مأسويات القدر المحدثه لم تصب وقعاً .

فإذا كانت « أوديب ملكا » تهر اليوم معاصرنا مثلما هزت من عاصرها من الإغريق ، فلا تفسير لذلك إلا أن وقعها لا يقوم على ما بين القدر وإرادة الإنسان من التضاد . وإنما ينبغى علينا أن نلتبس سر هذا الوقع في طبيعة المادة التى تشخص بها هذا التضاد . أو قل ؛ إنه لا مناص من أن يكون ثمة صوت بعيداً لأن نعرف قوة القدر الطاغية في أوديب ، على حين يسعنا الزهد في مواقف من قبيل ما يحاك في « الحدة » (لجريلپاترس) أو غيرها من مأسويات القدر المحدثه زهدنا في نتاج لم يمله سوى هو صاحبه . وقصة الملك أوديب تشتمل حقيقة في طينتها على عامل من هذا القبيل : فا يحركنا مصيره إلا لأنه مصير قد كان يمكن أن نصير إليه ، لأن النبوءة قد صبت علينا — ولما نولد — تلك الدعوة التى صُبَّت عليه ؛ فلعلة قد قدر علينا أجمعين أن نتجه بأول نزوعنا الجنسي جهة الأم وبأول البغضاء ورغبة الدمار جهة الأب . وأحلامنا تقنعنا بأن الأمر كذلك . فا عدا أوديب الملك الذى قتل أباه لايوس وتزوج أمه يوكاستا أن يحقق رغبات من طفولتنا . بيد أننا ونحن أسعد منه حظاً قد نجحنا في أن نتحول بنوازعنا الجنسية عن أمهاتنا وفى أن ننسى غيرتنا من آباتنا — نجاحاً يقاس بمقدار نجاحنا في ألا نصير عصابيين . ولكن ، ها هو ذا البعض تحققت عنده هذه الرغبات وليدة الزمن الأول : إن الرعدة لتسرى فينا وإنا لتدبر بعداً عنه ، لا ندخر في ذلك طاقة من الكبت الذى ألجم منذ إذ ذاك هاته الرغبات في دخيلتنا . فالشاهر إذ يخرج إلى الضوء بيننا ينقب في الماضى — جرم أوديب هذا — لا يترك لنا محيصاً عن أن نعرف دخيلتنا ، دخيلتنا التى لا تفتأ هاته اللدغات ماثلة فيها وإن قمعت . والتقابل الذى تودعنا الجوقة على صورته :

« انظر أوديب هذا ، من حل اللغز الذائع الصيت وكان رجلاً فاق الرجال اقتداراً ، من كان المواطنون جسيماً يرمقون حظه في حسد . انظروا في أي بحر من الشقاء يقذف به ! »^(١) هذا التقابل تحذير يصيبنا ويصيب كبرياءنا . نحن الذين صرنا - في اعتقادنا - على هذه الدرجة من الحكمة ومن القوة منذ أن شبعنا سقى الطفولة ؛ فنحن نعيش - مثل أوديب - على جهل بهذه الرغبات المنافرة للأخلاق . التي فرضتها الطبيعة علينا . ولئن كثرت لأردنا أيضاً لو نفّض الطرف عن مشاهد طفولتنا .^(٢)

فأما أن أسطورة أوديب قد نبتت من مادة حلمية قديمة أزلاً ، متصلة بهذا الاضطراب الأليم الذي ينتاب علاقة الطفل بوالديه من جراء نزعاته الجنسية الأولى - ذلك ما يجد في نص مأسوية سوفوكليس إشارة لا شبهة فيها . فهي هي ذى بوكاستا ترفه عن أوديب - ولم يكن قد استنار بعد ولكن ذكرى النبوة أخذت تشيع الاضطراب في نفسه - فإذا هي تشير إلى حلم يأتي حقيقة أناساً كثيرين لكن دون أن يعنى ذلك - في زعمها - شيئاً :

« كم من مالت قبلك ضائع في الحلم أمه ، ولكن يسهل عبء العيش لمن لم يلق إلى ذلك بالا . » (سطر ٩٨٢ وما بعده) .

واليوم كما في ذلك الوقت يعلم الكثيرون بمضاجعة الأم ويريون أحلامهم مستنكفين ، متعجبين . ومن السهل أن نفهم أن هذا الحلم هو مفتاح المأسوية والحزء المكمل للحلم بموت الأب . فقصة الملك أوديب استجابة من الخيلة إلى هذين الحلمين الخططين جميعاً . وكما أن هذه الأحلام تصحبها - حين تقع للراشدين - مشاعر شتى من التفوق ، فقد حق كذلك أن تضم الأسطورة في طياتها الارتياح وإيقاع العقاب بالنفس . وأما التحوير الذي يجرى بعد ذلك فنشأه مرة أخرى أن المادة تراجع هنا أيضاً مراجعة ثانوية خاطئة تهدف إلى استخدامها في أغراض لاهوتية . (انظر مادة أحلام الاستعراض في ص ٢٦٠)

(١) [سطر ١٥٢٤ وما بعده] .

(٢) ليس بين مكشفات التحليل النفسي ما لى من التناقض المرور بين الهدافة المستتية - ومن الخلقة التقديرية الطريفة كذلك - ما لفته هذه الإشارة إلى النزوع الطلل الذي يظل شقيقاً في اللاشعور إلى الزنا بالهادم . بل لقد حاول البعض أخيراً - رغم كل ما تظهره التجربة - ألا يتروكوا الزنا بالهادم غير قيمة « رزية » . هذا وقد آل فرنسي (١٩١٢) يضير إصافى بارح لأسطورة أوديب احد فيه حل فقرة من خطاب لشوبنهاور . كما ظهر في مواصلة البحث أن « مركب أوديب » الذي أشير إليه للمرة الأولى في هذه الفقرات من « تفسير الأحلام » أمينة لم تكن نحل بها في فهم التاريخ الإنساني وتطور الدين والأخلاق (انظر : الطوطم والتابو ، ١٩١٢) .

وما بعدها) . ولكن كان من الحتم أن تخفق محاولة التوفيق بين القدرة الإلهية المطلقة وبين المسؤولية الإنسانية . في صدد هذا الموضوع كما في غيره .

وهناك مآثرة أخرى من مآثر الشعر المأسوى تضرب جذورها في ذات التربة التي تضرب فيها أوديب ملكا : تلك هي « هاملت » شكسبير . بيد أن المعالجة المختلفة للمادة الواحدة تجلوا لنا كل الفرق في الحياة النفسية بين هذين العصرين المتباعين تباعداً كبيراً من عصور الحضارة . وأعنى بهذا الفرق تقدم الكبت عبر القرون في الحياة العاطفية للبشرية . « ففى أوديب » يظهر جهازاً ذلك التخيل الذى يجب رغبة الطفل والذى تقوم عليه المأسوية : ويتحقق كما قد يتحقق في حلم . فأما « هاملت » فيظل فيها هذا التخيل مكتوباً ، ولا نعلم عن وجوده شيئاً إلا بما يظهر من عواقب كفه — شأن الحال مع العصبيين . والعجب أنه يتبين أن ما تملكه المأسوية الأحدث من وقع طاع في نفوس الناس لا يتعارض مع بقائهم من أمر طبع البطل في ظلمة مطلقة . فالمسرحية تقوم على تردد هاملت في إنفاذ الانتقام الذى وكل إليه ، ولكن ما هى أسباب هذا التردد أو دواعيه ، ذلك مالا ينس النص بحرف عنه وبذلك في تفسيره محاولات لا تحصى فما أثبت بطلان . فهاملت في نظره أصلها جوته^(١) ولا تزال لها الغلبة حتى اليوم بمثل هذا الطراز من الرجال الذين شلت عندهم القدرة على العمل المباشر : شلها نمو العقل نمواً مفرطاً (« أسقمه الفكر الشاحب ») . وفي نظرة أخرى أن الشاعر قد أراد أن يصور لنا طبعاً مريضاً مذبذباً في شراف النوراستانيا . بيد أن المسرحية تريدنا أن هاملت بعيد كل البعد عن أن يصور في صورة إنسان فقد كل قدرة على العمل . فنحن نراه يعمل مرتين : الأولى في فورة مباغثة حين يطعن السامع المسترق من وراء الستار ، وأما الثانية فعن قصد مبيت بل في مكر جم ، وذلك حين يرسل برجل البلاط إلى الموت الذى كان مديراً له هو ، مبدئياً في ذلك كل التحلل الخلقى الذى يمكن أن يتصف به أمير من أمراء عصر النهضة . فما الذى يوقفه على هذا النحو في إنفاذ المهمة التى كلفه شبح أبيه إياها ؟ الجواب نجده مرة أخرى في الطبيعة الخاصة لتلك المهمة . إن هاملت يستطيع أن يأتى كل شيء إلا أن يثار من الرجل الذى أزعج أباه واحتل مكانته عند أمه ، الرجل الذى يريه — إذن — رغباته الطفلية وقد تحققت . وهكذا يحل عنده محل الاستبشاع الذى كان كفيلاً أن يدفعه إلى الانتقام تأنيب النفس

(١) « فلهام ما يشتر » ، سنوات التعلم ، الكتاب الرابع ، الفصل ١٢] .

وتخوف الضمير يذكرانه أنه لا يفضل بحرف ذاك الخاطئ الذى كلف عقابه . وأنا إذ أقول ذلك أترجم فى عبارة شعورية ما كان مقرراً بقاءه لا شعورياً فى نفس البطل . فإن أراد البعض أن يدعوا هاملت هترياً . لم أجد إلا أن أسلم بأن تلك نتيجة تخرج من تفهيمى . ويستق وذلك أحسن الانساق ما يعرب عنه هاملت فى حديثه مع أوفيليا من نفوره من الحياة الجنسية ، هذا النفور الذى كان مقدراً أن يزيد على الدوام تمكنا من نفس الشاعر فى مستأنف سنواته حتى بلغ التعبير عنه أقصاه فى « تيمون الأثينى » — فإيطالينا فى هاملت بالطبع سوى الحياة النفسية للشاعر . وإنى لألاحظ فى كتاب جورج براندس (١٨٩٦) قوله: إن شكبير كتب هذه المسرحية فور موت أبيه (١٦٠١) أى حين كانت وطأة الحزن عليه فى أشدها وحين بعثت فى نفسه من جديد — كما يحق لنا افتراضه — مشاعره الطفلية نحو والده . ومن الأمور المعلومة كذلك أن ولد شكبير الذى مات فى سن مبكرة كان يحمل اسم هاملت (وهو ما يطابق هاملت) . وكما أن هاملت تعالج العلاقة بين الابن والوالدين . كذلك تدور « ماكبت » المكتوبة قرب تلك الفترة حول موضوع العقم من الخلف . هذا . سوى أنه كما أن جميع الأعراض العصابية — شأن الحلم ذاته — تقبل أكثر من تفسير واحد . لا بل هى تقتضى مثل هذا التفسير المضاعف إذا نحن أردنا أن نفهمها حق الفهم . كذلك كل خلق فى صادق : فهو يصدر عن أكثر من دافع واحد وعن غير هائج واحد بنفس الشاعر . وهو يفسح المجال لأكثر من تفسير . فإحاولت هنا إلا أن أفسر هذه الطبقة من الدوافع التى ترسب فى قنطرة النفس عند الشاعر الخلاق^(١) .

ولست أستطيع أن أترك الأحلام النمطية بموت الأقرباء المحبين دون أن أضيف بضع كلمات أوضح بها دلالة هذه الأحلام بالنسبة إلى نظرية الحلم عامة . فهذه الأحلام تطالنا بوضع لم نألفه قط . وهو أن فكرة الحلم التى أملتها الرغبة المكتوبة تغلت من كل رقابة وتظهر فى الحلم من غير ما تحريف . فلا بد أن تكون هناك شروط خاصة تجعل ذلك أمراً ممكناً . وأعتقد أن العاملين الآتيين هما اللذان يعينان على وقوع هذه الأحلام :

(١) [١٩١٩ :] هذه الإشارات إلى فهم تحليل نفسى لهاملت قد أنماها إرنست جونز بعد ذلك ودافع عنها (انظر جونز ١٩١٠) [١٩٣٠ :] . هذا ولقد اثبتت فى هذه الأثناء إلى شك مطلق فى صحة المسألة المتفصلة فى هذا الكلام ، وهى أن يكون مؤلف أعمال شكبير هو الرجل المولود فى ستراتفورد [١٩١٩ :] . ويجد القارئ محاولات أخرى فى تفسير ماكبت فى مقال (١٩١٦ ج) وكذلك فى مقال آخر بقلم بلكز (١٩١٧) .

العامل الأول هو أننا نعتقد أن هذه الرغبة أبعد ، تكون عنا ، إنها ولا تخطر لنا ولو في الحلم . ولهذا ظلت الرقابة على الحلم غير معدة لمواجهة هذه الشناعة ، على نحو ما ظلت شرائع صولون من غير نص على عقاب من قتل أباه . والعامل الثاني هو أنه يكثر بنوع خاص في هذه الحالة أن يذهب إلى لقاء تلك الرغبة الممنوعة غير المتوقعة أثر من اليوم السابق في صورة القلق على حياة شخص عزيز : هذا القلق لا يستطيع أن ينفذ إلى الحلم إلا إذا استغل تلك الرغبة التي تلتقي به في منتصف الطريق ، بينما تستطيع تلك الرغبة من ناحيتها أن تتقنع بقتاع ذلك القلق الذي اختلج في أثناء النهار . فإن ارتأى البعض أن الأمر أبسط من ذلك كثيراً وأن الأمر لا يعدو أننا نتابع في الليل وفي أحلامنا ما شغلنا به في نهارنا ، فإن صاحب هذا الرأي يترك الحلم يموت الأحياء من غير رباط يجمعه بنظرية الحلم عامة ، وهو بذلك ينشئ من غير داع بلغز يقبل الحل كل القبول .

ومن المفيد كذلك أن تتأثر علاقة هذه الأحلام بأحلام الهيلة . فإن الرغبة المكبوتة قد تمكنت في الأحلام التي يموت فيها من نحب من أن تجد وسيلة تفلت بها من الرقابة ومن التشويه الذي تفرضه هذه الرقابة ، ولا يكون ذلك دون أن يستشعر الحالم في أحلامه مشاعر أليمة . وأحلام الهيلة إنما تنشأ على هذا النحو عنه حين تكسح الرقابة اكساحاً شاملاً أو جزئياً - هذا من جهة - ، بينما نجد - من جهة أخرى - أن اكساح الرقابة يسهل حين تكون الهيلة قائمة بالفعل في صورة إحساس خامد ناشط منبعث من مصادر جسمية [انظر ص ٢٥٤] . وهكذا يتضح كل الوضوح أى غرض تقوم الرقابة من أجله بوظيفتها ، ولأى غرض تشوه الحلم : ذلك لكي تحول دون تمخض الهيلة وغيرها من الحالات الوجدانية الأليمة .

• • •

لقد تحدثت فيما سبق [انظر ص ٢٦٧] عن أنانية النفس الطفلية . وأردف الآن - لكي أشعر بالصلة - أن الأحلام كذلك تتسم بهذا الطابع عينه . فالأحلام في جملتها على أنانية مطلقة ، والأنا المحبوب يظهر فيها جميعاً وإن تقنع . والرغبات التي تتحقق فيها من غير استثناء رغبات هذا الأنا عينه . وإذا لاح أن الالهام بالغير قد أثار حلماً ، فما ذلك إلا مظهر خادع . وهأنذا أحلل بضعة أمثلة تبدو مناقضة لما أقول .

١

روى طفل لم يبلغ الرابعة : أنه رأى مبقاً كبيراً اودع بالخضر وسلته شريحة كبيرة من الصمغ المنقى . ابتلعت الشريحة دفعة واحدة دون تقطيع . . ير اخذ من أكلها (١) .

من هو يا ترى هذا الشخص المجهول الذى أتحفه حاملنا الصغير بتلك الشريحة الفاخرة ؟ لا شك فى أن خبرة اليوم السابق تلقى الضوء على ذلك : فالطفل كان منذ بضعة أيام لا يتغذى إلا باللبن خضوعاً لأمر الطبيب . وهو بالأمس قد تجاوز الحد فى « الشفاوة » فكان عقابه الحرمان من وجبة العشاء . ثم إنه كان ذا خبرة سابقة بعلاج الحمية هذا وأظهر فى احتماله شجاعة كبيرة : كان يعرف أنه لن يحصل على شئ من الطعام ولكنه لم يكن يبيع لنفسه أقل إشارة إلى جوعه ، ولو بكلمة واحدة . والتربية إذن كانت قد أخذت تحدث أثرها فيه . وإنها لتفصح عن نفسها فى هذا الحلم الذى تظهر فيه بواكير التشويه . فلا شك فى أنه هو هذا الشخص الذى تتجه رغائبه إلى مثل هذه الوجبة الحافلة — وأى وجبة ! وجبة من اللحم . ولكنه وهو يعلم أن ذلك محرم عليه لا يجرؤ على الجلوس إلى المائدة كما يفعل الأطفال الجائعون فى أحلامهم (انظر حلم ابنتى الصغيرة أنا بالكريز ، ص ١٥٥) . وهكذا يظل الآكل مجهولاً .

٢

حلمت مرة أنى أرى فى واجهة إحدى المكتبات مجلداً جديداً من إحدى هذه السلسلات التى اعتدت شرائها والتى تنشر من أجل الحياة فى موضوع بعينه (كبار الفنانين ، تاريخ العالم ، أشهر المدائن . : إلخ .) . وكان عنوان السلسلة الجديدة هو

(١) إن ما يظهر فى الحلم من سخامة الأشياء وكثرة مقاديرها بين المبالغة بوجه عام أمر يمكن احبارة خاصة أخرى من الخصائص الطفولية . فليس بين رغبات الطفل ما هو أشد من رغبته فى أن يصير كبيراً وقد أن يجوز من كل شئ مقدار ما يجوز الأكره . والطفل صلب الإرضاء ، لا يعرف القناعة ولا يشبع من الإلحاح فى تكرار تلك الأشياء التى سر بها أو أصعب مذاقها . والتربية وحدها هى التى تملسه الاعتدال والقناعة والنزول من رغبته . ومن المعروف أن الصبايين كذلك يترمون إلى الإغراب ومجانبة الاعتدال .

« أشهر الخطباء » أو « الخطب » ، وكان أول مجلداتها يحمل اسم الدكتور ليشر .
عندما أخذت أحلّل هذا الحلم بدا لي أمراً بعيداً عن الاحتمال أن أشغل في أحلامي
بشهرة الدكتور ليشر ، هذا المتحدث الذي لا يفرغ من الكلام باسم المعارضة الألمانية
في البرلمان . وحقيقة الأمر هي أنني قد أخذت من أيام قلائل في علاج بعض المرضى
الجدد . وهكذا أصبحت اليوم مضطراً إلى التحدث عشر ساعات أو إحدى عشرة ساعة
في اليوم . فأننا أيضاً متكلم لا يفرغ .

٣

وصلت في مرة أخرى أن بعض معارف من أعضاء هيئة التدريس يقول :
يا بني، نسيك انظر . . ثم يعقب ذلك حوار مؤلف من جمل قصيرة وردود عليها .
ولكن هذا الحوار قد أعقبه أيضاً جزء ثالث من الحلم أظهر فيه أنا وأبنائي ، وليس الأستاذ
م . وابنه - من حيث يتصل الأمر بالمحتوى الكامن للحلم - إلا شبيحين قصد بهما إلى
تغطيتي أنا وابني الأكبر . وسأعود إلى هذا الحلم مرة ثانية خاصة أخرى فيه .
[ص ٤٤ وما بعدها] .

٤

ويضرب لنا الحلم الآتي مثالا على مشاعر أنانية خبيثة استتوت وراء قلق رؤوف :
يبدو صديق أرتو مثل الصمد ؛ فوجهه مسدود وعنايه جليظتان .
إن أرتو طبيب أسرتي ودينني نحوه يفوق كل ما أطمح في أن أجزيه به ؛ فهو يسهر
على صحة أبنائي منذ سنوات ويعالجهم في مرضهم علاجاً شافياً ، وهو بعد هذا كله لا يدع
فرصة تمر دون أن يهدي إليهم شيئاً . [انظر ص ١٤٤] واتفق أنه زارنا في يوم الحلم
ولاحظت زوجي أنه يبدو متعباً مستنفد القوى . وفي الليل أحلم به وأعزو إليه في الحلم
بعضاً من أعراض مرض بازدوف . إن من يتعرض لتفسير هذا الحلم غير ملتفت إلى
قواعدي سوف يخلص إلى أنني كنت في قلق على صحة صديقي وأن هذا القلق يتحقق في
الحلم . والحلم إذن لا ينقض رأبي في أن الأحلام تحقق رغبات وحسب ، إنه ينقض

كذلك قضيت الأخرى : إن الأحلام لا تعرف غير الدوافع الأنانية . ولكن هلا بين من أخذ بهذا التفسير لم خشيت على أوتو من مرض بازدوف - وهو تشخيص ليس في مظهر أوتو الحقيقي أقل دليل عليه . إن تحليلي يمدني بالمادة الآتية التي ترجع إلى حدث وقع منذ ست سنوات خلت : كنا محبة صغيرة ضمت الأستاذ ر . وكنا نركب في حلقة الليل عربة تجتاز غابة ن . الواقعة على مسيرة ساعات من المكان الذي كنا نصيف فيه ، وفجأة قذف السائق - وكان عملاً بعض الشيء - بالعربة وبمن فيها في منحدر كان هناك ، ولولا حسن الحظ ما خرجنا جميعاً سالمين . غير أننا اضطررنا إلى أن نقضى الليل في نزل قريب بلغته أنباء حادثتنا فأدرت علينا عطفاً كبيراً . وجاء سيد يحمل علاماً لا تخطئ على مرض بازدوف - وكانت على التحديد اسوداداً في بشرة الوجه مع جحوظ العينين ولكن بغير تضخم الغدة الدرقية كما هو الحال في الحلم تماماً - جاء يضع نفسه بكلية تحت تصرفنا ويسأل هل يستطيع أن يفعل شيئاً من أجلنا . فأجابه الأستاذ ر . بطريقته الخاصة : لا شيء إلا أن تقرضني قميصاً للنوم . وهنا أجابه رجلنا الليل قائلاً : « إلى آسف ، ولكن هذا هو مالا أستطيعه » ثم بارح الحجرة .

ولما تابعت تحليلي خطر لي أن بازدوف ليس اسم طبيب وحسب بل هو أيضاً اسم مرب معروف . (ولست أتق الآن وأنا مستيقظ من صحة هذه المعرفة .^(١)) ولكن صديقي أوتو هو هذا الشخص الذي رجوت منه أن يعنى إذا ما أصابني مكروه - بالترية البدنية لأبنائي . وبخاصة في سن المراهقة (ومن هنا قميص النوم) . وأنا - إذن - إذ أرى صديقي أوتو في الحلم بأعراض صاحبنا ذى المروءة أهدف صراحة إلى أن أقول : لو أن مكروهاً أصابني لأبدي من العون مثل ما أبداه البارون ل . في هاتيك المناسبة رغم عروضة السخية . ولعل في ذلك ما ينشر طية الأنانية في هذا الحلم^(٢) .

(١) [الواقع أنها معرفة صحيحة ؛ لبازدوف رجل من كبار رجال الترية في القرن الثامن عشر] .
(٢) [هامش وضع عام ١٩١١ :] كان إرنست جريز يلقى في جمعية أمريكية محاضرة علمية عن أنانية الحلم حين نهست سيدة مثقفة تفترض على هذا التسميم غير العلمي قائلة : إن مؤلف هذا الكتاب لا يستطيع إلا أن يحكم على أحلام النورسين ، وليس له أن يتحدث عن أحلام الأمريكيين . وهي واقعة فيها يتعلق بها من أن جميع أحلامها أحلام غيرية خالصة .

[١٩٢٥ :] ويعمل بنا أن نصيف على سبيل المصدرة لهذه السيدة الوطنية أن من الواجب علينا ألا نخطئهم فهم القليلة القائلة بأن الأحلام أنانية على الإطلاق - لأنه إذا كان كل ما يطرأ على التفكير البشري ممكن للورود في الحلم (سواء في محتوى الظاهر أو بين أفكاره الكامنة) . فإن هذه الإمكانية تظل قائمة كذلك بالنسبة

ولكن أين تحقيق الرغبة ؟ إننا لا نجد في الانتقام من صديق أوتو الذى قدر عليه - فيما يبدو - أن تساء معاملته في أحلامى، بل في الملابس الآتية : إذا كنت قد صورت أوتو في صورة البارون ل. فأنا بهذا عينه أكون قد عينت شخصى أنا بآخر غيره ، وأعنى به الأستاذ ر. ، فأنا أيضاً قد طلبت من أوتو طلباً مثلما فعل الأستاذ ر. مع البارون ل. إبان هذه الحادثة . وهنا بيت القصيد : فالأستاذ ر. - وهو الذى ما كنت لأجرؤ في الحقيقة على أن أقارن نفسى به لولا ذلك - قد شق أيضاً طريقه بعيداً عن العالم الأكاديمي ولم يحصل إلا بعد عمر طويل على لقب الأستاذية الذى كان يستحقه منذ أمد بعيد . وأنا إذن ابتغى مرة أخرى أن أصبح أستاذاً . لا ، بل إن هذه الكلمات ذاتها : « بعد عمر طويل » لتحقيق هى أيضاً رغبة ، لأنها تعنى أنى ساعيش حتى أرى بنفسى أولادى وهم في سن المراهقة .

وهناك أنواع أخرى من الأحلام النطية^(١) يطير فيها المرء مسروراً أو يسقط وهو يشعر بالهيلة : هذه أحلام ما عرفتها قط بخبرة شخصية وكل ما أستطيع قوله عنها إنما أستمده من التحليلات النفسية التى أجريتها . وللروس التى يتلقاها المرء من هذه التحليلات تلجئه إلى النتيجة الآتية : إن هذه الأحلام أيضاً تعيد انطباعات من انطباعات الطفولة ، لأنها تتعلق على التحديد بألعاب حركية تجتلب الأطفال اجتذاباً فائقاً . فمن هو هذا الم الذى لم يُعَ طفلاً على الطيران بأن يهرول به باسط الذراعين عبر الغرفة ، أو لم يتخذ من السقوط مادة للملاعبة ، فيجلسه على ركبته ثم يمد ساقه فجأة أو يرفعه عاليًا ثم يهين^(٢) إليه بحركة مباغتة أنه يتخلى عنه ؟ والأطفال حينئذ يصيحون طرباً ولا يكلمون من استعادة هذه الألعاب ، وبخاصة إذا احتوت على ما يحدث بعضاً من الخوف أو الدوار . وإنهم يستعيدونها في أحلامهم بعد أن تمضى بهم السنون ، سوى أنهم يحلفون من الحلم اليد التى تمسك بهم بحيث يبدون اليوم كمن يطيرون أو يسقطون أحراراً . وولع الأطفال بأمثال هذه الألعاب - كولعهم بالأراجيح بأنواعها - أمر معروف . فإذا رأوا في السيرك بعض الأفانين البهلوانية جدد ذلك عندهم ذكرى هذه الألعاب^(٣) وقد لا تخرج

صلى للمواقع القريبة . وعلى هذا النحو منه يستطيع دافع من اللطف أو المشق تجاه شخص آخر أن يظهر في الحلم إذا كان قائماً في اللاشعور . وعلى هذا ينحصر مدق القضية المروية في النص في كوننا نجد في أحيان كثيرة جداً من الحوافز اللاشعورية إلى الحلم نوازح أنانية يلوح في حياة اليقظة أننا قد تغلبنا عليها .

(١) يلمظ القارئ مهنا المفاجأة في الانتقال من أحلام موت الأسياء إلى أنواع أخرى من الأحلام

النفس - وهو ما جعل سترافى يضيف في هذا الموضع حنوياً جديداً . [١٩٢٥ :] لقد أرانا البحث التحليل أن هناك عاملاً آخر - هذا اللذة خاصة في الأعضاء ذاتها - يجمع إلى =

التوبات المستيرية عند الصبية عن أن تكون استحضاراً يتأدى في مهارة بالغة لأمثال هذه الأفانين . كما أنه لا يندر أن تنبه هذه الألعاب الحركية - وإن كانت بريئة في ذاتها - مشاعر جنسية^(١) . وإذا جاز لي أن أستخدم تعبيراً دارجاً اعتدنا أن نطلقه على هذا النشاط بكافته ، قلت : إن هيجان الأطفال هو ما يستعد في أحلام الطيران والوقوع والتأرجع وما شابهها استعادة تنقلب في خلالها الالة إلى هيلة . ولكن هياج الأطفال كثيراً ما ينمى في الواقع كذلك بالشجار وبالدموع - كما تعرفه كل أم .

وأنا - إذن - أملك أسباباً طيبة أستبعد على أساسها النظرية القائلة : إن أحاسينا اللصية في أثناء النوم وكذلك الإحساس بحركة الرتين وما أشبه - هي التي تبحث على أحلام الطيران والسقوط [انظر ص ٧٥] . بل في رأي أن هذه الأحاسيس ذاتها إنما تستحضر باعتبارها جزءاً من مقومات الذكرى التي يرتد إليها الحلم ، أي أن هذه الأحاسيس جزء من محتوى الحلم وليست مصادر له .

ولكنني لا أخفى عن نفسي بحال من الأحوال قصوري عن الإتيان بتفسير كامل لهذه الطائفة من الأحلام الغمطية ، فالمادة التي عندي تتركني حائراً في هذه المسألة بالذات . إلا أنني - على أية حال - لا أرى بداً من الاستمساك بوجهة النظر العامة هذه : إن جميع الإحساسات اللصية والحركية المتضمنة في هذه الأحلام إنما تستدعي على الفور كلما احتاج إليها دافع نفسي ما . وأن من الممكن إغفالها إذا لم تكن هناك مثل هذه الحاجة . [انظر ص ٢٥٦] وكذلك العلاقة بين هذه الأحلام وتعبيرات الطفولة : إنها تبدو لي أمراً تقطع به الدلائل المتجمعة عندي من تحليل العصبيين . فإما سائر المعاني التي تجيء في سياق الحياة فترتبط بذكرى هاته الإحساسات - وأرجح أن هذه المعاني

يصل الأطفال بالحركات البهلوانية وإلى استعادتهم إياماً في التوبات المستيرية ، هذا العامل الآخر هو صورة ذكرورية (يكثر أن تكون صورة لاشورية) من جهاج لوسط (بين الإنسان أو الحيوان) .

(١) تحدث إلى هذا الصدد زميل شاب خلا من كل أثر من الاضطراب العصبي فقال : " أعلم من خبرك الشخصية أنني وأنا طفل كنت أشتعر إحساساً معيناً في أعضائي التناسلية عندما آخذ في التأرجح ، وبخاصة حين تبلغ الحركة الهابطة صدعاً الأذن . وإلى وإن كنت لا أستطيع أن أقول : إنني كنت أسر بهذا الإحساس إلا أنني لا أبعد بداً من وصفه بأنه كان إحساساً لذيذاً " . - وكثيراً ما سمعت من المرضى أن أهل انصابهم المصعوبة بالالة والى يطعمون تذكرها قد أتتهم في صباهم وهم يتسلفون - كما أنه ثبت من التحليل النفسي ثبوتاً لا يتطرق إليه الشك أن الغضات الجنسية الأولى كثيراً ما تتأصل جنودها في ألعاب المناوشة والمصارعة التي تقع في سن الطفولة .

تختلف باختلاف الأفراد مهما كان من ظهور هذه الأحلام على نحو تغطي - فذلك ما لا أعرف الجواب عنه ، وكنت أود لو كان في استطاعتي أن أسد هذا النقص بتحليل بعض الأمثلة البينة تحليلًا دقيقاً . فإن عجب البعض إذ يرانى أشكو نقص المادة في هذا الصدد وليس أكثر من هذه الأحلام على التحديد - أحلام الطيران والسقوط ووقوع الأسنان ، إلخ - أجبته بأن مثل هذه الأحلام لم تقع لي قط منذ أن وجهت انتباهي إلى موضوع تفسير الأحلام . وأما أحلام العصائين فلا يسعنا دائماً - أو على الأقل لا يسعنا كثيراً - أن نمضي في تحليلها إلى غاية معناها الخبيء ، فهناك قوة خاصة - قوة كان لها نصيبها في تكوين العصاب أصلاً وتتحرك إلى العمل حين نتعرض لحله - تحول دون تفسير الحلم حتى لغزه الأخير .

(ج) أحلام الامتحان

إن كل من اجتاز امتحان البكالوريا في ختام الدراسة الثانوية يشكو من إلحاح هذا الحلم من أحلام الهيلة في ملاحظته ، إنه قد رسب في الامتحان ، أو إنه مضطر إلى إعادته من جديد ، إلخ . وأما الذين حصلوا على درجة جامعية فيحل عندهم محل هذا الحلم الفطلي حلم آخر يحيل إليهم أنهم قد رسبوا في امتحان الإجازة الجامعية ، وهو ما يعترضون عليه سدى وهم ما زالوا نيماً محتجين بكونهم يعملون منذ سنوات كأطباء أو محاضرين بالجامعة أو رؤساء أقلام : تلك ذكريات لا تُجسَدَ عن ألوان من العقاب لقيناه في طفولتنا جزءاً على سره فعالنا ، ذكريات تبعث في نفوسنا من جديد رابطةً نفسها بهاتين الحظتين الحاسمتين في تاريخ حياتنا المدرسية ، به يوم الغضب ، ذاك اليوم ^(١) ، يوم نمتحن أصغر امتحانين . وإلى هذه المخاوف الطفلية عنها يرجع اشتداد هيلة الامتحان عند العصائين . فنحن بعد أن نفرغ من مرحلة التلمذة لا نرجع تلقى عقابنا على يد آبائنا أو أولياء أمورنا أو المدرسين من بعدهم ، وإنما يتكفل بريتينا في مستأنف السنين هذا الرباط العلي الذي لا يرحم بين أحداث الحياة الواقعة . وهانحن أولاء

(١) ["dieu trace, dieu illa" مطلع صلاة مشروطة لا ترددها الكنيسة إلا يوم يموت أبناؤنا . وهي نصف ساعة البت للاختام الأخير : " . . . الطيبة والموت سوف يرومان يوم يقف الإنسان لرواجه القاضى الأمل " - وإن انتهت بالإعراب عن الأمل في حسن وساطة المسح] .

نحلم اليوم بامتحان البكالوريا أو الإجازة الجامعية - ومن ذا الذى لم يرتعد إذ ذاك ولو كان مستعداً ؟ - كلما ارتكبنا خطأ أو قصرنا فى أمر فخشينا أن تأتى العاقبة بالعقاب ، أى كلما شعرنا بوطأة المسئولية .

ولأحلام الامتحان تفسير أعمق أدين به للملاحظة لاحظها أحد زملاء المحنكين (وهو شتيكل) إذ أعلن مرة فى اجتماع علمى أن الحلم بامتحان البكالوريا لا يأتى - بقدر ما يعلم - إلا الذين اجتازوا هذا الامتحان بنجاح . ولا يأتى أبداً أولئك الذين أخفقوا فيه . وهكذا يلوح أن أحلام الامتحان المصحوبة بالهيلة - وهى التى يثبت بالملاحظة تلو الملاحظة أنها تأتى المرء حين تنتظره فى الغد مسئولة بخشى الإخفاق فيها - يلوح أنها تلمس مناسبة ماضية لم تجد فيها الهيلة الشديدة ما يبررها بل جاءت الحوادث بما يكذبها . وإذا كان الأمر كذلك . كان هذا مثالا عجيباً على الخطأ الذى نقع فيه إذ نفهم محتوى الحلم بوساطة النظام المستيقظ . [انظر ص ٢٦١] فما نعدده احتجاجاً على الحلم : « ولكننى طيب بالفعل . إلخ » . هو فى الحقيقة العزاء الذى يحمله الحلم ، عزاء يخلق بنا أن نقرأه على هذا النحو : « لا تخش من الغد شيئاً ، انظر أى هيلة تملكك قبيل امتحان البكالوريا ! ومع هذا لم يمسك شيء ، وما أنت ذا اليوم طيب بالفعل ، إلخ » . وأما الهيلة التى نعوها إلى الحلم فقد تولدت فى الحقيقة من بقايا اليوم السابق .

وإن المحاولات التى استطعت إثباتها للتثبت من صحة هذا رأى عندى وعند غيرى - وإن لم تكن كثيرة العدد الكافية - قد أبدت صدق هذا رأى . فأنا - مثلاً - قد رسبت فى امتحان البكالوريوس فى مادة الطب الشرعى ، ولم يحدث قط أن امتحنى الحلم مرة ثانية فى تلك المادة على حين امتحنت كثيراً فى علوم النبات أو الحيوان أو الكيمياء ، وهى مواد كنت أذهب للامتحان فيها وفى هيلة كانت لها أسباب وجيهة ولكننى كنت أفلت من العقاب سواء بفضل الحظ أو بفضل المتحنيين . وأما فى الأحلام المتصلة بامتحانات الدراسة الثانوية فأراى أمتحن دائماً فى مادة التاريخ وهى مادة نجحت فيها نجاحاً باهراً - وإن رجعت الفضل فى ذلك إلى أن أستاذى ذا القلب الرحيم (غائى ذو العين الواحدة فى حلم آخر . ص ٥٦) لم يفته أن يلحظ أننى حين أعدت ورقة الأسئلة إليه قد أعلمت بإظرفى ثانى الأسئلة الثلاثة المدونة فيها [للإجابة عنها شفهيّاً] تنبيهاً له

إلى أنه لا داعى إلى الإلحاح فى هذا السؤال . وأعرف مريضاً من مرضى عدل عن دخول امتحان البكالوريا فى المرة الأولى ثم عاد بعد ذلك فأداه بنجاح ، ولكنه أخفق فى امتحان الكلية الحربية ولم يفلح قط فى أن يكون ضابطاً : هذا المريض يجبرنى أنه يحلم فى أحيان كثيرة بالامتحان الأول ولكنه لا يحلم أبداً بالثانى .

هذا . ونحن نواجه فى تفسير أحلام الامتحانات تلك الصعوبة التى قالت من قبل [ص ٢٥٩] إنها خاصة من خواص غالبية الأحلام النطية : فالمادة التى تزودنا بها مستدعيات الحلم لا تكفى فى تفسير الحلم إلا نادراً ، ولنا نستطيع الوصول إلى فهم هذه الأحلام فهماً أولى إلا بجمع عدد ضخم من أمثلتها . ولقد انتهت منذ زمن غير بعيد إلى تلك النتيجة المستيقنة ، وهى أن قول الحلم : « ولكنك طبيب حقيقة ، إلخ » . لا يضر العزاء وحسب ، بل هو يتضمن لوماً مؤداه : « إنك اليوم رجل كهل تقدمت بك السنون ، وأنت مع هذا لا تنقطع عن ذلك العبث الطفلى الأخرق » . وهذا المزيج من نقد النفس وتعزيتها هو الذى يعرب فى رأى عن محتوى الحلم الكامن . وعلى ذلك لن يكون أمراً عجباً إذا وجدنا أن ما يجمى فى الأمثلة التى حللناها أخيراً من لوم على « الأخرق » و « العبث الطفلى » إنما يتعلق فى الحقيقة باستعادة أفعال جنسية محرمة .

ولقد كان من رأى شتىكل - وهو الذى أتى بأول تفسير لأحلام البكالوريا^(١) - أن هذه الأحلام تلمح من غير استثناء إلى الامتحان الجنسى والبلوغ الجنسى . وكثيراً ما دعمت خبرتى صحة هذا رأى .

(١) [« البكالوريا » فى الألمانية = Matura ، وهو من اللاتينية بمعنى « النضج » أو « البلوغ » .]

عمل الحلم

إن كل المحاولات التي بذلت حتى اليوم في حل مشكلات الحلم قد انصبت من غير وساطة على محتواه الظاهر كما يمثل في ذاكرتنا ، فمن هذا المحتوى جهدت هذه المحاولات في الوصول إلى تفسير الحلم ، أو عليه أقامت حكمها في طبيعته - حين تركت مشكلة تفسره . نحن وحدنا نواجه وضعاً مختلفاً ؛ فهناك مادة جديدة تقوم من وجهة نظرنا بين محتوى الحلم الظاهر وبين النتائج التي انتهى إليها بحثنا : تلك هي محتوى الحلم الكامن أو أفكار الحلم التي باطنهاا بمنهجنا . ونحن إنما نفك معنى الحلم من محتواه الكامن لا من محتواه الظاهر . وعلى ذلك تواجهنا مهمة جديدة لم يكن لها وجود من قبل : أن نبحث العلاقة بين محتوى الحلم الظاهر وبين أفكاره الكامنة ، وأن نتأثر العمليات التي تستحيل بها هذه الأفكار إلى ذلك المحتوى

إن أفكار الحلم ومحتوى الحلم يمثلان أماناً كترجمتين توديان في لغتين مختلفتين معنى بعينه ، أو بعبارة أصح : إن محتوى الحلم يبدو لنا كأنه نقل لأفكار الحلم في نمط مختلف من التعبير . نمط يحق علينا أن نعرف رسم حروفه وقواعد نحوه ، وذلك بالمقارنة بينه وبين الأصل . إننا نفهم أفكار الحلم من غير وساطة فور العلم بها . وأما محتوى الحلم فيأتيان فيا يشبه الكتابة المصورة ، كتابة يجب علينا أن ننقل رسومها رسماً رسماً إلى لغة أفكار الحلم . فمن الجلي أننا نساقي إلى الخطأ حين نقرأ هذه الرسوم بحسب دلالتها المصورة لا على حسب علاقتها الرمزية . هب أمانى لفرأ من الألفاظ المصورة : منزل أرى على سطحه مركباً ، ثم حرف واحد من الحروف الأبجدية ، ثم شخص يجري منزوع الرأس ، إلخ . لقد أنزلنا إلى النقد معلنا أن هذه الصورة غير معقولة في كلها وفي أجزائها : فإ شأن المركب بسطح المنزل ؟ وكيف لرجل أن يجري منزوع الرأس ؟ ثم إن الرجل أكبر حجماً من المنزل وإذا كان المراد بكل هذا هو أن يصور منظراً طبيعياً فليس هذا محل الحرف الأبجدي ، فالطبيعة لا تعرف الحروف الأبجدية . ولكن من الواضح أننا إنما نوفق

إلى الحكم على هذا اللفز حكماً صحيحاً حين ندع جانباً أمثال هذه الانتقادات الموجهة إلى الصورة في مجموعها وفي أجزائها ، وحاولنا بدل ذلك أن نبدل بكل عنصر من عناصر الرسم مقطعاً أو كلمة يمكن تمثيلها بهذا العنصر على نحو من الأنحاء . فإن فعلنا ، فقد لا نخرج لنا منه كلمات خالية كذلك من المعنى ، بل قول من أجمل ما جاء به الشعر وأقصاه . والحلم لفر مصور من هذا القبيل ، ولقد أخطأ المتقدمون علينا في مجال تفسير الحلم فنظروا إلى اللفز نظرهم إلى لوحة مصورة . وكان أن بدا لهم — من حيث هو كذلك — خالياً من المعنى ، مجرداً من القيمة .

١

التكثيف

إن أول ما يتبين للباحث عند المقارنة بين محتوى الحلم وأفكار الحلم هو أن ثمة عملية تكثيف قد أجريت على نطاق واسع : الحلم مقتضب ، هزيل ، مليء بالثغرات ، إن هو قورن بسعة أفكار الحلم وغناها . فهو إذا كتبه قد يستغرق نصف الصفحة ، فلو سطرت التحليل الذى ينشر أفكار الحلم المتضمنة فيه للمآت ضعف ذلك ست مرات أو ثمانى مرات أو اثنى عشرة مرة . وتختلف هذه العلاقة باختلاف الأحلام . ولكنها بقدر ما تنهب إليه تجربى — لا تغير اتجاهها أبداً . ونحن في العادة نقدر مقدار الإدغام الذى يقع تقديرًا دون الحقيقة ، إذ يغلب علينا أن ننظر إلى أفكار الحلم التى خرجت إلى الضوء كما لو كانت تؤلف كل المادة الممكنة ، على حين أننا إذا تابعنا التفسير فقد نتكشف لنا أفكار أخرى مستترة وراء الحلم . ولقد سنحت لي الإشارة من قبل [ص ٢٣٨] إلى كوننا لا نستطيع أن نستيقن أبداً من أن هذا الحلم أو ذاك قد فسر تفسيراً كاملاً . فاحتمال أن يكون للحلم معنى آخر غير الذى كشف احتمال يظل قائماً دائماً حتى ولو بدا الحل مقنعاً لا خال فيه . أو بعبارة أدق : إن من المستحيل أن نحدد

مقدار التكيف . غير أن هناك رداً يبدو للوهلة الأولى مقبولا في الغاية على قولنا : إن النقص العظيم في التناسب بين محتوى الحلم وأفكار الحلم دليل على أن المادة النفسية قد احتملت في أثناء تكوين الحلم عملية تكيف واسعة النطاق . ذلك أننا نشعر في أحيان كثيرة بأننا قد حلمنا بالشئ الكثير طيلة الليل كله ونسبنا معظم ما حلمنا به ، فالحلم الذى نذكره قد لا يكون — بحسب هذا رأى — سوى نبذة متبقية من مجموع عمل الحلم ، ولو قد تذكرنا هذا كله لكان من الجائز أن نجد له من الشمول مثل ما لأفكار الحلم . وما من شك في أن هذا الرأى لا يخلو من بعض الصلح ؛ فلا جدال في أننا نستحضر الأحلام على أدق وجه إذ حاولنا أن نتذكرها فور استيقاظنا وأن ما نذكره منها يتناقض شيئا فشيئا حتى المساء . غير أننا نستطيع أن نبين — من ناحية أخرى — أن شعورنا هذا بكوننا قد حلمنا بأحلام تربو كثيراً على ما نذكره هو شعور قائم في أحيان كثيرة على وهم سوف أناقش مصدره فيما بعد [ص ٤٨٦ — ٤٨٧ ثم ص ٥٠٧] . أضف إلى ذلك أن فرضنا القائل بأن ثمة تكيفاً يقع في خلال عمل الحلم هو فرض لا تغير منه في شئ إمكانية نسيان الأحلام ؛ لأن هذا الفرض إنما تثبتته كمية الأفكار المتصلة بكل جزء مفرد من أجزاء الحلم المحفوظة في الذاكرة . فإن كنا نسبنا حقيقة شطراً كبيراً من أحلامنا ، فمنى ذلك في الراجع هو أننا قد حرمانا من الوصول إلى طائفة جديدة من أفكار الحلم ؛ وأما أن نتوقع أن أجزاء الحلم المفقودة ربما تعلقت بهذه الأفكار عنها التى وصلنا إليها بتحليل الأجزاء المتبقية ، فذلك ما لا مبرر له على الإطلاق ^(١) .

ولكن من شأن غزارة المستدعيات التى تنخطر عند التحليل بخصوص كل عنصر مفرد من محتوى الحلم أن تثير في أذهان الكثيرين من القراء هذا الشك البدئى : هل يحق لنا أن نعد كل هذه المستدعيات التى تظهر من بعد ، في خلال التحليل ، جزءاً من أفكار الحلم ؟ أى : هل يحق أن نعتقد أن هذه الحواطر كانت حاضرة بالفعل ناشطة في خلال حالة النوم وأنها قد شاركت في تكوين الحلم ؟ أليس الأرجح أن مستدعيات

(١) إن وقوع التكيف في الأحلام ظاهرة أشار إليها مؤلفون كثيرون من قبل . فنحن نجد مع دوبرل (١٨٨٥ ، ٨٥) فقرة يقول فيها : إن من الأمور المستيقنة استيقانا مطلقاً أن هناك عملية تكيف تسبب طوائف الأفكار في الحلم .

فكرية جديدة تنشأ في سياق التحليل دون أن يكون لها في تكوين الحلم نصيب؟ إنني لا أستطيع أن أوافق على هذا الشك سوى موازنة مشروطة . نعم ، إن من الحق ولا شك أن بعض حلقات المستدعيات تظهر في سياق التحليل للمرة الأولى ، ولكن في صبح المرء أن يفتن في مثل هذه الحالات جميعها بأن هذه الروابط الجديدة إنما تقوم بين فكرتين كانتا موصولتين بالفعل في أفكار الحلم على نحو آخر من الانحاء . فهذه الروابط الجديدة هي بمثابة حوادث أو مسالك مختصرة صارت ممكنة لأن ثمة طرقاً رابطة أخرى أعمق غوراً . ولا بد لنا من أن نسلم بأن الغالبية العظمى من الأفكار التي تتكشف في أثناء التحليل كانت حاضرة بالفعل ناشطة عند تكوين الحلم ؛ لأننا كثيراً ما نتابع خطأً من الأفكار تبدو مقطعة الصلة بتكوين الحلم ، ثم إذا نحن نعرّضها على فكرة مثلك في الحلم ، ولا يستغنى عنها في تفسيره ، وما كنا مع ذلك لننتهي إليها بغير متابعة هذا الخيط الفكرى . ويعنى لى هنا أن أذكر بحلم المبحث النبأى ، هذا الحلم الذى يبدو نتيجة لعملية تكيف مدحشة وإن لم أرو تحليله كاملاً .

ولكن إذا كان ذلك كذلك ، فعلى أى نحو نتصور الوضع النفسى في خلال فترة النوم التي تسبق الحلم ؟ هل تتراس أفكار الحلم جميعاً ، الواحدة بجانب الأخرى ، أو هي تتعاقب ترى ، أو أن عمليات نفسية متعددة تبدأ في وقت واحد من مراكز مختلفة ثم تلتقى ؟ أعتقد أننا لا نحتاج في الوقت الحاضر إلى تكوين فكرة منظورة عن الوضع النفسى القائم في خلال حالة النوم . يكفى ألا ننسى أن الأمر يتعلق بفكر لا شعورى من السهل أن يحمى سيرة مختلفاً مما نلاحظه في أنفسنا عند التفكير الماداف المصحوب بالشعور .

وأيما كان الأمر فالحقيقة الثابتة تبقى : أن تكوين الحلم يقوم على عملية تكيف . فكيف يقع هذا التكيف ؟

إن المرء إذ يرى أن أقلية ضئيلة من أفكار الحلم هي التي تمثل وحدها في الحلم بوساطة أحد عناصرها الفكرية المشتركة — قد يتجه ظنه إلى أن هذا التكيف يتم من طريق الحلف ، أى أن الحلم ليس ترجمة صادقة لأفكار الحلم أو إسقاطاً لها نقطة فنقطة ، بل هو نسخ ناقص ، ملء بالثغرات إلى أبعد مدى . هذا الرأى — كما سنراه عاجلاً —

بعيد غاية البعد عن مطابقة الواقع . إلا أننا ستكفي الآن عليه اتكاء وقوتا ثم نمضي منه
فسأل : إذا كانت قلة قليلة من أفكار الحلم هي التي تنفذ وحدها إلى محتواه ، فما هي
الشروط التي تحدد اختيارها ؟

لا بد لكي نجيب عن هذا السؤال من أن نوجه الآن اهتمامنا إلى هذه العناصر من
محتوى الحلم التي لا بد أن تكون قد حققت تلك الشروط التي نبحث عنها . وأحسن ما
يعين بالطبع على هذا البحث حلم شاركت في تكوينه عملية تكثيف ذات شدة تفوق
المألوف . ولهذا أختار بادئ ذي بدء حلماً ذكرته من قبل في ص ١٩١ .

١

المبحث الثاني

محتوى الحلم : كبت بحثاً خاصاً بنوع (غير محدد) من النبات . الكتاب مائل أمامي وأنا أدير في
نك الحقة هل التحديد لوحة ملونة مطوية . أرقق بالنسخة نموذج مجفف من النبات .

إن العنصر الذي يظهر على غيره في هذا الحلم هو المبحث النباتي . وقد نشأ هذا
العنصر من انطباع تخلف من اليوم الذي سبق الحلم ، فقد رأيت في واجهة إحدى
المكتبات بحثاً في فصيلة السيكلامين ولم يرد لهذه الفصيلة ذكر في الحلم ، بل كل ما
تبقي كان المبحث وصلته بعلم النبات . ولم يلبث « المبحث النباتي » دون أن يتكشف رباطه
بمقال عن الكوكايين كتبه مرة . ومن الكوكايين ذهبت المستدعيات — من جهة —
إلى الكتاب التذكاري وإلى أحداث معينة وقعت في معمل الجامعة ، وذهبت — من جهة
أخرى — إلى الدكتور كونيشتاين طبيب العيون الذي كان له سهم في التعريف بالكوكايين .
وذكرني شخص الدكتور كونيشتاين بمحادثة قطع حبليها ، جرت بيننا في مساء الحلم
وبمخطوطي المتعددة فيما يتعلق بسداد أجور الخدمات الطبية بين الزملاء . وكانت هذه
المحادثة هي المحافز الحقيقي إلى الحلم ، حافزه الحاضر الناشط ، وأما المبحث الخاص
بفصيلة السيكلامين فكان انطباعاً حاضراً ناشطاً كذلك ولكنه كان خالياً من القيمة .

ويتبين لي أن «المبحث النبأى» فى الحلم كان بمثابة عنصر مشترك أوسط بين خبرتى اليوم السابق ، فهو قد أخذ كما هو من الانطباع المجرد من القيمة ثم ربط بالانطباع ذى القيمة النفسية الكبيرة بوساطة روابط استدعائية غزيرة .

ولكن الأمر لم يقتصر على هذه الفكرة المركبة . فكرة «المبحث النبأى» ، بل إن كل عنصر من عناصرها ، «نبأى» و «مبحث» ، قد أدى منفصلاً إلى رزمة أفكار الحلم المختلطة من خلال روابط متعددة تزيد عمقاً بعد عمق . فإلى «نبأى» رجعت ذكرى الأستاذ جازنر [البستانى] وذكرى زوجته المزهرة ، ثم ذكرى مريضتى فلورا [أزهار] وذكرى السيدة التى رويت فى صدها قصة الأزهار المنسية . وأدى جازنر بدوره إلى العمل وإلى حديثى مع كونيشتاين ، ولقد كنا أشرنا فى خلال هذا الحديث عنه إلى هاتين المريضتين [فلورا والسيدة ل.] ومن السيدة بأزهارها تشعب الفكر إلى أزهار زوجتى المفضلة ثم إلى عنوان البحث الذى كنت ألقى عليه فى النهار نظرة عابرة . و«نبأى» قد ذكرنى — عدا ذلك — بقصة وقعت فى المدرسة الثانوية وبامتحان فى الجامعة ، ثم جاء موضوع جديد كان الحديث مع كونيشتاين قد تطرق إليه — وأعنى به هواناى المفضلة — فارتبط عن طريق ما سميت مازحاً زهرتى المفضلة — وأعنى الخرشوف — بسلسلة الخواطر المنبثقة من الأزهار المنسية . ومن وراء «الخرشوف» كتب — من جهة — ذكرى إيطاليا^(١) وكن — من جهة أخرى — مشهد من طفولتى كان فاتحة ما أصبح من بعد علاقتى الحميمة بالكتب . وهكذا كان هذا العنصر «نبأى» معقد الحلم حقيقة : فيه التقت خيوط من الفكر كانت قد دخلت فى سياق تلك الحادثة دخولا مناسباً — كما يعنى توكيده . فنحن نجد أنفسنا هنا فى مصنع الأفكار يصدق عليه قول الشاعر عن عمل الناج :

فى دفعة القدم يموج ألف خيط

ويستفض البكر فى كر وفر

والخيوط تنساب لا تنظرها

كل ضربة تحزم ألف شكل^(٢) .

(١) [لم يرد ذكر إيطاليا فى المستندات التى أوردتها فرويد فى صدد هذا الحلم ، وأغلب الظن أنه يشير هنا إلى مستندات لم يذكرها] .

(٢) [فاوست ، الجزء الأول ، المشهد الرابع " فى مكتب فاوست " سطر ١٩٢٤ وما بعده] .

وكذلك «مبحث» : فهي تلمس لموضوعين : اقتصار داساقى على جانب واحد وإلم التكاليف التى نجر إليها هواباقى .

هذه النظرة الأولى تشعر المرء بأن هذين العنصرين : «نباقى» و «مبحث» قد أوجدا موضوعاً فى محتوى الحلم لأنهما كانا يملكان أوفر العلائق بمعظم أفكار الحلم . وكانا لذلك بمثابة معقدين تجتمع فيهما أفكار حلمية غزيرة غاية الغزارة ، أى لأن لهما فيما يتصل بتفسير الحلم معانى متعددة . وفى وسعنا أيضاً أن نعبر عن الظاهرة الأساسية التى يقوم عليها هذا التعليل تعبيراً مختلفاً فنقول : إن كل عنصر من عناصر محتوى الحلم لا يلبث أن يتبين أنه محتوم حتماً مضاعفاً ، أى أنه يمثل فى أفكار الحلم أكثر من مرة .

ولنا لتعلم ما هو أكثر من ذلك إذا فحصنا سائر مقومات الحلم من حيث ورودها بين أفكاره . فاللوحة الملونة التى كنت أدبرها قد أدت إلى موضوع جديد هو التقيد الذى وجهه الزميل إلى أعمالى . [انظر تحليل الحلم فى ص ١٩٧] ، ثم إلى موضوع آخر سبق أن رأيناه ممثلاً فى الحلم ، هو هواباقى المفضلة ، وهذا بالإضافة إلى ذكرى مشهد الطفولة الذى كنت أمزق فيه - ورقة فورية - كتاباً حوى لوحات ملونة . وأما نموذج النبات المجفف فكان يرجع إلى قصة معشب المدرسة الثانوية ويؤكد هذه الذكرى توكيداً خاصاً . وهكذا يتضح لنا نوع العلاقة بين محتوى الحلم وأفكاره : فعناصر الحلم قد حتمتها أفكار الحلم المرة بعد المرة ، ولكن الأمر لا يقف عند هذا الحد ، بل إن أفكار الحلم المتفرقة قد تمثل فى الحلم بأكثر من عنصر واحد . فطريق التداعى يمتد من أحد عناصر الحلم إلى أفكار كثيرة للحلم ، ثم من فكرة واحدة من أفكار الحلم إلى أكثر من عنصر من عناصره . وهكذا لا يتم تكوين الحلم بمبحث تسلم كل فكرة من أفكاره أو كل طائفة من هذه الأفكار إلى عنصر مختزل يمثلها فى محتوى الحلم تمثيلاً مستقلاً على نحو ما تنتخب الدوائر الانتخابية نوابها ، بل الأصح أن تقلباً يتناول أفكار الحلم فى مجموعها بحيث لا يكتسب حتى الدخول فى الحلم إلا العناصر المؤيدة أكثر التأييد وأقواه على نحو مماثل نظام الانتخاب بالقائمة . وما من حلم حللته مثل هذا التحليل إلا اكتشفت فيه هذا المبدأ الثابت : إن عناصر الحلم تنبى من أفكار الحلم مأخوذة فى مجموعها وأن كل

عنصر من هذه العناصر محتوم في علاقته بهذه الأفكار أكثر من حلم .
 ومن المؤكد أنه لن يكون من نافلة الكلام أن نصور العلاقة بين محتوى الحلم وأفكار
 الحلم بمثل جديد يمتاز بتشابك العلائق المتبادلة بين هذين الطرفين تشابكاً فذاً في مهارته .
 والحلم حلم مريض كنت أعالجه من مخالفة الأماكن المغلقة وسيتبين للقارئ سريعاً لم
 اخترت لهذا النتائج الحلمى الفريد في ألمعته اسم :

٢

« حلم جميل »

كان يركب مع محبة كبيرة في شارع س . حيث يوجد نزل متواضع (وهو ما ليس صحيحاً) .
 بداخل النزل مسرحية تمثل . إنه متفرج تارة ، يمثل تارة أخرى . كان على الجميع بعد أن انتهت المسرحية أن يغيروا
 ملابسهم لكي يذهبوا إلى المدينة . نزل فريش من المصوبة في الطابق الأرضي ونزل فريق آخر في الطابق الأول . شب
 حيتلنزاع : الأهلون غاضبون لأن الأسفلين يتباطئون بحيث يحولون بينهم وبين النزول . وكان أخوه بالطابق الأعلى
 وكان هو بالطابق الأسفل وكان ساعداً على أخيه لأنه وفريقه يتخونهم حثا لا يطاق . (هذا الجزء غير واضح) .
 كانت القصة بين من يحلون الطابق الأعلى وبين من يحلون الطابق الأسفل أمراً مقررًا منذ اللحظة التي وصلوا فيها .
 يذهب بعد ذلك وسد مسدداً في شارع س . في اتجاه المدينة . يلاقى في الصعود صعوبة ويلاقى عناء حتى إنه لا يكاد
 يمارح مكانه . يقبل عليه سيد متقدم في السن ويمرض بملك لإيطاليا . عند ما يبلغ قمة المرتقى يسبل سيرة كثيراً .
 وكانت صعوبة الصعود متميزة حتى إنه ظل يشك بعد القطة برهة فيما إذا كان
 الأمر حلماً أم حقيقة .

إن هذا الحلم لن يلتقي منا كلمة طيبة لو حكمنا عليه من محتواه الظاهر . وسأبدأ
 تفسيره على عكس القاعدة - بهذا الجزء الذى نص الحلم على أنه كان أشد أجزاءه
 تميزاً .

إن الصعوبة التي حلم الحالم بها وأحسها فعلاً في حلمه على الرابع - الصعود الشاق
 مع عسر التنفس - هي لإحدى الأعراض التي كانت قد بدت بالفعل على المريض منذ
 سنوات وعزيت إذ ذاك - مع غيرها - إلى السل (ويرجع أنه كان محاكاة هستيرية) .

ولقد عرفتنا أحلام الاستعراض من قبل بهذا الإحساس الخاص الذى يرد فى الحلم ، إحساس الكف . وإنا نرى مرة أخرى أن هذا الإحساس مادة سهلة المنال فى كل وقت ، تستغل فى كل غرض تصويرى آخر . ولقد ذكرتنى تلك الفقرة من الحلم التى يبدأ فيها الصمود صعباً ثم يسهل عند نهاية المرتضى - ذكرتنى والحالم يروى حلمه بالمقدمة الذائعة المنقطعة النظير التى يستهل بها الفونس دوديه رواية « سافو » : هناك نرى شاباً فى مقتبل العمر يصعد السلم حاملاً خليلته خفيفة كالريشة أول الأمر ، ولكنه كلما صعد أثقلت ذراعيه . والمشهد كله ينهى بمصير العلاقة بينهما ، أراد دوديه بتصويره أن يحذر الشباب من الإغراق فى كلف جاد بفتيات لا يعرف لمن أصل ولا يسلم ماضيهن من بعض الظن^(١) . وكنت أعلم أن مريضى قد اشتبك فى صلة غرامية بيدة تعمل فى المسرح وأنه قد قطع هذه الصلة أخيراً ، ومع هذا لم أكن أتوقع أن يتأيد تفسيري . أضف إلى ذلك أن الموقف فى سافو كان عكسه فى الحلم : ففى الحلم يبدأ السير صعباً ثم يسهل من بعد ، بينما يقوم كل مغزى الرمز الروائى فى كون ما كان سهلاً فى البداية قد صار فى النهاية عبثاً ثقيلاً . فلشد ما كان دهشى حين أجاب المريض أن تفسيري يتسق غاية الاتساق ومسرحة رآها فى مساء الحلم : كان اسم المسرحية « جولة فى فيينا » وكانت تعالج سيرة فتاة بدأت حياتها فتاة محترمة ثم صارت بين بين ، وتعددت لها صلات برجال من ذوى المكانة وبلملك « بلغت القمة » ، ولكنها عادت فى النهاية « لهبطت بأسرع مما صعدت » . وذكرته هذه المسرحية بمسرحية أخرى رآها منذ سنوات ، كان عنوانها « درجة فدرجة » وكان لها إعلان يصور سلماً متعدد الدرجات .

لنخضع فى التفسير . إن المشكلة التى اتصل بها اتصاله الأخير الحافل هذا كانت تقطن شارع س . وليس بهذا الشارع نُزِّل . بيد أنه قد قضى جزءاً من الصيف فى فيينا من أجل هذه السيدة ، ونزل إذ ذاك فى فندق صغير قريب منها . وهو يذكر أنه قد قال لسائق العربى إذا غادر الفندق : « إني لسعيد ، فقد سلمت على الأقل من الحشرات ! » (وأذكر عرضاً أن تلك كانت إحدى مخافاته) وكان جواب السائق : « وكيف ينزل

(١) إن ما كتبه فى القسم الخامس بالريزية من هذا الكتاب عن معنى أحلام الصمود يلقى الضوابط تصوير الكاتب [القسم ٥ من هذا الفصل] .

المره بمثل هذا المكان ! إنه ليس فندقاً بالمعنى الصحيح ، إن هو في الحقيقة إلا نُزُل .
ولا تلبث فكرة النزول أن تذكره بهذين البيتين :
« قد حلت أخيراً في نزل
وكان المضيف أرق مضيف » .

والمضيف في قصيدة أولاند [التي استشهد منها المريض بهذين البيتين] كان شجرة
تفاح . والآن ترد على خاطره آية أخرى من الشعر :
فاوست (وهو يرقص مع الساحرة الصغيرة) .

أتانى مرة حلم جميل
رأيت فيه شجرة تفاح
وعلى الشجرة أشرفت تفاحتان جميلتان
سلبتان اللب فصعدت صوبهما .

الساحرة الجميلة :

لقد نقت للتفاح ثوقاً جمّاً

منذ أن خطته في الجنة

كم يستخفى الطرب وأنا أجد

حديثي نثقي هذه الأكل (١) :

إن الشك محال فيما يعنيه الشاعر بشجرة التفاح وبالتفاحتين . والصدر الناهد كان
بعدُ بين السحر الذي شد حالمى إلى صاحبه .

وكان سياق التحليل يحول لناكل الحق في أن نفترض أن الحلم يرجع إلى انطباع من
الطفولة . فإذا كان الأمر كذلك ، لزم أن الحلم يتعلق بموضع الحالم البالغ الآن ثلاثين
عاماً . وما صدر الموضع في الحقيقة إلا نزل بالنسبة إلى الطفل . والمريض إذن - مثل
سافو دودويه - تبلو توي إلى الحبيبة المهجورة منذ زمن غير بعيد :

وأخو الحالم (وهو أخوه الأكبر) يظهر كذلك في محتوى الحلم ويظهر في الطابق

(١) [فاوست ، الجزء الأول ، المشهد ٢١] .

الأعلى بينما الحلم نفسه في الطابق الأسفل . وهذا أيضاً قلب للوضع الحقيقي : فالأخ - كما أعرف - قد فقد مكانته الاجتماعية بينما ظل المريض محظوظاً بها . ولقد تجنب الحلم حين سألته أن يعيد رواية الحلم - تجنب أن يقول : إن أخاه كان في الطابق الأعلى وكان هو في « الطابق الأرضي » . وما تجنب هذا التعبير إلا لأنه كان يكون تعبيراً واضح المعنى أكثر مما ينبغي ؛ فنحن حين نقول (في قينا) عن رجل ما : إنه « في الطابق الأرضي » نغني بذلك أنه قد فقد ثروته ومكانته ، أى نغني - بعبارة أخرى - أنه قد هبط . ولأن يصور أمر ما في هذا الموضع من الحلم تصويراً مقلوباً - ذلك ماله بالضرورة معناه . ولا بد أن القلب قد تناول فوق ذلك علاقة أخرى بين أفكار الحلم ومحتواه . وإنا لنملك إشارة بينة ترينا أين نجد هذا القلب : من الجلى أنه قد ورد في نهاية الحلم حيث يجرى الصعود على نسبة مهيكلتها في سافو . وهنا يسهل علينا أن نرى أى قلب هو المقصود : ففي سافو يحمل الرجل المرأة التي تعقد بينها وبينه صلات جنسية ، فأما في أفكار الحلم فيتصل الأمر على العكس بامرأة تحمل الرجل . وإذا كانت هذه الحالة لا تتحقق إلا في الطفولة ، فالأمر يتعلق من جديد بالمرضع التي تحمل الرضيع بما وزن . وهكذا وفقت نهاية الحلم إلى أن تصور في إشارة واحدة كلام سافو والمرضع .

وكما أن المؤلف لم يختار اسم سافو دون أن يلمح به إلى العادات الجنسية المثلية بين النساء ، كذلك فقرات الحلم التي نتحدث عن « الأعلى » و « الأسفلين » : فهي تلمح إلى تخييلات من نوع جنسى شغلت الحلم ولم تكن تخلو من بعض الصلة بعصابه من حيث هي شهوات مكبوتة . ولا يرينا تفسير الحلم في ذاته هل الأمور المصورة هذا التصوير تخييلات وليست ذكريات عن أحداث وقعت حقيقة ؛ فالتحليل إنما يسلمنا محتوى فكرياً بعينه ويترك لنا تقدير مدى حظها من الحقيقة . وذلك لأن الأحداث سواء أكانت حقيقية أم متخيلة تبلى هنا للوهلة الأولى متساوية القيمة - وليس هنا ، أى في الحلم ، وحسب ، بل كذلك في خلق الأبنية النفسية التي تفوق الحلم خطراً . والصحة الكبيرة نغني « السر » - كما نعلم من قبل [ص ٢٦٣] . وأما الأخ فإن هو إلا ممثل لجميع مزاحميه اللاحقين في حب المرأة ، ممثل أدرج في مشهد الطفولة بفعل « تخيل راجع » وأما قصة السيد الذي يعرض بملك لإيطاليا فتتصل مرة أخرى - من طريق خبرة حديثة العهد بخالية في ذاتها من القيمة - بتكالب الأشخاص الذين لا مكانة لهم على الانتماس

بين الطبقات العليا للمجتمع . والأمر يبدو كما لو كان التحذير الموجه من دوديه إلى الشباب قد ضم إليه تحذير يناظره ، متجه إلى الطفل الرضيع^(١) .
ولكى آتى بمثال ثالث يعين على دراسة التكثيف في تكوين الحلم أرى تحليلاً جزئياً لحلم آخر أدين به لسيدة متقدمة في السن أعالجها علاجاً تحليلياً نفسياً . وكانت هذه المريضة تشكو حالات من الهلّة شديدة الوطأة . فلا غرو أن حفلت أحلامها بأفكار جنسية أثارت معرفتها دهش المريضة وتخوفها على السواء . وإذ كنت لا أستطيع أن أسوق تحليل هذا الحلم حتى نهايته . فسوف تبدو مادته منقسمة طوائف متعددة لا يربط بينها رباط ظاهر .

٣

« حلم الخنفساوين »

محتوى الحلم : يتذكر أن لديها خنفساوين وضمتا في صندوق وأن عاباً أن تطلق لها الحرية وإلا اختفتا . تفتح الصندوق فتجد الخنفساوين في حالة من الاعمى الشديد . تظهر إحدى الخنفساوين من النملة الملتصقة ، وأما أخراها فيسحقها مصراع النملة بينما كانت المريضة تطلقها - عمل ما طلب إليها (علامات على الاشتزاز) :

التحليل : كان زوجها غائباً عن المنزل في سفر . وكانت ابنتها البالغة من العمر أربعة عشر ربيعاً تنام في السرير إلى جوارها . لقد نهبتها الصغيرة إلى أن عثت قد سقطت في كوب مائها ، ولكنها لم تفكر في إخراجها ثم إذا طلع الصباح أسفت للمخلوقة المسكينة . إنها كانت قد قرأت في المساء قصة روت كيف ألقي بعض الصبية بقطعة في ماء مغلي وأعقب ذلك وصف تقلصات الحيوان : ذاك هما مناسبتا الحلم وهما يخلوان من الأهمية في ذاتهما . إنها تفكر بعد ذلك في موضوع القسوة على الحيوان . إن ابنتها قد كانت منذ بضع سنوات - وكانوا يقضون الصيف إذ ذاك في مكان ما - شديدة القسوة على الحيوان . فهي - أعنى الابنة - كانت تجمع الفراشات وكانت تسأل أمها بعض الزوبيغ لكي تقتل به الفراشات . وكان من صنعها أن يراعى ظلت تحوم في أرجاء

(١) لقد ثبت أن المؤلف المتصل بموضع الحلم إنما كان وليد التخيل ، أثبتت تلك الواقعة الموضوعية : وهي أن مرضع الحلم كانت في هذه الحالة أم الحلم نفسه . وأذكر هنا بحكاية الشاب الذي أسف على أنه لم يحتل موقفه من مرضه استغلالاً أحسن (ص ٢٢٤) ، فلا شك في أن حللنا هذا يصدر عن أسف من هذا القبيل .

الغرفة برهة وقد احترق دبوس جسمها . وفي مرة أخرى ماتت يرقات كانت البنت قد احتفظت بها لكي تشهد انسلاخها . وكان من دأب هذه الطفلة أيضاً - وهي بعد أصغر سناً - أن تمزق أجنحة الخنافس والفراشات . إنها - أعني الابنة - ترتاع اليوم من هذه القساوة كلها ، لكم رقى قلبها من بعد !

إن المريضة تفكر في هذا التناقض ، وهذا التناقض يذكرها بآخر - وأعني به التناقض بين المظهر والخبر كما تصوره [جورج] لإليوت في رواية (آدم بيد) : فتاة جميلة لكنها مغرورة ، غبية إلى آخر درجات الغباء ، وأخرى دميعة لكنها على خلق كريم ، ورجل ليليل الطبقة يستغوى الرعناء وآخر من الطبقة العاملة ولكنه النبيل حقيقة في حبه وصنيعه على السواء . لكم يفرك البصر عن البصر بالناس . أكان الناظر إليها - هي - يحذر تلك الرغبات الحسية التي تؤرقها ؟

إنه في السنة التي أدخلت فيها ابنها تجمع الفراشات أصيبت منقطعهم بوباء خطير من الخنفس - مايو^(١) . كان الأطفال يجنون لمراى الخنفس ويسحقونه من غير رحمة . لقد رأت في ذلك الحين رجلاً كان ينزع أجنحة خنفساء - مايو ثم يلثم الجسد . إنها قد ولدت في شهر مايو ، وفي مايو كان أيضاً زواجها . ولما انقضت ثلاثة أيام من شهر العسل كتبت خطاباً إلى أهلها تحدثت فيه عن سعادتها - وكان ذلك أبعد الأمور عن الحقيقة .

إنها في الأسمية التي جاءها الحلم في أعقابها كانت تنبش في رسائلها القديمة ، وقرأت على ذوبها بعضاً كان منه الجلدى وكان منه ما يضحك . وكان بين ما قرأته خطاب مُسلٌّ جداً جداً ، كتبه إليها مدرس بيانو غازلها أيام عذرها ورسالة أخرى كتبها معجب ليليل الطليعة^(٢) .

إنها تؤنب نفسها لأن إحدى بناتها قد عثرت على كتاب لا يليق من كتب موباسان^(٣)

(١) [Meikle] ، نوع من الخنفس ، ترجمت الصحيحة هي الجمل أو الخنفس الأوروبي . ولكننا آثارنا التزام الترجمة الحرفية في هذا الموضع تسليلاً لتأدية المستعجمات .

(٢) ذلك كان الباحث الحقيقي على الحلم .

(٣) ونذكر على سبيل التذكلة : هذه الكتب مع الفتيات . والحالة أيضاً قد انفسدت في هذه الكتب

إن الزونيخ الذى سألها إياه فئاتها بذكرها محبوب الزونيخ التى أعادت إلى اللوق دى مورا قوة الشباب فى «الناب»^(١) .

وأما «إطلاق الحرية» فيذكرها بتلك الفقرة من الناي الساحر :

«الحب لا أدرى كيف أرغمك عليه ،

وأما الحرية فلن أعطيك إياها»^(٢) .

و «خنفس - مايو» يذكرها أيضاً بقول كاتخن^(٣) :

«لأنت تهيم بى مثل هيام الخنفساء»^(٤) .

وبين هذا كله يجيء تانهويزر [الهاجر] : «أما وقد حركتاك هذه الالة

الخيبة»^(٥) .

إنها تعيش فى هيلة وشغل دائمين من أجل زوجها الغائب . والخوف من أن يصيبه مكروه فى ترحاله يعرب عن نفسه فيما يأتيا فى خلال النهار من شتى التخيلات . وقد كانت رأت منذ زمن قريب - فى خلال التحليل - فكرة من أفكارها اللاشعورية فحواها الشكوى من «شيخوخة» زوجها . وربما كنا نخدر على أحسن وجه فكرة الرغبة التى يخفيها هذا الحلم لو ذكرت أن الحاملة قد روعت منذ بضعة أيام إذ جاءتها وسط مشاغلها جملة وضعت فى صيغة الأمر ووجهت إلى زوجها ، وهى «اشفق نفسك!» ثم تبين أنها قد قرأت فى موضع ما - قبل ذلك بساعات - أن الشفق يحدث انتصاباً شديداً . فالرغبة فى هذا الانتصاب هى التى بثقت من خلال الكف متقنعة بهذا القناع

(١) [لقب هنرى دخل اللغة الفرنسية ، أطلقه الفرس دودي على أحد أشخاص رواية له معروفة بهذا الاسم : Le Nabab . وقد جاء فى هذه الرواية أن اللوق دى مورا كانت له فى شيخوخته علاقة غرامية مسترة وأن طبيه الإرنلى الدكتور جنكز كان يحطيه حيويًا ساءة " لال" جنكز " بقصد تقوية الباء ، ثم عرف الطبيب أن مشقة اللوق هى المرأة التى يحبها هو ، فحين جنونه ودس السم للوق فى هذه الحبوب] .

(٢) [من سارا ستر إلى هامينا فى ختام الفصل الأول من " الناي الساحر " لموزار] .

(٣) [فى المشهد الثالث من الفصل الرابع من مسرحية Von kleist الممنونة : Katche von Heibronn] .

واتجه خاطر الحاملة بعد ذلك إلى Penthesilea لشاعر عنه ، وإلى فكرة التمسوة على الماشق] .

(٤) [لى هياما شديداً] .

(٥) [فى الفصل الثالث حين يروى تانهويزر للفرلام كيف ذهب إلى روما لىأل الفران لأنه - وهو

الفارس المسيحى - كان قد شاطر فينوس الإلهة الوثنية المللات ، وكيف أجابه البابا أنه وقد شارك فى هذه الالة الخبيثة فلن يكون له فرغان . والبيت يرد هنا محرفاً عن الأصل تحريفاً خفيفاً] .

المروع . وقولها : « اشتق نفسك ! » يعدل قولها : « احصل على أن تنتصب أيأ كان الثمن ! » وهنا نجد موضعها المناسب جيب الدكتور جنكتر - جيب الزينغ في الباب ولكن مريضتي كانت تعلم أيضاً أن أشد مقويات الباء - وهى اللارايغ (وتعرف عادة باسم الذباب الأسباني ^(١)) - تصنع من الحمل المحقوق . فإلى هذا المعنى يهدف الجزء الرئيسى من محتوى الحلم .

فأما فتح النوافذ وإغلاقها فكان من أسباب الخلاف الدائم بينها وبين زوجها ؛ فهى تحب النوم والهواء طلق ولكن زوجها يخشاه . وأما الإعياء فهو العرض الرئيسى الذى تشكو منه هذه الأيام .

لقد أبرزت وأنا أسرد هذه الأحلام الثلاثة المواضيع التى يعاود فيها أحد عناصر الحلم الظهور بين أفكاره لكى أبين بذلك تعدد العلائق التى تشعب من هذا العنصر . ولكن ليس بين هذه الأحلام حلم مضيناً فى تفسيره حتى النهاية ، ولذلك ربما كان من الأقيد أن نتناول حلماً أوردنا تحليله مفصلاً لكى نوضح به كيف يحتم محتوى الحلم تحتياً مضاعفاً . ولهذا الغرض اختار حلم حقنة إرما . وسيسهل علينا أن نرى فى هذا المثال أن التكثيف يستخدم أكثر من وسيلة فى تكوين الحلم .

إن الشخص الرئيس فى محتوى الحلم هو مريضتي إرما التى تظهر فى الحلم باللامح التى أعرفها لها فى حياة اليقظة والتى تمثل بذلك شخصها ذاته . ولكن الوضع الذى كنت أفحصها فيه بجانب النافذة كان متخذاً من ذكرى شخص آخر . وأعنى به تلك السيدة التى كنت أود استبدالها بمريضتي - كما تبين من أفكار الحلم . وإرما من حيث ما يظهر عندها من غشاء دفرى يذكرنى بقلقى من أجل ابنتى الكبرى تمثل هذه الابنة ، وهذه بنوتها تخفى وراءها - بجامع الاشتراك فى الاسم - شخص المريضة التى ماتت من جراء التسمم . ولا يبنى شخص إرما عن أن يتغير مدلوله فى متألف سياق الحلم (دون أن تتغير مع ذلك صورتها المرئية فى الحلم) . فهى تصير الطفل الذى نفحصه فى قسم الأمراض العصبية بمستشفى أمراض الأطفال فحصاً تجلى فى خلاله ما بين صديق [أوتو وليوبولد] من التباين فى المواهب . وكان من البين أن طفلى الصغيرة قد كانت حلقة الوصل فى هذه الصيرورة . وإرما أيضاً توى بممانعتها فى أن تفتح فمها إلى مريضة

(١) [ويقال بالعربية : الذباب المنفى] .

أخرى قمت بفحصها مرة ، وتوئى كذلك - لذات العلاقة - إلى زوجى . وأنا بعد هذا كله قد ضمنت التغييرات المرضية التى اكتشفها فى حلقتها إشارات تذهب إلى فريق بأكمله من أشخاص آخرين .

كل هؤلاء الأشخاص الذين ألتقى بهم وأنا أتابع « إرما » لا يظهرون فى الحلم بأشكالهم الجسمية ، بل يحتشون وراء شخص الحلم « إرما » التى تستحيل بذلك إلى صورة جمعية اجتمعت فيها - والحق يقال - شتى الملامح المتناقضة . أى أن إرما قد صارت تنوب عن هؤلاء الأشخاص الآخرين الذين ضحى بهم من أجل التكليف لأننى مررت إليها - لهة فلدحة - كل ما يذكرنى بهؤلاء الأشخاص .

وهناك طريقة أخرى أستطيع بواسطتها أن أركب شخصاً جمعياً من أجل أغراض التكليف الحلقى . وذلك حين أمزج الملامح الحقيقية لشخصين أو أكثر فى صورة موحدة : على هذا النحو ركب شخص الدكتور م . فى حلم إرما ، فهو يحمل اسم الدكتور م . ويتحدث مثله ويعمل مثله ولكن خصائصه الجسمية ونوع مرضه كانت لشخص آخر هو أنسى . ولم يكن الحلم مضاعفاً سوى فى لهة واحدة فى سياقها - وأغنى بها شحوب الوجه ، فهذا الشحوب كان فى الحقيقة مشتركاً بينهما . ويجد مثل هذا الشخص المزيج فى حلم « الدكتور ر . هو عى » ، غير أن صورة الحلم قد ركبت هنا بطريقة مختلفة : فأنالم أمزج ملامح لأحدهما بلامح من الآخر . مختزلاً فى أثناء ذلك الصورة المنطبعة فى الذاكرة عن كل منهما بأن أحرف سائر ملامحه ، بل قد اتبعت طريقة جالتون فى إحداث الصور العائلية ، أى أننى أسقطت صورتين كلا على الأخرى بحيث تبرز الملامح المشتركة بينهما برونزاً قوياً فى حين تبطل الملامح غير المتوائمة بعضها بعضاً ويغضض ظهورها فى الصورة وهكذا تبرز اللحية الشقراء فى حلم عى مثل سمة مقواة فى وجه ينتسب إلى شخصين . ولهذا جاء ممسوحاً . هذا كما انطوت اللحية على إشارة إلى والدى وإلى من طريق فكرة المشيب .

إن تكوين أشخاص الجمع والأشخاص المزيجية أحد الوسائل الرئيسة التى يتبعها الحلم فى التكليف . وستنح لى عاجلاً فرصة التحدث عن ذلك فى سياق مختلف . وكانت فكرة « الدمناريا » فى حلم حقنة إرما محتمة أيضاً حتماً مضاعفاً : أولاً من حيث التجانس فى الجرس بينها وبين « دفريا » ، وثانياً من حيث صلتها بالمرض الذى

أرسلته إلى الشرق والذي لم يعرف أحد وجود المستريا عنده .

ومثال آخر حرى بالاهتمام من أمثلة التكثيف في هذا الحلم هو ذكر « البرويلين » فنحن لا نجد بين أفكار الحلم « بروييلين » بل « آميل » . وقد يظن المرء أن ما وقع في هذا الموضع من تكوين الحلم إنما هو نقل وحسب . وذلك حتى ، بيد أن هذا النقل كان يخدم أغراض التكثيف ، كما يثبت من تلك التكملة التي أضيفها إلى تحليل الحلم : عندما تمهلت عند كلمة « بروييلين » برهة انتبهت إلى الجناس بينها وبين كلمة « بروييلين » ولكن أثينا ليست البلد الوحيد الذي ينفرد بوجود « بروييلين » فيه ، بل قد حوت ميونيخ نظيره ^(١) . ولقد ذهبت إلى ميونيخ قبل هذا الحلم بعام أزور هناك صديقاً لم به إذ ذاك . مرض خطير - وهو هذا الصديق الذي لمح إليه الحلم تلميحاً لا لبس فيه بوساطة كلمة « كريستلامين » التي أعقبت « بروييلين » مباشرة .

إنني لن ألح على هذا الوضع العجيب ، وأغنى به ما نجده هنا - كما في عدا ذلك من المواضع في تحليل الأحلام - من أن مستدعيات متفاوتة القيمة أشد التفاوت تستخدم في إقامة الروابط بين الأفكار كما لم يكن بينها مثل هذا التفاوت ، وأسلم نفسي لهذا الإغراء الذي يدعوني إلى أن أصور فيها يشبه الرسم البياني تلك العملية التي استبدل بها البرويلين في محتوى الحلم بالآميل الذي في أفكاره .

إننا نجد - من جانب - طائفة الأفكار المتصلة بصديق أوتو الذي لا يفهمنى ولا يقرنى الذي أهدى إلى شرباً له نكهة الآميل ، ونجد - من جانب آخر - طائفة أخرى ارتبطت بالأول من طريق التضاد ، تلك هي طائفة صديق البرلني [فيلهلم فليس] الذي يفهمنى وقرنى والذي أدين له بمعلومات جمة القيمة تتصل - بين ما تتصل به - بكيمياء العمليات الجنسية .

ولقد حددت المناسبات التي بحثت على الحلم حديثاً وكانت حوافزه الحقيقية أي أفكار من مجموعة أوتو كان ينبغي أن تجذب انتباهي بنوع خاص ، وكان الآميل بين هذه العناصر المختارة التي كان مقدراً أن تظهر في محتوى الحلم . وأما المجموعة الحافلة الأخرى ، مجموعة « فيلهلم » فقد بحث فيها الحياة على التحديد من أجل التضاد الذي بينها وبين مجموعة أوتو ، ومنها أبرزت تلك العناصر التي تتناغم مع العناصر المشتركة من مجموعة أوتو . نعم ، فأننا

(١) [هو للاحتلات في ميونخ على غرار هو الاكروبول في أثينا] .

في خلال هذا الحلم بأسره أستعبد من شخص يسخطني بآخر أقابله به وفق مشتهى ، وأنا أستدعى من الصديق كل ما يظهرني على الخصم - نقطة فنقطة . وهكذا كان أن آثار الآيل الذي ينتمى إلى مجموعة أوتو ذكريات من مجال الكيمياء من المجموعة الثانية وكان أن نجح التريبتيلين الذي كان يلقي التأييد من جهات متعددة في أن يصل إلى محتوى الحلم . ولقد كان من الممكن أن ترد آميل في الحلم من غير تغيير لولا تأثير مجموعة « قبلهم » ، فقبضة الذكريات التي يصدق عليها هذا الاسم قد جرى استكشافها جميعاً من أجل العثور على عنصر مضاعف تحتم « آميل » . وكانت « پروبيلين » سهلة الاستدعاء من آميل ، ثم جاءت « يونينج » بمبناها - البروبيلين - جاءت من مجموعة « قبلهم » تلاقى پروبيلين هذه . فهاتان الدائرتان الفكرتان قد التقتا جميعاً في « پروبيلين - پروبيلين » ، وهكذا استطاع هذا العنصر الأوسط أن ينفذ إلى محتوى الحلم كأنما كان ذلك بفعل من أفعال المساومة . فهنا قد صكت وحدة مشتركة متوسطة تقبل أكثر من حتم . وهكذا نلمس لمس اليد أن الحتم المضاعف يسهل النفاذ إلى محتوى الحلم . فن أجل خلق مثل هذه الوحدة الوسطى نقل الانتباه دون ما تردد من الفكرة المسندقة حقيقة إلى مستدعى آخر قريب منها .

لقد مكتنا دراسة حلم حفنة إرما من أن ننفذ ببصرنا بعض الشيء إلى عمليات التكثيف التي تقع عند تكوين الحلم واستطعنا أن نرى بعض تفاصيل التكثيف مثل اختيار العناصر التي يتكرر ورودها في أفكار الحلم وخلق الوحدات الجديدة (كالأشخاص الجمعية والصور المزيجية) وتكوين الحدود المتوسطة المشتركة . وأما الغاية التي يخدمها التكثيف والعوامل التي تستلزمه فأسئلة لن نثيرها إلا حين نعرض للعمليات النفسية التي تعمل في تكوين الحلم لكي ندرسها في جملتها [القسم ٥ من الفصل السابع] . ويكتفينا الآن أن نلاحظ أن التكثيف الحلمى خاصة ملحوظة من خصائص العلاقة بين أفكار الحلم ومحتواه . ولكن عمل التكثيف الذي يقوم به الحلم إنما يتجلى في أوضح صورته حين يتناول الألفاظ والأسماء . فالحلم بوجه عام كثيراً ما يعالج الألفاظ كما لو كانت أشياء عيانية ، وهو إذن يجرى بينها من المزج مثل ما يجرى بين صور الأشياء العيانية . وتطالعنا الأحلام التي من هذا القبيل بأطراف المبتكرات اللغوية وأغربها^(١) .

(١) [وهنا ينصح القارئ بالطبع أن تكون الأمثلة على ذلك غير قابلة للرجعة ، كما سبى] .

١ - أرسل إلى أحد الزملاء مقالا كتبه ، وكان من رأي أنه غالى في تقدير أهمية كشف فيزيولوجى حديث وأنه - على الأخص - قد عالج الموضوع بعبارات طنانة . فحلست فى اللبلة التالية بمجملته كان من الجلى أنها تشير إلى هذه المبالغة : « ياله من أسلوب نوركدال ! » لقد واجهت بادئ الأمر صعوبة فى حل هذه الكلمة . صحيح أنه لم يكن ثمة شك فى أنها قد ركبت بوساطة تحريف ماجن لنعتين [ألمانيين] من النعوت المطلقه : كزولوسال [جسيم] وپيراميدال [هرى] . بيد أنه لم يكن من السهل أن أقول ما مصدرها . وأخيراً تبين أن المسخ قد ركب من هذين الاسمين : لورا ولاكدال - وهما شخصيتان فى مسرحيتين معروفتين من مسرحيات إيسن^(١) . وقد كنت قرأت فى إحدى الصحف مقالا عن إيسن كتبه هذا المؤلف الذى كنت أنقد عمله الأخير .

٢ - وروت لى إحدى مريضاتى حلماً قصيراً ورد فيه مركب اقضى لا معنى له : كانت فى حفل رينى مع زوجها ثم قالت : سوف ينتهى ذلك إلى "Maistollmütz" شامل . وكانت الحاملة تشعر فى الحلم شعوراً مبهما بأن ذلك صنف من الحلوى يصنع من دقيق اللرة . نوع من الولاقت . وقد قسم التحليل الكلمة إلى : Mais [ذرة] - molla [مجنون] mannstoll [مجنونة بالرجال] Olmutz [مدينة فى مورافيا] ، وكلها أجزاء تبين أنها كانت آثاراً تبقت من حديث جرى حول المائدة بينها وبين أقاربها . وكانت كلمة Muis تتضمن - عدا الإشارة إلى المعرض اليوبيلى الذى افتتح أخيراً^(٢) - الكابلات الآتية : Meissen (شكل من الصينى المصنوع بمدينة مايسن [فى ساكس] على صورة الطائر) ، Miss [وكانت المربية الإنجليزية التى تعمل عند أقربائها قد سافرت إذ ذاك إلى أولموتس] ، mies (وهى كلمة يهودية عامية تستخدم على سبيل المزاح بمعنى « مقرف ») وكانت تشعب من كل مقطع من هذا المخلوط اللغوى سلسلة طويلة من الخواطر والمستدعات :

٣ - شاب قرع أحد معارفه جرس بابيه فى ساعة متأخرة من الليل ليترك له بطاقة زيارة فحل فى تلك الليلة بالحلم الآتى : ظل رجل يعمل حتى ساعة متأخرة من الليل لى

(١) « لورا » فى « بيت الدنيا » و « كدال » فى « البطة البرية » .

(٢) احتفالاً بيوبيل الإمبراطور فرانزو جوزيف عام ١٨٩٨ .

يصلح تلفين المنزل . وظل الرنين مستمراً بعد أن انصرف الرجل ولكنه لم يكن رنيناً موسولاً بل دقائق منفصلة . يلهب الخادم لكي يبحث عن الرجل مرة ثانية ، فيقول له هذا الرجل : إن لمن السبب أن يقف في أمر كهذا أناس هم في العادة tuteln .

إننا نرى أن المناسبة غير الهامة التي بعثت على هذا الحلم لا تفسر سوى عنصر واحد من عناصره . وإنما اكتسبت هذه المناسبة بعض الأهمية حين ودل الحلم بينها وبين خبرة سابقة من خبراته تخلو هي الأخرى من الخطر ولكن خيال الحلم قد خلج عليها معنى بديلاً : ذلك أن الحلم حين كان صبيئاً يعيش مع والده قد قلب مرة كوباً من الماء على الأرض وهو نصف نائم . وكان من أثر ذلك أن ابتل سلك التليفون المنزل وأزعج رنينه المتصلل نوم والده . وإذا كان الرنين المتصلل يوافق البلبل لالذات المنفصلة قد استخدمت في تصوير قطرات لمقط . وأما كلمة "tuteln" فقد أمكن تحليلها على أنحاء ثلاثة ، فأدت بذلك إلى ثلاثة موضوعات متشعبة في أفكار الحلم : "tuteln" وهو لفظ قانوني بمعنى الوصاية ، ثم "tuteln" (وربما كتب "Tuteln" -) وهو اسم يطلقه العوام على ددر المرأة ، وأما الجزء الأخير من الكلمة ، "rein" ، فإنه إذا ركب مع الجزء الأول من الكلمة المركبة "Zimmer Telegraph" [التليفون المنزل] كون "Zimmerrein" [النظافة المنزلية] - وهو ما يذكر تذكيراً قوياً ببلبل أرض الغرفة ثم هو فوق ذلك لفظ يجانس في الجرس اسم أحد أقرباء الحلم ^(١) .

(١) إننا نستخدم في البيضة هذه الطريقة في تحليل المقاطع وتركيبها (وهي كيميائية مقطعية بمعنى الكلمة) ، فذلك في تكوين عدد كبير من النكات . وهناك مثالا على ذلك : " كيف تحصل على الفضة بأرخص طريقة ؟ تلعب في طريق اصطفت على جانبها Stilberpappeln أي أشجار الحور ، ولكن الكلمة الألمانية قد ركت من لفظين الأول معناه الفضة والثاني له معنيان : الحور والحفيف [ثم تأمر بالعت ، فينتطح الحفيف وتبقى الفضة . ولقد اهتمت على أول قارئ قرأ كتابي ونقده [المقصود هنا هو فيلهلم فليس ، انظر الخطاب ١١٨ في فرويد ١٩٥٠] اعتراضاً أوجب أن أقرأه الآخرين سوف يردونه ، وهو " أن الحلم يبدو بارع النكتة في كثير من الأحيان " . وهذا القول صحيح ما دام المقصود هو الحلم ، ولا يصبح نقداً إلا إذا عد إلى مفسر الحلم . وما أظن أن " نكات " من المحولات التي أمك كبير حق في الاصناف بها في حياة البيضة ، فإذا كانت أحلام تبدو " نكات " فالمر في ذلك لا يعود إلى شخص بل إلى الشروط السيكلوجية الخاصة التي يتخضع لها تكوين الحلم - وهو أمر يحصل أروث اتصال بنظرية النكتة والمفسك . فالحلم إنما يصير نكاتاً لأن الطريق المباشر والأسهل إلى الإعراب من أفكاره قد سد في وجهه ، أي أنه مكره على أن يكون كذلك . وفي صبح القارئ أن يقتنع بأن أسلام مرصاوى تحوى مثل ما تحوى أسلام من النكات ، بل تزيد عليها . ومع هذا فقد دعاني هذا الاعتراض إلى المقارنة بين طرائق النكتة وعمل الحلم ، مقارنة يجد القارئ حاصلها في كتاب نشرته عن النكتة وعلاقتها باللاشعور (١٩٥٥ ج).

٤- حلمت حلماً طويلاً بعض الشيء مشوشاً كان يدور - فيما يبدو - حول رحلة بحرية ، وتراءى لى فيه أننا سنرسو أولاً فى ميناء اسمه Hearning ثم فى آخر يابه اسمه Flics وهذا الاسم الأخير هو اسم صديقى القاطن فى مدينة ب [برلين] ، والذى كان هدفاً لأسفارى مراراً . وأما Hearning فركب اشتق جزء منه من أسماء الأماكن الواقعة فى ضواحي فيينا . وهى أسماء كثيرة ما تنهى بالمقطع ing : Modling Liesing ' Hietzing (والاسم القديم لهذه المدينة هو Modelitz من [اللاتينى] mea deliciae أى « meine Freud » [أى « سرورى » ، و « سرور » هو اسم فرويد فى الألمانية] . وأما الجزء الآخر فاشتق من الكلمة الإنجليزية Hearney بمعنى شائعة ، وهو ما يشير إلى ألم ويثبت علاقة الحلم بالمبه غير الهام المتخلف من النهار ، وأعنى به قصيدة قرأتها فى مجلة « Fliegenden Blättern » [الصحائف الطائرة] عن قزم نمام يدعى « Sager Hatergenagtt » [« قبل وقال »] . فإذا أضفنا المقطع « ing » إلى الاسم Flics ، خرج لنا « Vlissingen »^(١) - وهو حقيقة اسم الميناء الذى يرسو فيه أحدى حين يقبل من إنجلترا لزيارتنا . ولكن المرادف الإنجليزى لكلمة « Vlissingen » هو Flushing . وهو ما يعنى حمرة الحجل ويدكرنى بالمرضى الذين أعالجهم من « حمافة الحجل » ويدكرنى كذلك بمقال حديث - أثار بعض السخط فى نقسى - نشره بشترف عن هذا العصاب .

٥- وحلمت فى مرة أخرى حلماً تركب من جزئين منفصلين : الجزء الأول كلمة علفت واضحة فى ذاكرتى هى كلمة « Autodidasker » ، وأما الجزء الثانى فكان بعيد - إعادة أمينة - تخيلاً قصيراً ، لا ضرر فيه ، طاف بدهنى منذ بضعة أيام . وكان مؤدى هذا التخيل أننى سأقول للأستاذ ن . فى أول فرصة أراه فيها : « إن المريض الذى كنت استشرتك فى أمره أخيراً يعانى بالفعل عصبياً ، عل ما خنته أنت » . ولا بد إذن لهذه الطريقة اللفظية « Autodidasker » من أن تحقق شرطين : الأول هو أن تحمل - أو أن تصور - معنى مضبوطاً ، والثانى هو أن يكون لهذا المعنى رباط مقبول يربط بينه وبين تلك النية المكررة فى الحلم بعد اليقظة ، وأعنى بها نية تقديم هاته الرضوية للأستاذ ن . لننظر إذن فى كلمة « Autodidasker » هذه : إن من السهل أن نقسمها إلى

(١) [الحرف V ينطق فى الألمانية فاء] .

Autor [مؤلف] و Autodidact [متعلم عصاى] و Isaack - وهو اسم يرتبط في الذهن باسم Isaack ^(١) . وترقى أول هذه الكلمات إلى مناسبة الحلم - وهي مناسبة لها مغزاها في هذه المرة - : فقد كنت أعطيت زوجي عدة من المجلدات لمؤلف معروف كان صديقاً لأخى وكان - على ما علمت - من أبناء البلد الذى ولدت فيه (ى.ى) . دافيد . وفي ذات مساء حدثني زوجي عن الأثر العميق الذى تركته في نفسها قصة فاجعة قرأتها في أحد مجلدات دافيد عن رجل موهوب ساء مآله . وعرج بنا الحديث إلى المواهب التى نرى أماراتها في أطفالنا . وهنا أعربت زوجي - وهي ما تزال متأثرة بما قرأت - عن تخوفها فيما يتصل بالأطفال ، فرفهت عنها ملاحظاً أن تلك على التحقيق هى المخاطر التى يمكن أن نلّاهاها بالتنشئة الحسنة . ولكننى واصلت تلك الخواطر في خلال الليل ، فأخلفت عن زوجي مخاوفها ونسجت حول هذه المخاوف أشياء أخرى من كل صنف . وكان لهذا المؤلف رأى في الزواج أفضى به إلى أخى ، ولقد ساق هذا الرأى خواطرى في طريق جانبي يمكن أن تبلغ منه إلى التصور في الحلم : هذا الطريق قد أدى إلى برسلو حيث تزوجت - وأقامت - سيدة كان يقد بينها وبيننا صداقة متينة . ووجد الخوف من أن تضيع الحياة من أجل امرأة - هذا الخوف الذى كان مدار أفكارى في ذلك الحلم - مثالين في برسلو مكثاني من أن أصور في وقت واحد كلتا الطريقتين اللتين ينفذ بهما هذا التأثير المنحوس : لا سكر ولا سال ^(٢) . هذه الخواطر تتلخص جميعها في : « اجث عن المرأة » ، وهذه العبارة تفودنى بدورها - وقد أخذتها بمعنى مختلف - إلى أخى الذى لم يتزوج بعد ، واسمه الكساندر . إلى الحظ الآن أن Alex يكاد يجانس لا سكر مقلوباً . وأن هذا العامل لا بد قد شارك في التعبير بأفكارى جهة برسلو .

ولكن هذا اللب بالأحشاء والمقاطع الذى كنت أسترسل فيه ههنا كان يضرر بعد ذلك معنى آخر ؛ فهو يعرب عن رغبتي في أن أرى أخى ينعم بحياة عائلية سعيدة ، وكان ذلك من الطريق الآتية : نعلم أن زولا قد وصف نفسه ووصف حياته العائلية في بعض

(١) [ولد فريدينا له لاسال مؤسس الحركة الاشتراكية الديمقراطية في ألمانيا بمدينة برسلو عام ١٨٢٥ ومات عام ١٨٩٤ . وولد إدوارد لاسكر (١٨٢٩ - ١٨٨٤) في ياروتشين حل مقربة من برسلو ، وكان أحد مؤسسي حزب الوطنيين الأحرار في ألمانيا . وكلاهما كان من أصل يهودى .]

(٢) مات لاسكر من شلل تدريجي ، أى من جراء غلغله نقلها إليه امرأة (السفلس) ، وأما لاسال فقد مات - كما نعلم - في مبارزة من أجل امرأة .

مشاهد الرواية التي ألفها عن حياة فنان - وهي رواية لا بد أن محتواها قد قرب بينها وبين أفكار هذا الحلم . وهو يظهر في هذه الرواية باسم ساندوز . وأغلب الظن أنه قد توصل إلى تعديل اسمه على هذا النحو من الطريق الآتية ؛ إذا كتبنا اسم زولا مكسواً (وهو الشيء الذي يصنعه الأطفال عادة في ولع كبير) . خرج لنا آلوز . ولكن لا شك في أن ذلك كان يكون تنكراً غير كاف . وعلى ذلك رفع زولا آل - وهو المقطع الأول من ألكساندر - ووضع مكانه ساند - وهو المقطع الثالث من هذا الاسم عينه - وبذلك خرج ساندوز . وعلى نحو جد شبيه بذلك أنشأت أيضاً كلمتي « أوتويداسكر » .

فأما التخييل الذي كان يؤده أنني أقول للدكتور ن . إن المريض الذي اشتركنا في فحصه إنما كان يعاني عصاباً - فقد جاء في الحلم على هذا النحو : أخذت قبل أن يحين موعد إجازتي السنوية بوقت قصير في العناية بمريض حارت في أمره قدرتي على التشخيص ؛ فقد كانت حاله توحى أن ثمة مرضاً عضوياً خطيراً - قد يكون فساداً في النخاع الشوكي - ولكن لم يكن في المستطاع التثبت من ذلك . وكان القول بأن الحالة حالة عصاب مغرباً وكان ذلك كفيلاً أن ينهي كل صعوبة ، لولا أن المريض قد أنكر التاريخ الجنسي الذي لا أسلم بدونه بوجود العصاب أشد الإنكار . ولم أجد - وأنا في هذه الربكة - إلا أن أستعين بالطبيب الذي أجله رجلاً كما لا أجل رجلاً سواء (يشاركني في ذلك الكثيرون عداي) وأذعن لرأيه طبيباً أسرع إذعان . واستمع الأستاذ إلى شكوكي وأقرني عليها ثم ذكر رأيه : « امض في ملاحظة الرجل ، فلا بد أن الأمر عصاب . » وكنت أعلم أنه لا يشاركني آرائي في علية الأعصاب ، فلم أفاتحه بالحجة التي تدعوني إلى رأي مخالف ، بيد أنني لم أخف عنه تشككي . ثم بعد ذلك ببضعة أيام أبلغت المريض أنني لا أعرف ماذا أصنع معه ونصحت له بالتوجه إلى طبيب آخر . ولشد ما دهشت عندئذ إذ طعن الرجل يرجو مني معذرتي لكذبه على ، قائلاً : إنه كان خجلاً من نفسه خجلاً شديداً ، ثم كاشفني بهذا الطرف من العلية الجنسية الذي كنت أتوقعه على التحديد والذي لم أستطع بدونه القول بوجود العصاب . لقد فرج ذلك عني ولكنه في الوقت عينه قد أذلني ؛ فقد وجب على أن أسلم بأن ناصحي - إذ لم يضلله اعتبار التاريخ الجنسي - قد أصاب في رأيه أكثر مما أصبت . وكان أني عقدت العزم على أن

أخبره بذلك حين أراه مرة ثانية : أن أخبره بأنه كان على صواب وإنى كنت على خطأ . وهذا على التحقيق هو ما أصنع في الحلم . ولكن ما هى هذه الرغبة التى تتحقق حين أعترف بأنى كنت على خطأ ؟ إنها الرغبة فى هذا الخطأ بالذات : لقد كنت أود لو أخطأت فى مخاوى . أو - بعبارة أصح - لو قد أخطأت زوجى فى هاته المخاوى التى صارت فى الحلم مخاوى . ثم إن الموضوع الذى يدور من حواه الصواب والخطأ فى الحلم لم يكن بعيداً كل البعد عن المسائل التى كانت تشغلنى فى أفكار الحلم حقيقة ؛ فالأذى الذى تسببه امرأة أو تسببه - بعبارة أصح - الحياة الجنسية قد يكون كذلك عضوياً وقد يكون وظيفياً : شلل زهرى أو عصاب ، وفى هذه المقولة الأخيرة نستطيع أن ندرج من طريق غير مباشر نوع الموت الذى لاقاه لاسال .

ولكن الأستاذ ن . لم يأخذ بنصيب فى هذا الحلم المتماusk التركيب وللى يصبح شغافاً كل الشفافية حين نغنى بتفسيره من أجل تلك المماثلة ومن أجل رغبتى فى أن أكون مخطئاً . ولا من أجل الروابط العارضة التى تربطه بمدينة برسلو وبأسرة الصديقة التى تزوجت هناك ، بل قد جاءت مشاركته - فوق ذلك - من أجل هذه الواقعة الصغيرة التى اختتم بها تشاورنا : فهو بعد أن أدلى برأيه الذى ذكرته وفرغ بذلك من مهمته الطبية تحول باهتمامه إلى الأمور الشخصية فألقى « ما عدد أطفالك الآن ؟ » - سنة - - وهنا أتى بمكره ثم عن الإعجاب والقلق ثم قال : « بنات أم صبية ؟ » - ثلاثة وثلاث ، وهم فخري وغنى - « - حسناً ، ولكن خذ حذرك ! إن الأمور تجري على ما يرام فيما يتعلق بالبنات ، وأما الصبية فتجلب تربيتهن المتاعب فيما بعد » . فاحتججت بأن أبنائى قد ظلوا حتى اليوم طبعين على أحسن وجه . ومن الواضح أن هذا التشخيص الثانى فيما يتصل بمستقبل أبنائى لم يرقنى إلا بقدر ما رافق سابقه عن المريض الذى لا يشكو إلا عصباً . فهذان الانطباعات قد ارتبطا من طريق التلازم ، أى لأننى خبرتهما الواحد عقب الآخر ، وأنا حين أتناول قصة العصاب فأدرجهما فى حلقى أحلها محل حديثنا عن التربية - هذا الحديث الذى كان لا شك مرتبطاً الوثق الارتباط بأفكار الحلم من حيث يقرب كل هذا القرب من المخاوى التى أعربت عنها زوجى أخيراً . وهكذا نرى أنه حتى خوفي من أن يكون ن . محققاً فيما تحدث به من صعوبة تنشئة الصبيان قد وجد منفذاً إلى محتوى الحلم ، من حيث كان يستتر وراء الصورة التى صورت رغبتى فى أن أكون

عظماً في مجازة أمثال هذه المخاوف . وذات التخيل قد أفاد - كما هو - في تصوير كلا الاحتمالين المتقابلين .

٦- نقلا عن مارسينوفسكى [١٩١١] : « خبرت اليوم وأنا بين الحلم واليقظة مثالا بديعاً غاية الإبداع على التكيف الحمل : فقد استوقفتني وسط أشدات حلمية لا أكاد أذكرها كلمة » رأيته وقد كتب نصفها وطبع النصف الآخر . كانت الكلمة : *erzefliisch* [كلمة لا معنى لها] ، وهي قد جاءت في جملة انزلت في ذاكرتي الشعورية مفصولة من كل سياق ومعزولة عزلاً تاماً . هذه الجملة هي : « إن ذلك يؤثر في المشاعر الجنسية تأثيراً » *erzefliisch* . لقد عرفت للوهلة الأولى أن هذه الكلمة لا بد أن تكون في الحقيقة : *erzieherisch* [تربوي] ، ولهذا ظلت أتشكك برهة فيها إذا لم يكن الأجدر أن تكون الكلمة غير المفهومة *erzefliisch* [بحيث يكون المقطعان الأولان متفقين نطقاً والمقطعين الأولين من الكلمة الساللة على « تربوي » ، وهي الكلمة التي ضمن الحالم أن الكلمة المخترعة قد أدخلت منها] . وفي هذه الأثناء خطرت لي كلمة *Syphilitis* ، وأخذت أعصر ذهني - وقد بدأت في تفسير الحلم وأنا مازالت نصف نائم - سائلاً كيف تنسج هذه الكلمة أن تعرض في الحلم ، إذ ليست هناك أى علاقة تربط بيني وبين هذا المرض لا من وجهة شخصية ولا من وجهة مهنية . وعندئذ خطرت لي كلمة *erzehlerisch* [كلمة أخرى لا معنى لها] ففسرت السر في وجود حرف « الثاني » [في الكلمة المخترعة في الحلم] ، وذلك بأن ذكرتني بأن المربية *Erzieherin* كانت قد سألتني في المساء أن أحدثها برأى في مشكلة البغاء . فأعطيتها كتاب هس « عن البغاء » قاصداً من ذلك إلى التأثير في حياتها الانفعالية - ولم تكن قد تمت نمواً سوبياً تماماً - تأثيراً *erzieherisch* [تربوياً] ، ثم حدثها بعد ذلك حديثاً طويلاً في هذه المشكلة . وعندئذ اتضح أن كلمة *Syphilitis* لا يجب أخلعا بمعناها الحرفي ، بل هي تنوب عن « سم » - فيما يتصل بأمور الحياة الجنسية بالطبع . وهكذا نجد أننا نخرج من ترجمة هذه الكلمة غير المفهومة بمحالة منطقية تماماً : « لقد كنت أبتنى من هذا الحديث » *Erzählung* ، « نطقاً » *e = a* [أن أؤثر في الحياة الانفعالية لمريتنا] *Erzieherin* [تأثيراً تربوياً] *erzieherisch* [ولكنني أخشى أن يكون لذلك فعل المسم؟ أى أن *erzefliisch*] قد ركبت من - *erzieh* - ثم *erzieh* ^(١) .

(١) [أى أن الكلمة المخترعة في هذا الحلم *erzefliisch* قد تضمنت تشكيهاً سابقاً ، فهي قد ركبت -

هذه التركيبات اللغوية الفاسدة للحلم تشبه غاية الشبه تلك التي نعرفها في البارانونيا وإن كانت لا تنيب أيضاً من المستريا والأفكار القهرية . وإن الألاعيب اللغوية للأطفال الذين يعاملون الكلمات أحياناً معاملة الموضوعات ويتبدعون فوق ذلك لغات جديدة وصوراً نحوية مصطنعة لمي المنبع الذي يصدر عنه هذا كله ، سواء أقي الحلم أم في الأعصاب النفسية .

إن تحليل الألفاظ التي لا معنى لها يصلح صلاحية خاصة لإظهارنا على ما يحققه عمل الحلم في مجال التكيف . وليس للقارئ أن يستنتج من قلة الأمثلة التي ذكرتها أن هذا الضرب من المادة نادر أو لا يعرض للملاحظة إلا نادراً . بل الأصديق هو أن هذه الأمثلة كثيرة الوقوع إلى مدى كبير ولكن توقف تحليل الحلم على العلاج النفسي كان من نتيجته أن أمثلة قليلة العدد جداً هي التي قد لوحظت ورويت وأن التحليلات المروية لهذه الأمثلة لا يدنو فهمها في العادة إلا للمتخصصين في دراسة مرضية الأعصاب . ولقد روى الدكتور فون كارينسكا (١٩١٤) مثالا من هذا النوع احتوى على هذا المركب اللفظي غير المفهوم « *svinguum elvi* » . وإنه لجلدير بنا أن نذكر هذه الحالات التي فيها تظهر في الحلم كلمة لا تخلو في ذاتها من المعنى ولكنها قد جردت مع ذلك من معناها الخاص وضمنت معاني متعددة يكون شأن هذه الكلمة منها شأن الكلمة التي « لا معنى لها » . مثال ذلك حلم رواه تاوسك (١٩١٣) عن طفل في العاشرة من عمره وردت فيه الكلمة "Kategorie" [مقولة] . وكانت تعني هنا أعضاء المرأة التناسلية . كما كان الفعل الذي اشتق من هذه الكلمة « *Kategorieren* » يعني التبول .

وإذا وردت في الحلم جمل منطوقة متميزة صراحة - من حيث هي كذلك - من الأفكار . فالقاعدة التي لا تتخلف هي أن الكلمة المنطوقة في الحلم إنما تستمد من كلمات منطوقة متذكرة في مادة الحلم . ومنطوق الكلام إما أن يحفظ كما هو أو يصدر معدلا بنقل طفيف . وكثيراً ما يؤلف الكلام في الحلم من أقوال متنوعة مستمدة من ذاكرة الحلم . وفي هذه الأثناء يبقى النص هو هو . ولكن تخلع عليه - إذا أمكن ذلك -

= من الكلمات الآتية : ١ - *erzieherisch* (تربوي) + ٢ - *Erzieherin* (مربية) + ٣ - *Erzählung* (محادثة) + ٤ - *Syphilis* - وهي أم الكلمات الداخلة في تكوين الجملة المضمنة في أفكار الحلم [.

معان متعددة ، أو معنى يختلف من معناه الأصل . ولا يندر أن يستخدم الكلام الوارد في الحلم على سبيل الإشارة إلى الموقف الذى ورد فيه هذا الكلام لا أكثر ^(١) .

ب

عمل النقل

لا بد أن علاقة ثانية لا تقل في الراجح أهمية عن التكيف قد تجلت لنا بينما كنا نجتمع الشواهد على هذا الأخير . لقد وسعنا أن نلاحظ أن العناصر التى تبرز في محتوى الحلم باعتبارها مقومات جوهرية له بعيدة كل البعد عن أن يكون لها مثل هذا الشأن في أفكار الحلم . ونستطيع أن نعكس هذه القضية فنخرج منها بنتيجة تتبعها : إن ما يتضح جلياً أنه المحتوى الجوهرى في أفكار الحلم لا يتمثل في الحلم بالضرورة . فالحلم - إن شئت - محور مختلف ، أى أن محتواه ينتظم حول عناصر غير التى تشغل في أفكاره نقطة المركز . خذ مثلاً حلم المبحث النبأى : من الواضح أن مداره كان العنصر «نبأى» وأما في أفكار الحلم فيتعلق الأمر بالتعقد والتزاع اللذين ينشآن بين الزملاء من جراء التزامهم المهنية . ثم يتعلق بعد ذلك بما ألام عليه من أننى أبذل في سبيل هوايائى تضحيات تفوق كل ما ينبئى ، ولم يكن العنصر «نبأى» يشغل أدنى محل في نواة أفكار الحلم هله ، اللهم! إلا أن يكون قد ارتبط بها ارتباطاً واهياً على سبيل التضاد من جراء أن علم النبات لم يكن يوماً بين العلوم التى أوتىها . ثم حلم سافرو الذى أتاه أحد مرضاى : النقطة الرئيسية في هذا الحلم هى الصعود والهبوط ، الأعلى والأسفل . ولكن الحلم يعالج مخاطر العلاقات الجنسية بأشخاص محطوطى القدر ، بحيث يبدو أن عنصر واحد من

(١) [١٩٠٩ :] لقد وجدت منذ زمن غير بعيد الاستثناء الوحيد لهذه القاعدة ، وكان ذلك في حالة شاب كان يشكو أفكاراً قهريّة مع احتفاظه بكل وظائفه العقلية - وكانت بعد حل نحو كبير - كاملة غير منقوصة : لم تكن الأحوال التى ترد في أحلام هذا الشاب أقوالاً سمها أو قالها ، بل كانت توافق النص غير المحرف لأنكاره القهريّة التى لم تكن تستطيع أن تنفذ إلى شعوره في اليقظة إلا في صورة محرقة . [الشاب المعنى هنا هو الذى عرفت حاله بين الحالات الخمس التى نشرها فرويد باسم " الرجل الفار " (فرويد ١٩٠٩ د) .]

أفكار الحلم هو الذى قد نغد إلى محتواه ، وإن يكن هذا العنصر قد مُط مطاً لا تناسب فيه . والحال كذلك فى حلم الخنفساوين : فوضوعه هو العلاقة بين الحياة الجنسية والقسوة ، وعامل القسوة يظهر يقيناً فى معنى الحلم ، ولكنه يظهر فى سياق مختلف دون أن يذكر للحياة الجنسية ذكر ، أى منزوعاً من محيطه ، مصوراً - من ثم - فى صورة تنأى به عن الموضوع . كذلك فى حلم عمى حيث كانت اللحية الصفراء هى النقطة الرئيسة : لقد بدت هذه اللحية مجردة من كل معنى يربط بينها وبين رغبة العظيمة التى عرفنا فيها لب أفكار الحلم . إن أمثال هذه الأحلام توحى إلى المرء بحق أن « نقلاً » قد وقع ، وحلم حذقاً إربا يبدو إذن مخالفاً لهذه الأمثلة تمام المخالفة ، إذ فيه أمكن للعناصر المختلفة أن تحتفظ فى خلال تكوين الحلم بالهل الذى كانت تشغله فى أفكار الحلم . وإن الكشف عن هذه العلاقة الجديدة بين أفكار الحلم ومحتواه - تلك العلاقة المتقبلة غاية التقلب فى اتجاهها أو معناها - لأمر يثير عجبنا للوهلة الأولى . فنحن إذا نظرنا فى عملية نفسية من عمليات الحياة السوية فوجدنا أن فكرة بعينها قد انتخبت من بين الكثيرات غيرها ثم اكتسبت حدة خاصة بالنسبة إلى الشعور ، رأينا فى ذلك عادة دليلاً على أن لهذه الفكرة قيمة نفسية عالية بنوع خاص - على أنها تلقى درجة معينة من الاهتمام ولكننا نرى الآن أن هذه القيمة التى لمختلف العناصر المنضممة فى أفكار الحلم لا تستنشق فى خلال تكوينه أو لا يجب لها حساب . فنحن لا نشك أقل شك فى أى عناصر أفكار الحلم تفوق ما عداها قيمة : فحكمنا ينبثق بذلك إنشاء مباشراً . وهذه العناصر الجوهرية المحملة باهتمام شديد قد تعامل عند تكوين الحلم كما لو لم تكن تملك سوى قيمة ضئيلة ، وتحل محلها فى الحلم عناصر أخرى لا نشك فى أنها كانت ذات قيمة ضئيلة فى أفكار الحلم . وفى ذلك ما يوحى للوهلة الأولى أن الشدة النفسية^(١) التى لمختلف الأفكار لا يجب لها حساب على الإطلاق حين يختار الحلم من هذه الأفكار ما يختار ، وإنما الشيء الوحيد الذى يجب حسابه هو تعدد حمها تعدداً ينقص أو يزيد ، أى أن المرء قد يظن أن ما يظهر فى الحلم من أفكار الحلم ليس خطيرها ، بل مكررها . بيد أن هذا الفرض لن يعيننا كثيراً على فهم تكوين الحلم ، فنحن لن نعقل أن عامل الحلم المضاعف

(١) علينا أن نفرق بالطبع بين الشدة النفسية أو القيمة أو درجة الأهمية التى لفكرة من الأفكار ، وبين الشدة الحسية ، أى شدة الصورة الماثلة أمامنا .

وعامل النتيجة النفسية الخاصة يمكن أن يعمل في اتجاهين متباينين على اختيار العناصر التي تظهر في الحلم ، بل الأفكار التي هي أشد أفكار الحلم أهمية سوف تكون بقينا أكثرها أيضاً تردداً ، فهذا - كما من بؤرة - تنبع أفكار الحلم المتفرقة . ومع هذا يستطيع الحلم أن يترك تلك العناصر المؤكدة تأكيداً شديداً في ذاتها المؤيدة من جوانب متعددة غيرها ، وأن يلتقط محتواه عناصر أخرى لا تتحقق فيها سوى ثابته هاتين الخاصيتين .

ولكن نصل إلى حل هذه الصعوبة سوف نسترشد بانطباع آخر يوجهه أيضاً بحثنا في الحلم المضاعف لمحتوى الحلم : ربما كان الكثيرون من القراء قد حكموا من تلقاء أنفسهم بأن الحلم المضاعف لعناصر الحلم ليس بالمكتشف الهام لأنه أمر واضح بذاته ، فحين نأخذ في التحليل ابتداء من عناصر الحلم ثم زدود كل الخواطر التي تستدعيها هذه العناصر ، ولا عجب إذن حين نجد أن هذه العناصر على التحديد قد تكرر ورودها في المادة الفكرية المكتسبة من هذا الطريق تكراراً خاصاً . ولست أستطيع أن أقبل هذا الاعتراض ، ولكنني أسوق مع ذلك قولاً بلوح مشابهاً له : إن بين الأفكار التي يخرجها التحليل إلى الضوء أفكاراً كثيرة بعيدة بعداً نسبياً عن لب الحلم وتبدو مثل وسائل مصطنعة جعلت لهدف بعينه ، وهذا الهدف يسهل تخمينه ؛ فهذه الأفكار على التحقيق هي التي تعقد الصلة بين محتوى الحلم وأفكاره . صلة كثيراً ما تكون مفروضة ، مفتعلة ، ونحن إذا أسقطنا هذه العناصر من التحليل كانت النتيجة في كثير من الأحيان أن مقومات المحتوى الحلم لا تفقد حتمها المضاعف وحسب ، بل هي قد تفقد كل حتم كاف يجيئها من أفكار الحلم . وهكذا نساقي إلى تلك النتيجة : أن الحلم المتكرر الذي يفصل في اختيار ما يدخل الحلم ليس عاملاً أولياً في تكوين الحلم بل هو في الكثير من الأحيان نتاج ثانوي لقوة نفسية لا تزال نجهلها . ومع هذا فلا بد أن تكون لهذا الحلم أهمية خاصة في اختيار أي العناصر يدخل الحلم ، ما دنا نلاحظ أن هذا الحلم يجلب جلباً بمجهود خاص حين لا ينبعث من أفكار الحلم بغير عون .

وهكذا نصبح قاب قوسين من تلك الفكرة . أن هناك قوة نفسية تفصح عن نفسها في أثناء عمل الحلم . قوة تجرد العناصر ذات القيمة النفسية العالية من شلتها - هذا من جهة ، وهي - من جهة أخرى - تخلق بوساطة الحلم المضاعف من العناصر ذات القيمة النفسية المنخفضة قيماً جديدة ، تلج بعد ذلك محتوى الحلم . وإذا كان الأمر كذلك ،

كان معناه أن تحويلاً ونقلًا في الشدات النفسية التي تختلف العناصر يقعان في أثناء تكوين الحلم . وأن التباين بين نص محتوى الحلم ونص أفكار الحلم يأتي نتيجة لهذا التحويل وهذا النقل . والعلية التي نفترض وجودها على هذا النحو هي على التحقيق الجزء الجوهرى في عمل الحلم . وهي تستحق اسم « النقل الحلمى » . فالنقل الحلمى والتكثيف الحلمى هما ميدا العمل اللذان ينفق لنا أن نعزو تشكيل الحلم إلى نشاطهما هما في المقام الأول . واعتقد أن من السهل علينا أيضاً أن نعرف ما هي تلك القوة النفسية التي تفصح عن نفسها في وقائع النقل الحلمى : فتتجسد هذا النقل هي أن محتوى الحلم يفقد شبه بلب أفكار الحلم . وأن الحلم لا يعطينا بعد ذلك سوى صورة مشوهة من رغبة الحلم اللاشعورية . وتشويه الحلم ظاهرة عرفناها من قبل . وقد كنا أرجعناها إلى الرقابة التي يمارسها أحد نظامين يعملان في الحياة الفكرية بإزاء النظام الآخر . والنقل الحلمى - على ذلك - وسيلة من الوسائل الرئيسة التي يتمحق بها هذا التشويه ، فإن « فاعل الفعل هو من انتفع منه »^(١) ومن حقاً إذن أن نفترض أن النقل الحلمى يقع بتأثير من هاته الرقابة ، رقابة الدفاع الصادر عن داخل النفس^(٢) .

(١) [*Id fecit cui profuit*]

(٢) إنى أستطيع القول بأن رد تشويه الحلم إلى الرقابة هو جوهر نظريتين من الأحلام ، ولهذا أورد هنا الجزء الأخير من قصة بعنوان « الحلم غرار اليقظة » من كتاب « أحلام وأقنى » تأليف لينكوس [فيينا ، الطبعة الثانية ، ١٩٠٠] - وهو كتاب التفتت فيه هذه السة الرئيسة التي تتميز بها نظريتي . [انظر الملحق المكتوب بتاريخ ١٩٠٩ بآخر الفصل الأول] :

“ حول رجل له تلك الخاصة العجيبة ، وهي أنه لا يحلم أبداً أحلاماً تناق المقبول . . . ”
 “ إن تلك الميزة المأجدة التي خصت بها : أن تحلم كما لو كنت مستيقظاً - هي ثمرة فضائلك وطيبتك وإنصافك ومحبتك للحقيقة . والصفاء الخلقى الذى فى طبيعتك هو الذى يجعلهم أنهم كل ما اتصل بك . ”
 “ فأجيب الآخر : ولكنى - حين أؤمن النظر . أعتقد أن جميع الناس قد خلقوا على هذا الفرار ، وأنه ما من أحد تعلم أحلامه أبداً من المعنى ! فكل حلم يذكركه المرء قد كراً متغيراً بحيث يستطيع روايته من بعد ، لى كل حلم لم تلمسه الحسى ، هو دائماً حلم ذو معنى ، وبحال أن تكون الأشياء على خلاف ذلك ! فافرق بينه التناقض لا يمكن أن يجمع فى كل واحد . فأنما أن الزمان والمكان كثيراً ما يختلطان فذلك ما لا يتألم من محتوى الحلم الحقيقى في شيء ؛ فكلاهما - ولا شك - عديم الخطر فيما يتعلق بجوهر الحلم . ثم نحن كثيراً ما نفعل مثل ذلك في اليقظة ذاتها : انظر إلى القصص وإلى تأليف الخيال المليئة بالجرأة الزاغرة بالحكمة والتي لا يستطيع أن يقول عنها : “ ذلك هراء لأنه مستحيل ، إلا رجل لا عقل له ! ”

“ فقال الصديق : لو قد استطاع المرء فقط أن يفسر الأحلام دائماً تفسيراً صحيحاً مثلاً فملت بحلى ! ”
 “ تلك على التأكيد ليست بالمهمة السهلة . ولكن لا مرة في أن التجاع فيها ميسور بقليل من الانتباه من -

وأما السؤال : كيف تعمل معاً في تكوين الحلم عوامل النقل والتكثيف والحلم المضاعف أيها المسيطر وأيها الثانوي ؟ فذلك ما ندخره لبحث مقبل . [انظر مثلاً القسم من هذا الفصل] . ولكننا نستطيع أن نكشف في الوقت الحاضر عن شرط ثان لا بد من أن تستوفيه العناصر التي تشق طريقها إلى الحلم : أن تفلت هذه العناصر من الرقابة التي تفرضها المقاومة . ومن الآن فصاعداً سنحسب للنقل الحلمى حساباً باعتباره واقعة لا يتطرق إليها الشك .

ج

وسائل الحلم في التصوير

إذ تركنا عامل التكثيف والنقل اللذين رأينا نشاطهما في تحويل الأفكار الكامنة إلى محتوى الحلم الظاهر . أوقفنا متابعة البحث على شرطين آخرين يؤثران في اختيار المادة التي تنفذ إلى الحلم تأثيراً لا شك فيه . ولكنني أود أولاً أن ألقى نظرة على العمليات تقع في أثناء القيام بتفسير الحلم . مهما كان في ذلك من خطر الظهور بمظهر من لا يتقدم في طريقه . إنني لا أخشى على نفسي أن أقرب الطرق إلى إيضاح هذه العمليات وإلى الذود عن جدارتها بالثقة في وجه النقد هو أن آخذ حليماً بعينه على سبيل المثال وأن أفصل تفسيره كما فعلت من قبل بحلم حفنة إرما في الفصل الثاني ، وأن أجمع بعدئذ ما يتكشف لي من أفكار الحلم . ثم آخذ في بناء الحلم من جديد ابتداء من هذه الأفكار ، أى أن أردف تحليل الحلم بتركيب يكمله . ولقد قمت بهذا العمل في أمثلة متعددة طلباً لفائدتي الخاصة . ولكنني لا أستطيع أن أورد هنا هذه الأمثلة ، إذ تمنعني من سوق هذا البرهان اعتبارات تتعلق بطبيعة المادة النفسية المضمنة — وهى اعتبارات متنوعة ويسلم بوجاهتها كل امرئ منصف في التفكير . هذه الاعتبارات قد تدخلت في تحليل الأحلام إلى حد أقل ؛ فإن التحليل قد يظل ناقصاً ويستبقى مع ذلك قيمته ، بل هو قد يستقيها

= جانب الحلم . إنك تسألني : ولم الفشل في منظم الأحلام ؟ ذلك أنك تبدو دائماً يا مشر البشر كأنما كان ثمة شيء غيب في أحلامكم ، شيء غير عاف بمعنى أحسن وأعمق ، خاصة مسترة ركبت في طيحتكم ويصعب عليكم تأملها ، ولهذا غلب أن تسمى أحلامكم مجردة من المعقولة ، إن لم تناقضها . بيد أنها تخالف ذلك تمام المخالفة في حقيقتها السقيمة ، لا بل ذلك في الحق مالا يمكن أن يكون ؛ لأن الإنسان يظل دائماً هو هو، سواء ألقى الحلم أم في اليقظة ” .

وإن لم ينفذ إلا في رقعة صغيرة من نسيج الحلم . فأما تركيب الحلم فلت أدري كيف يُصنع إلا إذا كان كاملاً . وما أستطيع أن أورد تركيباً كاملاً لبعض الأحلام إلا إذا كانت هذه الأحلام لأناس تجهلهم جمهرة القراء . ولكن إذا كان هذا الشرط لا يتحقق إلا في مرضى - وهم عصايون - فقد يجب على أن أرجئ هذا الجزء من الكلام عن الحلم إلى أن أتمكن - في موضع آخر غير هذا الكتاب - من المضي بتفسير سيكولوجية الأعصاب إلى الحد الذي يتم عنده الوصل بينها وبين موضوعنا الحاضر ^(١) .

وقد علمتني محاولات في بناء الأحلام بتركيبها من أفكار الحلم أن المادة التي تنبعث في خلال التفسير تتفاوت في القيمة : فهناك جزء يتكون من أفكار الحلم الجوهرية ، أي تلك التي تحل محل الحلم تماماً وكانت كفيلاً أن تعجى بدله لولا وجود الرقابة على الحلم ، وأما الجزء الآخر فهو في العادة خليق بأن يوصف بكونه ذا أهمية ضئيلة . ولنا نأخذ بالقضية القائلة إن جميع الأفكار التي من هذا النوع الثاني قد اشتركت في تكوين الحلم [انظر ص ٢٩٤] . بل لقد توجد بينها على العكس مستدعيات تتعلق بخبرات وقعت بعد الحلم ، بين لحظي الحلم والتفسير . هذا الجزء يشمل جميع الطرق الرابطة التي أدت من المحتوى الظاهر إلى الأفكار الكامنة ، كما يشتمل على المستدعيات المتوسطة المتدرجة التي توصلنا من خلالها - ونحن نقوم بالتفسير - إلى معرفة تلك الطرق الرابطة .

ولنا نوجه اهتمامنا في هذا الموضع إلا إلى أفكار الحلم الجوهرية وحدها . هذه الأفكار تتكشف في معظم الأحيان في صورة مجموعة من الأفكار والذكريات ذات بنية متشابكة أقصى التشابك ، حاصلة على كل الخواص التي نعرفها لعملياتنا الفكرية في حياة اليقظة . وهي قد تكون في أحيان ليست بالنادرة سلسلات من الفكر تنصلر عن أكثر من مركز واحد . وإن تماسكت في بعض المواضع . وتكاد كل سلسلة من هذه أن تفتقر دائماً بمقابلها المناقض لها : يرتبط بها من طريق التداعي بالتباين .

والأجزاء المختلفة من هذا البناء المعقد تتداخل بالطبع في علاقات منطقية أو لغوية تنوع غاية التنوع : ففيها المتقدم والمتأخر وفيها الاستطراد والإيضاح ، فيها الشرط

(١) لقد نشرت منذ ذلك الحين في " طرف من تحليل حالة هسريا " (فرويد ١٩٠٥) تحليلاً وتركيباً كاملاً للحلمين . ومن الواجب أن نشير هنا إلى التحليل الذي نشره أوتو رانك بعنوان : " حلم يفسر نفسه " (رانك ١٩١٠) باحباره ثم تفسر نعره حلم ذي طوطم يفت ٤ .

والتدليل والمناقضة . فإذا ما خضعت كتلة أفكار الحلم هذه للضغط المتولد عن عمل الحلم ، يدبر أجزائها ويفتتها ثم يلحمها فيما يشبه الثلج المنذفع . ثار في أنفسنا السؤال عما آلت إليه هاته العلاقات التي كانت حتى الساعة هيكل البناء . أى تصوير تلقاه في الحلم ، إذا ، و « لأن » أو « مثل » و « رغم » و « إما - أو » وسائر الأحرف التي لا تفهم بغيرها عبارة أو خطاب ؟

لا مفر من أن نجيب في بادئ الأمر بأن الحلم لا يملك أى وسيلة يصور بها هذه العلاقات المنطقية بين أفكار الحلم . فهو في معظم الأحيان يغفل كل هذه الحروف ولا يستقي من الأفكار سوى محتواها الشيء يصوغ منه صوغه . وعلى التفسير أن يسترجع ما أعدمه عمل الحلم من الروابط المنطقية .

وإذا كانت هذه القدرة على التعبير تعوز الحلم . فهي لا بد راجعة إلى طبيعة المادة النفسية التي تصنع منها الأحلام . ويعرف هذان الفنان التشكيليان : التصوير والنحت - مثل هذا التقييد ، بالقياس إلى الشعر الذي يسعه استعمال الكلم . وعلّة العجز هنا أيضاً طبيعة المادة التي يجهد هذان الفنان في الإعراب عن شيء ما بتشكيلها . ولقد جهد فن التصوير - قبل أن يصل إلى الأحكام التي يعمل اليوم بمقتضاها - في تدليل هذا العائق . فنحن نرى الأشخاص في الرسوم القديمة وقد تعلقت بأفواههم شرائط خلت عليها أحرف تقول ما قد يشس الفنان من الإعراب عنه في صور .

وربما ظهر في هذا الموضع اعتراض ينازع فيما نذكره من قدرة الحلم على تصوير العلاقات المنطقية : فهناك أحلام يقوم فيها الحلم بعمليات عقلية معقدة غاية التعقيد ، فيهرن على القضية أو ينقضها أو يفهمها أو يقارنها بغيرها ، كشأنه في البقطة . وهذا صحيح ، ولكن هنا أيضاً يندع المظهر ، فلو أننا مضينا في تفسير أمثال هذه الأحلام لعلمنا أن هذا كله إنما هو مادة من مادة الحلم وليس تصويراً لعمل عقلي يتأدى في الحلم . وما يعيد الحلم بتفكيره الظاهر هذا سوى محتوى أفكار الحلم لا علاقاتها المتبادلة التي يقوم التفكير في التزامها . وسوف أسوق بعض الأمثلة على ذلك [ص ٤٤٠ وما بعدها] ، ولكن أسهل ما نستطيع التثبت منه في هذا الموضع هو أن كل كلام يعرض في الحلم منصوباً صراحة على أنه كذلك إنما هو إعادة محرفة أو محرفة قليلاً لأقوال موجودة من قبل بين ذكريات مادة الحلم . وفي كثير من الأحيان لا يخرج الكلام المقول في الحلم عن أن يكون إلماحاً

إلى موقف متضمن في أفكار الحلم . وأما معنى الحلم فيكون مختلفاً كل الاختلاف [انظر ص ٤١٩ وما بعدها] .

بيد أنني لن أنكر مع ذلك أن التفكير النقدي الذي لا يقف عند مجرد تكرار المادة المحتواة في أفكار الحلم يأخذ مع ذلك بنصيب في تكوين الحلم . ولن أجد بداً من أن ألقى الضوء في نهاية المناقشة الحاضرة على تأثير هذا العامل . وعندئذ سوف يتضح أن هذا النشاط الفكرى لا يرد إلى أفكار الحلم بل يصدر عن الحلم ذاته بعد أن يكون قد اكتمل صنعه بمعنى من المعاني . [انظر القسم الأخير من هذا الفصل] .

وللأنه يتضح لنا ذلك نقول إذن : إن العلاقات المنطقية بين أفكار الحلم لا تحظى في الحلم بأى تصوير مستقل . فإذا عرض في الحلم تناقض - مثلاً - فهو إما تناقض من جانب الحلم وإما تناقض في فكرة من أفكار الحلم . ولا يكون التناقض في الحلم مصوراً لتناقض بين أفكار الحلم إلا بطريقة غير مباشرة إلى أبعد حد .

ولكن كما أن فن التصوير قد أفلح أخيراً في أن يعرب على الأقل عن مقاصد الكلم عند من يصور من الناس : حب أو وعيد أو تحذير أو غيره ، وذلك بطريقة أخرى عدا الشرائط المدلاة . كذلك أمكن الحلم أن يدخل في حسابه بعض العلاقات المنطقية بين أفكاره . وذلك بتعديل طريقة التصوير المميزة للأحلام تعديلاً ملائماً . وتدل التجربة على أن الأحلام المختلفة تتفاوت تفاوتاً كبيراً في هذا الباب ، فبينما يغفل حلم الترتيب المنطقي الذي لمادته إغفالاً تاماً ، يعمل حلم آخر على الإبانة عن هذا الترتيب إبانة كاملة بقدر المستطاع . وفي أثناء ذلك يبعد الحلم عن النص المراد صوغه بعداً ينقص أو يزيد . هذا . وتختلف الأحلام كذلك في مسلكها تجاه الترتيب الزمنى لأفكار الحلم . إذا كان مثل هذا الترتيب قد قام في اللاشعور (كما في حلم حفنة إرما . مثلاً) .

فأما الوسائل التي يتمكن بها الحلم من الإبانة عما تتضمنه مادته من علاقات صعبة التصوير ؟ سأحاول أن أحصى هذه الوسائل واحدة فواحدة .

الحلم أولاً : يدخل في حسابه جملة الرباط القائم من غير أدنى شك بين أجزاء أفكار الحلم جميعها ، وذلك بتوحيد هذه المادة في سياق يجمعها في صورة موقف أو حدث : إنه يعيد الرباط المنطقي في صورة المزمنة . وهو في ذلك يحذو حذو الرسام الذي يرسم صورة مدرسة أثينا أو البرناس ، فيحشد في الصورة جميع الفلاسفة والشعراء وما اجتمعوا

قط في رواق واحد أو على قمة واحدة . ولكنهم مع ذلك يؤلفون بقيتاً محبة واحدة بالمعنى التصوري المجرد .

والحلم يتابع هذا المنهج في التصوير حتى الجزئيات . فكلما اقترب عنصران من عناصر الحلم كل من الآخر كان ذلك ضامناً لوجود علاقة وثيقة بنوع خاص بين مقابلتهما في أفكار الحلم . فالأمر هنا أشبه به في نظامنا الكتابي : فأنت إذا كتبت « أب » كان معنى ذلك أن هذين الحرفين يجب أن يقرأ مقطعاً واحداً . فإن تركت فاصلاً بينهما كان معناه أن « أ » هي الحرف الأخير من كلمة و « ب » الأول في تاليها . وعلى هذا الفرار تجيء تجمعات الحلم . فهي لا تتكون عفواً من أجزاء مشتتة في مادة الحلم . بل من أجزاء يربط بينها في أفكار الحلم أيضاً رباط وثيق .

لأما علاقات العلية فيحلك الحلم طريقتين في تصويرها ، هما في جوهرهما طريقة واحدة . فعندما تجري أفكار الحلم على هذه الصورة : « وإذا كان الأمر كذا وكذا ، فقد لزم أن يقع هذا وذاك » فأشيع طرق التصوير هي أن تدرج جملة الشرط في حلم تهيمدى يتلوه جواب الشرط في الحلم الرئيس . ومن الممكن — إذا لم أكن أخطأت التفسير — أن يتقلب هذا الوضع . ولكن الجزء الأوسع في الحلم يقابل دائماً جملة جواب الشرط .

وقد أتت إحدى مريضاتي بمثال يديع على هذه الطريقة في تصوير علاقة العلية ، وذلك في حلم سوف أوردته كاملاً فيما بعد . [ص ٣٥٥] . كان الحلم يتكون من مقدمة موجزة ومن حلم مسهب دار إلى درجة ملحوظة حول موضوع بعينه . وهو يستحق أن يسمى باسم : لغة الأزهار . وكان الحلم التهيمدى كما يلي : تلعب إلى المطبخ حيث تبعد خادميا وتكهنهما لما تجهزنا لما « قصة توكول » تلعب في أثناء ذلك عدداً كبيراً جداً من أوعية المطبخ العامة للطرز ، قلبت حل الأرض وقد رصت بعضها فوق بعض أكراماً حتى يسقط ما علق بها من قطرات الماء . تلعب الخادمان في طلب بعض الماء ، وتغطفان إلى الخوض في نهر ارتفع حتى بلغ المنزل أرفعا .

ثم تبع ذلك الحلم الرئيس . وكان يبدأ على هذا النحو : تهبط من مرتفع عظيم فوق حواجز ركبت بطريقة غريبة وتشعر بالسرور لأن ثوبها لم يشبك بلى منها في خلال ذلك المهبوط . . . إلخ . إن الحلم في التهيمدى يشير إلى منزل والدي هذه السيدة . وأما الكلمات التي ألفت بها في المطبخ فلا شك في أن المريضة قد سمعت أمها ترددها

مراراً . وأكوام أوعية المطبخ مستمدة من دكان متواضع لبيع الأواني بأسفل منزلم . فأما الجزء الثانى من هذا الحلم التمهيدى فيشير إلى والد الحاملة ، وكان لا يكف عن مطاردة الخادعات ، إلى أن أصابه فى أثناء الفيضان مرض أودى به - وكان منزلم يقع على ضفة النهر . فالفكرة المسترة وراء الحلم التمهيدى يمكن صوغها على هذا النحو : « وإذ كنت ولدت فى هذا المنزل . فى هذا الجو الوضع المكتئب . . . والحلم الرئيسى يرجع فيتناول هذه الفكرة عنها ويصوغها من طريق تحقيق الرغبة فى الصورة الآتية : « إننى أنحدر من سلالة عالية » . والقراءة الصحيحة للحلم هى إذن : « وإذ كنت أنتمى إلى هذا الأصل الوضع . فقد كانت حياتى كيت وكيت » .

وانقسام الحلم جزوين متفاوتين فى الطول لا يدل فى كل حالة - بقدر ما أعلم - على وجود علاقة عليية بين الفكرتين المتضمنتين فى هذين الجزوين . فكثيراً ما يبدو الأمر كأن كلا الحلمين يعالج ذات المادة من وجهة نظر مختلفة ، وتلك هى الحال يقيناً حين ترد فى الليلة الواحدة سلسلة من الأحلام تنتهى بالإمضاء ؛ فهذه الأحلام مراحل تقرب الحاجة الجنسية من خلاها رويداً رويداً إلى تعبير أصرح . أو قد ينبعث كلا الحلمين من مركز خاص به فى مادة الحلم ثم يقع بين الحلمين تداخل فى المحتوى بحيث نرى ما كان إشارة عابرة فى أحدهما وقد صار مركز الحلم الآخر . والعكس . بيد أن هناك - مهما يكن - حالات يدل فيها بالفعل انشقاق الحلم شقين - تمهيد قصير وملحق طويل - على وجود رابطة عليية بين الجزوين . وأما المنهج الثانى فى تصوير علاقة العلية فيستخدم حين تكون المادة أقل اتساعاً . وهو يتلخص فى أن ترد فى الحلم صورة - سواء لشخص أم لشيء - ثم تتحول إلى أخرى . والقول بوجود العلاقة العلية هنا لا يكون قولاً جديداً إلا حيث نرى هذا التحول فى صورة الحلم يدور أمام ناظرنا ، وليس يكفى فيه أن نلاحظ أن شيئاً ما قد جاء فى موضع شيء آخر كان حاضراً منذ هنية . ولقد قلت : إن هذين المنهجين فى تصوير علاقة العلية هما فى الحقيقة منهج واحد . وذلك لأن العلية تصور فى كليهما بالتعاقب : بتعاقب الأحلام طوراً ، وبتحويل إحدى الصور إلى غيرها تحويلاً مباشراً طوراً آخر . ولكن الحق الصراح هو أن علاقة العلية لا تصور على الإطلاق فى الغالبية العظمى من الحالات ، بل تضعى وسط تعاقب العناصر تعاقباً لا بد منه حتى فى عملية الحلم .

وأما علاقة « إما كذا وكذا » فلا يستطيع الحلم تصويرها على الإطلاق . بل يدرج الحلم كلا الاحتمالين في سياق واحد كما لو كانا يتساويان في الجواز . وحلم حقنة لإرما يرينا مثالا ماثوراً على ذلك . فقد كان من الجلي أن الأفكار الكامنة لهذا الحلم كانت الآتية : لا ذنب لي إذا كانت آلام إرما لا تزال مستمرة ؛ فالذنب راجع إما إلى رفضها الأخذ بجلي ، أو إلى أنها تعيش في وضع جنسي لا يساعد على البره ولا أستطيع تغييره ، أو إلى أن طبيعة آلامها هذه ليست هسرية على الإطلاق بل عضوية . ولكن الحلم يحقق جميع هذه الاحتمالات التي يكاد يمنع بعضها بعضاً ، ولا يجد مانعاً من أن يضيف إليها احتمالاً رابعاً أوحته رغبة الحلم^(١) ثم لما فرغت من التفسير أدرجت « إما » و « أو » في سياق أفكار الحلم .

غير أنه إذا شعر الراوي وهو يستذكر حلمه بحيرة بين « إما » و « إما » كأن يقول : « كان المكان إما حديقة وإما غرفة استقبال » فقابل هذا الاحتمال في أفكار الحلم ليس احتمالاً مثلها بل « أو عطف » أي إضافة وحسب . فنحن في معظم الأحيان نستخدم « إما كذا وإما كذا » لكي نصف بها عنصراً من عناصر الحلم اتسم بطابع من الغموض يسهل مع ذلك تبديده ؛ فالقاعدة التفسيرية في مثل هذه الحالة هي الآتية : أن نعامل كلا الاحتمالين الظاهرين كما لو كانا يتساويان صحة ، وأن نربط كلاهما بالآخر بوساطة « أو العطف » . مثال ذلك أنني ظلت زمناً طويلاً أنتظر سدى عنوان صديق لي كان مسافراً في إيطاليا ، ثم حملت بأني أتلقى رسالة برفية تخبرني بهذا العنوان . لقد رأيت العنوان مطبوعاً على الرسالة باللون الأزرق . وكانت الكلمة الأولى منه مبهمه ؛ فهي :

Via كانت

أو Villa ثم تلوها الكلمة الثانية واضحة Sczerano

أو حتى Casa

إن للكلمة الثانية جرماً كجرجس الأسماء الإيطالية ، وهي تذكرني بمناقشاتي في الاشتقاق اللغوية مع هذا الصديق . كما أنها تعرب عن غضبي منه إذ مكث هذا الزمن الطويل يحتفظ بعنوانه سرّاً^(٢) . وأما الكلمة الأولى فقد ظهر أن كل احتمال من

(١) [أن يكون الذنب أوتو بمحقة المسحة] .

(٢) [سر = segreto في الإيطالية . ويذكر فرويد هذا الحلم مع مزيد من التصيل في خطاب إلى ليس - وهو الصديق المشار إليه بتاريخ ٢٨ أبريل ١٩٩٨ . انظر الخطاب ٦٠ في فرويد ١٩٥٠] .

احتمالاتها كان نقطة ابتداء تفرعت عنها سلسلة من الأفكار ، نقطة قائمة بذاتها مساوية للآخرين في صوابها .

وقد حملت في خلال الليلة التي سبقت تشييع جنازة والدى بلائحة أو لافتة مطبوعة أشبه ما تكون باللافتات التي تحرم التدخين في حجرات الانتظار بمحطات السكة الحديدية . وكتب على هذه اللافتة : المبروان تفلق كلنا العينين أو

المبروان تفلق إحدى العينين

وهو ما أكتبه عادة في الصورة الآتية :

كلا

المبروان تفلق — العينين

إحدى

إن لكلا هذين النصين معناه المستقل ، وكلاهما يضرب في اتجاه مستقل حين نشرع في تفسير الحلم . فقد كنت اخترت للجنازة والذى أبسط الطقوس الممكنة ، لأننى كنت أعلم رأى الراحل في أمثال هذه المراسم . ولكن هذه البساطة الطهرية^(١) لم ترض سائر أعضاء الأسرة : فقد رأوا في ذلك مجلبة للعار بين المشيعين . ومن ثم جاء في إحدى القراءتين : « أن نغمض إحدى العينين » أى « أن تغض الطرف » . فالإيهام الذى أعربت عنه « إما - وإما - » يسهل تفسيره هنا بنوع خاص : فعمل الحلم أخفق في أن يجد لفكرتى الحلم صيغة لفظية موحدة ولكنها مزدوجة المعنى . ولهذا انشقت في محتوى الحلم الظاهر سلسلتا الفكر الرئيستان .

هذا . وهناك حالات قليلة تحل فيها صعوبة تصوير الاحتمال بقسمة الحلم قسمين متساويين في الطول .

وأما سلك الحلم بلزاء مقولة التضاد والتناقض فسلك يسترعى النظر إلى أبعد مدى : فالحلم لا يزيد على أن يغفل هذه المقولة إغفالا . أى أنه لا يعرف شيئا اسمه « كلا » فهو يبدى إثارة خاصة نحو إدماج الأضداد في كل واحد أو تصويرها على أنها شيء واحد . وهو - فوق ذلك - يستبيح لنفسه أن يصور أى عنصر من عناصره ببساطة ضده

(١) [الطهرين لفظ أطلق على طالفة برهوتانية تمسك بحرف الكعب المقدسة تمسكا شديداً ، ثم صار

يطلق بوجه عام على المرتزين] .

المرغوب فيه : بحيث يهجز المرء للوهلة الأولى - إذا ورد في الحلم عنصر يقبل الضد - أن يعرف ما إذا كانت أفكار الحلم قد حوت هذا العنصر في صورة موجبة أم سالبة ^(١) . وفي أحد الأحلام التي رويناها أخيراً (وهو حلم فسرنا جزأه الأول : « إذ كنت أتمنى إلى مثل هذا الأصل . . . ») رأيت الحاملة نفسها تهبط فوق الحواجز وقد حملت في يدها غصناً مزدهراً . ولقد خطر لنا في صدد هذه الصورة كيف يحمل الملك عوداً من الزنبق في يده في صورة البشارة إلى مريم (وكانت هي تدعى مريم) . ثم كيف تسير العذارى في موكب عيد المسيح ^(٢) بينا ازدادت الطرق بالقصون الخضر . وهكذا يشير الفصن المزدهر في الحلم إلى الطهارة الجنسية . ذلك لا رب فيه . بيد أن الفصن قد غطت في الحلم أزهار حمراء تشبه الكاميليا . ولقد مضى الحلم حتى بلغت الحاملة نهاية مسيرها وإذا بالزهر قد ذوى معظمه أو كاد . ثم تجيء بعد ذلك إشارات إلى الطمث ما في فهمها من شك . فذات الفصن الذي تحمله الحاملة مثل زينة تحملها فتاة طاهرة يلمح في الوقت عينه إلى عادة الكاميليا : فنحن نعرف عن هذه أنها كانت تحمل كاميليا بيضاء اللون ، إلا وقت الطمث فتحمل حمراء . وذات الفصن المزدهر يمثل الطهارة الجنسية ويمثل ضدها (انظر « أزهار العذراء » في أغنية الطحانة عند جوتيه ^(٣)) . وذات الحلم الذي يعرب عن فرحها لأنها قد نجحت في المسير عبر الحياة دون أن تفقد بكرتها يتركنا نلمح في بعض مواضعه (مثل ذبول الأزهار) وميض أفكار أخرى مضادة . فحواها استغراب النفس لأنها ارتكبت أنواعاً من الآثام في حق النقاوة الجنسية (أي ارتكبتها في

(١) لقد أدهشني أن أعمل من مؤلف كيه ك . آهل " تضاد المعنى في الكلمات القديمة " (١٨٨٤) (وانظر تعليق عليه ، ١٩١٠ هـ) - أدهشني أن أعمل تلك الواقعة التي أيقدها لتروين آخرون : أن أصل الكلمات قسماً تلك في هذا الصدد سلكاً يشبه سلك الحلم تمام التشبه . فهذه الكلمات تمك في مبدأ الأمر كلمة واحدة تعرب بها عن طرفين متضادين تندرج بينهما سلسلة من الكيفيات أو الأضداد (مثل : قري - شميم ، صبور - حدث ، بعيد - قريب ، يربط - يخل) ، ولا تصل إلى حدود متناهية للأضداد إلا فيما بعد ، بإحداث تغيير طفيف في الأصل المشترك . ويبرهن آهل هل هذه الخاصة استناداً إلى اللغة المصرية القديمة بنوع خاص . ولكننا نستطيع أن نتبين آثاراً واضحة لهذا التطور عنه في اللغات السامية والإنلوجرمانية .

(٢) [عيد يقع في الخميس الثاني بعد عيد المنصرة وفيه يخرج المسيحيون في موكب من كنسيتهم ثم يطوفون بشوارع البلدة ويصعد المركب إلى الكنيسة] .

(٣) [Der Mullerin Verrath أو " خيانة الطحانة " قصة منظومة بلوتيه ، جاء فيها أن رجلاً قفى ليلة غرام - أو ما ظنه كذلك - مع طحانة جميلة ، فلما أصبح الصباح باغته أهلها بتدبير منها لكي يسألوه الحساب من " أزهار العذراء "] .

طفولتها) . ولقد أمكن عند تحليل الحلم أن نفرق تفرقة واضحة بين هاتين السلسلتين الفكريتين اللتين بدت أولاهما - تلك التي ترفه - طافية على السطح ، في حين شغلت الثانية - تلك التي تؤنب - طبقة أعمق . وللتين صور ما بينهما من عناصر متشابهة وإن تكن متقابلة بوساطة ذات العناصر في محتوى الحلم الظاهر .

غير أن هناك علاقة منطقية واحدة تعين ميكانيكية تكوين الحلم على تصويرها إلى أبعد حد . تلك هي علاقة التشابه أو التوافق أو التقارب ، العلاقة التي يعرب عنها قولنا : « مثل كذا تماماً » . إن هذه العلاقة تجد من تعدد الوسائل في تصويرها مالا تجده أى علاقة أخرى^(١) . فحالات « مثل » أو نظائرها المتضمنة من قبل في مادة الحلم هي الأساس الأول الذي يبنى عليه كل تكوين الحلم : كما أن جزءاً لا يستهان به من عمل الحلم يقوم في خلق نظائر جديدة من هذا القبيل إذا كانت تلك الموجودة من قبل لا تستطيع النفاذ إلى الحلم بسبب الرقابة . وإن تصوير علاقة التشابه ليسند نزوع عمل الحلم إلى التكثيف .

فالتشابه والتوافق والحصول على محمولات مشتركة ، كل هذه يصورها الحلم بأن يدمج طرفي العلاقة في وحدة إما أن تكون متضمنة من قبل في مادة الحلم وإما تخلق خلقاً جديداً . والاحتمال الأول تجوز تسببه تعيناً ، وأما الاحتمال الثاني فنسميه مزجاً . ويستخدم التعيين حين يتعلق الأمر بالأشخاص ، وأما المزج فحين تكون مادة التوحيد هي الأشياء - وإن جاز أن يقع المزج بين الأشخاص كذلك ، كما أن الأماكن قد تعامل في كثير من الأحيان معاملة الأشخاص .

ونجد في التعيين أن شخصاً واحداً من الأشخاص الذين يربط بينهم جامع مشترك هو الذي يظهر دون غيره في محتوى الحلم . بينما يبدو الشخص الثاني أو الأشخاص المتبقون كأما قمعوا في الحلم^(٢) . ولكن هذا الشخص الذي يحجب الآخر ين يظهر في الحلم بكل العلاقات والمواقف التي تصدق عليه وعلى سائر من يحجب . وأما في المزج - حين

(١) انظر ملاحظة أسطر في المواقف التي تلزم من يفسر الأحلام [انظر ماسبق ص ١٢٧ و ٢٨] .

(٢) (فكان هؤلاء الأشخاص قد عينوا بالشخص الظاهر في الحلم، أي أخفوا صوته وجعلوا لياه وعرفوا به.

ويلاحظ ستراشي بحق أن التعيين هنا غير التعيين الذي تحدث عنه فرويد من قبل في ص ١٢٢ . فالتعيين هنا عملية من العمليات التي يجرها المرء على شخصين - أو على شيئين أحياناً - أو أكثر . بينما التعيين هناك هو الصلية أو =

يمتد المزج إلى الأشخاص - فتجىء صورة الحلم حاوية على ملامح من هذا الشخص ولامح من ذاك ، ولكنها ليست باللامح المشتركة بينهما ، بحيث يؤدي التوحيد بين هذه الملامح إلى ظهور وحدة جديدة ، أى شخص مركب . وقد تقع عملية المزج على أنحاء مختلفة : فالشخص الظاهر في الحلم قد يحمل اسم أحد الشخصين المرتبطين به - وحينئذ نعلم أن المعنى هو هذا الشخص أو ذاك على نحو يماثل كل المماثلة نحو معرفتنا في اللحظة - بينما تكون ملامحه المرئية هي ملامح الشخص الآخر . أو قد تتركب صورة الحلم المرئية من ملامح يرجع بعضها إلى الحقيقة إلى أحد الشخصين ويرجع بعضها الآخر إلى الشخص الآخر . أو قد لا يشارك الشخص الثانى في صورة الحلم بملامحه المرئية بل بالحركات التى نظهر بها أو الكلمات التى نجله يفوه بها أو الموافقات التى نضعه فيها - وفى هذا النوع الأخير من المزج يأخذ الفرق بين التعيين والمزج في الزوال^(١) . غير أنه قد يحدث أيضاً أن يفشل الحلم في تكوين مثل هذا الشخص المركب ، وفى هذه الحالة نجد مشهد الحلم ينسب إلى أحد الشخصين بينما لا يخطر الثانى - وهو في العادة الشخص الأهم - في هذا المشهد إلا باعتباره حاضراً وحسب . ويصف الحلم هذا الوضع بأن يقول مثلاً : " كانت أى أيضاً هناك (شيكلى) . وشمل هذا العنصر في محتوى الحلم تجوز إذن مقارنته بمخصصات الكتابة المبروغرافية التى لا يراد بها أن تنطق ، وإنما تجعل لكى توضح سائر العلامات^(٢) .

والعنصر المشترك الذى يبرر توحيد كلا الشخصين أو - بالأحرى - بسببه قد يتمثل في الحلم وقد يغيب . ولكن القاعدة هي أن التعيين أو تكوين الأشخاص المركبة إنما يستخدم على التحقيق من أجل تصوير هذا العنصر المشترك . فأننا بدل أن أقول : " إن أ بعادين وكذلك ب " أبتدع في الحلم شخصاً مركباً من أ و ب ، أو أتخيل أ وهو يعمل عملاً من نوع يخالف ما عرف عنه ويتميز به ب . والشخص الذى أحصل عليه

= العلاقة التى بها فيها يتكون الأنا . فالفرق بين المعنيين حل اشتراك اللفظ قد لا يمدل - إذا جاز لنا اللجوء إلى ماثلة مستمدة من مجال الفلسفة - سوى الفرق بين " الفكر " في الكوجيتو الديكارتي و " الفكر " بمعنى هذه العملية الفكرية أو تلك ، كما يكون في حل مسألة حساب أو شطرنج أو غيره . وربما كان في قولنا هناك : " التعيين الذاتى " بينما تكفى هنا بأن نقول : " التعيين " وحسب - ما يشير إلى هذا الفارق أو ينبه إليه] .

(١) [Determinativum - ترجمناه بالمخصصات نقلاً عن الدكتور عبد المحسن بكير في كتابه

" اللغة المصرية القديمة في عصرها الحديث "] .

بهذه الطريقة أو تلك يخطر لى فى الحلم فى سياق جديد ما . وإن كونه يومئذ إلى أ و ب على السواء ليخول لى الحق فى أن أضع ما هو مشترك بين هذين - وأعنى به موقفهما العدائى نحوى - فى موضعه المناسب من تفسير الحلم . وبهذه الطريقة يتسنى لى فى كثير من الأحيان أن أحقق تكيفاً خارقاً فى محتوى الحلم : فأنا أستطيع أن أجنب نفسى مؤنة التصور المباشر لما قد يرتبط بأحد الأشخاص من ملابسات شديدة التعقيد إذا وجدت شخصاً آخر يشاركه بعض هذه الملابسات . ومن السهل كذلك أن نرى كم ينفع هذا التصور فى مداورة الرقابة الناجمة عن المقاومة ، هذه الرقابة التى تفرض على الحلم شروطاً من الصعوبة بمكان : فالرقابة قد تكون موجهة إلى أفكار معينة ترتبط فى مادة الحلم بشخص دون غيره . وأنا كذلك أتمس شخصاً ثانياً يرتبط هو الآخر بهذه المادة المعارض عليها . ولكن يجزء منها ليس غير . وعندئذ ينحول لى هذا التماس القائم بينهما فى تلك النقطة الخاضعة للرقابة أن أكون من كليهما شخصاً مزيجاً : يُخصَّصُ بما فى كليهما من سمات لا خطر منها . وهذا الشخص المتولد عن المزج أو عن التعمين يدرج الآن فى محتوى الحلم حرراً من الرقابة ، بينما أكون من جانبيه قد أرضيت هذه الرقابة بإعمال التكيف .

وحيثما يصور فى الحلم عنصر مشترك بين شخصين ، كان ذلك فى العادة بمثابة إشارة تدعونا إلى أن نبحث عن عنصر مشترك آخر مشترك ، حالت الرقابة دون تصويره . أى أن ذلك دليل على أن نقلا قد وقع فيما يتصل بالعنصر المشترك لكى يتيسر تصويره . وعلى ذلك إذا تراءى لى فى الحلم شخص مزيج يحمل سمة مشتركة خالية من الوزن ، حملنى ذلك على أن أستنتج أن ههنا عنصراً آخر مشتركاً بعيداً كل البعد عن أن يكون على هذا النحو من القيمة .

وبذلك يندم التعمين وتكوين الأشخاص المزيجة أهدافاً متنوعة فى الحلم : أولاً تصوير عنصر مشترك بين شخصين ، وثانيهما تصوير عنصر مشترك أصابه التقل . ثم الثالث وهو التعبير عن شركة مرغوب فيها ليس غير . وإذا كانت الرغبة فى أن يشترك شخصان فى وجه من الوجوه توافق فى أحيان كثيرة الرغبة فى مباداة الواحد بالآخر ، كانت هذه العلاقة الأخيرة أيضاً يُعَرَّبُ عنها فى الحلم بوساطة التعمين : ففى حلم حقنة إرما أود لو استبدلت بإرما المريضة الأخرى ، أى أننى كنت أود لو قد كانت هذه الأخرى مريضتى مثلما كانت إرما ، والحلم يحسب حساب هذه الرغبة حين يربى

شخصاً اسمه إرما ولكنه يفحص في وضع لم يتفق لي قط أن رأيت فيه غير المرأة الأخرى .
وفي حلم عمى نصادف تبديلاً من هذا القبيل صار هو النقطة الرئيسة في الحلم : فأنا أمين
نفسى بالوزير حين أبدى نحو زميل مسكاً وحكماً لا يفضلان مسلك الوزير وحكمه في
شيء [انظر ص ٢١٣] .

ولقد علمتني خبرة لم أجد لها استثناء أن كل حلم بدور حول الحلم نفسه . فالأحلام
على أنانية مطلقة^(١) ، وإذا لم يظهر أناى في محتوى الحلم بل ظهر شخص غريب ،
جاز لي أن أفترض وأنا مطمئن أن أناى يكمن مستتراً وراء ذلك الشخص الآخر بواسطة
التعيين ، وجاز لي أن أدرج أناى في السياق . ويحدث في أحيان أخرى — حين يظهر
أناى في الحلم — أن ينتهي الموقف الذى يكون فيه ظهوره أن شخصاً آخر يختبئ وراء
هذا الأنا بواسطة التعيين كذلك . وعندئذ يجب على الانتباه عند تفسير الحلم إلى أن أحول
إلى أنا وجه الاشتراك المستر المنسوب إلى هذا الشخص . وهناك كذلك أحلام يظهر
فيها أناى بجانب أشخاص آخرين يتوضع مرة أخرى حين نحل التعيين أنهم أناى . ولا بد
في هذه الحالة من أن تكون تلك التعيينات قد مكتنتى من أن أجمع بين أناى وبين
تصورات بعينها كانت الرقابة تحول دون قبولها . وهكذا يكون في مستطاعى أن أصور
أناى في الحلم مرات ومرات ، تصويراً مباشراً تارة ، وبواسطة تعيينه بأشخاص غريباء تارة
أخرى . وتعدد أمثال هذه التعيينات يمكن من تكثيف كمية ضخمة من أفكار الحلم^(٢) .
وإن ورود أنا الحلم في الحلم مرات متعددة أو في هياكل مختلفة ليس في الحقيقة بأعجب
من وروده في أفكارنا الشعورية مرات متكررة وبمواضع مختلفة أو في علاقات متغابرة
— انظر مثلاً هذه القضية : حين أذكر أى طفل صحيح كنت^(٣) .

وحل التعيينات أسهل فيما يتعلق بأسماء الأعلام الدالة على الأماكن منه في الأشخاص ،
فهنا يغيب تدخل الأنا الذى يملك على الحلم كل هذا السلطان . وقد حدث في أحد

(١) انظر هامش ٢ في ص ٢٨٥ .

(٢) حيناً أشك في الشخص الذى ينبغي حل أن أبحث من أناى وراءه بين الأشخاص الظاهرين في الحلم ،
أتبع القاعدة الآتية : الشخص الذى تمرض له في الحلم حالة وجدانية استشرهما أنا نفسى وأنا نائم — هذا الشخص
هو الذى يختبئ أناى .

(٣) [لا ينبغي عن القارئ أن ضير التكلم يظهر في العبارة الألمانية في صورة لفظة مستقلة : Ich .
لن المعلوم أن اللغة الألمانية شأن الكثير من اللغات الأوروبية الحليفة " تجوهر " التفسير في صورة لفظة قائمة
بذاتها ، بينما هو لا يدل عليه في لغتنا العربية وفي كثير من اللغات الأخرى إلا بصرف الفعل] .

أحلامي عن روما (ص ٢١٥) أن دعى المكان الذى رأيتنى فيه روما ، ولكننى دهشت لكثرة ما رأيت فيه من اللافتات المكتوبة باللغة الألمانية على ناصية الطريق . وكانت هذه اللوحة الأخيرة تحقيق رغبة جعلنى أفكر على الفور فى پراج - ولعل الرغبة ذاتها كانت ترجع إلى مرحلة الحماسة للقومية الألمانية ، وهى مرحلة مرت بها فى شبابه ثم انطلوت . ذلك أننى حين أتيت هذا الحلم كنت أتوقع لقاء صديقى [فليس] عن قريب فى مدينة پراج ، وهكلمنا يعطل تعيين روما وپراج كلا بالأخرى بشركة كانت موضوع رغبة : فأنا أوتر لقاء صديقى فى روما على لقائه فى پراج ، وأود لو بدلت روما وپراج من أجل هذا اللقاء .

فأما القدرة على خلق الأشكال المزيجة فهى أكبر الخصائص التى تضى على الأحلام هذا الطابع المغرب فى الخيال الذى يكثر اتسامها به . ذلك أن هذه القدرة هى التى تدخل فى محتوى الحلم عناصر ما كانت لتعرض قط لإدراكنا الحسى . ومن الواضح أن العملية النفسية التى تجرى فى أثناء هذا المزج هى التى تقع حين ننخيل كائنات مثل القنطورس أو التين ، أو حين نرمز . كل الفرق هو أن النتائج المتخيل فى البقطة لا يسترشد غير التأثير المستهدف لإحداثه من وراء الشكل الجديد ، على حين أن مزيج الحلم محتوم بعامل يخرج عن دائرة خصائصه الشكلية ، وأعنى به العنصر المشترك فى أفكار الحلم . ومن الممكن أن يتحقق المزج فى الحلم على أنما تتعدد غاية التعدد . وأقل هذه من حيث مهارة الصنعة هو أن تصور خصائص شىء من الأشياء تصويراً يصطبغ بمعرفتك أن هذه الخصائص تنسب كذلك إلى موضوع آخر . وطريقة أخرى تزيد عن سابقتها عناية ، هى التى تجمع خصائص كل من الموضوعين فى صورة جديدة وتنفع فى أثناء ذلك انتفاعاً ماهراً بكل ما يمكن أن يوجد فى الواقع من أوجه الشبه بين الموضوعين ، والصورة الجديدة قد تلوح لنا شيئاً تجرد من العقولية كل التجرد ، وقد تبدو عملاً ناجحاً من جانب الخيلة ، على حسب المادة وعلى حسب البراعة المبلولة فى تركيبها . فإذا كانت الموضوعات المراد تكيفها فى وحدة أخلاطاً مبعثرة كل التبعر ، غلب أن يكفى عمل الحلم بأن يخلق منها صورة مزيجة ذات نواة متميزة بعض الشيء تصحبها عدة من السمات الأقل تميزاً . وفى هذه الحالة تكون عملية التوحيد فى صورة مفردة كأنما قد بامت بالفشل . فكلما التصويرين قد غطى الآخر ، ونجم عن ذلك ما يشبه النزاع بين صورتين بصريتين .

ويستطيع المرء أن ينتهي إلى تصورات مماثلة إذا هو ابتنى أن يبين في رسم تكتوّن أحد التصورات الكلية من صور المدركات الحسية الجزئية .

والأحلام بالطبع تنعج بأمثال هذه الصور المزيجية . ولقد سردت من قبل أمثلة منها عرضت في الأحلام التي حللتها حتى الآن . وهأنذا ألحق بها أخرى . إذا رجعنا إلى الحلم الذي ذكرته في ج ص ٣٢٥ والذي يصف تاريخ حياة المريضة « بلغة الأزهار » ، رأينا أنا الحاملة يصور ممسكا في يد غصنا ناضرا كان بشير - كما رأينا - إلى الطهارة وإلى الخطيئة الجنسية في آن واحد . وإن الطريقة التي انتشرت بها الأزهار على الغصن قد ذكرت الحاملة - فوق ما سبق - بأزهار الكريز ، وأما الأزهار في ذاتها - كل على حدة - فتذكرها بالكاميليا ، ثم الكل مجتمعاً يوحي بعد ذلك بنبات من أرض غربية . ولقد أظهرتنا أفكار الحلم على الجوامع المشترك بين عناصر هذه الصورة المركبة : فالغصن المزدهر قد ركب من إشارات إلى هدايا قدمت إليها واكتسب بها « قديموها ودها أو أرادوا اكتسابه : هكذا الكريز في طفولتها والكاميليا في متأف السنين . وأما النبات الغريب الأرض فيلمح إلى عالم طبيعي كبير الطواف توصل إلى رضاها بزهور رسمها لها . وصنعت مريضة أخرى شيئا وسطا بين نجيرة استحمام على شاطئ البحر ورفقة مياه منزلة من قبيل ما يوجد في الريف وحجرة مائلة السقف بأعلى منزل من منازل السكنى في مدنا : العنصران الأولان يشتركان في علاقتهما بالتمرى ونزع الملابس ، واقران العنصر الثالث بهما يجعلنا نستنتج أن حجرة مائلة السقف كانت (والحاملة طفلة) مسرحاً لمشهد من مشاهد التمرى . وهناك مريض صنع مكاناً مركباً من مكانين من الأمكنة التي يقع فيها « Kne » (= علاج وغزل) ، أحدهما غرفة إستشاري والآخر كان الملهى الذي عرف فيه زوجته . وحلمت فتاة بعد أن وعدا أخوها الأكبر بأن يمتنعا بالكافيار - حلمت بأن أخاصا الأكبر هذا قد تغطت ساقه بحبوب الكافيار الأسود . وهكذا نجد أن العنصر « عدوى » بالمعنى الخلقى - وأن ذكرى بئر ألم بها في طفولتي فغطى ساقها ببقع حمراء لا سوداء ، قد اتحدتا مع حبوب الكافيار في تصور جديد ، هو تصور « ما ناهيا من أعجيبا » . ولقد عملت أجزاء الجسم الإنساني في هذا الحلم - كما في غيره من الأحلام - معاملة الموضوعات . وفي حلم رواه فرنتسى وردت صورة ركبت من شخص أحد الأطباء ومن حصان ، ثم بعد ذلك ألبست الصورة قميصاً من قمصان النوم .

وبالتحليل تبين وجه الاشتراك بين هذه العناصر الثلاثة حين عرفت المريضة في قميص النوم إشارة إلى والدها كما رأته في مشهد من مشاهد الطفولة . فالأمر يتصل - في مقومات الحلم الثلاثة - برغبة الحاملة الجنسية في الاستطلاع ؛ ولقد كانت المريضة تصحب مربيها في أحيان كثيرة إلى إصطبل تابع للجيش حيث كان يتاح لها أن تشع تطلعها الجنسي - ولم يكن منه الكف بعد - ما أرادت .

وسبق أن قلت [ص ٣١٥]: إن الحلم لا يملك وسيلة ما في الإعراب عن علاقة التناقض أو التضاد . عن « كلا » . وسأخذ الآن في مناقضة هذه القضية للمرة الأولى . فهناك طائفة من الحالات التي يمكن أن نعدّها حالات « تضاد » تصور في الحلم بواسطة التعمين ليس غير . ويكون ذلك على التحقيق - كما رأينا [ص ٣٣٢] - إذا أمكن أن تقرن فكرة التضاد بفكرة المقايضة أو التبديل - ولقد أعطيت أمثلة متكررة على ذلك من قبل . وبين أفكار الحلم طائفة أخرى من الأضداد - يصح إدراجها في مقولة « القلب أو العكس التام » - تبلغ إلى التمثل في الحلم بطريقة عجيبة . حتى لتكاد تستحق وصفها بالتنكيت . و « الضد الذي هو عكس » لا يمثل هو نفسه في محتوى الحلم ، ولكنه يفصح عن وجوده في مادة الحلم بالطريقة الآتية : أن يقلب في محتوى الحلم الذي تم تكوينه جزء اتفق وقوعه لأسباب خارجية على مقربة من هذا الضد كأنما جاء ذلك القلب من بعد . والتمثيل لهذه العملية أسهل من وصفها . خذ مثلاً الحلم الجميل - حلم الصعود والتزول المذكور في ص ٢٩٨ - تر الحلم يصور الصعود تصويراً يعكس التمزج المائل في أفكار الحلم ، أي يعكس مشهد التقدم في رواية سافو لنودي ، فهو يتم في الحلم ضعفاً في أوله سهلاً في آخره ، على حين أنه يسهل في مبدأ ذلك المشهد ثم يصعب شيئاً فشيئاً . ثم « الأعلى » و « الأسفل » فيما يتصل بعلاقة الحلم بأخيه قد صوراً أيضاً تصويراً مقلوباً . ولقد كان في ذلك ما يشير إلى وجود علاقة قلب أو تضاد بين جزوين من أجزاء المادة المحتواة في أفكار الحلم ، وهي علاقة وجدناها فيما تخيلة الحلم من حمل مرضعه إياه على عكس ما يحمل البطل محبوبته في الرواية . ثم الحلم الذي أرى فيه جوته يهجم على السيد م . (انظر ما بعد [ص ٤٣٨]) ، أليس يحوى مثل هذا القلب الذي يجب علينا أن نبدأ بعد له قبل أن نستطيع أن نفرس الحلم تفسيراً صحيحاً ؟ لقد هاجم جوته في الحلم شاباً حديث السن هو السيد م . ، والحقيقة المتضمنة في أفكار الحلم هي أن رجلاً ذا خطر ، صديقي (فليس) ، قد هجم عليه مؤلف نكرة حديث السن . وأنا في الحلم أحسب السنين ابتداء من تاريخ وفاة جوته ،

وأما في الحقيقة فيبدأ الحساب من سنة ميلاد المريض المشلول . والفكرة التي تبين أنها قد كانت القول الفصل في مادة الحلم - كانت المعارضة في أن يعامل جوته كما يعامل مخبول ، فالحلم كان يقول : « على العكس ، إذا أنت لم تفهم الكتاب فضعيف العقل أنت لا صاحب الكتاب » . ويلوح لي - عدا ذلك - أن جميع أحلام القلب هذه لا نخلو من معنى الازدراء المتضمن في قولنا : « أدار له ظهره » .^(١) (انظر قلب الالاقاة بالأخ في حلم سافو . [ص ٣٠١]) وخليق بنا أن نلاحظ - فوق ذلك - كيف يكثر استخدام القلب في الأحلام الصادرة على التحقيق عن دوافع جنسية مثلية مكبوتة .

والقلب أو التحويل إلى الضد هو بعد ذلك وسيلة من آثر وسائل التصوير إلى عمل الحلم وأكثرها تنوعاً من حيث أوجه استخدامها . فهو يستخدم أول ما يستخدم في مساندة تحقيق الرغبة بالنسبة إلى عنصر معين بين العناصر المتضمنة في أفكار الحلم . وإن قولنا : « لو أن الوضع انعكس » هو في كثير من الأحيان أحسن ما يعرب عن استجابة الأنا بالنسبة إلى صفحة أليمة من صفحات الذاكرة . ولكن قيمة القلب تظهر بنوع أخص حين يعمل للخدمة الرقابة ، لأنه يحدث مقداراً ضخماً من التشويه في الأفكار المراد تصويرها ، بحيث نرى فهمنا للحلم وقد شل للوهلة الأولى شلا . ولذلك لم يكن ضير - كلما عتد الحلم ولم يسلم معناه - في أن نجرب قلب أجزاء معينة في محتواه ، وحيث لا يندر أن يتضح كل شيء على الفور .

وهناك إلى جانب القلب في المحتوى المادى قلب آخر ينبغي علينا أن نحسب حسابه ، هو قلب الترتيب الزمني . فمن الطرق الشائعة في تشويه الحلم أن تصور خاتمة حدث أو نتيجة عملية فكرية في صدر الحلم على حين ترجأ إلى نهايته المقدمات التي بنت النتيجة عليها أو العلل التي نجم الحدث عنها . وكل من نسي هذه الحيلة الفنية في تشويه الحلم صائر ولا شك إلى الوقوف في تفسيره^(٢) .

(١) [Kehreite ويبنى الظهر والوجه المقلوب للشيء] .

(٢) إن النوبات المستمرة تستخدم أحياناً هذه الطريقة فيها - طريقة قلب الترتيب الزمني - لكي تخزن مناخاً من المشاهد . مثال ذلك فتاة هسترية كانت نوبتها تصور مفارقة غرامية قصيرة تخيلها في لا شعورها بعد أن انصتت برجل ما في سكة حديد القواصلي : كيف يحطب رجال قدمها الرجل فيناديها بالحدث بينما كانت تقرأ ، وكيف تصعبه هي على أثر ذلك ثم تحا منه شهيداً غرامياً عاصفاً . كالت نوبتها تبدأ بصور هذا المشهد القوام - تفسير الأحلام

والحق أن هناك حالات لا يكشف فيها المرء معنى الحلم إلا بعد أن يجري على محتواه قلباً متعددًا ، مختلف الأوجه . مثال ذلك شاب كان يعاني عصاباً قهرياً نرى عنده ذكرى الرغبة الطفلية في موت الأب الخوف وقد اختفت وراء حلم كان ذلك نصه : يشتمه والده بهجته إلى المنزل متاعراً جداً . إن موقع الحلم من سياق العلاج التحليلي ثم مستدعات الحلم قد بينت أن الأصل يجب أن يقرأ على هذا النحو أنه - هو - غاضب على والده ، وأن والده كان - في رأيه - يعود دائماً إلى المنزل مبكراً جداً (أى سريعاً جداً) والحلم كان يؤثر ألا يرجع والده على الإطلاق ، وهى رغبة لا تختلف في شيء من الرغبة في موت الأب (انظر ص ٢٧١) ، فقد حدث وهو طفل صغير أنه أذنب بعلوان جنسى على طفل آخر في خلال غيبة موقوتة لأبيه ، فكان عقابه هذا الوعيد : « انتظر حتى يعود أبوك ! » .

فإذا أردنا أن نمضى في دراسة العلاقة بين محتوى الحلم وأفكار الحلم إلى أبعد من هذا المدى فأحسن السبل الآن هى أن نتخذ من الحلم نفسه نقطة بدايتنا ، فنسأل : ما هى الدلالة التى لهذه الخاصة أو تلك من الخصائص الصورية لتصوير الحلم بالنسبة إلى أفكاره الكامنة ؟ وأولى هذه الخصائص التى لا يمكن إلا أن تسترعى نظرنا في الحلم هى التفاوت في الشدة الحسية بين مختلف صور الحلم وتميز أجزاء معينة منه - أو تميز أحلام بأكملها - إذا هى قورنت فيما بينها . والتفاوت في الشدة الحسية بين مختلف صور الحلم يشمل سلباً بأجمعه يتدرج من حدة في الصك يمنح المرء - وإن يكن بغير حق - إلى وصفها بأنها تفوق الواقع ، إلى غموض محقق نعلن أنه سمة تتميز بها الأحلام لأنه لا يقبل المقارنة الصحيحة بأى درجة من درجات الالتميز الذى قد ندركه في الموضوعات الحقيقية . يضاف إلى ذلك أننا في العادة نصف الانطباع الذى نلقاه من موضوع غير متميز من موضوعات الحلم بقولنا إنه انطباع « سريع المرور » بينما نخيل إلينا أن صور الحلم المتميزة قد تعرضت لإدراكنا زمناً أطول . وسؤالنا الآن هو : أى شروط في مادة الحلم تجلب هذا التفاوت في الشدة الحسية بين مختلف أجزاء الحلم ؟

== بساطة تشجاتها الحسية (وكانت في خلالها تحرك شفتها تصوراً لقلب ، وتبسط ذراعها تصويراً للعناق) ، ثم بعد ذلك تندفع إلى الفرة المجاورة وتجلس على مقعد وتربع رداً حتى يظهر قدمها بينا تصنع قراءة كتاب ، ثم بعد ذلك تتحدث إلى (أى تجيب) . وهذه المناسبة انظر ملاحظة آرتيميدوروس : « هل المرء حين يفسر الأحلام أن يستعرضها من البداية إلى النهاية ، ثم مرة أخرى من النهاية إلى البداية ... » .

إن علينا في هذا الموضوع أن نناقش أولاً عدة من المظان لا يكاد يكون مفر من تواردها على ذهن. فإنه إذا كانت مادة الحلم تضم إحساسات حقيقية نشعر بها أثناء النوم، فأغلب الظن أننا سنفترض مقدماً أن هذه الإحساسات أو عناصر الحلم المستمدة منها تحظى في محتوى الحلم بشدة خاصة ، فإذا عكسنا هذه القضية خرج أن ما يبلو في الحلم ذا شدة حسية خاصة لا بد راجع إلى مثل هذه الإحساسات الحقيقية الحادثة في خلال النوم . غير أن خبرتي الخاصة لم تؤيد هذا القول قط . فليس من الصحيح أن عناصر الحلم المستمدة من إحساسات النوم الحقيقية (أى من المنهات العصبية) تتأثر بشدة خاصة دون غيرها من العناصر الناشئة عن الذكريات : إن عامل الواقع صفر في تحديد شدة عناصر الحلم .

وقد يظن المرء بعد ذلك أن هناك علاقة بين الشدة الحسية التي لمختلف صور الحلم (وأعني حديثها) وبين الشدة النفسية التي للعناصر المقابلة لها في أفكار الحلم . وفي هذه الحالة تكون الشدة الحسية مطابقة للقيمة النفسية . فأعلى العناصر شدة هي أيضاً أهمها تلك التي تكون النقطة الرئيسية في أفكار الحلم . نعم ، إننا نعلم أن هذه العناصر بالذات لا تلقى في معظم الأحيان قبولا في محتوى الحلم بسبب الرقابة ، ولكن من الجائز مع هذا أن تبرز مشتقاتها المباشرة التي تنوب عنها في الحلم بدرجة مرتفعة من الشدة ، دون أن تصير لذلك بالضرورة مركز الحلم . غير أن هذا التوقع يجيب بلوره عند البحث لمقارن بين الحلم الظاهر ومادته الأصلية ، فما من علاقة بين شدة العناصر هنا وشدها هناك ، وإنما الحق أن « انقلاباً تاماً في جميع القيم النفسية » [بتعبير نيتشه اللامع] قد وقع بين مادة الحلم والحلم . فإيشغل بين أفكار الحلم مكاناً يظهر به على سواء ، قد لا تتكشف في أحیان كثيرة نائبه الأوحى في الحلم إلا في عنصر عارض طفت عليه صور أقوى حتى حجبه .

إن الحقيقة هي أن شدة عناصر الحلم تحدد من طريق مختلف ، يحددها عاهلان مستقلان كل عن الآخر . فمن السهل أن نرى - أولاً - أن هذه العناصر التي يفصح تحقيق الرغبة عن نفسه بواسطتها تصور في الحلم تصويراً ذا شدة خاصة ، والتحليل يثبتنا - ثانياً - أن عناصر الحلم ذات الشدة الحسية الأعلى هي التي تخرج منها أيضاً أكثر المستدعات ، أى أن هذه العناصر الأشد هي في الوقت عينه أكثر العناصر حتماً .

ولسنا نغير معنى هذه القضية الأخيرة المقامة على التجربة إذا نحن صفناها في الصورة الآتية : تناسب شدة عناصر الحلم مع مقدار العمل التكويني الذي بذل في تكوينها . ولنا أن نتوقع أن يكون الإعراب في صيغة واحدة عن هذا الشرط وعن سابقه الخاص بتحقيق الرغبة أمراً يدخل في حيز الإمكان .

وأنبه هنا إلى أن المشكلة التي كنت أعالجها الآن - وأعني بها علل التفاوت في الشدة أو الوضوح بين عناصر الحلم المتفرقة - يجب ألا تخلط بمشكلة أخرى ، هي مشكلة التماثل في الوضوح بين أحلام بأكلها أو فقرات من أحلام . فالوضوح في الحالة الأولى ضد الغموض ، وأما في الحالة الثانية فهو ضد التشوش . ولكننا لا نستطيع أن ننكر أن درجات التفاوت في هاتين الكيفيتين تصعد وتنزل معاً في كلا السلمين : فإذا بدت إحدى فقرات الحلم خالية من التشوش كانت في الأغلب مشتملة على عناصر شديدة ، وأما الحلم المختلط فيكون على العكس من عناصر ضعيفة في الشدة . ومع هذا فالمشكلة التي تواجهنا في حالة التدرج من الوضوح الظاهر إلى التشوش والغموض أعقد كثيراً من مشكلة التفاوت في درجات الشدة الحسية بين عناصر الحلم ، بل الحق أن المشكلة الأولى مشكلة تتمتع على المناقشة هنا لأسباب سوف نتبين فيما بعد [ص ٤٦٩] . هذا ، ويتفق أحياناً أن نكشف لفرط دهشنا أن إحساسنا بوضوح الحلم أو بتشوشه لا يمت بسبب إلى صنعة هذا الحلم ، بل هو صادر عن مادة أفكار الحلم وجزء من أجزائها : مثال ذلك أتى أذكر حلماً بلداً حين استيقظت حسن الصنعة ، خالياً من الثغرات ، واضحاً ، حتى أنني عقدت العزم وأنا لم أزل في سكرة النوم على إدخال مقولة جديدة من الأحلام لا تخضع لميكانيكيات التكيف والنقل بل يحق وصفها بكونها « تخيلات في أثناء النوم » ، فلما أنعمت النظر تبين أن هذا الحلم النادر كان فيه من خلل الصنعة وركائنها مثل ما في سواء . ولذا تركت مقولة الحلم التخيلي^(١) . كان مضمون هذا الحلم - بعد أن انتهيت إليه - هو أنني أدلى إلى صديقي [فليس] بنظرية عويصة طال التنقيب عنها في الثنائية الجنسية ، وكانت قوة الحلم على تحقيق الرغبة هي المسئولة في أن بدت هذه النظرية (ولم تكن قد ذكرت في الحلم) واضحة خالية من الثغرات . وهكذا لما حسبته حكماً على الحلم المنهي كان في الحقيقة جزءاً من محتوى الحلم وأهم جزء . وكان عمل الحلم هنا قد امتد

(١) [١٩٣٠ :] ولست أدري اليوم ألمسبب أنا أم غلطه .

إلى بواكير أفكارى المستيقظة فقدم لى فى صورة الحكم على الحلم هذا الجزء من مادة الحلم الذى لم يستطع النجاح فى تصويره فى الحلم تصويراً وافياً . ورأيت مرة حلماً يوازن حلمى هـلأ تماماً الموازنة عند مريضة رفضت أن تقص حلماً كان يلزم تحليله رفضاً قاطعاً بحجة أنه « غامض جداً يختلط جداً » ، ثم ذكرت بعد لآلى وهى تكرر احتجاجها هـلأ أن الحلم قد ضم أشخاصاً كثيرين : هى وزوجها والدها ، ولم تكن تعلم إذا كان زوجها هو والدها ، أو لأم والدتها على الحقيقة ، أو شيء من هـلأ القبيل . فلما قرن هـلأ الحلم بخواطرها أثناء الجلسة ، اتضح بما لا يرق إلى الشك أن الأمر يتعلق بتلك القصة الشائعة بين أحداث كل يوم : قصة الخادم التى تضطر إلى الاعتراف بأنها تنتظر ولداً ولكنها لا تعلم « من هو الولد (والد الطفل) على الحقيقة »^(١) والغموض الذى أبداه الحلم كان إذن - فى هـلأ الحالة أيضاً - جزءاً من المادة التى أثارت الحلم ، أى أن بعض هـلأ المادة قد تمثل فى الصورة التى اتخذها الحلم : إن الصورة (التي يبدو الحلم عليها أو الصورة التى يحلم بها تستخدم فى تصوير مادة الحلم الكامنة استخداماً شائعاً إلى درجة تمت على الدهش .

والتعليقات التى تعاقبها على الحلم والملاحظات الظاهرة البراءة التى تمن لنا فى صدره - كل هـلأه أيضاً يكثر استخدامها فى إخفاء جزء مما نحلم به - وإن كان الأصلق بالطبع أنها تفصح - بطريقة هى غاية فى اللطافة . مثال ذلك أن يقول حلم : إن الحلم قد انمصح فى هـلأ الموضع ، ثم إذا التحليل يسوق إلى ذكرى طفلية فحواها أن الحلم قد تجس مرة على شخص كان يسمع نفسه بعد التبرز . وهـا هو ذا مثال آخر يستحق أن نذكره مفصلاً : فقد حلم شاب حلماً واضحاً غاية الوضوح ذكره بتخييلات من صباه ظلت محفوظة فى شعوره ، وكان مؤدى الحلم أنه قد رأى نفسه ساعة المساء فى فندق فى مصيف وأخطأ رقم غرفته فدخل غرفة وجد بها سيدة وابنتها ، وكن جميعاً يزرعن ثيابهن تأهباً للنرم ، ويمضى الحلم قائلاً : « وهـنا تغللت الحلم لغرات ، هناك شيء ناقص ، وأخيراً أرى فى الحجر رجلاً يريد أن يلقي بى خارجها فأضطر إلى مصارعتة . » ويجهد الحلم فى غير طائل لكى يتذكر ما هو هـلأ التخييل الصبيانى الذى كان واضحاً أن الحلم يلمح

(١) أمراض متربة مصاحبة عند هـلأ المريضة : انقطاع الطمث ثم انقباض شديد كان هو شكلها

إليه ولكي يذكر مرماه ، وأخيراً يتضح أن ما نبحت عنه قد أعطيناه . أعطتنا إياه تلك الملاحظة عن جزء الحلم غير المتميز : فإن « الثغرات » هي الأعضاء التناسلية للنمو المتأهب للنوم و « هناك شيء ناقص » تصف السمة الرئيسية لأعضاء التناسل عند الأنثى . وقد كان المريض يتحرق في صباه تطلعاً إلى رؤية أعضاء المرأة ، وكان لم يزل يتزعج إلى الأخذ بتلك النظرية الجنسية الطفلية التي تنسب إلى المرأة عضواً مذكراً .

ويجلس حالم آخر إحدى ذكرياته المماثلة صورة جد مشابهة ، فيحلم : أذهب مع الأنثى في مطعم فليكس جانين . . . هنا تأتي فقرة مبهمة ، قُطِع . . . لأن بعد ذلك في هومر من منازل البغاء حيث أرى امرأتين أو ثلاثاً ، إحداهن في قميص ولباس .

التحليل : إن الأنثى ك . هي ابنة رئيسه السابق وهي تقوم مقام أخت بديلة — كما يسلم هو بذلك . ولم تكن الفرصة قد منحت له بالتحدث إليها إلا لماماً ، ولكن وقع مرة أن دار بينهما حديث « كان كأنما كنا نعترف في أثناءه لأنفسنا بكياننا الجنسي ، كأنما كنت أقول لها إنني رجل وأنت : امرأة » . وهو لم يدخل هذا المطعم إلا مرة واحدة مع أخت صهره — وهي فتاة يستوى أمرها في نفسه . وحدث مرة أخرى أنه صحب ثلاث سيدات إلى هذا المطعم ، وكن أخته وأخت زوجها التي ورد ذكرها ثم زوجة أخيه [وبالترجمة الحرفية : أخته بالمصاهرة] . وثلاثين يستوين عنده إلى أقصى مدى ، بيد أن ثلاثين يدخلن في مقولة « الأخت » . فأما منزل البغاء فكان لم يطرقه الحالم إلا نادراً ، مرتين أو ثلاث مرات في حياته .

وافقد بنى التعبير على « الفقرة المبهمة » وعلى « القُطْع » اللذين عرضا في الحلم : وكانت فحوى التعبير هي أن الحالم في تطلعه الصبياني قد استكشف أحياناً — وإن تكن بالنادرة — أعضاء أخته التي تصفره بأعوام قلائل . وبعد ذلك ببضعة أيام تذكر الحالم هذا الجرم الذي أوماً إليه الحلم تذكراً شعورياً .

وجميع الأحلام التي ترد في الليلة الواحدة يؤلف محتواها جزءاً من كل واحد . وإن انقسامها أقساماً متعددة وكذلك عدد هذه الأقسام ونحو تجمعها — كل هذا أمر له معناه ويمحور لنا أن نعلمه إفادة منبعثة عن أفكار الحلم الكامنة . فن الواجب حين نفسر أحلاماً تتكون من أقسام رئيسة أحياناً ونفسر — بوجه أعم — أحلاماً وقعت في خلال

الليلة هيتها ، من الواجب ألا ننسى إمكانية أن تكون أمثال هذه الأحلام المنفصلة المتعاقبة ذات معنى واحد ، وأنها ربما كانت تعرب عن ذات الاندفاعات بمواد مختلفة . فإذا كان الأمر كذلك ، غلب أن يكون أول هذه الأحلام المناظرة أكثرها تشويها واستحياء ، بينما تزيد اللاحقة ثقة وتميزاً .

ومن هذا القبيل حلم فرعون في التوراة ، حلم السنايل والبقرات الذى فسره يوسف . لقد روى يوسيفوس (تاريخ اليهود القديم ، الكتاب الثانى ، الفصلان الخامس والسادس) هذا الحلم فى تفصيل يزيد على ما ورد فى التوراة . فقد جاء عنده أن فرعون بعد أن قص حلمه الأول . قال : « وبعد أن رأيت هذه الرؤيا استيقظت ، وهأنذا مبهر النفس أتدبر ما عساه يعنى هذا الطائف ، ثم عدت إلى النوم فأريت حلماً ثانياً أعجب من سابقه ، روعى وبث الاضطراب فى نفسى أكثر مما فعل الأول . . . فلما سمع يوسف رواية الملك أجاب : « هذا الحلم معناه واحد ، أيها الملك ، وإن تراءى فى صورتين . . . ويصف يونج فى بحثه « مقال فى سيكولوجية الإشاعة » كيف حلمت لتلميذة حلماً عشيقاً مستخفياً ففهمته قريناتها من غير تفسير ما ، ثم أخلطه عنها ووسعن منه وحرفن فيه ، وهو يلحظ فى صدد إحدى روايات هذا الحلم : « أن الفكرة الأخيرة فى سلسلة طويلة من صور الحلم تتضمن على التحقيق هذا الذى حاولت الصورة الأولى تصويره . فالرقابة تعمل على دفع المركب [الفكرى الانفعالى] أطول زمن ممكن بسلسلة لا تنقطع من الساتر الرمزية والنقل والأقنعة البريئة . . . إلخ . » (١٩١٠ ب) . ولقد عرف شرزر هذه الخاصة فى تصوير الحلم حق المعرفة ، وهو يصفها — ناظراً إليها من وجهة نظره فى التنبيه العضوى — باعتبارها قانوناً كلياً ، فيقول (١٨٦١ ، ١٩٦٦) : « والمخيلة أخيراً تتبع قانوناً عاماً فى جميع أبنية الحلم الرمزية الناشئة عن منبهات عضوية معينة ، فهى فى مبتدأ الحلم لا تلمح إلى الموضوع الذى يصدر عنه التنبيه إلا أبعد التلميح وأقله تحريراً للحقيقة ، ولكنها تضطر فى النهاية إلى أن تظهر المنبه إظهاراً سافراً ، هو أو العضو المعروض له أو وظيفة هذا العضو ، على حسب الأحوال ، وبذلك يبلغ الحلم — وقد عيّن على عله العضوية — نهايته . . . »

ولقد أتى أوتو رانك فى بحثه « حلم يفسر نفسه بنفسه » (١٩١٠) بما يؤيد قانون شرزر هذا تأييداً بديعاً . فهو يروى حلماً لفاتة تكون من حلمين جاءا فى ليلة واحدة مع

فاصل زمني ، وانتهى ثانيهما بالإنعاض . وكان من الممكن تفسير هذا الحلم الثاني تفسيراً مفصلاً بدون مشاركة كبيرة من جانب الحالبة ، وكانت كثرة العلاقات بين محتوى الحلمين تمكننا من أن نرى أنه الحلم الأول كان يعرب في استحياء عما أفصح عنه الحلم الثاني ، بحيث أعان الحلم الثاني - الحلم الذي انتهى بالإنعاض - على استجلاء الحلم الأول استجلاء كاملاً . ويستخدم رانك هذا المثال بحث في مناقشة المغزى الذي لأحلام الإنعاض أو الإنماء بالنسبة إلى نظرية الحلم عامة .

يبد أن خبرتي قد دلت مع ذلك على أننا لا نستطيع إلا في حالات نادرة أن نفسر وضوح الحلم أو اختلاطه بما تتضمنه مادته من الثقة أو التردد وسأكشف فيما بعد عن عامل في تكوين الحلم لم أذكره حتى الآن ، على فعله يتوقف تدرج الحلم بين هاتين الكيفيتين توقفاً جوهرياً . [انظر ص ٤٩٦] .

وحدث أحياناً بعد أن يدوم في الحلم فترة . وقف ومنظر معينان أن يطرأ انقطاع بوصف بتلك الكلمات : « وعندئذ تغير المكان فصار كأنه مكان آخر في الوقت عينه ، وهناك وقع كذا وكذا . » وبعد برهة يتصل السياق الرئيس للحلم ، ويتضح أن ما قد قطعه على هذا النحو إنما كان جملة شرط محتواة في مادة الحلم ، [فكرة اعتراضية - فالحلم قد أعرب عن الشرط المتضمن في أفكار الحلم بالمزامنة ، أي أن « إذا » قد انقلبت إلى « بينما » .

وما معنى هذا الإحساس بالحركة المكفوفة الذي يشيع في الأحلام كل هذا الشروع ويقترب من الهيلة كل هذا القرب ؟ يريد المرء المشي لكنه لا يتحرك من موضعه ، أو يريد أن يبلغ شيئاً من الأشياء فيصطدم بالعقبة تلو العقبة . القطار يؤذن بالحركة وهو لا يستطيع الوصول إليه ، أو هو يرفع يده ليثأر الإهانة ، فإذا يده عاصية ، إلخ . إنه إحساس قد صادفناه من قبل عند التحدث عن أحلام الاستعراض [ص ٢٥٩] ، ولكننا لم نعمل بعد على تفسيره عملاً جدياً . قد نجيب بأن شلل الحركة يسود عند النوم وأن هذا الشلل هو ما نشعر به حين نستشعر هذا الإحساس . وإنه بلحواب سهل ، لكنه غير كاف . فإن لنا أن نسأل : إذا كان الأمر كذلك فلم لا نحلم دوماً بأشياء هذه الحركة المكفوفة ؟ الأخرى بنا أن نفترض أن هذا الإحساس الذي قد ينبعث في كل وقت من أوقات النوم إنما يخدم هدفاً بعينه من أهداف التصوير ، وأنه لا ينبعث فعلاً إلا حين تكون بمادة .

الحلم حاجة تدعو إلى تصويرها هذا التصوير وحده .

و « العجز عن كل فعل » لا يظهر دائماً في صورة الإحساس . بل إنه في بعض الأحيان قد يكون جزءاً من محتوى الحلم ليس غير . وأمثال هذه الحالات صالحة في رأي تمام الصلاحية لأن تلتق بعض الضوء على معنى هذه السمة من سمات الحلم . وها هي ذى خلاصة حلم ظاهرة أنني أتهم بالحيد عن الأمانة : المكان مزيج من مصحة خاصة بين محال أخرى متعددة . يظهر خادم يستدعى لأن هناك فصلاً يراد إبرازه . أعلم في الحلم أن شيئاً قد فقد وأن الفحص مرجعه الاضطراب في أن أكون استولت على الشيء المفقود . (يتبين من التحليل أن للفحص معنيين وأنه يشمل الفحص الطبي) . أصعب الخادم في هدوء وأنا شاعر ببراق وبما لي من مكانة الطبيب في هذه المصحة .

يظهر خادم آخر بأحد الأبواب ويقول وهو يشير إلى : لماذا أسفرتي ؟ إنه شخص محترم . أذهب بعد ذلك غير مصحوب إلى قاعة كبرى نصبت فيها آلات تذكرني بالجسم وما يحويه من عدد العقاب الجهنمية . أرى أحد زملائي وقد مد على عدة من هذه الطود . كان هذا الزميل يملك أكثر من سبب يدعو إلى أن يشغل بأمرى ، بيد أنه لا يلتفت إلى . يقال له مثلاً : إنني أستطيع المضي لشأنى ، ولكنى لا أجد قسماً وأظن عاجزاً عن اللعب .

من البين أن تحقيق الرغبة في هذا الحلم يقوم في كوني قد عرفت بريئاً يجوز له المضي لشأنه . ولا بد إذن أن أفكار الحلم كانت مشتملة على مادة من كل نوع حوت نقيض ذلك . فأن يجازى لي الانصراف تلك علامة التبرئة . فإن كانت نهاية الحلم نجىء يحدث يعوقني عن الذهاب ، لم يبعد أن تكون هذه سمة يفصح فيها النقيض المكبوت عن نفسه . وعجزى عن العثور على القبة يعنى بناء على ذلك : لست رجلاً بريئاً بعد . وما يظهر في هذا الحلم من « عجز عن كل فعل » هو إذن إغواء عن المناقضة ، إغراء عن « كلا » ، بحيث يحقق علينا الآن أن نصصح ما قدناه من قبل أن الحلم لا يملك الإقصاح عن النقيض^(١) . [انظر ص ٣٢٨] .

(١) تضمن التحليل الكامل للحلم إشارة إلى غيرة من خبرات الطفولة جاءت من ذلك الطريق : " لقد أدى المغربي واجبه ، فني استطاعة المغربي أن يمشي لشأنه " . [ينبه ستراشي إلى أن هذا السطر - وهو لشيلر - قد ذكر هنا محرفاً ، فقد جاء في الأصل " أدى عمله " لا واجبه] . ثم يتبع هذا السؤال المازح : كم كان عمر المغربي حين أدى واجبه ؟ سنة واحدة ما دام كان يستطيع المشي . (ويبدو أنني قد ظهرت إلى الدنيا بشعر أسود كثر حتى أن أمي قد لقيتني بالمغربي الصغير) . - وأما العجز عن العثور عن القبة فكان حدثاً من أحداث اليوم السابق استلهم الحلم في أكثر من معنى ؟ ذلك أن خادمنا - بمبقرتها في حفظ الأشياء - كانت قد أغتت تلك القبة من نظري . كذلك تتضمن نهاية الحلم أطراح بعض الأفكار السوداء المتصلة بالموث :

إنني لا أزال بعيداً من أكون قد أدت واجبي ، ومن حتى إذن ألا أذهب بعد . فالحياء والموت يماثلان في هذا الحلم كما هو الشأن في حلم جروت والمشلول الذي جاءني قبل ذلك بزمن قصير (انظر ص ٣٣٦ ثم ص ٤٢٨) .

وأما الأحلام الأخرى التي يظهر فيها العجز عن الحركة في صورة إحساس وليس في صورة موقف وحسب - فتعرب عن ذات التناقض إعراباً أقوى : في صورة إرادة تقاومها إرادة مضادة . وإحساس الحركة المكثوفة يمثل إذن صراعاً في الإرادة . [انظر ص ٢٦٣] . ذلك أننا سوف نعلم [ص ٥٥٦] . أن ما يصحب النوم من شلل الحركة هو على التحقيق أحد الشروط الأساسية للعمليات النفسية الحادثة في أثناء الحلم ، وإن انتقال دافع من الدوافع إلى المسارات الحركية ليس شيئاً آخر سوى الإرادة وبقينا نكوننا لن نحس هذا الدافع في خلال النوم إلا مكثوفاً هو الذي يجعل العملية في جملتها صالحة كل هذه الصلاحية الفائقة لتصوير فعل الإرادة وتصوير « كلاء » التي تناهضه . ومن السهل أيضاً أن نرى في ضوء تفسيري للهيلة لم كان الإحساس بكف الإرادة يقرب كل هذا القرب من الهيلة ولم غلب اقترانه بها في الأحلام ، فإن الهيلة دافع ليلدى أصله في اللاشعور وكفه ما قبل الشعور ^(١) . وعلى ذلك ، حيثما ارتبط الكف بالهيلة في الحلم فلا بد أن الأمر يتعلق بإرادة كانت قادرة في زمن ما على توليد اللبيدو ، أى بهائج جنسى .

وسأعرض في موضع آخر (انظر ما بعد [ص ٤٨٥]) لهذا الحكم الذي كثيراً ما يظهر أثناء الحلم في تلك العبارة : « ما هذا إلا حلم » ، وسأناقش عندئذ معنى هذا الحلم والقيمة النفسية التي يجب أن نعزوها إليه . ولكنني أستبق الأمور فأقول : إن هذا الحكم يهدف إلى التهورين من قيمة ما نحلم به . وقد أمكن شتيكل بتحليل بعض الأمثلة المقنعة أن يجد حلاً شبيهاً بذلك لمشكلة أخرى ، متممة ، قريبة من مشكلة هذا الحكم ، وأعني بها : ما الذي نعرب عنه حين نصف محتوى الحلم بأنه « قد حلمنا به » في غضون الحلم نفسه ؟ أي مشكلة « الحلم في الحلم » . فالمقصود مرة ثانية هو حط قيمة هذا الذي « نحلم به » ، سلبه حقيقة ، فما نتاج الحلم به بعد أن نستيقظ من « الحلم المتدرج في الحلم » هو ما تهدف رغبة الحلم إلى استبداله بحقيقة محسوسة . ولذلك جاز لنا أن نفترض أن « المحلوم به » في الحلم هو الذي يصور الحقيقة ، هو الذكرى الصادقة ، وأما الحلم المحيط به فلا يصور على العكس سوى رغبة الحلم وحدها . فأن تدرج محتوى ما في « حلم في حلم » يعدل رغبته في لو أن الجزء الموصوف بأنه حلم لم يقع قط . وبعبارة أخرى : إذا أورد عمل الحلم حدثاً بعينه على أنه حلم في حلم . كان ذلك أقطع الأدلة على كون هذا الحدث قد وقع حقيقة وأقوى إثبات لذلك . فعمل الحلم يتخذ الحلم كصورة من صور التنصل وهو بذلك يؤيد ما قد حملناه من أن الحلم تحقيق رغبة .

اعتبار قابلية التصوير

لقد شغلنا حتى الآن ببحث الطريقة التي يصورها الحلم العلاقات القائمة بين أفكار الحلم ، ولكننا في هذه الأثناء قد لمسنا أكثر من مرة تلك المشكلة الأخرى : ما هو التغيير الذي يصيب مادة الحلم بوجه عام من أجل تكوين الحلم ؟ فنحن نعلم الآن أن ثمة ضغطاً يصيب مادة الحلم بعد أن تجرد من جزء كبير من علاقاتها ، على حين تجرى في الوقت عينه نقلات من حيث الشدة بين عناصر هذه المادة ،^(١) ونقلات تحدث بالضرورة انقلاباً في قيمها النفسية . والنقلات التي نظرنا في أمرها حتى الآن قد اتضح أنها تلخص في أن تستبدل بفكرة معينة فكرة أخرى تقرب منها في التداعي على نحو من الأنحاء ، ثم هي - أعنى هذه النقلات - كانت تسخر في خدمة التكثيف ، فبوساطتها كان ينقل إلى محتوى الحلم عنصر متوسط مشترك بين عنصرين بدل هذين العنصرين جميعاً . ولكننا لم نذكر بعد على الإطلاق نوعاً آخر من النقل مع أن التحليل يرينا أن هذا النوع الآخر موجود ، وأنه يبين عن نفسه في تبديل التعبير اللفظي عن الأفكار . ففي كلتا الحالتين يتعلق الأمر بنقل يتم على طول سلسلة المستدعيات ، ولكن ذات العملية تقع في منطقتين نفسيتين مختلفتين ، فيكون حاصل هذا النقل - في حالة - أن يحل عنصر محل عنصر آخر ، على حين يقع - في الحالة الأخرى - أن يستبدل عنصر بمنطوقه اللفظي منطوقاً آخر .

هذا النوع الثاني من النقل الذي يقع عند تكوين الحلم لا يملك أهمية نظرية رفيعة وحسب ، بل هو - فوق ذلك - مؤهل تأهيلاً فريداً لأن يعلل ما يستخفي وراءه الحلم من مظهر اللامعقولية الخيالية . ذلك أن هذا النقل يؤدي في العادة إلى تلك النتيجة : لما، تستبدل بعبارة تعرب عن إحدى أفكار الحلم إعراباً فاقد اللون مجرداً عبارة أخرى مشبهة عيانية^(٢) . ومزية هذا الاستبدال - ومن ثم بغيته - واضحة كل الوضوح :

(١) [المراد بالمعنى هذا المجرد ، والعبارة المشبهة هي تلك التي تخلع على الفكرة شياً عساً ، مد العبارة المجردة . وفي باب العبارة المشبهة تدخل مصطلح الاستعارات وفروب الهجاز المرسل والكتابة] .

فما هو شبه قادر على أن يُصوّر في الحلم ، قابل لأن يدرج في موقف من المواقف ، بينما التعبير المجرد يواجه التصوير الحلمي بصعوبات تشبه ما يواجه الرسام عند تصوير المقال السياسي الافتاحي بإحدى الصحف . ولكن قابلية التصوير لا تخرج وحدها غائمة من هذا الاستبدال ، بل يمكن التكثيف والرقابة أن يخرجاً منه كللك بما يخدم مآربهما ؛ ففكرة الحلم تظل غير قابلة للاستخدام ، بقيت في عبارة مجردة ، ولكنها ما أن تصاغ في لغة مشبهة حتى يتيسر عن ذى قبل أن تظهر بين التعبير الجليد وبين سائر مادة الحلم فقط التماس والعينيات^(١) التي يقتضها عمل الحلم ونحاقها خلقاً حين لا تكون موجودة من قبل ؛ وذلك لأن الحدود العيانية في كل لغة أثري مستدعيات بحكم تطورها من أحاء التصورات المجردة . وفي وسعنا أن نتصور أن جزءاً كبيراً من العمل الذي يتم أثناء تكوين الحلم - مستهدفاً رد أفكار الحلم المتفرقة إلى تعبير حلمي يكون على أكثر ما يمكن من الوحدة والاختزال - إنما يتأدى بإدخال تعديل لفظي ملائم في العبارة عن كل فكرة من أفكار الحلم . فلن اتفق في خلال ذلك أن كانت هناك فكرة ثبت منطوقها ورسخ لسبب من الأسباب ، كان لهذه الفكرة أثرها في اختيار صيغ التعبير الممكنة عن سائر الأفكار وفي تحديدها ، وربما كان ذلك منذ البدء على نحو ما يقع في قرص الشعر ؛ فإن القصيدة إذا التزمت القافية ظل كل بيت فيها نال به بقيدين : أن يعبر عن معناه تعبيراً مناسباً وأن يحى هذا التعبير متمشياً مع القافية ، وأحسن القصائد بالطبع مالا تلاحظ فيه العمل إلى القافية بل تجيء الأفكار وقد اختارت كل لنفسها منذ البدء - بتأثير متبادل - صورة لفظية لا يحتاج الاحتفاظ بالقافية بعدها إلا إلى القليل من الإعمال . وهناك بضع حالات نرى فيها استبدال العبارة المشبهة بالمجردة يساند التكثيف الحلمي من طريق أكثر بعد مباشرة : وذلك حين يفضى هذا الاستبدال إلى صيغة لفظية تحمل من ازدواج المعنى ما يؤهلها للإعراب عن أكثر من فكرة واحدة من أفكار الحلم . وعلى هذا النحو يدخل عالم النكات اللفظية بأجمعه في متناول عمل الحلم ويسخر لأغراضه .

(١) [نريد بالعينية العلاقة التي تكون بين حدين كل منهما هو الآخر . ولقد سمينا الفعل الذي يقوم منه العلاقة والتعيين Identifizierung (انظر المالحش الذي في ص ١٧٢) ولما سمينا العلاقة نفسها والعينية Identität . ولم نقل « اللاتية » كما جرت العادة في المطلق لتجنب الخلط أولاً ثم لأن الشائع لهم من اللاتية هو كون الحد هو نفسه ، فاللاتية إن شئت هيئة بين الحد وذاته لا بينه وبين غيره ، أرمي هيئة مجردة ، تكرار أجوف ، لا تتضمن التدبرية في ذاتها] .

وما لنا أن نعجب للنصيب الذى تشارك به الكلمة فى تكوين الحلم ؛ فالكلمة من حيث هى معقد أفكار كثيرة قد قدر عليها - إن جاز التعبير - الاشتراك^(١) ، وإن الأعصية (كالألنكار القهرية والخافى المرضية) لتنتهز هذه المزايا التى تهبها الكلمة للتكثيف والتفتح انتهازاً لا تقل فيه تبجحاً عن الأحلام . فإما أن التشويه الحلقى يربح بدوره من هذا النقل اللفظى فذلك ما يسهل تبينه : فإن من مجال الخطأ أن تستخدم كلمة واحدة ذات معنيين بدل اثنتين لكل منهما معنى واحد ، ثم إن من شأن النزول عن طريقتنا المألوفة المتزنة فى التعبير لقاء طريقة أخرى مشبهة أن يعطل فهمنا ، وبخاصة أن الحلم لا ينبتنا مطلقاً هل الواجب أن نفسر العناصر التى يأتى بها بمعنى حرفى أو مجازى ، تفسيراً مباشراً أو بواسطة تعبير من التعبيرات الدارجة . والحق بوجه عام هو أننا حين نفسر أى عنصر من عناصر الحلم نغفلو فى شك لا ندرى معه :

- (أ) هل الواجب أخذ هذا العنصر بمعنى إيجابى أو سلبى (علاقة التضاد) ؟
 (ب) هل ينبغى تفسيره تفسيراً تاريخياً (فيكون أثراً من الآثار الذاكرة) ؟ أو
 (ج) تفسيراً رمزياً ؟ أم
 (د) هل يجب أن يخرج تفسيره من نطقه ؟^(٢) .

ومع هذا ، فإن من العدل أن نقول رغم هذا اللبس كله : إن التصوير الذى ينشئ إليه عمل الحلم - ولا ننسى أنه تصوير لم يقصد منه إلى أن يكون مفهوماً - لا يواجه المترجم بصعوبات تفوق ما تطالع به الرسوم المبرر وغلبية قراءها .

ولقد ذكرت من قبل أمثلة متكررة على تصاوير حلمية لم تتركب إلا لهذا الاشتراك فى التعبير اللفظى (مثل : « فتحت فيها بأوسعها »^(٣) فى حلم حفنة إرما ، و « أظلم دون أن أستطيع الذهاب »^(٤) فى الحلم الذى ذكرته أخيراً فى ص ٣٤ الخ) وسأذكر الآن مثالا أخذ فيه صب الفكر المجرد فى عبارات مشبهة بنصيب كبير . وإن الفرق بين مثل هذا التفسير وبين تفسير الحلم بواسطة الرموز ليظل محدداً تحديداً قاطعاً : فى التفسير الرمزى

(١) [اللفظ المشترك هو الذى يحمل أكثر من معنى واحد] .

(٢) [أى أن ينبى التعبير استناداً إلى أصوات الألفاظ المستخدمة فى رواية الحلم وما قد تنفصه من تورية أو غيره] .

(٣) [وكانت هذه الصورة تترجم فكرة : أن تفيض فى الحديث . انظر ص ١٣٩] .

(٤) [وكانت هذه الصورة تنمى فى لغة مجردة : ما زال لى الحق فى الحياة] .

يترك اختيار مفتاح الرمز للمفسر ، وأما في حالات التفتح اللفظي التي نحن بصددھا فالفاتيح معلومة للجميع وواضعا هو العرف اللغوي الثابت . فلو أن المرء أد اب الفكرة الصحيحة في المناسبة الصحيحة . أمكنه أن يفسر الأحلام التي من هذا القبيل تفسيراً كاملاً أو جزئياً وإن لم يستعن بمستدعيات الحلم .

حلمت سيدة من معارفي الحلم الآتي : إنها في دار الأوبرا . شهد لها جردام حتى الساعة السابعة والبقعة الخامسة والأربعين صباحاً . نصبت في القاعة موائد جلس إليها أناس يأكلون ويشربون . يجلس إلى مائدة من هذه الموائد قريب من أقرانها عاد حديثاً من رحلة شهر العسل مع حرمه ورجانها وصل من طبقة النبلاء . يقال إن الزوجة الشابة قد أسحرت هذا التيل معها من رحلة شهر العسل في علانية تامة كأنما أسحرت قبة . في القاعة برج عال وضمت فوقه منصة أسطحت بسياج حديدي . يقف على هذه المنصة قائد الفرقة الموسيقية وكانت له ملاحح هالس ريمتر . إنه يجرى في حلقة وراء سياجه هذا وقد تصبب منه العرق إلى درجة سروة وعرقته من موضعه ذلك الفرقة الموسيقية التي انتظم أفرادها حول قاعدة البرج . الحائلة - هي - قد تمتد في إحدى الشرفات مع صديقة لها (أعرفها) تريد أختها أن تمد إليها من القاعة قطعة كبيرة من الجمرقالة : إنها ماكانت تعلم أن ذلك سيطلق كل هذا الطويل ، وإن البرد في الشرفات قد أصبح لا شك شديداً . (كأنما كان ينبغي تسخين الشرفات أثناء هذا العرض الطويل) .

إن هذا الحلم قد حوى من اللمحات غير المعقولة ما فيه الكفاية ، وإن يكن فيها عدا ذلك قد التفت التفاضاً طيباً حول موقف واحد . فاما معنى [هذا البرج الذي ينتصب على وسط القاعة والذي منه يدير القائد الموسيقى فرقته ، ثم بخاصة تلك الجمرة التي تمدها إليها أختها ؟ لقد امتنعت عاماً عن طلب أى تحليل لهذا الحلم . ولكنني قد أمكنني بما أعرفه من علاقات الحائلة الشخصية أن أصل مستقلاً إلى تفسير أجزاء منه : كنت أعلم أن قلبها قد انعطف إلى موسيقى قضى مرض عقل على مستقبله قبل الأوان . فرأيت أن آخذ البرج الذي في الحلم مأخذاً مجازياً ، فخرج أن الرجل الذي ودت لو رأته في محل هانس ريمتر قد علا البرج^(١) دون سائر أفراد الفرقة . والبرج يصح وصفه بكونه صورة مريجة ركبت بعطف بيان^(٢) ، فقاعدته تمثل عظمة الرجل وأما السياج

(١) [مجاز دارج في الألمانية بمعنى علام أو فلقهم] .

(٢) [Apposition] ويرتبه انتباه أيضاً بكلمة " البذل " . فالفكرة التي تعرب عنها صورة البرج في الحلم هي : الرجل الذي كان موسيقياً شاباً ، هذا الذي جن في أواخر حياته . فقولنا : " هذا الذي .. الخ " بذل أو حلف بيان] .

الحديدى الذى يعدو الرجل خلفه مثل أسير أو مثل حيوان فى قفصه (وهو ما يشير إلى اسم الرجل المنكود)^(١) فيمثل مستأنف قدره . وربما كان « برج المجانين »^(٢) هو اللفظ الذى استطاعت هاتان الفكرتان أن تلتقيا فيه .

ويحى لنا بعد أن اكتشفنا منهج الحلم فى التصوير أن نحاول تطبيق المفتاح ذاته على البدوة الثانية غير المعقولة فى هذا الحلم ، وأعطى بها جمرة الفحم التى تمد بها أخت الحاملة يدها . إن « البجعة » لا بد كانت تعنى « الحب المستر » .

ما من نار ولا من جمر

يتقد ويستمر

مثل حب مستر

لا يعلمه أحد^(٣) ،

ونحن نراها فى الحلم هى وصديقتها وقد ظلنا لاعدتين^(٤) . وأختها الصغيرة التى كانت لا تزال تأمل فى الزواج تسلمها جمرًا لأنها لم تكن تعلم أن ذلك سيطول كل هذا الطول . ما هذا الذى قد طال ؟ إن الحلم يلوح هنا بالصمت . ولو أن الأمر كان يتعلق بقصة لقلنا : إن المعنى هو المشهد . أما الأمر يتعلق بحلم فلنا أن نضع الجملة فى ذاتها نصب أعيننا . وأن نقرر أنها ذات معنيين فتضيف : « حتى تتزوج » . ويؤيد بعد ذلك تفسير « الحب المستر » ذكرها قريبها الجالس فى القاعة مع زوجه وما ينسب إلى هذه الأخيرة من الحب المكشوف . فالمقابلة بين الحب المستر والمكشوف ، بين نازها وبرودة الزوجة الشابة تسيطر على الحلم . وفى كلتا الحالتين نجد رجلا « على المكافاة » هو حد مشترك بين الرجل الذى من طبقة النبلاء وبين الموسيقى الذى كان معقد هاته الآمال الكبيرة .

إننا بالمناقشة السابقة نكون قد كشفنا فى النهاية عن عامل ثالث لا تنبغى الاستهانة بنصيبه فى تحويل أفكار الحلم إلى محتوى الحلم . هذا العامل هو : اعتبار قابلية التصور فى المادة النفسية التى يستعملها الحلم استخداماً خاصاً - أى فى صور

Hugo Wolf. (١)

(٢) [Narrenturm تمير المانى قديم يقال للارتان] .

(٣) [من أغنية الثانية شمية] .

(٤) [تمير المانى دارج بمعنى : لم تزوجا] .

مرئية على الأغلب . ولها كانت تُفَضَّل - بين الأفكار الثانوية المقترنة بأفكار الحلم الجهورية - تلك التي تقبل! التصوير المرئي . وكان عمل الحلم لا يتروى في أن يتكلف صوغ الأفكار الرئيسية في صيغة لفظية جديدة . ولو كانت أقل ألفة ، إذا كان في ذلك ما يؤدي إلى تسير التصوير وما يؤدي - من ثم - إلى إنهاء التوتر السيكلوجي الذي ينجم عن التفكير المحبوك . وهذا الصب للمحتوى الفكري في قالب آخر قد يسخر في الوقت عينه في خدمة العمل التكنيقي ويخلق علاقات جديدة - ما كان لتكون لولا ذلك - بفكرة أخرى . هذا بينما يصح أن تكون هذه الفكرة الأخرى قد غيرت هي نفسها منظورها الأصلي لكي تلاقى الأولى في منتصف الطريق .

ولقد دل سيلبرير (١٩٠٩) على طريقة تمكنا من أن نلاحظ استحالة الأفكار إلى صور في أثناء تكوين الحلم ملاحظة مباشرة ، وتمكنا بذلك من أن ندرس هذا الوجه من أوجه عمل الحلم بمعزل عن غيره . فهو كان إذا حمل نفسه على عمل فكري وهو مكثود يغالب النوم - رأى الفكرة تغلت منه وتظهر في محله صورة كان يسمعه عندئذ أن يرى فيها بديل الفكرة . وهو يصف هذا البديل وصفاً غير موفق كل التوفيق بقوله : إنه : « ذو رمزية ذاتية » (١) . وأسوق هنا بضعة أمثلة من مقال سيلبرير ، كما أنني سأضطر إلى العود إلى هذه الأمثلة في موضع آخر (ص ٤٩٩) لخصائص معينة في الظواهر الملاحظة .

« المثال الأول : أفكر في أن على أن أراجع فقرة ناشرة في إحدى مقالاتي :

الرمز : أراي أسوى قطعة من الخشب » .

« المثال الخامس : أحاول أن أتبين الهدف من دراسات ميتافيزيقية معينة كنت انتويت القيام بها . هذا الهدف - كما حدثت نفسي به - هو أن يشق المرء طريقة في بحثه عن الوجود إلى صور أسمى من الشعور أو إلى طبقات أعلى من طبقات الوجود .

« الرمز : أدفع سكبناً طويلة تحت فطير كبير ، كما لو كنت أريد أن أخلط قطعة منه .

« التفسير : إن حركة يدي بالسكين تعني « شق الطريق » الذي تحدثت عنه ... وأما

(١) [كان غرض سيلبرير من هذه التسمية هو الدلالة على أن الصورة البدئية تبرز إلى العملية الفكرية من حيث هي فعل ذاتي بقدر ما تبرز إلى المختبر الموضوعي للفكرة في ذاتها] .

مأخذ هذا الرمز فبيان ما يأتي : يتفق بين الحين والحين ونحن إلى المائدة أن أقوم بقطع فطير كبير وتوزيعه . . . وهى مهمة أؤديها مستعيناً بسكين طويلة مرنة يحتاج استعمالها إلى بعض العناية . ثم رفع الشرائع بعد قطعها رفعاً نظيفاً - ذلك على الأخص ما يقرن ببعض الصعوبات : فلا بد هنا من أن تدفع السكين في ثؤدة تحت الشريحة المقطوعة (شق الطريق ، ببطء حتى الوصول إلى الأسس) . بيد أن الصورة قد حوت من الرمز ما يزيد على ذلك : فالفطير الذى تراهى لى فى الصورة الرمزية كان من النوع الذى يصنع طبقات يجتازها السكين عند القطع (طبقات الشعور والتفكير) .

« المثال التاسع : ينقطع خيط تفكيرى وأحاول استنائه ، ولكننى أضطر إلى التسليم بأن نقطة الاتصال قد غابت عني تماماً .

« الرمز : صفحة من مؤلف ما ، سقطت سطورها الأخيرة » .

وإذ كانت النكات والاستشادات والأغاني والأمثال تشارك بنصيب كبير في الحياة العقلية للمثقفين ، كان مما يتفق وتوقعنا كل الاتفاق أن نرى هذا النوع من الألفنة يكثر استخدامه إلى أقصى مدى في تصوير أفكار الحلم . ما الذى يعنيه - مثلاً - أن تظهر في الحلم عربات تحمل نوعاً واحداً من الخضر يختلف عما تحمله الأخرى ؟ إن ذلك هو الضد المرغوب فيه لقولنا : « كرنب وجزر » ، أى [- فهذا هو معنى ذلك التعبير في اللغة الألمانية -] « شدر ملر » ، وهو - إذن - يعنى « الفوضى » . ولقد عجبنا لأن هذا الحلم لم يروى سوى مرة واحدة^(١) . ولم تظهر رموز حلمية تصدق صلتاً شاملاً إلا بالنسبة إلى عدد قليل من الموضوعات وكانت تستند إلى التلميحات المألوفة للجميع وإلى التبديلات اللفظية . ثم إن الحلم يشارك الأعصاب والأساطير والعادات الشعبية في مقدار لا بأس به من هذه الرموز .

ولا غرو في أن تكون الأمور كذلك ؛ فلما إذا أنعمنا النظر لم نجد مناصاً من التسليم بأن عمل الحلم لا يأتي على الإطلاق بشيء مبتكر حين يجرى هذا النوع من التبديل ، بل هو لكى يصل إلى هدفه - وهدفه في هذه الحالة هو قابلية التصوير المتحرر من الرقابة - إنما يتبع الطريق التى يجدها مهمة أمامه من قبل في اللاشعور ويؤثر تلك التحولات في المادة المكتوبة التى يمكن أن تظهر للشعور كذلك في صورة النكات والتلميحات ،

(١) والواقع أننى لم أصادف هذا التصوير بعد ذلك قط ؛ ولذا صرت أشكك في صحة هذا التفسير .

والتي تزدحم بها كل تخيلات العصبيين . وهنا يتكشف أماننا فجأة سبيل إلى فهم
تفسير شرزر التي دافعت عن مصحبا الجوهرية في غير هذا الموضوع [ص ١١٥ و ٢٤٥] .
فاشتغال الإنسان يجسمه ليس بحال من الأحوال خاصة من خواص الحلم وحده ولا ميزة
تميزه ، بل قد أرفى تحليلاتي أننا نجد هذا الاشتغال دائماً بين الأفكار اللاشعورية
للعصبيين ، وأنه راجع إلى التطلع الجنسي الذي ينتج في سن المراهقة إلى الأعضاء التناسلية
للجنس الآخر ولذات الجنس أيضاً . ولكن المنزل - كما ألع عليه بحق شرزر وفولكلت
ليس الدائرة الفكرية الوحيدة التي تستقي منها رموز الجسد - لا في الأحلام ولا في التخيلات
اللاشعورية للعصاب . صحيح أني أعرف مرضى ظلوا مبقين على الرموز المعيارية للجسم
ولأعضاء التناسل (والاهتمام الجنسي يعدو أعضاء التناسل الخارجة بكثير) : فالأعمدة
والعمدان المنوطة تعني عندهم السيقان (كما في نشيد الإنشاد)^(١) ، وكل باب يدل على فتحه
من فتحات الجسم (« ثقب ») ، وكل أنبوبة تذكر بالجهاز البولي ، إلخ ، إلا أن
الأفكار المتصلة بحياة النبات أو بالطبخ قد تستخدم هي الأخرى بمثل هذه الكثرة
عنها - لكي تسر الصور الجنسية . ولنا لنجد فيما يتعلق بدائرة الأفكار النباتية أن
الطريق قد مهده العرف الجاري الذي هو خزانة الأخيلة الاستعمارية منذ أقدم العصور
(انظر « كرم » الرب و « البذور » و « حديقة » المحبوبة في نشيد الإنشاد) . كما أن
التفكير في أقبج تفاصيل الحياة الجنسية وأبطها - أو الحلم بها - قد يتأدى في إشارات
ظاهرها البراءة إلى أعمال المطبخ ، وإن الأعراض المستربة لتستغلل إلى الأبد على كل
تفسير إذا نسبنا أن الرمزية الجنسية تجد أحسن نجاً لها وراء المألوف وما لا يستلفت الأعين .
فن الأمور المنطوية على معنى جنسي صحيح أن يأتي الطفل العصابي رؤية أي دم أو لحم
نبي ، وأن يشتمز من البيض و « المكرونة » وأن يزيد الخوف الطبيعي من الثعابين تلك
الزيادة المفرطة عند العصبيين ، وعلى الجملة فالعصاب حينما التجأ إلى مثل هذه الأقبجة
فلأنما يسلك طريقاً مرت بها الإنسانية جمعاء في أقدم مراحل العمران ولا تزال يشهد على
وجودها إلى يومنا هذا وراء حجب شفاقة العرف اللغوي والمعتقدات والعادات .

وهنا الحق بما تقدم الحلم المزدهر الذي أتى إحدى مريضاتي ووعدت من قبل
بسرده [ص ٣٢٥] ، وفيه أعلم بالأحرف المكبرة كل ما ينبغي تفسيره من عناصره تفسيراً

(١) [« وقلعه ميذا ونام مؤسنان مل قاعدتين من إيريز » . الإصحاح الخامس ، ١٥] .

جنسيا . هذا . وقد فقد ذلك الحلم الجميل راعه في عين الحاملة بعد أن وقفت على تفسيره
(ا) الحلم التمهيدى : تلعب إلى المطبخ حيث تجد خادمها وتكونها لأنها لما تجهز لها وقصة تركل .
وفي أثناء ذلك تلعب عدداً كبيراً جداً من أوعية مطبخ من طراز عام وقد قلبت على الأرض حتى يسقط ماعلق بها . ن
تفترات الماء . تضيف في رواية ثانية : تلعب الخادمان طلباً لبعض الماء وتسطران حيثاً إلى الخوض في
نهر علا ماله حتى بلغ المنزل أو فناءه (١) .

(ب) الحلم الرئيس (٢) : تهبط من مرتفع عظيم (٣) فوق حواجز أو سياج فريية الميزة شد بعضها إلى
بعض في مربعات كبيرة وصنعت من خيزران مفسر في مربعات صغيرة (٤) . لم تكن هذه الحواجز بحولة لكي يضل
الإنسان فيها ، ولذا كانت تلاقى عناء دائماً في إيجاد موضع تضع فيه قلبها ، وتجنّب نفسها لأن رداها لم يشبكه
بلى منها ، بحيث ظلت مبقية على مظهرها اللاتق (٥) وهي ماضية . كانت في أثناء ذلك تحمل خضناً كبيراً
في يدها (٦) ، وأخبر أنه كان يشبه شجيرة خطها زهور حمراء تفرعت من الشجيرة وانتشرت (٧) . كانت هناك
فكرة فصولها أن هذه أزهار كرز . ولكنها كانت تلوح في الوقت نفسه مثل الكاميليا المتفتحة - وإن كانت
هذه لا تنمو بالطبع على الشجر . كان يدها وهي تهبط ضمن واحد في أول الأمر ، صارفجأة اثنين ، ثم رج
واحدلاً من جديد (٨) . حين تبلغ أسفل المنحدر تكون الأزهار التي بأسفل الفص قد أصابها ذبول عظيم .
تري متدلاً - بعد أن نزلت - خادماً من خيم المنزل ، وكان - كما تب أن تقول - يمشط شجيرة مائلة أي أنه
كان يستخدم خشبة لكي ينزع بها خصلة سمكية من الشعر ملقت بالشجرة مثل الالته . كان هناك
عامل آخر ضلع أفضناً مائلة من حذوبة من الحداثى التي أتى بها في الطريق حيث ظلت مطروحة
بحيث أخذ أناس كثيرون بعضها . ولكنها تسأل نفسها هل ذلك عمل مشروع؟ هل تستطيع أن تأخذ واحداً (٩)
من الأخرى ؟ يقف في الحديقة رجل في مقبيل العمر (وهو شخص تعرفه ، غريب من العائلة) ، تلعب إليه لكي

(١) انظر ص ٣٢٥ في تفسير هذا الحلم التمهيدى من حيث يعرب عن علاقة " عطية " .

(٢) وهو حلم يصف سيرة حياتها .

(٣) أي أنها تنحدر من أصل رفيع - وهو الفد المرغوب فيه للحلم التمهيدى .

(٤) صورة مزيجية تجمع بين محلين ؛ أولها هو ما كان يسمى في منزل أبيها شجرة السطوح ، حيث كانت
تلعب مع أخوها الذي صار موضوع تخيلاتنا اللاحقة ، وثانيها مزرعة يملكها هم ذلك كان لا ينقطع من
معاكستها .

(٥) فد مرغوب فيه لإحدى ذكرياتها الحقيقية المتصلة بمزومة معها ، حيث كان من عادتها أن تسمى
وهي قائمة .

(٦) كما يحفل الملك عبد الزينق في صور البشارة إلى مريم .

(٧) انظر ص ٣٢٩ في تفسير هذه الصورة المركبة : الطهارة ، الطمئ ، غادة الكاميليا .

(٨) إشارة إلى تمدد الأشخاص الذين كانت تنصب عليهم تخيلاتنا .

(٩) أي هل يجوز لها أن تنزع واحداً [وهو تعبير ألماني عامى بمعنى :] أن تستنى .

سأله كيف يمكنها أن تنقل هذه الأخصان إلى حديقتهما الخاصة^(١) . يحضنها الرجل نفسه وسأله :
 لم تفكرى ؟ أيقظ أن الناس يستطيعون احتضانها على هذا النحو ؟ يجيبها قائلاً : إنه لا غرور في ذلك وإن ذلك
 أمر صعب^(٢) . يجيبها أنه على استعداد للعباب معها إلى الحديقة الأخرى لكي يربحها الزرع ثم يضيف شيئاً
 لا تفهم مراده منه تمام الفهم : غير أنني أحتاج إلى ثلاثة أمتار (في رطوبة أخرى : أمتار مربعة) أو ثلاث
 قصبات من الأرض . كأنه كان يطلب شيئاً ما لقاء استعداده ، أن يعرض نفسه من حديقتهما ،
 أو كأنه كان يريد أن يحال على قانون من القوانين لكي يظهر منها بمفهم دون أن يصيبها الأذى . هل أراها بالفعل
 شيئاً ما بدلاً ؟ لا تترى .

إن هذا الحلم الذي أوردته لما اشتمل عليه من العناصر الرمزية خليق أن يوصف بأنه
 حلم « يؤرخ حياة » حامله . وأمثال هذه الأحلام تعرض كثيراً في خلال التحليل النفسي ،
 ولكن أغلب الظن أنها لا ترد خارجة إلا نادراً^(٣) .

إن في جميعي بالطبع الشيء الكثير من مثل هذه المادة ، ولكن سردها يجعلنا نؤجل
 في بحث شروط العصاب ، ثم هي تذهب جميعها إلى نتيجة واحدة ، وأعني بها : أنه
 لا حاجة بنا إلى أن نفترض أن عمل الحلم يتضمن نشاطاً رمزياً خاصاً به من جانب الدهن ،
 وإنما يستخلص الحلم الرموز الموجودة من قبل في التفكير اللاشعوري ، وهو يستخلصها
 لأنها أكثر اتفاقاً ومقتضيات تكوين الحلم من حيث قابليتها للتصوير ، ولأنها أيضاً تغلت
 عادة من الرقابة .

(١) لقد لاقى البن من حضرة التماسل عند الذكر منذ زمن طويل ، وهو - بعد - يظهر على تلميح إلى
 اسم عائلة المريضة .

(٢) يشير ذلك وما يتبعه إلى أحياء منع النسل .

(٣) يجد القارئ حلماً آخر مماثلاً من نوع هذه الأحلام « المورقة » بين الأشلة التي سأفرضها على الرزية
 في الحلم ، المثال الثالث . وهناك مثال ثان سرده رافك سرداً مفصلاً : « حلم يفسر نفسه بنفسه » [١٩١٠] .
 ثم مثال آخر تجب قراءته « مقلوباً » وأوردته ستيكل (١٩٠٩ ، ١٨٦) .

التصوير بوساطة الرموز في الأحلام أحلام نمطية أخرى^(١)

إن تحليل الحلم الذى سبق ، الحلم المؤرخ ، شاهد على أننى قد عرفت الرمزية في الحلم منذ البداية . ولكننى لم أنته إلى تقدير كامل لمدى انتشارها وأهميتها إلا على نحو متدرج ساير تزايد خبرتى ، وبثأثير من مؤلفات فيلهم شكيل^(٢) الذى قد يكون من المناسب في هذا الموضع أن أتحدث بكلمة عنه .

إن هذا الكاتب الذى ربما كان ضرره بالتحليل النفسى يعدل بفعل قد قدم عدداً ضخماً من تراجم رمزية لم يفتن إليها أحد من قبل ، تراجم لم تلق في مبدأ الأمر تصديقاً ، ولكن الشواهد لم تلبث أن جاءت بما يؤيد معظمها ، بحيث لم يعد مفر من قبولها . ولست أهون من قيمة الخدمات التى أسداها شكيل في هذا الباب إذا أضفت أن التحفظ المشوب بالشك الذى قوبلت به آراؤه في أول الأمر لم يكن ينجو كل الخلو من المبررات . فالأمثلة التى سند بها شكيل تفسيراته كانت غير مقنعة في كثير من الأحيان ، ثم هو قد استخدم منهجاً يتحتم نفيه ؛ لأنه غير حرى بالثقة من وجهة النظر العلمية . ذلك أن شكيل قد اكتشف تفسيراته الرمزية من طريق الحدس ، بقوة هبة خاصة في فهم الرموز فهماً مباشراً . ولكن مثل هذا الفن شئ لا يعتمد عليه بوجه عام ، لأنه يخلو من كل إعمال للنقد ، ولما تجردت نتائجه من كل حق على التصديق . فاستنادك إليه كالتماسك أن تؤسس تشخيص الأمراض المعدية على ما يصلك من إحساسات الشم وأنت إلى سرير المريض - وإن كان من المقطوع به أن نمة أطباء حققوا ما لم يحققه

(١) [لم يظهر هذا القسم ٨ من الفصل السادس في الطبعة الأولى من " تفسير الأحلام " . والكثير من مادته قد أضاعه فرويد في طبعه عام ١٩٠٩ ر ١٩١١ ولكنه أدرج المادة المضافة في الفصل الخامس في القسم الخاص بالأحلام النمطية . وأما القسم ٨ بصورة الحاضرة المستقلة فلم يظهر للمرة الأولى إلا في طبعة ١٩١٤ مكوّناً من المادة المضافة في الطبعتين السابقتين وأخرى جديدة] .

(٢) ف . شكيل ، لغة الأحلام ، ١٩١١ .

غيرهم مستعنيين بحجاسة الشم هذه (وهي حاسة مبشرة عند معظم الناس) . أطباء كان
يسعهم أن يشخصوا نفوساً معويّاً بوساطة الشم! [١٠١]

ولقد جلب تقدم الخبرة التحليلية انتباهنا إلى مرضى يبدون مثل هذا الفهم المباشر
لرموز الحلم على نحو يبعث على الدهش . هؤلاء المرضى كانوا في العادة يعانون جنون
المراهقة ، بحيث غلب فترة الميل إلى أن تظن هلمة العلة بكل حلم يبدى مثل هذا الفهم
الرمزي . ولكن الحقيقة على خلاف ذلك ، فالمسألة هبة أو خاصة شخصية يبدون دلالة
مرضية ظاهرة .

وإن المرء إذا ألف الاستخدام الواسع الذي تلقاه الرموز في تصوير المادقة الجنسية
في الحلم لم يجد مناصاً من أن يسأل إذا كان الكثير من هذه الرموز يحىء على حساب
دلالات ثابتة مثل «علامات» الاختزال ، ولقد يغرى عندئذ بتسطير كتاب جديد من
كتب الأحلام وفق منهج الشفرة . والذي تمكن ملاحظته في صدد هذه المسألة هو هذا :
أن الرمزية ليست خاصة من خواص الأحلام ، بل من خواص التفكير اللاشعوري .
وتفكير الشعب بنوع خاص . وإنا لنجدها في أغاني الشعب وأساطيره ورواياته المتوارثة وفي
التعابير النارجية والحكم الماثورة والنكات البخارية أكثر مما نَجدها في الحلم . ولهذا لم يكن
مفر من أن نشط بعيداً عن مشكلة تفسير الحلم إذا أردنا أن نفهم معنى الرمز حقه وأن
نناقش ما ينصل بفكرة الرمز من مشكلات متعددة لا يزال القسط الأعظم منها بغير حل (١) .
وعلى ذلك نفترض ههنا على القول بأن التصوير بوساطة الرمز يدخل في عداد مناهج
التصوير غير المباشر ، ولكن هناك دلائل من كل نوع تحدتنا من أن نزع بالتصوير
الرمزي بين سائر أنواع التصوير غير المباشر قبل أن يكون في استطاعتنا أن نتمثل خواصه
التي تفرق بينه وبينها في تعريف جلي . والجامع المشترك بين الرمز والرموز إليه يكون
واضحاً في طائفة من الحالات . خفياً في طائفة أخرى ، حتى ليبدو اختيار الرمز شيئاً
عجراً . وإن هذه الحالات الأخيرة على التحديد هي التي لا بد قادرة على أن تلقى الضوء
على المعنى الأخير الذي لعلاقة الرمزية . وإنها لتدل على أن هذه العلاقة ذات طبيعة
نشوية : فالأشياء التي ترتبط اليوم برباط رمزي كانت على الأرجح تتحد في الأزمنة

(١) [١٩١١ :] انظر مؤلفات بلويلر وتلاميذه من مدرسة زيوريخ : مادير وأبراهام وغيرهما - في
مسألة الرمزية ، وانظر من يشير إليه هؤلاء من المؤلفين غير الأطباء (مثل كلايپول وغيره) . [١٩١٤ :] =

قبل التاريخية في عينية تصويرية ولغوية^(١) . فالعلاقة الرمزية تبدو أثراً من عينية غابرة وعلامة عليها . ونستطيع أن نلاحظ في هذا الصدد كيف يقع في بعض الحالات أن يمتد الاتفاق في استخدام رمز من الرموز إلى ما وراء الجماعة اللغوية ، على ما نبه إليه شوبرت من قبل (١٨١٤)^(٢) . كما أن بعض الرموز قديم قدم الكلام نفسه بينما بعضها الآخر لا ينقطع صكه على عمر العصور إلى يومنا هذا (مثال : المنطاد « زبلين ») .

والحلم يستخدم الرموز من أجل تصوير أفكاره الكامنة تصويراً مقنعاً . ومن الرموز المستخدمة على هذا الوجه عدد كبير يعنى دائماً - أويكاد يعنى دائماً - ذات الشيء . ومع هذا ينبغي علينا أن نذكر دائماً ما تتميز به المادة النفسية من مرونة خاصة . فقد يكون الواجب في أحيان جد كثيرة ألا يفسر الرمز الظاهر في محتوى الحلم بالمعنى الرمزي بل المحرق ، ويجوز في أحيان أخرى أن يستمد الحلم من مادة ذكرياته الخاصة المحق في أن يستخدم كرموز أشياء من كل صنف لا تستخدم عادة هذا الاستخدام . ثم إن الحلم إذا أمكنه الاختيار بين رموز متعددة من أجل تصوير محتوى بعينه - انتخب هذا الرمز الذي يرتبط من حيث محتواه الموضوعي بسائر أفكار الحلم ، أى الذى تدفع إلى قبوله أسباب فردية إلى جانب الأسباب النمطية .

وإذا كانت الأبحاث الجديدة في الحلم منذ زمن شرر قد جعلت من وجود الرموز في الحلم أمراً لا يقبل المنازعة - فحتى هافلوك إليس يسلّم بأن من المحال التشكيك في ازدياد أحلامنا بالرموز - فإن من الواجب أن نقر مع ذلك بأن حضور الرموز في الحلم لا يسهل مهمة التفسير وحسب ، بل يزيدها أيضاً صعوبة . ذلك أن طريقتنا

« يجد القارئ أصوب ما كتب عن هذا الموضوع في كتاب رانك وعانس ساكس (١٩١٣ ، الفصل الأول) . [١٩٢٥ :] وانظر أيضاً لرنست جونز (١٩١٦) .

(١) إن هذه النظرة تغطي بمقد قوى إذا أخذنا بنظرية اقترحها الدكتور هانس شيربر (في تأثير العامل الجنسي في نشأة اللغة وتطورها ، إجابو ١٩٢٢) . فهو يرى أن جميع الكلمات البدائية كانت تطلق على أشياء جنسية ثم أعلت لتفقد بعد ذلك معانيها الجنسية هذه بإطلاقها على أشياء وأوجه من النشاط مختلفة كانت تقارن بها هو جنسى .

(٢) مثال ذلك أن المركب البخارية على الماء ترد في أحلام الجيول عند الحالمين الهنغارين مع أنهم لا يستخدمون كلمة Schiffen [أبحر] بمعنى « تبول » [كما هو الشأن في الألمانية] (انظر فرنسي وكذلك المثال ٦ من هذا القسم) . والناطقين بالفرنسية وبسائر اللغات الرومانية يستخدمون الكلمة في التصوير الرمزي لمرأة مع أن هذه الشعوب لا تملك شيئاً يشبه التعبير الألماني : "Frauenzimmer" (انظر ص ٢٢٤) .

المألوفة في التفسير وفقاً لمستدعيات الحلم تركنا في حيرة حين نحىء إلى العناصر الرمزية في محتوى الحلم . فاحترام النقد العلمى بمنعنا من الاحتكام إلى مشيئة المفسر كما هو المنهج المتبع في الأزمنة القديمة والذي يبدو كأنما قد بعثه من جديد تفسيرات شتيكل المجهية . ونحن لذلك مضطرون حيال عناصر الحلم التي نرى أنها عناصر رمزية إلى أن نصطنع منهجاً مزيماً يستند من ناحية إلى مستدعيات الحلم ويكمل الثغرات من ناحية أخرى بمعرفة المفسر للرموز . ومن واجبنا - إذ أردنا أن نتجنب كل اتهام بمتابعة الهوى في التفسير - أن نجتمع بين الحنر النقدي في حل الرموز وبين دراستها دراسة ملؤها العناية تستند إلى أمثلة قوية الدلالة بنوع خاص . والعجز عن الاستيقان الذي لا يزال يعلق بعملائنا في تفسير الأحلام ناشئ إلى حد عن نقص معارفنا - وهو نقص يمكن سده شيئاً فشيئاً مع التعمق في الاستقصاء - ولكنه ناشئ إلى حد آخر عن خصائص معينة في رموز الحلم . فهذه الرموز تملك في كثير من الأحيان أكثر من معنى واحد - إن لم تملك العدد الكبير من المعاني - بحيث لا يمكن فهمها في كل مرة فهماً صحيحاً إلا من السياق وحده ، كما هو الشأن في الكتابة الصينية . ثم إن هذا التكرار في معنى الرموز لا يلبث أن يلتقي بما يتميز به الحلم من قبول تفسيرات متعددة ، أى من القدرة على أن يصور في بعض محتواه أفكاراً ورغبات كثيراً ما تختلف اختلافاً واسعاً في طبيعتها .

وبعد هذه القيود والتحفظات أتابع الكلام فأقول : إن الإمبراطور والإمبراطورة (أو الملك والمملكة) بصوران حقيقة والذي الحلم في معظم الأحيان . وأما الأمير أو الأميرة فيصور الحلم أو الحالة . غير أن هذه السلطة العالية التي تعزى إلى الإمبراطور قد تعزى أيضاً إلى عظماء الرجال ، وهكذا كان جوته - مثلاً - يبدو رمزاً إلى الأب في كثير من الأحلام (هيتشان) - وتصور القضيب عند الرجال كل الموضوعات المستطيلة مثل العصي وذنوع الشجر والمظلات (لأن افتتاحها يقارن بالانتصاب) ، كما تصوره كل الأساحة المستطيلة الحادة مثل السكاكين والخناجر والمعاول . ورمز آخر يكثر استعماله وإن لم يكن مفهوماً كل الفهم ، هو مبرد الأطافر (أبجامع الاحتكاك؟) - وأما اللعب والصناديق والأدراج والدواليب والمواقف فتصور الرحم وكذلك الموضوعات المحبوبة والسفن وسائر صنوف الجوارى . - والغرف في الحلم ترمز في معظم الأحيان إلى النساء ،

فإن صورت أيضاً مداخلها المختلفة ومخارجها لم يبق في هذا التفسير شك^(١). وأما الاهتمام بما إذا كانت الحجرة « مفتوحة » أم « مغلقة » ، فأمر يسهل فهمه في هذا السياق . (انظر حلم دورا [الأول] في « طرف من تحليل حالة هسريا [فرويد ١٩٠٥] ») . ولست نحتاج إلى أن نسمي صراحة المفتاح الذي يفتح القفلة . ولقد استعان أولاند برمزي القفل والمفتاح في تأليف قطعة طريفة من الأدب المكشوف . « أغنية الكونت ايريشتاين » . - والحلم الذي يعبر فيه الحلم سلسلة من الحجرات المتتالية هو حلم بمنزل بغاء أو حريم . ولكنه - كما بين هانس ساكس في مثال بديع - قد يستخدم أيضاً (من قبيل التضاد) في تمثيل الزواج . وأما أن يحلم الحلم بحجرتين كانتا من قبل حجرة واحدة أو أن يرى حجرة واحدة يألفها قد انقسمت حجرتين - فيمن عن ارتباط بتطلع الطفل الجنسي خلق أن تنتبه إليه . ذلك أن الطفل يعد عضو التناسل عند المرأة منطقة واحدة وفتحة الشرج (النظرية الاستية عند الطفل) ولا يفظن إلا فيها بعد إلى أن هذه المنطقة تضم فجوتين وفتحتين مستقلتين . - وأما المرتفعات والدرجات والسلالم والمسير عليها - سواء أكان صعوداً أم كان هبوطاً - فصور ترمز إلى الجماع^(٢) . - وأما

(١) « حلم أحد مرضى - وكان يقيم في « بنسبون » - أنه قابل إحدى الخدعات على السلم ، لأملا ما يقصها ، فأجابته للتح : ١٤ ، والواقع أنه كان قد اتصل ببله الخادم وزارها زيارات متتعة في غرفها ، وكانت الخادم تمشي طبعاً أن تشكك سفيها في أمرها فالتفت على الحالم في اليوم التالي سبق الحلم أن يتلها في حجرة غير مشغولة . وكانت هذه الحجرة حقيقة هي الحجرة رقم ١٤ ، بينما حصلت هذا الرقم في الحلم المرأة نفسها . ولا يكاد المرء يتخيل مثالا أوضح من ذلك دلالة على تعين المرأة بالحجرة » . (جيز ١٩١٤ أ .) (وانظر أيضاً أرتيميدوروس « رموز الأحلام » (ترجمة ف . س . كراويس فيينا ١٨٨١ ، ص ١١٠) : مثال ذلك أن غرفة النوم تعني الزوجة ، إذا كانت بالمعزل زوجة .

(٢) أكرر هنا ما قلته من هذا الموضوع في موضع آخر (فرويد ١٩١٠ د) : « علمت منذ زمن غير بعيد أن سيكولوبيا يبدأ من مجال علمنا قال لأحدنا : إننا نبالغ من غير شك في تقدير المعنى الجنسي المكتنن للأحلام ، فهو - مثلاً - يحلم أكثر ما يحلم بالصعيد ، ومن المؤكد أن ذلك ما لا يتطرق على شيء جنسي . وأثار هذا الإضراب اهتمامنا ، فوجهنا اهتمامنا إلى ظهور المرتفعات والدرجات والسلالم في الأحلام وسرمان ما أمكننا أن نتبين أن السلالم (وما أمثلها من الموضوعات) ترمز من غير أقل شك إلى الجماع الجنسي . وليس من الصعب أن نكتشف أساس هذه المقارنة . فمن نبلغ القمة في حركات متعاقبة موقفة على هكت متزايد ، ثم إذا نحن نستطيع النزول إلى حيث كنا في قفزات قليلة سرعة . وهكذا يهدد الصعود النمط التقيي الجسدي . ثم لا ننسى شهادة العرف القوي ، فهو يرينا أن « صعد » تستخدم بغير مزيد من التخصيص (في اللغة الألمانية) لدلالة على الفعل الجنسي ، ونحن نقول من رجل : إنه « صعد » [أي ذو ولى بالنساء] ، ونقول : « صعد وراء » (أي طارد ، والمقدر هو المرأة] . ودرجات السلم تسمى في اللغة الفرنسية « marches » ومنه : « marcher » « أن يمشي » [أي يمشي] ، وهو ما يدل تمييزاً للألماني « صعد قديم » [أي زهر نساء] .

الحوائط الملاء التي يتسلقها المرء والواجهات التي ينزلق عليها - في هيلة شديدة عادة -
 فتمثل الأجسام الإنسانية الواقفة . وهي على الأرجح تعيد في الحلم ذكريات عن تعلق
 الطفل بوالديه أو بالمرضع . والحوائط «الملاء» رجال . ولا ينتر أن يتشبث المرء بـ «نثوات»
 المنزل في أحلام الهيلة . - وشبه للنساء بالموائد والموائد المعدة للطعام بالألواح أيضاً - ولعل
 ذلك من قبيل التضاد إذ ترتفع هنا الدوائر البارزة في جسم المرأة . وأما «الخشب»
 على الجملة فيبدو من علاقاته اللغوية أنه ينوب عن المادة الأثنوية *materie* وجزيرة
 ماديرا ^(١) يعنى اسمها الخشب في اللغة البرتغالية . وإذا كان «الفراس والخوان»
 يؤلفان الزواج فقد كثر أن ينوب ثانيهما عن أولهما وأن يترجم مركب الأفكار الجنسية
 إلى مركب الاغتذاء . - وأما الملابس فيسبغنا في كثير من الأحيان أن نترجم قبعة المرأة
 بعضو التناسل . وبعضو الرجل على التحديد . والأمر كذلك فما يتصل بالمعطف ،
 وإن كنا لا نعلم إلى أي حد يرجع استخدام هذا الرمز إلى الجنس اللفظي ^(٢) . ويكثر في
 أحلام الرجال أن تنوب ربطة العنق عن القضيب ، وليس ذلك لمجرد كون ربطة العنق
 مستطيلة الشكل . مدلاة . مميزة للرجال . بل لأن المرء أيضاً يختارها وفق هواه - وهي
 حرية منته الطبيعة لإياها فيما يتصل بالموضوع المرموز إليه ^(٣) . ويغلب أن يكون الأشخاص
 الذين يستخدمون هذا الرمز شديدي الاحتفال بربطات عنقهم في حياتهم الواقعية وأن
 يملكوا مجموعات مستوفاة منها . - ومن المرجح أكبر الترجيح أن جميع الآلات
 والأجهزة المعقدة تقوم في الحلم مقام الأعضاء التناسلية - وأعضاء الرجل عادة - تلك
 الأعضاء التي لا يكمل الحلم من وصفها ، شأنه في ذلك شأن النكتة . ولاشك أيضاً في أن
 جميع الأسلحة والعدد تستسلم رموزاً إلى عضو الرجل : المحارث والمطارق والبنادق
 والمسلمات والخناجر والصوالم ، إلخ . - ومن السهل أن نتبين كذلك أن المناظر الطبيعية

(١) (Madelrn من اللاتني Mater وماناء الأم ، لاحظ الجنس مع Materie) .

(٢) (رجل = Mann في الألمانية ، رسلط = Mantel) .

(٣) انظر ربما منشورا في Zbl Psychoanal. ، ٢ ، ١٧٥ [دورشاخ ، ١٩١٢] ومنه مريض
 بالموس في التاسعة عشرة من عمره : رجل ربطة عنقه أضواء بمد رأسه إلى فتاة . وانظر أيضاً قصة " الرجل الحجيل " *(Anthropophytia)* ، ٦ ، ٣٣١ ، دخلت سيفة في حجرة استجمام فصادفت رجلا لم يكن يعرف من
 ارتداه قميصه ، ويخجل الرجل عجبا شديداً ولكنه يسارع إلى نظفة عنقه بمقدم قميصه قائلا : سطره إذا كنت
 بثير ربطة عنق .

المتجلية في الحلم - وبخاصة إذا احتوت جسوراً أو قمماً تعلوها الأشجار - هي أوصاف للأعضاء التناسلية . ولقد جمع مارسينوفسكى طائفة من رسوم يوضح بها الحلمون ما ورد في أحلامهم من مناظر الطبيعة والمحال . هذه الرسوم ترينا رؤية العين الذى بين معنى الحلم الظاهر والكامن ؛ فبينما يلوح للعين غير المحققة أن هذه الرسوم تخطيطات أو خرائط أو ما شاكله ، إذا الباحث الثاقب يتبين أنها تصور الجسد الإنسانى وتصور أعضاء التناسل . إلخ . ، وحيثذ يتيسر فهم الحلم للمرة الأولى . «انظر في هذا الصدد مقالات فسر عن الكتابة بالرسوم والألغاز المصورة» . ولنا أيضاً أن نتساءل تجاه المركبات اللفظية غير المفهومة إذا لم تكن هذه المركبات قد تكونت من عناصر ذات معان جنسية . ثم الأطفال، هم أيضاً كثيراً ما يعنون في الحلم أعضاء التناسل . والحق أن من عادة كلا الرجل والمرأة أن يسمى عضوه [فى الألمانية] على سبيل الإعزاز : « صغيره » أو « صغيرها » . ولا يجانب شتيكل للصواب حين يعرف في « الأخ الصغير » القضيب . كما أن اللعب مع طفل صغير أو ضربه : إلخ . . تصوير كثيراً ما يصوره الحلم الاستمناه . فأما تصوير الخصاء تصويراً رمزياً فهذا ما يتوصل إليه الحلم بصور الصلع وقص الشعر وسقوط الأسنان وقطع الرأس . فإن جاء أحد الرموز المألوفة إلى القضيب مضجعاً أو متكرراً، عُدَّ ذلك استعادة من الخصاء . ويحى العظايا في الحلم - وهي حيوانات تنمو أذيالها من جديد بعد قطعها - له كذلك هذا المعنى عينه . (انظر حلم العظايا في ص ٩١) والحيوانات التى تتخذ رموزاً إلى أعضاء التناسل في الأساطير والقصص الشعبي يلقى الكثير منها ذات الاستخدام في الحلم : السمك والقواقع والقطط والفئران (لشعر العانة) ، ثم بنوع خاص ذلك الحيوان الذى هو أهم الرموز إلى قضيب الرجل : الثعبان . وتمثل الحيوانات الصغيرة والديدان صغار الأطفال مثل الإخوة والأخوات غير المرغوب فيهم ، كما أن التدود يمثل الحمل في كثير من الأحيان . - ومن الحرى بالذكر رمز إلى عضو التناسل عند الرجل حديث العهد جداً ، هو المنطاد . وتبرر هذا الاستخدام علاقة المنطاد بالطيران ثم شكله أحياناً . - وهناك طائفة أخرى من الرموز ساقها شتيكل مدعماً إياها بالشواهد ولكنها مع ذلك لم تثبت ثبوتاً كافياً . فؤلفات شتيكل - وبخاصة « لغة الأحلام » - تحوى أولى مجموعة من التراجم الرمزية ، وبعض هذه التراجم ينم عن بصيرة نافذة كما أن التحخيص قد أيدته من بعد ، مثال ذلك فصله عن رموز الموت ، ولكن افتقار هذا المؤلف إلى ملكة النقد مع نزوعه إلى التعميم مهما كان الثمن يعثان على التشكك في

تفسيراته الأخرى أو يفتان حائلا دون استخدامها، بحيث ينبغي الأخذ بالخطر الجهم عند الرجوع إلى مؤلفاته . ولهذا كنت أقصر على ذكر أمثلة قليلة من تراجمه .

في رأى شتيكل أن البين واليسار يميلان في الحلم معنى خلقياً : « فطريق البين تعنى دائماً طريق الاستقامة ، فأما طريق اليسار فتعنى الجريئة . وهكذا قد يصور اليسار الجنسية المثلية أو الزنا بالمحارم أو الانحراف ، بينما يصور البين الزواج أو الاجتماع بيني ، إلخ . » وكل هذا من وجهة النظر الخلقية للفرد الحالم دائماً . (شتيكل ١٩٠٩ ، ٤٦٦) . ويقوم الأقارب في الحلم مقام أعضاء التناسل في غالب الأحيان (ص ٤٧٣) ، بيد أنني لا أستطيع أن . أؤيد ذلك إلا فيما يتصل بالأبناء والبنات وصغار الإخوة والأخوات أى فيما يتصل بالأقارب الذين يملكون تحت مقولة الصغير . كما أنني وجدت من جهة أخرى أمثلة مؤكدة ترمز فيها الأصوات إلى الصدر بينما يرمز الإصوة إلى الردين . ويفسر شتيكل علم اللهاق بعربة يفرق في السن لا سبيل إلى محوه (ص ٤٧٩) . فأما المطاع الذي يحمله المرء في سفر فحمل من الخطيئة يتقل كاهله (ذات الموضوع) . بيد أن مناع السفر على التحقيق كثيراً ما يبين أنه رمز لا يخطئ إلى عضو الحالم التناسلي ، وحدد شتيكل - فوق ذلك - معاني رمزية للأرقام التي يكثر ورودها في الأحلام ، ولكن هذه التراجم لا تبدو مؤكدة التأكيد الكافي ولا صحيحة صحة شاملة - وإن كان تفسير شتيكل يبدو عادة مقنعاً في الحالات الجزئية . ولكن ثبت مع ذلك - من جوانب متعددة - أن الرقم ٣ يرمز إلى عضو الرجل التناسلي . وبين القضايا المعقدة التي ساقها شتيكل قضية تتعلق بالمعنى المزدوج الذي تنطوي عليه الرموز الجنسية ، فهو يقول : « أين هو هذا الرمز الذي لا يمكن استعماله في آن واحد في كلا المعنيين : المذكر والمؤنث - بشرط أن تقبل المخيلة هذا الاستعمال ولو أقل قبول ؟ إن هذا الشرط لا شك يزيل الشيء الكبير من اليقين الذي أطلقت به القضية ؛ إذ الواقع أن المخيلة لا تقبل هذا الاستعمال دائماً . ومع هذا أعتقد أنه لن يكون من نافلة القول إذا أضفت أن تجربتي تدل على أن قضية شتيكل تقصر عن مكافأة واقع يزيدنا تعقداً . فهناك إلى جانب الرموز التي تنوب عن أعضاء التناسل المذكر والمؤنث على السواء ، رموز أخرى تدل على أحد الجنسين دلالة غالبية أو تكاد تكون مائة ، ثم أخرى لا نعرف لها إلا معنى مذكراً أو مؤنثاً : فأن تتخذ الأسلحة والموضوعات المستطيلة الصلبة رموزاً إلى الرحم أو أن تتخذ

الموضوعات المخوفة (مثل الأدراج والصناديق والعلب وغيرها) رموزاً إلى القضيبي - ذلك ما تأباه المخيلة على التحقيق .

ولأنه لمن الصحيح أن نزوع الأحلام ونزوع المخيلة اللاشعورية إلى استعمال الرموز الجنسية استعمالاً مزدوجاً ينم عن سمّة أثرية ؛ لأن الطفل يجهل الفرق بين الأعضاء التناسلية وينسب ذات الأعضاء إلى كلا الجنسين . ولكن من السهل كذلك أن نساق إلى القول خطأ بوجود رمز جنسي مزدوج إذا نسبنا أن هناك عكساً جنسياً عاماً يقع في كثير من الأحلام ، بحيث يصور الذكر بالأنثى ، والعكس . وأمثال هذه الأحلام قد تعرب - مثلاً - عن رغبة المرأة في أن تكون رجلاً .

ومن الممكن كذلك أن تصور الأعضاء التناسلية بوساطة أجزاء أخرى من الجسم ، فتمثل عضو الذكر يداً أو قلعاً ويمثل فتحة الفرج القدم أو الأذن أو حتى العين . وإفرازات الجسم البشري . المخاط واللمع والبول والمني ؛ إلخ . قد يحل بعضها محل البعض الآخر في الحلم . وقد زيد راينلر (١٩١٣ ب) قضية شبيكل هذه - وهي صحيحة في جعلها - تقييداً نقدياً صائباً إذ لاحظ أن الأمر يتعلق في جوهره بإحلال إفرازات لادلالة لها محل آخر له دلالة كالمني .

هذه الإشارات على قصورها قد تكون كافية في الحث على دراسة أخرى جامعة أشد عناية^(١) . وقد حاولت من جانبي أن أتناول رمزية الحلم بمزيد من التفصيل في محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي ، (١٩١٦ / ١٩١٧)^(٢) .

وأضرب الآن بضعة أمثلة على استخدام أمثال هذه الرموز في الحلم ، أمثلة تبين كيف يستحيل الوصول إلى تفسير الحلم إذا استبعد المرء رمزية الحلم ، وكيف يضطر المرء في حالات كثيرة إلى التسليم بهله الرمزية تسليها لا منازعة فيه . غير أنني أود في الوقت عينه أن أحلر من المغالة في تقدير أهمية الرموز في الحلم حتى تقصر ترجمة الحلم على ترجمة الرموز تاركين منهج الاستناد إلى مستدعيات الحلم . فالواجب هو أن

(١) إنه مهما كان الفرق بين رأي شرلر في رمزية الحلم وبين الرأي الذي أجريه حل هذه الصفحات لن الواجب أن أنه إلى أن شرلر يجب أن يعد المكتشف الحقيقي للرمزية في الحلم ، وإن الأبحاث التحليلية قد استرجعت لكتابه مكانه بعد أن ظل هذا الكتاب الذي نشر منه عهد طويلاً (١٨٦١) يعد أثراً من آثار مخيلة جامعة .

(٢) [نقله إلى العربية الدكتور عزت ناجح] .

نكمل كلتا الطريقتين الأخرى . ولكن المثل الأول يظل دائماً - سواء من حيث العمل أو النظر - للطريقة التي بدأت بوصفها ، بينما تظل ترجمة الرموز في متناولنا من حيث هي منهج مساعد .

١ - القبة من حيث هي رمز إلى الرجل (أو إلى أعضاء الرجل التناسلية)^(١)

(نبذة من حلم امرأة في مقبل العمر تشكو غثافة الأماكن الطلقة نتيجة الخوف من الغواية)

« أسير في شارع والفصل فصل الصيف حاملة لبة من القش كان لها شكل غريب ، قد مال جزئها الأوسط متجهاً إلى أعلى بينما تدلت حافتها إلى أسفل (تلك في الوصف مهنا) ، وتدلتا بحيث صار أحد الجانبين منخفضاً عن غيره . وكنت في مزاج ملو المرح والثقة ، فلما مررت بجساة من الضباط الشبان ، حدثت نفسي قائلة : ليس بينكم أحد يستطيع لذلك » .

لما رأيت القبة لا تستدعي شيئاً في ذهن الحاملة ، قلت لها : « ولا شك في أن القبة ترمز إلى عضو الرجل بجزءها الأوسط المتجه إلى أعلى وبخافتها المتدليتين . قد يبدو عجباً أن تكون القبة رجلاً ولكنك تعلمين كيف نقول : وقَعَت تحت القبة [وهو تعبير ألمانى بمعنى تَزَوَّجَت] . » وامتنت عامداً عن أن أفسر لها تدلى حافتي القبة تدلياً غير متساو ، مع أن أمثال هذه التفاصيل هي التي يجب أن تحدد اتجاه التفسير . ولكنني مضيت أقول : إنها وقد أصبح لها بذلك زوج له هذه الأعضاء الفاخرة لم تعد بحاجة إلى أن تخشى شيئاً من هؤلاء الضباط ، أى لم تعد بحاجة إلى أن ترغب في شيء منهم ، فقد كان ما تتخيله من إمكانية إغوائها هو السبب الجوهري الذي يحول بينها وبين الخروج من غير حام أو مصبة . وكنت قد استعطت مراراً من قبل أن أفسر هيلها هذا التفسير الأخير استناداً إلى مادة أخرى .

وكان مسلك الحاملة عقب هذا التفسير مسلماً ملحوظاً إلى أبعد مدى : ذلك أنها استردت وصفها للقبة وأصررت على أنها لم تقل قط : إن حافتيها كانتا تتدليان . ولكنني كنت موقناً مما سمعت يقيناً يستحيل معه التفضيل ، فثبت على موقفي . وظلت هي صامته برهة ثم وجدت الشجاعة الكافية لكي تسأل : ما معنى أن تتدلى إحدى المحصنين عند

(١) من " إشارات إلى تفسير الأحلام " لرويه ١٩١١ أ .

زوجها دون الأخرى ، وهل الأمر كذلك عند جميع الرجال ؟ وبهذا انتضحت تلك الخاصة العجيبة في القبة ولقى التفسير كله قبول الحاملة .

لقد كنت أعرف رمز القبة منذ زمن طويل حين روت لي الحاملة هذا الحلم . وكانت هناك حالات أخرى . لكنها أقل شفافية ، جعلتني أعتقد أن القبة قد تنوب كذلك عن عضو المرأة التناسلي^(١) .

٢ - الطفل الصغير رمز إلى عضو التناسل -

السقوط تحت العربة رمز إلى الجماع

(حلم آخر للعريضة السابقة)

أرسلت أمها ابنتها الصغيرة خارج المنزل بحث المضطرب إلى أن تلعب وحدها . تركب بعد ذلك تظاراً مع أمها وتلح صليبتها وهي تسير على سكة الحديد بحث لا يصبح مفر من وقوعها تحت مجلات القطار . تسع لقطة عظامها (ويحدث ذلك في نفسها شعوراً غير مريح ولكنه لا يبلغ مبلغ الانتباغ الحق) . تدبر نظرها خارج لليلة العربة لترى هل تستطيع رؤية الأجزاء من الخلف ثم تنحى على أمها باللائمة لأنها تركت صليبتها تخرج وحدها .

التحليل : ليس من السهل أن نورد التفسير الكامل لهذا الحلم ، فهو قد جاء بين أحلام تابعت حلقاتها ولا يمكن فهمه إلا موصلاً بسائره ، وإذنه لمن الصعب أن ننزل المادة اللازمة لإثبات رموزه عزلاً كافياً . رأت الحاملة أولاً أن رحلة القطار ينبغي تفسيرها تفسيراً تاريخياً ؛ فهي تشير إلى رحلة قامت بها حين غادرت مصحة للأمراض العصبية لا نحتاج إلى أن نقول : إنها قد أغرمت بمديرها . وكانت أمها قد ذهبت إليها لتصلحها وجاء الطبيب إلى المحطة وأسلمها باقة من الزهور ، هدية فراق ، وكان يبرمجها كل الحرج أن تشهد أمها هذه التقدمة . وأمها - إذن - تظهر في هذا الموضع في صورة شخص يعكر صفو جهودها من أجل أن تحب ، وهو دور لعبته هذه السيدة الصارمة حقيقة والمریضة لا تزال فتاة . وتدور مستعياها بعد ذلك حول هذه الجملة ، تدبر نظرها لترى هل تستطيع رؤية الأجزاء من الخلف . إن مظهر الحلم يحملنا بالطبع على أن نظن أن المعنى هو أجزاء فتاتها الصغيرة التي جرى القطار فوقها وطحنها . ولكن مستعياها تنهب

(١) انظر مثالا من هذا النوع رواه كرفسجابر (١٩١٢) . ودرى شينكل (١٩٠٩ ، ١٧٥) .
حلماً يرمز فيه قبة بُنيت في وسطها ديرة مقومة إلى رجل (حاجز صجراً جنسياً) .

بها في اتجاه آخر : فهي تذكر أنها رأت والدها عارياً في غرفة الاستحمام مرة ، ورأته من الخلف . وتمضى المريضة فتحدثت عن الفروق بين الجنسين ، وتلح على كون الأعضاء التناسلية للرجل تمكن رؤيتها من الخلف بينما الحال مع المرأة خلاف . وفي هذا السياق تفسر المريضة بنفسها « الصغيرة » بكونها تعنى أعضاء التناسل و « صغيرتها » بمعنى أعضائها هي - وكانت لها طفلة في الرابعة . وهي تنحى باللائمة على أمها لأنها أرادت لها أن تحيا كما لو لم تكن لها أعضاء تناسل ، وتنبيه إلى أن هذا اللوم متضمن في جملة الحلم الأولى : ترسل أمها ابنتها الصغيرة خارج المنزل بحيث تضطر إلى أن تنعّب وحدها . فأن تنعّب وحدها في الطريق يعنى في مخيلتها أن تكون بغير رجل ، أى بغير حياة جنسية (Coire = سار مع)^(١) . ولأنها لتكره ذلك . ويخلص من كل رواياتها أنها - وهي فتاة - قد عانت الأمرين حقيقة من جراء غيرة أمها منها ، غيرة مبعثها إثارة أبيها لها .

فأما التفسير الأعمق لهذا الحلم فيتضح من حلم آخر أناتها في الليلة عنها ، وهو حلم عينت فيه ذاتها بأخيها . والحق أنها كانت فتاة كالولد ، ولكن سمعت أنه كان أولى بها أن تكون صبياً . هذا التعيين بالأخ قد أضفى وضوحاً خاصاً على ما تشير إليه « الصغيرة » من معنى عضو التناسل ، فالأم كانت تهدد الأخ (أى تهددها) بالخصاء . وهو ما لا يمكن أن يكون إلا عقاباً على اللعب بأعضاء التناسل ، وتعيينها ذاتها بأخيها بدل بذلك على أنها قد مارست هي نفسها الاستمناء - وهو أمر لم تعد تذكره اليوم إلا عن أخيها وحده . ويخلص من معطيات هذا الحلم الثاني أن المريضة لا بد قد حصلت على بعض المعرفة بأعضاء الذكر التناسلية في ذلك الوقت المبكر . معرفة آلت بعد ذلك إلى النسيان . أضف أن هذا الحلم يشير إلى النظرية الجنسية التي يعتقد الأطفال بمقتضاها أن الفتيات صبيان مخفيون . وإلى حين أشرت إلى هذا الاعتقاد الطفلي أيدته على الفور بقصة تحكى عن ولد صغير يسأل فتاة صغيرة : مقطوع ؟ فتجيبه الفتاة : كلا ، كان كذلك دائماً . وعلى ذلك فلرسال الصغيرة (عضو التناسل) إلى الشارع يتعلق في الحلم الأول أيضاً بوعيد الخصاء ، وهي في النهاية حائقة على أمها لأنها لم تلدها ولداً .

فأما أن « السقوط تحت العربة » يرمز إلى الجماع فلا يتضح من هذا الحلم ، وإن كان قد تأيد من مصادر أخرى متعددة .

(١) [Coire فعل لاتى بمعنى جامع ، وترجمته الحرفية سار مع أو سابر] .

٣ - تصوير أعضاء التناسل بوساطة

المباني والسلاسل والمفاور

(حلم شاب كله مركب الأب)

يتشى مع والده فمكان لا شك أن أنه متزوهراتر (١) لأنه - أمى الحالم - يرى مبنى الروتوندأ وقد تقسمه بناء صغير شد إليه متطاد بحبال، غير أن المتطاد بدا متراخياً بعض الشيء. يسأله والده لم كل هذا ؟ ويجب الحالم لسؤال أبيه غير أنه يشرح الأمر له . يجهتان بعد ذلك إلى فناء طرح حل أرضه لوح من الصفيح . يريد والده أن يتزح جزأته ، ولكنه يدير البصر حوله قبل الإقدام حل هذا الفعل لكى يرى حل هناك عين ترقبه . يقول لأبيه : إنه لا يحتاج سوى إلى مصارسة الحارس وله بعد ذلك أن يأخذ ما أراد وهو خال البال . يتحدر من الفناء درج إلى مغارة فى جوف الأرض نجحت حوالطها تنجيداً وثيراً كما يكون السقاعه الجلدية ، وفى نهاية المارة دهليز طويل تبدأ بعده مغارة ثانية . . .

إن هذا المريض ينتسب إلى طائفة من المرضى لا يبشر العلاج معهم بخير كثير ، فهم يماشون التحليل مسافة معينة دون أن تظهر منهم مقاومة ما ثم بعد ذلك يتقبلون فلا يكاد يكون ثمة مجاز لإبهم . ولقد استقل المريض بتفسير حلمه هذا استقلالاً كاد أن يكون تاماً ، فقال : « إن الروتوندأ هى أعضاء التناسل عندى والمتطاد المشدود قدامها قضيبى الذى أرى فى ارتخائه مدعاة إلى شكائى » . ولنا إذن أن نزيد كلامه تفصيلاً فنترجم الروتوندأ بالردفين - اللذين يخلطهما الطفل بين أعضاء التناسل عادة - ونترجم المبني الصغير الذى يتقدم الروتوندأ بكيس الخصيتين . ويسأله أبوه فى الحلم ما معنى هذا كله : أى ما الغرض من أعضاء التناسل وما عملها . ولكن لا يخفى أن العكس هو الصحيح بحيث يكون المسئول سائلاً . ولما كانت الحقيقة هى أنه لم يسأل والده مثل هذا السؤال فقط فعلينا أن نقدر أن فكرة الحلم رغبة أو شىء أشبه بمجمله شرطية : « لو أننى سألت والدى بعض الإيضاح الجنسي . . . » وستكشف لنا بقية الجملة عاجلاً .

وأما الفناء الذى طرح لوح الصفيح على أرضه فلا ينبغي أن نبدأ بأخذه مأخذاً رمزياً ، بل هو مستمد من محل عمل والده . ولقد اقتضى داعى الأمانة على السر أن أستبدل الصفيح بالمادة الأخرى التى يتجر فيها والد الحالم دون أن أغير شيئاً من نص الحلم فيها خلا ذلك . وكان الحالم قد التحق بمؤسسة أبيه واحتج احتجاجاً عنيفاً على ما

(١) [متزوهرت فى فواصلى لينا ، ورد ذكره من قبل فى ص ٢١٣] .

رآه من تصرفات مشبوهة بعض الشيء كانت تعتمد عليها أرباح المؤسسة إلى حد . ومن هنا جاز أن نكمل فكرة الحلم المذكور في الفقرة السابقة على هذا النحو : « (لو أنني سأنته) لغشني مثلما يصنع بعمالته . » فأما الالتزاع الذي أفاد في تصوير غش الأب فيورد الحلم من تلقاء نفسه تفسيره الثاني : إنه يعنى الاستثناء - وهو تفسير عرفناه منذ زمن طويل (انظر ص ٣٥٦) ولكن يؤيده هنا أتم التأييد أن يُعترَب عن السر الذي يحوط الاستثناء عادة بضده (من الممكن أن يؤتى ذلك علانية) . ويتفق وتوقعنا بعد ذلك كل الاتفاق أن ينقل الاستثناء إلى الأب مثل السؤال في المشهد الأول من الحلم . وأما المغارة فيبادر الحلم - وهو يفكر في حشو حوائطها الوثير - إلى تفسيرها بالمهبل . وأضيف مستنداً إلى ما تعلمته من تحليلات أخرى أن النزول - مثل الصعود في بعض الحالات - يصف الاتصال الجنسي في المهبل (انظر ملاحظاتى في ١٩١٠ د ، وانظر الخامس الذى فى ص ٣٦١ من هذا الكتاب) .

وأما أن يتبع المغارة الأولى دهليز طويل ثم مغارة ثانية فيفسره الحلم أيضاً تفسيراً مستمداً من تاريخ حياته : فهو قد عرف الجماع حيناً ثم انقطع نتيجة للكف ورجوع اليوم أن يعينه العلاج على استرجاع قدرته . بيد أن الحلم يغمض مع ذلك قرب النهاية ، ولا شك في أن كل عارف سوف يرجع أن موضوعاً آخر قد أخذ يتطرق إلى المشهد الثانى من الحلم ويؤثر فيه تأثيره . وهو موضوع يشير إليه عمل الوالد وتصرفاته المحتالة والمهبل الأول المصور في صورة المغارة . وهكذا يستطيع المرء أن يفترض أن لهذا الموضوع صلة بالأم .

٤ - الرمز إلى أعضاء التناسل عند الرجل

بوساطة الأشخاص وعند المرأة بمنظر طبيعى

(حلم امرأة من عامة الشعب كان زوجها من رجال الشرطة)

(رواء ب . داتز)

... . وتعتقد أتم البفس الشقة لصاحت - وقد امتلأت رجا - تستنجد رجلا من رجال الشرطة ولكن رجل الشرطة هنا يدخل في هدوء كنية [Kirche] ^(١) كانت تسلم إليها عدة من الدرجات ^(٢) ، وكان يصحبه ألقان .

(١) أو كنية صغيرة (Kapelle) = مهبل .

(٢) رمز إلى الاتصال الجنسي .

كان يشيح من وراء الكنية جبل (١) تملو غابة كيفة (٢). وكان رجل الشرطة يرتدى خوذة وصداراً مطلياً وصحاة (٣). وكانت له لحية حمراء ، وأما الأفتان اللذان كانا يصحبانه لقد شد كل منهما إلى حذو إزاراً أبيه بالفرار (٤). كان هناك طريق يسلم من الكنية إلى قمة الجبل وعلى جانبي هذا الطريق لبت حشائش وشجيرات كانت تزود على طول الطريق كثافة حتى صارت فوق قمة الجبل غابة حقيقية .

٥ - أحلام الخصاص عند الأطفال

(أ) استيقظ طفل يبلغ من العمر ثلاث سنوات وخمسة أشهر - وكان من الجبل أنه لا يرتاح إلى فكرة رجوع والده من جبهة القتال - استيقظ ذات صباح متزعجاً ، سائلاً ، ملحاً في السؤال : لم كان بابا يحمل رأسه على طبق ؟ كان بابا يحمل رأسه على طبق في الليلة الماضية .
(ب) ويذكر طالب يعاني اليوم عصبياً قهرياً شديداً أن الحلم الآتي قد عاده مرات متكررة وهو في السادسة من عمره : يلعب إلى الحلاق لكي يقص شعره . تدخل فتاة امرأة ضخمة سائمة اللامع وتقطع رأسه . يعرف أن المرأة أمه .

٦ - رموز البول

إن الرسوم التي يراها القارئ هنا قد اكتشفها فرتسي في صحيفة هزلية هنغارية (هي صحيفة « فيدييوس ») فلم يفته أن يرى كيف يمكن استخدامها في تصوير نظرية الحلم ، ولقد سبق أوتو رانك إلى نقلها في مقال له (١٩١٢ أ) .

كانت هذه الصور تحمل العنوان الآتي : « حلم مربية فرنسية » ولكن الصورة الأخيرة التي نربينا المربية وهي تستيقظ على صراخ الطفل هي وحدها التي تجعلنا ندرك أن الصور السبع السابقة إنما تصور مراحل في حلم واحد . فالصورة الأولى تبين المنبه الذي كان ينبغي أن يؤدي إلى البقطة : فالطفل يستشعر حاجة ويطلب معاونته على قضائها . ولكن الحلم يخيل إلى الحاملة أنها تصطحب الطفل في نزهة وليست نائمة في غرفته . وهي في الصورة الثانية قد أخذته إلى جانب الطريق حيث نراه يتبول - وما إذن أن تمضي في نومها . ولكن المنبه يستمر ، بل يزداد ، فالطفل إذ لا يجد أحداً يسارع

(١) Mons veneris [جبل الزمراء] .

(٢) Crines rubris [شعر المانة] .

(٣) في رأى خير أن الشياطين المكسبة ببدايات وطراير ذات طبيعة نفسية .

(٤) نصفاً كيس الخصيتين .

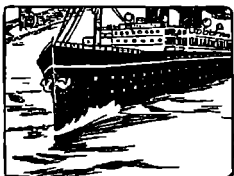
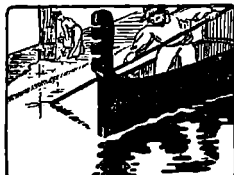
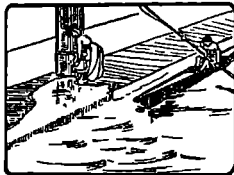
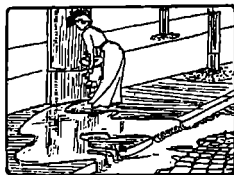
إليه يرفع صوته بالصرخ . وكلما ألح في إيقاظ مربيته وفي طلب عونها أكد لها الحلم أن كل شيء على ما يرام وأنه لا داعي يدعوها إلى الاستيقاظ . وفي هذا الوقت عينه يصور الحلم الزيادة في المنبه بالزيادة في أبعاد الرموز الرامزة إليه : فيجرى الماء الذي يحدنه التبول يزيد عنفواناً . فما أن تأتى الصورة الرابعة حتى تنصير منه الكفاية لقارب ذى مجداف ، ثم لجندل . فركب ذى شراع . وفي النهاية بانخرة . وهكذا استطاع رسام ماهر أن يصور الصراع بين حاجة عنيدة إلى النوم ومنبه لحوح يدفع إلى اليقظة تصويراً حاذقاً .

٧ - حلم سلم (رواه أوتو رانك طبره)

« وأشكر أيضاً هذا الزميل الذى أدين له بحلم المنبه السنى (وهو حلم مذكور هنا في ص ٣٩٢ وما بعدها) على حلم آخر من أحلام الإيماء لا يقل عنه شفافية :
« أنهى السلم ملاحظاته صغيرة ارتكبت في حق شيئاً ما أريد متابعتها عليه . يظنها لي منذ نهاية السلم شخص ما (أوه امرأة راشدة ؟) أسك بالفتاة ، ولا أعلم هل ضربتها ، لأنى وجدتني فجأة على منتصف الدرج أجامع الطفلة (كما لو كان ذلك في الهواء) . لم يكن ذلك جسماً حقيقياً ، بل كنت أحك بمضغى أعضائها الخارجية التى كنت أراها في هذه الأثناء متبصرة غاية التميز كما كنت أرى رأسها الذى ارتد إلى الوراء بجمل إلى أحد الجانبيين . وبها كنت أخذاً في الفعل الجنى رأيت صورتين مقلبتين فوق من يسارى (كما لو كان ذلك أيضاً في الفضاء) ، وكانت كلتاها تصور منزلاً تحيط به الأشجار وكان اسمى مكتوباً بأسفل أصغر الصورتين في موضع توقيع الرسام ، كأنما أريد بالصورة أن تكون هدية عيد ميلاد إل . وطلعت أيضاً أمام الصورتين لافتة كتب عليها : الصور الأربع يمكن الحصول عليها أيضاً (ومثل ذلك أراى كما لو كنت نائماً في سرير على نصة السلم رؤية مبهمة إلى أهد حد) ثم يقتضى شعور بالبلل الذى أحدثه الإيماء .

« التفسير : ذهب الحلم في مساء يوم الحلم إلى إحدى المكاتب وبينما كان ينتظر تلبية طلبه أجال بصره في صورة كانت تعرض هناك وكانت تصور موضوعات أشبه بما رآه في الحلم . وراقته بنوع خاص لوحة صغيرة فاقرب منها ليتبين اسم الرسام ، فكان اسماً لا يعرفه على الإطلاق . »

« وحدث بعد ذلك في هذه الأمسية عينها أنه كان في رفقة جماعة من الأصدقاء ، فسمع قصة تحكى عن خادم بوهيمية كانت تفاخر بأن ابنها غير الشرعى وقد صنع على السلم . واستفسر الخادم عن تفاصيل هذه القصة غير المألوفة فعلم أن الخادم اصططبت عاشقها يوماً إلى منزل ولديها فلم يجدها هناك فرصة للاجتماع وغلب الشيق الرجل فألقى فعله



معها على السلم . وعندئذ لمح الحلم تلميحاً مازحاً إلى تعبير حيث يطلق في وصف الأبهة المخلوطة : إن هذا الطفل قد جاء حقيقة "من كرومة زرعت في بئر سلم" .

وتلك هي وشائج الحلم باليوم السابق : وهي وشائج ظهرت في محتوى الحلم بشيء من الإلحاح وسردها الحلم دون أن يلاقى في سردها صعوبة ما . ولكنه ذكر أيضاً بمثل هذه السهولة طرفاً من إحدى ذكريات طفولته . ذكرى لقيت هي الأخرى في الحلم وجه استخدامها : فالسلم قد أخذ من المنزل الذي قضى فيه الحلم معظم طفولته وفيه - على الأخص - حصل أول معرفته الشعورية بالمسائل الجنسية . وكان الحلم كثيراً ما يلعب على هذا السلم . ومن صنائمه في هذا المضمار استطاع الجُلُتَى والتزحلق عليه وهو فعل كان يطلق عنده أحاسيس ذات طابع جنسى . وإنه في الحلم كذلك ينلغ على الدرج في سرعة خارقة حتى أن قلعيه - على حسب تعبيره - لم تكونا - والحق يقال - تلمسان السلم درجة فدرجة ، بل كانتا « طيراناً » طيراناً - كما نقول . فإذا حسبنا لهذه الخبرة الطفلية حسابها ، بدا أن بداية الحلم تصور عامل الهياج الجنسي . غير أن الحلم قد عبث أيضاً مع أبناء الجيران عبثاً جنسياً فوق هذا السلم وسلم البيت المجاور وكثيراً ما أشبع رغباته الجنسية في خلال هذا العبث على نحو يماثل نحو إشباعها في الحلم كل المائلة .

« فإذا تذكرنا أن أبحاث فرويد (انظر ١٩١٠ أ [وانظر ص ٣٦٣ فيها سبق] قد بينت أن السلام وصعودها تقوم في الحلم مقام الجماع قياماً لا يكاد يكون له استثناء ، غدا الحلم شفافاً كل الشفافية . فالدافع إليه - كما يظهر في الحقيقة من خاتمته ، وهي الإنزال - كان دافعاً لبيدياً محضاً . فقد استيقظ الهياج الجنسي للحالم أثناء نومه - وهو ما تصور في الحلم باندفاعه على السلم - وكان في هذا الهياج عنصر سادى يرجع تكونه إلى عبث الطفولة ودلت عليه مطاردة الحلم للطفلة وسبقه إياها . وزاد الهياج الليبى شدة حتى حث على الفعل الجنسي - وهو ما تصور في إطباق الحلم على الطفلة وحمله إياها إلى منتصف السلم . وإلى هنا لم يكن الحلم جنسياً إلا على نحو رمزى ، ولعل الحلم كان يستغل كل الاستغلاق على من لا مراس له بتفسير الأحلام . بيد أن مثل هذا الإشباع الرمزي لم يكف لأن يكفل للحالم رقوداً هادئاً ، لشدة التهييج الليبى . فكان أن أدى التهييج إلى الإنزال ، وبنا انكشف أن رمزية الحلم بمخافتها كانت تصور الجماع . وإذا كان

فرويد يذهب إلى أن أحد الأسباب الداعية إلى استخدام صعود السلم رمزاً جنسياً هو الطابع التوقيعي الذي لكلا الفعلين ، فهنا الحلم شاهد يؤيد كلامه في وضوح خاص ، لأن الحالم قد ذكر صراحة أن أبرز عناصر حلمه جميعاً كان توقيع الفعل الجنسي وحركته صعوداً وهبوطاً .

« تبقى ملاحظة خاصة بالصورتين اللتين ظهرتا في الحلم بمعنى رمزي ، بمعنى « صور نساء »^(١) إلى جانب المعنى الموضوعي : إن ذلك ما يشهد به وجود صورة كبيرة وأخرى صغيرة مثلما جاءت في الحلم من قبل امرأة كبيرة (أو راشدة) وطفلة صغيرة . كما أن إمكانية الحصول على الصور الأرضى تؤدي إلى مركب البغايا . هذا بينما يلمح إلى المركب الوالدى ظهور اسم الحالم في الصورة الصغرى ثم تفكيره في أن هذه الصورة يراد إهداؤها إليه يوم عيد مولده (ولد على السلم = جاء نتيجة الجماع) .

« فأما المشهد الأخير غير المتميز - حين يرى الحالم نفسه راقداً في سريره على فصحى السلم مع إحساس بالبلل - فيبدو أنه يشير إلى عهد من عهود الطفولة يسبق عهد الاستمناء الطفلي أيضاً . وأغلب الظن أنه مشهد يستمد مثاله المختلى من مشاهد مشبعة أيضاً بالالفة تتعلق ببلل الفراش » .

٨ - حلم سلم معدل

كان بين مرضى مريض بنفر من الحياة الجنسية نفوراً أملاًه عصاب شديد وكانت تخيلاته مشبعة على أمه وكان يحلم مراراً بأنه يصعد السلم في صحبتها . واتفق أنى ذكرت له أن الاستمناء مع شيء من القصد لن يضره في أغلب الظن ضرر امتناعه القهري هذا ، فكان من أثر هذه الملاحظة أنه حلم الحلم الآتى :

« يبين سلم ليانو مل إماله المعرف لأنه لم يجد دراسات " موهلوس ولا "مراق الباناس" لكلمينى .

ويعقب المريض على هذا الحلم فيلاحظ أن المراق أيضاً درجات وأن المعرف نفسه درج لأنه يحتوى على سلام .

(١) ["Weltbildler" تعبير ألماني دارج بمعنى : نساء] .

إن المرء لا يجانب الحق إذا قال : إنه ما من طائفة من الأفكار إلا أمكن استخدامها في تصوير حقائق الحياة الجنسية ورغباتها .

٩ - الشعور بأن ما يرى في الحلم حقيقة

وتصوير التكرار

قص رجل يبلغ اليوم الخامسة والثلاثين من عمره حلماً بتذكره تذكراً واضحاً ويدعى أن هذا الحلم قد أتاه وهو في الرابعة من عمره : أحضر سجل العقيد المكلف بإنفاذ وصية والده - وكان والده قد مات وهو طفل في الثالثة - كثرين كبيرتين أصلي إحداهما ليأكلها ووضعت الثانية حل مارضة الثالثة التي في حيرة الجلس . أعطى إحداهما ليأكلها ووضعت الثانية على عارضة النافذة التي في حجرة الجلوس . واستيقظ الحلم وهو مقتنع بحقيقة ما رأى حتى إنه ألح على أمه في طلب الكمثرى الثانية مؤكداً أنها ما زالت بعارضة النافذة مما أثار ضحك أمه .

التحليل : كان سجل العقود سيداً متقدماً في السن مرحح الطبع . واتفق ذات مرة أنه أحضر حقيقة بعض الكمثرى - كما يتفقد الحلم تذكره . وأما عارضة النافذة فكانت كما أراها في الحلم ، ولم يخطر بباله خاطر آخر بصدها - سوى أن أمه كانت قد روت له حلماً منذ زمن قريب : رأت طائرين يقبعان فوق رأسها . فسألت نفسها ، متى يطيران بعيداً عنها ؟ ولكنهما لم يطيرا بعيداً . بل طارا أحدهما إلى فيها وأخذ يحسو منه .

وكان وقوف مستدعيات الحلم يحول لنا الحق في أن نحاول تفسير حلمه بترجمته الترجمة الرمزية : إن الكمثرين - تفاح وكمثرى^(١) - هما ثديا الأم اللذان غذياه . وأما عارضة النافذة فهي بروز صدرها ، مثل الشرفات في أحلام المنازل [انظر ص ٣٦٣] . وهو محق في شعوره بعد البقطة بحقيقة ما رأى ؛ فقد أرضعت أمه حقيقة . بل تبادت في ذلك إلى ما يعدو الحد المألوف كثيراً وكان صدرها إذ ذاك لا يزال متاحاً له . فالحلم تنبئ ترجمته : يا أماه . اعطني (أو أريني) مرة ثانية صدرك الذي نهلت منه مرة من قبل . . و « المرة التي من قبل » قد ترجمت في الحلم بالكمثرى التي أكلت ، وترجمت « المرة الثانية » بسؤاله عن الأخرى . فالتكرار الزمني للفعل ينقلب في الحلم بانتظام إلى تكثير عدي للموضوع .

(١) [pommes et poires] - رموز دارية إلى الأسماء في اللغة الفرنسية .

ولأن تأخذ الرمزية بنصيب في حلم طفل ما زال في الرابعة أمر بالطبع من أشد الأمور جذباً للنظر . ولكن ذلك ليس استثناء بل هو القاعدة . وما بجانب الصواب إذا قلنا : إن الحلم يمد لغة الرموز في تناوله منذ البدء .

وها هي ذى ذكرى خالية من كل تأثير غريب تقصها سيدة تبلغ اليوم السابعة والعشرين من عمرها ، وإنها لترينا بأى سن مبكرة يصطنع الإنسان لغة الرموز خارج الحياة الحاملة كما في داخلها : كانت سناً بين الثالثة والرابعة حين أغلقتها مريبتها إلى مرقن المياه مع أمها الذى يصرها بأحد عشر شهراً وفاة قريبة يحسها في السر ، لكن يقضى الجميع حلجاتهم قبل أن يخرجوا للترفة . وكانت هي أكبر الثلاثة لمجلت على مرحاض الكبار في حين جلس الطفلان الآخران على الأرض المصمتة للأطفال . ومنا سألت الراوية قريبتها : أنت أيضاً تملكين كياً ؟ إن فاطر يك صغيراً ، وأما أنا فكيس . فأجابته القريبة : نعم ، أنا أيضاً أملك كياً . وصحت المربية حديثها ضاحكة ثم نقلته إلى سيدتها ، فكان جوابها تقريباً معكاً .

وأسرد هذا الموضع حلماً مكتسباً رموزه البديعة المتقاة من تفسيره بغير كبير استعانة بمعتقدات الحاملة :

١٠ - مسألة الرمزية في أحلام الأصحاء (١)

« هناك اعتراض يكثر منه خصوم التحليل النفسى - وردده هافلوك إليس أخيراً (١) وهو يتلخص في أن رمزية الحلم قد تكون ناتجاً للنفس العصابية ولكنها تفقد كل صدق فيما يتصل بالأشخاص السويين . وإن البحث التحليلي النفسى إذا كان لا يرى فارقاً أساسياً بين الحياتين السوية والعصابية ، بل كل الفرق عنده في الكم ، فإن تحليل الأحلام التى تعمل فيها المركبات المكبوتة عند المرضى والأصحاء على السواء يرينا عينية تامة بين الأحلام هنا وهناك ، سواء أمن حيث الميكانيكيات أم من حيث الرموز ، بل إن أحلام الأصحاء الساذجة كثيراً ما تحوى رموزاً أقل تعقيداً وأكثر شفافية ودلالة مما يرد

(١) من ألفريد رويشك ، ١٩١٢ ، ص ٣٤٠ .

(٢) " عالم الأحلام " لندن ١٩١١ ، ص ١٦٨ .

في أحلام العصابين ، فهذه قد تستغل على التفسير وتتعذر نتيجة لفعل الرقابة الأشد وما ينجم عنه من تشويه أوسع نطاقاً . والحلم الذى أرويه ينفع في تصوير هذه الحقيقة . إنه حلم فتاة لا تشكو عصباً ، يغلب على طبعها الحفر والتحفظ . علمت وأنا أتحدث معها أنها قد خطبت ولكن تحول دون زواجها عقبات ربما ألحأت إلى إرجائه . ولقد روت لى الحلم الآتى من تلقاء نفسها :

« أهى ، وسط إحدى الموائد بأزهار استناداً لميلاد ^(١) . وتقول الفتاة لإجابة عن سؤال سألتها إياه : إنها بدت في الحلم كأنما كانت في بيتها (وهى لا تعيش فيه في الوقت الحاضر) . وأن شعوراً بالسعادة كان يخالجها .

« إن الرموز "الشعبية" تمكننى من ترجمة هذا الحلم وحدى . فهو يعرب عن رغبنا في العرس : فالمائدة المزودة بالأزهار في وسطها ترمز إليها هى وإلى أعضاء التناسل عندها . وهى تصور رغبة المستقبل محققة : فهى ذى تشغل بالتفكير في عيد ميلاد الطفل كأنما الزواج وراها بينه وبينها أمد بعيد .

« وأقول لها : إن وسط إحدى الموائد ^(٢) تعبير غريب بعض الغرابة (وهو أمر توافقنى عليه) ولكننى بطبيعة الحال أحجم عن أن أوجه إليها سؤالاً مباشراً في هذا الصدد ، فقد كنت حريصاً على ألا أوحى إليها تفسير الرمز ، واكتفيت بسؤالها عما يدور بخلدتها فيما يتصل بأجزاء الحلم المتفرقة . ولم يلبث تحفظها أن انحسر في سياق التحليل ليحل محله اهتمام بالتفسير ومصارحة مكن لها ما اتسم به الحديث من طابع الجدل . سألتها أى الأزهار كانت ، فأجابت على الفور : « أزهار غالبية لا يتناولها المرء إلا إذا دفع ^(٣) ، ثم أردفت : زنايق الوادى وينفسج وقرنفل ^(٤) . وتراعى لى أن كلمة الزليقي قد وردت في هذا الحلم بمعناها الشعبي من حيث هى رمز للطهارة ، فأبدت الفتاة كلامى لأن الزليقي يستدعى في ذهنها الطهارة . ولكن الوادى رمز أنثوى يشيع في الأحلام ، فكان

[I arrange the centre of a table with flowers for a birthday.]

(١)

[the centre of a table].

(٢)

['Expensive flowers; one has to pay for them']

(٣)

['Lilies of the valley, violets and pinks or carnations ?']

(٤)

رمزية الحلم قد استغلت التقاء كلا الرمزية التقاء عارضاً في الكلمة الإنجليزية الدالة على هذه الزهرة ^(١) من أجل توكيد نفاسة عندها - أزهار غالبية ، لا ينالها المرء إلا إذا دفع - ومن أجل الإعراب عن أملها في أن يعرف رجلها كيف يقدر قيمتها حق قدرها ولن نلبث دون أن نرى أن هذه الملاحظة : « أزهار غالبية . . . إلخ » كان لها معنى يختلف باختلاف الأزهار الثلاث الرامزة .

« وخطر لي - وهو خاطر بدا لي غاية في الجراءة - أن أفسر 'violet' [بنفسج] الظاهرة الخلود من كل وجه جنسى بصلة بينها وبين الفرنسية « viol » [اغتصاب] ، فشد ما كان دهشى إذ رأيت الحالة تستدعى « violate » وهي الكلمة الإنجليزية الدالة على : اغتصب . فكأن الحلم قد استغل هذا الجناس العارض الكبير بين كلمتي 'violet' و 'violate' - والحق أنهما لا يختلفان في النطق الإنجليزي إلا من حيث نبرة المقطع الأخير - في الإعراب بـ " لفة الأزهار " عن أفكار الحالة حول القوة التي في قض زهرة المغاف (وهو تعبير آخر يستخدم لغة الرموز) . ولعله استغله في الإعراب كذلك عن سمة ما سوشية من سمات طبيعتها - وهو مثال جميل على الجسور اللفظية التي يمر بها الطريق إلى اللاشعور . وأما قولنا : « لا ينالها المرء إلا إذا دفع » فيعني - في هذا الموضوع - حياتها التي يجب أن تدفعها لكي تصير زوجاً وأماً .

« وأما كلمة « paint » [قرنفل] التي ألحقت بها مرادفها 'carnations' فقد ذهبت بخاطري إلى الصلة بينها وبين الكلمة الإنجليزية التي بمعنى « لحمي » ^(٢) ولكن الحالة فكرت في كلمة 'colour' (لون) . ثم أضافت أن الـ 'carnations' [القرنفل] أزهار كان خطيبها يهديها إليها في مناسبات كثيرة ومقادير كبيرة . غير أنها بعد أن فرغت من كلامها صرحت فجأة من تلقاء نفسها بأنها لم تقل الصدق : فالكلمة التي خطرت لها لم تكن 'colour' بل 'incarnation' (التجسد) وبالحرف : الحلول في لحم - وهي الكلمة التي كنت توقعتها . ونلاحظ بعد ذلك أن كلمة 'colour' ذاتها لم تكن جاءت عفواً ، بل ساقها معنى كلمة 'carnation' (لون اللحم) ^(٣) ، وهي إذن كانت محمته بالمركب .

(١) [قلنا : زنايق الراوى ، بترجمة حرفية لاسم هذه الزهرة في اللغة الإنجليزية تسهيلاً لقراءة النص والمقصود نوع من الزينق أو السون] .

(٢) [المقصود كلمة (carnal) ويراد بها : حسي أو جنسي] .

(٣) [ويراد به الأحمر القرمزي] .

وترينا هذه المواربة أن المقاومة قد بلغت في هذا الموضع أقصى مداها وهو ما يتفق
 وكون الرمز كان هنا أكثر ما يكون وضوحاً . وأن الصراع بين الليبدو والكبت قد بلغ
 أشده فيها يتصل بهذا الموضوع القضيبى . وملاحظة الحاملة أن خطيبها كان يهدى إليها
 هذه الأزهار كثيراً لم تكن تشير - إذن - إلى المعنى المزدوج الذى لكلمة 'carnations'
 وحسب [« قرنفل » و « فى لون اللحم »] ، بل كانت تشير كذلك إلى مضمونها القضيبى
 فى الحلم . وهدية الأزهار - وكانت هى الحدث اليومى الذى يعث على الحلم - قد استخدمت
 فى التعبير عن أفكار تدور حول تبادل العطايا الجنسية : إنها تهدي بكارتها وتنتظر فى
 مقابلها حياة من الحب الوفور . وهنا كان أيضاً لقولها : « أزهار غالية . لا ينالها المرء
 إلا إذا دفع » - كان له معناه - ومعنى مالى . حرفى . من غير شك . وهكذا
 اشتملت رمزية الزهور فى هذا الحلم على عنز الأنوثة . ثم على الذكورة ، ثم على إشارة
 إلى فض البكارة عنوة . وإنه مما تنبغى الإشارة إليه فى هذا المجال أن الرمزية الجنسية للأزهار -
 وهى رمزية بكثر استخدامها من غير شك فى غير هذا المثال - ترمز إلى الأعضاء
 الجنسية للإنسان بالأزهار التى هى الأعضاء الجنسية للنبات . وربما كانت هدايا الزهور
 بين العاشقين تحمل بوجه عام هذا المعنى اللاشعورى .

« ثم إن يوم الميلاد الذى كانت الحاملة تعد له عدته يعنى ولا شك مولد طفل .
 فالحاملة تعين ذاتها بخطيبها وتصوره كما لو كان يهبها للميلاد . أى يجامعها . والفكرة
 الكامنة يمكن إذن صوغها على هذا النحو : لو كنت إياه ما انتظرت ، بل كنت أفض
 زهرة خطيبى دون أن أسأله . معملا العنف - وهى فكرة ألمت إليها كلمة "violate"
 وهكذا يبلغ المقوم السادى فى الليبدو إلى الإفصاح عن نفسه .

« وربما كان لقولها : أهى . . . إلخ . - ربما كان له - فى طبقة أعمق من
 الحلم - مدلول العشق الذاتى . أى مدلول طفل .

« والحاملة حاصلة أيضاً على معرفة لا تتسنى إلا فى الحلم بنقصها الجسمى ، فهى
 ترى نفسها مساواة مسطحة مثل المائدة ، وهى لذلك تمل من نفاسة الـ "centre" [الوسط
 أو المركز] (وتسميه فى موضع آخر : جزءاً أوسط من الزهور)^(١) . أى عنزيتها .

وهكذا شاركت أفقية المائدة بعنصر من عناصر الرمز . وإنه لأمر حري بالملاحظة هذا التركيز في الحلم ، فما فيه من نافلة وكل كلمة رمز .

وقد أتت الحالة من بعد بملحق لحلمها : "أزين الأزهار بورق أخضر تجدد" ^(١) ثم أضافت أنه كان "ورق زينة" ^(٢) من النوع الذى يستخدم في تغطية أصوص الزهور المألوفة . ثم مضت تقول : "إعفاء الأضواء القلدة ، كل ما قد تقع عليه العين فلا يلوح لها حساً ، هناك نجمة أو فضاء صغير بين الأزهار" ^(٣) . ثم : "يدور الورق مثل القطيفة أو الطحلب" ^(٤) وينهب بها التداعى من كلمة 'decorate' (زين) إلى كلمة 'decorum' (اللياقة) - مثلما توقعت . واللون الغالب هو اللون الأخضر وهو يستدعى 'hope' (الأمل) - وهى إشارة أخرى إلى الحمل . إن السمة الغالبة في هذا الجزء من الحلم ليست تعين ذاتها برجل ، بل الصدارة هنا لأفكار خجل ومصارحة : فهى تتجمل له وتسلم بما في جسمها من معاييب تثير خجلها وتحاول هى إصلاحها . ولقد كانت مستدعياتها في صدد القطيفة والطحلب شاهداً واضحاً على أن الأمر يتعلق بشعر العانة .

هذا الحلم يعرب إذن عن أفكار كانت الفتاة لا تكاد تعرفها في حياتها المستيقظة أفكار تدور حول الحب الحسى وأعضائه : فهى كانت "نهياً للميلاد" أى تواصل بوصال جنسى ، والخشية من أن تفرض عذرتها تلقى هى الأخرى ما يفصح عنها ، وربما كان ثمة ما يعرب كذلك عن ألم مشرب بالذلة ، والفتاة تصارح نفسها بمعاييبها الجنسية وتعوض نفسها منها بالمغالاة في تقدير بكارتها . وحياتها يتلمس لها العذر على هذه التزعات الجنسية : وعذره أنها تهدف إلى الخلف . ثم بالإضافة إلى ذلك تلجأ اعتبارات مادية ، غريبة عن ذهن المحب . كما أن الحالة الوجدانية المقترنة بهذا الحلم الساذج - وأعنى بها إحساس السعادة - تدل على أن مركبات عاطفية قوية قد وجدت في هذا الحلم كفايتها .

وما جانب فرنس الصواب - إذن - حين لاحظ (١٩١٧) أى سهولة تم بها

[I decorate the flowers with green crinkled paper]. (١)

[fancy paper] (٢)

[to hide untidy things, whatever was to be seen which was not pretty to the eye; there is a gap, a little space in the flowers.] (٣)

[The paper looks like velvet or moss]. (٤)

« أحلام الغافلين »^(١) بوجه التحديد عن معنى الرموز وعن تفسير الأحلام .

وفي هذا الموضوع أدرج حلمًا لشخصية تاريخية معاصرة ، لأننا نرى فيه موضوعاً من الموضوعات التي تصلح بوجه عام لتثيل عضو الذكر وقد أضيف إليه "محمول" يربنا في وضوح ما بعينه وضوح أن هذا الموضوع رمز قضبي : فإن بطول سوط الفارس طولاً لا نهاية له - ذلك ما لا يسهل تفسيره بسوى كونه يعنى الانتصاب . يضاف إلى ذلك أن هذا الحلم يزودنا بمثال جميل يبين كيف يمكن أن تصور أفكار جديدة . بعيدة كل البعد عن كل ما هو جنسى بواسطة مادة طفلية جنسية .

١١ - حلم لبشارك

(من الدكتور هانس ساكس)

« يرى بشارك في كتابه "خواطر وذكريات" (الجزء الثاني من الطبعة الشعبية [١٨٩٨] ص ٢٢٢) خطاباً قصيراً كتبه إلى القيصر فيلهلم في ١٨ من ديسمبر عام ١٨٨١ . وكان الخطاب يتضمن تلك الفقرة : إن ما أفقت به جلاتكم إلى "يشجني أن أرى حلماً أناني ربيع عام ١٨٦٣ . في أشد أيام ذلك الصراع الذي لم تكن نستطيع عين إنسان أن ترى منه مخرجاً : حلمت - وطلع الصباح فما لبثت حتى قصصت الحلم على زوجي وشهود آخرين - أنني أركب في طريق ضيق بين جبال الألب . الهاوية عن يميني والصخور عن يساري والطريق تزيد ضيقاً بعد ضيق حتى أبي الحصان مواصلة المسير واستحال على أن أنزل أو أستدير ، لقلة المنح . عندئذ رفعت سوطي بيساري وهويت به على الصخرة الملساء وأنا أدعو الله ، فإذا السوط يطول إلى غير نهاية . وإذا الصخرة تنقطع مثل مشهد من مشاهد المسرح . ويظهر طريق فسح يشرف على تلال وغابات من قبيل ما نرى في بوهيميا ، ولاحت الفرق البروسية حاملة راياتها ، فأفكر - وأنا ما أزال مجلماً - في أن أنبي جلاتكم بالأمر من غير إهمال . ولقد صار هذا الحلم حقيقة واستيقظت منه مثلي الصدر ، مشدداً .

(١) [المراد بالغافلين من لا يملكون شيئاً من التحليل النفسي ومكشلاته] .

« إن حركة هذا الحلم تنقسم قسمين : فى الأول تضيق بالحلم السبيل - ثم يخرج منها بأعجوبة فى الثانى . وجلى أن الموقف الوعر الذى يقف فيه كلا الجواد وراكبه تصوير حلمى يصور الموقف الحرج الذى كان يلم برجل الدولة . ولعله قد ذاق مرارة هذا الموقف بصفة خاصة وهو يفكر فى مشكلات سياسته فى ذلك المساء الذى سبق الحلم . ألا نرى بسمارك - فى الفقرة التى أوردناها - يستعيد بنفسه تلك الصورة عينها فى وصف ضاقته إذ ذاك ؟ وهى إذن صورة مألوفة له كل الألفة . قريبة من ذهنه كل القرب . ونحن - إلى جانب ذلك - نواجه مثالا بديعاً على ما يسميه سيلبير «الظاهرة الوظيفية» : فالعمليات التى تدور فى ذهن الحالم : يلتبس الحلول فإذا عتبة كأذنه تقف دون كل حل وهو مع ذلك لا يملك أن يمرر نفسه من هذه المشاغل ولا يحل لها هذه الحرية - هذه العمليات تتمثل أوفق تمثل فى الراكب الذى لم يعد يستطيع إقداماً ولا رجوعاً . وكبرياؤه التى تمنحه التفكير فى أن يسلم أو أن يستغنى تنجلي فى هذه الكلمات : استحال على أن أنزل أو أن أستدير . ولا بد أن بسمارك - وهو أن رجل العمل الذى لا ينقطع عن الكد ويرقى نفسه من أجل الغير - لم يكن بعيداً عن أن يشبه نفسه بالجواد . والحق أن بسمارك قد أتى بذلك التشبيه فى مناسبات شتى . مثال ذلك قوله المعروف : الحصاد الجيد ينقى وهو فى زنتاقة . وعلى ذلك قوله : وأبى الحصان مواصلة السير ، لا يعنى إلا أن رجل الدولة المهلك قد شعر بالحاجة إلى أن يتحول عن هموم الحاضر ، أو هو - إن شئت تعبيراً آخر - كان آخذاً فى تحرير نفسه من قيود مبدأ الواقع بوساطة النوم والحلم . ولقد حوى الحلم من قبل - فى قوله : طريق بين جبال الألب - بعض الإشارة إلى تحقيق الرغبة الذى يشتد فى الجزء الثانى من الحلم كل هذا الاشتداد . فلا شك فى أن بسمارك كان يعلم فى ذلك الحين أنه سيمضى لإجازته المقبلة فى جبال الألب ، فى جاشتاین ، والحلم إذ ينقله إلى هذه الجبال يحله فى دفعة واحدة من جميع أعباء الدولة .

« وأما الجزء الثانى من الحلم فيصور رغبات الحالم محققة . ويصورها كذلك على نحوين : الأول سافر مفهوم ، والآخر رمزى . فأما التحقيق الرمزى فى اختفاء الصخرة الكؤود وظهور الطريق الفسيحة - أى « المخرج » الذى كان يلتمسه - فى أحسن صورها . وأما التحقيق السافر فى تقدم الكاتب البروسية رافعة راياتها . ونحن لكى نفسر هذه الرؤيا

المتنبئة لا تحتاج إلى تشييد الفروض الصوفية؛ ففي نظرية فرويد عن تحقيق الرغبة الكفائية كل الكفائية: لقد كان بسمارك إبان ذلك الحلم يرغب حقيقة في شن حرب ظافرة على النمسا تكون أحسن مهرب من المنازعات المتعددة في داخل بروسيا. وهكذا يصور الحلم تحقق هذه الرغبة - متفقاً وفرض فرويد - حين يرى الحلم الكاتب البروسية رافعة راياتها في يوهيميا، أى في أرض العدو. وكل القيمة الفردية في هذه الحالة هي أن الحلم الذى يشغلنا حلمه لم يكفه أن يحقق رغبته في حلم. بل عرف كيف يفرضا حقيقة واقعة. وهناك لغة لا يمكن إلا أن يلتفت إليها كل من له ألفة بالطريقة التحليلية النفسية في التفسير، هي السوط الذى يطول إلى غير نهاية. إن السياط والعصى والرماح وما شابهها موضوعات نعرفها رموزاً قضيبيية. ولكن أن يملك سوط - فوق ذلك - أكبر الصفات التى تميز القضيب - قابلية الاستطالة - ذلك ما لا يكاد يترك مجالاً للشك. ويبدو أن المبالغة في الظاهرة. من حيث الاستطالة "إلى غير نهاية". تدل على استئثار ليبيدى مفرط، الطفولة مبدأه. وأن يملك الحلم السوط بيده إشارة جلية إلى الاستئناء - وإن تكن الإشارة لا تنجبه بالطبع إلى ملايات الحلم المعاصرة بل إلى رغباته الطفلية المتمية إلى الماضى السحيق. ومن الكشوف الثمينة القيمة هنا كشف شتيكل أن اليسار يعنى في الحلم الخطأ والمنعوق والأثم - وهو ما ينطبق كل الانطباق على الاستئناء الذى يزاوله الطفل رغم تحريمه. وفي وسعنا أن نجد بين هذه الطبقة الطفلية العميقة والطبقة السطحية التى تخص مشاغل رجل الدولة الحاضرة طبقة وسطى كانت موصولة بكل منهما. ذلك أن جميع هذا الجزء المتعلق بخلاص من الحاجة يتم - فيما يشبه المعجزة - بسوط يضرب الصخر مع الدعاء إلى الله مؤيداً ونصيراً - يحمل شيئاً ملحوظاً بمشهد من التوراة: حين يفجر موسى الماء من الصخر لأبناء إسرائيل الظماء. ولنا أن نفترض في غير تردد أن بسمارك كان يعرف هذه الفقرة وكل تفاصيلها، وهو المنحدر من أسرة بروتستانتية حافظة للتوراة. ولا هو بالشيء المستبعد أن يكون بسمارك - بين أيام هذا الصراع - قد قارن نفسه بموسى، موسى القائد الذى كافأه الشعب بالتمرد والبغضاء والحدود على ما أراد له من الخلاص. ومن هنا - إذن - كانت الصلة برغبات الحلم المعاصرة. ولكن فقرة التوراة قد حوت من التفاصيل ما ينطبق أيضاً على تخيل استئنائى. فوسى يملك العصا خارجاً على أمر الله، ويعاقبه الرب فيعلنه أنه لا محالة مائت قبل أن يدخل أرض الميعاد. فالإمسك المحرم بالعصا - وهو ما يحمل في الحلم معنى قضيباً لا لبس فيه - ثم

حدوث السائل من ضربتها ووعيد الموت . كل أولئك يزودنا باللمحظات الرئيسة في الاستمناة الطفل مجتمعة . ومن الطريف أن نلاحظ كيف لحمت — بوساطة فقرة التوراة هذه — هاتان الصورتان المتضادتان الصادرة إحداهما عن ذهن رجل الدولة العبقري والناطقة أخرهما من نوازع النفس الطفلية لحماً أخرست في أثنائه كل العناصر الأليمة : فكون الإمسك بالعصا عملاً ممنوعاً عاصياً — ذلك ما لا يشار إليه إلا بإشارة رمزية — باليد اليسرى التي أنقلته . والله يدعى في محتوى الحلم الظاهر كأنما أريد بذلك أن تستبعد استبعاداً ظاهراً كل فكرة في محرم أومستور . ولقد أعلن الله موسى بأمرين : أنه سوف يرى الأرض الموعودة وأنه لن يدخلها : فإذا الحلم يصور تحقق النبوة تصويراً واضحاً (الإشراف على التلال والغابات) ويسكت عن الثانية البالغة نهاية مبالغ الألم . وأما الماء فلا يظهر ، وأغلب الظن أنه قد ضحى به من أجل المراجعة الثانوية التي جهدت جهداً موقفاً في أن تدمج هذا المشهد وسابقه في كل واحداً ، وبدل الماء تسقط الصخرة نفسها .

ولنا أن نتوقع عند انتهاء الاستمناة الطفلى — وهو الذى ينطوى على فكرة المحطور — أن يرغب الطفل في ألا يعلم أولو الأمر في محيطه شيئاً مما صنع . وهذه الرغبة تصور في الحلم بضدها . بالرغبة في أن يخطر الملك على الفور بما حدث . وهذا العكس يتسق اتساقاً حسناً طبعياً مع تخيل الانتصار المتضمن في طبقة أفكار الحلم السطحية وفي جزء من محتوى الحلم الظاهر . وكثيراً ما يكون الحلم بالانتصار والغزو — كما هو الشأن في هذا الحلم — غطاء يخفى الرغبة في النجاح في غزو عشق . وربما كان في بعض ملامح الحلم ما يشير إلى ذلك الاتجاه — كأن تعرض عقبة تقدم الحلم ثم تخطى مكانها لطريق فسيح بعد أن يعمل الحلم سوطه — ولكنها لا توفر أساساً كافياً نستطيع أن نستدل منه على أن الحلم قد ضم أفكاراً ورغبات تنجى في هذه الوجهة المحددة . إننا نرى هنا مثلاً تاماً على تشويه حلمى نجح كل النجاح . فكل محرقة قد صيغت صياغة جديدة بحيث لا تثير على الإطلاق من خلال الطبقة السطحية التي فرشت على الحلم كغطاء حام . وبذلك أمكن تجنب كل انطلاق للهيلة . والحلم حالة مثالية لرغبة تحققت تحقيقاً ناجحاً دون مخالفة الرقابة . بحيث نفهم أن الحلم قد خرج من مثل هذا الحلم مثلج الصلر ، مشدداً .

وأختم بهذا المثال :

١٢ - حلم كيميائي

صاحب هذا الحلم شاب كان يبذل طاقته من أجل الإقلاع عن عادة الاستمناء لكي تكون له صلات بالنساء .

تمهيد : كان الحالم في اليوم الذي سبق الحلم قد شرح لأحد الطلبة تفاعل جرينيارد ، وهو ذوبان المغنيسيوم في الأثير المطلق النقاء بفعل اليود كعامل حافز . وقبل ذلك بيومين كان هذا التفاعل قد أدى إلى انفجار كان من نتيجته أن احترقت يد أحد الطلبة .

الحلم : (١) عليه أن يحضر مركباً من البرومين والفانيل والمغنسيوم . إنه يرى الجهاز في وضوح شديد ولكنه قد استبدل بالمغنسيوم شخصه هو . إنه يجد نفسه الآن في حالة حمية لا تستقر ، ولا يتقطع من التحدث إلى نفسه قائلاً : « كل هذا مل ما يرام ، إن الأمور تسير سيراً حسناً ، قسماً قد أعدتاً بالفعل في الانحلال وركبتى تليان . » يد يده بدلاً ويحس قديمه ، وفي هذه الأثناء يشد ساقيه من البرقعة (دين أن يدرى كيف) ويحدث نفسه من جديد قائلاً : « إن ذلك مستحيل ، ومع هذا فالمثل يسير سيراً صحيحاً . » يشقظ عندئذ استيقاظاً جزئياً ويهدد الحلم نفسه لأنه يريد أن يقصه حل . إنه يشعر بنجوى من حل هذا الحلم ويشعر باحياج شديد في أثناء غفوته هذه ولا يرى يكرّر : الفانيل ، الفانيل .

(٢) كان في ضاحية ... ينجم مع جميع أسرته ، وكان عليه أن يكون في الساعة الحادية عشرة ونصف الساعة شو تتور (١) ليقابل سيدة معينة . ولكنه لا يشقظ إلا في الساعة الحادية عشرة ونصف الساعة ، فيحدث نفسه قائلاً : « لقد فات الوقت ، لست تستطيع أن تكون هناك قبل الثانية عشرة ونصف الساعة . » ويحل أثر ذلك يرى الأسرة جميعها وقد جلست حول المائدة ، ويرى في وضوح خاص أمه والخادم التي تحمل وعاء الحساء . يحدث نفسه قائلاً : « لقد بدأت أأكل . فلتستطيع الخروج بعد ذلك . »

التحليل : إن الحالم لا يشك في أن الجزء الأول من الحلم له أيضاً بعض الصلة بالسيدة التي كان يريد لقاءها (لقد أتاه الحلم في الليلة التي سبقت مواعده المنتظر) إنه يعتقد أن الطالب الذي شرح له استجابة جرينيارد شخص ثقيل إلى أبعد حد . وهو يذكر أنه قد قال لهذا الطالب : « لقد أخطأت ، فليست هناك دلائل تدل على أن المغنسيوم قد تأثر » ، فأجاب الطالب كأن الأمر لا يعنيه في شيء : « حقاً ، إنه خطأ . » لا بد أن

(١) [« شيتور » مكان قريب من وسط ليمينا . وأما « ينجم » فالمراد بها ضاحية من ضواحي فيينا التي ينتهي اسمها بهذا المقطع . انظر ص ٣١١] .

هذا الطالب يمثل هو لأنه يستخف بالتحليل مثلما يستخف الطالب بالتركيب (الكيميائي) . والـ « هو » الذى يجرى العملية فى الحلم ليس إلا إياى . لا بد أنى أستحله لقلة مبالاته بالنتيجة .

والمريض من جهة أخرى هو المادة المستخدمة فى التحليل (التركيب فى الحلم) والأمر إذن يتعلق بنجاح العلاج . وإن الإشارة إلى ساقيه لتذكره بحدث من الليلة السابقة ، ذلك أنه كان يتلقى درساً فى الرقص والتقى بسيدة كان يحرص على غزوها . لقد ضمها إليه ضمّاً شديداً حتى إنها صرخت مرة . فلما أرخى ضغطه أحس منها ضغطاً مقابلاً شديداً على أسفل فخذيه إلى ما فوق الركبتين ، فى الموضع المذكور فى الحلم . وفى هذا الموقف تكون المرأة التى تجرى الأمور معها أخيراً على ما يرام هى أيضاً المغنسيوم الذى فى البوتقة . إنه مؤث بالنسبة إلى كما هو مذكر بالنسبة إلى المرأة . والأمور تسير سيراً طيباً مع السيدة ، وهى إذن تسير سيراً طيباً فى العلاج . وأما تحسه نفسه والأحاسيس التى شعر بها فى ركبته فتشير إلى الاستثناء ، ثم هى تتفق وتعبه المتخلف من اليوم السابق . وقد كان موعده مع السيدة فى الحادية عشرة ونصف الساعة حقيقة . وإن رغبته فى النوم والمكوث مع موضوعاته الجنسية المنزلية (أى فى المداومة على الاستثناء) لتتفق ومقاومته .

أما فيما يتعلق بترديده كلمة « الفانيل » فهو يروى أنه كان دائم الولوج بأصول الكلمات المنتهية بالمقطع « يل » لأنها يسيرة الاستخدام غانة السر : بنزيل ، آستيل . . . إلخ . وكل هذا لا يفسر شيئاً . ولكنى أقترح عليه كلمة شليميل ^(١) فإذا هو يغرب فى الضحك ويقص على أنه قد قرأ كتاباً للمارسل بريفو جاء فيه فصل عن : « المبعدين عن الحب » ^(٢) حوى بعض الملاحظات عن « الخلابين » ^(٣) . فلما قرأه حدث نفسه قائلاً : تلك حالى . — ولو أنه تخلف عن موعده ، لكان ذلك مثالا آخر على « خيئته » . ويبدو أن ورود الرموز الجنسية فى الأحلام قد لى تأييداً تجريبياً مباشراً . ذلك أن

(١) [Schlemihl] كلمة من أصل عبرى شاع استخدامها فى الألمانية كدلالة على شخص عاثر لا كفاءة فيه ، أو كما نقول : غايب] .

(٢) [“Les exclus de l'amour”] .

(٣) [يستخدم المريض هنا كلمة « شليميل » مصرفة تصريفاً فرنسياً : “les schlemihls”] .

الدكتور شروتر قد أخذ في عام ١٩١٢ - استناداً إلى فكرة أوجاها هـ . سفوبودا - ينوم بعض الأشخاص تنوعاً مغناطيسياً عبقاً . وكان في مقدوره أن يلمس عليهم جزءاً كبيراً من أحلامهم بإيماءات كان يوحى بها إليهم وهم في نومهم . فكان إذا أوحى إلى النائم أن يحلم بجماع سوى أو غير سوى أنفك المنوم هذا الإيماء مستخدماً الرموز التي عرفناها بالتحليل النفسي بدل المادة الجنسية الصريحة . مثال ذلك أنه أوحى إلى فتاة أن نحلم بجماع جنسى مثلى مع صديقة لها . فظهرت الصديقة في الحلم تحمل حقيبة بالية كتب عليها : « للسيدات فقط . » ويقال إن الحاملة كانت لا تملك أقل معرفة برموز الأحلام وتفاصيلها . وما يؤسف عليه أننا لن نتمكن من تقدير قيمة هذه الأبحاث الهامة تقديراً صحيحاً نتيجة لتلك الحوادث المزعزعة ، وأعني به انتحار الدكتور شروتر بعد القيام بها بزمان قليل . ولنا تملك عن هذه الأبحاث سوى دراسة تمهيدية (شروتر ، ١٩١٢) . وقد نشر ج . روفنشتاين كشوقاً ماثلة عام ١٩٢٣ . بيد أن التجارب التي أتاها بتلاميذ وهارتمان (١٩٢٤) تحظى بأهمية خاصة ، لأن هذين الباحثين لم يلجأ إلى التنويم المغناطيسي . وإنما كان هذان المؤلفان يقصان قصصاً جنسية مكشوفة على المرضى المصابين بجنون كورساكوف وهم في حالة الهذيان . ثم يلحظون ما يطرأ على هذه القصص من التشويه حين يعيد المرضى روايتها . فوجدوا أن الرموز التي عرفناها من تفسير الأحلام كانت تظهر في رواياتهم (صعود السلم والطعن وإطلاق النار رموزاً إلى الجماع ، والسكاكين ولقائف التبغ رموزاً إلى القضيبي) . ويعلق المؤلفان قيمة خاصة على رمز السلم لأنه « ما من رغبة شعورية في التشويه كانت تستطيع أن تبدع مثل هذا الرمز » كما يلحظان بحق .

والآن بعد أن وزنا قيمة الرمزية في الأحلام ، نستطيع أن نعود إلى موضوع الأحلام النقطية الذي تركناه في ص ٢٩١ . إني أعتقد أننا محقون حين نقسم أمثال هذه الأحلام قسمة إجمالية إلى طبقتين : أحلام تملك دائماً ذات المعنى ، وأحلام يجب تفسيرها على أنحاء تباين غاية التباين وإن كان لها محتوى واحد أو متشابه . وقد سبق أن تناولت في شيء من التفصيل أحلام الامتحان بين أحلام الطبقة الأولى .

ونستحق أحلام فوت القطار أن تدرج في صف أحلام الامتحان . لما بينها وبين

هذه من التشابه في الحالة الوجدانية . وإن تفسيرها ليرينا أننا لا نجانب الصواب حين نفعل ذلك . فهي أحلام عزاء تطمئنت عن نوع آخر من الهيلة يتخالفنا في أثناء النوم ، هو هيلة الموت ؛ فإن « الرحيل » هو أكثر رموز الموت شيوعاً وأحسنها ثبوتاً . فهذه الأحلام تقول مرفهة : « لا تخف ؛ فأنت لن تموت » ترحل » . مثلما يقول حلم الامتحان مهوناً : « لا تخف سوف تسلم من الضر هذه المرة أيضاً » . ومرجع الصعوبة في فهم هذين النوعين من الأحلام هو أن شعور الهيلة يرتبط على التحديد بالعبارة عن العزاء .

ولقد خفي على حقبة من الزمن المعنى الذى للأحلام « ذات المنبه السنى » - وهي أحلام كثيراً ما كان يجب على تحليلها عند المرضى . لأن مقاومة بالغة الشدة كانت تحول دائماً - لدعشى - دون تفسيرها .

وأخيراً أثبتت الدلائل في وضوح لا يترك مجالاً للشك أن القوة الدافعة إلى هذه الأحلام عند الذكور لا ترجع إلا إلى النزعات الاستمنائية في زمن المراهقة . وسأحلل حلمين من هذه الأحلام ، أحدهما هو في الوقت نفسه حلم طيران . وقد أتى كلا هذين الحلمين ذات الشخص . وهو شاب ذو نزعات جنسية مثلية مشتدة ؛ ولكنها مكفوفة في الحياة الواقعة :

يشهد مرضاً لأوبرا « فيدليو » وهو جالس في قاعة الأوبرا ويواجه شخص يظلمه ويبدو له كسب صدائه . يطير فجأة في القاعة حتى نهايتها ، ثم يضع يده في له ويجلب منه سكين .

إن الحلم يصف طيرانه قائلاً : إنه كان كمن « رى » في الهواء . وإذا كان المشاهد أوبرا « فيدليو » فالببت الآتى يطوف بالذهن :

« من ظفر بامرأة رشيقة . . . »

ولكن الظفر بامرأة - ولو كانت أرشق النساء - لم يكن بين رغبات الحلم . وإنما الأنسب وهذه الرغبات هو البتان الآتيان :

« من وفق إلى تلك الرمية الكبرى :

أن يكون صديقاً لصديق . . . »^(١)

ولقد اشتمل الحلم حقاً على هذه « الرمية الكبرى » ، غير أن ذلك لم يكن يحقق رغبة وحسب . بل كان يخفى كذلك تأملات أليمة للحالم : كم كان عاثر الحظ في مساعيه من أجل الصداقة ، كم من مرة « رى » فيها . إنه ليخشى تكرار هذا المصير مع الشاب الذى يستمتع بمشاهدة « فيدليو » إلى جواره ، يتبع ذلك اعتراف بحجل منه الحالم وهو على ما هو عليه من رفاة الحس : ذلك أنه بعد أن نبذه أحد أصدقائه قد استغنى مرتين متعاقبتين مدفوعاً بشوقه .

وها هو ذا الحلم الآخر : يعاينه بدل أستاذان جامعيان يرفهما . يمنح أحدهما شيئاً بقضيه . إنه يخشى أن تجرى له عملية . يقرع الآخر فمه بقضيب من الحديد بحيث تسقط منه سن أو ستان ، إنه مقيد بأربعة سناديل من الحرير .

إن الشك فى أن يكون لهذا الحلم معنى جنسى مثل يكاد أن يكون ممتنعاً . فتناوب الحرير تعين الحالم بشخص ذى جنسٍه مثلية يعرفه . والحالم لم يعرف الجماع قط ، ولم يعمل قط فى الحياة الواقعة على أن تكون له صلة برجل ، وكان يمثل الرابطة الجنسية على غرار استثناء المراهقة الذى كان يألفه يوماً ما .

واعتقد أن التعديلات المتعددة التى تطرأ على الحلم الفطرى ذى المنبه السنى (كأن ينتزع سن الحالم شخص آخر . الخ) ، يمكن أيضاً فهمها فى ضوء التفسير الذى قدمناه^(٢) . قد ندهش إذ نرى « المنبه السنى » وقد صار له هذا المعنى ، ولكننى أنه هنا إلى هذا النقل الشائع من أسفل الجسم إلى أعلاه ، هذا النقل الذى يسخر لخدمة الكبت والذى يمكن لثنى الأفكار والمقاصد المستترة التى كان يجب (لولا الكبت) أن تدور حول أعضاء التناسل سبل التحقق فى أجزاء أخرى من الجسم على الأقل ، أجزاء لا اعتراض

(١) (هذان البيتان يعقبهما البيت الذى ذكر أولا باتياناً فى قصيدة شيلر التى لها بيتان فى السفنينا التاسعة . ولكن البيت الذى ذكر أولا : " من ظفر . . . الخ " . قد جاء أيضاً وسجده فى أوبرا فيدليو ، وهو ليبتض كذلك) .

(٢) أن ينزع سن الحالم شخص آخر ، ذلك ما ينهى تفسيره عادة بالخضاء (مثل قص الشعر عند الحلاق فى رأى شكيل) . ولا بد من أن نفرق بين عام بين الأحلام ذات المنبه السنى وبين أحلام أليمة الأستان كالتى يروها كوريات (١٩١٣) .

عليها . ومن الأمثلة على هذا النقل أن يستبدل الوجه بأعضاء التناسل في رمزية التفكير اللاشعوري . والعرف اللغوي يحذو هذا الحذو حين يماثل بين الـ *Hinterbacken* وبين الخدين . وحين يوازن بين شفرتي العورة عند المرأة وبين الشفتين اللتين تضمان فتحة الفم . والمقارنات بين الأنف والقضيب أمر شائع ، ويزيد الشبه اكتمالا وجود الشعر في كل منهما . والعضو الوحيد الذي يخرج تركيبة عن كل مقارنة ممكنة هو السن ، ولكن هذا الالتقاء على التحديد بين التشابه والاختلاف هو الذي يؤهل الأسنان للخدمة المقاصد التصويرية حين تشتد وطأة الكبت الجنسي .

ولست أدعي أننا حين نفسر أحلام المنبه السني بكونها أحلام استمناء - وهو أمر لا أستطيع الشكك في صحته - نأتي بتفسير يخلو كل الخلو من الغموض ، وإنما أعطي القدر الذي أستطيع من الإيضاح ، فأما الباقي فلا مناص من تركه على علته . بيد أنني لا أجد غنى عن الإشارة إلى مقارنة أخرى يتضمنها العرف اللغوي ، ففي بلدنا يشيع تعبير غير مهذب يطلق على فعل الاستمناء هو : « شد [أو انتزع] واحداً إلى خارج » أو « شد واحداً إلى أسفل »^(١) . ولست أدري شيئاً عن منشأ هذين التعبيرين أو عن التخيل الذي أقيما عليه . ولكن الأول منهما قد يناسب الخدين عن « السن » كل المناسبة .

وإذ كان الحلم بانتزاع السن أو سقوطه يعنى موت أحد الأقرباء في زعم الاعتقاد الشعبي ، وكان التحليل النفسي لا يقر مثل هذا التفسير اللهم إلا بالمعنى المازح الذي أومأت إليه من قبل على أكثر تقدير ، فلأني أسوق هنا « حلماً ذا منبه سني » مدني به أوتو رانك :

« بعث إلى زميل بدأ يهتم منذ عهد قريب بمشكلات تفسير الأحلام بالمذكرة الآتية في موضوع الأحلام ذات المنبه السني :

حلت منذ زمن قريب بأني في محادة طيب الأسنان الذي كان يحفر سناً خلفية في الفك الأسفل . وأعمل

(١) [وبين الرفيقين « وترجمت الحرفية هي : الخدين الخلفيين] .

(٢) تشمل الأحلام ذات المنبه السني منذ النساء المنى التي لأحلام الوضع ، على حسب إفادة من يفتح . والنصر المشترك بين هذا التفسير والتفسير المقترح فيما فوق هو أن الأمر يتعلق في كلتا الحالتين (انحصاء والولادة) بانفصال جزء من الجسم من الكل .

(٣) انظر الحلم « المورخ » في ص ٣٥٦ و (٤) .

الطبيب الحفر بقوة حتى لم تند في السن جدوى ثم أسكها بمقبض وانزعهما في سهولة غلت من الجهد إلى حد أدهشني .
 يخبرني الطبيب إلا أكثرث لذلك ؛ فهذه في الحق ليست السن التي يعالجها . ثم وضع السن على مائدة حيث القسست
 (وقد بدا لي الآن أنها ناب طوى) طبقات متعددة . نهضت من المقعد واقتربت من المائدة مسطلياً ، ثم سألت
 الطبيب سؤالاً طويلاً حتى . فاجعل الطبيب - بينما كان يفصل أجزاء السن التي لاحظت بالغة بيلناً صعباً من البياض
 ويملكها بعدة من عده (يحملها إلى يداي) - جعل يشرح لي أن السن علاقة بالمرافقة وأن الأسنان لا تخرج بمثل
 هذه السهولة إلا قبل المرافقة وأن العامل الحاسم في سالة النساء هو أن يولد لفل .

وعندئذ لاحظت (وأنا نصف نائم فيما أعتقد) أن الحلم قد اصطحب بإنزال ،
 ولكنني لم أعرف بأى جزء من أجزاء الحلم يرتبط هذا الإنزال - وإن لاح لي أن الأرجح
 هو أن يكون حدوثه قد سبق خلع السن .

ثم بعد ذلك حلمت من جديد بمحادثة لم أعد أذكرها ولكنها انتهت على هذا النحو :

أتركت سترى وقبضت في مكان ما (ربما كان حجرة نزع الثياب بميادة الطبيب) أتلا أن يتجنى البض بها وأسرع
 ولست ارتدى غير سحني إلى الحاق بالقطار الذي كان آخذاً في الرحيل . أظن في اللحظة الأخيرة في القفز إلى غرفة
 خلوية حيث أجد أحد الناس واقفاً . ولكنني لا أتمكن من تشي طريق إلى داخل الغرفة بل أراهم مضطراً إلى السفر في
 موقف غير مريح أحاول التخليص منه وأظن في ذلك آخر الأمر . لدخل في نفق كبير وهاي قطاراً في الاتجاه
 المقابل لنا ثم يطلان من خلال قطارنا - كما لو كان قطارنا هو النفق . أتى النظر إلى داخل إحدى العربات كما
 لو كنت ألقه من خارجها .

إن المادة اللازمة لتفسير هذا الحلم تمدنا بها الخبرات والأفكار الآتية المستمدة من
 اليوم السابق :

١ - كنت حقيقة آخذاً في علاج أسناني منذ زمن قريب وكنت حين جاء هذا الحلم
 أعاني ألماً مستمراً في سن بالفك الأسفل هي التي كانت تحفر في الحلم . وكان الطبيب
 قد حفرها كذلك في الواقع وقضى في حفرها زمناً أطول مما أحببت . وكنت قد ذهبت في
 صبيحة اليوم الذي سبق الحلم إلى طبيب الأسنان من جزء هذا الألم ، فأوصى إلى أن
 من الضروري أن تخلع سن أخرى في ذات الفك قاتلاً : إنها قد تكون السبب في هذا
 الألم . وكانت هذه السن الأخرى « ضرس عقل » كان ينبت في ذلك الحين . ولقد أثرت
 بهذه المناسبة سؤالاً يتعلق بالتفسير المهني للطبيب .

٢ - اضطرت إلى أن أعتلر في عصر ذلك اليوم إلى إحدى السيدات عما كنت

عليه من سوء المزاج من جراء هذا الألم . فأخبرني السيدة عندئذ أنها تخشى أن تضطر إلى أن تخلع ضمراً لها كان طريوشه يغطت كل الفتحة . لأنها تظن أن خلع الأسنان يزيد ألماً وخطراً في أسنان العين^(١) بخاصة ، وإن يكن بعض معارفها قد أكدت لها من جهة أخرى أن أسنان الفك الأعلى — مثل سنها أسهل . وروى لها هذا الشخص أيضاً كيف كان الخطأ مرة سبباً في أن تخلع له سن سليمة بعد التخدير . فزاد ذلك ارتياحها من العملية المحتملة . ثم بعد ذلك سألتني هل أسنان العين ضرورية أو أنياب ، فأشرت إلى ما تحويه هذه المعتقدات جميعها من عنصر خرافي ، وإن أكدت لها في الوقت عينه نواة الصديق المحتواه في بعض الآراء الشعبية . وعندئذ استطاعت أن تروى لي ما تظنه معتقداً شعبياً قديماً جداً واسع الانتشار : إذا أصاب حاملاً ألم في أسنانها جاء المولود ولداً .

٣ — وإثار جوابها هذا اهتمام نظراً لما يقوله فرويد في "تفسير الأحلام"، عن الأحلام الخفية ذات المنبه السني باعتبارها بدائل من الاستمناء الطفلي ، إذ أن هذا المعتقد الشعبي يقيم أيضاً علاقة بين السن وبين أعضاء التناسل المذكورة (الولد) . وعلى ذلك أخذت في مساء ذات اليوم أقرأ الفقرة المتعلقة بهذا الموضوع من "تفسير الأحلام" . فوجدت القضايا الآتية التي يسهل علينا أن نرى تأثيرها في حلمي مثل الخبرتين السابقتين : يتحدث فرويد عن الأحلام ذات المنبه السني قائلا : إن القوة الدافعة إلى هذه الأحلام عند الذكور لا ترجع إلا إلى النزعات الاستمنائية في زمن المراهقة [ص ٣٩٠] . ثم يقول : « وأعتقد أن التعديلات المتعددة التي تطرأ على الحلم الخفي ذي المنبه السني كأن يستترع من الحلم شخص آخر ، الخ ... ، يمكن أيضاً فهمها في ضوء التفسير الذي قدمناه . وقد ندعش إذ نرى المنبه السني وقد صار له هذا المعنى . ولكنني أنه هنا إلى هذا النقل الشائع منه أسفل الجسم إلى أعلاه (في هذا الحلم من الفك الأسفل إلى الأعلى) ، هذا النقل الذي بسخر لخيمة الكبت والذي يمكن لشقي الأفكار والمقاصد المستترة التي كان يجب — لولا الكبت — أن تدور حول أعضاء التناسل سبل التحقق في أجزاء أخرى من الجسم على الأقل — أجزاء لا اعتراض عليها » [ص ٣٩١] ثم يقول : بيد أنني لا أجد غنى عن

الإشارة إلى مقارنة أخرى يتضمنها العرف اللغوي : ففى بلدنا شيع تعبير لغوى غير مهذب يطلق على فعل الاستثناء : هو : شد واحد إلى خارج أو شد واحداً إلى أسفل [ص ٣٩٢]. ولقد كنت أعرف هذا التعبير فى صباى وأعرف دلالة على الاستثناء . ومن هنا لن يصعب على التعبير بتفسير الأحلام أن يجد طريقته إلى المادة الطفلية التى تكمن وراء هذا الحلم . ولست أضيف إلا أن السهولة التى خرج بها السن التى تبين بعد خلعها أنها من القواطع قد ذكرتنى بمناسبة من طفولتى فيها شددت بنفسى - دون عناء أو ألم - سنا علوية واهية فى مقدم الهم . ولقد وقع هذا الحدث الذى ما زلت أذكره بمخافته أوضح الذكر فى ذات الفترة التى ترجع إليها محاولتى الأولى فى الاستثناء (ذكرى ستارية) .

وإن إشارة فرويد إلى رأى يونج فى أن الأحلام ذات المنب السنى تحمل عند النساء المعنى الذى لأحلام الوضع (تفسير الأحلام . ص ٣٩٢ ، فى الهامش) . مع الاعتقاد الشعبي بمغزى ألم الأسنان عند الحامل - قد بعثاً على المقابلة فى الحلم بين المعنى المؤنث (الوضع) والمعنى المذكر (المراهقة) . وأذكر فى هذا الصدد حلاً سبق ذلك ، جامفى عقب زيارة إلى طبيب الأسنان . وفيه حلمت بسقوط الطرايش الذهبية التى لم يكده يفرغ تشبيهاً ، وأزعجتى ذلك فى الحلم إزعاجاً كبيراً ؛ فقد كنت تورطت فى نفقات كثيرة لم أكن تغلب عليها بعد إذ ذاك . وإنى لأفهم هذا الحلم الآن (بالإشارة إلى خبرة معينة مرتت بها) من حيث هو مفاضلة بين المزايا المادية للاستثناء وبين الحب المتجه إلى موضوع : فهذا الحب أشد ضرراً من الوجهة الاقتصادية فى كل صورة من صور (الطرايش الذهبية)^(١) . وأعتقد أن ملاحظة السيدة على معنى ألم الأسنان عند الحوامل قد أبقت عنى هذه الحوامل من جديد .

ذلك تفسير زميلى ، وهو تفسير واضح بداته ولا أظن أننا نعرض عليه . ولست أجد ما أضيفه إليه سوى إشارة إلى المعنى المحتمل للجزء الثانى من الحلم . ذلك أنى أعتقد أن هذا الجزء يصور انتقال الحلم من الاستثناء إلى الجماع الجنسى انتقالاً يبلو محفوفاً بالصعوبات (التفق الذى تدخل فيه القطارات وتخرج منه فى اتجاهات مختلفة) . كما

(١) [ويقال فى الألمانية Goldkronen أى الكروونات النحبة . والكروونات أيضاً حلة] .

يصور مخاطر هذا الجماع (الحمل والمعلطف [أنظر ص ٢٠٧]). وأما واسطة الانتقال إلى هذا الجزء الثاني من الحلم فكانت الجسر اللغوي الآتي : Zahn-ziehen (Zug) و Zahn-reissen (reisen) ^(١).

ومن ناحية أخرى يلوح لى هذا المثال ذا أهمية نظرية من وجهتين : فهو أولاً يشهد بصحة ما اكتشفه فرويد من أن الإنزال في الحلم يصحب انتزاع السن . ونحن مضطرون - مهما كانت الصورة التي يظهر فيها الإماء - إلى أن نعدّه إشباعاً استثنائياً يتم بغير تنبيه ميكانيكي . أضف إلى ذلك أن الإشباع الإثمائي لم يتحقق في هذه الحالة - كما هو الشأن عادة - بإزاء موضوع من الموضوعات ، ولو كان موضوعاً متخيلاً ، بل كان - إن جاز التعبير - إشباعاً لا موضوع له ، كان يحمل طابع العشق الذاتي صرفاً ، أو هو على الأكثر كان يبدى أثراً لا يعتد به من الجنسية المثلية (طبيب الأسنان) .

وأما النقطة الثانية التي تبدو لي خليقة بأن نلح عليها فهي الآتية : قد نقول : إنه لا حاجة بنا إلى أن نرى في هذا الحلم تأكيداً لوجهة نظر فرويد ، لأن أحداث اليوم السابق تكفي وحدها في جعل محتوى الحلم مفهوماً ، فزيارة الحلم إلى طبيب الأسنان وحديثه مع السيدة ثم قراءته « تفسير الأحلام » تفسر كيف انتهى به الأمر إلى إحداث هذا الحلم تفسيراً كافياً ، وبخاصة أن نموه في تلك الليلة كان نمواً مضطرباً ألهم أسنانه ، بل إن هذه الأحداث تفسر - إذا أردنا - كيف وضع الحلم حداً للألم الذي كان يزعج النوم بفكرة التخلص من السن المزعجة مع إغراق إحساس الألم الذي يخشاه الحلم بالليبيدو . ولكن مهما كان تسليمنا بكل أولئك لمحال أن نذهب جادين إلى أن قراءة شروح فرويد كانت تكفي وحدها في أن تربط عند الحلم بين خلق السن وبين الاستمناء ، بل هي ما كانت تكفي في تحريك هذا الرباط إلى العمل لو لم يكن ذلك الرباط قد سبق له الرسوخ منذ زمن طويل ، كما يلم به الحلم نفسه (في جملة : انتزاع واحداً إلى الخارج) . ولعل الذي حرك هذا الارتباط لم يكن حديث الحلم مع السيدة وحسب ، بل ملازمة ثانوية ذكرها الحلم من بعد : ذلك أن الحلم حين قرأ « تفسير الأحلام » قد وجد

(١) [الترجمة العربية لتفسير الأول هي : جر السن أو شغها ، وهو يذكر باللفظ لأن اسم القطار (zug) في الألمانية مشتق من ziehen (جر أو شد) . والتعبير الثاني ترجمته : انتزع السن أو اقتلعها وهو يذكر بالغرلان فعل انتزع (reisen) لا يكاد يختلف في الألمانية من الفعل الذي يترجم بـ (reisen) .]

— لأسباب مفهومة — بعض الغضاضة في تصديق هذا المعنى النمطي للأحلام ذات المنبه السنى . وشعر بالحاجة إلى أن يعرف هل يصدق هذا المعنى على جميع الأحلام التي من هذا الطراز . فكان أن جاءه هذا الحلم يؤيد له أن الأمر كذلك — فيما يتعلق به على الأقل — ويريه بهذا عينه لماذا كان تشككه أمراً محتوماً . فالحلم من هذه الناحية أيضاً يحقق رغبة ، هي الرغبة في أن يقتنع بمدى انطباق رأى فرويد وبصحته .

وأما المجموعة الثانية من الأحلام النمطية فتشمل الأحلام التي يطير فيها الحلم أو يموج في الهواء أو يسقط أو يعوم ، إلخ . فما معنى هذه الأحلام ؟ إن من المستحيل أن نجيب عن هذا السؤال بجواب عام ، فهذه الأحلام — كما سنرى — تـهـ شيئاً مختلفاً في كل حالة ، ومادة الإحساسات المختلطة فيها هي وحدها التي تنشأ دائماً من ذات المصادر .

والدروس التي يتلقاها المرء من التحليلات النفسية تلجته إلى تلك النتيجة ، أن هذه الأحلام كذلك تعيد انطباعات من الطفولة ، أو هي تتعلق على التحديد بالألعاب حركية تجتذب الأطفال اجتذاباً فائقاً . فن هو هذا العلم الذي لم يعن طفلاً على الطيران بأن يهرول به باسط الذراعين عبر الغرفة ، أو لم يتخذ من السقوط مادة لملاعبته ، فيجلسه على ركبته ثم يمد ساقه فجأة أو فيرفعه عالياً ثم يهبط إليه بمحركة مفاجئة أنه يتخلى عنه . والأطفال حيثئذ يصيحون طرباً ولا يكونون من استعادة هذه الألعاب ، وبخاصة إن احتوت على ما يحدث بعض الخوف أو الدوار . ولهم ليستعيدونها في أحلامهم بعد أن تمضي بهم السنين ، سوى أنهم يحلفون من الحلم اليد التي تمسك بهم بحيث يبدون اليوم كمن يطيرون أو يسقطون أحراراً . وولع الأطفال بأمثال هذه الألعاب — كولعهم بالأراجيح بأنواعها — أمر معروف . فإذا رأوا في « السيرك » بعض الأفانين الهلوانية جدد ذلك عندهم ذكرى هذه الألعاب . وقد لا تخرج الثوبات المسترية عند الصبية عن أن تكون استحضاراً يتأدى في مهارة بالغة لأمثال هذه الأفانين . وليس من النادر أن تنبه هذه الألعاب الحركية — وإن كانت بريئة في ذاتها — مشاعر جنسية . وإذا جاز لي أن أستخدم تعبيراً دارجاً اعتدنا أن نطلقه على هذا النشاط بكافته قلت : إن « هيجان » الأطفال هو ما يستعاد في أحلام الطيران والسقوط والتأرجح وما شاكلها ، استعادة تنقلب في خلالها اللذة إلى هيلة . ولكن هياج الأطفال كثيراً ما ينشئ في الواقع كذلك بالشجار وبالعويل كما تعرفه كل أم .

وأنا إذن أملك أسباباً طيبة أستبعد على أساسها النظرية القائلة : إن أحاسيسنا اللمسية في أثناء النوم وكذلك الإحساس بحركة الرثين وما أشبهه ، هي التي تبعث على أحلام الطيران والسقوط . بل في رأيي أن هذه الأحاسيس ذاتها تستحضر باعتبارها جزءاً من مقومات الذكري التي يرتد الحلم إليها ، أي أن هذه الأحاسيس جزءاً من محتوى الحلم وليست مصادر له^(١).

هذه المادة من الإحساسات المركبة المتماثلة نوعاً المتصفة مصدراً تستخدم الآن في تصوير أفكار حلمية من كل ضرب ممكن . فأحلام الطيران والطواف في الهواء — وهي أحلام يغلب عليها عادة طابع اللذة — تقضي تفسيرات متنوعة غاية التنوع ، خاصة كل الخصوص عند بعض الناس ، ثم ذات طابع نمطي عند البعض الآخر . كهذا يتفق أن تحلم إحدى مريضاتي بأنها تسير على ارتفاع معين فوق الطريق دون أن تمس قدمها الأرض ، وكانت هذه المريضة قصيرة جداً ، وكانت تخشى العدوى من كل صلة بالناس ، فحللمها هذا يحققها رغبتين إذ يرفع قدمها دون الأرض وإذا يُصعد رأسها إلى طبقة أعلى من الهواء — هذا بينما تعرب أحلام الطيران عند بعض الحالمات عن ودهن : « لو كنت طائراً صغيراً ! » وبينما تصير أخريات ملائكة في الليل لأنهن قد حرمن من أن يدعون كذلك بالنهار . وإن الصلة الوثيقة بين الطيران وبين فكرة الطير تجعلنا نفهم كيف صار لأحلام الطيران عند الرجال معنى حسي غليظ في غالب الأحيان^(٢) . ولن يدعشنا أن نسمع أن هذا الحالم أو ذاك كان شديد الفخر بقدرته على الطيران .

ولقد أعرب الدكتور پول فيلدن (من فيينا) عن رأي جذاب مؤداه أن جزءاً كبيراً من أحلام الطيران هو أحلام انتصاب ، لأن ظاهرة الانتصاب — تلك الظاهرة العجيبة التي شغل بها الخيال الإنساني من غير انقطاع — لا يمكن إلا أن تسترعى الانتباه لما يبدو فيها من إبطال لقوة الجاذبية (انظر بهذه المناسبة القضب المنجح عند الأقدمين) . وإنه لأمر خلقي بالانتباه أن نجد باحثاً تجريبياً ، متزناً ، صدوقاً عن كل ما هو تفسير ، مثل موري فولد ، يؤيد التفسير المشق لأحلام الطيران أو التأرجح (فولد ،

(١) قد ذكرنا هنا هاتين الفئتين الخاصتين بأحلام الحركة لمقتضيات السهال .

(٢) [هنا إشارة إلى كلمة عامية ألمانية بمعنى " جالس " (Vogel) اشتقت من الكلمة المالطة حل

الطير (Vogel)] .

١٩١٠ - ١٩١٢ ، جزء ٢ ، ص ٧٩١ . فهو يصف الدافع العشقى بقوله : « إنه أقوى الدوافع إلى أحلام الطواف في الهواء » . ويجذب الانتباه إلى إحساس الذبذبة الجنسية الشديدة التي تصحب أمثال هذه الأحلام ويشير إلى كثرة اقترانها بالانصباب أو الإنزال .

فأما أحلام السقوط فيغلب أن تتسم بطابع الهيلة . ولنا نجد صعوبة في تفسيرها عند النساء ؛ فهؤلاء يكدن يسلن دائماً بأن الاستخدام الرمزي للسقوط يصف الاستسلام لدافع عشقى . ونحن لم نحصر بعد المصادر الطفلية لأحلام السقوط ؛ فلا يكاد يكون ثمة طفل إلا وقع في مناسبة أو أخرى ثم أقبل من عثرته ودلل ؛ فإن كان وقوعه من مهدد في أثناء الليل حملته الماعنة بأمره إلى سريرها .

وأما الأشخاص الذين يحلمون كثيراً بالسباحة ويشقون الموج في انشراح عظيم فهم في العادة ممن كانوا يبللون فراشهم . وهم اليوم يعيدون في أحلامهم لذة تعلموا الإقلاع عنها منذ زمن طويل . وسنعلم قريباً من أكثر من مثال أى شيء يسهل استخدام أحلام السباحة في تصويره [ص ٤٠٣] .

وأما أحلام الحريق فيؤيد تفسيرها هذا القانون التربوى الذى يحرم على الأطفال « أن يلعبوا بالنار » لكيلا يبللوا فراشهم في الليل . ذلك أن هذه الأحلام أيضاً يكمن وراءها أثر ذكروى عن بلل الفراش في فترة الطفولة . ولقد عرضت في مقال « طرف من تحليل هسترى » (١٩٠٥) ^(١) تحليلاً وتركيباً كامليين لحلم حريق من هذا القبيل وذلك من حيث صلة هذا الحلم بتاريخ الحاملة ، كما بينت أى دوافع سن الرشد يمكن استخدام هذه المادة الطفلية في تصويرها .

وفى مقدورنا أن نذكر عدداً وفيراً من الأحلام « الخطيئة » إذا كنا نغنى بهذا الحد أن ذات المحتوى الظاهر يكثر وروده عند حالين مختلفين . نستطيع أن نذكر مثلاً الأحلام التي يسير فيها المرء في أزقة ضيقة أو يمشى عبر حجرات متعاقبة ، أو أحلام سراق الليل الذين يحاط منهم الأشخاص المعصيون حتى قبل أن يذهبوا إلى الفراش ،

(١) [١٩٠٥ ، القسم الثالث ، حلم دورا الأول] .

ثم هناك الأحلام التي يطارذك فيها وحش كاسر (أو ثور أو حصان) وتلك التي يهدم فيها الحلم بسكين أو خنجر أو رمح - والنوعان الأخيران من الأحلام يميزان المحتوى الظاهر في أحلام المصابين بعصاب الحياة - وكثير غيرها . ولا شك في أن بحثاً يتدب لهذه المادة خاصة سوف يكون بحثاً مجزئاً إلى أبعد مدى ، ولكنني - بدل ذلك - أحل بملاحظتين وإن كانتا لا تنطبقان على الأحلام النطية إنطباعاً مانعاً .

كلما زاد المرء اشتغالا بحل مشكلة الأحلام زاد استعداده للتسليم بأن غالبية أحلام الراشدين تعالج مادة جنسية وتعرب عن رغبات عشقية . وأولئك الذين يحللون الأحلام فعلاً - أي يذهبون من محتواها الظاهر إلى أفكارها الكامنة - هم وحدهم الذين يستطيعون أن يقطعوا برأى في هذا الصدد ، ويعجز عن ذلك أبداً كل من قنع بتدوين المحتوى الظاهر (مثل ناسكته في كتاباته عن الأحلام الجنسية) . ولنقل دون إهمال : إن هذه الحقيقة ليست بالأمر الذي يدهشنا ، بل هي تنسق والمبادئ التي يستند إليها تحليلنا للأحلام أكمل اتساقاً ، فإنا من غريزة لاقت منذ الطفولة مثل الكبت الذي لاقت الغريزة الجنسية في مقوماتها المتعددة ، وما من غريزة غيرها خلفت وراءها رغبات على هذا المدار من الكثرة والقوة تعمل اليوم على إحداث الحلم في حالة النوم . فواجبنا عند تفسير الحلم هو ألا ننسى أبداً هذه القيمة التي للمركبات الجنسية ، وإن وجب كذلك بالطبع أن نتجنب المغالاة إلى الحد الذي يمنع غيرها .

ونستطيع أن نقول عن أحلام كثيرة - إذا عينا بتفسيرها - : إنها أحلام تسم بطابع الجنسية الثنائية ؛ لأنها تسلّم من غير جدال إلى تفسير مضاعف تتحقق فيه للحلم رغبات جنسية مثلية ، أي رغبات تخالف نشاطه الجنسي السوي . ولكن أن نذهب إلى أن جميع الأحلام - يجب تفسيرها على هذا النحو - مثلما يصنع شتيكل (١٩١١) وآدلر (١٩١٠) - ذلك ما يبدو لي تعميماً مجرداً من البرهان ومن الرجوح على السواء ، تعميماً لا أراى مستعداً لأن أنصهر له . ولست أدري بمخاصة كيف أنكر تلك الحقيقة الواقعة ، وأعنى بها أن هناك أحلاماً تلبي حاجات غير الحاجات العشقية - وإن أخذنا الكلمة بأوسع معانيها - : أحلام جوع وعطش ، أحلام سهولة ، الخ . ثم القضايا التي من قبيل : « يكمن طيف الموت وراء كل حلم » (شتيكل) أو أن في كل حلم « انتقالاً من

المؤث إلى المذكر ، (آدler) - تلك أيضاً أقوال تبدو لى بعيدة كل البعد عما يجيز لنا تفسير الحلم الأخذ به أخذاً مشروعاً . وإن القول بأن جميع الأحلام تستلزم تفسيراً جنسياً - وهو القول الذى ثارت عليه محاجه لا تكل - لقضية غريبة عن « تفسير الأحلام » ، فأنت لا تجده فى طبعات الكتاب السبع ، ثم إنه يتناقض وسائر محتواه تناقضاً ظاهراً .

وقد سبق أن بينا أن بعض الأحلام التى ظاهرها السداجة قد تضم رغبات غليظة ، وكان يسمنا أن نؤيد ذلك بأمثلة جديدة كثيرة . ولكن هناك كذلك أحلاماً ظاهرها اللامبالاة ، لا يسترعيك منها اتجاه ما أو شيء بعينه ، ثم إذا هى ترتد عند التحليل إلى رغبات جنسية لا شك فيها ، تكون فى أحيان كثيرة من نوع غير متوقع . من ذا الذى كان يستطيع - مثلاً - أن يحلم بوجود نزعة جنسية فى الحلم الآتى قبل تفسيره ؟ لقد رواه حاله على هذا النحو : قصران ظليان قام بينهما - إلى الخلف بعض الشيء - منزل صغير مطلق الباب . تقفون زوجى فى جزء من الطريق يلقى إلى المنزل الصغير ثم تنفع الباب فادلف فى سرعة ويسر داخلى فناء يميل بزاوية ساحة .

ومع هذا فإن من له ولو قليل دراية بتفسير الأحلام سوف يذكر على الفور أن النفاذ فى أماكن ضيقة وفتح الأبواب المغلقة بين أكثر الرموز الجنسية شيوعاً وسوف يدرك فى غير عتاء أن هذا الحلم يصور محاولة فى الجماع من الخلف (بين الردفين العظيمين فى جسم المرأة) . والممر الضيق الصاعد بزاوية هو المهبل بالطبع . وأما المساعدة التى ينسبها الحلم إلى زوجه فلا تفسير لها سوى أن مراعاة الزوجة هى المانع الأوحى الذى يحول بين الحلم وبين الإقترام على مثل هذه المحاولات فى الحياة الواقعة . وما نحن أولاء نعلم أن خادماً صغيرة السن قد جاءت يوم الحلم منزل الحلم وأنها حسنت فى عينيه كثيراً ، وأنه قد خيل إليه أنها لن تمنع محاولة من هذا القبيل إلا قليلاً . والمنزل الصغير بين القصرين العظيمين أثر ذكروى من [قلعة] هارد شين فى براج ، وهو بذلك يلصق إلى ذات الفتاة ، لأن براج مدينتها .

وإذا أكلت لأحد مرضاى كثرة وقوع الأحلام الأدبية التى يتصل فيها الحلم بأمة بصلة جنسية ، غلب أن يكون جوابه : لا أذكر أنى رأيت مثل هذا الحلم قط
تفسير الأحلام

ولكن تنبث على أثر ذلك ذكرى حلم محمو . لا يستلفت نظراً جاء الحلم مراراً . وعندنا
يبين التحليل أن ذلك في الحقيقة حلم له ذات المحتوى ، أى حلم أوديبى . وأستطيع أن
أؤكد أن الأحلام المنقعة التى تدور حول الصلة بالأُم تفوق السافرة فى كثرتها مرات ومرات^(١).

وهناك أحلام بمشاهد من الطبيعة أو بمحال يكون أظهر ما فيها يقين الحالم — وهو
ما زال يحلمه — بأنه قد كان بذلك المكان من قبل . ولكن هذه « الرؤية السابقة »^(٢)

(١) لقد نشرت فى موضع آخر (فرويد ١٩١٠ ل) مثالا نموذجيا على حلم أوديبى من هذا القبيل
(نجد فى آخر هذا المبحث) ، كما نشر أبقراطك (١٩١١ أ) مثالا آخر قرره بتحليل مفصل . وانظر كذلك
مقالة رانك (١٩١٣) فيما يتصل بأحلام أوديبية منقعة تتجلى فيها رمزية العين . وإن القارئ ليجد فى ذات الموضوع
الذى نشر فيه مقال رانك مقالات أخرى عن « أحلام العين » ورمزية العين كتبها إيدير فريشس ورايتر . وإن
فقا الميتين فى أسطورة أوديب — كما فى هيرما — لم يبدل من المصداق . وهذا لم يكن القضاء بمجهول التفسير الرمزى
للأحلام الأوديبية المنقعة ، وإقرأ فى ذلك رانك (١٩١٠ ، ٥٣٤) حيث يقول : « وهكذا قيل : إن بوليس
نفسه قد حلم حلا رأى فيه أنه يجمع أمه ، فأولده مفسرو الأحلام قائلين : إنه يشير بأن فحصر سوف يمتلك
الأرض (الأرض الأم) . ومن الأمور المعروفة كذلك النتيجة المطاة إلى التاركوتيين وإلى أعلنت أن السيادة على
روما سوف تكون من حظ أول من يقبل أمه (oculum matri dulcoris) — وهو ما يفسره بروترس بمعنى الأرض
الأم (قبل الأرض قتالا : إنها الأم المشتركة لجميع المائتين . تيت ليف ١ ، ٥٦ [باللاتينية فى الأصل] . »
وانظر هذه المناسبة حلم هيباس الذى يرويه هيرودوت (٦ ، ١٠٧) إذ يقول : « أما الفرس فقد كان هيباس
يرشدكم إلى ماراثون . وكان هيباس قد زار فى الليلة الماضية منام رأى فيه أنه يفسج أمه ،
لفهم من الرويا أنه سيهدى إلى أثينا ويسترجع سيطرته وأنه — فى شينوته — سيهوت فى أرض وطنه . » هذه
الأساطير والتفسيرات تكشف عن بصيرة سيكولوجية صادقة ، فقد رأيت أن الناس الذين يملكون أنهم مفلسون
أو مزجون لدى أمهاتهم يبدون فى حياتهم هذه الثقة الغريبة بالنفس وهذا التفاؤل الوطيد اللذين لا يندرو أن يكون
لها مظهر البطولة وأن يطووا النجاح لأصحابها فضلا .

مثال نمطى على حلم أوديبى منقوع : حلم رجل أن له علاقة مستترة بسيدة يريد شخص آخر زواجها ، والحالم
يخشى أن يلم الآخر بهذه الصلة والآن ينهى الزواج المقترح إلى نتيجة ، وهو لذلك يسلك تجاه هذا الرجل سلكا
ملك التردد ، يمانقه ويقبله . إن واقع حياة هذا الحالم لا يتفق وسله إلا فى نقطة واحدة : فقد كانت له علاقة
بسيدة متزوجة لى زوجها هيا — وكان صديقا للحالم — ملاحظة ذات متين جعلت يشك فى أن يكون الزوج قد
لخطأ أمرا ما . ولكن الحقيقة كانت تتفهم شيئا آخر لم يذكره الحالم مطلقا ، وهو مع ذلك الشيء ، الذى يعطينا
المتاح إلى فهم الحالم : ذلك أن الزوج كان مهلدا بمرضى حصى ، وكانت الزوجة معلقة لإمكانية موته فجأة ،
وكان الحالم مشغولا بالتفكير الشغورى فى الزوج من الأوبى الشابة بعد موت زوجها . وهذا الموقف الحادس يفسح
الحالم فى جو الحالم الأوديبى : فريبة الحالم لاداة على قتل الزميل من أجل التفرد بامرأته ، والحالم يعرب من هذه الرغبة
فى صورة مشوة ملوفا اتفاقا ، فبدل أن تظهر المرأة متزوجة بالفعل نرى شخصا غير الحالم يتقدم لزواجها — وهو
ما يطلق وما للحالم نفسه من نيات مستترة — هذا يبيننا تخفى رغبته العدائية نحو الزوج وراه مظاهر من اليد مستعدة
من ذكرى الحالم عن علاقته بولده فى أيام الطفولة .

لها في الحلم معناها الخاص : فهذا المكان يعنى دائماً أعضاء التناسل عند الأم ، والواقع أنه ليس تمت مكان آخر يستطيع المرء أن يقول عنه يمثل هذه الثقة : لقد كنت فيه من قبل . ومرة واحدة هي التي حيرني فيها مريض بعصاب قهري إذ قال : إنه حلم حلماً رأى فيه أنه يزور منزلاً كان قد وجد فيه مولين من قبل . ولكن هذا المريض على التحديد كان قد ذكر لي منذ زمن بعيد قصة ترجع إلى ستة السادة . حاصلها أنه شارك أمه سريرها مرة . فأساء انتهاز الفرصة بأن درس إصبعه في عضوها وهي نائمة .

وهناك طائفة كبيرة من الأحلام يغلب أن تصطبغ بالهيلة وأن يكون محتواها المرور بأماكن ضيقة أو المكوثر في الماء . تقوم على تخيلات تدور حول الحياة الجنسية والإقامة في رحم الأم والولادة . والحلم الذي يلى كان حلماً لشاب انتهر في مخيلته فرصة الحياة الجنسية لمشاهدة جماع بين والديه .

« إنه في حفة حقيقة بها شبك كما في نفل شمريخ ^(١) . يرى أول الأمر من النافذة شهيداً مقفراً ، ولكن يتخيل صورة تناسب المكان ، ولا تلبث الصورة أن تتحول دفعة واحدة وأن تملأ الفضاء . إن الصورة تمثل حقلًا حرث حرثاً حقيقياً بآلة من الآلات ، وكان الهواء العليل مع فكرة العمل الشاق التي تصطبغ المنظر ومع المند الأزرق الأسود ، كان كل أولئك ما يحدث في النفس تأثيراً جسيماً . يستمر بعد ذلك فترى كتاباً في القربة مفتوحة أمامه . . . ويبحث لكل هذه الأهمية التي تعلق على المشاهد الجنسية (للأطفال) ويلعب به ذلك إلى التفكير في . »

وها هو ذا حلم بديع لإحدى المريضات كان يخدم هدفاً بعينه في العلاج : إنها في مصيبتها على شاطئ بحيرة . تقفز إلى الماء في ذات البقعة التي كان غو القصر الشاب قد انعكس فيها على صفحة الماء .

إن الأحلام التي من هذا القبيل أحلام ولادة . ونصل إلى تفسيرها بقلب الحدث الذي يرد في الحلم الظاهر ، وممكننا يكون لنا « خروج من الماء » - أي ولادة - بدل « القفز فيه » ^(٢) . ونستطيع أن نعرف المكان الذي يخرج منه الإنسان إذا نحن فكرنا في الاستخدام الفكه لكلمة "la lune" [القمر] في اللغة الفرنسية [بمعنى مؤخر الجسم] . فالقمر الشاحب هو - إذن - المؤخر الأبيض الذي يبادر الطفل فيخمن أنه قد خرج منه . ولكن ما معنى أن ترغب الحاملة في « أن تولد » في مصيبتها ؟ أسأله ذلك فتجيب من غير تردد : ألم أكن بالعلاج كمن ولدت من جديد ؟ وعلى ذلك فالحلم دعوة إلى متابعة

(١) [نفل يحيط نحر السجين ميلا من فيينا على سكة الحديد الجنوبية] .

(٢) انظر رانك (١٩٠٩) فيما يخص بالمفرد الأسطوري الذي الولادة من الماء .

علاجها في ذلك المصيف ، أى إلى عيادتها هناك . وربما كان الحلم يحوى كذلك إشارة حيية إلى رغبة المريضة في أن تكون هى نفسها أما^(١) .

وأنقل من مقال بلونز (١٩١٠ ب) حلماً آخر من أحلام الولادة مع تفسيره :
« كانت تقف على شاطئ البحر وهى ترتب طفلها هى إليها أنه ولدها بينما كان يلعب فى الماء . وظل الولد يلعب حتى غمره الماء ، فلم تعد ترى إلا رأسه وهو يقب ويغسل قريباً من سطح الماء . وعندئذ تنظر المنظر إلى قاعة مزدحمة فى فندق . يتركها زوجها فتلحق حديثاً مع شخص غريب .

« يتبين عند التحليل أن الجزء الثانى من هذا الحلم إنما يصور رغبة الحاملة فى الفرار من زوجها والأخذ فى علاقة وثيقة بشخص ثالث . . . وأما الجزء الأول فتخييل ولادة مكشوف ، فمن المألوف فى الأحلام كما فى الأساطير أن يصور الخروج من مياه الرحم عن طريق القلب - فى صورة الدخول فى الماء ، ومولد أدونيس وأوزوريس وموسى وباكوس كل هذه - والكثير غيرها - أمثلة معروفة على ذلك . وتذكرها حركة الطفل وهو يطفو فوق الماء ويغسل تحته بما عهدته من حركات الجنين فى بطنها أثناء حملها الوحيد . ويذهب بها تفكيرها فى الطفل وهو ينزل فى الماء إلى حلم بقطة ترى فيه نفسها وهى تنشل الطفل من الماء وتحمله إلى محضنة حيث تنسله وتكسوه ثم تأخذه إلى دارها .

« وهكذا كان النصف الثانى من الحلم يصور أفكاراً خاصة بالفرار تتصل بالنصف الأول من أفكار الحلم الكامنة ، ويوافق النصف الأول من الحلم المحتوى الكامن لنصفه الثانى : تخيل الولادة . ثم كل نصف من نصفي الحلم ينطوى على قلب آخر فى الترتيب الزمنى إلى جانب القلب الذى ذكرناه : فى النصف الأول من الحلم ينزل الطفل فى الماء ثم تطفو رأسه وتغسل ، وأما فى أفكار الحلم الكامنة فيتحرك الطفل أولاً ثم يغادر الماء (قلب مزدوج) ، وفى النصف الثانى من الحلم يتركها زوجها ، بينما فى أفكار الحلم الكامنة تترك هى زوجها . (عن ترجمة ألمانية بقلم أوتو رانك)

ويروى إبراهيم حلم ولادة آخر ، أنى امرأة شابة كانت تنتظر وضعها الأول . فى

(١) لقد ظلت زناً طويلا دين أن أقدر قيمة التحليلات والأفكار اللاشعورية التى قد تدور حول الحياة فى الرحم ، ففها تفسير هذه الهيلة السجية عند الكثيرين من كنهم قد يفتخروا أسماء ، ولها أعمق أساس لاشعورى يرتكز عليه الاحتاد بحياة مستقبلية بعد الموت وهو احتاد لا يمدو أن يصور إسقاطاً فى المستقبل لهذه الحياة الغامضة التى تسبق الولادة . وللولادة بالإضافة إلى ذلك ، هى أول خبرة بالهياة ، وهى بذلك تنهل هذه الحالة التجديانية ونمذجها .

هذا الحلم نرى مجرى يمر تحت الأرض من أرض حجرتها إلى الماء مباشرة (القناة الرحمية - السائل النخلى) ، ثم ترفع الحاملة غطاء في أرض الحجر فيبرز على القور مخلوق مغطى بفراء أسمر اللون ، أشبه بسبع البحر ، ثم يتبين أن هذا المخلوق الصغير هو أخو الحاملة الأصغر الذى كانت الحاملة تقف منه دائماً موقف الأم .

وقد بين رانك (١٩١٢ أ) بطائفة من الأحلام أن أحلام الولادة تستخدم ذات الرموز التى تستخدمها أحلام المنبه البولى ، ففيم ' يصور المنبه العشى كما لو كان منبهاً بولياً ، وإن وجود طبقات من المعنى فى هذه الأحلام ليوافق تحويلاً دخل على معنى الرمز من عهد الطفولة .

ومن المناسب - وقد بلغنا هذا الموضوع - أن نعود ثانية إلى موضوع تركناه (فى ص ٥٢٨) وهو نصيب المنبهات المضوية المزججة للنوم فى تكوين الأحلام . فالأحلام التى تقع تحت تأثير هذه المنبهات لا يقف شأنها عند كونها تكشف علانية عن الميل إلى تحقيق الرغبة وعن طابع الأخذ بالأسهل وحسب ، بل هى - فى أحيان كثيرة جداً - قد تكشف أيضاً عن رمزية شفاقة كل الشفاقة ؛ إذ ليس من النادر أن يوظف منبه حالماً بعد أن يكون الحلم قد حاول سدوى إرضاء هذا المنبه فى الحلم تحت ستار رمزى . وينطبق ذلك على أحلام الإيماء كما ينطبق على الأحلام التى تحرك إليها حاجة إلى التبول أو التبرز . ولكن الطابع الخاص لأحلام الإيماء لا يمكننا فقط من أن نعيث اللثام بطريقة مباشرة عن رموز بعينها كنا نعلم من قبل أنها رموز نمطية ولكنها كانت تلاقى مع ذلك إنكاراً عنيفاً ، بل هو بعينها - فوق ذلك - على الامتناع بأن بعض مواقف الأحلام الظاهرة البراءة لا تملأن تكون فاتحة رمزية لمناظر جنسية فظة - مناظر لاتفى فى العادة تصويراً صريحاً إلا فى أحلام الإيماء النادرة نادرة نسيية . على حين يكثر انقلابها إلى حلم هيلة يدفع كذلك إلى اليقظة .

وأما رموز الأحلام ذات المنبه البولى فتسم بشفاقة خاصة ، كما أنها قد عرفت منذ أقدم الأزمنة ، فقد سبق هيبوقراط إلى القول بأن اليتابيع والنوافير تدل على خلل فى المثانة (هافلوك إليس) . ودرس شرزر رموز المنبهات البولية الكثيرة ثم أكد أن « كل منبه بولى شديد بعض الشدة يستحيل من غير استثناء إلى تنبيه فى المنطقة الجنسية وإلى صور ترمز إليها . . . وكثيراً ما يكون الحلم ذو المنبه البولى ممثلاً فى الوقت نفسه للحلم الجنسي » .

وإن أوتو رانك - الذى أتابع ههنا مقاله عن « التراس الطبقي للرموز في الأحلام المؤدية إل الاستيقاظ » (١٩١٢ أ) - قد جعل من الراجع كل رجوح أن يكون عدد كبير من الأحلام ذات المنبه البويل ناجماً في الحقيقة عن منبه جنسى بدأ بالتقاسم الإشباع من طريق التكرس إلى صورة طفلية من العشق هي صورة العشق البويل . وأنا لنعلم الشيء الكثير بخاصة من تلك الحالات التى يؤدى فيها المنبه البويل - وقد استثير على هذا النحو - إلى اليقظة وإفراغ المثانة ، ومع هذا يتابع الحلم بعد ذاك إلى أن يتم الإعراب عن الحاجة في صور عشقية صريحة ^(١) .

وأما الأحلام ذات المنبه المعوى فتلقى الضوء بطريقة مماثلة على الرمزية المتضمنة فيها ، ثم هي - في الوقت ذاته - تؤيد العلاقة بين الذهب والبراز - وهي علاقة تدعمها كذلك شواهد وفيرة من علم المجتمعات الإنسانية ^(٢) . « فهكذا تحلم امرأة كانت تعالج لمرض في أمعائها برجل يلفس كترزاً على مقربة من كوخ أشبه بمرفق مياه رينى معزول عن الدار ، ثم يتبع جزء ثان ترى فيه أنها تمسح است بنها الصغيرة التى وصفت نفسها » .

وتتبع أحلام الإنقاذ أحلام الولادة : فالإنقاذ - وبخاصة الإنقاذ من الماء - له عند النساء معنى الولادة ، ولكن هذا المعنى يدخله التعديل إذا كان الحلم رجلاً ^(٣) .

فأما اللصوص وسراق الليل والأشباح الذين يوحس منهم البعض خيفة قبل أن يتوجهوا إلى فراشهم والذين يتبعون أحياناً ضحاياهم هؤلاء حتى بعد نومهم فيخرجون جميعاً من طبقة واحدة من الآثار الذكورية لا تتغير : إنهم زوّار يعودون الأطفال في جنح الليل ويوقظونهم ويحملونهم لكيلا يبللوا فراشهم ، أو يرفعون عنهم الغطاء ليروا بأعينهم بأى موضع وضعوا أباديهم وهم نيام . ولقد مكنتى تحليل بعض أحلام الهيلة هذه من أن

(١) « إن ذات الصور الرمزية التى تسمى بمنعها الطفل في الأحلام البولية تظهر بمنعها الحفث في أحلام جنسية لا مزية فيها : ماء - بول - السائل النخلى ، *flüssigkeit* [سفيه] - *schlaf* [شخ] - ريم (صندوق) ، الليل - بيل الفرائ أثناء النوم - الجماع - الحمل ، النوم - امتلاء مجرى البول - مقر من لم يولد ، الحظر - البول - الرمز إلى الإخصاب ، السر (الرسل أو الخروج من العربة) - النهوض من الفراش - الجماع الجنسي (رحلة شهر السبل) ، تبليل - أنزل » . (رانك ذات المرجع) .

(٢) انظر فرويد (١٩٠٨ ب) و رانك (١٩١٢ أ) وواتر ١٩١٣ و رانك (١٩١٥) .

(٣) لقد أورد ليستر حلماً من هذا النوع (١٩١٩ ح) . انظر أيضاً رانك ١٩١١ ب و رانك ١٩١١ . ثم أيضاً رانك ١٩١١ .

أمضى إلى أبعد من ذلك في إخراج شخص الزائر الليلي من مجهوليته : ففى كل حالة كان السارق يقوم مقام الأب بينما تنوب الأشباح عن الأشخاص الأثرية فيما يرتدبته ليلا من الغلل البيضاء .

و

أمثلة - عمليات الحساب والأحوال

فى الحلم

قبل أن أحدد للعامل الرابع الذى يحكم تكوين الحلم موضعه الصحيح [القسم ط] ، أقترح أن أسرد بعض الأمثلة من مجموعى . هذه الأمثلة سوف تقيد - من جهة - فى تصوير التفاعل بين العوامل الثلاثة التى عرفناها ، وسوف تقيد - من جهة أخرى - فى تزويدنا بدليل يؤيد بعض القضايا التى ظلت حتى الآن بغير سند أو فى بيان نتائج تلزم منها ضرورة . فقد كنت وأنا أشرح عمل الحلم أجد صعوبة بالغة فى مساندة اكتشافاتى بالأمثلة ؛ فالأمثلة التى يراد بها تدعيم هذه القضية أو تلك لا تحمل على الاقتناع إلا إذا سقت وسط تفسير كامل للحلم من الأحلام . فلن انتزعت من محيطها فقدت أثرها هذا بينما نجد من ناحية أخرى أن التفسير إذا عمق ولو قليلا لا يلبث أن يبلغ من الجسامة حداً نفقد معه حبل القضية التى كان يراد تصويرها . ولعل هذه الصعوبة الفنية تملقنى إذا أنا حركت الآن أشياء من كل صنف لا يربط بينها رابط مشترك سوى اتصالها بما ورد فى الأقسام السابقة من هذا الفصل .

سأبدأ بأمثلة على طرائق فى التصوير غريبة أو غير مألوفة . حلمت سيدة الحلم الآتى : تقف خادم على سلم كأنما كانت تمسح الشباك ، وكانت تحمل قدراً قطاً من نرح الدوريل (وتستلرك السيدة بعدئذ قائلة : من نرح الأنجورا) . ترى الخادم الحاملة بالحيوانين ، ويلصق القرد بها - وهو ما يجرى فى نسبنا الشمراناً كبيراً . لقد حقق هذا الحلم هدفه بطريقة غاية فى البساطة : فهو قد استعار مجازاً من مجازات الكلام ثم أجراه على حرفه ، « فالقرد » وأسماء الحيوان بوجه عام تستخدم على سبيل السباب ، ولا يعنى الموقف الذى عرض فى الحلم شيئاً آخر سوى قولنا :

وماه بالسباب . ولن تلبث مجموعتي دون أن تأتي بأمثلة جديدة على استخدام هذه الحيلة البسيطة في عمل الحلم .

ونهج حلم آخر نهجاً يماثل السابق كل مماثلة : سيدة معها طفل شاء شكل جسده شيئا ملحوظاً ، تسع الحاملة أن فك راجع إلى وضع الطفل في الرحم . يقطر الطيب : إن من الممكن تسمين شكل البجعة بفسطها ، إلا أن فك قد يفيض مع الطفل . تنكر في أن الطفل صي فلن يضره ذلك كثيراً . إن هذا الحلم يحوي تعبيراً مصوراً عن فكرة مجردة : « الطباغات الطفولة » ، وهي فكرة كانت الحاملة قد سمعتها في أثناء التوضيحات التي اقتضاها العلاج .

ولكن عمل الحلم قد سلك طريقاً مخالفاً بعض المخالفة في المثال الآتي ، وكان ينطوي على ذكرى رحلة إلى هيلنايش^(١) بالقرب من جراتس : في الخارج حاصلة مروعة ، نزل حثير ، يقطر الماء من البدان ، الأسرة بلجة (هذا الجزء الأخير من الحلم قد روى في صورة أقل صراحة مما ذكرت) . إن هذا الحلم يعني « فائلة » ، فهذه الفكرة المجردة التضمنة في أفكار الحلم قد لاقت أول الأمر علاجاً متكلفاً صبرها إلى شيء من قبيل « فائض » أو « ظافع » ، ثم تمثلت بعد ذلك في عدة من الصور المشابهة : ماء في الخارج ، ماء في الداخل على الحوائط ، ماء في أغطية السرير المنداة ، كل شيء يقطر أو « يطفح » . ولن يدهشنا أن نرى أن أصوات الكلمات تفوق نهجها بكثير من حيث أهميتها بالنسبة إلى التعموير الحلبي ، وبخاصة حين نذكر أن الشعر المقفى يستبيح لنفسه حرية مماثلة . فقد روى رانك (١٩١٠ ، ٤٨٢) في كثير من التفصيل حلماً أنته فتاة وحلته تحليلاً وإلياً إلى مدى بعيد ، وفي هذا الحلم نسمع أن الفتاة قد سارت وسط الحقول وهي تقطع سنابل [Ahren] مثقلة بالقمح والشعير ، ثم أقبل عليها صديق في سنها ، فحاولت أن تتجنب لقاءه . وبين التحليل أن الأمر يتعلق بقبلة ، « قبلة في شرف » [Kuss in Ehren]^(٢) . فالسنابل [Ahren] التي كان يجب اقتطافها لا اقتطاعها

(١) [شبة ماء] .

(٢) [Ahren (سنابل) = Ehren (شرف) في التلق ، فكان سمي الصير منطوقاً هو : قبلة في شرف أو قبلة بين السنابل . ومن المهم أن نلاحظ مع سترابي أن هذا الصير يشير إلى مثل المائتين ترجمته الحرة هي : ما من أحد يرفض قبلة في شرف ، كما أن الفتاة كانت في الحقيقة قد تلقت أول قبلاها وهي سائرة في حقل قمح ، فكانت قبلة " بين السنابل "] .

قد أفادت من حيث هي كذلك ومن حيث نكتيفها بكلمة *Ehren* [شرف] في تصوير طائفة كاملة من أفكار أخرى .

وفي حالات أخرى نجد أن اللغة قد يسرت الأمور على الحلم تيسيراً كبيراً ؛ فاللغة تملك طوع يدها طائفة بأسرها من المفردات التي كانت تملك في الأصل معاني عيانية مصورة ثم صارت اليوم تستخدم استخدماً مجرداً لالون فيه ، وكل ما يحتاج إليه الحلم هو أن يسترجع لهذه الكلمات معانيها السابقة المليئة وأن يرجع بعض المسافة إلى مرحلة متقدمة في تطور الكلمة . ومثال ذلك أن يحلم حالم بأن أخاه في صندوق ، ثم تذهب خواطر الحالم في أثناء التعبير من صندوق إلى « دولاب » [*Schrank*] ويعنى أيضاً الحد بالمعنى المجرد ، فتكون فكرة الحلم الكامنة هي : أن على أخيه أن يلزم حده - أي أن يلزمه هو . وها هو ذا حالم آخر يعتلى جبلا يشرف منه على منظر « قصي الأطراف » ، وهو بذلك يعين ذاته بأخيه الذي كان يشرف على تحرير باب عنوانه « نظرة على الشرق الأقصى » .

وفي حلم يرد في « هاينريخ البائع » [رواية ذاتمة لجوتفريد كيلر] نرى فرساً جموحاً وهو يتقلب في حقل جميل من الخرطل كل حبة منه « لوزة حلوة وزببية ودرهم جديد . الكل ملفوف في حرير قان ، معقود بسائب الخنزير » . ولا يلبث الكاتب (أو الحالم) أن يفسر هذه الصورة الخلقية ؛ إذ يشعر الحصان بدغدغة تطيب له ، ويهتف قائلاً : الخرطل ينغزني . . [وهو من مثل المائي بمعنى : أفسده الرغد .]

وفي رأي هتسن أن الأحلام المشتعلة على تورات وجمل لفظية تكثر كثرة خاصة في الأساطير الشمالية القديمة ، فلا تكاد تخلو أسطورة منها من حلم ينطوى على بعض الاشتراك أو اللعب بالألفاظ .

ولأنه ليكون عملاً قائماً بذاته أن يجمع المرء أساليب التصوير وأن يقسمها بحسب المبادئ التي تقوم عليها ، وإن منها لأساليب تكاد أن تكون خليقة بأن تسمى نكات ، أساليب يحس المرء لإزامها أنه ما كان ليحضر قط معناها لو لم يفض به الحالم إليه :

١ - حلم رجل البس ياله من اسم ما ولكنه لا يستطيع تذكره . إنه يقول : إن هذا يعنى أن ذلك لا يخطرلى ولو فى الحلم . .

٢ - أخبرتنى مريضة بحلم بها الناس فيه طولا إلى حد يعجز المألوف ، ثم مضت تقول : إن هذا يعنى أن الحلم يتناول أحداثاً وقعت فى طفولتى ، فى هذا الوقت كان جميع الراشدين يبدون لى بالطبع طولا ضخاماً . هذا ولم يظهر شخصها هى فى ذلك الحلم .

ومن الممكن أن نعرب عن كونه الحلم يشير إلى الطفولة بطريقة أخرى ، هى ترجمة الزمان إلى المكان ، فتبدو الأشخاص والمشاهد كما لو كانت على بعد عظيم ، فى نهاية الطريق ، أو كما لو كان ينظر إليها من منظار أوبرا معكوس الوضع .

٣ - حلم مرة رجل كان ينزع فى حياته إلى العبارات المجردة غير المحددة وإن كان - فيما خلا ذلك - قد وهب نكتة بارعة بأنه قد وصل إل إحدى محطات السكة الحديدية وقت دخول القطار ، وإذا الرصيف يتحرك جهة التقاطع بينما القطار واقف بلا حراك ، وهو عكس غير معقول لما يحدث فى الواقع . ولم يكن هذا القلب إلا إشارة تشير إلى أن الحلم لا بد مشتمل على قلب آخر فى محتواه [انظر ص ٣٣٦] . فلما حللناه انتهى الحلم إلى أن تذكر كتاباً مصوراً حوى صور رجال وقفوا على رموسهم ومشوا على أيديهم .

٤ - وفى مرة أخرى روى هذا الحالم نفسه حلماً يذكر بطريقة الألفاظ المصورة ، فقد رأى أن عمه كان يقبله فى السيارة [Automobil] . وبادر الحالم إلى تفسير الحلم تفسيراً ما كنت لأحذره قط : إن ذلك كان يعنى العشق الذاتى [Autoerotismus] وقد كان من الممكن أن يخرج محتوى هذا الحلم فى الحياة المستيقظة على صورة نكتة .

٥ - حلم رجل بأنه يجلب [hervorziehen] امرأة من وراء السرير ، وكان معنى ذلك أنه يؤثرها [vorziehen] .

٦ - حلم رجل أنه يجلس إلى إحدى الموائد فى مواجهة الإمبراطور . وكان معناه أنه يعارض أباه .

٧ - حلم رجل بأنه يعالج شخصاً ما أصيب بمرض أحد أطرافه . وأظهر التحليل أن

العظمة المكسورة [Knochenbruch] كانت تنوب عن الزواج المكسور [Ehebruch] ويقال بمعنى الزنا [.

٨ - ومن الشائع في الأحلام أن يمثل الوقت عمر الحلم في فترة معينة من فترات الطفولة . مثال ذلك أن « الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة عشرة » كانت تعنى في أحد الأحلام « خمس سنوات وثلاثة أشهر » . وكان لذلك التاريخ أهمية ، إذ تلك كانت سن الحلم حين ولد أخوه الأصغر .

٩ - وما هو ذا تصوير آخر للسُن في الحلم : فقد حلمت امرأة بأنها تسير مع فتاتين صغيرتين فرق السن بينهما خمسة عشر شهراً . ولا تعرف الحاملة أحداً من أُسرتها يصدق عليه ذلك . ولكنها قد أتت بالتفسير حين قالت : إن كلتا الطفلتين تمثلها وإنّ الحلم إنما يذكرها بالصدايق اللذين عرفتهما في طفولتها ، فقد كانت تفصل بينهما هذه الفترة على التحديد ، وقع أحدهما حين كانت تبلغ من العمر السنة الثالثة ونصف السنة ووقع الآخر حين كانت في الرابعة والتسعة الأشهر .

١٠ - ولنا نعجب إذا رأينا أن الشخص الذى يتبع علاجاً تحليلياً نفسياً يحلم كثيراً بعلاجه هنا ويعرب عن أفكار وتوقعات متعددة يبعث العلاج عليها . والصورة التى يغلب اختيارها في تصوير العلاج هى صورة الرحيل ، والرحيل بالسيارة بنوع خاص ، لكونها عربة حديثة مقفلة . وفى هذه الحالة تجد تهكمات المريض متنسفاً بالإشارة إلى سرعة السيارة . وإذا أريد تصوير « اللاشعور » من حيث هو عنصر ورد بين أفكار اليقظة استبدلت به - استبدالاً جدم ملائماً - أماكن تقع « تحت الأرض » - وهى أماكن تنوب عن جسم المرأة أو عن الرحم حين تجيء من غير علاقة بالعلاج التحليلي . ويكثر أن تشير « أسفل » إلى أعضاء التناسل ، بينما تشير « أعلى » - على العكس - إلى الوجه أو الفم أو الصدر . ويرمز عمل الحلم عادة بالحيوانات الوحشية إلى الانفعالات الاندفاعية التى يحشها الحلم من نفسه أو من غيره على السواء ، وهكذا يستطيع - بنقل - جد طفيف - أن يرمز بهذه الحيوانات إلى الأشخاص الذين تغلب عليهم هذه الانفعالات . وللمسافة هنا قرينة بين ما نحن فيه وبين الحالات التى يصور فيها الأب المخوف ببساطة

وحش كاسر أو كلب أو حصان وحش ، على نحو يذكر بالطوطمية . وفي مقلوبنا أن نقول : إن الحيوانات الوحشية تستخدم في تصوير اللييلو - واللييلو قوة يفرع منها الأنا ويقالها بالكبت . ومن الشائع أيضاً أن يُفصل العصاب في ذاته - « الشخص المريض » - من الحلم وأن يتمثل في الحلم في صورة شخص مستقل .

(١١) - (عن هانس ساكس) «إننا نعلم من "تفسير الأحلام" أن عمل الحلم يسلط طرْقاً مختلفة من أجل الوصول إلى تصوير الكلمات أو الجمل في صورة حسية مرئية . فإذا اتفق - مثلاً - أن كان لتعبير معنيان استطاع الحلم أن يستغل هذا الاشتراك باعتباراً منعطفاً يترك عنده أول المعنيين - وهو المعنى في أفكار الحلم - ليُدْرَج الثاني بدلاً منه في محتوى الحلم الظاهر .

ذلك ما قد وقع في الحلم القصير الآتي ، ووقع بعد استغلال ماهر لانطباعات ملائمة من اليوم السابق باعتبارها مادة تصويرية :

و ذلك أني كنت يوم الحلم قد عانيت بعض البرد ، فغزمت في المساء على ألا أغادر الفراش في الليل بقدر المستطاع . وجاء حلم لا يبلو منه إلا أنه يجعلني أتابع في الليل عملاً من أعمال النهار : فقد كنت شغلت في أثناء النهار بلبصق قصاصات من الصحف في دفتر لدى ، وكنت أحرص في خلال ذلك على أن توضع كل قصاصة في موضعها الملائم ، وكان أن جاء الحلم هكذا :

أجهد في لصق إحدى قصاصات الصحف في الدفتر ، فلا يتشى ذلك مع الصلصة (١) ، وهو ما يشير في نفسى أمّا كبيراً .

وأستيقظ فأجد أن ألم الحلم لا يزال مستمرّاً في صورة ألم جسمي حقيقى ؛ فقد أراد الحلم - من حيث هو حارس النوم - أن يهيئ لي أن رغبتى في المكث بالفراش قد تحققت متوسلاً إلى ذلك بتصوير عياني للجملة [الألمانية] المزدوجة المعنى . [وتعني ولكنه لا يماشى الصفحة ، وأيضاً : ولكنه لا يمضى إلى المراحض أو لا يذهب إليه .]

إننا نستطيع أن نذهب إلى حد القول : إن عمل الحلم يتوصل إلى التصوير المرئى لأفكار الحلم بكل وسيلة في متناوله ، سواء أ مقبولة لاحت لعين النقد المستيقظة أم

مرفوضة ، وذلك هو ما يجعل عمل الحلم عرضة للتشكك والسخرية عند كل من لم يتعد^١ أن يسمع عن تفسير الحلم دون أن يزاوله . وكتاب شنيكل « لغة الأحلام » (١٩١١) ثرى بالأمثلة التي من ههنا القليل ، غير أنني قد تجنبت مع ذلك الاستشهاد به ، لأن النصار المؤلف إلى الحكم القلدى مع اتسام منهجه بطابع التعسف يحملان اللهن على التشكك حتى ولو خلا من كل فكرة سابقة .

١٢ - فأما الأمثلة الآتية فقتبة من مقال كتبه تاوسك (١٩١٤) عن استخلام الثياب والألوان في التصوير الحلمى :

(أ) حلم أحلمأ رأت فيه مريت القديمة وقد ارتلت بهاء ذا برىق [Luster] أسود ، وانصق برديها مصفاً شديداً - وكان معنى ذلك أن تلك المربية كانت فى رأيه امرأة شهوانية [Lustern].

(ب) حلم ج . أنه يرى فتاة تسير فى طريق س . وقد غمرها غموا أبيض وارتلت صداداً أبيض . كان الحلم قد بدأ فى ذلك الطريق أول علاقاته الوثيقة بآسة لقها : أبيض .

(ج) حلمت السيدة د . بأنها ترى Blase المجوز (وهو مثل من فيينا بلغ الثمانين من العمر) وقد قد حل ديوان وهو شاكى السلاح in voller Rustung ثم أخذ هذا المشل يشق فوق الموالد والمقامد ، ثم اسدل عنجراً ونظر إلى نفسه فى المرأة ملوفاً بالانجبر فى الهواء كأنها يحارب عدواً موهوماً .

التفسير : كانت الحاملة تعاني ألماً مزمناً فى المثانة [Blase] ، ثم هى كانت تستلقى على ديوان فى أثناء التحليل ، وكانت إذا نظرت إلى نفسها فى المرأة أسرت إلى نفسها أنها على رغم سنها ومرضاها - لا تزال صحيحة معافاة [rustig] .

١٣ - « عمل عظيم » فى الحلم .

حلم رجل فرأى لله راقداً فى السرير مثل امرأة حبل ويثير هذا الموقف فى نفسه مصفاً شديداً . يصح قالاً : لقد كنت أفضل . . . (فى أثناء التحليل أكمل الرجل عبارته - بعد أن تذكر شخص امرأة مبرضة - بتلك الكلمات . . . أن أكسر الأحجار) كانت تملر سريريه غرصة ثبت شريط من الخشب بجانبها السلل لكى يقيها منشورة . يتزع الحلم الشريط الخشبى بأن يقبض على طريقه كليهما ، ولكن الشريط لا ينكسر عرضاً بل ينشق طولاً . يحس الحلم محتلاً أنه قد تخفف كثيراً وأن هذا الفعل قد أعانه على الوضع .

يفسر الحلم من تلقاء نفسه انتزاع الشريط [Leiste] الخشبى بأنه يعنى إتيان

«عمل» [Leistung] عظيم . ذلك أنه يريد التخلص من موقفه غير السار (في العلاج) بأن يتزعم نفسه من وضعه المؤث . وأما تلك اللمحة غير المقولة : ألا يتكسر شريط الخشب بل ينفلق شقين - فتفسيرها ما يتذكره الحالم من أن هذا التضييق مضافاً إلى التزويق ينطوي على إشارة إلى الخصاص . ومن الأمور الشائعة غاية الشيوع أن يصور الحالم الخصاص بواسطة رمزين قضيين تصويراً صادراً عن رغبة مضادة فيها التحدى . أضف إلى ذلك أن Leistung [الشريط : ويعنى أيضاً «الحالب»] منطقة من الجسم قريبة من أعضاء التناسل . ويجعل الحالم تفسير حلمه بما معناه أنه - أعنى الحالم - يغالب ويعيد الخصاص الذى أحرجه إلى اتخاذ هذا الموقف المؤث^(١) .

١٤ - وعرض مرة للتفسير - أثناء تحليل أجرته باللغة الفرنسية - حلم ظهرت فيه في صورة القيل . ودعاني لذلك بالطبع إلى أن أسأل الحالم لم صورت هذا التصوير ، فكان جوابه [«Vous me trompez»] [أى «أنت تخدعنى»] (trompe = زلومة) .
و وضع عمل الحالم أن يصور مواد عصبية إلى أبعد حد - مثل أسماء الأعلام - باستخدام متكلف لروابط جد مستبعدة . فقد جاء في أحد أحلامى أن بروك الشيخ كلفى القام بسلسلة من عمليات التفرغ وأنى فرغت من تحضير أحد المركبات ثم التفت شيئاً لاج مثل ورق الفضة المجد (وهو حلم سامد إليه فيما بعد [ص ٤٥١] . وكان المستدعى الذى ورد على ذهنى بعد شيء من الصعوبة هو : «ستانبول»^(٢) . وعندئذ عرفت أننى كنت أفكر في اسم «ستانبول» - وهو مؤلف كتب مقالا عن الجهاز العصبي لنوع من السمك أعجبت به إعجاباً شديداً في شبانى . والحق أن أول عمل علمى كلفى به أستاذى (بركه) كان يتعلق بالجهاز العصبي لنوع من السمك اسمه : *Ammocoetes* [فرويد ١٨٧٧ أ] . ومن الواضح أن ذلك الاسم كان يستحيل استخدامه في لغز مصور .

ولست أستطيع أن أمنع نفسى من أن أسرد في هذا الموضع حلماً عجباً في عتواه . ثم هو حلم جدير بأن يعار التفاتاً لأنه حلم طفلة ، كما أنه يسهل استجلاؤه بالتحليل :

(١) الظرف فرويد ١٩١٤ .

(٢) [ورق الفضة (واسمه عندما ورق القصدير) عبارة عن شرائح ملففة من الصفيح ، «وتاليل» مشتق من ستانوم وهو الصفيح] .

قالت سيدة : إننى لا أزال أذكر حُلماً عاودنى مراراً فى طفولتى ، وكان فحواه أن الله يحمل قبة مذهب فوق رأسه . ولقد كان من عادتى وأنا طفلة أن أرى هذه القبة توضع كثيراً على رأسى حين أجلس إلى المائدة ؛ حتى لا أتمكن من التطلع إلى أطباق الأطفال الآخرين لأرى مقدار ما أخذوا . وإذا كنت سمعت من قبل أن الله علم بكل شيء ، فعنى الحلم أذننى على علم بكل شيء رغم القبة المذبة .

بيد أن طبيعة عمل الحلم والطريقة التى يتصرف بها فى مادته - وأعنى أفكار الحلم - تظهر على نحو حافل بالغالطة النظرية حين نجىء إلى بحث ما يعرض فى الحلم من الأعداد وعمليات الحساب . أضف إلى ذلك أن للأعداد فى الحلم - على حسب معتقد خرافى - دلالة خاصة على الغيب . ولهذا أنتنى من مجموعى بضعة أمثلة من هذا الطراز .

١ - من حلم أته سيدة قبل أن ينهى علاجها بزم قصير : تريد أن تلغ ثمن شيء ما ، تأخذ ابنها ٣ فلورين و ٦٥ كرويسر من كمها . تقول الحالة : ماذا تقطين ؟ إن هذا لا يكلف سوى ٢١ كرويسر . لقد بدا لى هذا الطرف من الحلم واضحاً مفهوماً دون معاونة ما من جانب الحاملة . وذلك لما أعرفه من ملابسات حياتها . فالحاملة سيدة أجنبية أدخلت فئاتها فى أحد المعاهد التربوية بفيينا . ولم تكن تستطيع مواصلة علاجها إلا إذا بقيت ابنها فى فيينا . ولم يكن باقياً غير ثلاثة أسابيع تنتهى بعدها السنة الدراسية وينهى معها العلاج . واتفق يوم الحلم أن ناظرة المعهد سألتها : هل تستطيع أن تقرر بقاء ابنها عاماً آخر؟ ولا شك فى أن خاطرها قد ذهب بها عندئذ إلى أنها سوف تتمكن فى هذه الحالة من الاستمرار فى علاجها سنة أخرى . وذلك هو محور الحلم : فى السنة ٣٦٥ يوماً ، والأسابيع الثلاثة الباقية من السنة الدراسية تعدل ٢١ يوماً (وإن يكن عدد ساعات العلاج أقل من ذلك) . فالأرقام التى كانت تشير فى أفكار الحلم إلى فئات زمنية قد ترجمت فى الحلم إلى مبالغ من النقود - دون أن يخلو ذلك من معنى أعمق ، فإن الوقت من ذهب ^(١) . ولا تعدل ٣٦٥ كرويسر سوى ٣ فلورى و ٦٥ كرويسر . وإن ضالة المبالغ المذكورة فى الحلم لتحقيق رغبة مكشوف ، فرغبة الحاملة

قد خفضت تكاليف العلاج وأقساط المدرسة على السواء .

٢ - وتسوقنا الأوراق المتضمنة في حلم آخر إلى علاقات أشد تعقداً . فقد سمعت سيدة في مستقبل العمر - وإن تكن تزوجت منذ سنوات متعددة - أن صاحبة من صواحبها تكاد تكون في مثل سنّها - هي إيليز . - قد خطبت حديثاً . فحلمت على أثر ذلك الحلم الآتي : إنها في المسرح مع زوجها وقد علا أحد جوانب القاعة علواً تاماً . يقبل لها زوجها : إن إيليز . وصلها كانا يريدان الهجر . أبداً ، ولكنهما لم يجدوا سوى مقاعد رديئة - ثلاثة مقاعد تبعتها فلورين ١ : ٥٠ كرويتسر - فلم يرضاها بما بطيئة الحال . فطفت نفسها قائلة : وما هناك سرور لو ولد لعل .

ما منشأ هذا الرقم : ١ فلورين و ٥٠ كرويتسر ؟ منشؤه حدث من أحداث اليوم السابق كان في الحقيقة خالياً من كل وزن : ذلك أن أخت زوجها قد أهدي إليها زوجها ١٥٠ فلورين ، فسارعت إلى تبديدها بأن اشترت بها حلية . ولا يفوتنا أن نلاحظ أن ١٥٠ فلورين تمثل ١ فلورين و ٥٠ كرويتسر ١٠٠ مرة . والرقم ٣ - وهو عدد تذاكر المسرح - من أين أتى ؟ الرباط الوحيد الذي نجده هنا هو أن صديقها المخطوبة تقل عنها في السن بمثل هذا العدد من الشهور - ثلاثة .

وقادنا بعد ذلك إلى حل الحلم أن نكتشف لإلام كانت تلمح المقاعد الشاغرة : فتلك كانت تشير إلى واقعة صغيرة هيأت لزوجها فرصة طيبة لمعاكستها ، ذلك أنها كانت قد عقلت العزم على أن ترى مسرحية أعلن أنها ستمثل في أسبوع مقبل . وتكلفت الذهاب لابتئاع التذاكر قبل الموعد بأيام متعددة - مع دفع ما يجره ذلك من فرق الحجز . فلما دخل المسرح ألقيا أحد جوانب القاعة وقد كاد أن يكون شاغراً : لم تكن هناك حاجة إلى أن تصجل كل هذا التصجل . ١

والآن أبذل بالحلم أفكاره الكامنة : « لقد كان جنوناً مني أن أتزوج في مثل هذه السن المبكرة . وما كالت في حاجة إلى كل هذه العجلة . وما هو ذا مثال إيليز . يرنى أنني كنت مستطبعة دائماً أن أجد زوجاً ، بل لقد كنت أجد زوجاً أحسن مالة مرة . (زوج ، كتر) لو أذنّي انظرت بعض الشيء (عل خلاف عجلة أخت زوجها) وبنقودي (البوطة) كان يسعني أن أشتري ثلاثة رجال على هذه الشاكلة ١ ، إننا نلاحظ أن معنى الأعداد والسياق الذي سبقت فيه قد نالهما في هذا الحلم تحريف يفوق كثيراً

نظيره في الحلم السابق . فعلليات التعديل والتشويه قد ضربت هنا بسهم أوفر ، ومعنى ذلك أن أفكار هذا الحلم كانت مكرهة على أن تتخطى مقداراً ذا شدة خاصة من المقاومة النفسية الداخلية قبل أن تبلغ إلى تصويرها في الحلم . ولا نحن ننسى أن هذا الحلم قد تضمن عنصراً غير معقول ، وأخى به أن يستأجر شخصان **الثان والثالث** مقاعد . وهنا أستبق مبحث اللامعقولة في الحلم فأشير إلى أن هذه اللوحة غير المعقولة كانت تهدف إلى تصوير الفكرة التي كان يلح الحلم عليها أشد الإلحاح : لقد كان جنوناً منى أن أتزوج في مثل هذه السن المبكرة . والثلاثة المحتواة في علاقة جد ثانوية بين الشخصين اللذين تتعقد بينهما المقارنة (ثلاثة الشهور فرق السن بين الحاملة واليزل) . قد استغلت استغلالاً حاذقاً في إحداث اللوحة غير المعقولة التي كان يتطلبها الحلم . ثم خفض المائة وخمسين فلورين إلى فلورين وخمسين كرويتسر يوافق القيمة المنخفضة التي تضيفها الحاملة في أفكارها الكامنة إلى زوجها (أو الكثر) .

٣ - وأما المثال الآتي فيسوقنا إلى طرق الحلم في الحساب ، تلك الطرق التي كان لها أكبر الأثر في الاستهانة بالحلم : حلم رجل فرأى أنه كان يجلس في مقعد لدى آل ب.. (وهي أسرة صيقت له معرفتها) وأنه يحدث تاللا : لقد كان خطأ كبيراً منكم ألا تطوفوا فلان . ثم يواصل كلامه لهيئة الخادم : إذن ما عرك ؟ لتجبه قائلة : لقد ولدت في ١٨٨٢ . وأنت إذن في الثالثة والعشرين .

وإذ كان الحلم قد وقع عام ١٨٩٨ فمن الواضح أن ذلك كان حساباً خاطئاً ، وإن ضعف الحلم في الحساب لحرى بأن يُقَرَّبَ من ضعف المريض بعته الشلل إذا لم نجد له تعليلاً آخر . لقد كان مريض يتنمى إلى هذه الطبقة من الرجال الذين لا يرحمون من تفكيرهم امرأة وقع عليها ناظرهم . وكانت تالته المنتظمة في الدخول إلى حجرة استشاري خلال بضعة شهور سيدة في مقتبل العمر ، فكان يقابلها في خروجه ويدأب على الاستعلاء عنها ويتكلف التأدب معها . وكانت هي من يقدر عمرها بثمان وعشرين عاماً - وفي هذا الكفاية في تحليل نتيجة الحساب المزعوم . وأما ١٨٨٢ فكانت السنة التي تزوج فيها هذا الحلم . وأذكر بعد أنه كان من بين الأمور التي لا يطيقها هذا الحلم ألا يفيض في الحديث مع الشخصين المؤنثين الآخرين اللذين كان يلتقي بهما في منزله ، وأخى بهما خادمين - كلتاهما على أبعد ما يكون من الصبا - كانتا تتناوبان

فتح الباب له ، فلما لم يجد منها استرسالا كبيراً علل ذلك لنفسه بأنهما تحبانه ميذاً
تقدم في السن و « استقر » .

وها هو ذا حلم آخر يتميز بوضوح حتمه أو — بالأحرى — حتمه المضاعف ، وهو
حلم أدين به ويتفسيره للدكتور ب . داتنر .

« حلم صاحب المنزل الذي أسكن فيه — وهو من رجال الشرطة — بأنه يقرم بالخسعة في أحد الشوارع —
وهو ما يحقق له رغبة . ويرى به مفتش حلت بنفته الرقم ٢٢ يتجه الرقم ٦٢ أو ٢٦ ، وكل أية حال كان
الرقم يحرق العدد ٢ مكرراً .

« إن كون الحلم قد قسم الرقم ٢٢٦٢ قسمين في أثناء رواية الحلم ظاهرة تجعلنا بلداتها
ندرك أن لكل من شطريه معناه المستقل . ولقد خطر للحالم أن الحديث قد دار بالأمس
في مقر الشرطة حول طول مدة الخدمة ، وكانت مناسبة الحديث أن مفتشاً قد أحيل
على المعاش بعد أن بلغ من العمر ٦٢ عاماً . والحالم قد قضى ٢٢ عاماً في الخدمة ويلزمه
الاستمرار فيها عامين وشهرين لكي يكون له الحق في معاش قدره ٩٠ ٪ . فالحلم يحقق
أولاً رغبة داعبت فكره زمناً طويلاً وهي الرغبة في أن يرقى إلى درجة المفتش ؛ لأن الرئيس
الذي يحمل الرقم ٢٢٦٢ على بنفته ليس إلا الحالم نفسه . وإنه ليقوم بالخدمة في الشارع
— وهي رغبة أخرى أثيرة عنده . ثم هو قد استمر في الخدمة المدة المتبقية : ٢ سنة و
٢ شهر مثل المفتش القديم ذي الـ ٦٢ عاماً ، وصار في وسعه الآن أن يحصل على معاش
كامل » (١) .

إذا ألقينا نظرة شاملة على هذه الأمثلة وأخرى تشبهها (أروها فيما بعد [ص ٤٤٧]) ،
صرنا في حل من أن نقول : إن عمل الحلم لا يعرف الحساب على الإطلاق سواء أكان
صحيحاً أم كان غير صحيح . كل الأمر أنه يلتقط أعداداً ماثلة في أفكار الحلم ويتخذ
منها إشارات يلمع بها إلى مادة لا يمكن تصويرها بغير ذلك ، واضعاً إياها — هذه
الأعداد — في صورة العملية الحسابية . وهو في ذلك يعامل الأعداد كما لو كانت مادة
يتوصل بها إلى الإعراب عن مقاصده ، على نحو يطابق كل المطابقة أسلوب معالجته لكل
فكرة أخرى بما في ذلك أسماء الأعلام والأقوال الواردة صراحة في هيئة صور لفظية .

(١) انظر منه يطبع (١٩١١) وماونيفسكي (١٩١٢ ب) وفيهما تحليلات لأحلام أخرى كانت
تتشكل حل أرقام ، وكانت هذه الأحلام تتضمن في أحيان كثيرة عمليات متقنة جداً أجراها الحالم في دقة مدعشة
والنظر أيضاً جيزز (١٩١٢ أ) .

ذلك أن عمل الحلم عاجز في الحقيقة عن أن يخلق الكلام خلقاً. فهما ورد في الحلم من الأقوال والردود — سواء كانت معقولة في ذاتها أم كانت هراء — فالتحليل يثبت في كل حالة أن الحلم لم يعد أن يلتقط من أفكار الحلم نبذاً من أقوال قيلت بالفعل من قبل أو سمعت ، وأنه قد عالج هذه الأقوال معالجة طابعها التصف إلى أقصى الحدود : فهو لم يقف عند انتزاعها من محيطها وتمزيق أوصالها ، يأخذ أجزاء ويترك أخرى ، بل هو في أحيان كثيرة ينظمها في نسق جديد ، حتى لثرى الكلام يبدو في الحلم كلا مترابطاً فإذا التحليل يبين أنه قد تركب من ثلاث نبد متفرقة أو أكثر . والحلم في خلال هذا الصوغ الجديد يترك في أحيان كثيرة المعنى الأول الذي كان للكلمات في أفكار الحلم ويضيف إليها معنى جديداً كل الجدة ^(١) . وإذا أمعنا النظر في الكلام الذي يشتمل عليه

(١) إن الأصبة تلك من هذه الناحية سلكاً لا يختلف مطلقاً من سلك الحلم . فأصرف مريضة كانت شكاتها أنها تسع (أي تهلوس) أهنيات أو فقرات من أهنيات بدون إرادتها وصل رغم هذه الإرادة ، وذلك دون أن تستطيع أن تدرك معنى هذه الأهنيات بالنسبة إلى حياتها النفسية — هذا ولم تكن حالتها قطعاً بالبارانويا . لقد بين التحليل أنها كانت تستخدم نفس هذه الأهنيات في غير ما وضعت له بأن تشيخ لنفسها إدخال بعض التعليل عليها . مثال ذلك هذا السطر (من لحن أجاتا في أوربر فيبر " فريشويس ")

"Leise, Leise, fromme Weise"

[رفقاً ، رفقاً ، أيها النملة الخاشعة] .

إنه كان يعنى بالنسبة إلى لاشورما : "Leise, leise fromme Weise" [ولا تخلف "Weise" من "Weise" في النطق ، ولكن المعنى يختلف ، فيصبح السطر : " رفقاً ، رفقاً ، أيها اليتيم الخاشعة "] وما اليتيم بالطبع إلا لهاها . أو هذا السطر :

"O du selige, O du frohlich"

[أيها اليلة المباركة ، أيها اليلة السعيدة] .

إنه ملتح أنشودة من أناشيد الاحتفال بليلة مولد البسوع ، ولكن المريضة إذ تسكت من بقية السطر : " يا ليلة ولد فيها يسوع " تحيل الأنشودة إلى أهنية هرس ، إلخ وبين الممكن كذلك أن يمثل هذا التشويه عمله في أفكار لا تدور أن تكون أفكاراً ، غير مصحوة بهلاوس . لم كانت تلاحق أحد مرضى ذكرى قصيدة حفظها في صباه :

"Nachtlich am Bunteleipachin.."

[في الليل مل هس البسونتو ؟]

لأن مخيلته كانت تقنع بهذا القدر من البيت :

"Nachtlich am Bosen"

(أي ، في الليل مل اللذي . والبيت من قصيدة ذاعت أوج ذبوع الشاعر الرومانسي بلان فون هالرموند —

الحلم ، أمكننا أن نفرق بين أجزاء واضحة مركزة نسبياً ، وأخرى كل نفعها أنها أداة وصل ، وأرجح الظن أنها قد أضيفت من بعد على سبيل التكملة ، كما يحدث حين نكمل عند القراءة حروفاً أو مقاطع اتفق سقوطها عند الطباعة . وهكذا يكون للأقوال في الحلم التركيب اللى لبنيان مرصوص تألف من كتل ضخمة من أحجار مختلفة النوع شد بعضها إلى بعض بمادة مقواة .

وإذا أردنا الدقة فالوصف الذى قدمناه لا ينطبق إلا على الأقوال التى تحمل شيئاً من الطابع المحسوس للكلام والى يصفها الحلم نفسه بأنها كانت « كلاماً » . فاما سائر الأقوال التى لا يشعر الحلم — كما يقع أحياناً — بأنها قيلت أو سمعت (أى التى لا تقرن فى الحلم بمصاحبات سمعية أو حركية) فهذه لا تعدو أن تكون أفكاراً من بين ما يلور بخلدنا فى أثناء نشاطنا الفكرى المستيقظ ، وهى فى العادة تنقل إلى الحلم كما هى . ويبدو أن القراءة مصدر آخر غزير ترد منه الأقوال غير المتميزة التى من هذا القبيل ، وإن تكن مصدراً يصعب تأثره . وعلى أية حال ، فكل ما يخطر فى الحلم متخذاً صورة الكلام على نحو ملحوظ من الأنحاء يقبل رده إلى أقوال حقيقية فاه بها الحلم أو سمعها . وقد رأينا من قبل أمثلة تشهد بأن ذلك هو مصدر الأقوال فى الحلم ، رأيناها بينما كنت أحلل أحلاماً سردتها لمقاصد أخرى . مثال ذلك الحلم « البريء » الذى ذكرته فى ص ٢٠٤ حيث كانت جملة « لم يعد الحصول على ذلك فى حيز الإمكان » تنفيذ فى

= (١٧٩٦ - ١٨٣٥) وأما البرونزو فنرى لإيطاليا] .

ون المعروف أن الكتاب المزليين لا يجهلون من الاتجاه إلى هذه الهيلة الفنية . فقد نشرت « الصحائف الطائرة » [الصحيفة المزلية المروطة] فى بابها المنين « حين الأدب الألمان مصورة » . نشرت ربما يصور نصيدة شيلر " Sieges fest " (عيد الظفر) ، وألحقت بالرسم هذين البيتين :

"Und des frisch erkämpften Weib

Freut sich der Attrib und strickt.."

[" وبأثناء الفضة المنصبة

يفرح ابن أتروس ويقعد ... »]

ثم سكت عن البقية ، والبقية هى :

"Um den Reiz des schönen Leibes

Seine Arme hochbeglückt."

[حول سحر جسمها المبدع

ساعده الشد يد الملهد .]

تعينى بشخص الجزار ، بينما أفادت تلك النبلة المقتبسة من سياق آخر : « لست أعرف ذلك ، لا آخذه » - أفادت على التحديد في جعل الحلم حلماً يرياً . فنحن نذكر أن الحاملة كانت في اليوم الذى سبق الحلم قد ردت على مطلب لطاهاها بالعبارة الآتية : « لست أعرف ذلك ، الزم حدودك ! » والجزء الأول من هذا القول - الجزء الذى يلوح بغير شائبة - هو الذى انتقل إلى الحلم لكى يتحقق به التلميح إلى الجزء الثانى - وهو الجزء الذى كان بلائهم نوع التخيل الكامن من وراء الحلم أكبر الملاعبة ، ولكنه كان أيضاً كفيلاً أن يفضحه .

وها هو ذا مثال يفنى عن أمثلة أخرى كثيرة تفضى جميعها إلى ذات النتيجة :
الحالم في فناء كبير أحرقت فيه بعض الجثث . يقول : « في ماض ، لست أظن منظراً (لم يكن ذلك كلاماً متميزاً) . يقال الحالم يعتقد سيرة جزار ليلها : حساً . هل كان مذاقها لهذا ؟ فجيء أحداً : كلا ، كلا من الإطلاق . كأنما كان القم لحماً آدمياً .

إن المناسبة البرينة للحلم هى الآتية : ذهب الحالم وزوجه ذات مساء في زيارة بعض الجيران ، وكانوا من طيبة الناس ولكنهم لم يكونوا بحال من الأحوال من النوع الذى « يفتح النفس » . وكانت ربة البيت المعجوز المضيفة لا تزال تتناول عشاءها فحاولت أن ترغمه على أن يلذق بعض طعامها (هناك كلمة أخرى يستخفها الرجال فيها بينهم على سبيل المزاح للإعراب عن فكرة الإرغام^(١)) فاعتذر متعللاً بنقص شهيته ، ولكنها أجابته قائلة : « امض . امض ، إن هذه الكسرة لن تعجزك » أو شيئاً من هذا القبيل . فكان أن أضطر إلى تنويعها ثم أطرى السيدة قائلاً : « إن طعامها لذيل جداً » . فلما خلا إلى روجه من جديد تلمر من إلحاح الحارة ومن مذاق طعامها كذلك . وأما فكرة « لا أطبق منظرها » - وهى الفكرة التى تخطر حتى في الحلم في صورة الكلام بالحنى الصحيح - فتلمح إلى الفن البدنية للسيدة الداعية ، ولا ترجمة لها سوى أن الحالم لا يطبق النظر إليها .

غير أننا نجنى المزيد من الفائدة النظرية من حلم آخر أرويه في هذا الموضع لما اشتمل عليه من كلمات جد متميزة كانت تكون نقطته الرئيسة ، وإن كان هذا الحلم

(١) [أنظر = "notigen" ، الكلمة المروء إليها هى "notschtingen" وتنى الإرغام بالحنى الجنى أو الاضصاب] .

لن يتضح إلا حين نعرض للحديث عن الحالات الوجدانية في الحلم . حلمت الحلم الآن في وضوح تام : ذهبت ليلاً إلى معمل بروكه . فخرج الباب قرماً رفيقاً ففتحه للأستاذ (المتوفى) فلايشل الذى جاء يصحبه بعض الغرباء ثم جلس إلى مائدته بعد كلمات قليلة . وأعقب ذلك حلم ثان . جاء صديق ف . (ليس) إلى فيينا في شهر يوليو على غير توقع . أتاه في الطريق وهو يتحدث إلى صديق (المتوفى) ب ، ثم أذهب معهما إلى مكان ما حيث يجلس الواحد قبالة الآخر كأنما يجلسان إلى مائدة صغيرة ، وأجلس في الصدر عند جانب المائدة الضيق . يتحدث ف . من أخيه ويقول : إنها ماتت في خمس وأربعين دقيقة ، ثم يضيف بفتح كلمات من قبيل : تلك كانت العبة . ولا يفهم ب . مراده ، فيتحول ف . إلى ريماني : إلى أي حد أظلمت ب . هل أخبارنا ؟ حيث تتولان انفعالات غريبة وأحاول أن أفرح لصديق ف . أن ب . ما كان بالطبع ليستطيع أن يفهم شيئاً على الإطلاق ، لأنه ليس حياً . ولكن التمييز الذى أستظمه بالفعل - وأنا أخطئ - كان Non vivit (لم يعيش) ثم بعد ذلك أسوب نظرة ثانية إلى ب . فإذا هو يقطع أمام نظري ، وتتخلط صوته ، وتصل عيناؤه إلى زرقعة مريضة ، وفي النهاية يلرب ويخض . ألرب للـك طرباً لا حد له وأدرك الآن أن إرست فلايشل لم يكن هو الآخر إلا طليفاً ، شجاعاً عادلاً ، وأرى أنه من الممكن غاية الإمكان أن يكون أمثال هؤلاء الأشخاص إنما يوجدون بمقدار ما يريد لهم المرء أن يوجدوا وأن في الصبح أن يجدوا لو شاء الغير ذلك .

إن هذا الحلم البديع قد حوى عدة من الخصائص المحيرة لمحتوى الحلم [الظاهر] : كأن أمارس ملكة النقد في أثناء الحلم نفسه فألاحظ خطئى حين أقول : Non vivit [لم يعيش] بدل : Non vivit [ليس حياً] ، ثم هذه الصلة الحالية من كل كلفة بموت أعرف في الحلم أيضاً أنهم كذلك ، ثم فساد استنتاجي الأخير وما أثاره هذا الاستنتاج من الطرب في نفسي ! إلى « لأبذل حياتي طواعية » لو قد استطعت بذلك أن أورد حل هذه الألغاز كاملاً . ولكن الحقيقة أرى لا أستطيعه : إلى لأعجز عن أن آتى ههنا ما آتية في الحلم من التضحية بأشخاص أكن لهم أكبر التقدير في سبيل مطامعي . بيد أن كل استخفاء سوف يهدم مع هذا ما أعلم حتى العلم أنه معنى الحلم . وعلى ذلك أفصح هنا . ثم في الموضوع الآخر [ص ٤٧٨] بأن أنتنى قلة من عناصره لأفسرها .

لقد كان محور الحلم مثبداً أعدم فيه ب . بنظرة . وتحول عيناه في أثناءه إلى أزرق غريب يفارق كل مألوف . ثم ينوب وهو يختنق . وما من خطأ في أن هذا المشهد إنما ينسخ آخر قد عشته حقيقة . فقد علمت ممزناً في المعهد الفيزيولوجي وكان الواجب يقتضى أن أبداً العمل في الصباح الباكر . ونمى إلى سمع بروكه أرى كنت أصل متأخراً

إلى معمل الطلبة في بعض الأحيان ، فتوجه إلى المعمل ذات صباح ساعة البدء في العمل وانتظري : كانت كلماته موجزة وكانت في الصميم ولكن اللى همنى لم يكن كلماته وإنما اكسحتنى عيناه الزرقاوان الرهيبان اللتان سددهما إلى فأحالتاني إلى علم - شأن ب . في الحلم ، حيث انعكس الدوران بما يخفف عني . وإن من يذكر عيني الأستاذ الجليل - هاتين العينين اللتين ظل لهما جمالهما العجيب وهو بعد شيخ طاعن - ويذكر أنه رآه في سورة من الغضب ليستطيع في غير عناء أن يتخيل ما ولى إذ ذاك الفتى الآثم من الإنفعالات .

بيد أنني لبثت وقتاً طويلاً لا أفصح في العثور على مأتى جملة " Non vixit " التي صفت فيها ذلك الحكم على ب . ، إلى أن خطر لي أن هاتين الكلمتين لم تحظيا في الحلم بتلك الدرجة الشديدة من الوضوح لأنني سمعتهما من قبل أو فहत بهما ، بل لأنني رأيتهما . وحيث علمت على الفور من أين أتتا : فعلى قاعدة التمثال المقام للقيصر جوزيف في القصر الإمبراطوري بقينا نقرأ تلك الكلمات الجميلة :

Saluti patriae vixit

non diu sed totus ^(١)

لقد أخذت من هذه الكلمات ما يلائم المخاطر العدائية التي كانت تتضمنها أفكار الحلم . وما كان معناه : " ليس لهذا الشخص رأى يعتد به ، إنه ليس حياً على الإطلاق " . وإلى أذكر الآن أنني رأيت هذا الحلم أياماً قليلة قبل أن يرفع الستار عن نصب تذكاري أقيم لفلايشل في ساحة الجامعة . وكنت آنذاك قد رأيت نصب بروكه مرة ثانية ، ولا بد أنني فكرت أسفاً (تفكيراً لا شعورياً) كيف كان الموت المبكر سبباً في أن يفقد صديقي ب . الذي ندب حياته لخدمة العلم حقه المشروع المستحق في نصب يقام له في هاته الحرمات وهكذا كان أن أقمت له في الحلم هذا النصب - وأذكر بعد أن صديقي ب . كان اسمه الأول جوزيف ^(٢) .

(١) [لخير الوطن عاش بكل نفسه وإن لم يش طويلاً] . الكلمات الصحيحة هي :

Saluti publicae vixit

non diu sed totus.

وأكرر التلن أن فيلظ قد خن السبب الصحيح لخطأ الذي جعلني أضع patriae بدل publicae [أي " لخير الوطن " بدل " لخير العام "] .

(٢) وأضيف - كثال على الحلم المضاف ، أن سديق من الوصول إلى المعمل متأخراً كانت لى -

بيد أن قواعد تفسير الحلم لا تبرر حتى الآن كوني بدلت : " non vivit " التي
أحتاج إليها " non vixit " المستمدة من ذكرى نصب القيصر جوزيف . لا بد أن
أفكار الحلم قد حوت عنصراً كان له أثره في جعل هذا التبديل أمراً ممكناً . وهأنذا أُنْتَبِه
الآن إلى أن هذا المشهد من الحلم قد حوى مجريين من المشاعر نحو صديقي ب . : الأول
عدائي ، طاف على السطح والثاني ملؤه الود ، مستتر ، ولكنهما يبلغان جميعاً إلى التمثل في
تلك الحملة الواحدة : " non vixit " . لقد استحق ب . أطيب الجزاء من العلم ،
فله أشيد نصيباً . ولكنه تذبذب على برغبة شريرة (أعرب عنها في نهاية الحلم) ، ولهذا
أعلمته : إلى اللحظة أن هذه الحملة الأخيرة قد أجريت على وتيرة خاصة ، ولا بد أني
كنت متأثراً فيها بنموذج احتليلته . أين نجد مثل هذا التقابل ، مثل هذا التجاور جنبا
إلى جنب بين استجابتين متضادتين تجاه شخص بعينه ، استجابتين تدعى كل منهما
أن لها ما يبررها كمال التبرير دون أن تعمل مع ذلك على أن تغير شيئاً من الأخرى ؟ نجد
في فقرة واحدة ولكنها فقرة تترك في النفس أثراً عميقاً ، في الخطاب الذي يلقيه بروتوس
لكي يبرر فعله في « يوليوس قيصر » لشكسبير : « أجنبي قيصر ، فعليه أبكي ، وكان
مجلوداً ، فله أسر ، وكان مقداماً ، فإياه أبجل ، لكنه كان طموحاً ، لهذا قتلته . »
أليست بنية العبارة هنا وأليس التقابل في المعنى هما هما اللذان رأيناها في فكرة الحلم
التي كشفت عنها « وإذن كنت ألب بروتوس في الحلم . لو استطعت أن أجد في محتوى
الحلم أثراً آخر يؤيد هذه الرابطة الجانبية المدهشة ، إلى أفكر في أن ما يأتي ربما كان
شاهداً ممكناً : « جاء صديقي ف . إلى فيينا في شهر يولية . » إن هذه النبلة من الحلم
لا أساس لها في الحقيقة الواقعة ؛ فصديقي ف . - بقدر ما أعلم - لم يأت قط إلى فيينا
في شهر يولية . ولكن يولية شهر سمي باسم يوليوس قيصر ، وهو إذن قد يمثل حقيقة
هذه الإشارة التي أبحث عنها إلى تلك الفكرة المتوسطة ، فكرة القيام بدور بروتوس (١) .

والشيء العجيب هو أني قد لعبت بروتوس حقيقة يوماً ما : فقد مثلت مرة أمام
جمهور من الأطفال مشهداً من شيللر يلعب بين بروتوس وقيصر . كنت أبلغ من العمر

- كنت مغلماً - بعد العمل حتى مائة متأخرة من الليل - إلى أن أطلع في الصباح المسافة الطويلة بين شارع
القيصر جوزيف وشارع لارينجر .

(١) ثم أيضاً هذه الرابطة : قيصر [يوليوس] - قيصر [جوزيف] .

إذ ذاك أربعة عشر ربيعاً وكان يشاركنى المشهد ابن أخ يكبرى بعام واحد ، وكان قد وفد حديثاً من إنجلترا، فكان هو الآخر عائداً ! إنه كان رفيق السنوات الأولى من طفولتى يُبْعَثُ بمجيئه إلى الوجود من جديد . فقد كنا حتى نهاية السنة الثالثة من حياتى صغوين لا يفترقان ، أحب كلانا الآخر ونأصبه العداء ، وكان لهاته العلاقة الطفلية - كما ألمعت إليه من قبل - أثر حاسم فى جميع علاقاتى التالية بمن كانوا فى مثل سنى . ومنذ ذلك الحين وابن أخى - جون - يجد له متمصين عديدين يبعثون - عل حسب الأطوار - هذا الجانب أو ذاك من شخصه المبت فى ذاكرتى اللاشعورية تثيراً لا يتزعزع . ولا بد أنه - بين الحين والحين - قد أذاقنى شر المعاملة ، ولا بد أنى أظهرت شجاعة جمّة فى وجه طاغيتى ، فكثيراً ما سمعت فى مستأنف السنين عن خطاب قصير ألقته دفاعاً عن نفسى إذ سألتى والدى - وهو جد غريمى - الحساب : سألنى : لم تضرب جون ؟ فأجبت فى لغة الطفل : يبلغ العامين : هم (ل) بهه ؛ لأنه هم (ل) بى . ولا بد أن هذا المشهد الطفلى هو الذى حرف non vivit إلى non vixit ؛ فالضرب فى لغة سنوات الطفولة اللاحقة يسمى wischen [فيكسن] ، وما يرفع عمل الحلم عن التوصل بأمثال هذه الروابط . والحق أن عدائى تجاه صديقى ب . لم يكن له من الحقيقة الواقعة إلا أقل المبررات ، وكان إذن يرجع يقيناً إلى علاقتى الطفلية المقعدة بجون ؛ لقد كان صديقى ب بفضلنى أضعافاً ، وهو - لهذا - كان مهيباً لأن يبلو لى مثل نسخة جديدة من رفيق فى اللعب .

وقد قلت : إن لى عوداً إلى هذا الحلم .

ز

الأحلام اللامعقولة - النشاط العقلى

فى الأحلام

لقد صادفنا عنصر اللامعقولة مراراً من قبل بينما كنا نفسر الأحلام التى سبقت . ولسنا نستطيع بعد الآن أن نرجئ البحث فى منشأ هذا العنصر وفى المفزى الذى قد يكون

له ، فما زلنا نذكر أن لامعقولة الأحلام قد زودت أولئك الذين ينفون قيمة الحلم
بمجتهم الرئيسة في أن الأحلام يجب أن تعد نتاجاً لا معنى له تولد عن نشاط عقل منقوص
متقطع .

وأبداً بتقديم أمثلة قليلة ليست اللامعقولة فيها إلا شيئاً ظاهرياً ، ولكنها لا تثبت
أن تختفى حين تقرب النظر إلى الحلم . وهامى ذى بضعة أمثلة تتصل بالألب الميت
(وهى صلة قد تبدو للوهلة الأولى وليدة الصدفة) .

حلم مريض كان قد فقد والده قبل الحلم بستة أعوام الحلم الآتى :

نزلت بولده نكبة بالغة : ذلك أنه كان يسافر لىلا فخرج القطار من السكة وانطلقت المقاعد بعضها
فوق بعض وانفلس رأس والده حتى انطلق جانباً على جنب . يراه الحلم بعد ذلك رائداً في سريره فوق حاجبه
الأسمر جرح ذو اتجاه رأسى . يجب الحلم من أن يتزل بولده مكروه (ويزيد فيقول وهو يروى : لأنه
كان قد مات) . ما كان أفتح لون منه !

لو اتبعنا النظرية السائدة عن الأحلام لفصرا محتوى هذا الحلم على ذلك الوجه :
إن الحلم وهو يتخيل هذه الحادثة التى ألمت بأبيه قد نسى أول الأمر أن أباه هنا راقد
في قبره منذ سنوات متعددة ، فلما استمر في حلمه استيقظت الذكرى وكانت النتيجة
أنه عجب لحلمه وهو ما زال بنومه . بيد أن التحليل يعلمنا أن التماس أمثال هذه التعليلات
لا يمدى شيئاً . لقد كان الحلم أوصى أحد الفنانين بصنع تمثال نصفي لأبيه ، ولم يكن
رأى التمثال للمرة الأولى إلا قبل الحلم بيومين . وإن تكن من نكبة ، فالنكبة إنما حلت
بهذا التمثال ، ذلك أن التمثال لم يكن رأى والد الحلم قط وكان يعمل غير مستعين إلا
بالصور الشمسية وحدها . وحدث في اليوم الذى سبق الحلم أن الحلم - مدفوعاً بتقواه
البنوية - أرسل خادماً من خدم الأسرة القداماء ليرى بعينه هل كل الحلم محققاً في حكمه
على الرأس المرمية - وكانت تبدو له شديدة الضيق فيما بين الجالنين عند الصديقين .
ثم يمضى الحلم فيأخذ في تذكر المادة التى شاركت في تكوين هذا الحلم : لقد كان من عادة
الوالد حين تغلبه هموم العمل أو متاعب الأسرة أن يضغط جانبي الجبهة بكلتا يديه
كأنما كان يحس انبساطاً مفرطاً في رأسه ويود لو ضمه . وحدث مرة أن المريض
- وهو في الرابعة من عمره - كان حاضراً حين انطلق سدس اتفق أنه كان مليئاً

بالرصاص فاسودت عينا والده (ما كان أفتح لون عينيهِ !) . وأما تلك البقعة فوق الجبهة حيث مكان الجرح في الحلم فكانت - ووالده على قيد الحياة - تحمل خطأً غائراً يظهر كلما ولى الوالد فكر أو حزن . فأما أن يرتفع هذا الخط ويحل جرح في موضعه فهنا ما يشير إلى المناسبة الثانية للحلم : ذلك أن الحلم التقط صورة شمسية لابتته الصغيرة وانزلت اللوحة بين أصابعه . فلما التقطها رأى بها شراً جرى فوق جبهة الفتاة الصغيرة في اتجاه رأسى حتى حاجبها . ولم يملك الحلم إلا أن يتطير ؛ لأنه قبل أن تموت أمه بأيام قلائل قد كسر لوحة شمسية كانت تحمل صورتها .

وهكذا لا تخرج اللامعقولة في هذا الحلم عن أن تكون ناتجاً لما في التعبير اللغوي من إهمال يقعه عن التفرقة بين المثال أو الصورة وبين الشخص الحقيقي ؛ فكلنا قد نقول [ونحن نتحدث عن صورة] « ألا ترى أن الوالد غير مضبوط ؟ » وقد كان من السهل تجنب ظهور اللامعقولة في هذا الحلم ؛ فلو جاز للمرء أن يحكم مستنداً إلى مثال واحد لأغرينا بالقول : إن مظهر اللامعقولة هنا مظهر لاقى موافقة - إن لم يكن جاء عمداً .

٢

وها هو ذا مثال ثان يشبه السابق غاية الشبه . أنتخبه من أحلامى (فقدت والدى عام ١٨٩٦) :

قام والدى بعد موته بدور سياسى كبير بين المجرىين ، ووجد بينهم سياسياً . وهنا أرى صورة صغيرة غير واضحة : حشد من الناس كأنهم في المرافعة ، يقف شخص على مقعد أو مقعدين وقد أحاط به آخرون . أذكر مثلاً كيف كان والدى - وهو على فراش الموت - شديد الشبه بناريسالدى ، وأسر لأن هذا الوجه قد صار حقيقة .

لنى هذا من اللامعقولة الكفاية ! إن هذا الحلم قد جاءنى في وقت آل فيه المجرىين إلى حال انعدام فيها القانون من جراء العرلة البرلمانية . وكانوا يجتازون هذه الأزمة التى

خلصهم منها كولومان سُل^(١) . ولم تكن تلك الملابس التألفية : أن المشهد المرئى فى الحلم قد تكون من صور صغيرة كل الصفر - خالية من الأهمية فيما يتعلق باستجلاء هذا العنصر من الحلم . ذلك أن الحلم يصور أفكارنا عادة فى صورة تقارب الحجم الطبيعى ، ولكن الصورة التى رأيتها فى حلمى إنما كانت تردد صورة محفورة من الخشب رأيتها منقولة فى كتاب مصور عن تاريخ النمسا ، وكانت هذه الصورة تمثل ماريا تيريزا فى رايمشتاج پرسبورج إبان المشهد المعروف [حين هتف نبلاء المهر بمبايعتهم] : « نموت فداء مليكتنا »^(٢) . وقد وقف والدى محاطاً بالجموع مثل ماريا تيريزا ، ولكنه وقف على مقعد [« Stuhl »] أو مقعدين ، أى أنه كان لاهياً [Stuhlrichter] وترجمته الحرفية هى : قاضى الكرسي بمعنى القاضى المترسلا . ثم هو قد وحدهم : إن الرابطة هنا هى هذا التعبير [الألماني] الدارج : لن نكون بحاجة إلى لاهى [أى سنكون متحدين لا متنازلين] . فاما أن والدى وهو على فراش موته قد لاح شيئاً بفاريا الذى كل الشبه فذلك أمر لاحظناه جميعاً نحن الذين اجتمعنا من حوله فى هاته الساعة ، فقد ارتفعت درجة حرارته عقب الوفاة واحمرت وجنتاه حمرة زادت عمقاً بعد عمن . إن الخطاطير ليشاق هنا طوعية إلى تلك الكلمات : « ومن ورائه يجثم - فى مظهر خلو من كل حقيقة - هذا القيد الذى يغلنا جميعاً : الأمور المشتركة [أو المشاعة المبتلة] »^(٣) .

إن هذا العلاء فى أفكارنا يجعلنا نتوقع أننا لابد آتون إلى هذا « المبتل » على التحقيق فارْتِفاع درجة حرارة والدى « عقب الوفاة » هو المضمون الذى يقابل قول الحلم : « بعد موته » ، وقد كان أقصى ما لاقاه والدى من العذاب شلل الأمعاء شللاً تاماً (العرقلة) فى خلال الأسابيع الأخيرة . وترتبط بذلك أفكار لا توقيف فيها من كل صنف . من ذلك

(١) [رئيس الحكومة الاتحادية التى تأسست عام ١٨٩٨ فأنقلت المهر من أزمة سياسية عنيفة] .

(٢) ["mariaunur pro rege nostro"] - لست أدري أين قرأت من حلم انضمام بصورة صغيرة على خلاف المؤلف ثم تبين أن مصدرها كان صورا بجاء الفضة من صنع جاك كالو ، وأما الحلم فى خلال النهار . ولوحات كالو هذه تحكى فعلا على عدد كبير من صور صغيرة جدا ، وتمثل طائفة منها أهوال حرب الثلاثين .

(٣) من قصيدة جوته المنونة "Epilogus Schiller's Glocke" .

أن أحد أقراني - وكان قد فقد والده ونحن لا نزال بالمدرسة الثانوية وكنت قد تأثرت له كثيراً إذ ذاك وبذلك له من صداقتي - قد قص على مستهزئاً أى ألم أصاب إحدى قريباته إذ سقط والدها ميتاً في الطريق ، وأحضر إلى المنزل محمولاً ، فلما نزع الثياب عن جسده تبين أن عمود البراز [Stubble] قد نزع منه في لحظة الوفاة أو عقب الوفاة . وكانت الابنة تشعر بتعس عميق إذ ترى هذه اللحمية الكريهة تنفص ذكرها لأبيها . وهنا نلمس الرغبة التي تجسست في هذا الحلم : أن يقف الأب بعد مماته طاهراً عظيمياً في أعين أبنائه - ومن ذا الذي لا تجول بصدرة هذه الرغبة ؟ ولكن ماذا عن لا معقولة الحلم ؟ إن مظهرها إنما يرجع إلى أن تعبيراً جارياً يستيفه الجميع كل استساغة وألفنا أن نفحص النظر عن اللامعقولة المتضمنة في التناقض الذي بين مقوماته قد صور في الحلم بمخالفته . وهنا أيضاً لا نستطيع أن نتجنب الشعور بأن مظهر اللامعقولة في الحلم مظهر مقصود ، مستثار عمدًا .

إن الكثرة التي يحظر بها الموتى في أحلامنا ويعملون ويتصلون بنا كما لو كانوا أحياء كانت مثاراً لعجب لا داعي إليه وسبباً في نظريات غريبة تبرز سوء فهمنا للأحلام إبرازاً قوياً . وتعليل هذه الأحلام قريب مع ذلك منا كل القرب . فكم من مرة نرانا في موقف نتسالم معه ، « ترى ماذا كان يقول الوالد لو كان حياً ؟ » ولا يستطيع الحلم أن يصور « لو » هذه بغير الحضور الفعلي في موقف بعينه . مثال ذلك شاب ترك له جده ميراثاً كبيراً ، فلما أخذ يؤنب نفسه لأنه أضاع قدرًا لا يستهان به من المال حلم بأن جده يناقشه الحساب . وإن ما نعتقد أنه نقد موجه إلى الحلم إذ نحتاج استناداً إلى معرفتنا الوثقى بأن الرجل ميت مطمور بعد كل شيء ، ليس في الحقيقة إلا عزاء يقول لك : إن الميت قد أغناه الموت عن أن يرى هذا كله ، أو ارتياح إلى ما آت إليه من المعجز عن أن يتدخل بخير أو بشر .

وهناك نوع آخر من اللامعقولة يظهر في أحلام الأقارب المتوفين ولكن دون أن يعرب عن سخرية أو زراية^(١) ، وإنما عن استنكار بلغ منتهاه ، وبذلك يفيد في تصوير فكرة مكبوتة يؤثر المرء أن ينظر إليها نظرتة إلى أمر يستحيل مجرد التفكير

(١) [يلهم من هذه الجلسة أن اللامعقولة في الحلم تعرب عن سخرية أو زراية متضمنة في أفكار الحلم وهي الصيغة التي يخلص إليها لبريد فيما بعد .]

فيه . وتبدو الأحلام التي من هذا النوع مستعصية على كل حل ما لم ننتبه إلى أن الحلم لا يفرق أقل تفرقة بين ما هو حقيقى وما هو موضوع رغبة . مثال ذلك رجل غنى بأبيه فى أثناء مرضه وألم لموته ألماً بالفاً ثم بعد أن انقضى زمن على موته حلم هذا الحلم غير المعقول : كان أبو حسان جدي وكان يتحدث إليه كما لو كان معه ولكنه (وهذا هو الشيء العجيب) كان مع ذلك ميتاً ، سوى أنه لم يكن يعلم أنه كذلك . إننا نفهم هذا الحلم حين نضيف إلى « كان مع ذلك ميتاً » . « نتيجة لرغبة الحالم » ، وحين نكمل « دون أن يعلم » : « أن تلك رغبة الحالم » . ذلك أن الحالم قد اشتى الموت لوالده مراً بينما كان يقوم بتمريضه ، وهذا يعنى أنه قد ساورته تلك الفكرة التي كانت فى الحقيقة مشربة بالرحمة : أن يضع الموت حداً لعذاب أبيه . فلما جاء الحداد فى أعقاب الموت أصبحت هذه الفكرة عنها مثاراً لتأنيب لاشعورى ، كأنما كان من أثرها أن قصرت بالفعل حياة المريض . ولقد أمكن الإفصاح عن هذا التأنيب فى صورة حلم ، لأن أقدم الدوافع الطفلية العدائية نحو الأب قد أثبتت ثابرتها ، إلا أن الفرق الساحق بين الحافز إلى الحلم وبين أفكار البقطة - هذا الفرق على التحديد - هو الذى حتم خروج الحلم على تلك الصورة اللامعقولة . (انظر فرويد ١٩١١ ب .) .

والحق أن الأحلام المتعلقة بمن .اتوا من أحباء الحالم تثير فى وجه التفسير ، مشكلات صعبة ليس من المستطاع فى كل حالة الوصول إلى حلها حلاً مرضياً . والسرف فى ذلك ينبغى التماسه فيما يسيطر على علاقة الحالم بالشخص الميت من ازدواج عاطفى ذى شدة خاصة ملحوظة . ومن الشائع فى الأحلام التي من هذا القبيل أن يعامل الشخص الميت فى المبدأ كما لو كان حياً ، ثم يتقلب فإذا هو ميت ، ثم يعود إلى الحياة فى جزء تال من الحلم . وكل هذا سبب فى أن تختلط الأمور علينا . ولقد خطر لى فى النهاية أن هذا التداول بين الموت والحياة قد يكون القصد منه استواء الطرفين عند الحالم (« سواء عندى أن يكون حياً أو ميتاً ») . وهذا الاستواء بالطبع ليس حقيقة بل موضع رغبة وحسب ، والقصد منه هو مساندة الحالم على أن ينبذ مواقفه العاطفية ذات الشدة المفرطة والتي يكثر تناقضها ، وهو لهذا يصير وسيلة بصور بها الحلم الأرواج الذى فى عاطفة الحالم . وهناك أحلام يتواصل فيها الحالم والميت ، وهنا نعيننا القاعدة الآتية على أن نجد طريقنا : إذا لم يذكر فى الحلم أن الميت ميت ، فالحالم يساوى نفسه بالميت ، أى أنه يحلم بموته نفسه ،

فإن صاح فجأة في دهش : « ولكنه قد مات يقيناً منذ زمن طويل ! » فالحلم يطرح هذه المساواة وينبذ ما يحمله الحلم من معنى موته . بيد أنني أعترف بشعوري بأن تفسير الأحلام ما زال بعيداً عن أن يفض جميع الأسرار التي تنطوي عليها الأحلام التي لها هذا المحتوى .

٣

ولقد أمكنني في المثال الذي سأرويه الآن أن أفاجئ عمل الحلم وهو يعمل عن عمد على خلق مظهر من مظاهر اللامعقولة دون أن تكون في مادة الحلم أقل مناسبة للملك .

والمثال مأخوذ من الحلم الذي أثاره التقافى بالكونت تون وأنا أهم بالإجازة [ص ٢٢٨] :

« أركب حربة وأمر السائق بالتوجه إلى المحطة . أقبل له بعد أن أثار اعتراضاً ما - كان أكون أرفقه : إنني بالطبع لا أستطيع أن أركب معك مسافة السكة الحديدية نفسها : وهنا يبدو الأمر كأنما كنت قد ركبت سهو بالفعل المسافة التي يقطعها المرء عادة بالقطار . » إن التحليل يزودنا بما يلي في توضيح هذه القصة المشوشة غير المعقولة : أجرت في اليوم السابق حربة لكى تحملني إلى شارع ناء في دورنياخ [من ضواحي فيينا] ، ولم يكن الحوذي يعلم مكان الشارع ، ولكنه مع ذلك أخذ يسوق ويوغل على ما نعلم من عادة هؤلاء القوم الأماجد . إلى أن انتهت أخيراً فأعلمته أين الطريق الصحيح دون أن أبجل عليه ببعض الملاحظات الساخرة . وكانت هناك رابطة فكرية - سألتني مرة أخرى فيما بعد - تقود من الحوذي إلى النبلاء . وأما الآن فلم تكن إلا تلك الفكرة العابرة . وهي أن أشد ما يدعشنا نحن عامة البورجوازيين من النبلاء هو غرامهم بالجلوس في مقعد السائق ، فقد كان الكونت تون في الحقيقة يقود حربة الدولة النموية . بيد أن الجملة التالية كانت تشير إلى أخى الذي عينته - إذن - في الحلم بسائق الحربة ، فقد حدث في هذا العام أنني عدلت عن رحلة كنا عزمنا على القيام بها سوياً إلى إيطاليا (« إنني لا أستطيع أن أركب معك مسافة السكة الحديدية نفسها ») . ولقد كان هذا العلول نوعاً من العقاب على ما كنت أسمع من شكائاته : فأننا في أمثال هذه الرحلات لا أكف عن إرهاقه (وهو ما ورد في الحلم من غير تحريف) بالإصرار على الانتقال العاجل من مكان إلى آخر وعلى مشاهدة عدد لا يحصى من الأشياء الجميلة في اليوم

الواحد . وكان أخى قد صمى ذلك المساء إلى المحطة ، ولكنه تفرق قبلها بمسافة قصيرة عند محطة خطوط الضواحي الملحقة بمحطة الخطوط الرئيسة لكي يركب الخط الذهاب إلى هوركنسبورف [على سبعة أو ثمانية أميال من فيينا] . وكنت فى حديثى إليه قد لاحظت أنه كان يستطيع أن يمكث معى فترات أطول لو أنه سافر إلى هوركنسبورف بالخط الرئيس بدل السفر بخط الضواحي . ومن هنا جاء فى الحلم أنى ركبت بالعربة جزءاً من المسافة التى يقطعها المرء عادة بالسكة الحديدية . ولقد كان ذلك عكس ما وقع فى الحقيقة (وه الركوب المكمس هو أيضاً ركوب)^(١) ، فقد كنت قلت لأخى : تستطيع أن تتركب معى على الخط الرئيسى تلك المسافة التى تريد أن تقطعها فى خط الضواحي . وكنت أنا مبعث كل الخلط فى الحلم بأن وضعت « العربة » بدل « خط الضواحي » - وهو ما أفاد على أية حال فائدة طيبة فى الربط بين الحوذى وأخى . وهكذا أخلق فى الحلم شيئاً لا معنى له ، يبلو مختلطاً اختلاطاً يكاد يتعذر معه كل حل ، ثم هو يكاد يناقض ملاحظتى السابقة فى الحلم (« إننى لا أستطيع أن أركب معك مسافة السكة الحديدية نفسها ») كل المناقضة . وإذ لم تكن هناك أية ضرورة تدعونى إلى أن أخلط بين سكة حديد الضواحي والعربة ، فلا مناص من التسليم بأن كل هذه الأشغولة الملفة إنما جاءت لغرض فى نفسى .

ولكن أى غرض؟ إن علينا الآن أن نكشف معنى اللامعقولة فى الحلم والذوائف التى تدفع إلى قبولها أو خلقها خلقاً . وحل اللغز فى الحالة التى نحن فيها هو ما يأتى : إننى كنت محتاجاً إلى أن أحلك مظهراً من مظاهر اللامعقولة ، شيئاً غير مفهوم مرتبطاً بكلمة *fabren*^(٢) لأننى كنت أضمر بين أفكار الحلم معنى لم يكن يد من تصويره . وبيان ذلك أنه حدث ذات مساء أنى كنت فى منزل سيدة كريمة عالية الذكاء - هى التى ظهرت فى صورة « مدبرة المنزل » فى أحد مشاهد هذا الحلم عينه - وهناك سمعت أحجيتين طلب منى أن أجد

(١) ["Umgekehrt ist auch Gefahren" (أى أن الركوب أو السرى الذى ينعكس اتجاهه ليسير إلى الخلف هو أيضاً ركوب أو سرى) . تمييز نمسى لطيف بمعنى : والعكس أيضاً يصدق . والمراد هنا هو : لم يركب أى تلك المسافة فى الحقيقة ، إذن أركبها أنا فى الحلم ، وكله ركوب برغم العكس] .

(٢) [إن كلمة "*fabren*" التى ترجمناها حتى الآن ترجمة متعجلة بكلمة "ركب" تعنى فى الحقيقة : ركب العربة أو سقتها أو ركب القطار أو سار] .

حلهما . وكانت بقية الجماعة تعرف هاتين الأحجيتين ، فكان منظري وأنا أحاول سدى العثور على الإجابة باعثاً على الضحك . وكانت الأحجيتان تقومان على تورية في معنى كلمتي "Nachkommen" و "Vorfahren" ، وكان نصها - فيما أعتقد - هو الآتي :

Der Herr befiehlt's,
Der Kutscher tut's.
Ein jeder hat's,
Im Grab ruht's.

[السيد يطلبه]

الحوذي ينقله .

الجميع يملكه

وفي القبر مرقده .]

الجواب : "Vorfahren" [وهو فعل بمعنى « تقدم بعمرته » واسم بمعنى « السلف » أو « المتقدمون » .]

وكان مما يبعث على الارتباك أن النصف الأول من الأحجية الثانية كان مشتركاً بينها وبين الأولى .

Der Herr befiehlt's
Der Kutscher tut's.
Nicht Jeder hat's
Im der Wiege steht's

[السيد يطلبه]

الحوذي ينقله

ليس الكل يملكه

في المهد مرقده .]

الجواب : "Nachkommen" [ويعني « تبع » وأيضاً « الخلف » أو « الدرية » أو « اللاحقون » .]

فلما رأيت الكونت تون تتقدم عربته على هذا الذبح الفخم وتولاني عندئذ مزاج فيجارو بملاحظته عن طيبة السادة الذين كلّفوا أنفسهم عناء الهجاء إلى الحياة (أن يكونوا غللاً) ، اقتبس عمل الحلم هاتين الأحجيتين متخذاً منهما فكرتين متوسطتين^(١).

(١) [تتأدية من فكرتي النبلاء والحوذي من ناحية إلى فكرتي السلف والخلف من ناحية أخرى] .
تفسير الأحلام

وإذا كان من السهل أن نخلط بين البلاء والحوزية [أو السائقين] وكان هناك زمان في بلدنا كنا نسمي فيه الحوزى "Herr Schwager" ["Schwager"] ويعني « صهر » أو على الأدق « أخ بالمصاهرة » ، فقد وسع التكثيف أن يدرج أخى في ذات الصورة . وكانت فكرة الحلم التى تعمل عملها وراء هذا كله هى الفكرة الآتية : إن من الخرق أن يتيه المرء بسلفه ، إلى أولئك أن أكون أنا نفسى سلفاً ورأس سلالة . ومن أجل هذا الحكم : « إن كذا خرق » ظهر الخرق في الحلم . وهكذا يحل آخر لغز في تلك الفقرة المعتمدة من الحلم : أنى تقلعت من الحوزى [على تلك المسافة] ، أنى كنت متقلماً [أو سابقاً ، أى سلفاً] .

الحلم — إذن — يُجعل لا معقولا أو فاسداً إذا كان بين العناصر المتضمنة في أفكار الحلم حكم فحواه : إن ذلك محرق ، أى إذا كان بين أفكار الخالم اللاشعورية فكرة دافعها النقد أو الزرابة . واللامعقولة على ذلك أحد المناهج التى يتوصل بها عمل الحلم إلى تصوير التناقض بجانب المناهج الأخرى : كأن تقلب علاقة بين المواد عند الانتقال من أفكار الحلم إلى محتوى الحلم [ص ٣٣٦] أو مثل استخدام إحساس الحركة المكشوفة [ص ٣٤٦] . غير أن اللامعقولة في الحلم لا تنبئ ترجمتها بـ « كلاء » وحسب ، بل المراد من ورائها هو استعادة ما يصحب أفكار الخالم من حالة مزاجية تجمع النقد أو الزرابة إلى جانب المناقضة . فإن جاء عمل الحلم بما يجلب الضحك فلهذا الغرض وحده ، أى أنه — هنا أيضاً — إنما يضي صورة ظاهرة على محتوى الحلم الكامل^(١) .

والحق أننا مررنا من قبل بمثال مقنع من حلم غير معقول كان له مثل هذا المعنى : الحلم الذى فسرت من غير حاجة إلى تحليل ، حلم أوبرا فاجنر التى طالت حتى الساعة السابعة والحقبة الخامسة والأربعين ، وكانت الفرقة الموسيقية تقاد فيه من برج ، إلخ .

(١) وهكذا يسهل عمل الحلم الفكرة المطاة له هل أنها فكرة مضحكة بأن يخلق هو شيئاً مضحكاً في صلبه . ولقد نجح فيه نهجاً شبيهاً بذلك حين أراد أن يسخر من الأسماء التى كان ينظمها ملك بالماريا ، فقد صاغ مضحكة في شعر أمت منها وأردأ .

السيد لودفيج شاعر فضل ، من اللحن
ما أن ينشد حتى يخر أبطوره على ركبتيه
ساجداً أمامه ، راجياً ، متضرعاً إليه :
" كفى ، وإلا أصابنى سر من الجنون "

(انظر ص ٣٥١) . فقد كان واضحاً أن هذا الحلم كان يعنى : « إنه لعالم مقبول ومجتمع مجنون » فمن استحق شيئاً لم ينله ، ويناله من كان فى غنى عنه ، وكانت الحالة إذ ذاك تقارن بين حفظها وحظ قريبها . وما كان على الإطلاق بالاتفاق المحض أن جاءت أمثلتنا الأولى على اللامعقولة فى الحلم متعلقة بأب ميت ، فى أمثال هذه الحالات تجتمع الشروط الضرورية لخلق الأحلام اللامعقولة على نحو مثالى . فالسلطة التى خص بها الأب تثير نقد الأبناء منذ سن مبكرة ، ووطأة المطالب التى يقتضها منهم تجعلهم يعبرون كل ضعف يلدو منه انتباهاً ، لكى يتخففوا . غير أن الخشوع البنوى الذى يفرضه الأب نفوسنا - وخاصة بعد مماته - يشحذ الرقابة التى تقف دون كل إفصاح شعورى عن مثل هذا النقد .

٤

وما هو ذا حلم آخر غير معقول يلور حول أب ميت :

تلقيت من مجلس البلدة التى ولدت فيها رسالة تتصل بجمع يجب سداه ١ فى سنة ١٨٥١ أحجزت المستشفى رجلاً لنوبة كالت قد حلت به وهو فى منزل . ويثير ذلك ضحكى : فأرأى لم أكن ولدت سنة ١٨٥١ ، وثانياً فإن والدى الذى ربما كانت هذه الرسالة تتصلق به قد صار فى عداد الأموات . أذهب إلى والدى فى الهجرة المهاجرة حيث كان يقيم فى سريره وأسأله الخبر ، ولشد ما يكون دهشى حين يذكر أنه قد سكر مرة فى سنة ١٨٥١ وأن الأمر قد أدى إلى حبه أو احتجازه ، وكان ذلك فى البيت الذى كان يعمل فيه لحساب شركة ت . أسأله : « إذن السكر أيضاً كان من عاداتك ؟ هل تزوجت عقب ذلك ؟ » أجرى الحبة فأذكر أنى ولدت فى سنة ١٨٥٦ ويلوح لى أن تلك هى السنة التى أعقبت سنة ١٨٥١ مباشرة .

إننا إذ نرى إمعان هذا الحلم فى نشر مظاهره لامعقولة تسرف نخلص فى ضوء المناقشة السابقة إلى أن هذا الإمعان لا يمكن إلا أن يكون دليلاً على أن أفكار الحلم قد انطوت على مجادلة بلغت مبلغاً خاصاً من المرارة وشدة الانفعال . ونحن إذن لن نزيد إلا دهشاً حين نلاحظ أن المجادلة قد دارت فى هذا الحلم علانية وأن والدى كان الهدف الصريح للسخرية . فمثل هذه العلانية تبدو شيئاً يتناقض وفروضنا المتعلقة بأثر الرقابة فى عمل الحلم . ولكن هذا الغموض لا يلبث يتجلى حين نعلم أن الأب فى هذا المثال لم يكن يعلم أن يكون حجاباً وأن رضى المنازعة إنما تدور مع شخص آخر لا يظهر أثره فى الحلم إلا فى إشارة

مفردة . فبينما المألوف هو أن يدور الحلم حول التمرد في وجه شخص آخر يستتر الأب من ورائه ، إذ العكس هو الصحيح هنا : فالأب رجل من قش قصد من ورائه إلى تغطية البعض ، وللحالم أن يتعرض على هذا النحو المكشوف لشخص يلقى منه في العادة تنزيهاً لأنني أعلم علم اليقين أن والذي ليس الشخص المعنى حقيقة . وتبين لنا مناسبة الحلم أن الأمر كذلك ، فقد جاعني هذا الحلم بعد أن سمعت أن زميلاً يكبرني ، كان حكمه يوضع فوق كل نقد ، قد أعرب عن استيائه ودهشه لأن أحد مرضاى قد شارف علاجه التحليل السنة الخامسة^(١) . ولحمل الأولى من الحلم تشير من خلال قناع شفاف إلى تلك الحقيقة : وهي أن هذا الزميل كان قد أخذ على عاتقه بعض الزمن التبعات التي لم يعد والذي يستطيع القيام بها (المبلغ الواجب السداد ، دخول المستشفى) ، وأنني حين أخذت أصرة الصداقة بيننا في الوهن صرت أرا في فريسة هذا الصراع العاطفي الذي ينشأ حقاً حين تسوء العلاقة بين الأب والابن ، للموضع الذي يشغله الأب ولسالف مآثره . وإن أفكار الحلم لتحتج احتجاجاً مرّاً على ما ألام عليه من التلكؤ - وهو لوم يجي أول الأمر في صدد علاج هذا المريض ولكنه يمتد بعد ذلك إلى أمور أخرى - : أيعرف شخصاً آخر يستطيع أن يسرع عني ؟ ألا يعلم أن أمثال هذه الحالات - إذا تركنا علاجى - لا تجد لها برأياً وأنها تلوم أيد الحياة ؟ وما أربع سنوات أو خمس بالقياس إلى العمر بأجمعه ، خاصة أن عبء الحياة قد يسر على المريض في خلال العلاج يسراً كبيراً .

وقد كان جزء كبير من طابع اللامعقولة في هذا الحلم يرجع إلى أن جملاً مستعارة من أنعام شئ في أفكار الحلم قد أجريت معاً من غير وصل أو واسطة . مثال ذلك جملة : « أذهب إليه في الحجارة المجاورة . . . إلخ . » إنها ترك الموضوع الذي كانت تدور من حوله جعل الحلم السابقة لتستعيد الملابس التي أعلمت فيها والذي بنأ خطبتي دون سابق استشارته استعادة أمانة . وهذه الجملة ترى - إذن - إلى تذكيري بما أظهره الرجل الشيخ إذ ذاك من إثارة رفيف وتقارن مسلّكه هذا بمسلّك شخص آخر ، شخص جديد . وإلى لألحظ هنا أن الحلم قد استباح لنفسه هذه السخرية بالأب لأنني

(١) [ذلك هو المريض الذي يشير إليه فرويد في رسالته إلى فليس (فرويد ١٩٥٠ أ] بحرف B. ولقد وردت في إحدى هذه الرسائل (الخطاب ١٢٦) إشارة إلى هذا الحلم . وفي الرسالة ١٣٣ أعلن فرويد انتهاء علاج هذا المريض بخاتمة مرضية] .

فى اعتراف كامل بسموه قد نصبت قدوة للأخريين ؛ فن طبع الرقابة - كل رقابة - أن تحل لك كلب الكلام فى المخطورات مؤثرة إياه على الحق صراحاً . فأما الجملة التالية - عن كونه نذكر أنه قد سكر مرة واحجز من جرائها - فقد انقطع فيها كل ما بحث فى الحقيقة بسبب إلى والدى . وإنما المستروراه فى هذا الوضع ماينيرت العظيم لا أقل - ماينيرت الذى قفوت أثره فى لإجلال يعلو على الوصف والذى انقلب مسلكه إزائى - بعد فترة قصيرة من الرضى - إلى عداوة لا تقنع فيها . والحلم هنا يذكرنى بأن ماينيرت - بنفسه - قد أعجبني يوماً أن شابه لم يحل من فترة اعتاد فيها أن يلحن على تخدير نفسه بالكحول وهوروم ، وأنه اضطر من جراء ذلك إلى النزول بإحدى المصحات . ويذكرنى الحلم أيضاً بمحادثة أخرى تتصل بماينيرت سبقت وفاته بزمان قصير : فقد كانت دارت بيتنا فى الصحف العلمية مناقشة حامية الوطنى حول موضوع الهستريا عند الرجال (وهو الأمر الذى كان هو ينكر وجوده) ، فلما زرته فى خلال العلة التى مات فيها واستفسرته عن سمته أفاض بعض الإفاضة فى الحديث عن حاله ثم اختتم حديثه بتلك الكلمات : «أتعلم ؟ لقد كنت دائماً حالة من أجمل حالات الهستريا عند الرجال» . وهكذا سلم ماينيرت - تسلياً أرضافى وأدهشنى - بما أصر على إنكاره كل هذا الزمن الطويل . ولكن السبب الذى مكئنى من أن أتخذ من أبى حجاباً يحجب ماينيرت فى هذا المشهد من الحلم لم يكن يرجع إلى شبه اكتشفته بين كلا الشخصين ، بل إلى كون المشهد كان تصويراً موجزاً - ولكنه تصوير واف - لجملة شرطية تضمنتها أفكار الحلم ، هذا هو نصها الكامل ؛ طبعاً ، لو كنت خليفة أستاذ أو عديد ، ابنا لهذا أو لذاك ، لكنت يقيناً قد أسرعت عن ذلك . وهكذا جعلت من والدى فى الحلم عديداً وأستاذاً . ولكن أنكر ما اشتمل عليه هذا الحلم من وجوه اللامعقولة وأشدّه إزعاجاً يقوم فى معالجة تاريخ سنة ١٨٥١ الذى بدا لى لا يفرق من عام ١٨٥٦ كما لو كان فرق سنوات خمس أمراً لا يعد به على الإطلاق . ولكن تلك على التحديد كانت إحدى أفكار الحلم التى كان يراد الإفصاح عنها ؛ فأربع سنوات أو خمس تلك هى مدة الزمن الذى حظيت فيه بتأييد الزميل الذى أشرت إليه من قبل ، وهى أيضاً مدة الزمن الذى تركت فيه خطيئتي تنتظر زواجنا ، ثم هى كانت بعد ذلك - بصدفة عارضة حرصت أفكار الحلم على استغلالها - مدة الزمن الذى جعلت فيه أطول مرضاى تحليلاً ينتظر كامل شفائه .

فأفكار الحلم تسأل : « وما لحس سنوات ؟ إنها بقدر ما يعنى الأمر ليست زمناً على الإطلاق ولا يحسب لها حساب . وإنى لأملك وقتاً كافياً أمامى . وسأنجح أخيراً فى هذا كما نجحت من قبل فى ذلك - وإن لم تصدقوا . » هذا ، ثم إن الرقم ٥١ فى ذاته مستقلاً عن رقم القرن ، قد حتمه معنى آخر يتجه يقيناً فى وجهة مخالفة ، ومن هنا كان مجيئه فى الحلم مرات متكررة : ذلك أن الحادية والخمسين - فيما يبدو - من مفعمة بالخطر فى حياة الرجل ، هى السن التى رأيت فيها كثيراً من الزملاء يقضون نحبهم ، وكان منهم زميل رقى بعد طول انتظار إلى منصب الأستاذية قبل موته بأيام معدودات ^(١) .

٥

وها هو ذا حلم آخر فاسد بتلاعب بالأرقام :

هجم أحد معارف - وهو السيد م . - فى مقال ما مهاجمة كان من رأينا جميعاً أنها بلغت حداً من العنف لا يبرره . وكان المهاجم جوته نفسه - لا أقل . ومن الطبع أن السيد م . قد حقق هذا الهجوم . إنه يشتكى منه من الاشتكاء إلى محبة فى إحدى اللازم ، بيد أن هذه الهمة الشخصية لم تكل شيئاً من إجلاله بلوته . أحاول أن أتى بعض الفصول على المعطيات الزمنية التى بلغت إلى بعيدة من الرجوع : لقد مات جوته عام ١٨٣٢ ، وطبعى أن حبيبى هذا حل السيد م . قد سبق هذا التاريخ ، ولا بد إذن أن السيد م . كان فى ذلك الوقت شاباً فى مقتبل الشباب . يلوح لى أن من الراجح أنه كان إذ ذاك فى الثامنة عشرة من عمره . غير أننى لم أكن واثقاً من السنة التى نحن فيها ، بحيث تبخر حسبى وتستهم . هذا وقد وردت تلك المهاجمة فى مقال جوته المعروف عن الطبيعة .

إننا لن نلثب طويلاً دون أن نجد السبيل إلى تبرير ما فى هذا الحلم من البله . فالسيد م . الذى اتفقت لى معرفته بين محبة فى إحدى اللازم كان قد سألنى منذ زمن غير بعيد أن أخلص أخاه لما بدا عليه من علامات الاضطراب العقلى الشللى . وكان السيد م . مصيباً فيما خنه . وقد وقعت فى خلال هذه الزيارة واقعة مؤسفة : ذلك أن المريض - لغير سبب مفهوم - قد أخرج أخاه فى خلال الحديث بإشارة إلى حملات شبابه . هذا وقد كنت سألت المريض عن السنة التى ولد فيها ، كما جعلته يقوم - عدة مرات - بجمع أعداد صغيرة لكى أمتحن ضعف ذاكرته - وأذكر بعد

(١) [تلك من غير شك - حل حسب ملاحظة سترالى - إشارة إلى نظرية فليس عن الدورات البيولوجية .
فالرقم ٥١ = ٢٨ + ٢٣ وهما زمنا الدورين المذكورة والمؤنفة] .

أنه كان لا يزال قادراً على القيام بها خير قيام . وهأنذا ألحظ أنني قد سلكت في الحلم كما يسلك مشلول (لم أكن وألقاً من السنة التي نحن فيها) . وهناك جزء آخر من مادة الحلم اشتق من مصدر آخر حديث العهد : ذلك أن ناشراً لإحدى الصحف الطبية ، كانت تربطني به علاقات المودة . قد نشر نقداً جارحاً إلى أبعد الحدود : نقداً « صاحباً » ، لكتاب صديقي ف . [فليس] الأخير . وكان صاحب هذا النقد معلقاً في مستقبل الشباب ، ضعيف القدرة على الحكم . وارتأيت أن لي حقاً في التدخل ، فناقشت الناشر الحساب . فأعرب لي إعراباً حاراً عن أسفه لنشر هذا النقد ، ولكنه لم يشأ الوعد بعلاج المسألة ، فقطعت صلتى بالصحيفة . ولكنني أعربت في خطاب استقالتي عن ألمي في ألا تنال هذه الحادثة من علاقتنا الشخصية . فاما المصدر الثالث للحلم فرواية كانت لا تزال حية في ذهني سمعتها من مريضة وهي تصف مرضاً عقلياً أصاب أخاها ، وكيف أخذته الأخلدة وهو يصرخ : « أيها الطبيعة ! أيها الطبيعة ! » . ولقد اعتقد الأطباء أن النداء كان وليد قراءته مقالة جوته الرائعة ، وأنه - هذا النداء - كان يبين إلى أي حد أنهكت المريض قراءته في الفلسفة الطبيعية . ولكنني - من ناحيتي - كنت أفضل التفكير في المعنى الجنسي الذي تستخدم فيه كلمة « الطبيعة » عندنا حتى على السنة من هم أقل ثقافة . وكان أن فكرت في هذه لم تجد على الأقل ما يكذبها حين قطع الشاب العاثر أعضائه التناسلية . وكان عمر المريض ثمانية عشر ربيعاً حين ولته تلك النوبة .

فلماذا أضفت أن كتاب صديقي الذي لقي كل هذا النقد القاسي (لقد قال عنه معلق آخر : « إن المرء ليعجب أهو المحنون أم المؤلف ») كان يعالج موضوع المعطيات الزمنية للحياة ويبين أن عمر جوته رقم مضاعف لعدد (من الأيام) له قيمته البيولوجية ، سهل أن نفهم أنني كنت في هذا الحلم أضع نفسي في موضع صديقي . (أحاول أن ألقى بعض الضوء على المعطيات الزمنية) . بيد أنني سلكت كما يسلك مشلول فجاء الحلم ركاماً من الأباطيل ، وهذا يعني أن أفكار الحلم تقول على سبيل التهكم : « طبعاً ، إن صديقي هو المحنون ، هو المئات ، وأنتم العباقرة الأحسن علماً . وكيف يكون العكس ؟ » وهذا العكس يمثل بعد ذلك بإسهاب في محتوى الحلم : فجوته يهاجم شاباً في مستقبل العمر - وهو شيء غير معقول - في حين يستطيع اليوم يافع أن يقدح في جوته - وهو الخالد -

وأنا أجري الحساب ابتداء من سنة موت جوده ، في حين أنني جعلت المشلول يحسب عمره ابتداء من سنة ميلاده .

غير أنني كنت قد أخذت من قبل في بيان أن الحلم إنما تحركه دوافع الأثرة دون غيرها [ص ٢٨٢] ، وعلى ذلك فلامفر من أن أبين كيف اتفق في هذا الحلم أنني جعلت قضية صديق قضيتي ووضعت نفسي في موضعه . إن اقتناعي النقدي [بآراء صديقي] في حياة البقطة ليس سبباً كافياً . ولكن ها هي ذى قصة المريض ذى الثمانية عشر ربيعاً والتضخيمات المختلفة في أمر ندائه وأبها الطبيعة ! ، فهذه إشارات إلى التعارض الذي أراي فيه تجاه معظم الأطباء لما أعتقد من أن للأعصبة عللا جنسية . ولي إذن أن أحدث نفسي قائلا : هذا النوع من النقد الموجه إلى صديقك سوف تلور عليك دائرته يوماً ما ، لا بل أنت قد دفقت بالفعل إلى حد . وعلى ذلك يسعنا أن نضع « نحن » في أفكار الحلم بدل « هو » : « نعم ، أنتم العقلاء ونحن المجانين » . وفي الحلم أثر يذكرني في وضوح كبير بأنني « ما أهاجني سوى أشجاني » (١) ، هذا الأثر المذكور هو تلك الإشارة إلى مقالة جوده الجميلة جمالا لا يعد له جمال (٢) : ذلك أنني سمعت هذه المقالة تقرأ بصوت عال في محاضرة عامة وكنت قد فرغت من الدراسة الثانوية حائراً لا أدري ماذا أكون . فكان هذا السماع دافعي إلى دراسة العلوم الطبيعية .

٦

وهناك حلم آخر كنت قد شرعت أبين في صفحات سابقة من هذا الكتاب إنه كان حلماً أنايياً وإن لم يظهر فيه أناي . فقد رويت في ص ٢٨٤ حلماً قصيراً كان مؤداه أن الأستاذ م . يقول : « يا بني ، لصبر النظر . . . » ثم قلت إن هذا الحلم لم يكن إلا مقدمة لحلم آخر كان لي فيه نصيب . وها هو ذا الحلم الرئيسي الباقي الذي يطالنا بصيغة لفظية غير معقولة ولا مفهومة ، يحتاج أمرها إلى بعض الإيضاح :

(١) ["ma res agniti"] .

(٢) [هذا المقال يتألف من مجموعة من الخواطر الشعرية الفلسفية كتبها جوده حوالى عام ١٧٨٠ ثم بحث بها إلى الدقة أنا آماليا . فلما ماتت هذه بعد ذلك بثلثين عاماً وبقيت بين يدي جوده وصاتحت اصطلاح أن يعرف فيها أثراً من أفكار شبابه] .

وقعت في مدينة روما أحداث انقضت لقل الأطفال إلى مكان أمين - وهو محل تم . يحرق المشبه أمام أحد مدخل المدينة ، مدخل ذي بابين حل الطراز القديم (هو « الباب الروماني » الذي في مدينة سينا - كما ويحيى في الحلم نفسه) . اجلس على حافة إحدى التوافير وأنا شديد الاكتئاب أكاد أبكي . يقتل شخص مؤث - وصيلة أو راحة - وتحضر معها طفلين وتسلمها إلى أبيها - وكان شخصاً آخر على . الولد الأكبر هو من غير شك ابني الأكبر ، لسأ أدعى وجه الآخر . تسأل المرأة التي أخبرت الطفل قبلة وداع به . إن لها أنفأ أحمريلفت النظر . بأن الولد أن يقلبها ، ولكنه يقلب لها وهو يسلك يدعا مجعاً : Auf Geseres ثم يقلب لنا كليتا (أولأحدا) : Auf Ungeseres . يدور بدني أن هذه العبارة الأخيرة تعيد التفضيل .

لقد بنى هذا الحلم على حزمة مختلطة من الأفكار أثارها مسرحية شملتها ، كان عنوانها : « الجيتو الجديد » . ومن السهل أن نرى أن للمشكلة اليهودية مكانها بين أفكار هذا الحلم : قلق المرأة على أبنائه الذين لا يستطيع أن يوفر لهم وطناً يكون وطنهم ، القلق من أجل تعليمهم التعليم الذي يمكنهم من أن ينتقلوا عبر الحدود أحراراً .

« على أنهار بابل ، هناك جلسنا وبكينا^(١) » - إن سيناسمثل روما فقد عرفت بنافوراتها الجميلة ولم يكن بد من أن أورد مكاناً أعرفه يحل في الحلم محل روما (التي لم أكن رأيتها بعد) (انظر ص ٢١٣) ولقد كنا رأينا بالقرب من الباب الروماني في سينا بناء ضخماً علمنا أنه المارستان . وكنت قد سمعت قبل هذا الحلم بوقت قصير أن رجلاً من ديانتى قد اضططر إلى التخلي عن المنصب الذي بلغه بعد عناء كبير في مارستان حكومي .

وثير اهتمامنا عبارة : Auf Geseres التي نجى في موقف من الحلم كان المرء يتوقع فيه : Auf Wiedersehen [إلى اللقاء] ، كما يثيره ضدها الخالي من كل معنى : Auf Ungeseres :

إن Geseres - على ما علمته من بعض اللغويين - كلمة عبرية خالصة ، مشتقة من فعل goiser ، وأحسن ترجمة لها هي : « الأكم المحتوم » أو « القضاء » . ويحولنا استخدامها في اللغة العامية إلى أن نظن أنها تعني « البكاء والعويل » . فأما Ungeseres فصطلح جديد من عندي ، وقد كانت هي أسبق الكلمتين إلى جذب

(١) [« على أنهار بابل ، هناك جلسنا وبكينا » ، عندما تذكرنا صهيون » . مطلع للزمزم ١٣٩ ، وهو من مراثي اليهود السنين في بابل ، والترجمة الموردة هنا موضوعة من النص اللاتيني مباشرة ؛ لأن الترجمة البريتانية المعروفة تختلف اختلافاً لا تصلح معه للاعتماد في هذا الموضوع] .

انتباهي ، ولكنني وقد بدأت بها لم أستطع الخروج منها بشيء . غير أن الملاحظة القصيرة التي جاءت في ختام الحلم بما معناه أن Ungeseres تفيد التفضيل قد فتحت الطريق إلى المستحبات ، ومن ثم إلى فهم الكلمة . إننا نجد علاقة مماثلة فيما يتصل بالكافيار : فالكافيار غير المملح [ungesalzen] يفضل على الكافيار المملح [gesalzen] . كافيار للشعب ، و المشاعر النبيلة : ههنا تكمن إشارة مازحة إلى عضو من أعضاء أسرتي أمل منها - وهي التي تصغرني سناً - أن تعني بأبنائي في مستقبل الأيام . ويتفق وذلك أن عضواً آخر من أعضاء أسرتي - وهو مربيتنا العظيمة - قد صورت في الحلم تصويراً لا يخطئه في شخص الرصيفة (أو الراهبة) . ولكن هذا كله لا يربنا بعد أي فكرة توسطت بين الزوجين : « gesalzen - Ungesalzen » و « Gesera - Ungeseres » . إن الواسطة هي « gesalzen - ungesalzen » [غخمر - غير غخمر] ، فأبناء إسرائيل إذ فروا من مصر معجلين لم يجدوا متسعاً من الوقت لكي يغمر عجبهم ، وإنهم إلى يومنا هذا لياكلون الخبز في عيد الفصح غير غخمر ، تدكاراً . وهأنذا أذكر الآن فجأة كيف كنا - صديق الذي في برلين وأنا - نسير في عيد الفصح في برسلو - وهي مدينة كنا فيها غرباء - وإذا فتاة تسألني الطريق إلى أحد الشوارع ، فلم أجد إلا أن أحترف لها بجهلي .

ثم عقت أحدث صديقي : « أرجو لهذه الفتاة حين تتقدم بها السن أن تبدي مزيداً من التمييز في اختيار الناس الذين تكل إليهم إرشادها . » ثم لحت عقب ذلك لافتة كتب عليها : الدكتور هيرودوس مواعيد الزيارة . . . فعقت قائلاً : « أرجو ألا يكون زميلنا بالصدفة طبيب أطفال . » ^(١) وكان صديقي يحدثنني في هذه الأثناء عن ظاهرة التوازن بين الجانبيين ، وكان قد بدأ إحدى جمابه بهذه العبارة : « لو أننا لم نكون نملك إلا عيناً واحدة في وسط الجبهة مثل السيكلوب [Zyklop] . . . وهذا يؤدي بي إلى قول الأستاذ في الحلم التمهيدي : « يا بني ، قصير النظر [Mgop] . » والآن أتوصل إلى المصدر الرئيس لكلمة « Gesera » : ذلك أنه حدث منذ سنوات متعددة حين كان ابن الأستاذ م . - وهو اليوم مفكر مستقل - لا يزال بمقعد الدراسة ، أنه أصيب

(١) [إشارة إلى ما هو معروف من أن هيرودوس الملك كان قد اعتزم أن يهلك الطفل يسوع ، فلما لم يجره فذهب " يقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومها من ابن سنتين فما دون " . إنجيل متى ، الإصحاح الثاني] .

بمرض في عينيه قال الطبيب : إنه يدعو إلى التخوف ، وأوضح أن الأمر يظل خالياً من الأهمية ما دام المرض مقصوراً على جانب واحد ، ولكنه يصبح خطراً إذا امتد إلى العين الأخرى . وحدث أن العين برأت برأ تاماً ، ولكن ظهرت أعراض تدل على أن العين الأخرى قد أصيبت . وعلقت الأم فأرسلت على الفور في طلب الطبيب إلى مقامهم الثاني في الريف . ولكن الطبيب أخذ الآن جالِباً آخر ، وصاح في وجه الأم : « ولم كل هذا العويل [Geese] ؟ ما دام أحد الجانبين قد برئ فسيبرأ الآخر كذلك . » وهكذا كان .

ولا بد الآن من أن نبث صلة هذا كله في وبأمرتي : إن المقعد الدراسي الذي تلقى عليه ابن الأستاذ م . أول حظه من المعرفة قد انتقلت ملكيته فيما بعد إلى ابني الأكبر الذي وضعت على لسانه كلمات الوداع في الحلم ، فقد أهدت المقعد إليه أم الغلام . ومن السهل أن نحلر إحدى الرغبات التي أثارها ذلك الانتقال . بيد أن هذا المقعد كان أيضاً قد صنع بحيث يقي الطفل من أن يصبح ضعيف النظر أو مبصراً بعين واحدة . ومن هنا كان ظهور "Myop" (ومن وراثتها « Zyklop ») في الحلم ، وكانت الإشارة إلى التوازن بين الجانبين . ولقد كانت خيفتي من وحدانية الجانب تحمل أكثر من معنى : فهي لم تكن تشير إلى وحدانية الجانب بالمعنى البدني وحسب ، بل كانت تشير كذلك إلى النظر في الأمور من جانب واحد فيما يتصل بالتطور العقلي . أفلا يمكن أن يكون هذا التخوف على التحديد هو ما أراد الحلم دفعه بطريقته غير المعقولة ؟ فبعد أن استدار الغلام إلى أحد الجانبين ليلقي كلمات الوداع ، استدار إلى الجانب الآخر ليقول الضد . كأنما كان يريد إعادة التوازن : إله يسلك كما لو كان يولي التوازن بين الجانبين العناية التي ينبغي .

وهكذا تكون الأحلام في كثير من الأحيان أعمق ما تكون حتى لا يبدو منها غير الجنون . وفي كل عصر من عصور التاريخ كان أولئك الذين يملكون شيئاً يقولونه دين أن يملكو قوله آمنين يرتدون مسوح الهجانين ، فالتسامح يهون على السامع الذي يتجه إليه مقابلهم المحرم إن هو مكن من الضحك ومن أن يتعلق نفسه ظناً منه أن هذه الكلمات غير المستحبة ليست إلا هراء جليلاً . وما يسلك الحلم في الحقيقة إلا كما يسلك في الرواية

الأمير وهو يلجأ إلى التفتع بثوب من الجنون ، حتى ليسعنا أن نقول عن الحلم ما يقوله هاملت عن نفسه وهو يخفى حقيقة حاله تحت رداء من التنكيت والاستعجاب : « ولست بالجنون إلا والريح مشملة ، شمالا بغرب ، لأن أجنت عرفت الباز من البلشون » (١) .

وهكذا أكون قد انتهيت إلى حل مشكلة اللامعقولة في الحلم على هذا النحو : إن أفكار الحلم لا تكون أبداً باطيل – أو لا تكون كذلك في أحلام الأصحاء على الأكل – وإن عمل الحلم إنما تحدث عنه أحلام لا معقولة أو أحلام مشتملة على عناصر لامعقولة إذا كان بين أفكار الحلم نقد أو سخرية أو استخفاف تدعو الضرورة إلى تصويرها . ومهضى الآتية هي أن أبين أن عمل الحلم إنما يقوم في فعل العوامل الثلاثة التي ذكرتها مجتمعة – مع عامل رابع لما أذكره – وأنه لا يفعل شيئاً آخر سوى ترجمة أفكار الحلم وفقاً لهذه الشروط الأربعة ، وأن السؤال هل تعمل النفس في أثناء الحلم بكل قواها العقلية أو يجزء منها سؤال خاطئ الصياغة ، يغفل الوقائع . بيد أن هناك أحلاماً كثيرة يعرض فيها الحكم والنقد والمعرفة ، أحلاماً يعجب فيها المرء لعنصر من عناصر الحلم ويحاول التعليل ويشعر في الحاجة . لهذا لا أجد مفرّاً من مواجهة الاعتراضات المبينة على أمثال هذه الوقائع ، وذلك بإيراد بعض الأمثلة المختارة .

وسيكون الجواب الذي أخلص إليه هو هذا : إن كل ما يخطر في الحلم في صورة نشاط ظاهره أنه صادر عن وظيفة الحكم يجب ألا يعد نتاجاً عقلياً حققه عمل الحلم ، بل الواجب أن نعتبره متممياً إلى عادة الأفكار الحلم ، ومنها انقل إلى محتوى الحلم الظاهر كشيء جاهز الصنع من قبل . بل إن في وسعي أن أمد هذه القضية إلى أبعد من ذلك : فالأحكام التي يصدرها المرء عقب اللحظة في صدد حلم تذكره ، والمشاعر التي تنبعث في

(١) [هاملت : المشهد الثاني من الفصل الثاني . بيت من الأبيات الشكسبيرية التي تصور ترجمتها لشدة ما فيها من " التكيف " . ويكفى أن نشير إلى أن التمييز بين هذين الطائرين يصح صيغاً كل السر – فيما يقال إذا أدخلت الريح هذا الاتجاه ؛ فاللغز المراد من البيت واللى من أجله كان الاستشهاد به هو : إن كنت مجنوناً للفرس ، فإن جد الجد لم يكن مثل تميزنا] . إن هذا الحلم يزودنا أيضاً بمثال جيد على قضية أخرى شاملة الصدق : إن جميع الأحلام التي تقع في خلال الليلة الواحدة تنبت من تربة فكرية واحدة ، ولو تذكرناها بطريقة . وأذكر بعد أن المكثف الذي ورد في الحلم من القرار بأبنتي من مدينة روسيا قد شو برهله بمحدث غائل يقع في طريقي . واللى هو : أنني أسعد بعض أئامري من سمحت لم الفرصة بأن ينقلوا أبناهم منذ سنوات متصلة إلى بلد آخر .

نفسه عند استحضار هذا الحلم ، كل هذه أيضاً تكون إلى حد كبير جزءاً من المحتوى الكامن للحلم ، ومن الواجب إدراجها في تفسيره .

١ - لقد ذكرت من قبل مثالا على ذلك يستلقت النظر : امرأة تأتي أن تذكر حلمها لأنه « لم يكن واضحاً الوضوح الكافي » ، فهي قد رأت البعض في الحلم ولكنها لا تعلم أزوجها هو أم أبوها . ثم أعقبت ذلك فقرة ثانية من الحلم ورد فيها ذكر مزبلة ، وهو ما يسوقها إلى تلك الذكرى : حدث ذات مرة وهي زوجة حديثة العهد بأعمال ربة المنزل أنها قالت مازحة في محضر قريبة شابة من قريباتها : إن أول ما ستعنى به سيكون شراء « مزبلة » جديدة ، فلما جاء اليوم التالي إذا واحدة تهدي إليها ، ولكنها كانت مليئة بالسوس . وقد كان هذا الجزء من الحلم يفيد في تصوير ذلك التعبير [الألماني] الدارج : « ما نحا ذلك من زبل ^(١) » . ولما تم تحليل الحلم تبين أن أفكار الحلم كانت تدور حول الأثر البعدي الذي كان لقصة سمعتها الحاملة في أحداثها عن فتاة ولدت ولداً لم يتضح من هو أبوه . ومن هنا نرى أن تصوير الحلم قد امتد في ذلك المثال إلى أفكار البقطة تاركاً أحد عناصر أفكار الحلم المتمثل في صورة حكم مستيقظ أطلق على الحلم في مجموعه .

٢ - وما هي ذى حالة ثانية ماثلة : حلم أحد مرضاي حلماً لاح له ذا أهمية ، لأنه لم يكذب يستيقظ حتى حدث نفسه قائلاً : ^(٢) لا بد من أن أتحدث إلى الطبيب بذلك . وحلل الحلم فانبعثت إشارات من أوضح مما يكون إلى صلة جنسية بدأها الحلم في خلال علاجه وعقد العزم على ألا يحدثني بها .

٣ - ثم ها هو ذا مثال ثالث أنتخبه من بين أحلامي : كنت ذاهباً إلى المستشفى برفقة صديق ب . مارين بمعلقة انتشرت فيها المنازل والبياتين . وفي هذه الأثناء كانت تدور بخلي فكرة مؤداها أنني قد رأيت تلك المنطقة مراراً من قبل في الأحلام . لم أكن أعرف الطريق معرفة طيبة . أراقب ب . شارباً ينتهي بعظم حل ناصية (وكانت قاعة الطعام في الداخل لا في حديثه) . أسأل هناك من السيدة ديفي ، فيقال لي :

(١) [« الزبل » هو ما تصلح به الأرض أو « السباح » ، والمراد بالمزبلة - هذا منبهاً الشائع - هو ما يوضع فيه الزبل . والتعبير الألماني المشار إليه منبهاً : « لت مشغولاً عن ذلك » أو « لت أعترف بهذا الولد »] .

(٢) إذا جاء في خلال العلاج التحليل حلم يحدث فيه الحلم نفسه قائلاً : « لا بد من أن أخبر الطبيب بذلك » فمضى هذا أن هناك مقاومة شديدة في وجه الإنفصال بهذا الحلم ولا يتدر عندئذ أن يؤدي ذلك إلى نسيانه .

إنما تسكن مع ثلاثة أطفال في حجرة صغيرة خالية . أسير إلى تلك الحجرة ، ولكنني - قبل أن أصل إليها - ألقى ببخس غير متصور تصحبه ابتسامة الصغيرات . أعطهما سبي بعد أن أمكث معهما برهة قصيرة . يدور بخاطري شيء يشبه الغم أوجبه إلى زوجتي لكنها تركت الفتاتين هناك .

فلما استيقظت شعرت برضا كبير علته بأنني كنت وشيكاً أن أعلم من تحليل هذا الحلم معنى : قد حلمت بذلك من قبل .^(١) ولكن الواقع أن التحليل لم يعلمني شيئاً من هذا القبيل . وإنما الذي تبين لي منه حقيقة هو أن الشعور بالرضى كان يرجع إلى أفكار الحلم الكامنة ولم يكن يرجع بحال من الأحوال إلى حكم من الأحكام عليه : إنه كان الرضى لأن زواجي قد أعقب . ذلك أن ب . شخص سايرت حياته حياتي زمناً ثم بعد ذلك سبقت مسافات من الناحيتين الاجتماعية والمادية ، ولكنه ظل لا ينبغي من زواجه خلفاً . وإن مناسيتي الحلم لكافيتان في الدلالة على معناه دون حاجة إلى أن نسوق تحليله كاملاً . فقد حدث في اليوم الذي سبق الحلم أنني قرأت في إحدى الصحف نبأ وفاة السيدة دولاً (وهو الاسم الذي حرفته في الحلم إلى دولي) ، وكانت وفاتها في أثناء الوضع . وسمعت من زوجي أن القابلة التي كانت تعني بالتموفاة هي هي التي عينت يزوجي عند ولادة طفلينا الأصغرين . وكان اسم دولاً قد استوفقني لأنني كنت - منذ قريب - قد صادفته للمرة الأولى في رواية إنجليزية . فأما المناسبة الثانية للحلم فكانت تاريخ وقوعه : فقد وقع الحلم في الليلة التي سبقت عيد ميلاد ابني الأكبر الذي يبدو على بعض الموهبة الشعرية .

٤- ولقد تركني وأنا أستشعر هذا الرضا عنه ذلك الحلم غير المعقول الذي دار حول أبي وما كان له من مشاركة سياسية في حياة المهجرين ، وطلعت لنفسي هذا الشعور بأنه كان امتداداً للشعور الذي صعب الجزء الأخير من الحلم [انظر ص ٤٢٧] : (تذكرت كيف كان والدي وهو على فراش موته شديد الحب بمجاريالي وشمرت بالسرور لأن ذلك قد تحقق) (يعقب ذلك جزء مني) . لقد مكنتني التحليل من أن أملاً تلك الثغرة في الحلم . فقد ورد فيها ذكر ابني الثاني الذي أطلقت عليه اسم شخصية من عظماء التاريخ (كرومويل) اجتذبتني اجتذاباً شديداً في صباي وبخاصة

(١) لقد كان هذا الموضوع مثاراً متلفظاً مستطهضة دارت في السنوات الأخيرة على صفحات " المجلة الفلسفية " تحت عنوان : " المذكر المشوي في الأحلام " .

منذ أن زرت إنجلترا ، وكنت قد انتويت في خلال السنة التي سبقت مولد الطفل أن أطلق عليه هذا الاسم إن جاء المولود ذكراً . وكان أن جاء كذلك فخلعت عليه الاسم وأنا أشعر برضى عظيم . ومن السهل أن نلاحظ كيف ينتقل جنون العظمة عند الآباء إلى تفكيرهم في أبنائهم . وتلك في أغلب الظن إحدى الطرق التي يتم بها قمع هذا الشعور - وهو قمع تجعل منه الحياة الواقعة ضرورة لا مفر منها . فأما الحق الذي خول لابنى الصغير أن يظهر في محيط هذا الحلم . فكان مستمدان من كونه قد وقع إذ ذاك في تلك العثرة التي تسهل مضرتها للطفل وللرجل على سرير الموت ، وأغنى بها توسيع القرائن - قارن هنا بين "Stublircher" وبين الرغبة التي يعرب عنها الحلم في أن يفق المراء عظيمًا طاهرًا في أعين أبنائه . [ارجع إلى ص ٤٢٩] .

٥ - وأتحوّل الآن إلى النظر في الأحكام التي تطلق في أثناء الحلم نفسه ولكنها لا تتابع حتى حياة اليقظة أو تنقل إليها . وتسهل مهمة البحث عن الأمثلة على ذلك إلى درجة كبيرة إذا التجأت إلى الأحلام التي سبقنا من قبل لغايات أخرى. خذ حلم «جوته» باسم السيد م. إنه يبدو مشتملا على طائفة من أفعال الحكم، مثل : «أحاول أن أتى بعض الضوء على المعطيات الزمنية التي تبدو لي بعيلة عن الرجوع». ألا يبدو ذلك نقداً موجهاً إلى تلك الفكرة الفاسدة، وأغنى بها أن جوته قد شن هجوماً أدبيّاً على شاب من معارف ٢ ثم تلك الجملة : «يلوح لي أن من الراجح أنه كان إذ ذاك في الثامنة عشرة من عمره» ، إنها تبدو وليدة عملية حسابية وإن يكن الحساب - والحق يقال - حساب أبله . وأخيراً فإن قول الحلم : «لم أكن واقفاً من السنة التي نحن فيها» قد يبدو مثالا على التردد أو الشك يعرض في الحلم .

ومع هذا فإننا نعلم من التحليل أن تلك القضايا التي تبدو في صورة أفعال حكم تطلق في الحلم للمرة الأولى ؛ يمكن أن يفهم منطوقها فهماً آخر تغلو في ضوئه لازمة كل اللزوم من أجل تفسير الحلم في حين يرتفع عنها في الوقت نفسه كل أثر من اللامعقولة . فجملة : «أحاول أن أتى بعض الضوء على المعطيات الزمنية» كانت تضعني في مكان صديق [فليس] الذي كان يسمى في الحقيقة إلى إلقاء الضوء على المعطيات الزمنية للحياة . وهكذا تفقد الجملة معنى الحكم يحتاج على فساد القضايا السابقة . فأما جملة الصلة : «التي تبدو لي بعيلة عن الرجوع» فترتبط بتاليها : «يلوح لي أن من الراجح» ،

فتلك على الضرب هي الكلمات التي كنت استخدمها في حديثي إلى السيدة إلى قصت على كيف جن أخوها ، قالت لها : « إنه ليلدولي أمراً بعيداً عن الرجوح أن يكون لندائه أيتها الطيبة ! أيتها الطيبة ! ، أدنى علاقة بجوته ، وإنما الذي يلوح لي أرجح من ذلك كثيراً هو أن يكون لتلك الكلمات معنى جنسى تعريفه . » و صحيح أنني قد أطلقت هنا حكماً ، ولكنني لم أطلقه في الحلم بل في الواقع ، وفي مناسبة رجعت إليها أفكار الحلم بالذكرى واستغللتها . ثم جاء محتوى الحلم فاستحوذ على هذا الحكم كما يستحوذ على أية نبذة أخرى من فكر الحلم .

وكذلك الرقم ١٨ الذي ارتبط به الحكم الذي أطلق في الحلم دون أن يكون لذلك معنى ما ، إنه ليحفظ بأثر من السياق الحقيقي الذي انتزع منه الحكم . فأما جملة : « لم أكن وأهلاً من السنة التي نحن فيها » فلم تكن - أخيراً - تعرب عن شيء سوى معنى بالمرضى المشلول الذي أثبتت تلك النقطة بالفعل في خلال فحصه .

إن حل أفعال الحكم الظاهرة في الحلم قد يذكر المرء بالقواعد الأساسية التي نص عليها في مبتدأ هذا الكتاب فيما يتصل بالقيام بعملية التفسير . فقد قلنا : إن من الواجب أن نترك الاتساق الظاهر بين مقومات الحلم كما نترك وهماً لا حقيقة له وأن نتأثر مصدر كل عنصر من عناصر الحلم في ذاته . فالحلم إلا حزمة يقضي البحث تفكيكها أجزاء من جديد . غير أننا قد نلاحظ من جهة أخرى أن هناك قوة نفسية تعمل عملها في الحلم ، هي التي تخلق هذا الترابط الظاهر ، قوة تخضع المادة الناجمة عن عمل الحلم لمراجعة لالوية . وهنا نرانا نواجه تلك القوة الرابعة التي سوف نزن فيما بعد أهميتها باعتبارها رابعة العوامل المشتركة في تكوين الحلم .

٦- وما هو ذا مثال آخر على عملية من عمليات الحكم جرت في حلم ذكرته من قبل : ففي الحلم غير المعقول الذي جاء فيه أنني تلقيت رسالة من المجلس البلدي [ص ٤٣٥] أراني أسأل أبي : « وهل تزوجت عقب ذلك مباشرة ؟ » أجري الحسبة فأذكر أنني ولدت في سنة ١٨٥٦ ويلوح لي أن تلك هي السنة التي أعقبت سنة ١٨٥١ مباشرة . وكل هذا قد ألبس صورة الاستدلال : تزوج أبي سنة ١٨٥١ بعد النوبة المشار إليها ، وأنا - يقيناً - أكبر أبناء الأسرة ، مولود سنة ١٨٥٦ ، ويلزم - إذن - أن سنة ١٨٥٦ هي السنة التي أعقبت سنة ١٨٥١ مباشرة . وهذه النتيجة الكاذبة قد استخلصت - كما نعلم -

وفقاً لمقاصد تحقيق الرغبة ، فقد كانت الفكرة المسيطرة على الحلم هي الآتية ، إن أربع سنوات أو خمس ليست زمناً على الإطلاق ، ولا يحسب لها حساب . بيد أن كل خطوة من خطوات هذا الاستدلال كانت محتومة أيضاً بأفكار الحلم من حيث المحتوى ومن حيث الصورة على السواء ، فالمرضى الضاق زميل بطول علاجه هو الذى كان قد عقد العزم على الزواج عقب الفراغ من العلاج . ثم إن الطريقة التى تحدثت بها إلى والدى كانت تذكر باستجواب أو بامتحان . وإنها لتذكرنى بأستاذ فى الجامعة كان من عادته أن يكون معلومات مستقيضة عن كل طالب يسجل اسمه للاستيعاب فى محاضراته : « تاريخ الميلاد ؟ » - ١٨٥٦ - اسم الأب ؟ - وهنا كان على الطالب أن يجيب بذكر اسم أبيه متنبهاً بنهاية اللاتينية ، وكنا نحن معشر الطلبة نقدر أن الأستاذ كان يستتج من سم الأب نتائج لا يتسنى دائماً استنتاجها من اسم الطالب نفسه . وهكذا لم يكن الاستنتاج فى الحلم إلا ترديداً للاستنتاج الذى يظهر بين أفكار الحلم كجزء من مادتها . وفى هذا ما يطالعنا بجديد : إذا وردت فى محتوى الحلم نتيجة ، فلا جدال فى أن تلك النتيجة مستمدة من أفكار الحلم . غير أن هذه النتيجة قد تكون داخلية فى هذه الأفكار كجزء من مادتها المتذكرة أو هى قد تصل ما بين سلسلة من أفكار الحلم باعتبارها رابطة منطقية . وفى كلتا الحالتين تمثل النتيجة فى الحلم نتيجة فى أفكار الحلم^(١).

ونعود فنستأنف تفسير هذا الحلم : إن استجواب الأستاذ يسوقنى إلى تذكر سجل الطلبة بالجامعة - وكان فى أبهى عيلاً باللغة اللاتينية - ثم إلى ذكرى دراسى الجامعة : إن السنوات الخمس المقررة لدراسة الطب كانت هى الأخرى ثقل عما يلزمنى ، فقد سرت فى العمل وقيلاً وأبطأت بعد السنوات الخمس سنوات . وعلمنى معارفى شخصاً متعطلاً وتشككوا فى أن الفرج يوماً مما أدخلت فيه . وعندئذ قررت على عجل أن أتقدم للامتحان وأن أجتازه وهم التأخير . وفى هذا معزز جديد لأفكار الحلم التى كنت أواجه بها نقادى متحدياً لإياهم : « سأفرغ مما بدأت ، وإلى نتيجة سأتسنى ، وإن لم تصدقوا لما ترونه من تمهلى . وكفى انقلبت الأمور من قبل هذا المنقلب . »

(١) إن هذه الاكشمالات تسمح من بعض النواحي ما ذكرته من قبل [ص ٣٢٢] من تصوير العلاقات المنطقية فى الحلم . فكلاهما هناك يصف مسلك عمل الحلم بهذه عام ، دون أن يحسب حساباً لبعض مظاهر نشاطه التى تغرق غيرما دقة راحته .

ولقد حوى هذا الحلم فى مطلعته جملة من القضايا لا يكاد يستطيع المرء أن يأبى عليها اسم الحجة . بل هى لم تكن بالحجة المخفية للمعقول ، بل قد كان يمكن أن تصدر عن الفكر المستيقظ : أضحك فى الحلم لتلك الرسالة التى يرسلها إلى المجلس البلدى ، فأولاً لم أكن جئت إلى الدنيا بعد فى سنة ١٨٥١ ، ولأنى فإن والدى الذى ربما كانت هذه الرسالة متعلقة به قد صار فى عداد الموتى . إن كلا من هاتين القضيتين لم تكن صحيحة وحسب ، بل هى تتفق كل الاتفاق والحجج التى ما كنت أتردد فى إطلاقها لو قد تلقيت مثل هذه الرسالة حقيقة . ولقد تبين من التحليل الذى سبق [ص ٤٣٥] أن هذا الحلم قد صدر عن أفكار حلمية شديدة المرارة ، مشربة بالزراية . فإذا فرضنا بعد ذلك أن دوافع الرقابة كانت بالغة الشدة ، أمكن أن نفهم أن عمل الحلم قد دعت كل النواحي إلى أن يخلق نقضاً لا يخلل فيه لفكرة غير معقولة على المنوال المتضمن فى أفكار الحلم . غير أن التحليل يرينا أن عمل الحلم - هنا أيضاً - لم يكن مطلق الخيار فى أن يخلق خلقه كيفما شاء ، بل كان مضطراً - لبلوغ غرضه - إلى أن يستخدم مادة مستمدة من أفكار الحلم . فالأمر أشبه بمعادلة جبرية حوت - بالإضافة إلى الأعداد - علامات على الزائد والنقص وعلى الأسس والخللور ، ثم جاء البعض يريد نسخ المعادلة وهو لا يفهمها ، فنقل علامات العمليات ونقل الأرقام ، لم يترك شيئاً ، لكنه خلطها خلطاً . فالججتان المشار إليهما يمكن تأثرهما إلى المادة الآتية : لأنه لأمر بمضى أن أرى أن من شأن بعض المسلمات التى تنبنى عليها حلول السيكولوجية لمشكلة الأعصاب أن تثير الشك والضحك حين تعرف للمرة الأولى . مثال ذلك أننى لا أجد مهرباً من القول بأن انطباعات ترجع إلى السنة الثانية - بل إلى السنة الأولى أحياناً - قد تركت أثراً لا يمحو فى الحياة الانفعالية لمن قدر لم المرض فيها بعد ، وبأن هذه الانطباعات - وإن شوهتها الذاكرة وجسمتها على أكثر من نحو - قد تكون أول أسس الأمراض المستترة وأعماقها . وكان من عادة المرضى الذين أشرح لهم ذلك فى موضعه المناسب أن يطلقوا العنان لسخريتهم من المعرفة الجديدة ، معلنين استعدادهم لأن يبحثوا عن ذكريات ترجع إلى زمن ما قبل الولادة . وكان اكتشافى لما يؤديه الأب من دور لا يطرأ على البال فى بواكير الدفعات الجنسية عند النساء المريضات يقابل - كما كنت أتوقع - بترحيب مماثل . (انظر المناقشة التى فى ص ٢٧٣) . ومع هذا فاعتناى المؤسس على أسس طبية هو أن

كلتا القضيتين صحيحة . ولفى لأفكر - على سبيل التأييد - فى أمثلة نرى فيها الأب يموت والطفل ما زال بسن مبكرة جداً ، ثم تجيء بعد ذلك أحداث - لا يمكن تفسيرها بغير ذلك - تثبت أن الطفل قد حفظ مع ذلك ذكريات لا شعورية عن الشخص الذى اختفى فى هذا الزمن المبكر . وكنت أعلم أن قضاياى هله تقوم على استنتاجات قد تنازع صحتها . وعلى ذلك فعمل الحلم يحقق رغبة حين يستخدم على التحديد مادة تلك النتائج التى كنت أختص معارضتها لكى يستخلص منها نتائج لا يمكن الاعتراض عليها .

٧- وهناك حلم تركته إلى الآن دون أن أكاد ألمسه [انظر ص ٤١٤] ظهر فى مطلعه تعبير واضح عن عجب أحسسته لفكرة انبعثت فى الحلم :

يكلنى بروكه الشيخ مهمة ما ، وإنيء العجيب أنها كانت تتعلق بشرح الجزء الأسفل من جسى ، بشرح الحوض والساقين إلى أراما أماس كما لو كان ذلك فى حجرة التشرىح ولكن دون أخط لهاياها عنى وبين أن يمارى أثر من الشعور بالظلمة . كانت لوزن . تقف إلى جانبى وتكلى مى عملا ما . أفرغ الحوض من الأحشاء وصار مرئياً ، طوراً من أعلى وطوراً من أسفل وقد اخطط المسقطان . تظهر زوائد لها لون كلون اللحم (تذكرنى فى الحلم نفسه بالبولسبر) . علا هله شيء أشبه بورق القضة المتجدد^(١) . كان من الضرورى التقاطه فى حذر . صرت بعد ذلك حائزاً على سلق من جديد وأعلنت أشق طريقى وسط المدينة ، ولكنى (لتسى) أركب عربة . شقت العربة طريقها - لدعشى - خلال باب منزل الفتح تاركا العربة تمر وسط مر انصلت عند نهايته ليلوى إلى الهواء الطلق مرة أخرى .^(٢) وأخيراً أراى أقوم برحلة وسط مناظر طبيعية متقلبة مع مرشد من مرشدى جبال الألب كان يحمل متاعى . حملنى المرشد جزءاً من الطريق مراعاة من لساى المتعبين . كانت الأرض موحلة . سرنا حول الحافة ، وكان هناك قوم جلسوا على الأرض مثل الهنود الحمر أو الفجر ، حول الحافة . كنت قبل ذلك أشق طريق قلماً وسط الأرض الزلقة وقد ساورنى شعور بالدعشى كما كنت أبديه فى ذلك من المهارة بعد التشرىح . وصلنا أخيراً إلى منزل صغير من الخشب فى نهايته شباك مفتوح . هناك وضعتى المرشد على الأرض ثم أنى بلوسين من الخشب كانا سدين هناك من قبل وأستدهما إلى عابضة الثالثة كأنه كان يتم بلكه جسراً فوق الهادئة التى لم يكن به من عبورها الخروج من المنزل . حيث شرت ضلاً بالخوف على ساقى ولكنى بدلت أن أجبر الهادئة - كما كان متوقفاً - رأيت وجيلين راشدين وقد قدأ على دكين من الخشب كانتا تعاذيان جدران المنزل الخشبي ، ورأيت أيضاً ما لاح لى أنه طفلان قائمان بجوارهما . كان وسيلتنا فى عبور الهادئة لن تكون لوسى الخشب بل الطفلين . أستعطف فى حالة من الربى العقل .

(١) ستانفيلد ، إشارة إلى كتاب ستانفيلد من الجهاز الحصى للأصمك (انظر ص ٤١٤) .

(٢) هله صورة لتستحضر لفاء المهارة التى كنت أفتطمح ، حيث كان المتأجرون يتركون مريات أطفالهم . ولكن الصورة كالت - فيها حدا ذلك - متصددة الحلم من وجوب كبرة .

إن من كون ولو أقل فكرة عن مدى التكثيف الذى يقع فى الأحلام يتخيل من غير عناء أى عدد من الصفحات يستغرقه تحليل هذا الحلم تحليلاً كاملاً. ولكنى لحسن الحظ لا أحتاج فيما نحن فيه سوى إلى أن أبحث نقطة واحدة : تلك التى تزودنا بمثال على الدهش . الحلم كما يتبين فى كلمة « والشئ العجيب » . وأبدأ بذكر مناسبة الحلم : إنها زيارة من لويىز ن . السيدة التى وقفت إلى جانبي وأنا أؤدى عملي فى الحلم . فقد سألتنى : « أعرنى شيئاً أقرأه » فاقترحت عليها « هى » لرأيدارد هاجارد ، ثم انطلقت فى الشرح قائلاً : « إنه كتاب عجيب ، ولكنه ملىء بالمعاني الفنية ، الأتونة الخالدة ، أبدية مشاعرنا ... » وهنا قاطعتنى لويىز ن . قائلة : « أعره ، أليس عندك شئ من تأليفك ؟ » - « كلا فإن كسبي الخالدة لم تظهر بعد . » - فأتتني ساخرة بعض الشئ : « متى إذن تظهر شروحك المسماة بالنهاية التى وعدت بأن تكون مقرومة ولو كان القارئ نحن ؟ » وهنا لاحظت أن شخصاً آخر هو الذى يتحدث بلسانها ، وسكت . أخذت أفكر فيما يكلفنى إياه من مغالبة باهظة للنفس أن أنشر على الملأ حتى كتابى عن الأحلام حيث لا أجد مجيهاً عن الإلفعاء بالشئ الكثير من دخيلة طبعى . « وخير ما تستطيع علمه قد لا تملك قوله للصبيان . »^(١) وهكذا نرى أن ما يفرض على فى الحلم من تشريح جسمى إنما يعنى تحليلي ألا الذى لا بد من اقترانه برواية أحلامى . وإن بروكه الشيخ ليجد هنا بحق موضعه المناسب ، فقد حدث من قبل وأنا ما أزال بالسنوات الأولى من اشتغالى بالبحث العلمى أننى اكتشفت اكتشافاً ثم تركته معطلاً إلى أن حملنى بروكه على نشره حملاً بأمر شديد . وأما سائر الخواطر التى أثارها حديثى مع لويىز ن . فكانت أعمق غوراً من أن تصير إلى الشعور . لقد عرجت هذه الخواطر ناحية المادة التى اتفق أن أثارها فى نفسى ذكر « هى » لرأيدارد هاجارد . فإلى هذا الكتاب وإلى كتاب آخر لذات المؤلف « قلب العالم »^(٢) يرجع الحكم المتمثل فى قولى : « والشئ العجيب » . ومن هاتين الروايتين الحالفتين بالخيال استقيت الكثير من عناصر الحلم : فالطريق الموحلة التى يحمل المنتقلون عليها والجسر الذى لا يمكنون بدءاً من عبوره بالولاح يحضرونها معهم - كل أولئك مأخوذ من « هى » ، فأما الهنود الحمر والفتاة والمنزل الخشبي فن « قلب العالم » .

(١) [الظر ص ١٦٦ فى الهامش] .

(٢) ["The heart of the World"]

والرائد في كلتا الروايتين امرأة . وكلتا الروايتين تصف تجوالاً يحفل بالمخاطر ، بينما تصف « هي » طريقاً كله مغامرة يمتد إلى المجهول . لم تكد تظوه قدم من قبل . فأما التعب الذي يساقى فإحساس حقيقى كنت قد عانيت في النهار – بحسب ملاحظة أجدوها مدونة حين سجلت الحلم . وأكبر الظن أن هذا التعب قد كان له صدها في مزاج من الكلل وفي سؤال موسوم بالثلك : « ترى إلى متى ستحملنى قدامى بعد ذلك ؟ » وإن المغامرة المروية في « هي » لتختم بالمرأة الرائدة وهي تهلك في النار المجهولة المستعرة في جوف الأرض بدل أن تجد الخلود لنفسها ولن معها . وما من خطأ في أن خوفاً من هذا القبيل كان ناشطاً بين أفكار الحلم . ومن المؤكد أن المنزل الخشبي كان يعنى النعش ، إذن القبر . بيد أن الحلم قد بلغ أوج مهارته حين صور تلك الفكرة التي لا ينفر المرء من شيء قدر نفوره منها بأن حقق رغبة . ذلك أنني كنت قد رأيتني في الحقيقة مرة يجوف أحد القبور ، إلا أنه كان قبراً لآزوريا كشف عنه بالقرب من مدينة أروڤيتو ، وكان القبر حجرة ضيقة بداخلها دكان امتلأ بجلاء « الجدران وامتد عليهما هيكلتا رجلين راشدين .

وقد كان داخل المنزل الخشبي في الحلم شبيهاً بهذا القبر أتم الشبه ، فكأنما كان الحلم يقول : « إذا لم يكن من القبر بد ، فليكن القبر الإثرورى . » ، وبهذا الاستبدال يقلب الحلم أظلم الممكنات إلى شيء أرغب فيه رغبة صادقة . غير أن الحلم لسوء الحظ – كما سنراه قريباً [ص ٤٥٩] قد لا يغير سوى الفكرة التي تصحب حاله وجدانية معينة دون أن يغير هذه الحالة ذاتها . ولهذا استيقظت في فزع على رغم النجاح في تصوير تلك الفكرة : أن الأبناء قد يفلحون فيما أخفق فيه آبائهم – وهي إشارة جديدة إلى الرواية العجيبة التي نرى أحد أشخاصها يظل هو هو خلال أجيال متعاقبة بلغت العشرين قرناً .

٨- وهناك حلم آخر من أحلامى يظهر فيه أيضاً التعبير عن الدهش لأمر وقع في الحلم . . . ولكن الدهش قد اصطبغ بمحاولة في تعليقه بلغت حداً من الغرابة والبعد – وأكاد أقول : من الألمعية ، حتى أنها تكفى وحدها في حتى على تحليل هذا الحلم كله ، بغض النظر عن اشتغاله على مسألتين أخريين جديرتين بأن تجذباه اهتمامنا . ذلك أنني كنت أسافر على سكة حديد الجنوب في الليلة من ١٨ إلى ١٩ من شهر يولية حين سمعت

وأنا نائم ، صوتاً يصيح : « هولثورن [Hollthurn] ^(١) ، طوبى عشر دقائق ، فاتحه خاطري على الفور إلى Holothurien - فإلى متحف التاريخ الطبي - فإلى أن تلك هي البقعة التي ثار فيها رجال فجبان في وجه حاكم بلدهم نشنوا على قواته المظيفة حرباً لم يخرجوا منها بطلال - نعم . إنها الحركة المناهضة للإصلاح في انسا ! كأنما كانت تلك البقعة مكاناً في تشيريا أو البيرول . أدى بعد ذلك متحفاً صغيراً حفظت فيه بقايا هؤلاء الرجال أو مطلقاتهم ، وكانت الرؤية غير متيزة . أريد لو استطعت مفاداة القطار ، ولكنني أتردد في ذلك . على الرصيف نساء يحملن ثماراً ، إنهن يحملن القرفصاء على الأرض وقد أسكنن بالسلال على نحر جده مشرق . إنني أتردد لأنني لست واثقاً من أني أمك متحفاً من البقعة ، ولكن القطار يظل دون أن يتحرك ، أراهم في جماعة في مقصورة أخرى ضاقت فيها الأثاث والمقاعد حتى أن ظهر المرء كان يستند مباشرة إلى مقعر العربة ^(٢) . أدهش لذلك ، ولكنني ربما كنت انتقلت من عربة إلى أخرى في خلال حالة النوم . ههنا ألاس كثيرين بينهم الجليتيان ، أغ وأخت . على أحد الرصيف صف من الكتب يراها المرء رؤية متيزة . أخطب بينها « ثروة الشعوب » و « المادة والحركة » ^(٣) (لكلايك ماكسويل) ، إله مجلد صميك مطبوع في قماش فضي لون بني . يسأل الرجل أخيه من كتاب لشيلر : هل نسيه ؟ كأنما كانت الكتب كتبهم طويلاً ، وطوراً كسبي . أسمعنا برغبة في التوصل في الحديث مؤبداً أو مؤكداً . . . استيقظ وأنا أنصبب عرقاً ، فقد كانت كل النوافذ مغلقة . كان القطار واقفاً في ماربورج (في تشيريا) .

وبينما كنت أودع هذا الحلم خطرت لي نبذة جديدة منه كانت ذاكرتي قد حاولت إخفاها : (بالغة الإنجليزية) للأغ والأخت وأنا أشير إلى كتاب ما : " It is from... " ثم أصبح قائل : " It is by... " ، فيقب الرجل على كراسي قاطلا لأخته : « لقد قال ذلك دون أن يخطئ » .

إن هذا الحلم قد بدأ باسم المحطة . ولا شك في أن مناداة هذا الاسم كانت قد أيقظتني إيقاظاً جزئياً ، إلا أنني غيرت الاسم فجاء هولثورن بدل ماربورج والشاهد على أنني سمعت ماربورج عندما نودى اسمها للمرة الأولى - أو ربما بعد نداء تال - هو ما

(١) [اسم لا يصدق على أي مكان حقيق] .

(٢) حتى أنا لا أنهم هذا الوصف : ولكنني أتبع هنا تلك القاعدة الأساسية ، وهي أن أرى الحلم بالكلمات التي تظهر لي عند تكوينه ؛ فإن الصيغة الظلية هي نفسها جزء من التصوير الحلي [انظر ص ٥٠٨] .

(٣) ["Wealth of Nations", "Matter and Motion"]

جاء في الحلم من ذكر شيلر الذى ولد في ماربورج - وإن لم تكن ماربورج التى في شتيريا^(١) وقد صحبت سفرى في هاته الليلة ملابسات متعبة إلى آخر مدى ، مع أننى كنت أسافر في الدرجة الأولى. ذلك أن القطار لم يكن فيه موضع لقدم ، ثم لئن وجدت في مقصورتى سيدة وسيداً بدت عليهما كل مظاهر الفطرة وتجردا من الأدب ، أو هما لم يتكلفا أن يخفيا عنى شعورهما بالضيق لدخول عليهما ، فظلت تحين المؤدبة لا تلقى منهما رداً . ومع أن الرجل وزوجه كانا جالسين جنباً إلى جنب (وظهرهما إلى القاطرة) ، فإن المرأة سارعت إلى احتلال المقعد الذى كان يواجهها بجوار النافذة ، فوضعت عليه مظلتها .

وأغلق الباب على الفور وتبدلت ملاحظات في موضوع النوافذ وفتحها . وأكبر الظن أنهما قد أدركا على الفور أننى كنت ظامئاً إلى بعض الهواء الطلق ، فقد كانت ليلة حارة ، ولم يلبث الجو أن صار خائفاً في المقصورة المغلقة إغلاقاتاً محكماً . وقد كانت تجاربي في السفر علمتنى أن مثل هذا المسلك المجرد من الأدب ومراعاة ما للغير شيء مما يتميز به أولئك الذين يسافرون بالهجان أو ينصف أجر . فلما جاء جامع التذاكر وأريته تذكري التى كلفتنى ما كلفتنى خرجت من فم السيدة كلمات ألقها في نبرات متعالية كادت أن تكون متوعدة : إن زوجى يحمل ترخيصاً عجائبا . لقد كانت سيدة ذات هيئة مهيمنة مبررة وملامح غضوبة ، في سن لا تبعد كثيراً عن تلك التى يأخذ فيها جمال المرأة في اللبزل ، فأما الرجل فما نبس بحرف وظل حيث هو لا يريم . وكان أنى تحايلت على النوم ، وهأنذا أثار في الحلم من رفيق غير المستحبين ثأراً مخيفاً ، فما من أحد يستطيع أن يجلد أى صنوف من السباب ومن الإذلال تستقر وراء الأجزاء المتقطعة التى تكون منها الشطار الأول من الحلم . فلما اكتفت هذه الحاجة انبعثت أخرى ، هى الحاجة إلى تغيير المقصورة . ومن الأمور الشائعة أن يتغير المشهد في الحلم دون أن يلحق ذلك اعتراضاً ما ، فإذا كنت بادرت فاستبدلت برفيق في السفر آخرين من ذاكرتى أكثر منهما لطفاً ، فما كان ذلك ليكون بالشئ العجيب أو الملاحظ . ولكننا نجد هنا حالة دعا فيها أحد

(١) إن البلد الذى ولد فيه شيلر لم يكن ماربورج ، بل مارباخ ، كما يحل كل تلميذ ألماني وكما كنت أعلمه أنا أيضاً وذلك إذ من هفوة أخرى [انظر ص ٢١٧ هـ] من الهفوات التى تنسب لى تعرض من تزييف معتمد في موضع آخر - وهو طبق حاولت تفسيرها في كتاب "سيكولوجية الحياة اليومية" . [١٩٠١ ب ، الفصل العاشر ، المقال الأول .

الدواعى إلى أن يلقى تغيير المشهد اعتراضاً وإلى أن يعد أمراً يتطلب تعليلاً : كيف صرت فجأة في حجرة أخرى ؟ إننى لم أكن أذكر أننى انتقلت وليس إلا تعليل واحد لا ثانى له : لا بد أنى تركت العربية وأنا قائم - إنه حادث نادر الوقوع ولكننا نرى أمثلة منه في خبرة طبيب الأمراض العصبية ، فنحن نعرف أناساً سافروا بالسكة الحديدية وهم في حالة شفقية^(١) دون أن تبدر منهم بادرة تنم عن وضعهم الشاذ ، إلى أن يبلغوا حداً من رحلتهم فإذا هم راجعون إلى أنفسهم ، يدهشون للثغرة التى في ذاكرتهم . وهكذا أعلن وأنا ما زلت في الحلم أن حالى من حالات « الأوتوماتية الثقيلة »^(٢).

ولكن التحليل يمكننا من حل آخر . فهذه المحاولة التعليلية التى تبدو لى على هذا المبلغ من العجب لو كنت مضطراً إلى أن أعزوها إلى عمل الحلم ، ليست في الحقيقة محاولة مبتكرة من عندى ، بل هى قد نسخت من عصاب أحد مرضاى . فقد سبق أن تحدثت في موضع آخر [ص ٢٧٦] عن شاب على الثقافة ، سيم العطف في حياته الواقعة . كيف أخذ بعد موت والدته بزم قصير يهتم نفسه بنوازع قتالة ، ثم بعد ذلك سقط فريسة للحيلة التى لم يكن يرى مفرّاً من التزامها حماية لنفسه من هذه النوازع . كانت حالته حالة أفكار قهرية مع قدرة على إدراك حالة ظلت غير منقوصة . ففى أول الأمر صار السير في الطرقات عبثاً ألياً عليه ، إذ كان به دافع قهرى يدفعه إلى ألا يترك ماراً به دون أن يسجل غلوه ورواحه ودون أن يرى أين اختفى . فإن أفلت أحدهم من عينه المتبعة تخلف عنده شعور أليم واحتمال لا مخرج له غير فكره ، مؤداه أنه ربما كان قد أجهز على هذا الشخص . والذى يستتر وراء هذا كله كان - ضمن أشياء أخرى - [تخيلاً تجوز تسميته] تخيل قايين ، أليس ؟ كل الناس إخوة ؟ وإذ كانت مهمة المتابعة تلك شيئاً محالاً ، فقد ترك المريض كل نزعة وقضى حياته حبس جدرانها الأربعة . ولكن أخبار الجرائم المرتكبة في الخارج كانت تنقل والصحف إلى غرفته . وأمره ضميره في صورة الشك بأنه قد يكون هو القاتل المطلوب . بيد أن يقينه من أنه قد لبث أسابيع دون أن يبارح منزله ظل يحيمه زمناً من هذه التهامات ، إلى أن طاف بخلده يوماً احتمال أن

(١) [أى حالة عقلية لكن دون وعى كامل ، فكان الشعور فيها كالضوء ساطع الشفق] .

(٢) ["automatisme ambulatoire"]

يكونون قد ترك المنزل وهو في حالة لاشعورية ، فاستطاع بذلك أن يرتكب الجريمة دون أن يعلم من أمرها شيئاً . ومنذ تلك اللحظة فصاعداً أوصد باب منزله وسلم المفتاح إلى خادمه العجوز آمراً بإياها أمراً مشدداً ألا تترك أبداً هذا المفتاح يقع بين يديه ولو طلبه .

وهذا إذن هو منشأ محاولتى التعليلية حين قلت : إننى ربما كنت غيرت العربية وأنا في حالة لا شعورية . لقد نقل هذا التعليل جاهزاً من مادة أفكار الحلم إلى الحلم - ومن البين أن القصد منه هو أن يفيد في تعييني بشخص هذا المريض . وأما تذكري للمريض فقد أثاره استدعاء قريب من الدهن : ذلك أن هذا الرجل عينه كان يصحبنى في آخر مرة سافرت فيها ليلاً ، قبل ذلك ببضعة أسابيع . كان قد شفى وكان يسافر معى إلى الأقاليم ليزور أقارب له ، كانوا أرسلوا في طلبى . وكانت لنا مقصورة خاصة بنا وتركتنا كل النوافذ مفتوحة طيلة الليل وقيل النوم قضينا وقتاً من أطب ما يكون . وكنت أعلم أن الأصل في مرضه دفعات عنائية نحو الأب ترجع إلى زمن الطفولة ولها ارتباطها بمواقف جنسية . وأنا إذن من حيث أعين نفسى به إنما أنشد الاعتراف بشيء مماثل . والحق أن المشهد الثانى في الحلم قد انتهى بتخييل مغرب بعض الإغراب حاصله أن رفيق المسنين في السفر قد سلكاً نحوى ذلك المسلك النافر لأن مقضى قد أفسد عليهما ما كانا يزعمانه من تبادل الود في ليلهما . بيد أن هذا التخييل يرجع بلوره إلى مشهد من مشاهد الطفولة المبكرة ، حين يزج الطفل بنفسه - مدفوعاً في أكبر الظن بتطلعه الجنسي - إلى حجرة نوم والديه ثم يخرج منها بأمر من الوالد لا مرد له .

لا طائل - على ما أعتقد - في حشد أمثلة أخرى . فهى إنما تذهب جميعاً إلى تأييد ما تحصل من الأمثلة السابقة : أن فعل الحكم في الحلم ليس إلا ترديداً لنموذج موجود في أفكار الحلم ترديداً يتسم في معظم الأحيان بسوء التصرف ويجيء وسط محيط غير مناسب ، ولكنه قد يساق أحياناً - كما في مثالنا الأخير - سوقاً ماهراً حتى ينجبل إلينا للوهلة الأولى أن تمت نشاطاً عقلياً مستقلاً في الحلم . ولنا وقد بلغنا هذا الموضع أن ندير انتباهنا إلى هذه القوة النفسية التى تبدو ولا شك بعيدة عن أن تشارك دائماً في تكوين الأحلام ، إلا أنها حين تفعل توجه همها إلى إدماج عناصر الحلم المتفرقة الأصول في كل خال من التناقض ، ذى معنى . ولكننا - قبل أن نطرق هذا الموضوع نشعر

بحاجة ملحة إلى أن ننظر أولاً فيما ورد في الأحلام من التعبيرات الوجدانية ، وإلى أن نقارن بينها وبين الحالات الوجدانية التي يكشف عنها التحليل في أفكار الحلم .

ج

الحالات الوجدانية في الحلم

لقد نهتينا ملاحظة حصيفة لاحظها شريكى إلى أن التعبيرات الوجدانية في الحلم لا يمكن أن تقابل بهذا النوع من الاستخفاف الذى اعتدنا أن نعرف به محتوى الحلم : « حين يخاف المرء في الحلم غائلة اللصوص ، فاللصوص يقيناً من صنع خياله ، ولكن الخوف حقيقى » . والأمر كذلك إذا أحسنا في الحلم مرحباً . فشعورنا بمحدثنا بأن الحالة الوجدانية التي يغيرها المرء في الحلم لا تنقل بأى وجه من الوجوه عن حالة تغيرها في اليقظة معادلة في الشدة ، وإن حتى الحلم في أن يدرج ضمن خبراتنا النفسية الحقيقية لأقوى بمحتواه الوجدانى منه بمحتواه الفكرى . غير أننا نعجز في اليقظة عن هذا الإدراج ، لأننا لا نستطيع أن نزن القيمة النفسية لإحدى الحالات الوجدانية إلا مرتبطة بمحتوى فكرى ما ، فإن انعدم التناسب بين الحالة الوجدانية والفكرة من حيث النوع والشدة وقف حكمنا المستيقظ ولم يمر جواباً .

وإن من سمات الأحلام لسمة حدثت إلى العجب منها في كل وقت ، تلك هي : أن محتواها الفكرى لا يحمل معه الأثر الوجدانى الذى ما كنا في فكرتنا المستيقظ إلا لتوقعه كما نتوقع أمراً ضرورياً ، حتى أعلن شرويهل أن الأفكار مجردة في الحلم من قيمها النفسية . غير أن الأحلام لا تعوزها أمثلة على الضد ، أمثلة يخطر فيها تعبير وجدانى شديد مقترناً بمحتوى لا يبدو فيه أقل مبرر يبرر انطلاق مثل هذا الوجدان : فقد أراى في الحلم في موقف بشع ، خطر ، باعث على الاشتماز ، ولا أحس خوفاً أو نفوراً ، وعلى العكس : قد أروع أحياناً وأيس ما يروع ، أو أفبض حبوراً وما يحبرى سوى موضوع طفل .

هذا اللغز هو - في الغالب - أسرع ألباز الحلم إلى الاختفاء وأتمها تبدلاً حين تنتقل من محتوى الحلم الظاهر إلى محتواه الكامن. وإن تكون بنا حاجة إلى أن نشغل بفضة فقد فنى من قبل. فالتحليل يعلمنا أن المحتوى الفكرى قد مسه الشيء الكثير من القلق والتبدل، على حين ظلت الحالات الوجدانية من غير تعريف. ولا غرو بعد ذلك إذا فقد المحتوى الفكرى المغير بفعل التشويه الحلمى كل تناسب يقرب بينه وبين الحالة الوجدانية المحفوظة كما هي، ولا نحن نجد مدعاة للعجب حين يعيد التحليل المحتوى الصحيح إلى نصابه^(١).

وحين يخضع مركب نفسى لتأثير الرقابة التى تفرضها المقاومة فالحالات الوجدانية هى أقل مقوماته تأثراً، وهى وحدها التى تهدينا الطريق إلى التكملة الصحيحة. وإن هذا الوضع لأظهر فى الأعصبة منه فى الأحلام. فالحالة الوجدانية فى العصاب لما دائماً سببها الذى يبررها، من حيث الكف على الأقل - وإن جاز بالطبع أن تكون قد زادت شدة لما يصيب الانتباه العصابى من التقلات. فإذا كان المسترى يعجب لكل هذا الخوف يركبه تجاه ثقافة من التباهات، أو إذا استعجب رجل يمازى أفكاراً قهرية لما يوجهه إلى نفسه من هذا اللوم المنبعث من لا شيء. فكلاهما ضال عن سبيل الفهم من حيث يتوهم أن المحتوى الفكرى - أن تلك الثقافة أو ذلك «الاشياء» - هو الشيء الجوهرى، وإنه ليدافع عن نفسه بغير طائل من حيث يتخذ من هذا المحتوى نقطة البدء فى تفكيره. ولكن التحليل النفسى يريهما بعد ذلك الطريق الصحيح إذ يسلم - على العكس - بأن للحالة الوجدانية ما يبررها، ثم يبحث عن الفكرة المتصلة بها والتى

(١) إذا لم أكن أخطأت كثيراً، فأول حلم استطعت أن أستشع منه حقيقى الأكبر البالغ من العمر حشرين شهراً يدل على أن الحلم قد لجج فى تحويل مادة أفكار الحلم إلى رغبة محقة، على حين بقيت الحالة الوجدانية المرتبطة بها دون أن تتغير أثناء حالة النوم. فهو فى الليلة التى سبقت رحيل والده إلى الجبهة وقد صاح وهو يشج لشجياً حاراً: «بابا، بابا - بيبى». والترجمة الوحيدة لذلك هى: بابا وبيبي بالقيان معاً، بينما البكاء تسليم بالرحيل المرتقب. ولقد كان الطفل فى ذلك الوقت قادراً تمام القدرة على الإحراب من فكرة الفراق؛ إذ كان بين أوائل ما نطق به هذا الطفل كلمة Fort [«بهدا»] (وكان الطفل يذبح حرف O تصنيهاً خاصاً ويمطه مطاً طويلاً: O - O - O)، ثم هو - قبل هذا الحلم الأول بشهور - كان يطوح بكل ما يقع تحت يده من لمة وهو يصيح: «بهدا» - وهى لمة كانت ترجع إلى تبالج مبكر فى السيطرة على النفس وفزوها بترك الأم تلعب بهداً. [انظر ما ورد من ذلك فى «ما وراء مبدأ اللذة» (نوفمبر ١٩٢٠ ز)].

فالها الكبت وحل محلها بدليل . وكل هنا يتضمن مسلمة ، هي أن الاستجابة الوجدانية والمحتوى الفكرى لا يكونان تلك الوحدة العضوية التى لا تنقسم عراها ، بل قد يكون كل من هذين الجزئين ملفوفاً بالآخر بحيث يمكن الفصل بينهما بالتحليل . وتفسير الأحلام يرينا أن الأمر كذلك فى الحقيقة .

وأبدأ بمثال يفسر لنا فيه التحليل ما ظهر من تخلف الحالة الوجدانية دون المحتوى الفكرى ، مع أن هذا المحتوى كان يستلزم انطلاقها .

١

ترى فى صهراء ثلاثة أسود يفسحك أحدها ولكنها لم تكن خالقة منها . لا شك فى أنها قد ولت فراهاً منها بعد ذلك لأنها كانت تحاول أن تتصل بشجرة ، غير أنها وجدت أن إحدى فريجاتها - وهى مبدية لغة القرلرية - قد سبقتها إلى هناك .

لقد جاء التحليل بالمادة الآتية : إن مناسبة الحلم التافهة جملة وردت فى موضوع الإنشاء الإنجليزى : العرف زينة الأسد . إن والدها كان يحمل لحية تحف بوجهه مثل العرف . وكانت ملصقتها للغة الإنجليزية تسمى الآنسة Lyons (= Lions = أسود) وكانت إحدى معارفها قد أرسلت إليها أشعاراً من نظم Loewe [وهو « الأسد » فى الألمانية] . تلك إذن أسودها الثلاثة ، فلم الخوف منها ؟ - إنها قد قرأت قصة تروى كيف حث زيجى رفاقه على الثورة فطورد وأرسلت فى أثره كلاب الصيد فتسلق شجرة لكى ينقل نفسه . تعقب ذلك ذكريات شتى تروىها الحاملة فى مرح شديد ، مثل تلك النصيحة فى صيد الأسد - عن جملة « الصحائف الطائرة » - : ضع صهراء على المصفاة ، ينساب الرمل ويتبقى الأسود . ثم قصة جملة الطرافة وإن لم تكن بالنظيفة كل النظافة عن موظف سؤل لم لا يتكلف بعض العناية ليظهر بحظوة رئيسه الأعلى ، فأجاب بأنه قد حاول بالفعل أن يشق طريقه من الباب الخلفى ولكن الموظف المتقدم عليه كان قد سبقه إلى هناك . وتغنى كل هذه المادة شيئاً مفهوماً حين يتبين أن السيلة كانت فى اليوم الذى سبق الحلم قد تلقت زيارة من رئيس زوجها فى العمل . وكان الرجل جم الأدب وقيل بعدها ولم تشعر هى بأقل مخوف منه مع أنه كان « وحشاً كبيراً » وكان « مستأسداً » فى

مجتمع عاصمة البلد الذى أتت منه . وعلى ذلك فهذا الأسد أشبه بالأسد الذى فى « حلم ليلة من منتصف الصيف » والذى افترض أمره فلم يكن يحق وراءه سوى سنج النجار^(١) ، والأمر كذلك فى كل أسود الحلم التى لا يستشر منها المرء رهبة .

٢

وأسوق كثال ثان حلم الفتاة التى رأت الابن الأصغر لأختها ميتاً فى نعشه [ص ١٥٥] و [٢٦٥] ولكنها - كما تسقى الآن إضافته - لم تستشر لذلك ألماً ولا حزناً . إننا نعلم من التحليل لم كان ذلك كذلك : فالحلم إنما كان يحق رغبته فى أن ترى الرجل الذى أحبه مرة أخرى ولم يكن يد من أن تجيء حالتها الوجدانية مجانسة لرغبته تلك وليس لما تقنعت به هذه الرغبة . وعلى ذلك لم تكن تمت مدعاة إلى الحزن .

وهناك أحلام تظل فيها الحالة الوجدانية مرتبطة على الأقل بالمحتوى الفكرى الذى حل محل ذلك الذى كانت تلك الحالة مقترنة به فى الأصل . ولكن هناك أحلاماً أخرى يلعب فيها تفكيك المركب (الفكرى الوجدانى) إلى أبعد من ذلك ، فتظهر الحالة الوجدانية منفصلة كل الانفصال من الفكرة المتصلة بها وتلجج فى موضع آخر حيث تنشق والتريب الجديد لعناصر الحلم . والموقف حينئذ أشبه بما قد رأيناه فى حالة أفعال الحكم فى الأحلام [ص ٤٤٤] : إذا تضمنت أفكار الحلم نتيجة هامة اشتمل الحلم كذلك على نتيجة . ولكن النتيجة التى فى الحلم قد تنقل فتجىء فى صدد مادة مختلفة كل الاختلاف . ولا ينلر أن يتم هذا النقل وفقاً لمبدأ التضاد .

هذه الإمكانيات الأخيرة تتمثل فى الحلم التالى الذى أخضعتة لتحليل بلغ غاية الاستيفاء :

(١) [سج النجار أحد أصحاب الحرف المطبوع الذين اجتمعوا لى يملؤوا رواية ما احتلوا به من دول ألبانيا ، فى مسرحية " حلم ليلة من منتصف الصيف " لشكسبير . وقد وكل إلى سج أن يمثل الأسد ، ولم يكن أبداً يبعد عن الأسد بعد سج هذا وبعد الأسد الذى لمبه] .

حصن على شاطئ البحر ، ثم لا يبعد الحصن على شاطئ البحر مباشرة بل على قناة ضيقة مؤديّة إلى البحر . الحاكم وجبل يدعى السيد ب . كنت واقفاً منه في قاعة استقبال كبيرة ذات ثلاث نوافذ تواجهها شرفات مقلدة تشبه مكان إطلاق النار في الحصون . كنت ملحقاً بالحامية على أنفى ضابط بحرى مطروح أو شيء من هذا القبيل . إننا نخشى وصول سفن الأعداء ، فقد كنا في حالة حرب . السيد ب . يتنزه الرجل ويحيط بملابس نيا يجب عمله إذا وقع ما نخشاه . كانت زوجة المريضة في الحصن المهدد مع أطفالها . إذا بدأ ضرب القناصل فالواجب إخلاء القاعة الكبيرة على الفور . إنه يتنفس تنفساً ثقيلاً ويستدير لينصرف . أسك به وأساله : كيف أتصل به عند الضرورة ؟ يقول شيئاً ما على سبيل الجواب ولكنه لا يلبث أن يسقط ميتاً على الفور . لا شك في أنني قد حبلته بالمسلك ما لا يطاق . أسأل نفسي بعد موته - ميتاً لا يترك في نفسي أى أثر آخر - هل كان ينبغي أن تبقى أولئك بالحصن وهلا ينهى أن أنقل نأى موته إلى القيادة العليا وأن أتولى قيادة الحصن بعده باختيارى ناله في المرتبة . كنت واقفاً بالنافذة أراقب السفن وهي تمر . كانت سفناً تجارية تتدفق بسرعة عبر الماء الداكن وكان بعضها مدافع كبيرة ولحطبها الآخر أسلحة محببة (تشبه كل الشبه ماني المحطة في الحلم التمهيدى - غير المذكور) . بعد ذلك يقف أغنى بجاوى وينظر كلانا من النافذة إلى القناة . فترتاح لمراى إحدى السفن ونصيح : ها هي ذى السفينة الحربية ! ولكن يتضح أنه لم يكن هناك سوى السفن التى أمرها من قبل في طريقها إلى العودة . تقبل الآن سفينة صغيرة انفتحت عند الوسط فلم يبق سوى نفسها على نحر يشير الضحك ، نرى على سطحها أشياء غريبة تشبه الفناجين أو العلب في شكلها فتصبح في صوت واحد : تلك سفينة الإضرار .

إن حركة السفن المسرعة مع لون المياه الأزرق الداكن واللحان الأسمر المتصاعد من المداخن - كل أولئك قد التفت ليحدث في النفس شعوراً شديداً التوتر ، قائماً .

ولقد نقلت الأماكن التى ظهرت في الحلم عن رحلات متعددة قمت بها في البحر الأدرياتي (إلى ميرامار - دونيو والبندقية وآكيليا) . وكانت لا تزال حية في ذاكرتى رحلة ممتعة قمت بها مع أخى إلى آكيليا ، قبل الحلم ببضعة أسابيع . ويحتوى الحلم كذلك على إشارات إلى الحروب البحرية بين أمريكا وأسبانيا وإلى ما أثارته إذ ذاك من القلق على مصير بعض أقاربي ممن يقيمون في أمريكا . وقد ورد ذكر الحالات الجلدية في موضعين من هذا الحلم : ففي موضع تغيب حالة جلدية متوقعة ، إذ نص صراحة على

أن موت الحاكم لم يترك أثراً في نفسه ، كما أنني في موضع آخر - حين أقبلت السفينة الحربية - قد ارتفعت لمراها وشعرت بكل أحاسيس الفزع في نومي . ووزعت الحالات الوجدانية في هذا الحلم الحسن التركيب توزيعاً كان من شأنه أن اجتنب كل تناقض يلفت النظر ، فلم يكن ثمة سبب يدعوني إلى الفزع من موت الحاكم وكان من العقول كل المعقولة - وأنا قائد الحصن - أن أفزع لمراى السفينة الحربية . بيد أن تحليل الحلم يبين أن السيد ب . لم يكن إلا بديلاً مني (في الحلم كنت بديله) ، فأنا الحاكم الذي سقط ميتاً ، وأفكار الحلم تدور حول مصير أسرقى إذا مت قبل الأوان ، تلك كانت بين أفكار الحلم الفكرة الوحيدة الأهميَّة ، ولا بد أن الفزع قد فصل منها ثم وصل في الحلم بمراى السفينة الحربية . وبين التحليل من جهة أخرى - أن منطقة أفكار الحلم التي استقيت منها السفينة الحربية كانت تحفل على العكس بأشدّ الدكريات مرحاً : كان ذلك منذ عام مضى في البلدية ، وكنا في صبيحة يوم ساحر جميل ، وقوفاً إلى نوالد حرجتنا المطلة على الريفاء سكياً فوفى ننظر عبر البحيرة الزرقاء حيث كانت الحركة في ذلك اليوم أكثر منها في كل يوم ، فقد كان القوم يتوقعون مقدم بعض السفن الإنجليزية ويتهاون للاحتفال بها . ثم إذا زوجني تهف مرحاً كالطفل : « ها هي ذى السفينة الحربية الإنجليزية ! » وإلى أفزع في الحلم لهذه الكلمات بالذات (وهو مثال آخر على أن أقوال الحلم إنما تستقي من أقوال قبلت في الحياة [انظر ص ٤١٩] ، كما أنى لن ألبث دون أن أبين أن العنصر « إنجليزي » لم يفلت هو الآخر من فعل عمل الحلم . وأنا إذ ذن في عملية تصيير أفكار الحلم إلى محتوى الحلم الظاهر قد قلبت المرح هنا إلى خوف ، ولست أحتاج إلى غير الإلماع إلى أن هذا القلب نفسه كان يعرب عن جزء من محتوى الحلم الكامن . وأيا كان الأمر ، فهنا المثال دليل على أن عمل الحلم حر في أن يفصل الحالة الوجدانية من روايتها بأفكار الحلم وفي أن يدرجها بأى موضع يشاء من محتوى الحلم الظاهر .

وأنتهز هذه الفرصة لكي أسوق تحليلاً مفصلاً بعض التفصيل لـ « سفينة الإفطار » التي ظهرت في الحلم فكان ظهورها خاتمة لا معنى لها لموقف ظل يدار حتى ذلك الحين في مستوى معقول . لأننى حين أستحضر سفينة الحلم استحضاراً أدق يفجأني منها أنها كانت سوداء اللون وأنها - نتيجة لكونها قد لطرت في منتصفها حيث أوسع عرضها - كانت

جمعة الشبه - عند هذا الطرف - بطائفة من أشياء جلبت انتباهنا في متاحف المدن الإثروية : تلك كانت صينيّات من الحرف الأسود ذات مقبضين ، وضعت عليها أشياء تشبه فناجيل القهوة أو الشاي ولا تخلو من كل شبه بأواني الإفطار في مدينتنا الحديثة . فلما استسرنّا علمنا أن تلك كانت عدد «التواليت» لسيدة إثروية بما تحويه من أوعية للدهون والمسايق ، فقلنا مازحين : إنها تكون فكرة طيبة لو أننا حملنا معنا أحدها لربة المنزل . وعلى ذلك فالسفينة التي تظهر في الحلم كانت تعني «تواليت أسود» ، أي ثوب حداد ، وكانت تشير بإشارة مباشرة إلى الموت . وأما الطرف الآخر لسفينة الحلم فيذكرني بالقوارب الجنائزية^(١) التي كانت توضع عليها أجسام الموتى ويترك للبحر دفنها . وهذا يؤدي إلى عودة السفينة في الحلم :

« وفي سكون يحمل الماء الشيخ إلى المرسى ، سالماً على قاربه . »^(٢)

إنها عودة من سفينة غارقة ["Schiffbruch" وبالحرف : سفينة مكسورة] ، ولقد كانت سفينة الإفطار مكسورة في منتصفها . ولكن ما منشأ ذلك الاسم : سفينة الإفطار ؟ ههنا قد استغل لفظ «الإنجليزية» الذي تركناه عند الحديث عن السفن الحربية . ذلك أن الكلمة الإنجليزية الثالثة على « الإفطار » ("breakfast") تعني « كسر الصيام » ، وإن الكسر ليرجع من جديد إلى السفينة الغارقة (وبالحرف : المكسورة) ، بينما يتصل الصيام بالرداء (التواليت) الأسود .

غير أن الحلم لم يتدع جديداً سوى اسم مركب الإفطار ، فأما الشيء نفسه فقد وجد ، وإنه ليدكرني بجزء من أمتع أجزاء رحلتي الأخيرة . فقد ساورنا الشك في جودة الطعام الذي قد يقدم لنا في أكليلا ، فأحضرنا معنا زاداً من جوريزيا واشترينا في أكليلا زجاجة من نبيذ إسترية الممتاز . وبينما كانت باخرة البريد الصغيرة تشق طريقها وثيدة في قناة دل مي عبر البحيرة المهجورة إلى جرادو كنا نحن ، الركابان الوحيدان ، نتناول طعام الإفطار على السطح ونحن أشد ما نكون جواراً ، وكان لإفطاراً ندر أن ذقنا مثله من قبل . تلك إذن « سفينة الإفطار » ، ووراء هذه الذكرى من ذكريات الاستمتاع

(١) إن كلمة "Nachen" [القوارب الجنائزية] قد اشتقت - على ما علمت من صديق ليوليبس - من

الأصل اليوناني *νεκρὸν* [جثة] .

(٢) [Schiller, Nachtrage zu den Xenien]

بالحياة من أنها صورة - وراعاها دون غيرها - يخفى الحلم أظلم الأفكار عن غيب مجهول مفارق للمألوف .

إن فصل الحالات الوجدانية المتولدة من أفكار الحلم هو أعجب ما يقع لها في أثناء تكوين الحلم ، ولكنه ليس بالشئ الوحيد الذى يقع لها ، ولا هو أهم ما يتورها من التغيير في طريقها من أفكار الحلم إلى الحلم الظاهر . فلو أننا قارنا الحالات الوجدانية التى تصحب أفكار الحلم وبين تلك الظاهرة فيه ، لاتفصح أمر على الفور : كلما عرضت في الحلم حالة وجدانية وجدت هذه الحالة في أفكار الحلم ، ولكن العكس غير صحيح . فالحلم برحه عام أقفر وجداناً من المادة النفسية التى نجم الحلم عن معالجتها ، فأنا فى العادة إذ أركب أفكار الحلم من جديد أرى بينها أشد الدوافع النفسية وهى تجهد لكى تبلغ الحس وأراها فى معظم الأحيان وهى تصارع دوافع غيرها تخالفها مخالفة بينة . فلأن رجعت بعد ذلك إلى الحلم ، لم يندر أن أجده حائل اللون ، خالياً من كل نغمة انفعالية ذات شدة يعتد بها . فعلم الحلم لا يهبط إلى مرتبة التساوى بمحتوى أفكارى وحده ، بل إن نغمتها الانفعالية تلتق كذلك ذات المصير فى كثير من الأحيان . ولقد يصح القول بأن عمل الحلم يجلب معه قمعاً للحالات الوجدانية . دعنا نأخذ - مثلاً - حلم البحث النبائى : إن الأفكار التى كان يعرب عنها هذا الحلم كانت تقوم فى دفاع حار مهتاج عن حريقى فى أن أسلك كيفما أختاروفى أن أوجه حياتى على النحو الذى يبدو - على وحلى - صواباً ، ولكن خرج من ذلك حلم سياه التساوى : كبت مبحثاً ، البحث أمامى ، إنه يشتمل على لوحات ملونة ، أرفقت بكل نسخة نباتات مجففة . لنى ذلك ما يذكر بالسلام الذى يعجىم فوق ساحة قتال انتثرت الجثث فى رحابها ، فكل أثر ينم عن الصراع الذى دارت رحاه فوق أرضها قد انمحق .

غير أن الأمور قد تختلخ : قد تنفلد إلى الحلم نفسه تعبيرات وجدانية مشتدة . سوى أننى أقف فى الوقت الحاضر عند تلك الحقيقة التى لا منازعة فيها : أن عدداً كبيراً من الأحلام يبدو متساوياً ، على حين يستحيل أن يبلغ المرء أفكار الحلم دون أن يتولاه انفعال عميق .

وليس هنا مقام الإتيان بالتعليل النظرى الكامل لما يقع فى خلال عمل الحلم من هذا القمع للحالات الوجدانية ، فذلك ما يستلزم التمهيد له ببحث من أشق ما يكون فى نظرية الحالات والوجدانية وفى ميكانيكية الكبت [انظر ص ٥٨٨ وما بعدها] وإنما أريد الإدلاء لتعبير الأحلام

هنا بفكرتين : إثنى مضطر - لأسباب أخرى - إلى أن أتصور انطلاق الحالات الوجدانية في صورة عملية فائقة عن المركز متجهة إلى داخل الجسم مثل عمليات التعصيب^(١) الحركي والغددي . وكما أن إرسال الدفعات الحركية إلى العالم الخارجى يبدو معطلاً في أثناء حالة النوم ، فإن إثارة الحالات الوجدانية بوساطة التفكير اللاشعورى قد تزيد كذلك صعوبة في خلال النوم . وفي هذه الحالات تكون الحاجات الوجدانية التى تخطر في ثنايا أفكار الحلم ضعيفة في ذاتها وبذاتها ، ومن ثم لا يكون ما ينفذ منها إلى الحلم بأقل ضعفاً . ويلزم من هذه النظرة أن " قمع الحالات الوجدانية " ليس نتيجة لعمل الحلم على الإطلاق ، بل ينجم عن حالة النوم . وقد يكون ذلك صحيحاً ، ولكنه لا يمكن أن يكون كل الحقيقة . فلا بد أن نذكر أن كل حلم - مهما قل حظه من التعقيد - يتبين في النهاية أنه وليد تصالح بين قوى نفسية متعارضة . فالأفكار التى تبنى بها الرغبة لاتجد مفرّاً من مكافحة المعارضة المنبثقة من العامل القائم بالرقابة - هذا من جهة . ثم نحن - من جهة أخرى - قد رأينا في أحيان كثيرة أن التفكير اللاشعورى لا يحوى فكرة إلا كانت مشدودة إلى ضلها الذى ينقضها . وإذا كانت هذه جميعاً قادرة على إثارة الحالات الوجدانية فنحن ولأريب بمأمن من مجانبة الصواب حين نقدر أن قمع الحالات الوجدانية هو نتيجة للكف الذى تعمله هذه الأضداد بعضها في بعض وتعمله الرقابة في النوازع المقموعة بوساطتها . وعلى ذلك يكون كف الحالات الوجدانية هو النتيجة الثانية لرقابة الحلم كما كان التشويه العلمى نتيجتها الأولى .

وأسرد هنا مثالا من حلم يسعنا فيه أن نعلل ما يطبع محتوى الحلم من تساوى النغمة الانفعالية بما بين أفكار الحلم من التضاد . إنه حلم قصير يملأ كل قارئ اشتمزازاً .

(٤)

تل حلاه فيه أشبه بمرحاض في الهواء الطلق : مقعد طويل جداً في نهايته ثقب كبير ، طليت حافته الخلفية بغطاء سميك من أكواب صغيرة من الفايظ ، من جميع الأحيام ودرجات الطراوة . وراء المقعد شجيرات .

(١) [في بيان استخدام فرويد لهذه الكلمة انظر الهامش الثانى في ص ٥٢٩] .

أبول مل المقعد ، يسيل سيل طويل من البول كل شيء ، فأكويام الغائط تنزاح في يسر وتسقط في الفتحة .
كأنما ظل بعضها متبقياً في النهاية .

لم انتفى عندي كل شعور بالاشمئزاز في خلال هذا الحلم ؟
لأن هذا الحلم - كما يبينه التحليل - قد اشتركت في تكوينه أشد الأفكار مجلبة
للسرور وأكثرها بعباً على الرضى . فإ يخطر لي على الفور عند تحليل هذا الحلم هو
حظائر أوجياس ؟ ^(١) التي نظفها هرقل . وهرقل هنا كان إياى . فأما التل والشجيرات
فتأتى من آوى حيث كان يقيم أطفالى في ذلك الوقت . وإنى قد اكتشفت أن للعصاب
عللا ترجع إلى الطفولة وبذلك جنبت أطفالى المرض . وأما المقعد فكان (إذا استثنينا الثقب
بالطبع) صورة طبق الأصل من قطعة من الأثاث أهدتها إلى مريضة عارفة للجميل .
وهو - إذن - يذكرنى بمدى التكريم الذى ألقاه من مرضاى . لا . بل إن متحف
البراز الإنسانى نفسه ليجد تفسيراً من شأنه أن يثير سرورى ؛ فإنه - مهما بلغ اشمئزائى
من الحياة الواقعة - كان في الحلم أثراً ذكروياً من أرض إيطاليا الجميلة حيث نهباً
المراحيض في المدن الصغيرة - كما نعلم جميعاً - على هذا النحو عينه . وأما سيل البول الذى يسيل
كل شيء فعلامه لا تخطئ على العظمة . فهكذا أطفالاً جاليف الحريق الكبير الذى
شب في ليليت - وإن يكن هذا العمل قد جر عليه يقيناً غضب الملكة الرقيقة . ولكن
جارجنتوا - رجل رابليه القاتل - قد أخذ هو الآخر بثأره من أهل باريس بأن امتطى
من كنيسة نوتردام وصب سيل بوله على المدينة ^(٢) . ولقد اتفق يوم أمس على التحقيق
أننى - قبل التوجه إلى الفراش - تصفحت رسوم جازينيه لكتاب رابليه . ومن
العجب أن هنا شاهداً جديداً على أننى الإنسان القاتل : فرصيف نوتردام كان كنى
المفضل في باريس ، كلما فرغت في عصر يوم جلست هنا وهناك أبراج الكنيسة بين
المسوخ والشياطين . فأما اختفاء كل الغائط بتلك السرعة تحت سيل البول فيذكر
بشعار « ونفخ فتبعثروا » الذى كنت انتويت أن أتخذه عنواناً لفصل في علاج المستريا .
[انظر ص ٢٣٤] .

وعطينا الآن بالمناسبة الحافزة على الحلم . كان ذلك في عصر يوم قافظ من أيام

(١) [ملك أفرقت الأساطير في وصف ثروته حتى قيل : إن البراز المتراكم في حظائره قد بلغ مئتان الفاه
لكثرة مواشيه . ولم يصح تنظيها إلا هرقل] .
(٢) [انظر الملحق الذى في ص ٢٣٥] .

الصيف ، وكنت - بعد الظهر - قد ألقيت محاضرتي في الصلة بين المستريا والاعترافات الجنسية . وكان كل ما قلته يبعث الاستياء في نفسي و يبدو لي مجرداً من القيمة كل التجرد . كنت متعباً لا أستشعر أثراً من السرور بعملى المضنى ، توافاً إلى البعد عن هذا التنبيش في القادورات الإنسانية إلى حيث يقيم أبنائى ثم - بعد ذلك - إلى روائع إيطاليا . وفي هذا المزاج مضيت من قاعة المحاضرة إلى أحد المقاهى حيث تناولت لقمة متواضعة ، فلم تكن بي شهية إلى الطعام . بيد أن واحداً من مستمعى جاء معى ورجا منى أن أدعه يجلس إلى جانبي ريثما أحتسى قهوتي وأتبلغ كسركى ، ثم أخذ يتملقنى : كم من أشياء تعلمها منى ، وكيف أصبح ينظر إلى الأشياء بعين جديدة ، كيف نظفت حظائر أوجيماص من الأخطاء ومن الآراء السابقة بنظرتى عن الأعصبة ، وبالاختصار قال لى : لئنى رجل عظيم جداً . ولم أكن فى مزاج يتفق وهدا التقرىظ ، فغالبت شعورى بالاشمئزاز ثم ذهبت إلى المنزل مبكراً لكى أفلت منه . وكان أن تصفحت رابليه قبل الذهاب إلى الفراش وقرأت قصة قصيرة من قصص ك.ن. ماير بعنوان "أحزان صى" .

تلك هى المادة التى خرج منها الحلم . أضف أن قصة ماير القصيرة قد أثارت فى نفسى ذكريات عن مشاهد من الطفولة (انظر الجزء الأخير من حلم الكونت تون [ص ٢٣٥]) . ولقد استمر فى الحلم مزاج النور والاشمئزاز الذى عرفته فى خلال النهار ، حتى أنه زود الحلم بكل مادة محتواه الظاهر تقريباً . سوى أن مزاجاً مضاداً من توكيد اللات توكيداً قوياً بل مغالياً قد استيقظ فى أثناء الليل ونحى الأول دون أن يبطله . ولم يكن لمحتوى الحلم يد من أن يجد صورة تمكنه من الإعراب عن هيجاس الشعور بالضالة ومن جنون العظمة فى آن واحد . وكان من نتيجة هذا التلاقى محتوى حلمى طابعه الاشتراك ولكن نجمت كذلك نغمة انفعالية متساوية نتيجة للكف المتبادل بين الأضداد .

ولو أخذنا بنظرية تحقيق الرغبة لزم أن هذا الحلم ما كان يتيسر لولا أن الأفكار المضادة الصادرة عن جنون العظمة (وهى أفكار كانت تقع تحت وطأة القمع من غير شك سوى أنها كانت ذات طابع لاذ) قد انبعثت إلى جانب الشعور بالاشمئزاز . فما هو أليم يجب ألا يصور فى الحلم ، وكل ما يؤلم من أفكارنا الحلمية لا ينفذ إلى الحلم إلا إذا هو أسلم فى الوقت نفسه قناعاً يتقنع به تحقيق رغبة ما .

وهناك بعد ذلك طريقة أخرى يستطيع بها عمل الحلم معالجة الحالات الوجدانية المتضمنة بين أفكار الحلم - إلى جانب تركها نشق طريقها أو سلبها كل حدة، تلك هي : قلبا إلى ضدها .

فقد عرفنا من قبل [ص ٣٤٩] تلك القاعدة التفسيرية : أن كل عنصر - من حيث تفسيره - قد يعرب عن ضده كما يعرب عن نفسه . ولنا نستطيع أن نعلم مقدماً بأى الطرفين نأخذ ، وإنما الفصل للسياق : ومن الواضح أن الشعور الشعبي قد أحس هذه الحقيقة ، فكعب الأحلام تنجح في تفاسيرها وفق مبدأ الأضداد في كثير من الأحيان . والذي يجعل هذا القلب إلى الضد شيئاً ممكناً هو هذه الرابطة الاستدعائية الباطنة التي تربط في فكرنا بين فكرتنا عن شيء وبين ضدها . وهذا القلب - شأنه شأن أى نوع آخر من أنواع النقل - قد يخضع أغراض الرقابة . ولكنه قد يكون أيضاً - في أحيان كثيرة - وليد تحقيق الرغبة ؛ فإ تحقيق الرغبة إلا أن تستبدل بشيء مستكره ضده . وإذا كانت أفكارنا المعربة عن الأشياء قد تظهر في الحلم مقلوبة إلى ضدها ، فكذلك الحالات الوجدانية المرتبطة بأفكار الحلم ، والراجع - فيما يبدو - هو أن هذا القلب للحالة الوجدانية يجرى نتيجة لرقابة الحلم . أو تلك هي القاعدة . ونحن في الحياة الاجتماعية - تلك الحياة التي تزودنا بتشبيها المألوف لرقابة الحلم - نلجأ كذلك إلى قمع حالاتنا الوجدانية كما نلجأ إلى قلبها ، مستهدفين في ذلك الاستخفاء أولاً . فإذا كنت أحدث شخصاً تحملى الضرورة على ملاراته بينما رغبى هي أن أرميه بكلمة عداء ، فإن إخفاء كل تعبير عن حالتى الوجدانية أمر يكاد يفوق في أهميته وفي لزومه تخفيف العبارة اللغوية عن أفكارى ؛ فإني إذا خاطبته بكلمات لا تجانب الأدب ولكنها تصطبغ بنظرة أو بإشارة من الكراهية والاحتقار ، لم يختلف التأثير الذى أحدثه في نفسه منه لو أننى ريمته باحتقارى مجاهرة . وعلى ذلك كانت الرقابة تأمرنى أن أقمع حالاتى الوجدانية قبل كل شيء . فإن كنت معلماً في فن الاستخفاء تلبست بالحالة المضادة : أبسم وأنا غاضب وأظهر الود ورغبى الدمار .

ولقد مر بنا من قبل مثال ملحوظ على مثل هذا القلب للحالة الوجدانية يقع في الحلم نتيجة للرقابة . فى حلم « عمى ذى اللحية الصفراء » أحسست أكبر الود نحو صديقى ر . ،

بينما كنت أدعوه في أفكار الحلم مغفلاً . ولأننى كنت أدعوه كذلك . وقد كان من هذا المثال على قلب الحالة الوجدانية أننا خرجنا بأول إشارة إلى وجود رقابة الحلم . وهنا أيضاً ما من ضرورة تدعونا إلى أن نفترض أن عمل الحلم يخلق مثل هذه الحالة الوجدانية من عدم ، بل القاعدة هي أنه يراها في متناول يده بين أفكار الحلم ، كل الأمر أنه يزيدها شدة على شدة بالقوة النفسية التي للدافع الدفاع ، حتى تصبح لها الغلبة في تكوين الحلم . فالراجع في حلم عمى الذى ذكرته هو أن الحالة الوجدانية المضادة - الحنان - قد انبعثت من مصدر طفلى (كما أوجاه الجزء الأخير من الحلم) ، لأن علاقة العم وابن الأخ قد صارت المهمل الذى ترد منه كل صداقاتى وحدائقى ، نتيجة للطابع الخاص الذى كان لأوائل خبراتى في عهد الطفولة [انظر التحليل المساق في ص ٢٤٤ وما بعدها] .

ونجد مثالا ملحوظاً على مثل هذا القلب للحالة الوجدانية في حلم رواه فروتسكى (١٩١٦) ، قال : « استيقظ سيد متقدماً في السن ذات ليلة ، أيقظته زوجته المدعورة ، لأنه كان يضحك في نومه ضحكاً صاخباً مطلقاً . وقد ذكر الرجل بعد ذلك أنه كان يحلم الحلم الآتى : كنت واقفاً في سرهري ثم دخلت الفرة سيد امرئ ، حاولت أن أدير التور ولكنى لم أسطع . كررت المحاولة فلم تبد . عندئذ نهضت زوجه لملأنى ، ولكنها عجزت هي الأخرى . تنزل في النهاية من محاولتها وتصل إلى فراشها لأنها كانت تشعر بالحيل أمام السيد لتجدها من الرءاء بعض التجرد . وكان هذا كله شيئاً مضحكاً حتى لم أمك إلا أن أضحك ضحكاً مدوياً . وأتيت زوجه : ولم تضحك ؟ لم تضحك ؟ ، ولكن ذلك لم يزد إلا ضحكاً حتى استيقظت . - وفي غداة هكذا الحلم كان السيد يشعر باكتئاب وصداق ، فكل هذا الضحك قد كربه - أو هكلاً ظن .

وإن هذا الحلم ليس بالحلم السار إلى المدى الذى يبدو ، لو بحثناه بحثاً تحليلياً ؛ نفسياً ، لأن « السيد المعروف » الذى دخل الحجرة كان في أفكار الحلم صورة للموت باعتباره « المجهول الأكبر » - وهى صورة طافت بخلفه في اليوم الذى سبق الحلم ، فقد وقع لهذا السيد المسن - وهو يشكو تصلب الشرايين - ما دعاه في اليوم السابق إلى التفكير في الموت . ولقد حل الضحك المطلق محل النجيب واليكاء لفكرة موته المهترم ، وفور الحياة هو هذا الذى لم يعد يستطيع إدارته . ولعل هذه الفكرة المظلمة قد ارتبطت بمحاولات في الجماع بلحا قبيل نومه دون أن يصيب توفيقاً وإن عاونه زوجته وهى متجردة ، فلاحظ أنه قد أخذ في الأقول . بيد أن الحلم أفلح في تحويل هذه الفكرة المظلمة عن العنة

والموت إلى مشهد هزلي . والنحيب حال إلى ضحكك .

وهناك طبقة من الأحلام تستحق بنوع خاص أن توصف بكونها أحلاماً "مناقشة" . ثم هي عمك صعب لنظرية تحقيق الرغبة . ولقد اتجه انتباهي إلى هذه الأحلام حين أتت السبلة الطيبة م . هيلفردينج بالحلم الآتي من أحلام روزجر^(١) لمناقشة في "جمعية فيينا للتحليل النفسي" .

يقول روزجر في قصته "مطروء"^(٢) : « إلى أنم عادة بنوم عميق . ومع هذا ما أكثُر الليالي التي لم أذق فيها راحة ! لأنني ، إلى جانب بدايتي المتواضعة طالباً وأديباً ظللت أجز معي سنوات طويلاً ظل حياتي وأنا طرزي ، مثل شيخ لا أستطيع الخلاص منه .

ولا يعني ذلك أنني في خلال النهار ، كنت أشغل بأيام الماضي انشغالا كثيراً أو كبيراً ، فن نزع عن نفسه جلد الفلسطيني^(٣) وراح يغزو الأرض والسماء يتجه بهيمته إلى أمور أخرى . ولا كنت أكاد - وأنا في مرح مقدم - أفكر لحظة فيما يزورني في جنح الليل من الأحلام . ولكنني بعد ذلك ، حين اعتدت أن أفكر في كل شيء ، أو حين أخذ الفلسطيني الكامن في يختلج قليلاً ، حينئذ فقط ساءلت نفسي : لم كنت ، إذا حملت على الإطلاق ، أرثي طرزيّاً أجيراً ورأيتني - وأنا كذلك - أقصى الساعات الطوال إلى جانب معلّم أعمل في دكانه من غير أجر ؟ كنت أعلم حق العلم ، وأنا جالس إلى جانبه أخط وأكوي ، أن مكاني الصحيح لم يعد هناك ، وأن أممي - وأنا الحضري - أمور أخرى أشغل بها . بيد أنني كنت دائماً في إجازة ، وكان الوقت دائماً وقت إجازة الصيف . ولهذا كنت هناك بجانب معلّم أعوانه . وكان هذا الوقت المضيق الذي كان يسعى أن أصنع في أثناءه أموراً أخرى أكرم وأنفع - كان يمضني وكنت أتحرر عليه . وكنت بين الحين والحين ، إذا لم تجر الأمور على ما يرام ، أصغر كارهاً للملامة من معلّم ، وأما الأجر فما من كلمة عنه . ولكم عزمت وأنا جالس عنى

(١) [هو بيتر روزجر (١٨٤٣ - ١٩١٨) كاتب نمسي معروف بلغ ذرى الشهرة بعد نشأة ريلية

توانسة] .

(٢) ["Freund gemacht" ["Waldheimat" ، الجزء الثاني ، ص ٣٠٣ .

(٣) [Der Philister - لفظ كان الطلبة الألمان يطلقونه في شهر من التحقير على كل من خرج من

الدوائر الجامعية وعلى التجار بنوع خاص ، على نحو ما يقول الفرنسيون أحياناً : "بورجوا"] .

الظهر في الدكان المظلم على أن أترك العمل وأغادر المكان . لا ، بل إني أقدمت على ذلك مرة . ولكن المعلم أخط الأمر كأنه لم يكن ولم ألبث أن رأيتني جالساً من جديد إلى جواره وأخيط .

« وكنت اليقظة حادة بعد هذه الساعات الثقيل . كنت أعقد العزم بعدها إذا عاذني هذا الحلم اللجوج إلا أن أطرحه طرح النواة وأن أصبح بأعلى صوتي : إن هذه إلا أضغاث أحلام ، إني راقد في سريري أبتغي النوم . . ولكن تأتي الليلة التالية ، فإذا أنا جالس في دكان الطرزي مرة أخرى .

« وهكذا دام الأمر سنوات في اطراد يشيع العجب . ثم حدث مرة أننا كنا - معلمى وأنا - نعمل في بيت ألهلهور (وهو الفلاح الذى اشتغلت في داره حين عملت أجييراً للمرة الأولى) ، وأبدي معلمى استياء من على فوق استيائه المألوف ، فقال لى : أريد أن أعلم أين أرسلك ! ، ثم نظر لى نظرة مغبرة . وفكرت في أن أصوب ما أستطيع صنعه هو أن أنهض واقفاً وأن أعلنه أنني لا أمكث معه إلا توشيحاً لمرضاته ثم أبرح . ولكننى لم أصنع شيئاً من ذلك . ولا أنا أبدت أقل اعتراض حين أخذ معلمى أجييراً آخر وأمرنى أن أترك له مقعدى ، بل انزويت في الركن وأخذت أخيط . وفي هذا اليوم عينه الحق المعلم بالعمل أجييراً آخر ، رجلاً ذا ورع زائف ، هو الفجرى الذى عمل في محلنا منذ تسعة عشرة عاماً ثم وقع مرة في النهر وهو راجع من المنزل . فلما أجال الأجير الجديد بصره يلتبس مقعداً لم يكن في المكان محل . ونظرت إلى معلمى أسأل فقال لى : « إنك لا تصلح للخياطة ، لك أن ترحل ، أنت مطرود . » وعندئذ أحسّت ذعراً طاغياً حتى أنني هبت مستيقظاً .

« كان ضوء الصباح الرمادى يلمع من خلال الستائر المسدلة نافذة إلى غرفتي الأليغة ، وكانت روائح الفن تحف بى : ها هم أولاء في صوان كتبي الأتيق هومير الخالد ودانته العملاق وشكسبير المنقطع النظير وجوته الماجد ، الخالدون العظام جميعهم . وفي الحجرة المجاورة ترن أصوات جلبة طرية ، أصوات أبنائى الصغار وهم يستيقظون ويمزحون أهمهم . لكأنى اكتشفت من جديد هذه الحياة الحلوة كمشيش الرعاة، الوداعة ، الشاعرة ، الروحية ، التى عرفت فيها من السعادة الإنسانية التأملية وذوقها عميقاً . ومع هذا ، كان يغضبنى أنني لم أسبق معلمى فأتركه مختاراً ، بل شيعت مطروداً .

« ثم كم كان دهشى بعد ذلك : فقد الليلة التى طردنى فيها معلماً وأنا أنم بالسلام ، لم أعد أحلم بأيام الطرزي المستكنة من ورأى فى الماضى السحيق ، تلك الأيام التى كانت - والحق يقال - أياماً هائلة فى خلوها من كل اقتضاء ولكنها ظلت تنشر فوق مستأنف سنواتى كل هذا الظل القائم المملود . »

إن من الصعب أن نتبين أين تحقيق الرغبة فى هذه السلسلة من الأحلام التى أتاها مؤلف كان فى صباه طرزيّاً أجيراً . لكل سعادة الحالم كائنة فى حياته التى يحياها بالهار فى حين يصر الحلم على ملاحظته بشبح حياته الشقية التى لم يخرج منها إلا بشق النفس . ولكن أحلاماً لى بمائل هذه فى النوع قد مكتسبى من أنأتى بعض الضوء على هذا الموضوع . ذلك أننى عملت زمناً طويلاً - وأنا طبيب شاب - فى معهد كيميائى دون أن أبرز يوماً بموهبة من الموهبات التى يقتضها هذا العلم . ولهذا كنت دائماً فى حياى المستيقظة أصدف عن التفكير فى هذه الفترة العقيمة والمملة بحثى فى تاريخى تعلمى . بيد أننى - من جهة أخرى - كنت أحلم مراراً بأننى أعمل فى المعمل وأقوم بالتحليلات وأجرى مختلف التجارب . هذه الأحلام أحلام مستكرمة على نحو ما كانت أحلام الامتحان ثم هى لا تجيء متميزة أبداً . وكنت أفسر أحدها حين جذبت انتباهى كلمة " تحليل " التى أعطيتى المفتاح إلى فهمها . فقد هاته الأيام صرت « محلاً » وإلى لأقوم اليوم بتحليلات تلقى تقديراً رقيقاً وإن تكن يقيناً تحليلات نفسية . وهكذا فهمت السر : إذا كنت أستشعر الفخر فى حياى الهارية لأننى أقوم بتحليلات من هذا القبيل وأحس نزوحاً إلى أن أباهى نفسى بحدى ما صرت إليه من النجاح ، فإن أحلامى تذكرنى فى أثناء الليل بهاته التحليلات الأخرى الخفيفة ، الحالية من كل وجه يدعو إلى الافتخار ، إنها أحلام عقاب تنزل بحديث النعمة مثل أحلام الطرزي الأجير الذى صار مؤلفاً ذائع الصيت . ولكن كيف يتسنى لحلم وسط هذا الصراع بين غرور حديث النعمة وبين نقده لنفسه أن ينحاز إلى جانب هذا النقد وأن يختار لهتواه تحديراً معقولاً بدل التحقيق غير المشروع لرغبة من الرغبات ؟ لقد ذكرت من قبل أن الإجابة عن هذا السؤال تثير صعوبات شتى ولكننا نستطيع أن نستنتج أن أساس الحلم كان فى أول الأمر تخيلاً طامحاً ، مغرقاً فى الطموح ثم نقلت إلى الحلم بدل ذلك أفكار مدلة جاءت فألقت ماء بارداً على هذا التخييل . فلا ننسى أن بالنفس دوافع مأسوسية قد تكون هى السبب فى مثل هذا القلب . ولست

أرى ما يمنع دون تمييز هذه الأحلام من أحلام " لتحقيق الرغبة " تحت عنوان " أحلام العقاب " ، فاكنت لأرتأى في هذه التفرقة قيداً يحد نظرية الحلم التي لم أزل أعرضها : بل هي تنازل لفظي يحض تجاه وجهة النظر التي ترى في اجتياح الأصداد شيئاً عجبياً ^(١) . ثم إن إيمان النظر في بعض الأحلام التي من هذه الطبقة يلقى الضوء على شيء آخر . فقد جاء في هامش أحد أحلامي عن المعمل جزء غير متميز بدوت فيه وأنا في هاته السن التي عرفت فيها على التحقيق أعظم سنوات حياتي الطيبة وأقلها حظاً من النجاح : كنت لا أزال بغير وظيفة ، لا أعرف كيف أرزق . ولكن تكشف لي فجأة أنني كنت إذ ذاك لا أزال أملك الخيار بين أكثر من امرأة أستطيع التزوج بها ! أي أنني كنت شاباً من جديد ثم - قبل كل شيء - كانت أيضاً شابة من جديد الزوجة التي شاركني كل هاته السنوات الصعاب . وهكذا تجلى أن الباحث اللاشعوري على الحلم كان رغبة من هذه الرغبات التي لا ينح عن أن ينظي بها قلب الرجل الذي تتقدم به السن . فالصراع الناشب في طبقات أخرى من النفس بين غرور الإنسان ونقده نفسه هو الذي حدد محتوى الحلم ، هذا صحيح . ولكن الرغبة في الشباب - هذه الرغبة الأعماق جنوراً - هي وحدها التي مكنت لهذا الصراع سبل الظهور في صورة الحلم . وأنا - بين الحين والحين - لنحدث أنفسنا قائلين : " كل شيء اليوم على أحسن ما يكون ، وزمان الصعاب قد انقضى ، ومع هذا كم كانت جميلة تلك الأيام ، كنت لم تزال شاباً فتيّاً " .

وقعت لي طائفة أخرى من الأحلام عرفت فيها طابع النفاق ^(٢) ، يدور محتواها حول مصالحة أناس انقطعت أسباب الصداقة بين الحالم وبينهم منذ زمن بعيد : في مثل هذه الحالات يكشف التحليل عادة عن دافع يحث المرء على أن يطرح البقية الباقية مما يكنه من الرعاية للولاء الأصدقاء القدماء وعلى معاملتهم معاملة الغرباء والأعداء . ولكن الحلم يؤثر إلا أن يصور العلاقة المضادة .

ومن الحكمة حين تكون رأياً يتصل بأحلام رواها كاتب مبدع أن نفترض أنه

(١) منذ قسم التحليل النفسي الشخصية إلى أنا وأنا أعمل (فرود ١٩١٢ ج [وأيضاً ١٩٢٢ ب]) . صار من السهل أن نعرف أن أحلام العقاب هذه تحقق رغبات الأنا الأمل .

(٢) [أضيفت هذه الفقرة عام ١٩١٩ ، والظاهر أنها أضيفت في غير موضعها ؛ وربما كان موضعها الصحيح بعد الفقرتين التاليتين . ومن المؤكد أن فرود يشير هنا إلى حلم يتصل بفليس بعد أن انقطعت أسباب الصداقة بينهما] .

قد حلف في خلال روايته تفاصيل من محتوى الحلم لاحت له غير جوهرية أو قد تبدد الإلتباه ، وفي هذه الحالة تثير أحلامه مشكلات قد كان يسهل حلها لو أنه أورد محتواها كاملا .

وقد نبنى أو ثورنا لك إلى أن قصة جريم عن الطرزي الصغير الجسور أو "سبعة" في ضربة واحدة " قد حوت حلماً مماثلاً كل الماثلة يأتيه حديث نعمة : ففيها نرى الطرزي الذي أصبح بطلا وصهراً للملك يحلم ذات ليلة بحرفته القديمة وزوجه الأميرة واقدة إلى جواره . وترتاب هذه في الأمر فتأتي بحراس ملججين توقفهم لكي يسترقوا السمع في الليلة التالية ويلقوا القبض عليه . ولكن الطرزي الصغير يجد من يحذره فيعرف بعد ذلك كيف يصحح حلمه .

إن العمليات المعقدة التي تحول بواسطتها الحالات الوجدانية المتضمنة في أفكار الحلم إلى تلك الظاهرة فيه - عمليات الاستبعاد والانتقاص والقلب - يمكن تأثرها على نحو مرض في مؤلفات حلمية مناسبة سبق تحليلها تحليلًا وافيًا . وسأنتخب الآن بضعة أمثلة أخرى على الحالات الوجدانية في الحلم : أمثلة نرى فيها الإمكانات التي أحصيتها وقد تحققت .

٥

إذا عدنا إلى حلم المهمة العجيبة التي كلفني إياها بروكه الشيخ - أن أشرح حوضي [ص ٤٥١] - رأينا أنني قد التفتت في الحلم نفسه ما كان يتألم ومثل هذه المهمة من الشعور بالفضاعة . وأضيف الآن أن ذلك كان يحقق رغبة بأكثر من معنى . فالتشريح كان يعني تحليل النفس الذي أقوم به كأنما كان ذلك من أجل نشر هذا الكتاب - وهو أمر كان يؤلني في الحقيقة حتى أنني أجلت طبع المخطوط سنة أخرى بعد الفراغ منه . وهنا انبعثت الرغبة في أن أتغلب على هذه الكراهية ؛ فلم أشعر في الحلم بفضاعة ما . ولكنني أود كذلك لو أفلتت من هذه الفضاعة ["Grauen"] بالمعنى الآخر للكلمة [وهو الشيب] ؛ فقد أخذ شعري يضرب إلى المشيب ، وهذا الشيب يذكرني كذلك بأن أجب عن الإرجاء . ونحن نعلم أن هذا الحاضر : أنني قد أضطر إلى أن أترك لأبنائي تحقيق الهدف الذي لم أبلغه من رحلي الصعبة - قد نقل إلى التصوير عند خاتمة الحلم .

دعنا الآن نبحث الحلمين اللذين نقلنا تعبير الرضا إلى اللحظة التي أعقبت البقطة مباشرة . لقد نسب الرضا في حالة إلى ما توقعته من كشف وشيك عن معنى « قد حلت بعد ذلك من قبل » ، بينما كان هذا الرضا يشير في حقيقة الأمر إلى مولد أولادى الأوائل [ص ٤٤٥] ، ونسب الرضا في الحالة الثانية إلى أن « وعدا » قد تحقق بينما كانت الإشارة الصحيحة في هذا الحلم أشبه بها في سابقة ، فلم يكن الرضا إلا هذا الذى هلت به لمولد ابنى الثانى [ص ٤٤٦] . وهكذا نجد هنا أن الحالات الوجدانية المسيطرة في أفكار الحلم قد بقيت في الحلمين ، ولكن أكبر الظن أنه ما من حلم تجرى فيه الأمور على هذا النحو من البساطة . فلو أننا تعمقنا تحليل هذين الحلمين قليلا لعلنا أن هذا الرضا الذى يفلت من الرقابة قد لقي تعزيزاً من مصدر آخر كان من شأنه أن يخشى الرقابة وما كانت الحالة الوجدانية المنبعثة منه لتلقى من غير شك سوى المعارضة ، لولا أنها استمرت وراء حالة الرضا المائلة ، المشروعة ، المستقاة من مصدر لا اعتراض عليه ، ولدا تسللت - إن جاز التعبير - تحت جناحها . ولست أستطيع لسوء الحظ أن أوضح ذلك في صدد هذين الحلمين بالذات ، ولكن ها هوذا مثال مستمد من مجال آخر يوضح معنى : دعنا نفترض ' الموت ' الآتى : هب بين معارفى شخصاً أضمر له الكراهية بحيث أحس نزوحاً قوياً إلى الاختباط كلما خالفت الأمور مشتهاه ، ولكن الجانب الخلقى في طبيعته لا يفسح الطريق لثل هذا الشعور فلا أجرؤ على أن أعرب عن رغبة في أن يعثر حظه ، وإن أصابه مكروه غير مستحق تكلفت مظاهر الأسف وأفكاره - كل إنسان قد رأى نفسه في هذا الموقف يوماً ما . والآن هب أن هذا الشخص المكروه قد جر على نفسه ضرراً مستحقاً لعثرة من جانبه : إن الذى يحدث عندئذ هو أننى أطلق العنان لرضائى عن كونه قد لقي عقاباً عادلا ، وإنى لأرأى متفقاً في ذلك مع أناس غيرى كثيرين ، لا شبهة في إنصافهم . بيد أننى قد ألحظ أن رضائى هذا يبدو أكثر شدة من رضا هؤلاء الآخرين ، فهو قد لقي تعزيزاً من مصدر الكراهية الذى ظل حتى ذلك الحين لا يجد سبيلا إلى إحداث أثره الوجداني لضغط الرقابة الداخلية ، ولكنه - وقد تغفرت الملابس - لم يعد يصادف مثل هذا الحائل . وذلك هو ما يحدث في الحياة الاجتماعية عامة كلما جانب الحق أناس مستقلون أو أفراد متممون إلى أقلية مبغضة . فعقابهم لا يقابل في العادة جرمهم ، بل جرمهم مضاعفاً إليه هذا القسط من

الفضن المكون نحوم والذي ظل من قبل لا يحدث أثراً . ولا شك في أن من يوقعون عليهم القصص يرتكبون في ذلك جوراً ، ولكن يحول بينهم وبين إدراك جورهم هذا الرضا الناجم عن إزاحة القمع الذي ظلوا يتكلفونه زمناً طويلاً . والحالة الوجدانية في مثل هذه الأحوال حالة لما لها ببرها من حيث الكيف ولكنها ليست كذلك من حيث مقدارها . سوى أن نقد الإنسان نفسه إذ يهدأ من ناحية لا يستشعر كبير ميل إلى مراجعة الأخرى . وما أن تفتح باباً حتى يتسع اقتحامه لعدد من الناس أكبر ممن كنت تنتوي في البدء تركهم يدخلون .

وعلى هذا النحو يجب أن نعلل سمة عجيبة في طبع العصبيين - وذلك بقدر ما تسمح هذه السمة بأى تحليل نفسى على الإطلاق - وأغنى بها أن العلل القادرة على إطلاق حالة وجدانية معينة تحدث عندهم نتيجة لما ببرها من حيث الكيف ولكنها مفرطة من حيث الكم . ذلك أن الإفراط بنجم هنا عن منابع لا شعورية ، بقيت مقموعة حتى ذلك الحين ، ولكنها أفلحت في أن تجد رويط استدعائية تصل ما بينها وبين المناسبة المبركة في الواقع ، وبذلك فتح هذا المصدر الأخرى المشروع الذى لا غبار عليه سبيل الانطلاق أمام الحالات الوجدانية المرتبطة بهاته المنابع . وقد ذلك ما ينبتنا إلى أننا حين ندرس العلاقة بين العاملين القامع والمقموع يجب ألا ننظر إلى هذه العلاقة كما لو كانت علاقة كف متبادل وحسب ، بل يجب أن نوجه قسماً مساوياً من انتباهنا إلى الحالات التى يجتمع فيها كلا العاملين على إحداث نتيجة مَرْضِيَّة بأن يعملوا جنباً إلى جنب وبأن يعزز كل منهما الآخر . ولنستخدم الآن هذه الملاحظات العابرة حول ميكانيكيات الحياة النفسية في فهم التعبيرات الوجدانية في الحلم : إذا عرضت في الحلم حالة من الرضا وأمكن بالطبع أن نكشف حل القور عن مكانها بين أفكار الحلم ، فهذا الكشف وحده لا يغنى دائماً في تحليل هذه الحالة تحليلاتاً ، بل القاحلة هى أن يستلزم تحليلها التام البحث عن مصدر آخر لها ، واقع تحت ضغط الرقابة - مصدر كان من شأنه وهو تحت هذا الضغط ألا يجلب الرضا بل ضده ، لولا أن مجي المصدر الحلقى الأول قد أتاح له الإفلات بالحالة الوجدانية الناجمة عن إرضائه من وطأة الكبت وأتاح له تركها تنطلق باعتبارها معزراً لحالة الرضا المنبثقة من المصدر الأول . وبلا يتبين أن الحالات الوجدانية في الحلم ترد من عدة من المنابع المتلاقية وأنها كثيرة الحتم من حيث علاقتها بمادة أفكار

الحلم : في خلال عمل الحلم تجتمع على إحداث حالة وجدانية معينة جميع المصادر القادرة على توليد هذه الحالة^(١) .

إننا نستطيع أن ننفذ ببصرنا قليلا في هذه العلاقات المعقدة ، إذا حللنا هذا النموذج الحلمى البديع الذى كونه كلمتا « Non vivit » منقطته الرئيسة [ص ٢١ وما بعدها] . فقد اجتمعت في موضعين من المحتوى الظاهر لهذا الحلم تعبيرات وجدانية مختلفة الكيف : فى الموضع الذى أعدمت فيه صديقى وخصى بهاتين الكلمتين تراكت في نفسى مشاعر من العداوة والألم جميعاً (« ولينى انفعالات غريبة » - تلك كانت كلمات الحلم) . ثم عند نهاية الحلم يتولانى فرح عظيم وأذهب إلى تأييد تلك الإمكانية التى أعلم في الحياة المستيقظة بطلانها : أن يكون تمت عائلون يسهل محوهم برغبة ليس غير .

غير أننى لم أرو بعد مناسبة الحلم . وهى مع ذلك ذات أهمية جوهرية وتذهب بنا شوطاً بعيداً في فهم الحلم : فقد كنت سمعت أن صديقى الذى يقطن برلين (والذى أشرت إليه بحرف ف . [فليس] كان مقبلاً على عملية جراحية وأن أحد أقاربه القاطنين بفينا سوف يحمل إلى ما يجد من أبناء حاله الصحية . وكانت الأنباء الأولى بعد العملية غير مطمئنة ، فثار قلقى . وكنت أفضل لو أمكننى الذهاب إليه بنفسى . ولكنى كنت في ذلك الوقت باللمات فريسة لشكاة موجهة صارت معها كل حركة تصدر عني عذاباً على . وإنى أعلم الآن من أفكار الحلم أنى كنت خائفاً على حياة صديقى ! فقد ماتت أخته التى لم أعرفها قط وهى - على ما علمت - في باكورة الشباب ، بعد مرض قصير جداً (في الحلم : يتحدث ف . عن أخته ويقول : إنها ماتت في خمس وأربعين دقيقة) ولا بد أننى تخيلت أن بنية صديقى لا تزيد كثيراً من حيث قدرة الاحتمال على بنية أخته وأن الأنباء قد تسوء كثيراً فأضطر في النهاية إلى السفر وأصل متأخراً ويكون ذلك شيئاً لا أكف مدى الحياة عن مؤاخذه نفسى عليه^(٢) . ولقد صارت هذه المؤاخذه على التأخر في الوصول هى النقطة الرئيسة في الحلم ، إلا أنها صورت ببساطة المشهد الذى

(١) وعلى هذا النحو طلت الألف الاذ الحارق القوة التى تعدل التكات المفروضة (فريود ١٩٠٥ ج ١ ، في نهاية الفصل الرابع) .

(٢) إن هذا التخييل الذى كان يكون جزءاً من أفكار الحلم اللاشعورية هو الذى كان يتطلب وضع "non vivit" بدل "non vivit" ["غير سى" بدل "لم يمس"] : لقد جئت متأخراً ، إنه الآن غير سى . . وصلى أن وضعت في صفحة ٢٤ أن معنى الحلم الظاهر كان يتطلب أيضاً "non vivit" .

رأيتني فيه طالباً ورأيت أستاذي المبجل بروكه يصوب إلى اللوم بنظرة مروعة من عينيه الزرقاوين - ولن نلبث طويلاً دون أن نرى ما الذي عرج بالموقف [المتخيل بإزاء فليس] هذا التعرّيج . ولم يكن من المستطاع أن يستحضر الحلم المشهد [الذي وقع مع بروكه] على الصورة التي عشته فيها، فكان أن تركت العينين الزرقاوين للوجه الآخر [ب .] ولكن الإعدام وكل إلى - وهو قلب لا يخفى أنه قد جاء بفعل تحقيق الرغبة . فقلتي على صحة صديقي ومؤاخذتي نفسي على كوني لا أذهب إليه ونحجلي من جراء ذلك - جاء إلى فيينا (ليراني) جلسة - ثم الحاجة إلى أن ينفع مرضي في علدري ، كل أولئك قد اجتمع على إحداث الزوبعة الانفجالية التي استشرعتها بحلاء في خلال النوم والتي كانت تعصف في هذه المنطقة من أفكار الحلم .

ولكن مناسبة الحلم قد تضمنت شيئاً آخر كان له في نفسي أثر مخالف كل المخالفة، فالأخبار غير المطمئنة التي تلقيتها في الأيام القليلة الأولى بعد العملية قد جاءت يصحبها تحذير من أن أحدث أهدأ بشيء من هذا كله . ولقد ساورني هذا التحذير لأنه كان يتم عن ارتياب في أمانتي على السر لا داعي إليه . صحيح أنني كنت أعلم أن هذه التوصية لم تصدر عن صديقي بل مرجعها خلو الشخص الوسيط من البقايا أو زيادة في قلقه ، ومع هذا فقد ألتئمت هذا اللوم المقتنع ، لأنه - لم يكن يخلو كل الخلو من المبررات ، فلا تثير نائرة المرء - على ما نعلم جميعاً - إلا الملامة التي تصيب منه " مطعناً " . وأنا إذ أقول ذلك لا ألتج - والحق يقال - إلى واقعة جرت مع هذا الصديق ، بل إلى بادرة بدرت مني وأنا أصغر كثيراً في السن : فقد كان لي إذ ذاك صديقان ، كان كلاهما قد شرفني بهذا الاسم ، فأعبرت أحدهما من غير خاف بماقاله الآخر عنه . وكان اللوم الذي سمعته إذ ذاك لم يزل عالقاً كذلك بذاكرتي . وكان أحد هذين الصديقين هو أستاذي فلايشل : وأستطيع أن أدعو الآخر باسمه الأول يوسف - وهو أيضاً الاسم الأول لصديقي وغريمي في الحلم : ب .

هذه المؤاخذة على عجزتي عن أن أكنم شيئاً في نفسي يشهد عليها في الحلم العنصر جلسة وسؤال ف . عن مدى ما أفضيت به من شؤونه إلى ب . وإن تدخل هذه الذكري هو الذي عرج باللوم على التأخر في الوصول من الوقت الحاضر إلى ذاك الوقت الذي

كنت أعمل أثنائه في معمل بروكه^(١) ، كما أنني إذ أحول الشخص الثاني في مشهد الإعدام إلى يوسف لا أجعل هذا المشهد يصور مؤاخلة على التأخر في الوصول وحسب ، بل أجعله يصور كذلك ذاك اللوم المنكبت بكبت أشد كثيراً على أنني لا أكنم سرّاً . وهنا يبرز للعيان ما يقوم به الحلم من عمل التكثيف والنقل ، كما تبرز دوافعهما .

ثم إن غضبي الحاضر - وهو طفيف - لما حذرت به من ألا أفصح بشيء [عن مرض صديقي فليس] يلقي أمداداً تجنيه من أعماق النفس . وبهذا يتضخم حتى يصير تياراً من المشاعر العدائية نحو أشخاص أكن لم في الواقع كل حب . والمنعج الذي ترد منه هذه الأمداد هو الطفولة . فقد ذكرت من قبل [ص ٤٢٤ و ٤٢٥] كيف ترجع كل مشاعري المحتومة نحو معاصري ، بالصدقة وبالعداوة ، إلى علاقتي في زمن الطفولة بآبن أخ كان يكبرني بعام واحد ، كيف كان هذا القريب يفوقني وكيف تعلمت اللود عن نفسي تجاهه منذ زمن مبكر ، كيف كنا صديقين لا نفترق وكنا - وإنا كذلك - نتشاجر ويشكو كلانا الآخر ، على ما يرويه الأكبرين . إن جميع أصلقائي هم بمعنى من المعاني تقمصات لهذا الوجه الذي " تكشف منذ باكورة الزمن لنظرني المضطربة " ^(٢) ، إنهم جميعاً عاللون [Revivants] . وفريقي نفسه قد عاد إلى الظهور في صباي ، فلما عاد لعبنا سوياً قيصر وبروتوس ، وظل مطلباً لا تستغني عنه حياتي الانفعالية أن يكون لي صديق حميم وعلو مقيت . وكان يسعني دائماً أن أزود نفسي بكلبيهما المرة بعد المرة . ولم يكن من النادر أن يتكرر النموذج الطفلي بمخالفته حتى ليجتمع في الشخص الواحد العلو والصديق - وإن لم يجتمعا بالطبع في آن معاً أو في ذنبه دائماً كما كان العهد في الطفولة الأولى .

(١) [لا بد لقارئ - لكي يتمكن من متابعة فرويد هنا وفي الصفحات القادمة - من الإلمام ببعض حقائق حياته . كان فرويد بين عامي ١٨٧٦ و ١٨٨٢ يعمل في المعهد الفيزيولوجي . وكان يرأس المعهد بروكه (١٨١٩ - ١٨٩٢) يماونه إريست فلايشل فون ماركسوف (١٨٤٦ - ١٨٩١) وسجيسوند إكستر (١٨٤٦ - ١٩٢٥) وكلاهما يكبر فرويد بعشر سنوات . ولقد مات فلايشل بعد مرض شديد نزل به في السنوات الأخيرة من حياته . وفي هذا المعهد أيضا التقى فرويد بـ يوف بروير (١٨٤٢ - ١٨٢٥) . وكان بروير يكبر فرويد كثيراً في السن وفي الجاه ، كما كان له أثر معروف في نشأة التحليل النفسي عند فرويد ، لقد تحدث به فرويد في كثير من المواضع . وهو ثاني اليوسلين في هذا التحليل ، هذا الذي أوقع فرويد بينه وبين فلايشل . فلما يوف الأول الذي يظهر في الحلم " صديق وفريقي ب " . فهو يوف بانيت (١٨٥٧ - ١٨٩٠) الذي خلف فرويد في منصب بالمعهد] .

(٢) [جيته ، فلوس ، الإهداء ، المسطر الثاني] .

ولست أرى أن أبحث في هذا الموضوع كيف يقع في مثل هذه الملاحظات أن ترتد مناسبة حديثة لإحدى الحالات الوجدانية إلى موقف قديم ثم يحل هذا الموقف القديم محلها فيما يتعلق بإحداث هذا الوجدان . فهذه المسألة جزء من سيكولوجية اللاشعور ، ولقد كانت تجد مكانها المناسب بين إيضاح سيكولوجي للأعصاب . دعنا نفترض - لأجل ما نستهدفه من تفسير الحلم - أن إحدى ذكريات الطفولة قد انبعث أو أن الخيلة قد ركبها ، وأن محتواها كان شيئاً شبيهاً بما يأتي : يتنازع الطفلان شيئاً ما (ونستطيع أن نترك جانباً السؤال عما هو هذا الشيء وإن كانت الذكرى أو الذكرى المكلوبة تلمح إلى شيء محدد تمام التحديد) ويدعي كلا الطفلين أنه كان الأسبق وأنه بناء على ذلك صاحب الحق الأول ، ثم تجيء اللكمات وتطفي القوة على الحق - وإذا صدقت إشارات الحلم فقد كنت أعلم حق العلم أني كنت على خطأ (أخطأ خطئي) بيد أنني أقوى الطرفين في هذه المرة ، فأظل سيداً على الميدان ، ويسرع الجانب المهزوم إلى جده - وهو والدي - ويشكو لي إليه ، فأدافع عن نفسي بالكلمات التي أعلمها من رواية أبي : ضربته ، لأنه ضربني . إن هذه الذكرى أو - على الأرجح - هذا التخيل الذي يرد على خاطري وأنا أحل الحلم - دون مزيد من الإيضاح ، لا أدري أنا نفسي كيف - هو الذي يكون الجزء الرئيس بين أفكار الحلم ، الجزء الذي يجمع ما يشتمل بين هذه الأفكار من الانفعالات ، كما تجمع البئر الماء الذي يصب فيها . ومن هذه النقطة تنساب أفكار الحلم على النهج الذي يلي : لا تلومني إلا نفسك إذا اضطررت إلى أن تخلط الطريق أمامي ، ما الذي دفعك إلى أن تحاول إزاحتي من الطريق ؟ إنني لست بحاجة إليك ولأنه لأمر هين أن أجهد شخصاً آخر سواك يلعب معي بدلاً منك ، إلخ . ثم بعد ذلك تسير هذه الأفكار في المسارات التي تؤدي بها إلى التصور في الحلم . فقد دعيت الأسباب في يوم من الأيام إلى أن ألوم صديقي يوسف [ب] . على مثل هذا المسلك ، مسلك : "قم وأنا أقعد مكانك" (١) . فهو قد جاء عقيباً مدرباً في معمل بروكه . وكانت الترقية هناك بطيئة حسيرة ، فإ كانت بمعاونة بروكه كليهما أقل رغبة في أن يتزحزا من مكانيهما ، بينما صبر الشباب نافذ . فكان صديقي الذي لم يكن يجهل أن أيامه معلودات ولم تكن تربط بينه وبين رئيسه

المباشر أو أصر وثيقة - كان يعرب أحياناً عن نفاد صبره إعراباً صريحاً . وإذ كان رئيسه هذا [فلا يشل] مصاباً بمرض خطير فقد أمكن رغبة ب . أن تحتل معنى أقيح من مجرد الأمل في الترقية . وقد كان أمراً طبعياً أنى - قبل ذلك بسنوات - كنت قد أضمرت رغبة كانت أكثر بعد احتداماً في ملء مكان شاغر ، فأبنا وجدت الدرجة والترقية في هذه الدنيا ، انفتحت الطريق أمام رغبات تتطلب القمع : أما عجز الأمير الشاكسبيرى هال عن أن يقاوم ما أضرته به النفس - وهو ما زال بجوار أبيه الراقد على فراش مرضه - من أن يجرب التاج لكي يرى بعينه كيف يلوح فوق رأسه ؟^(١) ولكن الحلم - كما نتوقع - لا يعاقبني أنا على هذه الرغبة الخبيثة ، بل يعاقب صديقى^(٢) .

« كان طموحاً ، فقتله » . لم يستطع أن يتمهل حتى يخلى الآخر مكانه ، فأزيع هو نفسه . تلك كانت الخواطر التى دارت بخلدى بعد أن حضرت رفع الستار عن النصب التذكارى المقام في الجامعة - لشخص آخر وليس له . وعلى ذلك كان بعض الرضا الذى استشعرته في الحلم يعنى : جزاء عادل ، لا تلومن إلا نفسك .

ولقد حدث في جنازة صديقى [ب .] أن أحد الشبان أتى بملاحظة لم تكن تناسب المقام ، كان مؤادها أن الطبيب الذى أتى كلمة الرثاء قد تحدث كما لو كانت الدنيا مقبلة على نهايتها بعد أن فقدت هذا الرجل الفرد . نعم ، إن هذه الملاحظة كانت تعرب عن الرفض الذى يعتمل في صدر رجل صادق أزعجت المبالغة حزنه ، إلا أنها اجتذبت إليها أفكار الحلم الآتية : نعم ، إن لمن الحق أنه ما من أحد لا يعوض ، فما أكثر من شيعت إلى القبر ، ومع هذا لم أزل حياً ، لقد عشت دونهم جميعاً وبقيت سيداً على الميدان . وإن فكرة من هذا القبيل في اللحظة التى كنت أخشى فيها ألا أجد صديقى بين الأحياء حين أسافر إليه لا يمكن أن تقبل تفسيراً آخر سوى أنى كنت مسروراً لأنى سائيت على البقاء مرة أخرى بعد شخص سوى . لأنه هو الميت وليس لىاى . لأننى سيد الميدان من جديد - كما كنته في المشهد المتخيل عن طفولتى . هذا الرضا الطفلى في مصدره لبقائى سيداً على الميدان هو الذى يكون الجزء الأكبر من الحالة الوجدانية التى ظهرت في الحلم : لنى استشعر السرور لأننى باق حين يول غيبرى ، وأعرب عن هذا

(١) [هنرى الرابع ، الفصل الرابع ، المشهد الخامس] .

(٢) يلاحظ القارئ أن اسم يوسف يقوم بنصب كبير في أحلاس . ذلك أن من السهل حل أناس أن

بعض رواه هنا الاسم ، لأن يوسف كان أيضاً اسم مفسر الأحلام المعروف في التوراة .

السرو ربكل الأنانية الساذجة التى تتكشف فى قصة الزوجين اللذين يقول أحدهما للآخر:
إذا مات أحدنا فأسألك إلى باريس . إلى هذا المدى كان يبدو لى أمراً بديهياً . أن
المات لن يكون إياى .

إننا لا نستطيع أن ننكر أن تفسير الأحلام وروايتها عمل يتطلب ضبطاً شاقاً
لنفس ، فالمرء لا يجد مناصاً من أن يتكشف فى صورة الوجد الأوجد وسط موكب
الطبايع النبيلة ممن يشاطرونه الحياة . وهكذا بدا لى أمراً طبعياً جداً أن العالدين إنما
يوجدون بقدر ما يود لهم المرء البقاء ، فإن شاء انمحو . ولقد رأينا علام كان عقاب صديقى
يوسف . غير أن العالدين هم التجسيدات المتعاقبة لصديق طفولتى . وأنا إذن استعمر
الرضا كذلك لأننى استطعت دائماً أن أجد بدائل لهذا الوجه ولأننى لن ألبث طويلاً
قبل أن أعثر على بديل لهذا الصديق [فليس] الذى كنت أشك على فقدته : ما من
أحد لا يعوض .

ولكن ماذا عن الرقابة ؟ لماذا لم تثر أقوى المعارضة فى وجه خواطر تتسم بمثل هذه
الأثرة الوحشية فتقلب الرضا المرتبط بهذه الأفكار إلى ألم شديد ؟ السر فيها أعتمد هو أن
أفكاراً أخرى لا اعتراض عليها . متعلقة بهؤلاء الأشخاص أنفسهم . قد لقيت فى ذات
الوقت ما يرضىها . فكان أن حجبت الحالة الوجدانية المقرنة بها تلك المنبعثة من المصدر
الطفلى . ذلك أننى عند الاحتفال برفع الستار عن النصب التذكارى قد حدثت نفسى
فى طبقة أخرى من الفكر بتلك التأملات : لكم فقدت من الأصدقاء الأعزاء . أفقدت
الموت البعض والبعض الآخر أفقدت إياه ما انفصم من عرى الصداقة . لقد كان من
حسن الحظ أننى وجدت من يعوضنى عنهم ، أننى اكتسبت صديقاً يعنى فى نفسى
الشيء الكثير . أكثر من كل ما استطاعه الآخرون ، وذلك فى زمن لا يسهل فيه على
المرء أن يعقد صداقة جديدة ، لسوف أحفظ بصداقته أهد الدهر . وهذا الرضى لكننى
وجدت صديقاً يعوضنى عن الأصدقاء المضيعين لا يلاقى مانعاً يحول بينه وبين
التفادى إلى الحلم غير محرف فى شيء ، ولكن تسلمت من ورائه حالة الرضا العلوانى المستمدة
من المصدر الطفلى . نعم . إن من المستيقن أن الحنان الذى انطوت عليه علاقة الطفولة
قد أفاد فى تعزيز نظيره المعاصر المشروع ، ولكن كره الطفولة أيضاً قد أفلح فى أن
يشق طريقه إلى التصوير .

ثم إن الحلم قد اشتمل - فوق ما سبق - على خيط فكري آخر كان من شأنه أن يسلم إلى رضا مشروع : فقد حدث منذ زمن قريب أن صديق [فليس] أعقب بنتاً بعد طول انتظار . وكنت أعلم كيف كان حزنه على أخته المتوفاة في وقت مبكر ، فكتبت إليه أقول له : إنني واثق من أنه سوف ينقل الحب الذي يكنه لها إلى الطفلة الجديدة ، وأن الفتاة الصغيرة سوف تتيج له في النهاية نسيان فقيدته التي لا تعوض .

وهكذا ترتبط هذه الطاقة من الأفكار بدورها بالفكرة المتوسطة في محتوى الحلم الكامن [انظر ص ٤٨١ و ٤٨٢] والتي تشعب منها طرق التداعي في اتجاهات متضاربة : " ما من أحد لا يعرض . انظر ، ليس إلا عائلون ، كل الذين افتقدناهم يرجعون . " ثم بعد ذلك تأتي تلك الواقعة العارضة ، وأعني بها أن ابنة صديقي قد حملت الاسم الذي كانت تحمله الفتاة الصغيرة التي اعتدت اللعب معها في طفولتي - وكانت في صنى وأختاً لأول علو وصديق - تأتي هذه الواقعة فتحكم الروابط الاستدعائية بين المقومات المتناقضة لأفكار الحلم . فقد كنت شعرت بالرضا حين سمعت أن الماودة سوف تدعى « بولين » ، وعلى سبيل الإشارة إلى هذا الاتفاق وضعت أحد اليوسفين محل الآخر في الحلم ، ووجدت استحالة في كتمان التماثل بين الحرفين الأولين من اسمي " فلايشل " و " ف " . [فليس] . ومن هنا اتجهت خواطري إلى أسماء أطفالي . فقد أصرت على ألا تختار أسماءهم وفقاً لبدء اليوم الجارية ، بل تذكيراً بمن أحببت . فأسماء الأطفال قد جعلت منهم - إذن - « عائدين » . ثم في النهاية ، أليس لإنجاب الأولاد هو السبيل الذي لا نملك جميعاً غيره إلى الخلود ؟

وهنا لا أجد ما أضيفه إلى موضوع الحالات الوجدانية في الحلم سوى بضعة ملاحظات تصدر عن وجهة نظر مختلفة . ذلك أن نفس النائم قد تنطوي على نزوع وجداني (ما نسميه مزاجاً) يكون هو العنصر المسيطر عليها ويكون له عندئذ نصيبه في تحميم الحلم . وقد ينشأ هذا المزاج من خبرات اليوم السابق وأفكاره وقد تكون مصادره جسمية ، وفي كلتا الحالتين يصطبغ بالأفكار الملائمة له . ويستوى بعد ذلك من وجهة نظر تكوين الحلم أن يكون هذا المحتوى اللغوي لأفكار الحلم هو الأصل الأول الذي حتم ذلك المزاج ، كما يقع طوراً ، أو أن يكون هذا المحتوى ذاته قد نبه على نحو ثانوي بواسطة استعداد النائم الانفعال الراجع في النهاية إلى شروط جسمية ، كما يقع طوراً آخر ، ففي كلتا الحالتين

ينخفض تكوين الحلم لهذا الشرط : أنه لا يستطيع أن يصور إلا ما يحقق رغبة وأنه إنما يستمد دافعه النفسى من الرغبات . فالمزاج الحاضر الناشط يعامل كما يعامل إحساس به وصار حاضراً ناشطاً فى أثناء النوم (ص ٢٥٣) ، أى أنه إما أن ينحى جانباً أو يلقى تفسيراً جديداً فى الاتجاه الذى يحقق رغبة . والحالات المزاجية المؤقتة تسمى قوة تدفع إلى الحلم ، وذلك من حيث تثير رغبات قوية يفترض فى الحلم على تحقيقها . ولا تنقطع صياغة المادة المرتبطة بهذه الحالات حتى يمكن استخدامها فى الإعراب عن رغبة . وكلما اشتد نصيب المزاج المؤلم فى أفكار الحلم وسيطر ، زدنا يقينا من أن أشد الرغبات قمعاً سوف تنتهز الفرصة لكى يتحقق تصورها به ، لأن الألم الذى ما كانت هذه الرغبات إلا لتحديثه ضرورة قد صار موجوداً فعلاً وهى بهذا تجد الجانب الأكبر من عملها على بلوغ التصور فى الحلم وقد صار ممهداً أمامها . وبهذه المناقشات نتطرق مرة أخرى إلى مشكلة أحلام الهيلة التى سوف يتبين أنها الحالة التى يبلغ عندها نشاط الحلم حافته .

ط

المراجعة للثانوية

وأخيراً نتجه إلى رابع العوامل المشتركة فى تكوين الحلم .

إذا تابعتنا دراستنا لمحتوى الحلم على النحو الذى بدأنا به ، أى بالمقارنة بين الأحداث الظاهرة فى محتوى الحلم وبين مصادرها فى أفكار الحلم ، عثرنا على عناصر يتطلب تحليلها فرضاً جديداً كل البجعة . وأنا إذ أقول ذلك أفكر فى حالات يشعر فيها المرء وهو يحلم بالعجب أو الضيق أو الاستنكار ، وكل أولئك يلزاه جزء من محتوى الحلم نفسه . إن غالبية هذه المشاعر النقدية التى تعرض فى الحلم لا تتجه فى الحقيقة — كما بينت فى عدد من الأمثلة — إلى محتوى الحلم فى ذاته ، بل يتبين أنها أجزاء من أفكار الحلم ، منها أخذت ثم استخدمت لغاية مناسبة . ولكن بعض هذه المادة لا يخضع لهذا التعليل ؛ فنحن لا نجد له مقابلاً بين مادة أفكار الحلم . ما الذى تعينه — مثلاً — تلك الملاحظة النقدية التى يشع ورودها فى الحلم : " ما هذا إلا حلم " ؟ إننا نجد ههنا نقداً فعلياً للحلم من قبيل ما قد آتبه فى حياة اليقظة . وإن لمن الشائع ألا يكون هذا النقد سوى مقدمة إلى اليقظة ، وأشيع منه أن يجرى مسبقاً بشعور ألم يهدئ منه تلك المعرفة : أن الحالة حالة

نوم . ذلك أن فكرة " إن هذا إلا حلم " إنما تعرض في الحلم لذات الغرض الذى من أجله ترد فوق خشبة المسرح على شفاة هيلينا الجميلة في أوبرا أو فنياخ [الهزلية المعروفة بهذا الاسم^(١)] : إنها ترمى إلى التهورين من شأن الحدث الذى لم يكبد المرء بفرغ من خبرته وتهيئة السبيل إلى التسامح فيما قد يعقبه ، إنها تفيد في تسكين عامل نفسى معين حتى يتمكن من متابعة نومه ، وما كان لولا ذلك إلا لينشط ثائراً ويحول دون استمرار الحلم - أو المشهد الذى في الأوبرا . فالأهون - مهما يكن من أمر - هو المضى في النوم والنفرة للحلم ، لأنه - أولاً وآخر - " حلم ليس إلا " . فهذا الحكم النقدي المهون : " إن هذا إلا حلم " إنما يظهر في الحلم - على حسب نظرتى - كلما أحست الرقابة التى لا تنام أبداً كل النوم أنها قد أخذت على غرة بحلم فتحت له أبواب الولوج فولج وفات أولان قمعه ولم يبق أمام الرقابة سوى اللجوء إلى هذه الكلمات لكي تواجه بها ما قد أثير من الهيلة . أى أن هذه الجملة شاهد على " بطل البلية^(٢) " من جانب الرقابة النفسية .

هذا المثال يزودنا - إذن - بدليل مقنع على أن كل ما يحتويه الحلم ليس مستمداً من أفكار الحلم ، بل قد يكون بعض محتوى الحلم راجعاً إلى وظيفة نفسية لا تتميز عن فكرنا المستيقظ . وسؤالنا الآن هو : هل يحدث ذلك في حالات استثنائية وحسب أم أن القاعدة هي أن يأخذ هذا العامل النفسى الذى لا يعمل فيما عدا ذلك إلا من حيث هو رقابة بنصيب في تكوين الحلم ؟

لا مجال للتردد في القطع بصحة الاحتمال الثانى . ما من شك في أن العامل المراقب الذى لم نعرف أثره حتى الآن إلا فيما يدخله على الحلم من التقييد والحذف سبب كذلك في حواش وإضافات . فأما الحواشى فيسورة معرقها ، فروايتها تصطبج بالتردد . يقدم لها الراوى بقومه : " كما لو " ، ثم هي لا تنتم في ذاتها بشدة حسية خاصة . وتدخل دائماً في الموضوع التى تستطيع أن تعمل فيها عمل الروابط بين فقرتين في محتوى الحلم أو في وصل المسافة بين جزئين من الحلم . والذاكرة في العادة أقل حفظاً لها منها للمشتقات الصادقة . الصادرة عن مادة أفكار الحلم . فإن نسى الحلم كانت هي أول ما يحتذى من أجزائه . وأغلب ظنى أن شكوانا المألوفة من كوننا نحلم بالشئ الكثير ثم ننسى

(١) [الفصل الثانى ، في مشهد المناجاة بين هيلينا وباريس عندما يفاجمها في نهايته ميخائيلس زوج هيلينا] .

(٢) ["esprit d'escalier" .]

معلمه ترجع إلى مسارعة هذه الأفكار الرابطة إلى الاختفاء . وإذا حللنا حلماً ما تحليلاً كاملاً . ثم عن هذه الحواشي أننا لا نجد مادة ما ترتبط بها في أفكار الحلم . ولكن البحث لستيقن يدعوني إلى الاعتقاد بأن تلك هي الحالة الأقل شيوعاً . فالقاعدة هي أن الأفكار روابط ترجع بنا مع ذلك إلى مادة قائمة في أفكار الحلم ، ولكنها مادة لم تكن تستطيع جدها أن تجد حقا يؤهلها لأن تقبل في الحلم ؛ فلا هي بالهامة في ذاتها ولا هي بالكثيرة للحلم . ولا تخلق الوظيفة النفسية التي نحن الآن في صدها خلقاً جديداً إلا في حالات نظرفة - على ما يبدو . إنها - كلما أمكن ذلك - تستخدم كل ما تراه مناسباً بين ادة أفكار الحلم .

إن الشيء الذي يميز هذا الجزء من عمل الحلم وينم عنه في الوقت نفسه هو غايته . هذه الوظيفة تسلك على النحو الذي ينسبه الشاعر الماكر إلى الفلاسفة : أى أنها تملأ ما ، الحلم من الثغرات بخرق وجمال^(١) ونتيجة جهودها هي أن الحلم يفقد مظهره اللامعقول يفقد تفكيره ويقارب نمط الخبرة المعقولة . ولكن جهودها لا تتوج دائماً بالنجاح . هناك أحلام قد تبلى للنظرة السطحية خالية من كل مجافاة للمنطق ، معقولة ، فهي بدأ من موقف ممكن تصوره ثم تمرره بسلسلة من التغيرات المتناسقة إلى أن تنتهى به - وإن ندر ذلك - إلى خاتمة ليس فيها ما يدعو إلى العجب . فأمثال هذه الأحلام قد وضعت لمراجعة بعيدة المدى من جانب هذه الوظيفة النفسية القريبة من فكرنا المستيقظ . ها تبدو حاصلة على بعض المعنى ، ولكن هذا المعنى بعيد غاية البعد عن مغزاها الحقيقي . و أننا أخذنا في تحليلها لرأينا أن تلك على التحديد هي الأحلام التي استباحث فيها لمراجعة الثانوية لنفسها حرية اللاعب بمادة أفكار الحلم أعظم الاستباحة ولم تبق على علاقات القائمة في هذه المادة إلا بأقل نصيب . إنها أحلام نستطيع أن نقول عنها : ها تجيء وقد فسرت بالفعل مرة قبل أن نأخذ نحن في إخضاعها لتفسيرنا المستيقظ . هناك أحلام أخرى لم تصادف فيها هذه المراجعة المفروضة إلا نجاحاً جزئياً ؛ فالمعقولة تبدو البة عليها شوطاً ما ، ولكن الحلم يتقلب فإذا هو خال من المعنى ، مختلط ، ثم قد يعود ، لاحق سياقه فيكتسى ثانية بمظهر المعقولة . وهناك بعض أحلام أخرى تخفق فيها

(١) [إشارة إلى أبيات هاينه استخدم بها فرويد بعد ذلك في آخر محاضرة من " محاضرات تهيئية جديدة " لفرويد ١٩١٣ أ] : بقلنساوه اليلية وبأطراف من حياة العرة بعد تقرب البناء الكفى] .

المراجعة إخفاقاً كاملاً ؛ فزارنا نواجه من غير حول ركاماً لا معنى له من مادة متقطعة .

ولست أريد أن أنكر إنكاراً قاطعاً أن هذه القوة الرابعة في تكوين الحلم التي سرى سريعاً أن لنا بها معرفة قديمة - فهي في الحقيقة ، بين القوى الأربع ، الوحيدة التي لنا بها خبرة مألوفة في غير مجال الحلم - لست أريد أن أنكر أن هذه القوة تملك القدرة على أن تخلق جديداً في الحلم ، سوى أن من المؤكد أنها - كالأخرى - تملأ فعلها أولاً من طريق التفضيل والاختيار بين المادة النفسية المتكونة من قبل في أفكار الحلم . وإن ثمة حالة تجنب فيها هذه القوة إلى مدى بعيد عناء العمل على تكوين واجهة للحلم - إن جاز التعبير . تلك هي الحالة التي نرى فيها بناء أو تركيباً من هذا النوع وقد وجد من قبل بين مادة أفكار الحلم ، مهيناً للاستخدام . والبناء الذي أعنيه بقول هذا عنصر اعتدت أن أسميه "تخيلاً" (١) ، ولعل أنجنب سوء الفهم إذا أضرت إلى حلم اليقظة (٢) من حيث هو عدله في الحياة المستيقظة . إن النصيب الذي يرجع إلى هذا العنصر في حياتنا النفسية أمر لم يعرفه بعد أطباء النفس تمام المعرفة ولم يكشفوا عنه ، وإن يكن م . بنديكت قد أتى في هذا الاتجاه ببداية يبدو لي أنها تعد بالشئ الكثير . بيد أن أهمية أحلام اليقظة لم تخف على ما للفنانين من حدس لا ينبغي ، وكلنا يعرف وصف دوديه لأحلام اليقظة التي كانت تراود أحد الأشخاص الثانويين في رواية "التاب" . وتنتهي بنا دراسة الأعصاب إلى نتيجة تبث على الدهش ، تلك هي : أن هذه التخييلات أو أحلام اليقظة هي النذر التي تسبق الأعراض الهستيرية - أو على الأقل عدداً كبيراً منها - سبقاً مباشراً ، فالأعراض الهستيرية لا ترتبط بذكريات حقيقية ، بل بتخييلات تشيد على أساس هذه الذكريات . وشيوع تخييلات اليقظة الشعورية هو ما يقرب من معرفتنا هذه الأبنية أو التراكيب ، ولكن إذا كانت ثمة تخييلات شعورية من هذا النوع ، فإن ثمة أيضاً عدداً وفيراً لا شعورياً ، مرغماً على البقاء كذلك بسبب محتواه ولانبعائه من مادة مكتوبة . وإن التعمق في بحث خصائص هذه التراكيب يرينا كم نحن محقون حين نطلق عليها ذات الاسم الذي نطلقه على مخلفات فكرنا الليلي ، اسم : الأحلام . فهي تشارك أحلام

(١) ["Phantasie" كلمة كانت تستخدم قبل فرويد بمعنى "الخيال" ، فلما أن فرويد تابع لغة العصر لقال : "Phantasiebildung" أي "تأليف للخيال" . ومن وجهة نظر علم الأمراض النفسية فإن "التخييل" كان يقال بمعنى "حلم اليقظة" أي تفكيراً اجترارياً لا موضوعية له أو لا يرضى الواقع . ولكن فرويد قد مدد إلى "فكرنا الليل" كما هو واضح من هذه الفقرة] .

(٢) Réve, petit roman - day dream, story

الليل في عدد كبير من خصائصها ، ولعلنا لو كنا بدأنا ببحثها لكان ذلك أقصر طريق وأفضل إلى فهم أحلام الليل .

فهى كالأحلام تحقق رغبات ، وكالأحلام تنهض إلى مدى بعيد على انطباعات من خبرة الطفولة ، وكالأحلام تنتفع من تراخى الرقابة بعض التراخى . ولو فحصنا تركيبها لرأينا كيف يمزج الهدف المرغوب الناشط في إحداثها المادة التى تدخل في بنائها ويميد ترتيبها ويصوغها في كل جديد . فبينها وبين ذكريات الطفولة التى منها اشتقاقها علاقة كالتى بين بعض القصور ذات الطراز الباروكى في روما وبين الألقاض القديمة التى من أرضها وأعمدتها انتزعت المادة المستخدمة في تشييد هله الصور المعمارية الأحدث عهداً .

فنحن في هله « المراجعة الثانوية » التى عزوناها إلى رابع عواملنا المشتركة في تكوين الحلم نجد هذا النوع من النشاط الذى يتجلى في خلق أحلام اليقظة حراً من كل قيد يرجع إلى تأثير غريب . وقد كان يسعنا القول من غير مزيد من التعقيد . إن عاملنا الرابع هله يسعى إلى تشكيل ما يعرض له من المواد تشكيلاً يخرج منها شيئاً شبيهاً بحلم من أحلام اليقظة . فإن كان مثل هله الحلم قد تكون من قبل بين دائرة أفكار الحلم ، أثر هذا العامل الرابع من عوامل عمل الحلم أن يستولى على حلم اليقظة المتكون بالفعل وحاول إدخاله في محتوى الحلم . وهناك أحلام لا تعلمو أن تكون تكراراً للتخيل طرأ أثناء النهار ولعله كان تخيلاً لا شعورياً ، مثال ذلك حلم الصبي الذى رأى أنه يقود عربة من عربات الحرب مع أبطال طروادة [ص ١٥٦] . وحلم « أوتو ديداسكر » [ص ٣١١] قد كان جزؤه الثانى على الأقل إعادة أمينة لتخيل نهاى ، برىء في ذاته ، حول محادثة أجريها مع الأستاذ ن . بيد أنه إذ كانت الشروط التى يجب على الحلم لإرضاعها قبل أن يظهر إلى الوجود معقدة إلى المدى الذى نعرفه ، فالأكثر وقوعاً هو أن التخيل النهارى لا يكون سوى جزء من الحلم أو أن الحلم لا ينفذ إليه سوى جزء من التخيل ثم بعد ذلك يعامل التخيل بوجه عام كما يعامل أى جزء آخر من المادة الكامنة ، وإن بقى مع ذلك في أحيان كثيرة متميزاً ككل في الحلم . فكثيراً ما ترد في أحلام أجزاء تبرز دون غيرها لما تحلته من أثر مختلف : فهى تبدو لى أكثر سلاسة وترابطاً من سائر أجزاء الحلم ثم في الوقت عنه أسرع تقضياً . هله أعلم أنها تخيلات لا شعورية انلمت في نسج الحلم ، ولكننى

لم أفلح في رصد تخيل من هذا القبيل . ثم إن هذا التخيلات - شأنها شأن أى مقوم آخر من مقومات الحلم - تضغط وتكثف ويطبع بعضها فوق بعض ، إلى غير ذلك . إلا أن هناك حالات متدرجة بين تلك التى تكون فيها هذه التخيلات - غير محرفة - محتوى الحلم أو على الأقل واجهته وبين الطرف التقبض حين لا تتمثل هذه التخيلات في محتوى الحلم إلا بعنصر فرد من عناصرها أو بإشارة قصية . ومن الواضح أخيراً أن المصير الذى تنتهى إليه التخيلات المحتواة في أفكار الحلم يتوقف كملك على ما تشتمل عليه هذه التخيلات من مزايا توافق مقتضيات الرقابة ومقتضيات الحاجة القاهرة إلى التكيف .

لقد كنت - وأنا أختار الأمثلة على تفسير الحلم - أتجنب حتى الساعة تلك الأحلام التى تأخذ فيها التخيلات اللاشعورية بأى نصيب يعتد به ، لأن إدخال هذا العنصر النفسى من شأنه أن يتطلب مناقشات طويلة في سيكولوجية التفكير اللاشعورى . بيد أننى لا أستطيع في هذا المقام أن أتجنب موضوع « التخيلات » كل التجنب ، فهى تنفذ إلى الحلم كاملة في كثير من الأحيان ، وأكثر من ذلك أن تترك وراءها لمحات بينة نستطيع رؤيتها خلف الحلم . وعلى ذلك أضيف إلى ما سبق حلم آخر يبدو متكوناً من تخيلين مختلفين ، متعارضين ، يتلاقيان في قلة من المواضع ، أحدهما سطحي في حين أن آخرها بمثابة تفسير للأول^(١) .

كان هذا الحلم - وهو الحلم الوحيد الذى لم أبدأ كبير عناية في تدوينه - كان يجرى بوجه الإجمال على هذا النحو ؛ مجلس الحام - وهو شاب أمرب - في المظم الذى احاد أن يتناول فيه طعامه والى سور في الحلم تصورا واقياً . يقبل أناس كثيرون يبتنون البحث عنه ويريد أحدهم أن يلقى التقبض عليه . يقول الحام لأحد رفاقه الجالسين : سأدفع فيها يد ، إني راجع . ولكنهم يصيحون قائلين وبسات السخريه تطلو شفاههم : نحن أدرى ، هذا ما يقوله كل واحد . يصيح من وراءه أحد الصيوف قائلا : ها هوذا واحد آخر يلعب . ويساق الحام بعد ذلك إلى غرفة شيقة يرى فيها شخص امرأة تحمل ظلالاً

(١) في " طرف من تحليل حالة هستريا " (فرويد ، ١٩٠٥ ، [الجزء الثانى]) حلت نموذجاً بهما من حلم من هذا النوع تركب من تخيلات طبع بعضها فوق بعض . هذا ، وقد ظلت لا أقدر نصب التخيلات في تكوين الحلم حق قدره طالما كنت أشغل بتحليل أحلامى أنا أولاً - وهى أحلام تنبئ في المادة عن مناقشات وأسرمة فكرية ولا تضم أحلام بقطعة إلا فيما ندر ، بالنسبة إلى غيرها . فاما الآخرون فكثيراً ما يكون من السهل أن تبت حنهم الأمثال التام بين أحلام الليل وأحلام النهار . ومن الممكن في أحيان كثيرة عند المسترئين أن يحل حلم محل نوبة هسترية ، وعندئذ يستطيع المرء أن يفتتح في غير متناه بأن التفسير المباشر لكلا هذين التركيبين التفسيرين كان تخيلاً جاه في صورة حلم بقطعة .

ويقول أحد اللذين يصحبونه : هذا هو المهر موثر . هناك مفتش من رجال الشرطة أوردجبل له مثل هذه الوظيفة . إنه يقلب حزمة من البطاقات أو الأوراق ويورد في هذه الأثناء قوله : موثر ، موثر ، موثر . وأخيراً يسأل الرجل سؤالاً ما لهجبه الحالم بقوله : « قلت » . ثم يستدير ليرى شخص المرأة ، ليلحظ أن لحية كبيرة قد نبتت لها .

إن من السهل أن نفصل ههنا بين التخييلين اللذين تكون منهما هذا الحلم فعلى السطح تخييل مداره لإلقاء القبض على الحالم ، يبدو أن الحلم قد استحدثه ، ولكن من وراء ذلك يظهر تخييل الزواج كمادة لم يفر عمل الحلم من شكلها إلا تغييراً طفيفاً . كما برزت في وضح خاص السمات المشتركة بين كلا التخييلين ، على نحو ما يقع في صورة من صور جاثون المركبة . فما بعد به الشاب (الذى كان إلى ذلك الحين أعزب) من العودة إلى رفاقه الجلوس والانضمام إليهم ، والشك الذى يستجيب به خلانه هؤلاء (اللذين جعلتهم الخيرة أدرى) ، ثم صيحة أحدهم : هاهو ذا واحد آخر يذهب (لكى يتزوج) - كل أولئك سمات يسهل أيضاً فهمها في ضوء التفسير الآخر . والأمر كذلك في « قلت » التى أجب بها الحالم سؤال الموظف . فإما تقلب حزمة الأوراق مع تكرار ذات الاسم تكراراً مستمراً فيقابل سمة ثانوية ولكنها بيّنة من سمات حفلات العرس ، وأعنى بها قراءة برقيات التهنئة التى تصل كلها إلى ذات العنوان حاملة اسماً واحداً . ولا شك في أن تخييل الزواج قد أحرز نصراً صريحاً على تخييل إلقاء القبض حين ظهرت العروس بشخصها في الحلم . وقد أمكننى بعد استفسار - فهذا الحلم لم أحله - أن أكتشف لم تبت للعروس لحية في آخر الحلم : ذلك أن الحالم في اليوم الذى سبق حلمه كان يسير في الطريق مع صديق من أصدقائه . علو للزواج مثله . فلفت الحالم صديقه هذا إلى حسناء حالكة الشعر مرت بهما ، فأجابه الصديق : نعم . لو أن هؤلاء النسوة لم تبت لهن على مر الأيام لحى كآبائهن !

وطبعي ألا يفتر هذا الحلم إلى عناصر يذهب فيها تشويه الحلم إلى أبعد من هذا المدى ؛ فمن الجائز مثلاً أن يكون قوله : « سأدفع فيما بعد » منطوياً على إشارة ترمز إلى ما كان يخشاه من موقف حميه المنتظر في مسألة المهر . كما أن من الجلب أن مخاوف من كل نوع كانت تقعد هذا الحالم عن أن يسلم نفسه في بشر لتخييل الزواج ، ولقد تجسمت

إحدى هذه المخاوف - وهي مخافة أن يفقده الزواج حريته - في تحويل الأمر إلى مشهد قبض يلقى عليه .

فإذا عدنا إلى ما كنا فيه من أن عمل الحلم يقبل طواعية على استخدام تخييل متكون من قبل بدل أن يبنى تخيلاً جديداً من مادة أفكار الحلم ، فقد يصبح في استطاعتنا أن نحل لغزاً من أكثر ألغاز الحلم إثارة للاهتمام . فقد ذكرت في صفحة ٦٤ القصة المأثورة عن موري : كيف سقطت قطعة من الخشب على قفاه وهو نائم ، فاستيقظ من حلم طويل كان شبيهاً بقصة مكتملة جرت أحداثها في أيام الثورة الفرنسية . وإذا كان هذا الحلم متنق الأجزاء - على حسب روايته - وكان كأنما جعل ليكون تفسيراً للمنبه الذي أيقظ النائم والذي لم يكن من المستطاع التنبؤ به ، فالفرض الوحيد الممكن - فيما يبدو - هو أن هذا الحلم المهكم قد ألف جميعه وانقضى في الفترة القصيرة الواقعة بين سقوط العارض الخشبي على فقارات موري العنقية وبين ما أعقب من استيقاظه . ولنا نستطيع على الإطلاق أن ننسب مثل هذه السرعة إلى نشاطنا الفكري في الحياة المستيقظة ، وعلى ذلك لا يكون مفر من أن نخلص إلى أن عمل الحلم يملك ميزة إعجال عملياتنا الفكرية إلى درجة تدعو إلى العجب .

بيد أن هذه النظرية التي لم تلبث أن لاقت ذيوهاً سريعاً قد وجدت إليها اعتراضات قوية من جانب بعض الكتاب الأحدث عهداً (لولوران وإيجير وغيرهما) . فهم - من جهة - يشككون في دقة رواية موري لحلمه ، ومن جهة أخرى يحاولون أن يبينوا أن سرعة عمليات أفكارنا المستيقظة لا تقل عنها في هذا الحلم إذا حلفنا منه المبالغات . ولقد أثارت المناقشة مسائل تتعلق بالبدأ لا يبدو لي أننا نستطيع حلها حلاً مباشراً . بيد أنني أعترف بأن الحجة التي ناقها هؤلاء المؤلفون (مثل إيجير) على حلم المقصلة الذي رواه موري بخاصة قد تركتني دون أن تقنعني . وأفضل من جانبي أن أقترح التعليل الآتي : أهو فرض مستبعد كل الاستبعاد أن يكون حلم موري قد صور تخيلاً اخترن منذ سنوات في ذاكرته ثم نبه - وأخرى في أن أقول : أشير إليه - في اللحظة التي شمر فيها موري بالمنبه الذي أيقظه ؟ إذا كان الأمر كذلك اخضت كل الصعوبة التي نواجهها حين نسأل كيف ألقت مثل هذه القصة الطويلة في الفترة الزمنية البالغة القصر التي كانت في تناول الحلم ؟ ذلك أن القصة - على حسب الفرض - كانت مؤلفة من قبل . ولو أن العارض

أصاب عنق مورى وهو مستيقظ ، لكان هناك محل للمثل ذلك الخاطر : لكأنها المفضلة ا
وأما والعارض يصيبه وهو نائم فإن عمل الحلم يبادر إلى استغلال هذا التنبيه غير المتوقع
بما يحقق رغبة ، كأنما قد خطرت له تلك الفكرة (ومن الواجب أن يأخذ قولى هذا مأخذا
استعارياً محضاً) : « ما هى ذى فرصة طيبة لتحقيق تخيل مشبع بالرغبة كونه فى هذا
الوقت أو ذاك أثناء مطالعته » . ولا منازعة - على ما أعتقد - فى أن قصة الحلم من
النوع الذى ينزع إلى تخيله شاب تعمل فى نفسه انطباعات شديدة الإثارة ، ومن ذا الذى
لم يخفق قلبه - ودع عنك رجلاً فرنسياً ودارساً لتاريخ الحضارة - وهو يسمع قصص عهد
الإرهاب أيام كان النبلاء رجالاً ونساء ، زهرة الشعب ، يظهرون للملأ كيف يستطيع
الإنسان أن يذهب إلى الموت بنفسه مقبلة وحين كانوا يستمسكون بتوقد قريحتهم وأناقة
مسلحهم حتى لحظة النداء الذى ينفذ بعده قضاؤهم ؟ وأى إغراء فى أن يتصور المرء نفسه
وسط هذا كله ، شاباً بين أولئك الشبان الذين يودع كل منهم سيدهته بقبلة يطبعها على
يدها ثم يصعد بعدها إلى المفضلة فى غير ما وجل ؟ فإن كان الطموح هو الدافع الرئيس
إلى التخيل ، فأى إغراء فى أن يضع المرء نفسه فى موضع أحد هؤلاء الأفراد الألفاظ الذين
كانوا بقوة أفكارهم وفصاحتهم الملهبة - ليس غير - يحكمون المدينة التى كان قلب العالم
يخفق فيها إذ ذاك خففاً تشجيعاً ، أولئك الذين قادتهم معتقداتهم إلى أن يرسلوا آلاف
للرجال إلى حضنهم والذين كانوا يمهلون الطريق لتغيير وجه أوروبا بينما كانت رؤوسهم
أنفسهم غير آمنة مقدراً لها أن تسقط يوماً تحت المفضلة ، كأنما التخيل أحد الهجرون والذين
أو دانتون البطل ؟ والحق إن ذكرى مورى لحلمه قد تضمنت سمّة تبدو شاهداً على أن
تخيله كان من النوع الطموح ، وأغنى بها ما جاء من كونه « يساق إلى المفضلة وقد
أحاط به حشد غفير » .

ثم إنه لا حاجة إلى أن يكون النائم قد مر فى خلال نومه بكل هذا التخيل الملهباً منذ
زمن طويل ، بل يكفى أن يقف الأمر عند حد « لمسه » . والذى أعنيه هو هذا : إذا
حرّفت الأقدار الأولى من مقطوعة موسيقية ثم عقب البعض - كما فى « دون جوان » -
قائلاً : هذا النغم من « زواج فيجارو » لمزار ، كان ذلك كافياً لأن يحرك دفعة واحدة
حداً من الذكريات ما كانت تستطيع إحداها أن تلج الشعور منفردة فى اللحظة الأولى .
فالنغم المفتاح كان بمثابة منفذ ينفسح فإذا التنبيه يشمل الكل فى آن معاً . ويكفى أن

تكون الحال كذلك فيما يتصل بتفكيرنا اللاشعورى : يأتى المنبه فيثير المنفذ النفسى الذى منه ينفسح الطريق لتخييل المفصلة كله . ولكن التألم لا يلسر هذا التخيل جميعه فى خلال نومه وإنما فى ذاكرته بعد أن يستيقظ . فهو بعد أن يستيقظ يذكر كل تفاصيل هذا التخيل الذى أثير من حيث هو كل . وفى مقلورنا أن نطبق هذا التعليل ذاته - وأعنى به أن المسألة مسألة تخيل معد من قبل تم إثارتة بوساطة المنبه - على غير ذلك من الأحلام التى تتلور حول منبه مثير . مثل حلم الموقعة الذى أثاره نابليون قبيل انفجار اللغم [ص ٢٥١، ٦٤] وإن بين الأحلام التى جمعها جوستين توبوفولسكا فى رسالتها عن الديمومة الظاهرة للزمن فى الأحلام - حلاً يبدو لى أشد أحلام المجموعة دلالة ، هو هذا الذى رواه ماكاريو (١٨٥٧) عن مؤلف مسرحى يدعى كازيمير بونجور^(١). فقد حدث ذات مساء أن رغب بونجور فى حضور العرض الأول لإحدى مسرحياته ، غير أنه كان مجهداً حتى إن الناس أطبق جفنيه وهو جالس خلف المشاهد بينما كان يرفع الستار ، فإذا هو - فى خلال نومه - يرى فصول الرواية الخمس جميعاً ويلاحظ ما يديه جمهور المخرجين فى خلال المواقف المتتالية من مختلف أمارات الانفعال . وانتهى العرض واثلاث نفس سروراً إذ سمع الجمهور يتصايح باسمه مصحوباً بأشد التصفيق . عندئذ استيقظ فجأة فلم يكذب صدق من نفسه عيناً ولا أذناً ، فاجاوز العرض السطور الأولى من المشهد الأول ولا طال نومه بحال من الأحوال عن الدقيقتين ومن المؤكد أننا لا نركب شططاً إذ نفترض فى حالة هذا الحلم أن مرور الحالم بالفصول الخمسة للرواية وملاحظته استجابة الجمهور لمختلف مواقفها لم يصلوا بالضرورة عن خلق جديد لكل هذه المادة ، بل لعلهما إنما استعادا أثراً سبق أن أتمه النشاط التخيلى بالحنى الذى بينت . وإن توبوفولسكا تؤكد - شأن غيرها من الكتاب - أن الأحلام التى تنقضى فيها الأفكار انقضاء معجلاً تحمل تلك الخاصة المشتركة ، وهى أنها تبدو فريدة فى اتساقها ، مخالفة فى ذلك سائر الأحلام كل المخالفة ، وأن ذكرها تكون موجزة أكثر منها مفصلة . ولكن تلك على التحقيق هى الخاصة التى يجب أن تكون لأمثال هذه التخييلات المعدة من قبل والتى لمسها عمل الحلم - وهى نتيجة قصر عن استنباطها سائر المؤلفين : غير أننى لا أؤكد مع ذلك أن كل حلم يحىء عقب منه موقف يقبل هذا التعليل ، ولا أننا

نتخلص جملة بهذه الطريقة من مشكلة انقضاء الأفكار في الحلم انقضاء معجلاً .

وهنا يستحيل علينا أن نتجنب النظر في العلاقة بين هذه المراجعة الثانوية لمحتوى الحلم وبين سائر عوامل عمل الحلم . أفترض أن الذى يقع هو أن العوامل المشتركة في تكوين الحلم - وأغنى بها النزوع إلى التكثيف ثم ضرورة الإفلات من الرقابة ثم اعتبار قابلية التصوير بالوسائل النفسية الميسرة للحلم - تقوم في بادئ الأمر بتكوين محتوى حلمي موقوت من المادة المتوفرة ، ثم بعد ذلك يرب هذا المحتوى ترتيباً جديداً بحيث يتفق بقدر الإمكان ومطالب عامل آخر (هو المراجعة الثانوية) ؟ ذلك فرض لا يكاد يلقى أقل حظ من الرجوح . بل أخرى بنا أن نفترض أن مطالب هذا العامل الآخر هي منذ البدء إحدى الشروط التي ينتج على الحلم لإرضائها وأن هذا الشرط - كغيره مما يقتضيه التكثيف والرقابة ولادة المقاومة وقابلية التصوير - يزول في ذات الآن عمله في مجموع المادة الحاضرة في أفكار الحلم . مختاراً بينها ، آخذاً هذا مانعاً ذاك . بيد أن العامل الذى جثنا إلى معرفته آخر - هو - بين شرائط تكوين الحلم - هذا الذى تبدو مطالبه أقل الجميع إكراهاً للحلم . فإما أن هذه الوظيفة النفسية التي وصفناها باسم المراجعة الثانوية لمحتوى الحلم يجب أن تعد شيئاً واحداً ونشاط فكرياً المستيقظ ، فذلك ما يرجحه الاعتبار الآتي كل التجميع : إن تفكيرنا المستيقظ (قبل الشعوري) ينجح لإزاء أية مادة مدركة يصادفها على ذات النهج الذى تسلكه هذه الوظيفة التي نحن بصدد إزاء محتوى الحلم . فمن طبيعة فكرنا المستيقظ أن يقر النظام في مثل هذه المادة وأن ينشئ العلاقات فيما بينها وأن يجعلها متطابق ما نتوقعه من كل معقول . ولحق أننا نغلو بعض الغلو في هذا الاتجاه ، فلنما نخدعنا حيل المشعوذة لأنها تستغل عاداتنا العقلية هذه . فنحن في محاولتنا أن نسوى ما نتلقاه من الانطباعات الحسية على نمط معقول نرتكب في أحيان كثيرة أشد الأخطاء غرابة ولقد نزيف الحقيقة فيما يتصل بالمادة الماثلة أمامنا . والشاهد على ذلك من الأمور المعلومة للجميع - وهو ما يعيننا من الإلحاح عليها . فنحن حين نقرأ نغض الطرف عن الأخطاء المطبعية التي تبطل المعنى ونتمهم أن ما نقرأه صحيح . وقد قيل إن ناشراً لإحدى المجلات الفرنسية اللائقة قد راهن على أن يجعل الطابع يدرس كلمتي «أماما» و «خلفا» في كل جملة من جمل مقال طويل دون أن ينتبه إلى ذلك قارئ واحد ، فكان أن كسب الرهان . وقرأت منذ سنوات في إحدى الصحف مثالا

مضحكاً من أمثلة الربط الزائف . ذلك أن أحد القوضيين أتى قبلة في مجلس النواب الفرنسي أثناء انعقاده وأخذ ديبوى اللعر الذى أعقب بصيحته الشجاعة : الجلسة مستمرة^(١) . وطلب إلى الزائرين ممن كانوا فى الأروقة أن يصفوا مشاعرهم كشهود للاعتداء وكان بين هؤلاء رجلاً من الريف ، فقال أحدهما : إنه قد سمع الطلق حقيقة لكنه ظلها عادة برلمانية أن يرسل طلق كلما جلس خطيب . وأما الثانى - وكان فى الراجع قد استمع إلى خطب متعددة قبل ذلك - فقد خطرت له هذه الفكرة أيضاً ، سوى أنه ظن أن الطلق تكريم لا يعقب إلا الخطب التى تبرز غيرها فى نجاحها .

وما من شك - إذن - فى أن تفكيرنا السوى هو العامل النفسى الذى يتقدم إلى محتوى الحلم مطالباً إياه بأن يكون معقولا ، وهو الذى يخضعه لتفسير أول ، وبدا يسبب خطأ كاملاً فى فهمه . ولما كان من القواعد الجوهرية فى تفسيرنا ألا نلتفت فى أية حالة إلى الاتصال الظاهر فى الحلم معتبرين إياه ذا أصل مشكوك فيه ، وأن نأثر ذات الطريق راجعين إلى مادة أفكار الحلم ، سواء أواضحاً كان الحلم أم مختلطاً .

غير أننا نلمح بذلك علام يتوقف ما تحدثنا عنه فى ص ٣٤٠ من التدرج الكيفى للحلم بين الاختلاط والوضوح . فأجزاء الحلم الواضحة هى تلك التى استطاعت المراجعة الثانوية أن تحدث فيها أثرها ، فأما تلك التى لا تغلغ فيها جهود هذه المراجعة فمختلطة . وإذا كانت أجزاء الحلم المختلطة فى أحيان كثيرة هى فى الوقت نفسه أقل أجزائه من حيث الشدة الحسية ، جاز أن نستج أن المراجعة الثانوية بسبب كلك فى تفاوت هذه الشدة بين مختلف عناصر الحلم .

فإذا بحث الآن عن شئ أقارن به الصورة الأخيرة التى يتخلدها الحلم بعد أن يلى تفكيرنا السوى بدلوه ، لم أجد أحسن من هذه النقوش المعماة التى سلت بها « الصحائف الطائفة » قراها زمناً طويلاً . لقد كان الهدف منها أن تدخل فى روع القارئ أن هذه الجملة أو تلك - ويفضل من أجل المفارقة أن تكون الجملة عامية مضحكة قدر الإمكان - إنما هى نقش لاتبى . ولما تنزع الحروف من تراكيبها المقطعية وترتب على نسق جديد ، فنظهر هنا وهناك كلمة لاتينية حقيقية ، وقد نتعاهى بعد ذلك فى مواضع أخرى من النقش عن خلو الحروف المنعزلة من كل معنى فنتمهم أن فى النقش أجزاء انمحت أو ثغرات .

فلذا كنا نريد ألا نفرق بنا المزجة ، وجب أن ندع جانباً كل ما من شأنه أن يجعل الجملة تبدو مثل النقش وأن نصوب إلى الأحرف نظرة ثابتة غير ملقن انتباهاً إلى ترتيبها الظاهر ، وبذلك نركبها في كلمات من لغتنا نحن .

وقد كانت المراجعة الثانوية - بين عوامل عمل الحلم - هي العامل الذى لحظته غالبية الكتاب فى الموضوع وقد ردت له أهميته . ويأتى هافلوك (١٩١١ ، ١٠) بوصف طريق مسلكها ، فيقول :

« ولنا أن نتصور أن الأمور تجري بالفعل على هذا النحو : يحدث الشعور التام نفسه قائلاً : ها هو ذا سيدنا مقبل ، ها هو ذا الشعور المستيقظ الذى يعلق كل هذه الأهمية الغالبة على العقل والمنطق وما إليهما . أسرع ! جمع الأمور ونظمها - وأى نظام يكتفى - قبل أن يدخل هو لكى يضع يده . »

ولقد أكد دولاكروا العينية بين هذا المنهج فى العمل وبين منهج التفكير المستيقظ :
توكيداً فريداً فى وضوحه ، فقال (١٩٠٤ ، ٢٥٦) :

« هذه الوظيفة المفسرة ليست بالخاصة القاصرة على الحلم فهى لا تختلف من عمل الربط المنطقى الذى نجره على إحساساتنا ونحن أيقاظ »^(١).

ويرى جيمس سولى هذا رأى أيضاً . وكذلك توبولوسكا ، إذ تقول :

« هذه الملاوس المتعاقبة فى غير اتساق يجهد الذهن لكن يجرى عليها ذات العمل الذى يؤديه فى اليقظة بإزاء إحساساتنا ، وأعنى به ربطها فيما بينها برباط منطقي ، فهو يصل كل هذه الصور المتقطعة برباط موهوم ويسد ما كان بينها من ثغرات مفرطة الاتساع »^(٢). (ص ٩٣) .

وفى رأى بعض الكتاب أن هذه العملية ، عملية الترتيب والتفسير ، تبدأ فى خلال الحلم وتواصل عملها بعد اليقظة ، فهكذا يقول بولان (ص ٥٤٧) :

« ومع هذا فقد فكرت فى كثير من الأحيان فى أن صورة الحلم قد تلتقى فى ذاكرتنا

["Cette fonction d'interprétation n'est pas particulière au rêve; c'est le même (١) travail de coordination logique que nous faisons sur nos sensations pendant la veille."]

["Sur ces successions incohérentes d'hallucinations, l'esprit s'efforce de faire le (٢) même travail de coordination logique qu'il fait pendant la veille sur les sensations. Il relie entre elles par un lien imaginaire toutes ces images décomposées et bouche les écarts trop grands qui se trouvaient entre elles."]

تحريفاً أو بالأحرى تصاغ صوغاً جديداً . . . فنزوع تخيلنا إلى التنسيق مستطيع ولا شك أن يتم في اليقظة ما قد بدأه أثناء النوم وهكذا تبدو السرعة الحقيقية لفكرنا وقد زادت زيادة مظهرية بفعل التنقيحات التي تملأها الخيلة المستيقظة (١).

ويقول لوروا وتوبوفولسكا (ص ٥٩٢) :

«فأما في حالة الحلم فالتفسير والربط لا يتجان بالاستعانة بمعطيات الحلم وحدها ، بل تعين عليهما معطيات اليقظة كذلك . . .» (٢).

ولم يكن بعد ذلك محيد عن أن نرى هذا العامل الذي عرف وحده دون سائر عوامل تكوين الحلم وقد لاقى تقديرأ لأهميته يتسم بالمغالاة حتى نسب إليه البعض كل وظيفة خلق الحلم . ففي رأي جويلو - وفوكو بمخاصة - أن هذا الخلق يتم في لحظة اليقظة ، أي أن هذين المؤلفين يضيفان إلى الفكر المستيقظ القدرة على تكوين الحلم من الأفكار المنبثقة في أثناء النوم .

ويقول لوروا وتوبوفولسكا في صدد هذه النظرية : «لقد ظن البعض أن من الممكن جعل مكان الحلم في لحظة اليقظة ، وأضافوا إلى الفكر المستيقظ وظيفة تكوين الحلم بالصور الحاضرة في فكر النائم» (٣).

وبهذه المذقشة في أمر المراجعة الثانوية أردف بحث عامل آخر في عمل الحلم ، ألقت عليه الضوء أخيراً ملاحظات دقيقة لهربرت سيلبرير . فقد ذكرت من قبل (ص ٣٥٣) ن سيلبرير قد اقتنع - إن جاز هذا التعبير - عملية تحويل الأفكار

(١) «Ce pendant j'ai souvent pensé qu'il pouvait y avoir une certaine déformation, ou plutôt reformation du rêve dans le souvenir .. La tendance systématisante de l'imagination pourrait fort bien achever après le réveil ce qu'elle a ébauché pendant le sommeil. De la sorte la rapidité réelle de la pensée serait augmentée en apparence par les perfectionnements dus à l'imagination éveillée.»

(٢) «Dans le rêve, au contraire, l'interprétation et la coordination se font non seulement à l'aide des données du rêve, mais encore à l'aide de celles de la veille ..»

(٣) «On a cru pouvoir placer le rêve au moment du réveil et ils ont attribué à la pensée de la veille la fonction de construire le rêve avec les images présentes dans la pensée du sommeil.»

إلى صور ، واقتنصها على التحديد وهي آخذة في التمام . وكان ذلك بأن كان يتكلف ضرباً من ضروب النشاط العقل وهو في حالة من التعب أو النعاس . ففي مثل هذه اللحظات كانت تختل الفكرة التي يعالجها وتحل محلها رؤية لا يلبث أن يتضح أنها بديل لما لم يكن في العادة سوى أفكار مجردة (انظر الأمثلة على ذلك في الصفحة المذكورة) والذي يهمنا الآن هو أنه يحدث أحياناً أن الصورة المنبثقة – والتي تصح مقارنتها بعنصر من عناصر الحلم – كانت تمثل شيئاً آخر غير الفكرة المعالجة ، ألا وهو التعب نفسه أو المشقة المتضمنة في العمل أو الضيق به ، أى أنها كانت تمثل الحالة الناتجة لمن يتكلف الجهد وتمثل وضعه وهو يمارس وظائفه بدل أن تمثل موضوع هذا الجهد . ولقد أطلق سيلبرير على أمثال هذه الصورة التي كان يشيع ورودها عنده إلى مدى بعيد اسم « الظاهرة الوظيفية » تفريقاً بينها وبين « الظاهرة المادية » التي كنا نتوقعها .

« مثال : كنت في عصر يوم راقداً على أريكتي وأنا أشعر بنعاس شديد ، ومع هذا حملت نفسي على التفكير في مشكلة فلسفية ، كنت أريد المقارنة بين آراء كانت في الزمن وآراء شوبنهاور . غير أنني – وبى من النعاس ما بى – لم أكن قادراً على الإمساك بقضايا كلا الفيلسوفين في وقت واحد ، على ما تقتضيه المقارنة . وبعد عدد من المحاولات غير المجدية أشريت ذهني بالاستنباط الكائن مرة ثانية ، باذلاً في ذلك كل ما تملك إرادتي من القوة ، حتى أتمكن من تطبيقه على قضية شوبنهاور في المشكلة . ثم بعد ذلك تحولت إلى هذه القضية ، ولكنني حين أردت العودة إلى كانت رأيت أن براهينه قد أفلتت مني مرة ثانية ، وعبتاً حاولت استرجاعها . هذا الجهد المضيق في فتح درج كنت الذي كان مخزناً في جهة ما من رأسي لم يلبث أن تمثل نصب عيني في رمز عياني متشكل ، كأنه صورة من حلم : أساك موظفاً عبوساً جالساً مخنئاً على مكتبه بعض المعلومات ، ولكنه لا يلتفت إلا إلى مطلبى الذي ألح فيه ثم يستقيم في جلسته نصف استقامة ويرسل إلى نظرة رفض غاضبة . » (سيلبرير ١٩٠٩ ، ٥١٣) .

وهاي ذى أمثلة أخرى تتعلق بالتردد بين حالتي النوم واليقظة :

« مثال رقم ٢ – الملاحظات : في الصباح ، عند الاستيقاظ . يلهب خاطري وأنا نائم بعض النوم (أى وأنا في حالة شفقية) إلى حلم جامف وأتبع الحلم به على نحو من

الأنعام . وبينما أنا كذلك أحست أنني أقرب من حالة اليقظة شيئاً فشيئاً ولكننى أريد البقاء فى الحالة الشفقية .

و المنظر : أقدم رجلاً لأعبر بجرى ماء ولكننى أعود فأؤخرها عازماً على البقاء حيث أنا . (سيلبرير ١٩١١ ، ٦٢٥)

و مثال رقم ٦ - الملاحظات : كما فى المثال رقم ٤ (حيث كان يريد المضى فى النعاس قليلاً دون أن يفوته الوقت .) أود لو واصلت النعاس برهة .

و المنظر: أودع البعض وأدبر معه (أو معها) لقاء قريباً ، [ذات المرجع ، ص ٦٢٧] .

لقد لاحظ سيلبرير الظاهرة « الوظيفية » التى هى « تصوير لوضع ذاتى وليس لموضوع فى خلال حالتى الشروع فى النوم والاستيقاظ منه ، قبل كل حالة أخرى . ومن الواضح أن تفسير الحلم إنما يعنى بالحالة الثانية . ومن هذه الناحية نجد أن سيلبرير قد أتى بأمثلة مقنعة تدل على أن الأجزاء الأخيرة من المحتوى الظاهر لكثير من الأحلام - وهى الأجزاء التى ترقى قبيل اليقظة مباشرة - لا تصور فى كثير من الأحيان سوى نية الاستيقاظ أو فعل الاستيقاظ نفسه . وقد يجهل هذا التصوير فى صور من قبيل اجتياز إحدى العتبات (رمزية العتبة) أو مغادرة حجرة أو دخول أخرى أو الرحيل أو العودة إلى الوطن أو الافتراق عن رفيق أو القطس فى الماء ، إلى آخره . بيد أننى لا أستطيع إلا أن ألاحظ أننى لم أصادف عناصر حلمية يمكن ردها إلى رمزية العتبة - سواء أكان ذلك فى أحلامى أم فى أحلام الآخرين - اللهم إلا فى حالات تقل كثيراً عما نهيته لنا روايات سيلبرير .

وليس من الممتنع على التصوير ولا هو بالشئ المستبعد أن يكون فى « رمزية العتبة » هذه ما يلقى ضوءاً على بعض العناصر التى تجيء وسط سياق الحلم ، فى مواضع يتعلق فيها الأمر ببذلية فى مستوى عمق النوم ونزوع إلى إنهاء الحلم مثلاً . ومع هذا فما أتى أحد بأمثلة مستيقنة على ذلك . وإنما الأكثر وقوعاً - فيما يبدو - هو حالات الحلم المضاعف التى نرى فيها إحدى فقرات الحلم المستمد محتواها من جعبة أفكار الحلم وقد استخلت فوق ذلك فى تصوير إحدى حالات النشاط النفسى .

وقد كانت ظاهرة سيلبرير الوظيفية هذه - وهى ظاهرة جد خفيفة بالاهتمام - سبباً فى الشئ الكثير من سوء الاستغلال ، دون أن تكون لصاحبها جريرة فى ذلك . ذلك أن البعض

قد رأى فيها سنداً يدعم النزوع القديم إلى أن نخلع على الأحلام تفسيرات مجردة ، رمزية . ومن الناس من يذهبون شوطاً بعيداً في إيثار « المقولة الوظيفية » حتى إنهم يتحدثون عن الظاهرة الوظيفية كلما عرضت في الحلم وجوه من النشاط العقلي أو من العمليات الانفعالية ، مع أن هذه المادة لا تملك من حق الدخول في الحلم - باعتبارها مخلفات من اليوم السابق - إلا ما يملكه سواها ، لا أكثر ولا أقل .

إننا نسلم طواعية بأن في ظاهرة سيلبرير مشاركة ثانية يشارك بها الفكر المستيقظ في تكوين الحلم ، وإن تكن ثقل عن الأولى - تلك التي أدخلناها من قبل تحت اسم « المراجعة الثانوية » - من حيث اطراد الوقوع ومن حيث القيمة والخطر . فقد تبين لنا أن جزءاً من الانتباه الذي لا ينشأ عن العمل أثناء النهار يستمر أيضاً في خلال حالة النوم متجهاً حينئذ إلى الأحلام . فيكبح جماحها وينقدها ويحتفظ لنفسه بالحق في أن يضع لها حداً . وكان من الطبعي أن نرى في هذا العامل النفسى الباقي على يقظته المراقب الذى عزونا إليه مثل هذا التأثير القويدي الشديد في تشكيل الحلم . والذي تضيفه ملاحظات سيلبرير هو تلك الحقيقة : أن ضرباً من الملاحظة الذاتية يشترك عندئذ في العمل تحت ملاسات معينة ويكون له أثره في محتوى الحلم . فأمّا العلاقة المحتملة بين هذا العامل الذى يقوم بالملاحظة الذاتية والذي قد يبرز عند أصحاب العقول الفلسفية بنوع خاص وبين الإدراك الباطنى وهجاس الملاحظة والشعور ومراقبة الحلم ، فذلك ما ينبغي معالجته في موضع آخر^(١).

والآن أنلخص هذا البحث المطول في عمل الحلم . لقد وجدنا أنفسنا نواجه ذلك السؤال : أستخدم النفس كل قواها في تكوين الحلم دون أن تدخر منها شيئاً ، أم تستخدم جزءاً منها مكثوف النشاط ليس غير ؟ وأدت بنا أبحاثنا إلى أن نطرح مثل هذه الصياغة للسؤال لأنها لا تكافئ الأوضاع . فإن حُتمت علينا الإجابة مع البقاء في المجال الذى ترسمه حدود السؤال ، لم يكن مفر من الرد بالإيجاب على كلا الاحتمالين - وإن بدا أن كليهما يمنع الآخر منع الضد لل ضد . فالعمل النفسى الذى يبدل عند تكوين الحلم ينقسم قسمين : لإحداث أفكار الحلم ثم تحويلها إلى محتوى الحلم . فأمّا أفكار الحلم فمصححة كل الصحة وفي تكوينها تبدل كل الطاقة النفسية التى نحن مستطيعونها ،

(١) " في الترجية " (غرويه ١٩١٤ ج) .

إنها ترجع إلى فكرنا الذى لم يصبح بعد فكراً شعورياً والذى منه تنشأ أفكارنا الشعورية أيضاً بعد تعديل خاص . ومهما ارتبط بها - أغنى بأفكار الحلم - من أسئلة جديرة بالاهتمام ، معماة ، فهذه الأسئلة لا تحمل صلة خاصة بالحلم ولا تقتضى علاجها بين مسائله^(١) . فأمّا الجزء الثانى من العمل وهو هذا الذى يحول الأفكار اللاشعورية إلى محتوى الحلم فقصر على الحياة الحاملة وخاصة تميزها . هذا الجزء هو عمل الحلم بالمعنى الصحيح للكلمة ، وهو يبعد عن مثال الفكر المستيقظ بعداً يزيد على ما كان يظنه حتى أعند المتخصصين للنشاط النفسى فى تكوين الحلم : فهو - أغنى عمل الحلم - لا يخاف فقط عن تفكير اليقظة فى كونه أكثر إهمالاً وفساداً وأكثر نسياناً ونقصاً ، بل هو يختلف من هذا التفكير اختلافاً كبيراً مطلقاً ، ولهذا لم تجز المقارنة المباشرة بينهما . لأنه لا يفكر على الإطلاق ولا يحسب أو يحكم ، بل يقصر نفسه على صب كل أولئك فى صورة جديفة ، ونحن نستغرق وصفه حتى نعدد الشروط التى يجب عليه لإرضاؤها وهو يحدث نتاجه . هذا الناتج - وهو الحلم - يجب قبل كل شيء أن يفلت من الرقابة ، ومن أجل هذا الفرض يلجأ عمل الحلم إلى لقل الشدائد النفسية حتى ليحدث تغييراً كاملاً فى جميع القيم النفسية . ثم إن الأفكار يجب أن تستحضر - على نحو مانع أو غالب - فى مادة من الآثار الذكورية البصرية والسمعية ، وهو اقتضاء يفرض على عمل الحلم اعتبارات تتعلق بقابلية التصوير يواجهها عمل الحلم بأن يجرى نقلات جديدة . ولا بد (على الراجح) من إحداث شدائد نفسية تفوق ما يكون لأفكار الحلم ليلاً ، وهو غرض يتم بواسطة التكليف الواسع النطاق الذى يشمل مقومات الحلم . فأمّا العلاقات المنطقية بين الأفكار فلا تنال سوى القليل من الانتباه ، وهى فى نهاية الأمر تلتقى تصويراً

(١) لقد كنت فى وقت من الأوقات أبعد صعوبة قصوى فى جعل القراء يألفون التفرقة بين المحتوى الظاهر للحلم وبين أفكاره الكامنة ، وكنت لا أفتأ أسع اعتراضات وحججاً مستفجرة من حلم لم يفسر ، أغد كما أبقت عليه الذاكرة دين الصفات إلى ضرورة تفسيره . وأما اليوم وقد رغبى المثلون على الأقل بإحلال تفسير الحلم محل محتواه الظاهر ، فإن الكثيرين منهم يرتكبون لوما من الخطأ يصرون عليه إصرار سابقهم على عظيمهم : ذلك أنهم يحسون من جوهر الحلم فى محتواه الكامن ، وبذا يفضيئون الطرف من التفرقة بين أفكار الحلم وحمل الحلم . إن الحلم فى جوهره ليس سوى صورة خاصة من صور التفكير صارت ممكنة بفعل شروط حالة النوم . وحمل الحلم هو الذى يخلق هذه الصورة ، وله وسعته تقوم مائة الحلم ، إنه هو الذى يفسر طبيعة الحلم الخاصة . وإن أقول ذلك لكى تقدر تقديرًا صحيحاً ما يتحدث به الكثيرون من "ميل الحلم إلى الاهتمام بالمستقبل" ، فلان يشغل الحلم بالأمس حلول المشكلات التى تراجه حيلان النفسى ليس بأعجب من اشتغال حيلاننا المستيقظة الشعورية بهذه المشكلات ، ولا يدل بعد ذلك إلا على أن هذا العمل يمكن وقوعه فى ما قبل الشعور كذلك - وهو أمر لمعه من قبل .

مقتماً في بعض الخصائص الصورية للحلم . وأما الحالات الوجدانية المتصلة بأفكار الحلم فيصحبها تغير يقل عن الذي يتناول المحتوى الذهني لهذه الأفكار ، والقاعدة هي أن تقع أمثال هذه الحالات ، فإن أبقى عليها انتزعت مما ترتبط به من الأفكار وضم ما تجانس منها . جزء واحد من عمل الحلم - وأعني به ما يأتيه الفكر المستيقظ استيقاظاً جزئياً من مراجعة متفاوتة المدى - هو الذي يتفق بعض الاتفاق والنظرة التي أراد المؤلفون تطبيقها على فعل تكوين الحلم في مجموعه .

سيكولوجية عمليات الحلم

إن بين الأحلام التي رواها لي أناس آخرون حلمًا يستحق بنوع خاص أن نؤليه في هذا الموضع انتباهنا . لقد ذكرته لي إحدى مريضاتي ، وكانت هي قد سمعته في محاضرة عن الأحلام ولا زلت أجهل مصدره الحقيقي . غير أن محتواه قد ترك في نفس السيدة أثرًا عميقًا حتى إنها أخذت « نخل على غرار » أي أخذت تكرر بعض عناصره في حلم من عندها لكي تعرب بهذا الاقتباس عن اتفاقها معه في ناحية معينة من نواحيه .

كانت مقدمات هذا الحلم النموذجي هي الآتية : ظل أب يسهر على ابنه المريض أيامًا وليالي متداولة . فلما مات الطفل ذهب إلى الغرفة المجاورة لكي يستلقي ولكنه ترك الباب مفتوحًا بحيث يستطيع النظر من غرفته إلى الغرفة التي يتوى فيها الجسد وقد التفت من حوله شموع طويلة . وكان الأب قد استأجر رجلًا معمرًا لينوب عنه في السهر ، فجلس الرجل إلى جوار الولد الميت وهو يتم بأدعية . ومضت ساعات قليلة من النوم حلم الأب بعدها أن ابنه واقف بجوار فراشه . يمسك بساعده ويهمس في أذنه معاتبًا : « أبى ألا ترى أنني أحترق ؟ » واستيقظ الأب فلمح وهجًا براقًا من الغرفة المجاورة ، فهرع إليها ، فرأى أن الرجل المعمر قد أدخلته سنة من النوم وأن شمعة موقدة قد سقطت فأشعلت الدناثر وساعدًا من جثمان طفله الحبيب .

إنه ما من صعوبة تقف دون إيضاح هذا الحلم المثير . ولقد فسره المحاضر تفسيراً صحيحاً ، على حسب رواية السيدة : فوهج الضوء قد سطع من خلال الباب إلى عيني الرجل النائمين وكان أن ذهب الرجل إلى النتيجة التي قد كان يستخلصها لو أنه كان مستيقظاً : أن شمعة قد سقطت فأشعلت النار في شيء مما يحيط بجسد الابن — ولعل الأب قد ذهب ليضطجع وهو قلق ، يسأل نفسه عن مدى قدرة الرجل المعمر على القيام بمهمته .

وما كنت من جانبي لأغير من هذا التفسير في شيء ، اللهم إلا أن أضيف أن

محتوى الحلم لا بد كان مضاعف الحلم ، وأن الكلمات التى قالها الطفل فى الحلم لابد قد أدخلت من كلمات صدرت عنه بالفعل فى حياته وكانت ترتبط فى ذهن الأب بأحداث ذات بال . ولعل قول الطفل : « إني أحترق » قد خرج من شفتيه وهو محموم فى مرضه الأخير ، ولعل « أبى ألا ترى » ؟ جملة مستمدة من موقف آخر ، حائل بانفعال شديد ، لا نعلم عنه شيئاً .

غير أننا وقد عرفنا أن الحلم عملية ذات معنى يمكن إدراجها فى سياق خبراتنا النفسية قد نتساءل : لم كان على الإطلاق أن جاء حلم فى ملابسات كهذه كانت تتطلب الاستيقاظ أسرع الاستيقاظ ؟ الجواب هو أن نلاحظ أن هذا الحلم أيضاً كان يشتمل على ما يحقق رغبة : ذلك أن الطفل الميت قد سلك فى الحلم مثل طفل حى ، ينادى أباه بنفسه ويذهب إليه فى فراشه ويمسك بساعده ، مثلما صنع - فى أغلب الظن - إبان هاته المناسبة التى أدخلت كلمات الطفل الأولى فى الحلم من ذكرها ، ومن أجل تحقيق هذه الرغبة أطال الأب نومه هنية وآثر الحلم على تدبير اليقظان لأن الحلم كان يملك القدرة على أن يظهر الطفل حياً من جديد . ولأن الأب بدأ فاستيقظ ثم استنتج النتيجة التى حملته إلى الغرفة المجاورة لكان بذلك كأنما اختصر عمر ابنه برهة من الزمان .

فلذا تساءلنا « أية خاصة فى هذا الحلم القصير تثير اهتمامنا ؟ » ، لم يكن شك فى الجواب . لقد ظللنا حتى الساعة وشاغلنا الغالب هو ما للأحلام من معنى خبيء وضجج الكشف عن هذا المعنى ووسائل عمل الحلم فى ستره ، فشكالات تفسير الحلم هى التى كانت موضوعة نصب أعيننا حتى الآن . ولأن يواجهنا حلم لا مشكلة فى تفسيره ولا خفاء فى معناه ، ولكنه - كما نرى - قد احتفظ مع ذلك بكل الخصائص الجوهرية التى تفرق بين الحلم واليقظة تفرقة بيّنة وتشعرنا بالحاجة إلى التعليل . فنحن بعد أن نفرغ من كل ما يتعلق بفعل التفسير نستطيع أن نلاحظ للمرة الأولى مدى النقص فى سيكولوجيتنا عن الأحلام .

ولكن يحمل بنا قبل أن نضرب فى هذا الطريق الحديد أن نشمّل ونجمل النظر من حولنا لئلا نرى إن كان ثمة شيء ذو بال قد نسيناه فى خلال رحلتنا حتى بلغنا الموضع الذى نحن فيه . إذ يجب أن نعلم فى جلاء أن الجزء الهين السار من طريقنا قد تركناه الآن خلفنا . فإلى هنا كانت كل الطرق التى سرنا فيها ، كانت - إذا لم أكن على خطأ كبير -

تسلمنا إلى الضوء ، إلى التعليل وإلى فهم أتم . ولكننا ما أن نبتغي التعمق في العمليات النفسية التي يتضمنها فعل الحلم حتى نلصقنا كل الطرق إلى الظلمة . فما لنا من قوة على تعليل الأحلام من حيث هي عملية سيكولوجية ؛ لأن تعليلك شيئاً يعنى رده إلى معلوم سابق ولنا - في الوقت الحاضر - نملك معرفة سيكولوجية موطدة نستطيع أن ندرج تحتها ما نعلم بالفحص السيكولوجي للأحلام أنه أساس تعليلها . بل نحن على العكس مضطرون إلى أن نضع عدداً من الفروض الجديدة تمس من باب المحاولة تركيب الجهاز النفسى ولعب القوى العاملة فيه - وهى فروض يجب أن نراعى عدم الغلو في متابعتها إلى ما وراء مستخلصاتها المنطقية الأولى وإلا ضاعت قيمتها فيما لا علم لنا به . فنحن وإن لم نرتكب خطأ في استدلالنا وأدخلنا جميع الإمكانيات المنطقية في حسابنا فإن النقص الذى يرجع وجوده في مقدماتنا خطر يهدد حسابنا أجمعه بخسران مبین . ذلك أن من الحال أن نصل إلى نتائج في تكوين العدة النفسية وطرائقها المتبعة في العمل - أو يستحيل على الأكل البرهان على هذه النتائج برهاناً تاماً - ابتداء من دراسة الأحلام وحدها أو أية وظيفة نفسية أخرى على حدة ، مهما بلدنا في هذه الدراسة من العناية . بل لا بد لكى نصل إلى هذا الهدف من أن نربط بين جميع المتضمنات الثابتة المستخلصة من دراسة مقارنة لعدد بأكمله من أمثال هذه الوظائف . وهكذا فالفروض السيكولوجية التي ننشئ إليها من تحليل عمليات الحلم يجب أن تظل معلقة - إن جاز التعبير - إلى أن يتسنى وصلها بمكتشفات تكشف عنها بحوث أخرى تحاول النفاذ من زاوية مختلفة إلى لب المشكلة ذاتها .

↑

نسيان الأحلام

وعلى ذلك أقترح أن نعود إلى صعوبة لم ننظر فيها حتى الآن وهى مع ذلك كفيلة أن تقوض كل ما بلدناه من الجهود في تفسير الحلم . فقد سمعنا من أكثر من جانب اعتراضاً حاصله أننا - والحق يقال - لا نعرف الحلم الذى نعرض لتفسيره ، أو - بعبارة أدق - لا نملك ضماناً يضمن أننا نعرفه كما وقع حقيقة (ص ٨١ - ٨٢) .

فما نذكره من الحلم ونزاول فنوننا التفسيرية في صده قد نالت منه ذاكرة لا تؤمن ،
تبدو عاجزة عن الإبقاء على الحلم بنوع خاص وربما أضاعت من محتواه أهم أجزائه على
على التحديد . وإنه ليحدث في كثير من الأحيان حين ندير انتباهنا إلى حلم من أحلامنا
أن نرانا نأسف لأننا وإن كنا قد حللنا بالشئ الكثير لم نعد نستطيع أن نذكر سوى
نبذ مفردة ، حتى هذه لا نذكرها إلا ذكراً خالياً من كل يقين . وثانياً فإن كل الشواهد
تدعونا إلى التشكك في أن تكون ذكرانا عن الحلم مجتزئة وحسب ، دون أن تكون فوق ذلك
مجانبة للأمانة مكتوبة . فقد نشك من جهة في أن يكون الحلم في حقيقته مفكك الأوصال
مهما كما هو في ذاكرتنا ، وقد نشك من جهة أخرى في أن يكون الحلم متتابعاً حقيقة
كما هو في روايتنا إياه ، في كوننا حين نحاول استرجاعه لا نملأ منه ما لم يكن موجوداً — أو
كان موجوداً ثم نسي — بمادة جديدة مختارة من عندنا ، في كوننا لا نزوه ونسويه ونصححه
بحيث لا يبقى مجال للقطع برأى في حقيقة محتواه . لا ، بل لقد رأينا [ص ٨٣] أحد
المؤلفين (شپتا)^(١) يفترض أن كل ما يظهر في الحلم من قبيل الترتيب والانساق إنما
يدخله للمرة الأولى حين نحاول استعادته في أذهاننا . وهكذا نكون في خطر من أن يفلت
من يدينا الموضوع الذي شرعنا في تقديره .

لقد كنا حتى الساعة — ونحن نفسر الأحلام — لا نلقى بالاً إلى مثل هذه النذر .
بل كان من رأينا — على العكس — أن أصغر مقومات الحلم وأقلها ظهوراً وبقيةً تقتضي
من التفسير مثل ما تقتضيه تلك التي بقيت واضحة مستيقنة . فقد جاء في حلم حقنة إرما
أنني استدعيت الدكتور م. على الفور فافترضنا أنه حتى هذه اللمحة الصغيرة ما كانت
لتنشق طريقها إلى الحلم لو لم يكن لها أصل خاص ، وكان أننا انتهينا على هذا النحو
إلى قصة المريضة التسعة التي استدعيت زميلي الأكبر إلى جوارها على الفور .
ثم ذلك الحلم الفاسد المظهر الذي عومل فيه الفرق بين الرقم ٥١ والرقم ٥٦ كما
لو كان « كماً مهملاً »^(٢) [ص ٤٣٥] : لقد تكرر مجيء الرقم ٥١ في هذا الحلم أكثر
من مرة ، وبدل أن ننظر إلى ذلك نظرنا إلى واقعة نسلم بها أو إلى أمر لا وزن له استدللنا
منه على أن محتوى الحلم الكامن كان ينطوي على خيط فكري ثان يؤدي إلى الرقم ٥١ ،

(١) وكذلك فوكو وثاني .

(٢) [Quantité négligable]

فلما قفونا هذا الأمر انتبهنا إلى تخوفى من أن تكون السنوات الواحدة والخمسون كل فسحة عمرى - على مخالفة بيّنة من الخيط الفكرى الآخر الذى كان غالباً على الحلم وكان يفرق فى المخامرة بعمر مديد . ثم حلم 'Non vixit' [ص ٤٢١] : إنه قد حوى قضية عابرة لم أعرفها أول الأمر انتباهاً ، هى : « فلما لم يفهم ب . مراده سألتى ف ... إلخ » ، ولكننى عندما وقفت فى التفسير رجعت إلى هذه الكلمات فكانت هى التى قادتنى إلى ذكرى الطفولة التى لم يلبث أن تبين أنها كانت نقطة العقد المتوسطة بين أفكار الحلم [ص ٤٨١] وقد كان ذلك من طريق الآيات الآتية :

نذر أن فهمتى ،

نذر أيضاً أن فهمتك ،

ليس إلا والطين يجمعنا ،

أن كان الفهم منى ومنك ^(١) .

ومن الممكن أن نجد فى كل تحليل أمثلة نرينا أن أتفه عناصر الحلم على التحديد أمر لا يستغنى عنه فى تفسير الحلم وأن عملنا لا يلبث أن يقف إذا أرجأنا الانتباه إلى هذه العناصر . وعقلنا مثل هذه الأهمية فى تفسير الحلم على كل ظل من ظلال العبارة اللغوية التى يأتينا الحلم فيها . بل لقد كنا إذا مثل أماننا نص خال من المعنى غير واف - كأنما أخفق الراوى فيما أراد الالتزام به من ترجمة الحلم ترجمة صحيحة - حسبنا أيضاً لهذا القصور فى العبارة حسابه . وعلى الجملة ، كنا نعالج مالم يكن فى زعم المؤلفين السابقين إلا قولاً مرتجلاً أملاه الهوى واقتضت الضرورة أن تلم أجزاءه على عجل - كنا نعالجه كأنه نص مقدس . هذا التعارض يتطلب تعليلاً .

إن التعليل يبين أننا على حق دون أن يجر ذلك إلى تخطئة الكتاب الآخرين ، لأن من شأن فهمنا المكتسب حديثاً لأصل الأحلام أن يوفق بين المتناقضات . فمن الحق أننا نشوه الحلم حين نحاول استحضاره ، وهما نلتقى مرة ثانية بالعملية التى سميناها مراجعة الحلم مراجعة ثانوية - يكثر أن تنطوى على خطأ فى الفهم - من جانب عامل الفكر السوى . ولكن هذا التشويه ذاته لا يعدو أن يكون جزءاً من المراجعة التى تخضع لها أفكار الحلم خضوعاً مطرداً نتيجة لرقابة الحلم . فالكتاب قد شعروا هنا بهلذا الجزء من التشويه الحلقى الذى

يعمل عمله علانية أو هم لحظوه . ولكن هذا الجزء لا يعيننا أمره سوى قليلا ، لأننا نعلم أن تشويهاً أوسع مدى وأقل يسر أعلى الملاحظة قد استهدف الحلم من قبل ، ابتداء من الأفكار الكامنة . وإنما أخطأ هؤلاء الكتاب حين ظنوا أن التفسير الذى يعيب الحلم عند تذكره أو صوغه فى كالم تغيير تحكى لا يمكن رده إلى شيء أبعد منه وأنه - من ثم - كفى أن يزيّف معرفتنا بالحلم : لقد قدروا الحتمية فى المجال النفسى دون قدرها . والحقيقة أنه ما من تحكم هنا . وفى وسعنا أن نبين بوجه عام أنه إذا خلا عنصر ما من خيط فكرى يحتمه سارع خيط ثان إلى تحتيه على الفور . مثال ذلك أننى قد أحاول أن أستحضر عدداً استحضاراً تحكيمياً محضاً ، ولكن ذلك محال ، فالعدد الذى يخطر لى قد حتمته أفكار من أفكارى - وإن تكن بعيدة عن مقصدى المباشر - تحتيماً ضرورياً لا شبهة فيه . ^(١) والتغيرات التى تصيب الحلم عند تحريره فى اللحظة لا يزيد التحكم فيها عليه فى غيرها : لأنها تظل على رباط استدعائى يصل بينها وبين المحتوى الذى حلت هى محله وترشدنا إلى طريق هذا المحتوى والذى قد يتبين أنه كان بدوره بديلاً من شيء آخر .

ولقد اعتدت وأنا أحلل أحلام مرضاى أن أمتحن هذا الرأى امتحاناً لم يخلف ظنى قط : كنت إذا بدت رواية أحد الأحلام مستعصية على الفهم أول الأمر سألت المريض أن يعيدها ، وهو إذ يفعل ذلك قلما يعيد ذات الألفاظ ، ولكن المواضع التى يختلف تعبيرة عنها ، هذه أعلم عندئذ أنها مواطن الضعف فى قناع الحلم ، ولأنها لتفيدنى مثلما أفادت هاجن العلامة المطرزة على عباءة سيجفريد ^(٢) ، ومنها ينبغى الشروع فى تفسير الحلم . ذلك أن سؤال المريض أن يعيد الرواية قد جعلته يفتن إلى أننى عازم على أن أخصص بعض جهدى لتفسير حلمه ، وهو لهذا يسارع بحافز من الرقابة إلى تغطية مواطن الضعف فى قناع الحلم ، مستبدلاً بكل عبارة نماعة عبارة أخرى أبعد مآنى ، وبذلك يجلب انتباهى إلى التعبير الذى أسقط . فالمشقة المبلولة من أجل الحيلولة دون حل الحلم

(١) النظر لفرديد ١٩٠١ ب الفصل السابع .

(٢) [سيجفريد بطل من أبطال الأساطير الجرمانية ، قيل : إنه لم يكن فى جسمه سوى موضع واحد يمكن أن ينقل إليه منه الموت ، ولم يكن يعلم هذا الموضع سوى كريمهك زوجه . ولكن هاجن - خصه القيد - استطاع أن يستدج هذه حتى جعلها تملأ له ذلك الموضع بصلب صلب على عباءة سيجفريد ، وبذا أمكنه أن يطمته للعلمة القائلة] .

نزودنى كذلك بمقياس أقيس به مدى الحرص المصروف فى نسج ردايه .

وقد كان حظ المؤلفين السابقين من المبررات أقل حين علقوا أهمية كبرى على الشك الذى تتلقى به ملكة الحكم عندنا رواية الأحلام : فإن هذا الشك ليس مما يقوم على سُنْد عقلية . صحيح أن ذاكرتنا لا تعرف على وجه العموم ضامناً يضمن صحتها ، ومع هذا فنحن مدفوعون بدافع قهرى إلى أن نصدق ذاكرتنا فى حالات تربو كثيراً جداً على تلك التى يجد فيها التصديق مبررات موضوعية . فإذا كنا نتشكك فى أن يكون الحلم أو بعض تفاصيله قد روى رواية صحيحة ، فهذا الشك بدوره مستمد من رقابة الحلم ، من المقاومة التى تحول دون نفاذ أفكار الحلم إلى الشعور . فهذه المقاومة لم تستغد بعد رغم كل ما جلبته من النقل ومن التبديل ، لأنها تستمر فى صورة شك موضوعه هذه المادة التى سمح لها بالعبور . ويزيد نزوعنا إلى الخطأ فى فهم حقيقة هذا الشك حرصه على ألا يهاجم أبداً أكثر عناصر الحلم شدة ، بل العناصر الضعيفة غير المتميزة وحسب . ولكننا نعلم من قبل أن قلباً شاملاً لجميع القيم النفسية قد وقع بين أذهكار الحلم والحلم [ص ٣٣٩] ، ولا يتيسر التشويه إلا بسحب القيمة النفسية ، وهو بهله الوسيلة يعرب عن نفسه عادة ، وقد يفتن بها أحياناً . فإن جاء أحد عناصر الحلم غير متميز ثم بعد ذلك أضيف الشك ، كان هنا علامة مؤكدة على أننا نواجه عنصراً مشتقاً من أفكار الحلم المنوعة اشتقاقاً مباشراً . والحال هنا أشبه بها بعد ثورة كامحة فى جمهورية من العصور القديمة أو من عصر النهضة : فقد كانت الأسر القديمة النبيلة صاحبة السيادة من قبل ترسل إلى المنفى بينما يملأ مقاعد الحكم وفود جدد ، ولم يكن يؤذن بالبقاء فى المدينة إلا لأشد أعضاء الأسر المدحورة فقراً وأنزلهم حولاً أو لمن لم تكن له بهله الأسر إلا تبعة بعيدة ، وحتى هؤلاء لم يكن يترك لهم الاستمتاع بكامل حقوقهم المدنية وكان ينظر إليهم بعين الحذر . والحذر فى هذا المثال هو عِدْل الشك فى حادنا ، ولهذا كنت أنتضى عند تحليل الحلم أن تترك ميزان تقدير درجات اليقين برمته ، فإن كان هناك أقل احتمال لأن يكون مثل هذا الشيء أو ذلك قد عرض فى الحلم ، وجب أن يؤخذ هذا الاحتمال مأخذ الحقيقة الثابتة كل ثبوت . فإن لم تصمد على هذا المؤلف ونحن نقفوا أحد عناصر الحلم لم يلبث التحليل أن يوقف على الفور . وإن كل تشكك فى قيمة العنصر الذى نصادفه تكون نتيجته انقضاء الأفكار اللاإرادية المستترة وراء هذا العنصر عن الورد . ومن الحق

أن هذه النتيجة ليست واضحة بذاتها ، فلا شيء يمنع من أن يقول المرء : « لست أعلم علم اليقين إن كان هذا الشيء أو ذاك قد عرض في الحلم ، ولكن ها هو ذا ما يخطر لي في صدره على أية حال » ، ولكن الواقع هو أنه ما من أحد يقول ذلك أبداً . وهذا التأثير المعوق الذي ينجم عن الشك في التحليل ، هذا التأثير على التحديد ، هو ما يعلن أن الشك فرع من الرقابة النفسية وأداة من أدواتها . إن التحليل النفسي حذر وهو محق في حذره ، فإحدى قواعده هي الآتية : كل ما يعوق سير العمل مقاومة^(١) .

وكذلك نسيان الأحلام ، فإنه يظل أيضاً من غير تعليل ما لم نحسب لقوة الرقابة النفسية حسابها . صحيح أن شعورنا بأننا قد حلمنا كثيراً دون أن نبقى إلا على القليل قد تكون له معان كثيرة : كأن يكون عمل الحلم قد استمر طيلة الليل كله على نحو ملموس دون أن يترك وراءه سوى حلم قصير . ولا شك أيضاً في أننا نزيد نسياناً للأحلام كلما انقضى الوقت بعد الاستيقاظ وكثيراً ما ينساها المرء رغم جهوده المضنية من أجل الإمساك بها . إلا أنني أرى مع ذلك أننا كما نبالغ عادة في تقدير مدى هذا النسيان نبالغ كذلك في تقدير مدى التقييد الذي ينال معرفتنا بالحلم من جراء هذه الثغرات . فمن الممكن في كثير من الأحيان أن نسترجع بواسطة التحليل كل ما أفقدنا إياه النسيان من محتوى الحلم ، وفي عدد لا بأس به من الحالات على الأقل يتسنى لنا ابتداء من نبذة مفردة بقيت من الحلم ، لا أقول : أن نركب الحلم من جديد — وهذا بعد ليس بالشيء الهام — بل أفكار الحلم جميعها . وهذا العمل يقتضي قدراً كبيراً من الانتباه وضبط النفس ، هذا هو كل شيء — ولكنه يبين أن نسيان الحلم لم يكن يخلو من غرض معاد^(٢) [أى منطو على مقاومة] .

(١) إن من السهل أن ننسى فهم هذه القضية المصافة هنا في حدود جريئة : كل ما يعوق سير العمل مقاومة . إنها بالطبع لا تبدو أن تكون قاعدة فنية ، تطهراً فلسطيني ؛ فمن المستحيل أن ننكر أن أحداثاً مختلفة قد تقع في خلال العلاج دون أن تكون المشولية فيها راجعة إلى ليات المريض : فوالله قد يموت فجأة دون أن يكون هو الذي قضى عليه ، أو قد تشتعل الحرب فيكون اشتغالها نهاية العلاج . بيد أن القضية إلى جانب هذه المبالغة الظاهرة تنفصن مع ذلك شيئاً صحيحاً جديداً : فإنه حتى إذا كان الحدث الذي يعرقل العلاج حدثاً حقيقياً مستقلاً عن إرادة المريض فإن مدى الانقطاع الذي ينجم عن هذا الحدث أمر يتوقف في كثير من الأحيان على المريض . ثم إن المقاومة تظهر من غير خطأ في مدى مساهمة المريض إلى تقبل مثل هذه الفرصة وفي مآلاته في استغلالها .

(٢) من محاضرات التمهيدية [فريود ١٩١٦ - ١٩١٧ ، المحاضرة السابقة] أكتسب الحلم الآق الذي تم تفسيره بعد وفوت دام فترة قصيرة ، مثالا على التردد والشك في الحلم مع انكشاف محتواه في الوقت مهت إلى عنصر ملرد :

ويظفر المرء بشاهد مقنع على أن نسيان الأحلام نسيان مغرض يخدع مآرب الرقابة^(١)، إذا أتبع له أن يتبع في أثناء التحليلات مرحلة أولى من مراحل النسيان . فليس من النادر أن تكون في منتصف عملية التفسير فإذا جزه محلوف من الحلم ينبثق ، يقول متذكرو: إنه قد ظل حتى هذه اللحظة نسياً منسياً . ثم لا يلبث أن يتضح أن هذا الجزء المنتزع من النسيان هو في كل مرة أهم أجزاء الحلم : إنه يقع دائماً على أقصر الطرق المسلمة إلى حل الحلم ، وهو - لهذا السبب - قد عرض لمقاومة تفوق ما أصاب سواه . وبين الأحلام المنتثرة في هذا المجلد مثال أضعف جزء من محتواه على هذا النحو في صورة فكرة لاحقة ، هو حلم السفر الذي أثار فيه من رفيق المزعجين في السفر [ص ٤٥٤] والذي اضطررت إلى تركه ولما أكد أبداً تفسيره - هكذا كان مبلغه من مجافاة اللياقة . لقد كان الجزء المحلوف هو الآتي : « أقول وأنا أشير إلى كتاب لشيلى : " It is from... »

« - حلت مريضة شكاكة من مريضات حملاً طويلاً بعض الطول ، فيه تحدث إليها البعض عن كتابي في « التكاثر » وأثنى عليه ثناء عابثاً . ثم بعد ذلك ورد في الحلم شيء عن (قناة) ما ، لعله كتاب آخر مرض فيه ذكر قناة ، أو شيء آخر متعلق بقناة . . . لا تدري . . . كان كل ذلك مبهماً .

« إنكم تتوقعون ولا شك أن يكون النصر (قناة) - وهو على هذا المخلو من التميز - مبتنا على التفسير . وأنتم محقون حين تتوقعون صوبية ، ولكن الخلط من التميز ليس منشأها ، بل هذا الخلط وهذه الصوبية يربحان ما إلى مصدر آخر . إن المريضة لا يخطر ببالي شيء ما من القناة ، ولست أدري بالطبع ماذا أقول . بيد أن المريضة تذكر لي بعد أن انقضى بعض الوقت - وكان ذلك في اليوم التالي حل التحديد - تذكر أنها قد فكرت في شيء ربما كانت له صلة بالقناة ، وكان هذا الشيء نقطة كذلك ، نقطة سمعتها : كانت باعرة تمخر العباب بين دولر وكاليه حين دارت حل سطحها معادلة بين مؤلف معروف ورجل إنجليزي . وجاء سياق الحديث بما دعا الرجل الإنجليزي إلى الاستشهاد بالعبارة الآتية : بين السام والمضحك إن هي إلا خطوة [Du sublime au ridicule il n'y a qu'un pas] . فكان أن أجاب المؤلف : نعم ، خطوة كاليه [قنطرة] - يريد أن يقبل بذلك : إن فرنسا في رأيه سامية وأما إنجلترا فمضحكة . ولكن «خطوة كاليه» [اسم يطلق بالفرنسية على] قناة ، هي قناة المائش . فهل أرى أن ذلك صلة بالحلم ؟ أراه يقينا : إنها تأتينا بجل هذا النصر الحلى المسمى . أو هل تريدون الشك في أن هذه النقطة قد كانت موجودة قبل أن يقع الحلم كفكرة لاشعورية مسترة وراء النصر (قناة) ؟ أتى وصعكم أن تفتروا أنها قد خلقت خلقاً من بعد ؟ إن المستعنى الذى خطر ببال المريضة قد تم من الشك الذى كانت تفسره وراء إصباحها الظاهر ، ولا ريب في أن مقاومتها قد كانت الملة المشتركة على السواء لإبطاء المستعنى في الجهر ونحو هذا النصر الحلى من التميز . وانظروا هنا إلى العلاقة بين النصر الحلى وبين مفسونه اللاشعورى : إنها تعرض في هيئة نبذة من هذا المضمون أول تلميح إليه ، ولكن عزمنا قد جعلها تتصدر حل الفهم » .

(١) انظروا فيما يحصل بالعرض من النسيان بوجه عام مقال الصغير عن « الميكانيكيات النفسية لنيسان » (فرويد ١٨٩٨) - وهو مقال صار بعد ذلك الفصل الأول من كتابي « سيكوباتولوجية الحياة اليومية » (فرويد ١٩٠١ ب) .

ولكن أخط خطي فأستدرك مصححاً : "It is by..." « مثله يقب الرجل لثلاث لآخه : » نعم ، لقد قال ذلك حين أن يحلّ » (١)

أن يصبح المرء نفسه في حلم - وهو ما يبدو لبعض المؤلفين عجباً عجباً - أمر لا يحتاج يقيناً إلى أن نشغل به . وإنما أميط اللثام بدل ذلك عن الدكرى التي اتخلسها نموذجاً صنعت على غرار هفوقى اللغوية في الحلم : كنت في التاسعة عشرة من عمري حين زرت إنجلترا للمرة الأولى وقضيت يوماً كاملاً على شاطئ البحر الإيرلندى . ولم أفت بالطلع ما هيأته لي الفرصة من جمع الحيوانات البحرية التي تركها المد ، وكنت منصرفاً بانتباهي إلى سمكة من سمك النجمة (يبدأ الحلم بكلمتي Holothurn-Holothrien [حيوان بحري بطلى الأرجل] حين أقبلت فتاة صغيرة أخاذة وسألني : "Is it a starfish ? Is it alive ?" - فأجبتها "Yes he is alive" ولكنني استدركت فصحت جملتي على الفور وقد خجلت لهفوقي . ولقد استبدل الحلم بالهفوة التي أتيها في ذلك الحين هفوة أخرى يسهل الوقوع فيها كذلك على ناطق بالألمانية ، فقولنا : "Das Buch ist von Schiller" لا تصح ترجمته بحرف "from" ، بل بحرف "by" . فإذا علمنا بعد ذلك أن عمل الحلم قد أجرى هذا التبديل لأن الجناس بين الحرف الإنجليزي "from" وبين النعت الألماني "fromm" ، [نق] كان يمكنه من تكيف ضخم ، لم يدعشنا ذلك بعد أن سمعنا كل ما سمعنا عن أهداف عمل الحلم وعن اختياره سبل الوصول إليها غير مبال . ولكن ما الذي أقحم ذكري الشاطئية البريئة في سياق هذا الحلم ؟ إنها قد أفادت من حيث كانت أكثر الأمثلة الممكنة براعة على استخدائي لكلمة ذات دلالة على الجنس في غير موضعها ، على إقحام الجنس "he" حيث لا موضع له . ولقد كان ذلك أحد المفاتيح اللازمة لحل الحلم . ولا تصعب تكملة البقية على من علم فوق ذلك بمآتي عنوان Matter and motion (٢)

(١) أن يصبح المرء نفسه وهو يتحدث بلغة أجنبية أمر كثير الوقوع في الأحلام ، ولكن الصحيح يوضع في معظم الأحيان على لسان شخص آخر . مثال ذلك أن موري حلم مرة في وقت كان يحلم فيه اللغة الإنجليزية بأنه يتحدث إلى شخص كان قد زاره في اليوم السابق قال : "I called for you yesterday" فأجاب الآخر مصححاً : بل تقبل : "I called on you yesterday" .

(٢) [« المادة والحركة » - وهو عنوان كتاب ماكسويل الذي اختير في هذا الحلم] .
تفسير الأحلام

(Molière — Le malade imaginaire : La matière est-elle laudable ? — a notion of the bowels.)^(١)

وفى استطاعنى فوق ذلك أن أسوق برهاناً عياناً على أن نسيان الأحلام ناجم إلى مدى بعيد عن المقاومة . فقد يقول أحد مرضاى . إنه قد حلم لكنه نسى حلمه فلم يبق منه أثر ، والأمر إذن كأن الحلم لم يكن قط . ونبدأ عملنا فأجبه إلى مقاومة ، وعندئذ أوضح للمريض مسألة ما أعاون به بالتشجيع والحث على أن يراضى مع فكرة من الأفكار لانسره ، ثم لا أكاد أفرغ من ذلك حتى أسمع بهتف قائلاً : إني أتذكر الآن بماذا حلمت . فلما لمقاومة التى تنخلت فى عملنا ذلك اليوم هى التى جعلته كذلك ينسى الحلم ، وبالتغلب على هذه المقاومة أعدت الحلم إلى ذاكرته.

وعلى هذا النحو عينه نرى مريضاً يبلغ مرحلة معينة من العمل التحليلي فإذا هو يذكر حلماً أتاه من قبل بأيام ثلاثة أو أربعة أو أكثر ، وكان الحلم قد ظل حتى الآن نسياً منسياً^(٢) .

ولقد زودتنا الخبرة التحليلية ببرهان آخر على أن توقف نسيان الأحلام على المقاومة يفوق كثيراً توقفه على ما بين حالتى النوم واليقظة من الاختلاف — كما كان يظن الكتاب السابقون . فليس من النادر أن يقع لى — كما يقع لغيرى من المحللين والمرضى تحت العلاج — أن نستيقظ من النوم على حلم — إن جاز التعبير — فنشرع على الفور فى تفسيره وقد حضرت ملكاتنا العقلية حضوراً تاماً . وكنت فى مثل هذه الحالات أبى فى أحيان كثيرة أن يقر لى قرار حتى أبلغ فهم الحلم فهماً تاماً . بيد أنه كان يتفق لى أحياناً ، حين أستيقظ أخيراً فى الصباح ، أن أراى وقد نسيت على التفسيرى كل النسيان كما نسيت ما هو محتوى الحلم ، وإن كنت أعلم أن حلماً قد أتانى وأنتى فسرته . وإن الحالات التى تجر فيها المقاومة نتائج تفسيرى إلى النسيان لتفوق كثيراً تلك التى يفلح فيها نشاطى العقلى هذا فى الإبقاء على الحلم ماثلاً فى ذاكرتى . ومع هذا فنشاطى التفسيرى لا تفرق بينه وبين أفكارى المستيقظة هوة نفسية كالتى يريد الكتاب افتراضها لكى يعللوا

(١) [موليير — المريض الوهم : هل المادة محسوسة ؟ (وهو اصطلاح بين الأطباء فى زمن موليير بمعنى : هل الجوارح طيبة ؟) — حركة فى الأمعاء] .

(٢) يصف إرنست جولز [١٩١٢ ب] حالة ماثلة كثيرة الوجوه ، إذ يذكر المريض — بينما لحل حلمها ما — حلماً آخر وقع له فى الليلة ذاتها لكنه كان قد نسى حتى لم يعد يعرف شيئاً من وجوده .

بها نسيان الأحلام . - - حين يعترض مورتون پرنس على تعليل نسيان الأحلام قائلاً : إن هذا النسيان ليس إلا مثالا جزئياً من أمثلة النساوة التي تصحب الحالات النفسية المنشقة وإن استحالة تعميم تعليل لهذه النساوة الجزئية على سائر أنواع النساوة تجعل هذا التعليل مجرداً من كل قيمة حتى فيما يتعلق بفرضه المباشر ، فإنه بملك إنما يذكر القراء بأنه في جميع أوصافه لهذه الحالات المنشقة لم يحاول ولو مرة أن يجد تعليلاً دينامياً لهذه الظاهرة . ولو أنه فعل ، لرأى أن الكبت (أو - على الأدق - المقاومة الناجمة عنه) هو على السواء العلة في هذه الحالات المنشقة وفي النساوة التي تصحب عتواها النفسى .

ولقد منحت لى وأنا أحرر مخطوط هذا الكتاب ملاحظة بينت لى أن نسيان الأحلام لا يزيد ألبتة على نسيان غيرها من الأفعال النفسية وأنها إذا قورنت بالوظائف النفسية الأخرى من حيث مدى لصوقها بالذاكرة لم تخرج من المقارنة غارمة . ذلك أننى كنت قد دونت عدداً كبيراً من أحلام أتيتها ولم أستطع لسبب من الأسباب تفسيرها تفسيراً وافياً حين وقوعها ، أو تركتها من غير تفسير على الإطلاق . والآن ، بعد أن انقضى ما بين العام والعامين ، أخلدت أحاول تفسير بعضها من جديد آملاً الظفر بمادة أغنى أصور بها آرائى ، فكان أن كللت هذه المحاولات بالنجاح فى كل حالة من الحالات . لا ، بل أستطيع أن أقول : إن التفسير كان يتأدى بعد هذه الحقبة الطويلة على نحو أكثر يسراً منه حين كان الحلم خبرة حديثة ، والتعليل المرجح لذلك هو أننى تغلبت فى هذه الأغناء على بعض المقاومات الداخلية التي كانت تعوقى قبلاً . وكنت إذا أتيت هذه التفسيرات اللاحقة قارنت بين أفكار الحلم التي تكشف فى زمن الحلم وبين تلك المكتشفة حديثاً والتي كانت فى معظم الأحيان أولر كثيراً ، فكنت دائماً أرى القديمة متضمنة بين الجديدة . ولم يلبث عجبى لهذه الظاهرة أن انقطع حين تذكرت أننى قد اعتدت منذ زمن طويل حين يقص على مرضاى أحلاماً أنهم منذ سنوات خلت - كما يفعلون أحياناً - اعتدت أن أخضع هذه الأحلام للتفسير كأنها وقعت فى الليلة السابقة ، متبعاً فى ذلك ذات المنهج ، منبهاً إلى ذات النجاح ، وسأذكر مثالين على هذه التفسيرات

المرجأة حين أجيء إلى مناقشة أحلام الهيلة [ص ٥٧٠] . وكنت حين أتيت أولى محاولاتى في هذا الصدد يقودنى توقع له ما يبرره ، هو أن تسلك الأحلام في هذا المجال مسلك الأعراض العصابية . فليست أجد مفرّاً حين أعالج عصبياً - ولنقل هسترياً - بوساطة التحليل النفسى من أن أصل إلى تعليل لأول أعراض مرضه ، تلك التى اختفت منذ زمن بعيد ، كما أعلل أعراضه الحاضرة التى ساقته إلى " ، وإلى لأجد حيثل أن المشكلة الأقدم عهداً أيسر على الحل من المباشرة . ولقد وسعنى حتى في كتاب « دراسات عن الهستريا »^(١) المنشور عام ١٨٩٥ أن أسوق تعليلاً لأول نوبة هسترية عرفتها امرأة تجاوزت سنّها الأربعين حين كانت في الخامسة عشرة من عمرها^(٢) .

وهنا أورد من غير تغيد برباط محكم بضع ملاحظات تمنى لى في موضوع تفسير الأحلام ، قد تعين على توجيه القارئ إذا أراد أن يتحقق من قضايائى بالعمل على تفسير أحلامه فيما بعد .

ليس لأحد أن يتوقع رؤية تفسير أحلامه وقد أتى بين راحتيه من غير عناء . فإدراك الظواهر المبصرة بالعين الباطنة وغيرها من الإحساسات التى تفيض عنها انتباهنا عادة يتطلب أيضاً مراناً . وتلك هى الحال حتى حين لا يكون هنالك دافع نفسى يحارب هذه المدركات ، ولكن المشقة أعظم على التأكيد فيما يتعلق « بالأفكار اللاإرادية » . فعلى طالب هذه أن يعى كل ما تدعول إلى توقعه هذه الصفحات ، وعليه - بحسب القواعد المنصوص عليها هنا - أن يمتنع في أثناء العمل ما استطاع عن نقد كل فكرة سابقة وكل ميل عقلى أو وجدانى ، وعليه أن يذكر نصيحة كلود برنارد إلى المهرب في المعمل الفيزيولوجى : « لا تعمل كما يعمل البهم »^(٣) أى أن عليه أن يعمل في مثابة لا تقل عن مثابة الحيوان ويمثل انصرافه عن النتيجة . فلأن اتبعت النصيحة هانت المشقة . ولا يتم تفسير الحلم دائماً في جلسة واحدة ، إذ ليس من النادر أن يشعر المرء بأن قدرته قد غاض معها بعد أن يكون قد تأثر عدداً من المستدعيات ، ويستحيل الخروج من الحلم بشيء في هذا اليوم . وهنا يحسن المرء صنعاً إذا هو انقطع ثم استأنف العمل

(١) [بروبر وطرويه ١٨٩٥ ، الحالة الخامسة] .

(٢) إن الأحلام التى تقع في سنوات الطفولة الأولى وتثبت في الذاكرة عشرات من السنين - وكثيراً ما يكون ذلك مع احتفاظها بشخصية الحية كاملة - تكاد تملك دائماً أهمية قصوى في تمكينا من فهم تاريخ التطور النفسى للمريض وتاريخ مصابه . وتحليل أشال هذه الأحلام يصون الطبيب من الأخطاء والشكوك التى قد تقوده - فمن غيرها - إلى الخلط النظرى .

(٣) ["Travailler Comme une bête"] (٢)

في يوم نال ، فقد يستهى انتباهه عندئذ جزء آخر من محتوى الحلم يفتح له الطريق إلى طبقة جديدة من أفكار الحلم . ولنا أن نسمى ذلك بالتفسير « المتكسر » للحلم .

والصعوبة العظمى هي أن تحمل مبتدئاً في تفسير الأحلام على التسليم بتلك الحقيقة ، وهي : أن مهمته لا تفرغ حين يصبح في يده تفسير واف للحلم ، تفسير معقول ، متناسق ، يلتقي الضوء على جميع عناصر محتوى الحلم . فإن الحلم الواحد قد يكون له أيضاً تفسير آخر ، تفسير مضاعف ، غاب عن المفسر . والحق أنه ليس بالشئ الهين أن نتصور وفرة ما يعتل في فكرنا من مستحبات لاشعورية نجهد في الإفصاح عن نفسها ، ولا أن نقدر مدى الخلق الذي يديه عمل الحلم إذ يوفق دائماً إلى صور تعبيرية تحتل أكثر من معنى ، مثل الطرزي الذي تحكى القصة أنه يصيب سبع ذبابات بضربة واحدة . وسوف ينزع القارئ إلى انتهاء بالمغالاة في المهارة من غير داع ، ولكن التجربة كفيلة أن تعلمه خيراً .

ولست أستطيع - من ناحية أخرى - أن أؤيد الرأي الذي أعرب عنه سيلبرير للمرة الأولى : أن جميع الأحلام (أو عدداً منها أو طبقات معينة بينها) تتطلب تفسيرين يزعم المؤلف فوق ذلك أن ثمة علاقة ثابتة بينهما ، فأما أحد هذين التفسيرين - وهو الذي يسميه سيلبرير التفسير التحليلي النفسي - فيقال : إنه يخلع على الحلم معنى جنسياً طفلياً في معظم الأحيان ، وأما التفسير الآخر - وهو المسمى تفسيراً روحياً - فيقال : إنه يمحيط اللثام عن المادة التي اصطنعها عمل الحلم من أفكار أكثر جدية ، عميقة المضمون في كثير من الأحيان . ولم يثبت سيلبرير رأيه هذا بإيراد طائفة من الأحلام ثم تحليلها من كلتا الوجهتين . ولست أجد مفرّاً من القول بأن الواقعة المزعومة ليس لها وجود . فغالبية الأحلام لا تقتضى تفسيراً مضاعفاً ثم هي - على الأخص - لا تقبل تفسيراً روحياً . فأما أن نظرية سيلبرير قد تأثرت بنازع ينزع بها إلى إخفاء الملابسات التي تعيط بتكوين الأحلام وإلى صرف الانتباه عن جلورها الغريزية ، فهذا أمر واضح فيها وضححه نظريات أخرى متعددة تقدم بها أصحابها في السنوات الأخيرة . ولقد وسعني أن أثبت من قضايا سيلبرير في طائفة من الحالات ، فكان التحليل يبين عندئذ أن عمل الحلم قد واجه مشكلة القيام بتحويل طائفة من الأفكار المستمدة من حياة اليقظة ، الشديدة التجريد، المتعددة على كل تصوير مباشر ، إلى حلم من الأحلام .

وحاول الحلم أن يحل المشكلة بالاستيلاء على مادة فكرية أخرى تتصل بالأفكار المجردة بصلة واهية تجوز تسميتها صلة استعارية وتقبل التصوير - من ثم - في صعوبة أقل . والتفسير المجرد للحلم نشأ على هذا النحو يعطيك الحلم إياه من غير صعوبة ما ، وأما التفسير الصحيح للمادة المستبدلة فيجب التماسه بالطرق الفنية التي نعلمها .

فأما السؤال : هل من الممكن أن نفسر كل حلم ؟ فلا مفر من الإجابة عنه بالنفي . إذ يجب ألا ننسى أننا حين نفسر حلماً تعارضنا القوة النفسية التي كانت سبباً في تشويبه . فإن تمكنا اهتماماتنا العقلية وقدرتنا على ضبط النفس ومعرفتنا السيكولوجية ومارتنا على تفسير الأحلام من السيطرة على مقاومتنا الداخلية أو ألا تمكنا - هذه إذن مسألة تناسب بين القوى . ولكن من الممكن دائماً أن يقطع المرء شوطاً ما ، وشوطاً يكنى على الأقل للاقتناع بأن الحلم بناء له معناه ويكنى غالباً في حلس هذا المعنى . ومن الشائع أن نجازف بتفسير لأحد الأحلام ثم يبيء حلم نال فينتج لنا الاستيحاء من هذا التفسير ومتابعته . كما أن مجموعة بأسرها من الأحلام تتعاقب على فترة تبلغ الأسابيع بل الشهور قد تكون في كثير من الأحيان قائمة جميعها على أساس مشترك بحيث يجب تفسيرها متصلة بعضها ببعض . وإذا كان ثمة حلماً متعاقبان أمكننا في أحيان كثيرة أن نلاحظ كيف يدور أحدهما حول مسألة لا تعرض إلا على هامش الثاني والعكس بالعكس ، بحيث يغلو تفسير كل منهما مكملاً لتفسير الآخر . هذا وقد اخترت من قبل أمثلة تبين أن الأحلام المختلفة التي ترد في الليلة الواحدة يجب على وجه الإطلاق أن تعالج عند تفسيرها كما لو كانت كلا مفرداً [ص ٣٣١] .

والغالب أن يشتمل كل حلم - مهما لمحكنا تفسيره - على فقرة لا نرى مفراً من أن نتركها في الظلام لأننا نلاحظ في ثنايا التفسير أن هذه نقطة اشتبكت عندها عقدة من أفكار الحلم لأحل لها ، ولكنها - فوق ذلك - لم تضاف شيئاً جديداً إلى محتوى الحلم . هذه هي مرة الحلم ، هي الموضع الذي يسلم منه الحلم إلى المجهول . والحق أن أفكار الحلم التي نكشف عنها ونحن نفسر لا يمكن أن تكون لها نهاية مرسومة ، ولا يمكن إلا أن تشعب في المزالك المتشابكة لعالمنا الفكري ضاربة في كل اتجاه . وإنما تيزغ رغبة الحلم في موضع من هذا النسيج يزيد سمكاً على غيره ، مثل نبات الفطائر من زغبه .

ولكن دعنا نعود إلى الوقائع المتصلة بنميين الأحلام ، فقد فانتا أن نستخلص منها نتيجة هامة . ذلك أنه إذا كانت حياتنا المستيقظة تبدى نزوعاً لا خطأ في أمره إلى نسيان الحلم الذى تكون أثناء الليل - سواء أجا نسيانه جملة عقب اليقظة أم جاء جزءاً فجزءاً على مر النهار - وإذا كنا قد عرفنا أن العامل الرئيس على هذا النسيان هو هذه المقاومة النفسية للحلم التى عملت فى الليل كذلك على محاربتة ما استطاعت ، فالسؤال لا شك منبعث : وكيف يتسنى على الإطلاق أن يتكون حلم فى وجه مثل هذه المقاومة ؟ دعنا نأخذ الحالة المتطرفة ، تلك التى تعود فيها الحياة المستيقظة فتخلص من الحلم جملة كأنه لم يكن قط : إذا نحن نظرنا إلى الأمر من وجهة التوازن بين القوى ، لم يكن مفر من التسليم بأن الحلم ما كان قط ليتم لو أن المقاومة كانت قوية فى الليل قوتها فى النهار . ونتيجة إذن هى أن المقاومة تفقد فى الليل بعض قوتها وإن لم تفقدها جميعها ، فقد رأينا نصيبها فى تكوين الحلم وهى تعمل على تشويهه . ولكن لا عيب عن أن نفترض أن قوتها قد تنقص فى الليل وأن هذا التراخي فى المقاومة هو الذى يجعل تكوين الحلم شيئاً ممكناً . وهكذا نفهم من غير عناء كيف تبادر المقاومة وقد استردت مع اليقظة كل قوتها إلى التخلص مما اضطرت إلى قبوله فى حالة ضعفها . وإذا كان علم النفس الوصى يحددنا بأن الشرط الأول فى تكوين الحلم هو أن تكون النفس فى حالة النوم ، ففى مقدورنا الآن أن نضيف إلى ذلك القول تعليله : إن النوم يجعل تكوين الحلم أمراً ممكناً لأنه ينقص قوة الرقابة النفسية الباطنة .

ولا شك فى أن من الأمور المفردة أن ننظر إلى هذه النتيجة كما لو كانت النتيجة الوحيدة التى يمكن استخلاصها من وقائع نسيان الأحلام وأن نتخذها أساساً نغضى منه إلى نتائج أكثر بعداً حول العلاقات بين القوى فى حالتى النوم واليقظة . ومع هذا سنقف حيث نحن فى الآونة الحاضرة . وسنبين لنا - عندما ننفذ إلى مسافة أعظم بعض الشيء من سيكولوجية الأحلام - أن العوامل التى تتيح تكوين الأحلام يمكن النظر إليها من وجهة أخرى كذلك . فالمقاومة التى تحول دون صيرورة أفكار الحلم إلى الشعور قد يكون من الممكن الإفلات منها دون أن يكون قد أصابها أقل نقص فى قوتها . ومن الجائز فوق ذلك أن يكون كلا العاملين اللذين يتيحان تكوين الحلم - نقص الرقابة والإفلات منها - قد صارا ممكنين فى آن واحد بفعل حالة النوم . وهنا أقطع حبل الكلام

لكى ألتقطه بعد قريب [ص ٥٦١] .

ولا بد لنا الآن من أن نشغل بطاقة أخرى من الاعتراضات التى تواجه منهجنا فى تفسير الأحلام . ذلك أن منهجنا يقوم فى أن ندع جانباً كل الأفكار الغائبة التى تحكم تدبيرنا عادة وفى توجيه كل انتباهنا إلى عنصر مفرد من عناصر الحلم فنلون كل ما يعن لنا فى صلبه من الأفكار الإرادية ، ثم بعد ذلك نتناول الجزء التالى من الحلم ونعيد ذات العمل . ونحن نسلم أنفسنا لخواطرنا أياً كانت وجهة هذه الخواطر ، جاثلين على هذا النحو من هذا إلى ذاك . بيد أننا إذ نفعل ذلك نعتقد اعتقاد الوثائق أننا سوف نصل فى نهاية الدرب - دون تدخل من جانبنا - إلى أفكار الحلم التى منها نشأ الحلم . وهنا قد يعترضنا النقاد بما معناه أنه ما من عجب فى أن يسلمنا عنصر مفرد من عناصر الحلم إلى جهة ما ، فإما من فكرة إلا أمكن أن يرتبط بها شئ من الأشياء . وإنما العجيب أن يقودك هذا التجوال التصنى الذى يجرى اتفاقاً إلى أفكارهم أفكار الحلم بالضرورة . والراجع أننا إنما نخدع أنفسنا . فنحن نتبع خيطاً من المستدعيات ابتداء من عنصر واحد حتى يلوح لنا أن هذا الخيط قد انقطع لسبب أو لآخر . فلو أننا أخذنا بعد ذلك عنصراً ثانياً لكان من الطبيعى أن يفتق الآن مجال المستدعيات الذى كان يبدو غير محدود فى بادئ الأمر . ذلك لأن خيط الأفكار السابقة لا يزال عالماً بالذاكرة ، ولهذا السبب كنا حين نحلل فكرة الحلم الثانية أكثر عرضة لأن نعر على مستدعيات تحمل وجهاً مشتركاً بينها وبين المستدعيات الأولى . وحيتل نهى إلى أنفسنا أننا قد كشفتنا عن لفكرة كانت حلقة وصل بين عنصرين من عناصر الحلم . وإذا كنا نمنع أنفسنا مطلق الحرية فى أن نصل بين الأفكار كيف نشاء ، وكنا فى واقع الأمر لا نستبعد بين طرق التأدى من فكرة إلى أخرى إلا تلك التى تعمل عند التفكير السوى ، فما من صعوبة فى أن نخرج فى نهاية المطاف بمحصول من « الأفكار المتوسطة » ، بشئ ندعوه أفكار الحلم ونزعم أنه البديل النفسى للحلم دون أن يكون ثمة أقل ضمان يضمن صحة هذا الزعم ، فإنا - فيها خلا زعمنا - من معرفة أخرى بهذه الأفكار . وإنما الأمر كله عسف فى عسف ، ولنا نعدو أن نستغل الصدفة استغلالاً يظهر بمظهر البراعة ، وكل من تكلف هذه المشقة التى لا طائل من ورائها مستطيع بذلك أن يخرج من أى حلم يشاء بأى تفسير يشاء .

إنه لو أن مثل هذا الاعتراض قد وجه إلينا حقيقة لكان في مقلودنا أن نحكم إلى الأثر الذي تحدثه تفسيراتنا وإلى الروابط المدهشة التي تنبثق حين نقفوفكرة مفردة بين هذه الفكر وغيرها من عناصر الحلم ، وأن ننظر كم هو أمر بعيد عن الاحتمال أن يكون في المستطاع الوصول إلى نتيجة تفسر الحلم كل هذا التفسير الشامل دون أن نكون تتبعنا روابط نفسية مقامة من قبل . وفي مقلودنا كذلك أن ندافع عن أنفسنا بالتنبيه إلى أن منهجنا في تفسير الأحلام هو هو الذي نحل بوساطته الأعراض المسترية حيث نجد طريقتنا ضئلاً لصحتها فيما يقع من انبثاق الأعراض واختفائها ، أى - إذا أردت تشبهاً - حيث تدعم القضايا المساقة في النصوص بالرسوم التي تصحبها . بيد أننا لا نحتاج إلى التهرب من المشكلة التي تواجهنا - وهى : كيف نوفق إلى بلوغ هدف موجود من قبل بمتابعة خيوط فكرية تسرسل استرسالاً تعسفياً ، لا غاية له ؟ - لأننا إذا كنا ، والحق يقال ، لا نستطيع أن نجد لهذه المشكلة حلاً إلا أننا نملك القدرة على تقويضها من أسأها . فإنه لمن الخطأ الذى يمكن البرهان عليه أن نقول : إننا نستسلم لتيار من الأفكار لا غاية له حين نتخلى أثناء التفسير عن تدبرنا وترك للأفكار اللاإرادية أن تنبثق . وفى وسعنا أن نبين أن كل ما نستطيعه إنما هو التخلص من أفكار غالية معلومة لنا وإننا ما أن نصنع ذلك حتى تتولى السلطة أفكار غائية غير معلومة - أو كما نقول بعبارة غير دقيقة : لا شعورية - وهذه هى التي تعين بعد ذلك مجرى الأفكار اللاإرادية . ولسنا نملك من قدرة على أن نؤثر في أنفسنا أى تأثير يكون من شأنه أن ينبعث فيها فكر مجرد من الغائية ، ولا أننا أعلم حالة واحدة من حالات الخلط النفسى يكون من شأنها أن ينبعث مثل هذا الفكر^(١) . ولقد تعجل أطباء النفس الأمور كثيراً حين عدلوا هنا عن اعتقادهم

(١) إن التباين لم يجه إلا فيما بعد إلى كون إدوارد فون هارتمان قد رأى هذا الرأى منه فيما يصل إليه المشكلة السيكلوجية العامة . فقد جاء في مقال كيه بيهوريلس (١٩١٢) : " إن إدوارد فون هارتمان ، وهو يناقش نصيب اللاشعور في المثلث الذى (١٨٩٠) ، الجزء الأول القسم الثانى ، الفصل الخامس) قد نص صراحة على القانون القائل : إن تداعى الممانى يخضع لأفكار لاشعورية غائية - وإن لم يلمن إلى مدى التطبيق هذا القانون . فهو قد أراد أن يثبت أن التآليف بين الأعمال الحسية - إذا لم يترك للصحة المحضة بل قصدت إلى غاية محددة - يقتضى معالجة اللاشعور ، وأن النصيب الذى يقوم به الاهتمام الشعورى هو حث الشعور على اختيار أنسب الأفكار بين ما لا حصر له من الأفكار المكتبة . فاللاشعور هو الذى يقوم بالاختيار المناسب لهدف يتوخاه الاهتمام ، وهذا القول ، " يصدق على تداعى الممانى في التفكير المجرد كما في التخييل الحسى والتآليف التى " وإبداع النكات . ولهذا السبب كان حصر تداعى الممانى بين فكرة شيرة وفكرة مثارة - بالمضى الذى تذهب إليه سيكلوجية ترابطة العالمة - شيئاً لا يمكن الأخذ به . فكل هذا التحديد لا يجد ما يبرره إلا إذا كانت الحياة الإنسانية تحصل ملائمة

فما للبناء النفسى من الأحكام . وإنى لأعلم أن انسياب الخواطر انسياباً مجرداً من كل فكرة غائية تحكمه أمر لا وقوع له فى مجال المسترياً والبارانويا أكثر من وقوعه فى تكوين الأحلام أو فى حلها . ومن المحتمل أنه لا يحدث فى أى من الاضطرابات النفسية الباطنة المنشأ . وإذا أخذنا بالفرض اللامع الذى أوحاه لوربه ، فتحى أهذية الحالات الخلطية تملك معنى ولا تستغرق علينا إلا لما يتخللها من الثغرات . ولقد انتهيت بنفسي إلى هذا رأى حين سئلت لى الفرصة بملاحظتها . فالأهذية من صنع رقابة لم تعد تتكلف إخفاء عملها ، فهى بدل أن تشارك فى خلق طيبة جديدة لا اعتراض عليها ، تمحو كل ما ينال مراقبتها بمحو ، دون مراعاة أى اعتبار ، بحيث يصير المتبقى خالياً من كل رباط . فهذه الرقابة تتبع منهجاً يشبه من كل الوجوه المنهج الذى تصطنعه رقابة الصحف عند الحدود الروسية إذ لا تترك الصحف الأجنبية تلهب إلى أيدي القراء المراد حمايتهم إلا بعد أن تمحو بالسواد مقداراً من الفقرات .

إن لعب الخواطر لعباً حراً ، مسترلة مع أى خيط من المستدعيات اتفق ربما وجد فى العمليات العسوية الهية المسمرة ، وأما ما يعد كذلك فى الأعصاب النفسية فن المستطاع دائماً تعليله بأنه نتيجة لتأثير الرقابة فى سلسلة من الخواطر دفعت إلى الصدرة بفعل أفكار غائية ظلت مستمرة^(١) . نعم ، إن البعض قد ارتأى أن من العلامات التى لا تخطئ على وجود تداع خال من تأثير كل فكرة غائية أن تلوح المستدعيات (أو الصور) المنبثقة وقد ترابطت فيما بينها برابط التداعى المسمى تداعياً سطحياً ، مثل الجناس أو الاشتراك اللفظى أو الاتفاق الزمنى من غير ارتباط فى المضمون أو أى تداع

= لا يكون المرء فيها حراً من كل هدف شعورى فقط ، بل كذلك من سيطرة كل اهتمام لا شعورى وكل مزاج هابر أو من مشاركتها . ولكن ذلك شرط لا يكاد يحقق أبداً ، لأن المرء - وإن أطلق عنان أفكاره فى الظاهر فصلة الهفة أو أسلم نفسه بكتلة لأحلام الهمة اللاإرادية - لا يتخلص أبداً من اهتمامات أخرى مهيبة وإحساسات وأمزجة سيطرة ، تسود فى هذا الوقت ولا تسود فى ذلك ، وكل هذه تحدث دائماً أثرها فى تداعى الأفكار . (المرجع عينه ، ٢٤٦) . ولا تعرض أبداً فى الأحلام نصف الشعور سوى الأفكار التى تولق الاهتمام (الشعورى) الدال على الآلة الحاضرة . (الموقع عينه) . وإن الإغلاخ على تأثير الإحساسات والأمزجة فى التصلب الحر للأفكار ليجهل من الممكن تبرير الطريقة المنهجية لتحليل النفس تبريراً كاملاً من وجهة نظر سيكولوجية هارتمان " - ويتخلص دوريل (١٨٨٥ ، ١٠٧) من كوننا قد نحاول فى كثير من الأحيان أن نطرح اسماً من الأسماء دون جدوى ثم إذا الاسم يضطر على بالنا بنف من غير مقدمات إلى أن تفكيرنا لا شعورياً - ولكنه مع ذلك تفكير هائى - قد وقع وأن نتيجة وبلت الشعور لهجأة .

(١) لقد أتى يونج فى تحليلاته لحالات الجنون المبكر بما أهد هذه القضية تأييداً ساطعاً . (انظر ينج

آخر من قبيل ما نبيحه في النكات وفي اللعب بالألفاظ . وصحيح أن هذه الخاصة موجودة في خيوط الفكر التي تذهب من عناصر الحلم إلى الأفكار المتوسطة ثم من هذه إلى أفكار الحلم بالمعنى الصحيح - وقد رأينا في عدد كبير من الأحلام التي حللناها أمثلة كثيرة على ذلك أثارت ولا شك عجبنا ، فما من رابطة تركت مهما كان وهنا ولا من نقطة مهما كانت ردامتها ، إذا هما أفادتنا في الوصل بين فكرتين . ولكن التفسير الصحيح لهذه الاستباحة السهلة ليس بعيداً ؛ إذ كلما ربط بين عنصرين لداعٍ مجموع أو سطحي ، فبين العنصرين أيضاً رابطة صحيحة ، أعمق غوراً ، تدفع لمقاومة الرقابة .

فالسبب الحقيقي لغلبة المستدعيات السطحية ليس التخلي عن الأفكار الغالية ، بل ضغط الرقابة . ولا تحل المستدعيات السطحية محل العميقة إلا إذا حالت الرقابة دون المسير في طرق الربط السوية . ولنا أن نتخيل على سبيل المماثلة منطقة جبلية انقطع فيها المرور انقطاعاً شاملاً - على أثر فيضان مثلاً - لسدت الطرق الرئيسية المتسعة ، ولكن الموصلات بقيت في المسالك الوعرة المنحدرة التي لا يطررها عادة سوى الصيادين .

ولنا هنا أن نفرق بين حالتين - وإن كانتا في جوهرهما حالة واحدة : في الحالة الأولى تنصب الرقابة على محض الصلة بين فكرتين لا تلي أي منهما اعتراضاً إذا أخذت منفصلة : حيثند تلج كلتا الفكرتين الشعور على التعاقب وتبقى الصلة بينهما مسترة ولكن يخطر لنا في محلها رابط سطحي ، ما كنا قط لنفكر فيه لولا ذلك ، يقوم في العادة على جزء آخر من المركب الفكري غير الذي تقوم عليه الصلة المقموعة الجوهريّة . وأما الحالة الثانية فحين تكون الفكرتان في ذاتهما موضع الرقابة نتيجة لاحتوائهما : حيثند لا تظهر أي منهما في شكلهما الحقيقي بل في صورة محرقة تحل محلها ، وتختار الفكرتان المتبدلتان بحيث تكون بينهما رابطة سطحية تمثل الصلة الجوهريّة بين الفكرتين الأصليتين . وفي كلتا هاتين الحالتين يكون ضغط الرقابة قد أدى إلى حدوث ثقل من المستدعي السوي الجلي إلى آخر سطحي غير مقبول في مظهره .

وإذ كنا نعلم بأمر هذه الثقلات ، لم تكن نتردد - حين نفسر الأحلام - في أن نستند إلى المستدعيات السطحية استنادنا إلى سواها^(١) .

(١) من الطبيعي أن هذه الإشارات تصدق أيضاً على الحالات التي تظهر فيها المستدعيات السطحية في محرى الحلم صراحة ، كما في حلم موريه المذكورين في ص ٩٤ :

(Périnage - Pelletier - Pella, kilomètre - Kilogramme - Gileto - Lobelia - Lopez - Lotto).

والتحليل النفسى للأعصاب يستخدم هاتين القضيتين أوسع الاستخدام : أن الأفكار الغائية الشعورية إذا نحت جانباً تولت أفكار غائية مسترة توجه مجرى الحواطر ، وأن المستحبات السطحية ليست إلا بدائل حلت بوساطة النقل محل أخرى مكبوتة ، أحق غوراً . بل الحق أن هاتين القضيتين قد صارتا ركنين أساسيين فى فن التحليل النفسى . فأننا حين أسأل مريضاً أن يدع جانباً كل تدبر وأن يخبرنى بما يطرأ بعد ذلك على خاطره استند استناداً راسخاً إلى ذلك القرض : أن المريض لا يستطيع أن يهجر الفكرة الغائية التى يتضمنها العلاج بما هو علاج ، وأشعرأنى محق حين أستنتج من ذلك أن كل ما يقوله لى لابد أن يكون له ارتباطه بحالته المرضية مهما بدا قوله بريئاً اعتباطياً . وهناك فكرة غائية أخرى لا يظن إليها المريض ، تلك هى الفكرة المتعاقبة بشخصى أنا . ولكن تقدير الأهمية التى لهاتين القضيتين تقديراً وافياً مع تعمق البحث فيما أمر يدخل فى شرح فن التحليل النفسى من حيث هو منهج علاجي ، فهنا أحد المواضع الفاصلة التى نتجاوز فيها موضوع تفسير الحلم وفق ما تقرر من قبل ؟ (١) .

غير أن هناك نتيجة واحدة يمكن تحصيلها من هذه الاعترافات ، وهى : أننا لسنا بحاجة إلى الفراض أن كل مستدعى يخطر أثناء عمل التفسير لا بد قد وقع من قبل خلال عمل الحلم فى الليل [انظر ٢٩٠ وص ٣٠٨] صحيح ، أننا حين نقوم بالتفسير نبتع طريقاً يعود بنا من عناصر الحلم إلى أفكار الحلم وأن عمل الحلم قد اتبع طريقاً يضرب فى اتجاه مضاد ، ولكن من المستبعد غاية الاستبعاد أن يكون أى من هذين الطريقتين قابلاً لأن يقطع فى كلا اتجاهيه على السواء . بل أغلب الظن - فيما يبدو - هو أننا ، فى خلال النهار ، نحس غيوطاً جديدة من الفكر وأنا فى أثناء ذلك نلتقى بالأفكار المتوسطة وبأفكار الحلم ، فى هذا الموضع طوراً وطوراً آخر فى ذاك . وفى وسعنا أن نرى كيف يتسنى بذلك أن تندس مادة النهار الجديد وسط طاقة الأفكار المفسرة ، والراجع أن هذه المادة

= ولقد تلمست من السبل مع المرضى المصابين ما هو نوع الذكريات التى تؤثر هذا الأسلوب فى تصويرها : إنها مناسبات قلب فيها المرء صفحات دوائر المعارف أو القواميس لكى يروى حاجه إلى جواب من أهاز الحياة الجنسية - كما يفعل معظم الناس فى من المراقبة بما تتميز به هذه السن من رغبة الاصطلاح .

(١) إن هاتين القضيتين اللتين كانتا يبدوان بهما كل البعد من الرجوع حين لينا للمرة الأولى له طبعنا منذ ذلك الحين تطبيقاً تجريبياً أيهما ، وكان ذلك على يد يوفج وتلامذته فى دراساتهم لتداعى الظنى .

تضطر كذلك أمام ازدياد الرقابة منذ الليل إلى اتخاذ دورات جديدة أشد بعداً . ولكن عدد الأفكار الجانبية التي ننسجها على هذا النحو في خلال النهار أو نوعها أمر لا قيمة له على الإطلاق من الناحية السيكلوجية ، ما دامت هذه الأفكار تقودنا دائماً إلى أفكار الحلم التي نبحث عنها .

ب

النكوص

أما وقد دفعنا الاعتراضات التي أثرت في وجهنا أو على الأقل بينا أين نجد الأسلحة التي ندافع بها عن أنفسنا، فعلينا ألا نرجئ بعد الآن البدء في مباحثنا السيكلوجية التي ظللنا نتلرع من أجلها هذا الوقت الطويل . ولنبدأ بإجمال الكشف الرئيسة التي انتهى إليها بحثنا حتى الآن : إن الأحلام أفعال نفسية لها من المعنى مثل ما لغيرها . والقوة الدافعة إليها هي في كل حالة رغبة تسعى إلى التحقيق . ونضائفا علينا من حيث هي رغبات راجع مع الكثير من خواصها ومظاهر فسادها إلى تأثير الرقابة التي يخضع لها الحلم في أثناء تكوينه . وهناك ، علنا ضرورة الإفلات من الرقابة ، عوامل أخرى تشارك في تكوينها ، هذه العوامل هي : حاجة إلى تكثيف مادتها النفسية ومراعاة لإمكانية تصويرها في صور محسوسة وحرص على أن تكون لبناء الحلم واجهة معقولة مفهومة — وإن لم يتحقق ذلك دائماً . ومن كل قضية من هذه القضايا تخرج طريق مؤدية إلى مسلمات وفروض سيكلوجية جديدة . فالعلاقة المتبادلة بين الرغبة التي هي القوة الدافعة إلى الحلم وبين الشروط الأربعة التي يخضع لها تكوين الحلم ، ثم علاقات هذه فيما بينها — كل أولئك يستلزم بحثاً . ومكان الحلم من سياق الحياة النفسية لا بد من تحديده .

ولقد بدأت هذا الفصل بأن سردت حلماً من الأحلام لكي أذكر بالمشكلات التي لا يزال علينا حلها . فهذا الحلم — عن الطفل المحترق — لم يكن بالحلم الذي يواجهنا تفسيره بصعوبة ما ، وإن كنا لم نسق تفسيره كاملاً بالمعنى الذي نفهمه . وقد أئزت إذ ذاك هذا السؤال : لماذا حلم الحالم بهذا الحلم على الإطلاق بدل أن يستيقظ ؟ وعرفنا

أن أحد دوافعه إلى ذلك كان الرغبة في تصوير ابنه كأنه ما زال حياً ، وسنعلم من مناقشاتنا الآتية [ص ٥٥٩] أن هناك رغبة أخرى كان لها أيضاً نصيبها . وعلى ذلك يكون تحقيق الرغبة هو السبب الأول الذي من أجله حولت العملية الفكرية التي وقعت في خلال النوم إلى حلم .

فلماذا تركنا تحقيق الرغبة لم يبق سوى سمة واحدة تميز بين هذين النوعين من الحدث النفسي ، ذلك أن أفكار الحلم تمكن صياغتها على هذا النحو: أرى وهجا آتياً من الحجرة المجاورة حيث يثوى الجسد ، ربما كان أن شمعة سقطت وأن ولدي يحترق . فأما الحلم فيعيد هذه الأفكار غير محرفة ولكنه يصورها في موقف حاضر بالفعل ، مدرك بالحس كما لو كان خبرة من خبرات اليقظة . وهذه هي أعم خواص فعل الحلم وأشدّها عجبا : أن تتخذ فكرة — هي دائماً فكرة أمر مرغوب فيه — شكلا موضوعياً في الحلم ، أن تصور في صورة مشهد أو أن تعاش — فيها بيئاً إلينا .

كيف إذن نطل هذه الخاصة المميزة لعمل الحلم أو — لكي نضع المسألة وضعا أكثر تواضعا — كيف نجد لها محلا في محيط العمليات النفسية ؟
إننا إذا قوبنا النظر لاحتضنا أن هناك خاصيتين تبرزان في الصورة التي اتخذها ذلك الحلم ، خاصيتين تكاد كلتاها أن تكون مستقلة عن الأخرى : الأولى أن الفكرة قد صورت في صورة موقف حاضر بالفعل مع حلف "ربما" ، والثانية هي أن الفكرة قد حلت محلها صورة مرئية وأقوال .

فأما التفسير الذي أصاب الأفكار حين وضع ما تعرب عنه من التوقع في صيغة المضارع فقد لا يبدو في هذا الحلم بالذات أمراً يلفت النظر كثيراً ، وذلك راجع لما يقوم به تحقيق الرغبة في هذا الحلم من دور ثانوي حقاً بخلاف المألوف . ولكن دعنا نأخذ حلماً آخر لا تنفصل فيه رغبة الحلم من أفكار اليقظة المتابعة في النوم ، وليكن حلم حقنة إرما مثلا [ص ١٣٤] : إن فكرة الحلم التي لقيت تصويرها هنا كانت موضوعة في صيغة التثنية : ليت أوتو كان هو المسئول عن مرض إرما ! ولكن الحكم يكبت التثنية ويستبدل به الحاضر الصريح : إن أوتو هو المسئول عن مرض إرما . وهذا . إذن هو أول تغيير يخلطه الحلم على أفكار الحلم ، حتى ولو خلا الحلم بعد ذلك من التشويه . بيد أننا لن نقف طويلا عند هذه الخاصة الأولى للأحلام . ففي وسعنا أن نقرغ من أمرها

بالإشارة إلى التخيلات الشعورية ، إلى أحلام اليقظة التى تعالج هى الأخرى محتواها على هذا النحو عينه . فسو جواريز الذى يصوره دوديه [فى " الباب "] إذ كان يمشى فى شوارع باريس متعللاً عن العمل بينما تعتقد بناته أن له عملاً وأنه لا بد جالس إلى مكتبه ، مسيو جواريز هذا كان - ولأنه كذلك - يحلم بالهبات التى ستحمل إليه حماية القوى فالوظيفة ، وكان أيضاً يحلم فى صيغة المضارع . وهكذا يستخدم الحلم صيغة المضارع مثلما تستخدمها أحلام اليقظة ويمثل حقها ؛ فالمضارع هو الصيغة التى تصور فيها الرغبات محققة .

ولكن الأحلام تختلف من أحلام اليقظة فى خاصتها الثانية ، وهى أن محتواها الفكرى يستحيل إلى صور حسية يضيف إليها المرء تصديقه ويعتقد أنه يعيشها . ويجب أن أضيف على الفور أن هذه الاستحالة من الفكرة إلى الصور الحسية لا تظهر فى جميع الأحلام ؛ فهناك أحلام تتكون من أفكار ليس غير ، دون أن نستطيع مع ذلك أن نأبى عليها حصولها على طبيعة الأحلام الجهورية. وقد كان حلم أوتو ديداسكره المرتبط بتخييل نهارى عن محادثة مع الأستاذ ن. [ص ٣١١] - كان حلماً من هذا القبيل ، فهو لم يكن يتضمن من العناصر الحسية أكثر مما كان يتضمنه تفكيرى فى محتواه أثناء النهار. وما من حلم يطول بعض الطول إلا حوى عناصر لم تنل صورة حسية كغيرها بل يقف المرء عند محض التفكير فيها أو العلم بها على نحو ما اعتدنا أن نفكر فى الأشياء أو نعملها فى حياة اليقظة . ثم إن من الواجب ألا ننسى أن مثل هذا التحويل من الأفكار إلى الصور الحسية لا يقع فى الأحلام وحدها ، بل يقع أيضاً فى الهلاوس والرؤى التى قد تظهر ظهوراً أشبه بالمستقبل فى حالة الصحة أو من حيث هى أعراض فى حالة الأعصاب النفسية . ويجمل القول هو أن العلاقة التى نحن الآن فى صدها ليست بحال من الأحوال بالعلاقة المانعة . ومع هذا يبقى من الحق أن هذه السمة من سمات الأحلام إذا حضرت كانت أبرز سماتها للملاحظة ، حتى إننا ربما عجزنا عن التفكير فى عالم الحلم بغيرها . بيد أننا إذا أردنا فهمها لم يكن بد من الخوض فى مناقشات تذهب بنا شوطاً بعيداً .

إن بين جميع الملاحظات التى قد نجدتها عند مختلف المؤلفين فى نظرية فعل الحلم ملاحظة أحب أن أبرزها متخذةً منها نقطة البدء فى بحثنا . فقد أعرب لخير العظيم (١٨٨٩) ، الجزء الثانى ، ٥٢٠) خلال مناقشة موجزة فى موضوع الحلم عن فكرة مؤاها أن مسرح

الحلم غير مسرح الحياة الفكرية المستيقظة . [انظر ص ٨٤] وما هناك من فرض آخر يمكننا من أن نقل الخصائص الفريدة التي للحياة الحاملة .

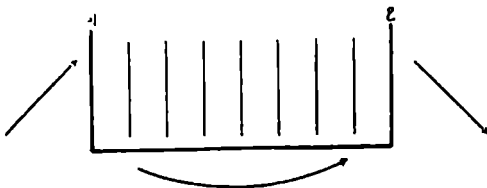
إن الفكرة التي تطالعنا من هذه الكلمات هي فكرة المثل النفسي . وهنا سنفضي النظر إطلافاً عن كون الجهاز النفسي الذي يشغلنا الآن أمره هو جهاز نعرفه كذلك في صورة مستحضر تشريحي ، وسنحرص على تجنب كل إغراء قد ينحو بنا إلى تحديد المثل النفسي على نحو تشريحي . فنحن باقون على أسس سيكولوجية ، ولنا نزع سوى متابعة الفكرة الداعية إلى أن نتصور الأداة التي تقوم بوظائفنا النفسية كما لو كانت تشبه بجهاً مركباً أو جهازاً من أجهزة التصوير الشمسي أو شيئاً من هذا القبيل . وبناء على ذلك فالمثل النفسي يعادل نقطة في داخل هذا الجهاز تظهر عندها إلى الوجود مرحلة من المراحل التمهيدية في تكوين الصورة . ونعلم أن هذه النقاط — في المظهر والمقرب — هي إلى حد نقاط مثالية ، مناطق لا يتحيز فيها أي جزء من الأجزاء المقيمة للجهاز . ولست أرى داعياً إلى الاعتذار عما يتضمنه هذا التشبيه أو أي تشبيه آخر يماثله من مواطن القصور . فما المراد بأمثال هذه التشبيهات إلا أن تعيننا فيما نحاوله من تفهم تعقدات الوظيفة النفسية بتقسيم الوظيفة النفسية وبإسناد مقوماتها المختلفة إلى أجزاء مختلفة من الجهاز . وما من أحد حتى الآن — فيما أعلم — قد حاول هذه المحاولة في تخمين يجعل تركيب العدة النفسية متبعاً مثل هذا التقسيم . ولست أرى في المحاولة ضرراً . فنحننا — فيما اعتقد — أن نطلق العنان لفروضنا ، ما دمنا نحفظ بهدوء حكمنا ولا نخلط بين الصقالة والبناء . وإذا كان كل ما نحتاج إليه لكي تقرب للمرة الأولى من شيء نجهله هو التزود ببضعة فروض موقوفة ، فإني سأؤثر في أول الأمر أغلظ الفروض وأشدها ظهوراً للبيان .

وعلى ذلك سنتصور الجهاز النفسي كما لو كان آلة مركبة نسمى مقوماتها المختلفة « جهات اختصاص »^(١) أو — زيادة في الإيضاح — « أنظمة » . ولنا بعد ذلك أن نتوقع وجود علاقة مكانية منتظمة بين هذه الأنظمة ، مثلما ترتب أنظمة العدسات المختلفة في المقرب واحدة خلف الأخرى . وإذا أردنا التحديد ، فالحقيقة هي أننا لا نحتاج إلى أن

(١) [Instans] — لفظ استخذه فرويد من قبل في ص ١٦٨ وترجمناه هناك بكلمة « نظام » توحيا للباطة ولأن اللفظين مترادفين كما هو بين هنا . ولكننا سترجيه من الآن فصاعداً بكلمة « جهة الاختصاص » أو « دائرة الاختصاص » . واللفظ في أصله مشتق من مجال المصطلحات القانونية ؛ فهو يطلق بالمثل الذي نقول فيه مثلاً : « محكمة درجة أول » [] .

نفترض بين الأنظمة النفسية ترتيباً مكانياً قائماً بالفعل، بل يكفي أن يكون الترتيب الثابت قائماً على كون التهييج في عملية نفسية ما ينتقل خلال الأنظمة المختلفة بحسب تعاقب زمني ثابت، وقد يختلف نمط التعاقب في عمليات نفسية أخرى - هذه إمكانية نريد أن نترك بابها مفتوحاً. هذا، وسنطلق من الآن فصاعداً اسم «الأنظمة ن.» [أى : النفسية] على مقومات الجهاز، طلباً للاختصار.

إن أول ما يجذب انتباهنا هو أن هذا الجهاز المكون من الأنظمة ن. حاصل على تنجاء. فكل نشاطنا النفسي يبدأ من المنبهات (داخلية كانت أم خارجية) وينتهي إلى التعصيات (١). وعلى ذلك ننسب إلى الجهاز طرفاً حسيّاً وآخر حركيّاً : عند الطرف الحسي يوجد نظام هو الذى يستقبل الإدراكات : وعند الطرف الحركى نظام آخر هو الذى يفتح الباب أمام النشاط الحركى. وتسير العمليات النفسية بوجه عام من الطرف الإدراكى إلى الطرف الحركى. وعلى ذلك يمكننا أن نضع أهم صورة تخطيطية للجهاز النفسى على هذا النحو (الشكل الأول) :

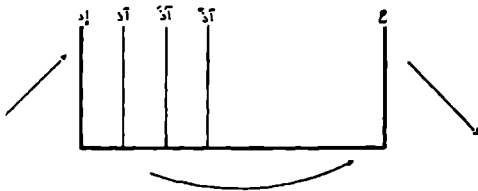


غير أن ذلك لا يبدو أن يحقق مطلباً ألفناه منذ زمن طويل، وهو : أن الجهاز النفسى يجب أن يركب على غرار جهاز انعكاسى. فاللفعل المنعكس يظل النموذج لكل نشاط نفسى.

بعثنا نجد أن لدينا سبباً يدعونا إلى أن ندخل عند الطرف الحسى تفرقة أولى.

(١) [لا يستخدم لرويد كلمة " تعصيب " (Innervation) بمعنى توزيع الأعصاب . بل بمعنى آخر يطلب منه حتى يكاد يكون مانعا ، هو : اتصال التهييج في مجموعة من الأعصاب ، وبين الأعصاب للصدة بنوع خاص ، والتعصيب هنا المعنى عملية تهدف إلى تفرع التهييج أو الطاقة] .

فالإدراكات التي تطيع جهازنا النفسى تترك فيه أثراً نستطيع أن نسميه « أثراً ذكورياً » ،
وأما الوظيفة المتعلقة به فنسميها « ذاكرة » . فإذا كنا صادق الرغبة فيها اعتزمناه من إسناد
المعاملات النفسية إلى أنظمة ، فالآثار الذكورية لا يمكن أن تقوم إلا فيما يتصور عناصر
الأنظمة من تغيرات دائمة . ولكن هناك صعوبات واضحة تنشأ — كما قد نبه إليه
البعض في مكان آخر ^(١) — إذا فرضنا أن ذات النظام يستطيع أن يحفظ تغيرات عناصره
حفظاً أميناً مع بقاءه رغم ذلك مستعداً لاستقبال مناسبات التغير المستجدة [أى أن يقوم
بوظيفتي الذاكرة والإدراك معاً] . وعلى ذلك سنعزو هاتين الوظيفتين إلى نظامين مختلفين
— وفقاً للمبدأ الذى يقود محاولتنا . سنفترض أن في صدر الجهاز نظاماً يستقبل المنبهات
الإدراكية ولكنه لا يحفظ أى أثر منها ، وهو بذلك خلو من الذاكرة ، بينما يقوم وراءه
نظام ثانٍ يحول تهييجات النظام الأول الآتية إلى آثار باقية . وبذلك تتخذ الصورة التخطيطية
لجهازنا النفسى الشكل الآتى (شكل ٢) :



ومن المعلوم أننا نحفظ من المراكات التي تطيع النظام لإد. ما يزيد على مجرد محتواها .
فإدراكاتنا يرتبط كذلك بعضها ببعض في ذاكرتنا — ارتباطاً يتم أولاً وقبل كل شيء

(١) [في هامش من الفصل الثالث النظرى الذى كتبه بروير في " دراسات في المسترها " — وهو الكتاب
الذى وضعه بالاشتراك مع فرويد (١٨٩٥) — نجد بروير يتحدث عن " الجهاز الإدراكي " فيقول : إن هذا
الجهاز " يجب أن يختلف عن النفس الذى يحفظ بالانطباعات الحسية ويستحضرها في هيئة صور ذكورية .
ذلك أن الخاصة الرئيسية لوظيفة جهاز الإدراك يقوم في رجوعه بأسرع ما يمكن إلى الوضع الموجد من قبل ،
ولولا ذلك لامتثال أن يكون هناك أى إدراك صحيح . وأما الشرط في الذاكرة فيقوم على العكس في انتفاء مثل هذا
الرجوع ، بل كل إدراك يترك تغيرات باقية . ومن المستحيل أن يبنى عضو واحد على الشرطين المتناقضين ؟
فكرة للمقارب العاكس لا يمكن أن تعمل في الوقت نفسه على الوجهة التسمية "] .

بحسب تزامنها في الوقوع . وهذا هو ما نسميه ظاهرة " التداعى " . وواضح إذن أن النظام إد . [الإدراكى] - وهو المجرد من كل ذاكرة - عاجز كذلك عن أن يحتفظ بأى آثار استدعائية ، ولو قد كان للأثر المتبقى من ارتباط سابق أن يؤثر في المدرك المستجد أى تأثير ، لبعثت العناصر المتفرقة إد . عن أداء وظيفتها عوقاً لا يحتمل . ولا بد لنا إذن من أن نفترض أن أساس التداعى يكمن في الأنظمة الذكورية . وتقوم ظاهرة التداعى تبعاً لذلك في أن التهييج ينتقل من عنصر آد .^(١) بعينه إلى عنصر آد . آخر بأسرع مما ينتقل إلى غيره نتيجة لوهن المقاومات وتعبيد طرق الربط بينهما .

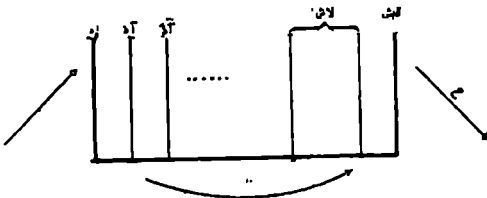
فإذا أعمنا النظر رأينا أن من الضروري ألا نفترض وجود عنصر واحد من أمثال هذه العناصر آد . بل كثرة متعددة منها ، يترك فيها التهييج الواحد المنقول إليها بوساطة العناصر إد . أنواعاً متنوعة من التسجيلات الثابتة . ويحتوى أول هذه الأنظمة آد . بالطبع على تسجيل التداعى من حيث الاتفاق الزمنى ، بينما ترتب ذات المادة المدركة في الأنظمة التالية على حسب سائر أنواع الاتفاق ، بحيث يسجل أحد هذه الأنظمة التالية علاقات في التشابه مثلاً ، وهكذا في سائر الأنظمة . ومن مضيق الوقت أن نحاول الإعراب عن الأهمية السيكلولوجية التى لمثل هذا النظام . بيد أن طابعه التمييز سوف يقوم في الدقائق الباطنة لما يكون بينه وبين عناصر المادة الذكورية الخام من العلاقات ، أى - إذا أردنا الإشارة إلى نظرية أعمق غوراً - في مدى ما يصادفه فيه التهييج القادم من هذه العناصر من درجات المقاومة المتحركة في التوصيل .

وهنا أسرد ملاحظة ذات طابع عام ، قد تكون لها متضمناتها البعيدة : إن النظام إد . - وهو المجرد من كل قدرة على حفظ التغيرات ومن كل ذاكرة تبعاً لذلك - هو الذى يمد شعورنا بكل كثرة الكيفيات الحسية وتنوعها . وأما ذكرياتنا فهى - على العكس - لا شعورية في ذاتها ، لا تستنى من ذلك أعقها انطباعاتنا . ومن الممكن جعلها شعورية ، ولكن الذى لا شك فيه هو أنها تظل قادرة على أن تحدث كل آثارها وهى في وضعها اللاشعورى . فما نسميه الطبع إنما يبنى على الآثار الذكورية لانطباعاتنا ، بل إن الانطباعات التى كان لها أكبر الأثر في نفوسنا - تلك التى تلقيناها في أول عهدنا - هى على التحديد تلك التى لا تصبح شعورية أبداً . ولكن الذكريات إذا رجعت إلى

الشعور من جديد لم تبد أى كيفية حية - اللهم إلا أن يكون ذلك بمقدار طفيف جداً بالقياس إلى الإدراكات . فلو تأيد الآن أن الذاكرة والكيف المميز للشعور يمنع كلامهما الآخرى الأنظمة . ، لكان فى ذلك ما يلقى ضوءاً يعد بالشئ الكثير مع الشروط التى تحكم تبييج العصبات^(١) .

إن الفروض التى قلناها حتى الآن فيما يتعلق بتركيب الجهاز النفسى قد أطلقت من غير التفات إلى الحلم وإلى التوضيحات السيكولوجية التى أمكننا أن نخرج بها منه . بيد أن شهادة الحلم ستكون مع ذلك مصدراً يعيننا على فهم قسم آخر من الجهاز . فقد رأينا [فى صفحة ١٦٨ وما بعدها] أننا لا نستطيع أن نلقى الضوء على تكوين الحلم إلا إذا جازفنا فافترضنا أن هناك جهتي اختصاص نفسيتين تخضع لإحدهما الأخرى لنقد يستتبع إقصاءها عن الشعور .

وقد كانت النتيجة التى انتهينا إليها هى أن الجهة المختصة بالنقد أثبتت صلة بالشعور من الجهة المتقدمة ، فهى تقف كحجاب بين الأخيرة والشعور . ثم بعد ذلك وجدنا أسباباً تدعونا إلى القول بأن الجهة الناقدة لا تختلف من تلك التى توجه حياتنا المستيقظة وقرر أعضاء الإرادية الشيورية [ص ١٨٦] . فإذا بدلنا الآن بمجته الاختصاص هذه أنظمة - على حسب فروضنا - لم يكن مفر بعد النتيجة المتقدمة من أن نضع النظام الناقد عند الطرف الحركى للجهاز . وعلى ذلك سنحل كلا النظامين فى تخطيطنا بعد أن نخلع عليهما أسماء تعرب عن علاقتهما بالشعور (شكل ٣) :



(١) لقد أدليت منذ ذلك الحين بفكرة موداها أن الشعور ينجث بالفعل بدل الأثر الذكوى . انظر مقال المنين " ملحوظة حول المفكرة السحرية " (١٩٢٥ أ) . [وقد أدل فرويد بهذه المفكرة للمرة الأولى فى " ما وراء هذا القلة " (١٩٢٠ ج)] .

إننا نسمي آخر الأنظمة من ناحية الطرف الحركي « ما قبل الشعور » [قبش .]
 للدلالة على أن العمليات الهييجية التي تقع فيه تستطيع أن تلج الشعور دون عائق ما دامت
 تتوافر شروط أخرى معينة : كأن تبلغ هذه العمليات درجة معينة من الشدة ، وأن تكون
 الوظيفة التي لا نستطيع تسميتها بغير كلمة « الانتباه » موزعة على نحو خاص [انظر ص ٥٧٩]
 إلى آخره . وهذا النظام هو الذي يملك في الوقت عينه مقاييد الحركة . وأما النظام الذي
 يقع خلفه فنسميه « اللاشعور » [لاش] ؛ لأنه لا يستطيع النفاذ إلى الشعور إلا إذا
 مر من طريق ما قبل الشعور مروراً تضطر في أثناءه عملياته الهييجية إلى الوقوع تحت
 بطانة تعديلات معينة^(١) .

ففي أي نظام من هذه الأنظمة نضع الآن الحافز إلى تكوين الحلم ؟ لنضعه - تجنباً
 لثعقيد - في النظام لاش . صحيح أننا سنعلم في خلال مناقشتنا القادمة أن هذا الوضع
 ليس دقيقاً غاية الدقة وأن عملية تكوين الحلم لا تستطيع أن تغفل من الارتباط بأفكار
 الحلم التي ترجع إلى نظام ما قبل الشعور [ص ٥٥٢] ، ولكننا سنعلم كذلك فيما بعد
 - حين نجيء إلى الحديث عن رغبة الحلم - أن القوة الدافعة إلى تكوين الأحلام مستمدة
 من اللاشعور [ص ٥٥٠] . ولأجل هذا العامل الأخير سنفترض أن النظام لاش .
 هو نقطة البدء في تكوين الحلم . وسيبقى هذا الحافز على الحلم - مثل جميع الأبنية
 الفكرية الأخرى - إلى التقدم صوب ما قبل الشعور ، ومنه إلى الظفر بمنفذ إلى الشعور ؟
 وتربنا التجربة أن هذا الطريق الذي يؤدي من خلال ما قبل الشعور إلى الشعور
 بظل في خلال النهار موصداً دون أفكار الحلم ، توصله الرقابة التي تملها المقاومة ؛ وفي أثناء
 الليل تتمكن هذه الأفكار من بلوغ الشعور ، ولكن يظهر عندئذ هذا السؤال : كيف
 نفعل ذلك وبفضل أي تعديل ؟ لو أن الذي يمكن أفكار الحلم من تحقيق هذا الغرض
 هو كون المقاومة التي تفصل الحدود بين اللاشعور وما قبل الشعور تنخفض أثناء الليل ،
 لأننا أحلام لا تختلف طبيعتها من طبيعة أفكارنا ، أحلام تخلو من الطابع الملوث الذي
 هو موضع اهتمامنا الآن .

(١) لو أردنا أن نتابع هذا الرسم التخطيطي الذي تصطب له الأنظمة متعاقبة على طول خط واحد ،
 لوجب أن نلصق حساباً لتلك الحقيقة ، وهي : أن النظام الذي يجرى عقب قبش . مباشرة هو النظام الذي يجب
 إضافة الشعور إليه ، أو - بمثابة أخرى - أن إد . = ش .

وهكذا لا يفسر انخفاض الرقابة بين النظامين قبش . ولاش . سوى الأحلام المكونة على غرار حلم « أوتوديداسكر » ، ولكنه لا يفسر أحلاماً كحلم الطفل المحترق الذى اتخذناه نقطة بدء فى مطلع مباحثنا .

إن الطريقة الوحيدة التى نستطيع أن نصف بها ما يقع فى الأحلام المألوسية هى أن نقول : إن التمييز يتحرك فى اتجاه عكسى . فهو بدل أن ينتقل صوب الطرف الحركى للجهاز يتحرك جهة الطرف الحسى وأخيراً يبلغ النظام الإدراكى . فإذا أطلقنا على الاتجاه الذى تسير فيه عملياتنا النفسية المنبئة من اللاشعور فى حياة اليقظة اسم الاتجاه التقدمى ، جاز أن نقول عن الأحلام : إنها ذات طابع لكوصى^(١) .

هذا التكويس من غير شك أحد الخصائص السيكولوجية لعملية الحلم ، ولكن يجب ألا ننسى أنه لا يقع فى الأحلام وحدها . فالتذكر المتعمد وغيره من العمليات المقيمة لتفكيرنا السوى يتضمن حركة تكوصية فى الجهاز النفسى من فعل فكرى مركب إلى مايكمن وراءه من المادة انحام للآثار الذكروية . إلا أن هذه الحركة القهقرية لا تمتد أبداً إلى ما وراء الصور الذكروية ، إنها لا تفلح فى بعث الصور الإدراكية بعثاً هلويسياً . فلماذا يختلف الأمر فى الحلم ؟ لقد اضطربنا ونحن نبحث عمل الحلم إلى أن نفترض أن درجات الشدة المتصلة بالأفكار تنقل نقلاً تاماً من فكرة إلى أخرى بواسطة عمل الحلم [ص ٣٣٩] . والراجع أن هذا التغيير الذى يخل على النهج السوى للنشاط النفسى هو الذى يتيح استئثار^(٢) النظام إد . فى الاتجاه المعكوس ، ابتداء من الأفكار إلى أكمل الوضوح الحسى .

إننى أرجو أن نكون بعيدين عن التفرير بأنفسنا بالمبالغة فى تقدير أهمية هذه المناقشات ، فاجازنا أن نخلع اسماً على الظاهرة المستقلة . فنحن نسمى تكوصاً ما يقع فى الحلم حين

(١) إننا نجد أول إشارة إلى التكويس عند ألبرت الأكبر [القرن الثالث عشر] . فهو يقول : إن القيلة تنبى الأحلام من صور الموضوعات الحسية المدخلة ، وتم هذه العملية فى اتجاه هو مكس فى البقطة (نقلاً عن دييجن ١٩١٢ ، ١٤) - ويقول هوبز فى « الويئاتان » (١٦٥١) : « وعلاصة القول أن أحلامنا هى مكس أعيننا المستقلة » فالحركة تبدأ - ونحن أيقاظ - من طرف ، وتبدأ - حين نلهم - من طرف آخر . (عن هالفيلك اليس ، ١٩١١ ، ١٠٩) .

["In sum, our dreams are the reverse of our waking imaginations, the motion, when we are awake, beginning at one end, and when we dream at another."]

(٢) [انظر ص ١٩٨ ٢٥ فى شرح هذا المصطلح] .

تتحول الفكرة من جديد إلى الصورة الحسية التي منها كان منشؤها . ولكن حتى هذه الخطوة تقتضى تبريراً : فعلام التسمية إذا كانت لا تعلمنا جديداً ؟ إلى أعتقد أن اسم « النكوص » يفيدنا بمقدار ما يفيد في ربط ظاهرة نعلمها من قبل بصورتنا التخطيطية التي جعلنا فيها للجهاز النفسى اتجاهاً . ولكن وهنا تعود علينا مثل هذه الصورة - للمرة الأولى - بما يعوضنا عن عناء رسمها ؛ لأن هناك خاصية أخرى من خصائص تكوين الحلم سوف تنجلى لنا بمجرد الرجوع إلى هذه الصورة دون مزيد من التأمل . ذلك أننا إذا اعتبرنا عملية الحلم نكوصاً في داخل جهازنا النفسى المفترض ، رأينا على الفور العلة في هذه الواقعة المثبتة بالاستقراء ، وأخفى بها : أن جميع العلاقات الفكرية القائمة بين أفكار الحلم تنضج أثناء عمل الحلم أو لا تجد العبارة عنها إلا بعد لأمر ، فإن هذه العلاقات الفكرية ليست محتواة - بحسب صورتنا التخطيطية - في الأنظمة الآ . الأولى بل في الواقعة بعلمها ، ولا بد لها عند حدوث النكوص من أن تفقد كل وسيلة للتعبير عنها باستثناء الصور الإحزائية : في حالة النكوص ينحل بناء أفكار الحلم إلى مادته انحام .

ولكن ما هو هذا التغير الذى يتيح نكوصاً لا ينسئ وقوعه في أثناء النهار ؟ إن علينا أن نتفح في هذا الباب ببعض الظنون . صحيح أن المسألة بقياً لا بد مسألة تغيرات في استئار الطاقة المنصرفة إلى الأنظمة المختلفة ، تغيرات يكون من جرائها أن تصير هذه الأنظمة أكثر أو أقل قبولاً لمرور العمليات الهييجية فيها . ولكن من الممكن في كل جهاز من هذا القبيل أن تنجم ذات النتائج المتصلة بالطريق الذى يسلكه الهييج عن أكثر من نحو من أنما مثل هذه التغيرات . وهنا تنج أفاكارنا بالطبع أول ما تنج إلى حالة النوم وإلى ما تجلبه هذه الحالة من تغيرات في الاستئار عند الطرف الحسى للجهاز : ففى أثناء النهار يوجد تيار متصل يذهب من النظام إد . متجهاً إلى الحركة ، ولكن هذا التيار ينقطع في أثناء الليل ولا يعود قادراً على عوق التيار الداهب في الاتجاه المعاكس ، وهذا هو - فيما يبدو - " الانزاعل عن العالم الخارجى " الذى رأى فيه بعض المؤلفين التعليل النظرى الواجب للخواص السيكلوجية للأحلام . غير أن من الواجب ، ونحن نعلم النكوص في الأحلام ، أن نذكر كذلك ما يقع من النكوص في الحالات المرضية المستفظة . وهنا يتركنا التعليل الذى قلناه حيارى ؛ لأن النكوص يقع في هذه الحالات على رغم التيار الحسى الضارب في الاتجاه التقدى من غير انقطاع .

إن التعليل الذى أسوقه لما يقع من الهلاوس فى المستريا والبارانويا ، ومن الرؤى عند السويين نفسياً ، هو أن هذه فى الحقيقة تكويزات ، أى أفكار تحولت إلى صور ، سوى أن الأفكار التى يصيها مثل هذا التحويل إنما هى تلك المرتبطة وثيق ارتباطاً بذكريات كبتت أو بقيت لاشعورية . مثال ذلك مريض بين أصغر مرضى المستريين ، صبي فى الثانية عشرة من عمره ، توارق نومه « وجهه يحضر ذوات عيون حمراء » . كانت تثير الروح فى نفسه . إن منبع هذه الظاهرة كان ذكرى مكبوتة - ولكنها كانت شعورية فى وقت من الأوقات - عن ولد كان مريض يراه كثيراً منذ أربع سنوات خلت ، ورأى فيه صورة تنلر بنتائج العادات السيئة عند الأطفال ، ومن بين هذه الاستثناء - وهى عادة صار مريضى الآن يؤنب نفسه عليها من بعد . وكانت أم المريض قد لاحظت أن للولد السيئ المسلك « وجهاً أحمر وعينين حمراوين » (أى تكتنفهما حالة حمراء) ومن هنا كان الشبح المروع - وهو شبح لم يكن الغرض منه سوى تذكير الطفل بنبوءة أخرى من نبوءات أمه : إن أمثال هؤلاء الأولاد يؤولون إلى البله ولا يتعلمون شيئاً من المدرسة ثم يموتون صغاراً . ولقد حقق مريضنا الصغير جزءاً من هذه النبوءة ، فلم يكن يبدى تقدماً فى المدرسة ، وظل فى خشية من أن يتحقق الجزء الباقى - على ما تبين من خواطره اللاإرادية . وأضيف أن علاجه قد أدى بعد زمن قصير إلى تمكينه من النوم واختفاء قلقه العصبي وفوزه بمجازاة على تفوقه فى ختام العام الدراسى .

وأستطيع أن أورد فى هذا الصدد الحل الذى اتضح لرؤيا قصتها على مريضة هسترية فى الأربعين قائلة : إن هذه الرؤيا ترجع إلى أيام ما قبل مرضها . ذلك أنها فتحت عينها ذات صباح فرائت أخاها فى الغرفة مع أنه فى الحقيقة كان يقيم فى المارستان - على ما تعلم - وكان ابنها الصغير راقداً إلى جوارها فى السرير . فلكى تجنب الولد الاقتراب والتشجيع عند رأى خاله ، سحبت الملاءة على وجهه ، وعندئذ اختفى الشبح . إن هذه الرؤيا كانت نسخة معرفة لإحدى ذكريات السيدة عن طفولتها ، وكانت هذه الذكرى على التأكيد شعورية ، بيد أنها كانت وثيقة الارتباط بكل المادة اللاشعورية . فقد أخبرتها مرضعتها يوماً أن أمها التى ماتت وهى صغيرة جداً ، لم تبلغ من العمر اثني عشر شهراً ، قد عانت لتشنجات صرعية أو هسترية كانت ترجع إلى الاقتراب الذى أثاره فى نفسها أخوها (محال مريضى) حين ظهر لها متقنماً فى هيئة شبح بملاءة فوق رأسه .

وهكذا نرى أن الرؤيا قد احتوت ذات العناصر المحتواة في الذكرى : ظهور الأخ ، الملامة ، الارتياح وعواقبه . غير أن العناصر قد رتبت في سياق مختلف وحولت إلى أشخاص آخرين . وقد كان الدافع الواضح للرؤيا - أو للأفكار التي حملت هذه الرؤيا عملها - هو خشيتها من أن يسير الولد في أعقاب خاله ؛ فقد كان الشبه الجسدى بينهما كبيراً .

إن كلا المثالين اللذين أوردتهما لا يخلو كل الحلو من بعض الصلة بمحالة النوم . وهما لهذا السبب قد لا يكونان صالحين كل الصلاحية لما أردت إثباته بهما . ولقد أحيل القارئ إلى تحليل امرأة كانت تعاني بارانويا هلوسية ^(١) وكذلك إلى المكتشفات التي أودعتها دراسات لم تنشر بعد في سيكولوجية الأعصاب النفسية لكي يجد فيها الشاهد على أننا في مثل هذه الأمثلة على التحول النكوصي للأفكار لا ينبغي أن ننسى الطرف عن الذكرى العطفية في معظم الأحيان والتي أصابها القمع أو بقيت لاشعورية . فهذه الذكرى - إن جاز التعبير - تجلب معها إلى النكوص الأفكار المرتبطة بها والتي تدخل الرقابة دون الإعراب عنها ، باعتبار أن النكوص هو هذه الصورة من صور التمثيل التي يتحقق فيها الحضور النفسى لهذه الذكرى ذاتها . وبحق لى ههنا أن أذكر بأن إحدى النتائج التي كشفت عنها الـ "دراسات عن المستريا" [بروير وفرويد ، ١٨٩٥] كانت : أن المشاهد الطفلية (ذكريات كانت أو تخيلات) إذا أمكن استحضارها إلى الشعور ظهرت في صورة هلاوس ، ولم تفقد ههنا الطابع إلا عند الرواية . كما أن من الأمور المألوفة أن أقدم ذكريات الطفولة تبقى محتفظة بوضوحها الجسدى إلى سن متقدمة في العمر ، حتى عند أولئك الأشخاص الذين لا يمتازون عادة بذاكرة بصرية .

فإذا تذكرنا الآن أى نصيب في أفكار الحلم تقوم به خبرات الطفولة أو التخيلات القائمة عليها ، كيف يكثر أن تتبع في الحلم من جديد أجزاء من هذه الخبرات وكيف يكثر أن تكون رغبات الحلم ذاتها مستمدة منها ، إذا تذكرنا هذا كله لم نستطع أن نستبعد رجوع الاحتمال الآتى بالنسبة إلى الأحلام كذلك : أن تحول الأفكار إلى صور بصرية ربما كان راجعاً إلى الجلب الذي تزاوله الذكريات المتمثلة تمثلاً بصرياً والظامنة إلى الانبعاث بإزاء الأفكار المنقطعة عن الشعور والجاهدة من أجل الإفصاح عن نفسها ؟

(١) " ملاحظات أخرى حول الأعصاب النفسية الدفاعية " . (فرويد ١٨٩٦ ب) .

وإذا كان الأمر كذلك أمكن أن نصف الحلم بقولنا : إنه يدل على مشهد طفلي عدل بتحويله إلى خبرة حديثة . فالمشهد الطفلي عاجز عن أن يبعث نفسه بنفسه ، فلا بد له من أن يقنع بالعودة في هيئة حلم .

إن بيان ما للمشاهد الطفلية (أو لاستعادتها في صورة تخیيلات) من قيمة المخاض يحتلها محتوى الحلم - يغنى عن الحاجة إلى أحد الفروض التي تقدم بها شرر وتابعوه فيا يتعلق بالمصادر الباطنية للتنبيه . ذلك أن شرر يفترض أن الأحلام إذا طالعنا بعناصر بصرية ممتازة في شلتها الحسية أو في ثرائها كان ذلك دليلاً على وجود حالة من « التنبيه البصري » ، أى من التنبيه الباطنى لعضو الإبصار . وليس هناك ما يدعونا إلى منازعة هذا الفرض ، ولكن يكفينا نحن أن نفترض أن هذه الحالة التهييجية لا تتناول سوى النظام الإدراكي النفسى لعضو الإبصار ، مع توكيدنا أن الذى أثار هذه الحالة التهييجية هو إحدى الذكريات ، أى أن هذه الحالة بعث جديد تهيج كان في يوم من الأيام حاضراً مباشراً . ولست أستطيع أن أستقي من خبرتي الشخصية مثالا قوياً على ذكرى طفلية كان لها مثل التأثير ، فأحلامي تقل في العادة ، من حيث ثرائها بالعناصر الحسية ، عما أراى مسوقاً إلى افراضه عند الآخرين . غير أنني استطعت في حلم كان أوضح ما عرفت في السنوات الأخيرة وأجمله أن أتأثر الوضوح الهلوسى لمحتوى الحلم إلى الكيفيات الحسية التي خلفها انطباعات حديثة لم تسبق الحلم بزمان طويل . فقد ذكرت في صفحة ٤٦١ حلاً تركت فيه زرق الماء الداكنة مع لون اللخان الأحمر المتصاعد من مداحن السفينة ثم البنى الداكن والأحمر في الأبنية المراتية لعنى أثراً عميقاً في نفسى . فإن يكن من حلم ينبغى تتبعه إلى منه بصرى ، فهو هذا الحلم . فإلى أوجد عضو الإبصار عندى في هذه الحالة من التنبيه ؟ إنه انطباع حديث ارتبط بعدد من انطباعات أخرى سابقة . فالألوان التي رأيتها كانت أولاً لمكعبات مما يلعب به الأطفال ، شيد منها أولادى - في اليوم السابق على الحلم - بناء فحماً ليرأو عنى المعجبة لياه : كان للقوالب الكبيرة ذات اللون الأحمر الداكن وللصغيرة ذات الأزرق والبنى . وارتبط كل أولئك بانطباعات لونية خلفها رحلاتي الأخيرة إلى إيطاليا : الأزرق الجميل الممتد على الإيسونتسو والبحيرات ولون هضبة الكارسو البنى . ولم يكن جمال الألوان في الحلم إلا تكراراً لما رأيته في ذاكرتى .

للتجمل الآن ما عرفناه عن هذه الخاصة من خواص الحلم ، وأعنى بها نزوعه إلى

أن يصب محتواه الفكرى فى صورة حية : إننا لم نعلل هذه السمة من سمات عمل الحلم ، لم نردها إلى قانون سيكولوجى معلوم ، بل الأصدق أننا التفتنا إذ بدا لنا أنها تولى إلى علاقات مجعولة ثم خصصناها باسم الطابع « النكوصى » . وقلنا أن من الراجح غاية الرجحان أن هذا النكوص حثيثاً وقع كان نتيجة لمقاومة تحول دون تقدم الفكرة إلى الشعور وفق الطريق السوى ونتيجة لجلد تمارسه لإزائها فى الوقت نفسه ذكريات حاضرة ، ذات قوة حية كبيرة ^(١) . وربما كان مما يسهل النكوص فى حالة الحلم انقطاع التيار التقدي الذى ينال فى أثناء النهار من أعضاء الحواس ، وغياب هذا العامل المساعد فى صور النكوص الأخرى لا بد تعرض عنه زيادة فى شدة سائر دوافع النكوص . كذلك لا ننسى أن نلاحظ أن عملية تحويل الطاقة فى هذه الحالات المرضية من النكوص كما فى الأحلام لا بد تختلف منها فى النكوصات السوية ؛ إذ هى - فى الحالات الأولى - تتيح استثمار الأنظمة الإدراكية استثماراً هلوسياً كاملاً . فاما ما وضعناه - ونحن نحلل عمل الحلم - تحت عنوان " اعتبار قابلية التصوير " فقد يجوز الربط بينه وبين ما تناوله المشاهد المتذكرة تذكراً بصرياً والتي قد لمسها أفكار الحلم من الجلبب الانطوائى . هذا ، ونلاحظ بعد ذلك أن للنكوص فى نظرية تكوين الأعراض العصابية نصيباً لا يقل أهمية عنه فى نظرية الحلم . ونحن نفرق بين ثلاثة أنواع من النكوص : أ) النكوص الطوبوغرافى بالمعنى الذى يفهم من الصورة التخطيطية التى بينها فى هذه الصفحات ، ب) النكوص الزمنى من حيث أن الأمر يتعلق برجوع إلى أبنية سيكولوجية أقدم عهداً ، ج) النكوص الشكلى ، حين تحل أساليب بدائية من التعبير والتصوير محل الأساليب المألوفة . غير أن هذه الأنواع الثلاثة من النكوص واحدة فى صميمها وهى تقع مجتمعة فى الغالبية الغالبة من الحالات ؛ فالأقدم فى الزمن هو فى الوقت عينه البدائى فى شكله وهو الأقرب إلى الطرف الإدراكى من حيث الطوبوغرافية النفسية .

وما كنا نستطيع أن نترك موضوع النكوص فى الأحلام دون أن نرب بكملة عن فكرة أثارت دهشنا مراراً من قبل وسوف تعود إلينا مقواة بقوة جديدة بعد أن نتغلغل فى دراسة الأعصاب النفسية بعض التغلغل : إن فعل الحلم فى جملة مثال على نكوص يعود فيه

(١) إن شرح نظرية الكبت يقتضى أن نبين أن الكبت يصحب الفكرة لما يجمع من تأثير عاملين لها : فهو تلغى من ناحية (من قاعة قهش .) وتجلب من أخرى (من لاش .) هل نحرماً يقع حين يمان الناس حل صعيد الحرم الأكبر . انظر مقال من " الكبت " (مرويه ١٩١٥ د) .

الحلم إلى أقدم أوضاعه ، بحث جديد لطفولته ، للدفعات التي كانت تسيطر على هذه الطفولة ولوسائل التعبير التي كانت إذ ذاك في متناوله . ومن وراء هذه الطفولة الفردية وعد يدنا بنظرة إلى طفولة النوع ، إلى تطور الجنس البشرى الذى لا يخرج تطور الفرد في الحقيقة عن أن يكون ترجيعه المختصر المتأثر بملابس حياته العارضة . وفى وسعنا الآن أن نرى كم أصاب نيتشه فى قوله : إن فى الحلم « بقية من الإنسانية الأولى لما تُمِت وما عدنا اليوم نملك بلوغها من طريق مباشر » . ولنا أن نتوقع أن يقودنا تحليل الأحلام إلى معرفة التراث الأول للإنسان ، بما هو مفطور عليه من الوجهة النفسية ، فالأحلام والأعصاب — فيما يبدو — قد أبقت على مخلفات نفسية قديمة تفوق ما كنا نستطيع تقديره ، بحيث يحى التحليل النفسى أن يطلب لنفسه مكانة عالية بين العلوم التى تشغل بتكوين صورة عن أقدم الفترات التى مر بها الجنس البشرى فى بدايته وأكثرها غموضاً .

إن لمن المحتمل أن هذا الشطر الأول من دراستنا السيكولوجية للحلم سوف يتركنا ونحن نستعشر شيئاً من عدم الرضا . غير أننا نستطيع أن نعزى أنفسنا فتذكر أننا قد اضطررنا إلى أن نبني طريقنا فى الظلام . وإذا لم تكن على خطأ مطلق ، فلا شك فى أننا منهون يوماً من جهات نظر أخرى إلى منطقة أشبه بالتي نحن فيها ، وحيث قد لا نرانا دخلاء عليها .

ج

تحقيق الرغبة

إن حلم الطفل المحترق الذى أوردناه فى مطلع هذا الفصل يهين لنا فرصة نرحب بها لبحث الصعوبات التى تواجه نظرية تحقيق الرغبة . فلا شك فى أننا جميعاً قد دهشنا إذ سمعنا أن الحلم لا يخرج عن أن يكون تحقيق رغبة ، ودهشنا بدعشة ليس مأتاها الأوحاد ما تحمله أحلام الهيلة من نقد صريح لهذا رأى . فنحن بعد أن كشف لنا التحليل للمرة الأولى أن وراء الحلم معنى وقيمة نفسية مجاين لم تكن نتوقع بحال من الأحوال أن يحدد هذا المعنى على هذا النحو المطلق التنظيم . فالحلم على حسب تعريف صادق لإرسطو

— وإن كان تعريفاً لا يقول كثيراً — هو فكر المرء النائم بما هو نائم . فإذا كان فكرنا النهارى يولد أفعالا نفسية تنوع هذا النوع كله : حكم واستدلال وإنكار وتوقع وقصد ، إلى آخره ، فلم يضطر فى الليل إلى الاقتصاد على أن يولد رغبات ليس غير ؟ أليست هناك على العكس أحلام متعددة تربينا أفعالا نفسية مختلفة النوع — كالقلق مثلاً — وقد صيغت فى هيئة الحلم ؟ وألم يكن الحلم الذى صدر به هذا الفصل — وهو حلم ندر مثله شغافية — لم يكن هذا الحلم على التحديد من ذلك القبيل ؟ فعندما سقط برين الضوء على عيني الأب النائمين استتج الأب وهو فى قلقه أن شمعة انقلبت وقد تكون أشعلت الجلة ، ثم كان أن أحال الرجل هذه النتيجة إلى حلم بأن ألبسها ثوب الموقف الحسى وصيغة المضارع . فما دور تحقيق الرغبة هنا ؟ ثم أليس من المحال ألا نرى فى هذا الحلم غلبة الفكرة المتابعة من البقطة أو المنبهة بفعل انطباع حسى جديد ؟

كل هذا صحيح . ولأنه ليحملنا على أن نتمتع نصيب تحقيق الرغبة فى الحلم ومدى الأهمية التى لأفكار البقطة المتابعة فى أثناء النوم .

لقد حدانا تحقيق الرغبة هذا من قبل إلى أن نقسم الأحلام قسمين : فقد رأينا أحلاماً يظهر منها صراحة أنها تحقق رغبات ، ورأينا أخرى ينحى فيها تحقيق الرغبة ويقنع بكل الوسائل الممكنة فى كثير من الأحيان . وفى هذه الطبقة الأخيرة عرفنا فعل رقابة الحلم . وأما أحلام الرغبة غير المشوذة فقد رأيناها عند الأطفال فى المهل الأول ، وإن كنا قد رأينا كذلك أحلاماً قصيرة بدا — وأقول : بدا أنها تقع عند الراشدين .

وهنا كان يسعنا أن نسأل : من أين تنشأ هذه الرغبات التى تصير فى الحلم حقائق ؟ ولكننا نسأل أولاً : فى أى تضاد أو فى أى كثرة من الحدود نفكر حين نقول : « من أين » هذه ؟ نفكر — على ما أظن — فى التضاد القائم بين حياة النهار المدركة إدراكاً شعورياً ونشاط نفسى بنى لاشعورياً ولا نستطيع أن نعلم به إلا لبلا . وإلى أن مأتى الرغبة أحد ثلاث :

١ — فلعلها أثيرت فى النهار ولم تلق إشباعاً لعلل خارجية ، وفى هذه الحالة يكون النهار قد خلف لليل رغبة معترفاً بها غير مفروغ منها . ٢ — ولعلها أثيرت فى النهار ولكنها نبلت ، والمتخلف فى هذه الحالة رغبة غير مفروغ منها ولكنها مقموعة ،

٣- ولقد تكون منقطعة الصلة بحياة النهار ، منتعية إلى تلك الرغبات التي لا تختلج في نفوسنا إلا ليلا ، منبئة من الجزء المقصوع . فإذا عدنا إلى صورتنا التخطيطية للجهاز النفسى ، وضعنا رغبات النوع الأول في النظام قبش . ، وأما تلك التي من النوع الثانى فنقدر أنها قد ردت من النظام قبش . إلى لاش . ، حيث تبقى - إذا بقيت - ، وأما الاندفاعات الراغبة التي من النوع الثالث فنعتقد أنها عاجزة كل العجز عن أن تتخطى النظام لاش . وسؤالنا الآن هو : هل تملك الرغبة المنبئة من هذه المصادر المختلفة قيمة متساوية بالنسبة إلى الحلم ، قدرة متساوية على إثارةه ؟

إن نظرة طائرة على الأحلام التي نراها في متناولنا ونحن نبتغي الإجابة على هذا السؤال - تذكرنا - أولا - بأن علينا أن نصيف مصدراً رابعاً لرغبات الحلم ، والذي أعنيه هو هذه الدفوعات الراغبة التي تنشأ في خلال الليل . (كتلك التي ينهبها العطش أو الحاجة الجنسية) . وسيكون من رأينا - بعد ذلك - أن منشأ رغبة الحلم لا يغير في الراجح شيئاً من قدرتها على استارة الحلم . فنحن نذكر الحلم الذي جاء الفتاة الصغيرة ليطيل رحلة على البحيرة قطعت في خلال النهار ونذكر سائر أحلام الأطفال المذكورة معه [في ص ١٥٣ وما بعدها] . كل هذه أحلام تفسر برغبات من اليوم السابق لم تتحقق ولكنها لم تقمع . فأما الرغبات التي لا تقمع نهائياً ثم تشق طريقها إلى الحلم ليلا ، فالأمثلة عليها ليس أكثر منها . وألحق بها مثالا بلغ الغاية في خلوه من التعقيد : سيدة نزاعة بعض الشيء إلى التهمك بالناس ، تزوجت صديقتها التي تصغرها وظلت هى طيلة النهار تجيب عن سؤال المعارف لإياها هل تعرف الخطيب وما رأيها فيه ، مقتصرة في إجاباتها على ثناء أخبرت به رأيها ، فقد كانت تود لو قالت الحقيقة : إنه ممن تقابل أمثالهم بالعشرات . وفي الليل حلمت السيدة حلماً رأت فيه أنها تسأل هذا السؤال عينه وأنها تجيب عنه بالصيغة المعروفة : عند الطلبات يكفى ذكر الرلم . وأخيراً ، فقد علمنا من تحليلات متعددة أن جميع الأحلام التي يصيبها التشويه هى أحلام تنشأ فيها الرغبة من اللاشعور وكان محالاً إدراكها بالنهار . وهكذا يبدو أن لكل الرغبات قيمة متساوية وقوة متساوية بالنسبة إلى تكوين الحلم .

لأنى لا أملك هنا أى برهان على أن الحقيقة مع هذا على خلاف ذلك ، بيد أنهى [أنزع نزوعاً قوياً إلى القول بخضوع رغبة الحلم لاحتية أكثر صرامة . صحيح أن أحلام

الأطفال تثبت بما لا شك بعده أن رغبة لم يفرغ منها في أثناء النهار قد تسمى الحافظ إلى الحلم . ولكن لا ننسى أن هذه رغبة طفل ، اندفاع راغب له القوة التي له عند الأطفال بخاصة . وأشك في أن تكون لرغبة لم تتحقق في أثناء النهار عند الراشد قوة تكفي في أن تحدث حلماً ، بل يبدو لي على العكس أننا كلما تعلمنا كيف نسيطر على حياتنا الغريزية بوساطة نشاطنا الفكرى زهدنا في أن نكون لأنفسنا الرغبات المشتدة التي يعرفها الطفل ، أو زهدنا في الإبقاء عليها ، معتبرين إياها شيئاً لا غناء فيه . ولقد تكون ثمة فروق فردية في هذا الباب ، فيستبقى البعض نمطاً طفلياً من العمليات النفسية أطول مما يستبقيه البعض الآخر — كما أن هناك فروقاً مماثلة في مدى ضعف الهيلة البصرية الشديدة الموضح في الأصل . ولكنى أعتقد بوجه عام أن رغبة تركها النهار عند الراشد دون أن تتحقق لا تكفى أن تحدث حلماً . نعم إلى أسلم طوعية بأن اندفاعاً راغباً نشأ عن الشعور قد تكون له مشاركته في استارة الحلم ، ولكن تلك على الأرجح طاقته . وما كان الحلم ليكون لولا أن الرغبة قبل الشعور عرفت كيف تستمد معزراً من جهة أخرى .

من اللاشعور ، على التحقيق . وأنا — إذن — ألتصور أن الرغبة الشعورية لا تصير حافزاً حليماً إلا إذا نجحت في إيقاف رغبة لاشعورية تمثلها بعض المائلة وفي كسب تعزيزها . وهذه الرغبات اللاشعورية أراها — استناداً إلى الدلائل المستمدة من التحليل النفسى للأعصاب — دائمة التوثر ، متأهبة في كل وقت لأن تشق طريقها إلى التعبير إذا هأت لها الفرصة أن تتحالف مع اندفاع آت من الشعور وأن تحول شدتها هي العظيمة إلى الشدة الضئيلة لهذا الأخير^(١) . وحيث تبدو الأمور كأنما الرغبة الشعورية هي المتحققة وحدها في الحلم — لولا بدوة صغيرة في سبيل الحلم تهدينا إلى أثر الحليف القوى الواصل من اللاشعور . غير أن هذه الرغبات المائلة في لاشعورنا متوثبة أبداً — وإن جاز التعبير : خالدة — وإلى تذكر المرء بطيطان الأساطير وقد رزحوا تحت الركام الضخم

(١) وهي تشترك في طابع الالتهم هذا مع جميع الأنماط النفسية الأخرى اللاشعورية حقيقة أي المتسمة إلى النظام لاشعوري . وحده . لهذه طرق ضربت ولا رغبة في أمرها ، طرق لا يظل استعمالها أبداً وتظل دائماً ، كلما عاد تهيح لاشعوري إلى استعمالها ، على استعداد لتوصيل العملية النفسية إلى التصريح . وإذا جاز أن نستعمل تشبيهاً قلنا : إنها لا تقبل الفناء إلا كما تقبل أشباح العالم السفلى في الأبدية ، تلك الأشباح التي لا تلبث أن تبحث إلى حياة جديدة حين تلع الدم . وأما العمليات التي تتوقف على النظام قبل الشعور فتقبل الحلم بمعنى مختلف كل الاختلاف . وعلى هذه الطريقة يحذف كل العلاج النفسي للأعصاب . [النظر من ٥٦٦] .

من الجبال التي رماهم بها الآفة المنتصرون والتي لا تزال ترتج بين الحين والحين كلما ارتجفت أطرافهم ، أقول : بيد أن هذه الرغبات الراضحة تحت وطأة الكبت هي ذاتها رغبات طفلية المنشأ كما نعلم بالبحث السيكلوجي للأعصبة . ولهذا أقترح أن نترك جانباً ما قلناه منذ هنية من أن منشأ رغبة الحلم شيء يستوى أمره ، نستبدل به قولاً آخر ، هو : كل رغبة تصور في الحلم لا بد ورغبة طفلية : وننشأ هذه الرغبة من اللاشعور عند الراشدين ، وأما عند الأطفال — حيث لا نرى بعد قسمة أو رقابة بين الشعور واللاشعور أو حيث تكون هذه القسمة آخذة في النشوء على التدريج وحسب — فهي رغبة غير محققة وغير مكبوتة ، صادرة عن حياة البقطة . وأعلم أن هذا الرأي لا يمكن إثبات صدقه صدقاً شاملاً ، لكننا نستطيع أن نثبت صدمة كثيراً ، بل أن نثبت حيث لم نكن نتوقعه ، ثم إن من المحال نقضه نقضاً شاملاً ،

ومكذراً أرد الاندفاعات الراغبة المتخلفة من حياة البقطة إلى مرتبة ثانية من حيث خطرهما في تكرين الحلم . ولست أستطيع أن أسلم لها بنصيب آخر غير الذي أسلم به — مثلاً — مادة الإحساسات التي تحضر وتنشط في أثناء النوم (أنظر ص ٢٤٦ — ٢٤٧) وسأنبع المحيط الذي ترسمه لي هذه الفكرة حين أستدبر الآن إلى النظر في حوافز الحلم النفسية الأخرى التي تخلفها حياة البقطة والتي ليست برغبات . فأقول : إننا قد نفلح حين نعتزم النوم في أن نضع حداً مؤقتاً لاستثمار الطاقة المنصرفة إلى أفكارنا المستيقظة ، وكل من استطاع ذلك في يسر فهو رجل يجيد النوم ، ويبدو أن نابليون الأول كان المثل الأعلى لهذه الطبقة . بيد أننا لا ننجح في ذلك دائماً ولا ننجح دائماً كل النجاح . فالمشكلات غير المحلولة والمشاكل المعقدة والانطباعات الطاغية ، كل هذه تمد النشاط الفكري إلى ما بعد النوم مبقية على العمليات النفسية في النظام الذي سميناه ما قبل الشعور . فإذا أردنا أن نصف هذه التهييجات الفكرية المستمرة في خلال النوم ، جازت قسمتها الأقسام الآتية : ١ — تلك التي لم تنته بها إلى نتيجة في خلال النهار لعائق عرضي من العوائق ، ٢ — تلك التي لم تفرغ منها لقصور قوتنا العقلية ، أي المشكلات التي لم تحل ، ٣ — ما نبذ وقع في أثناء النهار . ويجب أن نضيف إلى ما سبق : ٤ — فئة قوية تتكون من تلك التي هييجا في لاشعورنا نهاراً نشاط ما قبل الشعور ، ثم أخيراً ٥ — فئة الانطباعات النهارية التي لم يكن لها وزن ولهذا بقيت بدون الفراغ منها .

ولا حاجة بنا إلى التهورين من أهمية الشدات النفسية التي تدخلها على حالة النوم هذه البقايا النهارية ، وبخاصة تلك التي تندرج في طائفة المشكلات غير المحلولة . فمن المستيقن أن هذه التهيجات تداوم الكفاح من أجل الإفصاح عن نفسها في خلال الليل ، ولنا أن نفترض بمثل هذا اليقين أن حالة النوم تحول دون مواصلة العمليات التهيجية إلى ما قبل الشعور كما هو الشأن عادة ، وتحول دون صيرورتها شعورية ومن ثم دون انتهائها إلى خاتمة . وحين يكون في استطاعة عملياتنا الفكرية أن تصير في أثناء الليل عمليات شعورية على النحو المألوف فهذا يعنى أننا لسنا نياماً - لا أكثر ولا أقل ، ولست أستطيع أن أقول أى تغيير تدخله حالة النوم على النظام ، قبش^(١) ولكن لا مجال للشك في أن الخصائص السيكلوجية للنوم ينبغي التماسها قبل كل شيء في التغييرات التي تصيب استئثار هذا النظام بالذات - وهو النظام المسيطر كذلك على المرور إلى القدرة الحركية المشلولة في أثناء النوم . وعلى العكس من ذلك ، لا أرى سيكلوجية الحلم تمدنا بأقل سبب لكي نفرض أن النوم يحدث في الوضع السائد في النظام لاش . سوى تغيير ثانوي . ونتيجة ذلك هي أن التهيج الذي يقع ليلاً في قبش لا يبقى أمامه أى طريق آخر سوى هذا الذي تسلكه التهيجات الراغبة المنبثقة من لاش . فهو مضطر إلى أن يلتمس التعزيز من لاش . وأن يصحب التهيجات اللاشعورية في دوراتها . ولكن ما هي العلاقة بين بقايا النهار قبل الشعورية والحلم ؟ إنه لا شك في أن عدداً وثيراً من هذه البقايا يشق طريقه إلى الحلم وأنها تستغل محتوى الحلم لكي تنفذ إلى الشعور حتى في زمن الليل . لا بل هي قد تسيطر على محتوى الحلم من حين إلى حين وتحمله على مواصلة نشاط النهار . ومن الثابت كذلك أن بقايا النهار قد يكون لها أى طابع آخر سوى الرغبة - ولكن ههنا يغدو من أفيد الأمور ، ثم هو أمر له قيمته الحاسمة بالنسبة إلى نظرية تحقيق الرغبة ، أن نلاحظ الشرط الذي يجب أن تخضع له بقايا النهار لكي يتسنى قبولها في الحلم .

دعنا نأخذ أحد الأحلام التي ذكرتها من قبل ، وليكن - مثلاً - الحلم الذي ظهر فيه صديقي أوتو وهو يحمل أعراض مرض بازدوف [ص ٢٨٤] . لقد كنت شغلت في

(١) لقد حاولت أن أتسق فهم الوضع السائد أثناء النوم وفهم الشروط الضرورية لظهور الملايين وذلك في مقال عنوانه : " ملحق مناسيكولوجي لنظرية الأحلام " (فرود ١٩١٧ د) .
تفسير الأحلام

اليوم السابق لمظهر صديقي أوتو وحركتي هذا القلق تحريكاً عميقاً ، شأن كل ما يحس هذا الشخص . ويحتمل أن أفترض أن هذا القلق لم يتركني في أثناء النوم . ولعل كنت أريد أن أعرف ماكنه علة أوتو . واستطاع هذا القلق أن يعرب عن نفسه ليلاً في الحلم الذي رويته والذي كان معناه مجافياً للمعقول - أولاً - وخالياً من كل وجه من أوجه تحقيق الرغبة - ثانياً . وعندئذ أخذت أستقصي مبعث هذا التعبير غير الموفق عن القلق الذي استشعرته أثناء النهار فعدت بوساطة التحليل على صلة : فقد كنت عينت أوتو يبارون يدعى ل . وعينتني أنا بالأستاذ ر . فأما السبب في كوني اخترت هذا البديل ، لأفكارى النهارية دون سواء فلم يكن له إلا تفسير واحد : فلا بد أنى كنت في اللاشعور على أهبة دائمة لأن أعينى بالأستاذ ر . فهذا التعيين تتحقق رغبة من طفولتي لا تموت ، هي الرغبة المحبونة في العظمة . وكانت هناك أفكار كريمة ، معادية لصديقي ، ماكانت لتلقى في النهار غير النبذ ، فانتهزت الفرصة لتدلف مع الرغبة فصور معها ، ولكن القلق المتخلف من النهار قد وجد كذلك ضرباً من التعبير عنه بوساطة بديل في محتوى الحلم . فالفكرة النهارية التي لم تكن في ذاتها رغبة ، بل كانت على العكس قلقاً ، قد اضطرت إلى أن تبحث عن صلة تصلها على نحو من الأنحاء برغبة طفلية ، هي اليوم لاشعورية مقسومة ، وعندئذ مكنتها هذه الرغبة من أن « تولد » في الشعور - وإن كان ذلك بعد أن ألبستها الزي الذي ينبغي . وعلى قدر استحكام القلق جاز أن تكون الصلة بعيدة متكلفة ، كما أنه لم تكن هناك أى حاجة إلى رباط يربط بين محتوى الرغبة ومحتوى القلق ولا قام مثل هذا الرباط في مثالنا .

وربما أفادنا أن نعالج هذه المسألة حينها في صورة جديدة^(١) ، أن ننظر كيف يسلك الحلم حين تواجهه أفكار الحلم بمادة بعيدة غاية البعد عن أن تكون تحقيق رغبة ، بل هي عكس ذلك على خط مستقيم ، مثل القلق الذي له ما يبرره ، والتأملات الممضة ، والمعارف الأيمية بالخفاقي . إن الاحتمالات المتعددة يمكن تقسيمها عندئذ قسمين : (أ) فقد يفلح عمل الحلم في أن يستبدل بالأفكار الأيمية أخرى تخالفها وفي أن يكبت الحالات الوجدانية الأيمية المرتبطة بهاته الأفكار ، وتكون النتيجة في هذه الحالة حلم إشباع صريح ، « تحقيق رغبة » ملموس ، لا يبدو لنا مجال للكلام بعده ، وقد (ب)

(١) [هذه الفقرة قد أصبحت مع الفقرتين التاليين عام ١٩١٩] .

تشق الأفكار الأهمية طريقها إلى محتوى الحلم الظاهر معدلة تعديلاً يزيد أو ينقص ، ولكنه يترك معرفتها ميسورة كل اليسر . وتلك هي الحالة التي تثير الشك في صحة نظرية الرغبة وتتطلب المزيد من الاستقصاء . ومثل هذه الأحلام ذات المحتوى الأليم قد يجبرها الحلم خبرة تخلو من اللذة والألم على السواء . أو تصطبغ بكل الشعور الأليم الذي يبدو أن محتواها الفكرى يبرره ، ولقد تؤدي إلى تمخض الهيلة وإلى الاستيقاظ .

إن التحليل يستطيع أن يبرهن على أن هذه الأحلام غير اللاذعة هي أيضاً تحقيق رغبة لا تقل في ذلك عن غيرها . فهناك دائماً رغبة لاشعورية مكبوتة ، لا يمكن أن يحس الأنا تحقيقها إلا كما يحس شيئاً أليماً ، هذه الرغبة قد انتهزت الفرصة التي أتاحها لها استمرار استمرار البقايا النهارية الأهمية ، فأعارت هذه البقايا عونها ومكنتها من أن تلج الحلم . ولكن بينما يقع في المجموعة « أ » أن تستنفذ الرغبة اللاشعورية مع الرغبة الشعورية ، تتكشف الهوة في المجموعة « ب » بين اللاشعور والشعور (بين المكبوت والأنا) ، ويتحقق الموقف الذي نسمع عنه في قصة الرغبات الثلاث التي أجابها الساحرة للرجل زوجه (انظر ص ٥٦٨ ، في الهامش) . والرضا لتحقيق الرغبة المكبوتة قد يكون دمجاً حتى ليوازن المشاعر الأهمية المتصلة ببقايا النهار [ص ٤٦٨] ، وحينئذ يكون الحلم ذا نغمة انفعالية متساوية مع أنه يحقق رغبة من جهة وخوفاً من أخرى ، وقد يقع أن يشارك الأنا التائم بتصيب أعظم مقداراً في تكوين الحلم وأن يرد على إشباع الرغبة المكبوتة باستنكار عنيف وينفخ حدةً للحلم بطلقة من الهيلة . وهكذا نرى في غير عناه أن الأحلام غير اللاذعة وأحلام الهيلة . هي أيضاً تحقيق رغبة بالمعنى الذي تذهب إليه نظريتنا ، لا تقل في ذلك من أحلام الإشباع الصريحة .

ومن الجائز كذلك أن تكون الأحلام غير اللاذعة « أحلام عقاب » [انظر ص ٤٧١] ولا بد من أن نسلّم بأننا حين نعرف بهذه الطبقة نضيف إلى نظرية الحلم شيئاً جديداً بمعنى ما . فالذي يتحقق في هذه الأحلام هو أيضاً رغبة لاشعورية ، هي الرغبة في أن يعاقب الحلم لاندفاع راغب مكبوت ممنوع ، وإلى هذا المدى تستقيم هذه الأحلام والشرط المنصوص عليه هنا ، وهو : أن تكون القوة الدافعة إلى تكوين الحلم مستمدة بالضرورة من رغبة منتمية إلى اللاشعور . غير أن التحليل السيكلوجي الأدق يظهرنا على اختلاف هذه الأحلام من سائر أحلام الرغبة . ففي المجموعة « ب » تنتمي الرغبة اللاشعورية المكونة

للحلم إلى ما هو مكبوت ، على حين أنها في أحلام العقاب يجب أن تعد منتمية إلى الأنا وليس إلى المكبوت — وإن تكن لا شعورية كذلك . وأحلام العقاب تشير إذن إلى إمكانية مشاركة الأنا في تكوين الحلم بنصيب أعظم مما قدر حتى الآن وإن ميكانيكية الحلم بوجه عام لتزيد وضوحاً أكبر الزيادة ، لو أننا بدل التضاد بين "الشعور" و"اللاشعور" تحدثنا عن التضاد بين "الأنا" و"المكبوت" . غير أننا لا نستطيع أن نفعل ذلك دون التفات إلى العمليات التي تحدث في الأعصاب النفسية ، ولهذا السبب لم نقم به في هذا الكتاب ، وإنما أضيف أن أحلام العقاب لا يشترط فيها دائماً أن تكون بقايا النهار من النوع الألم ، بل وقوعها على العكس أسهل ما يكون حين يكون الضد هو الحال ، أى حين تكون البقايا النهارية أفكاراً من نوع مرض ولكنها تعرب عن رضا ممنوع ، وعندئذ لا ينفذ إلى الحلم من هذه الأفكار سوى ضدها المباين لها كل المباشرة — كما كان الشأن في أحلام المجموعة وأه . وهكذا يبنى أن الخاصة الجوهرية لأحلام العقاب هى كون الرغبة المكونة للحلم فيها ليست تلك الرغبة اللاشعورية المستمدة من المكبوت (أى من النظام لاشى) . بل رغبة العقاب المحيية ضدها ، المنتسبة إلى الأنا — وإن تكن أيضاً لا شعورية (أى ، قبل شعورية)^(١) .

وهنا أذكر حلقاً من أحلامي^(٢) ، لكى أصور به ما قلت ولأصور به على الأخص كيف يعالج عمل الحلم بقية نهارية من توقعات أليمة :

"هياة غير متميزة : أهلى لزوى : إن حنى خيراً يهرها ، شيئاً خاصاً جداً . تجزع وترفض الاستماع لك . أركه لما أنه حل العكس شى . يهرها ضامه وأبدأ أرى لما أن كنية الضباط التى يتسب إليها ولدنا قد أرسلت إلينا بلفظاً من المال (٥٥٥٠ كرون ؟) ... شىء من وسام تقدير ... توزيع ... أراى في هذه الأثناء قد ذهبت معها إلى حجرة صديرة ، أشبه بالكرار ، بجهاً عن شىء ما . أشهد ابنى يظهر فجأة ، إنه لا يرتدى ملبسه العسكرية بل ملابس رياضية أحكت عليه (كسبح البحر ؟) مع للسنوة صديرة . إله يتسلى صديقاً

(١) [هامش أضيف عام ١٩٣٠ :] وهذا هو الموضع المناسب للحديث من أحد المكتشفات اللاحقة لتحليل النفس : الأنا الأمل .

(٢) [هذه اللقطة والفرقتان التاليتان لما قد أضيفت عام ١٩١٩ في صورة هامش ثم أدرجت في النص عام ١٩٣٠ .]

وضع بجانب الصوان كأنه يريد أن يضع شيئاً عليه . أناديه لا جوب ، يقول أن ربه مصوب ، أو جبه . إنه يضع شيئاً إلى له ، يمس شيئاً في فيه . لقد ضربت في شمره غرط رمانية . أحدث للى : أمن الممكن أن يكون مجهداً إلى هذا الحد ؟ هل صارت له أسنان صناعية ؟ قبل أن أصلح مناديه مرثالية استهكت وأنا لا أشتد شيئاً من الهيلة ، ولكن قلبى كان يخفق خفقاً سريعاً . يرفى الله أن الساعة الثالثة ونصف الساعة . "

عالم على مرة أخرى أن أسوق تحليلاً كاملاً . وأقتصر على إبراز بعض النقاط الظاهرة . لقد كان الباعث على الحلم توقعات أليمة من اليوم السابق . فقد انقطعت عنا مرة أخرى منذ ما يزيد على الأسبوع أخبار ولدنا الذى كان في جبهة القتال . ومن السهل أن نرى أن محتوى الحلم كان يعرب عن اعتقاد فحواه أنه قد أصيب أو سقط صريعاً . ومن الواضح أن جهوداً قوية قد بذلت في بداية الحلم لكي تستبدل بهذه الأفكار الموحجة أفكار أخرى تخالفها . فعندى أفكار سارة جداً أروها : شيء عن نقود أرسلت ، وسام تقدير ، توزيع . (وأما مبلغ المال فصدره حادثة لطيفة وقعت أثناء على الطبي ، وأريد به إلى التوبة عن الموضوع تنوياً تاماً .) ولكن هذه الجهود قد أخفقت . فالألم تحلر شيئاً مروعاً وترفض الإصغاء إلى . لقد كانت الأتقنة دقيقة جداً حتى نفلت في كل مكان منها إشارات إلى ما كان يراد بها إخفاؤه . فلو أن ولدى مات لأرسل رفاقه الضباط مناعه ولاضطورت إلى توزيعه بين إخوته وأخواته وغيرهم من الناس وأما وسام التقدير فيمنحه الضباط عادة على « استشاده » . وهكذا شرع الحلم يعرب إعراباً صريحاً عما كان يلتبس أول الأمر إنكاره - وإن بقى النزوع إلى تحقيق الرغبة ملحوظاً في التشوهات . (وأما تغيير المحل في الحلم فأكبر الظن أنه ينبغى فهمه في ضوء ما سماه سيلبرير " رمزية العتبة " [انظر ص ٥٠٠] .) غير أننا لا نرى - والحق يقال - ما الذى زود الحلم بالقوة الدافعة إلى الإعراب عن أفكارى الأليمة على هذا النحو . إن ابنى لا يظهر في الحلم في صورة شخص « يسقط » بل في صورة من « يتسلق » . والحق أنه كان من متسلقى الجبال الأجرياء . وهو لا يرتدى ملابس عسكرية بل رياضية ، وهذا يعنى أن مكان الحادثة التى أخشى اليوم وقوعها قد استبدل به مكان آخر ، أقدم عهداً ، متخذ من مجال الرياضة ، فقد سقط ابنى مرة في أثناء رحلة للتزلج على الثلج وكسرت ساقه . والطريقة التى ارتدى بها ملابسه والى جعلته أشبه بسبح البحر تدكرنى ، من جهة أخرى ، بشخص آخر

أحدث سنًا ، بحفيدنا الصغير المتع ، هذا بينما تذكرني خيوط الشعر الرمادية بوالد هذا الأخير ، بصهرنا الذى أصيب فى الحرب لإصابة بالغة . فإذا نفهم من هذا كله ؟ ... ولكننى قلت فى ذلك الكفافية . إن الكرار والصوان الذى أراد ابنى أن يأخذ من فوقه شيئاً (ولحلم يقول : يضع عليه) إشارتان تذكراننى من غير ما خطأ بجاذبة جلبتها على نفسى حين كنت بين الثانية والثالثة من العمر . فقد تسلفت مقعداً فى الكرار لأتناول شيئاً حسناً وضع على ضوان أو مائدة ، فانقلب المقعد وأصابنى زاويته خلف فكى الأيسر ، وكان من الممكن أن تهشم أسنانى كلها . وبهذه الذكرى تبرز فكرة معنفة ، هى : هذا هو جزائك الحق - كأنما كان ثمة اندفاع عدائى متجه إلى المحارب الشهم . ويمكننى التعمق فى التحليل بعد ذلك من أن أعرف ما هو هذا الاندفاع المستر الذى كان مستطعاً أن يجد إشباعه فى الحادثة الخوف وقوعها لولدى : إنه حسد اللذين تقدم بهم العمر نحو من هم فى مطلعه ، ولكن يظنون أنهم قضوا عليه قضاء مبرماً . ولا جدال فى أن شدة العاطفة الأليمة التى كانت تنجم لو أن مثل هذا المصاب قد وقع حقيقة هى التى دلت - طلباً للتخفيف - إلى التماس رغبة مكبوتة من هذا القبيل .

والآن أستطيع أن أبين ما هو نصيب الرغبة اللاشعورية من تكوين الحلم تبييناً محدداً دقيقاً : إلى أسلم طواعية بأن هناك طاقة كاملة من الأحلام ينشأ فيها الحافظ إلى الحلم بصفة غالبية إن لم تكن مانعة من البقايا المتخلفة من حياة النهار ، وأعتقد أنه حتى رغبى فى أن أصبح فى النهاية أستاذاً كان يمكن أن تركنى أنام نوماً هادئاً لو لم يكن قلقى على صحة صديقى قد بقى مستمراً بعد أن انقضى النهار . ولكن القلق وحده ما كان يستطيع أن يصنع حلماً ، بل كان من اللازم أن تقوم رغبة بتوفير القوة الدافعة التى يقتضها الحلم ، كما كان على القلق أن يعتمد رغبة لتكون منها هذه القوة الدافعة . ولكنى نوضح الموقف بتشبيه نقول : إن الفكرة النهارية تقوم بعمل صاحب المشروع بالنسبة إلى الحلم . ولكن صاحب المشروع - وهو الذى ، كما نقول ، يملك الفكرة ويملك الحافظ إلى تنفيذها - لا يستطيع شيئاً بغير رأس المال ، فهو محتاج إلى محول قادر على أن يزوده بالخرج ، والممول الذى يوفر المخرج النقصى بالنسبة إلى الحلم هو - من غير استثناء ولا جدل وأياً كانت أفكار اليوم السابق - رغبة من اللاشعور .

ويحدث أحياناً أن يكون الممول أيضاً هو صاحب المشروع ، وتلك يقيناً هى الحالة

الأكثر شيوعاً فيما يتعلق بالحلم ، حيث نرى رغبة لاشعورية وقد استثارها نشاط نهاري فأخذت تنشئ الحلم . وكذلك سائر الاحتمالات الممكنة في الموقف الاقتصادي الذي ضربته مثالا ، فلكل منها نظيره بين عمليات الحلم ، قد يشارك صاحب المشروع ألبعضاً بقسط ضئيل من رأس المال ، أو قد تتجه عدة من أصحاب المشاريع إلى عمول بعينه ، أو يشترك عمولون متعددون في توفير ما يلزم صاحب المشروع . وعلى هذا الفرار نطهر أحلام يعين عليها أكثر من رغبة من رغبات الحلم ، وكذا في سائر الاحتمالات المتغيرة التي يعمل إحصاؤها دون أن يعوم ذلك علينا بنفع جديد . ولن نستطيع إلا فيما بعد تكملة هذه المناقشة التي لم تزل ناقصة في صدد رغبة الحلم .

وأما الحد الثالث للمقارنة ^(١) في الماثلة التي بلحات إليها - الكم الذي يجب أن يوضع في تناول صاحب المشروع بمقدار مناسب ^(٢) - فمن الممكن تطبيقه في توضيح تركيب الحلم تطبيقاً أكثر بعد تفصيلا . فنحن نلاحظ في معظم الأحلام - كما بينته في ص ٣١٧ و [٣٣٨] - نقطة رئيسة تمتاز عن غيرها بشدة حسية خاصة . هذه النقطة هي في العادة تلك التي تصور تحقيق الرغبة تحقيقاً مباشراً : لأننا إذا أزلنا التقلات التي أجراها عمل الحلم وأعدنا الوضع إلى نصابه ، رأينا أن الشدة النفسية للعناصر المتضمنة في أفكار الحلم قد حلت محلها شدة العناصر الحسية . وأما العناصر التي تقع على مقربة من تحقيق الرغبة فلا يكون لها في كثير من الأحيان شأن بمعناه ، بل يتبين أنها مشتقات تفرعت عن أفكار ألية تجري بعكس تحقيق الرغبة . بيد أنها وقد وقعت في منطقة الصلة - المتكفلة في الكثير من الأحيان - بالعنصر الرئيس ، قد اكتسبت شدة كافية لكي تصير قادرة على بلوغ التصوير . وهكذا تنتشر قدرة تحقيق الرغبة على جلب التصوير في منطقة محيطها ، يصير كل ما داخلها من العناصر - ومن بينها تلك المجردة من كل قوة في ذاتها - حاصلا على قوة الظاهر بالتصوير . ومن المجهل في حالة الأحلام المدفوعة بعدة من الرغبات أن تحدد مناطق تحقق الرغبات المختلفة ، كما يجوز في كثير من الأحيان أن نفهم الفجوات التي تعرض في الحلم باعتبارها حدود فواصل بين هذه المناطق . إن الاعتبارات السابقة وإن تكن خفضت أهمية النصيب الذي يرجع إلى البقايا

[Tertium comparationis] (١)

(٢) [وهو الطاقة النفسية في حالة الحلم .]

النهارية في تكوين الحلم - إلا أنه لا يزال أمراً خليقاً بالعناء أن نوجه إلى هذه البقايا القليلة من اهتمامنا . فهي لا محالة مقومات ضرورية لتكوين الحلم ، ما دامت التجربة ترينا تلك الحقيقة المدهشة ، وأعني بها أنه ما من حلم إلا تبيّن في محتواه صلة تتصله بانطباع نهاري حديث - من أنه نوع في الكثير من الأحيان . ولقد ظللنا حتى الساعة دون أن نستطيع تعليل وجه الضرورة في هذه الزائدة المضافة إلى الخليط الذي يتكون منه الحلم ، (انظر ص ٢٠٢) : ولا نحن نستطيع هذا التعليل إلا إذا تلكرنا دائماً نصيب الرغبة اللاشعورية ثم بحثنا بعد ذلك عما نستطيع أن نعلمه من سيكولوجية الأعصاب . والذي نعلمه من هذه هو أن الفكرة اللاشعورية عاجزة كل العجز من حيث هي كذلك عن أن تلج ما قبل الشعور ، وأنها لا تستطيع أن تؤثر فيه أى تأثير إلا من حيث تنشئنا لنفسها صلة بفكرة منتمة من قبل إلى ما قبل الشعور ، فتحول إليها شلتها وتتخذ منها سترك . وتلك هي ظاهرة التحويل - وهي الظاهرة التي توضح لنا كل هذا العدد الكبير من الظواهر العجيبة في الحياة النفسية للعصاةيين . والفكرة قبل الشعور التي تكسب من هذا الطريق شدة غير مستحقة قد تظل كما هي دون أن يحرف منها التحويل ، وقد يفرض عليها تغييرات من الفكرة التي تجري التحويل . وإني أرجو أن يغفر لي القارئ نزوعي إلى التشبيهات المستمدة من حياة كل يوم ، ولكني أرى ما يفرقني بالقول : إن موقف الفكرة المكبوتة يشبه موقف طبيب أسنان أمريكي في بلدنا هذا ، فهو لا يستطيع أن يزاوِل مهنته إلا إذا أمكنه أن يجد طبيباً مؤهلاً على حسب الأصول ، يتخذ منه درعاً وغطاء أمام القانون . وكما أن أكثر الأطباء نجاحاً في مهنتهم ليسوا هم على التحديد بأولئك الذين يقبلون مثل هذه الأحلاف مع طبيب الأسنان ، كذلك الأفكار قبل الشعور التي تكون قد اجتذبت بالفعل قدرًا كافياً من الانتباه العامل في الإرادة قبل الشعور ، فهذه ليست هي التي تختار ستائر للفكرة المكبوتة . فاللاشعور يؤثر أن ينسج روابطه حول انطباعات وأفكار قبل شعورية إما أن تكون خالية من الشأن في ذاتها فلم تجتذب إليها انتباهاً ، أو نجحت فأنحصر عنها الانتباه سريعاً . ثم إن من القضايا المعروفة في نظرية التداعي - وهي بعد قضية أيدتها التجربة تأييداً تاماً - أن الفكرة التي يحكم رباطها إحكاماً وثيقاً في اتجاه ما تنزع إلى صد جماعات بأكلها من الروابط الجديدة . ولقد حاولت مرة أن أقيم نظرية في الشلل المسترعى على هذه القضية [فرويد ، ١٨٩٣ ج] .

فلذا افترضنا أن هذه الحاجة التي كشفنا عنها في تحليل الأعصاب ، حاجة الأفكار المكتوبة إلى التحويل تعمل هي هي في الأحلام كذلك ، حل دفعة واحدة لغزان من ألباز الحلم ، وأغنى بهما : أنه ما من حلم يحلل إلا أطلعنا تحليله على انطباع حديث مسرود نسيجه ، وأن هذا العنصر الحديث يكون في العادة من نوع ثافة غاية التضاوة . وأستطيع أن أضيف - كما سبق أن رأينا في موضع آخر [ص ١٩٩] - أن السبب الذي يجعل هذه العناصر الحديثة المبردة من الشأن تشق طريقها إلى الحلم على هذا النحو الشائع ه أن هذه العناصر لا تملك إلا أقل الأسباب الداعية إلى خشية الرقابة التي تفرضها المقاومة . ولكن بينما يعلل هذا التحرر من الرقابة إثارة العناصر التافهة وحسب ، فإن ورود العناصر الحديثة على هذا النحو المطرد يبرز للعيان وجود الحاجة إلى التحويل . وكلا النوعين من الانطباعات يجب حاجة المكبوت إلى مادة . لا تزال حرة من المستدعات : التافهة لأنها لم تحمل ما يدعو إلى تكوين روابط متعددة ، والحديثة لأنها لا تستغرق من الوقت ما يسمح بتكوين هذه الروابط .

وهكذا نرى أن البقايا النهارية التي يسعنا الآن أن ندرج بينها الانطباعات التافهة لا تقترض وحسب شيئاً من الاشعور حين تنجح في المشاركة في تكوين الحلم - وأغنى بهذا الشيء القوة الغريزية المتاحة للرغبة المكتوبة - بل هي أيضاً تقرضه ، وتقترضه شيئاً لا يستغنى عنه : وأغنى به نقطة العقد اللازمة من أجل التحويل . ولو قد أردنا في هذا الموضوع أن نزيد تعمقاً في عمليات النفس ، لما كان لنا مفر من أن نلقى المزيد من الضوء على لعب التهييجات بين ما قبل الشعور والشعور - وهو ما تدفعنا إليه دراسة الأعصاب النفسية دفعا ولكن يفتق أن الأحلام بالذات لا تعيننا فيه أي عون .

وملاحظة أخيرة عن بقايا النهار : إنه لا مجال للشك في أن هذه البقايا هي مزرعات النوم الحقيقية وليست الأحلام ، فهذه تشغل على العكس بحراسته وستكون لنا عهدة إلى هذه المسألة [ص ٥٩٥] .

ولقد كنا حتى الساعة ندرس رغبة الحلم ، ففرعناها من منطقة الاشعور وحللتنا علاقاتها ببقايا النهار التي قد تكون بدورها رغبات أو اندفاعات نفسية من نوع آخر أو انطباعات حديثة ليس غير . وبهذا تركنا مجالاً لكل حق قد ندعيه لنشاط الفكر المستيقظ بمختلف أشكاله من حيث أهميته في تكوين الحلم . لا ، بل إن شرحنا ربما كان يمكننا من أن

نجد تعليلاً حتى لهذه الحالات المتطرفة التي يتوصل فيها الحلم وهو يتابع عمل النهار إلى حل موفق لمشكلة من مشكلات اليقظة بقيت من غير حل ، وليس يعوزنا إلا مثال من هذا القبيل لكي نكشف بتحليله عن مصدر الرغبات الطفلية أو المكبوتة التي استطاعت بمددها أن تبرز مجهود النشاط قبل الشعورى بمثل هذا التوفيق . ولكن هذا كله لا يقربنا خطوة من حل ذلك اللغز : لم كان اللاشعور لا يستطيع في أثناء النوم أن يقدم شيئاً آخر سوى القوة الدافعة إلى تحقيق رغبة من الرغبات ؟ إن الإجابة عن هذا السؤال لا بد ملقبة بعض الضوء على الطبيعة النفسية لحالة الرغبة ، وأرى أن تكون هذه الإجابة بالإشارة إلى صورتنا التخطيطية للجهاز النفسى .

إننا لا نشك في أن هذا الجهاز إنما بلغ كماله للحاضر بعد فترة طويلة من النمو ، فدعنا نحاول الرجوع به إلى مرحلة سابقة من مراحل تطور قدرته الوظيفية . وهنا تحدثنا فروض ينتهى التماس مبرراتها من جهات أخرى بأن جهود هذا الجهاز كانت تتجه في أول أمره إلى حفظه نفسه حرراً من المنهات بقدر الإمكان ، ومن ثم اتخذ تركيبه الأول تصميم الجهاز الانعكاسى ، بحيث يفرغ من طريق حركى أن تهيج حسى قد يصل إليه من الخارج . ولكن مطالب الحياة لا تلبث أن تتدخل في هذه الوظيفة البسيطة ، وإلى هذه المطالب أيضاً يدين الجهاز بالحافظ إلى مستأنف نموه . إنها تعرضه أولاً في صورة الحاجات الجسمية الكبرى . وعن هذه الحاجات تنجم تهيجات تسعى إلى التفرغ في حركة يمكننا وصفها بأن نقول : إنها « تغيير باطنى » أو « تعبير عن انفعال » . فالرضيع الجائع يصرخ أو يرفض من غير حول . ولكن الموقف لا يتغير ، لأن التهيج الصادر عن حاجة باطنة ليس راجعاً إلى قوة عائق مؤقت بل إلى قوة متصلة الفعل . وإنما يحدث تغيير إذا أمكن بطريقة من الطرق (بالعمى الخارجى في حالة الطفل) أن تتحقق خيرة إشباع تضع حداً للنمى الباطنى . ومن المقومات الجوهرية في خبرة الإشباع هذه إدراك حسى معين (إدراك الغذاء مثلاً) تظل صورته الذكورية من الآن فصاعداً مرتبطة بالآثر الذكوى المتخلف عن التهيج الذى أحدثته الحاجة . ويكون من نتيجة الارتباط الذى ينشأ على هذا النحو أنه كلما ثارت بعد ذلك تلك الحاجة يظهر على الفور اندفاع نفسى بغية أن يعيد استئثار الصورة الذكورية للإدراك وأن يعيد بعث الإدراك عينه ، أى أن يسترجع موقف الإشباع الأول . ومثل هذا الاندفاع هو ما نسميه رغبة ، وأما

عودة الإدراك إلى الظهور فتحقيق رغبة ، وأقصر الطرق إلى تحقيق الرغبة طريق يلهب قلماً من التمييز الناجم عن الحاجة إلى الاستمرار الكامل للإدراك . ولا شيء يمنعنا من أن نفترض حالة بدائية للجهاز النفسى كان هذا الطريق يجتاز فيها فعلاً ، أى كانت الرغبة تنتهى فيها إلى الملوسة . وهكذا كان هذا النشاط النفسى الأول يهدف إلى إحداث « عينية إدراكية » أى إلى تكرار عين الإدراك الذى ارتبط بإشباع الحاجة .

غير أن خبرة الحياة المرة لا بد قد غيرت هذا النشاط الفكرى البدائى إلى آخر ثانوى أوسع حيلة . لإنشاء عينية إدراكية من الطريق القصير ، طريق التكويس فى داخل الجهاز ، لا يحدث فى موضع آخر منه ذات النتيجة التى يحدثها استمرار هذا الإدراك عينه من الخارج ، فالإشباع لا يعقب والحاجة تستمر . ولكن يكون للاستمرار الداخلى من قيمة الإشباع مثل ما للخارجى ، فلا بد من المداومة عليه من غير انقطاع كما يحدث بالفعل فى حالات الجنون الملوسى وفى تخيلات الجوع التى تستنفد كل قواها فى التشبث بموضوع رغبته . ولكن يتسنى الوصول إلى إنفاق للقوة النفسية يكون أفضل أثراً ، فمن الضرورى أن يوقف تكوينا عند حد قبل أن يصبح كاملاً ، بحيث لا تعدى الصورة الذكورية وبحيث يصبح فى استطاعها - ابتداء من هذه - التماس طرقات أخرى تؤدى فى نهاية الأمر إلى إقامة العينية الإدراكية المرغوب فيها من ناحية العالم الخارجى (١) .

ويؤكد هذا الكف للتكويس ، مع ما يعقبه من التعرّيج بالتمييز ، إلى نظام ثان تصبغ له السيطرة على الحركة ، أى يستخدم الحركة - للمرة الأولى - فى أغراض متذكّرة من قبل . ولكن كل هذا النشاط الفكرى المعقد الذى ينتج ابتداء من الصورة الذكورية إلى أن تتحقق العينية الإدراكية آتية من العالم الخارجى - لا يخرج عن أن يكون طويلاً دائرياً إلى تحقيق الرغبة أبحاث إليه التجربة (٢) . فالفكر - بعد أن يحسب لكل شيء حسابه - إلا بديل رغبة ملوسية . فإن قيل : إن الحلم تحقيق رغبة ، لم يكن ذلك على التأكيد إلا أمراً واضحاً بذاته ، فلا شيء سوى الرغبة يستطيع أن يحرك جهازنا النفسى

(١) أو بهارة أخرى : إن ضرورة « امتحان الواقع » [أى امتحان الأشياء لكى يتبين أى واقع لم لا] تنهى بأن تفرس نفسها .

(٢) لقد أشاد لوبران مصيباً بقدرة الأحلام على تحقيق الرغبة ، فهو « لا تعرف التعب الجلى ولا شيء يحصلها على الانتباه إلى هذا الكلام النيد الطويل الذى يترك لكى إليه من المتعب ويسته » .

["Sans fatigue sérieuse, sans être obligé de recourir à cette lutte spirituelle et longue qui une et l'autre pour vaincre."]

إلى العمل . وما جاوز الحلم الذى يحقق رغباته من الطريق القصير - طريق النكوص - أن يستيق هنا أثراً من منهج العمل الأولى للجهاز النفسى - وهو منهج هجر لقلة فاعليته . فإكان يسيطر يوماً على الحياة المستيقظة حين كانت النفس لا تزال غضة غير كثرة ، يبدو اليوم أنه قد طرد فلم يعد له غير الليل - مثلما تعاود الظهور في غرف الأطفال تلك الأسلحة البدائية التى تركها الراشدون من أقواس وسهام : إن الحلم ألهم الحياة النفسية الطفلية المتلاشاة . كما أن هذه المناهج فى العمل من جانب الجهاز النفسى - دعى المناهج التى تكبت عادة فى ساعات اليقظة - تحضر وتنشط من جديد فى حالات اللهاة ، وعندئذ يتكشف عجزها عن إشباع حاجتنا بالنسبة إلى العالم الخارجى^(١) .

ومن الواضح أن الاندفاعات الرابة اللاشعورية تسمى إلى النشاط فى أثناء النهار كذلك ، وإن ظاهرة التحويل - شأنها شأن حالات اللهاة - لدينا أن هذه الاندفاعات تبذل جهودها ما استطاعت من أجل النفاذ إلى الشعور مارة بالنظام قبل الشعورى ومن أجل الظفر بالسيطرة على القدرة الحركية . وهكذا تستحق الرقابة القائمة بين اللاشعور والشعور واتى لا تجعل لنا الأحلام مفرأ من القول بوجودها ، هكذا تستحق الاعتراف بها واحترامها من حيث هى حارس محصنة العقلية . فإذا كان هذا الحارس يرضى نشاطه أثناء الليل ويسمح للاندفاعات المكبوتة فى اللاشعور بالإفصاح عن نفسها وييسر للنكوص المألوس سبيل الوقوع مرة أخرى ، أفلا يجب أن نعد ذلك إهمالاً من جانبنا ؟ لست أرى ذلك . لأن هذا الحارس النقاد وإن هدأ أحياناً - ولدينا من الدلائل ما يدل على أن غفواته ليست بالعميقة - فإنه لا ينسى كذلك أن يغلق الباب فى وجه القدرة على الحركة؛ فهما كانت الاندفاعات التى تصعب على المسرح آتية من اللاشعور المكبوت عادة ، ها نحن بحاجة إلى أن نشغل أنفسنا بها ؛ فهى تظل بغير قدرة على الضرر لعجزها عن أن تحرك الجهاز الحركى الذى لا تستطيع إلا به وحده أن تعدل من العالم الخارجى . ولكن الموقف يزيد خطورة إذا كانت الثقلة فى القوى لا تضىء نتيجة لارتخاء ليلى بصيب القوة التى يبلها الحارس التقدى بل لنقص مرضى يصيب هذه القوة أو لزيادة مرضية فى شدة التهيجات اللاشعورية بينا يكون استئثار ما قبل الشعور لا يزال مستمراً وتكون الطريق فى

(١) [حاشئ أسف من ١٩١٤ :] لقد أنميت هذه الفكرة فى موضع آخر ، فى مقال من المبادئ الذين يمكن منكم الوظائف النفسية والذين اقترحت تسميتها بهذا اللغز وبدأ الواقع (فرويد ١٩١١ ب) .

وجه القدرة على الحركة لا تزال مفتوحة . حيثئذ يغلب الحارس على أمره وتغزو الهيجات اللاشعورية ما قبل الشعور وتبين على كلامنا وأفعالنا ، أو تفرض التكويس المحلوسى فرضاً وتعكس سير الجهاز (وهو الذى لم يعمل من أجلها) بفضل الجذب الذى تمارسه الإدراكات على توزيع طاقتنا النفسية . وهذا الوضع نسميه ذهناً .

وإننا نرانا الآن على أحسن طريق نستأنف منه بناء هيكلنا السيكلوجى الذى وقفنا به عند إدخال نظامى اللاشعور وما قبل الشعور . ولكن هناك أسباباً تدعونا إلى متابعة النظر فى الرغبات من حيث هى القوة الوحيدة الدافعة إلى تكوين الحلم . فلقد أخذنا بالتعليل القائل : إن الحلم فى جميع الحالات لتحقيق رغبة ، لأنه ناتج عن النظام لاش . الذى لا يعرف نشاطه هدفاً آخر غير تحقيق الرغبة والذى لا يملك قوى أخرى سوى الاندفاعات الرغابة . فإذا أردنا بعد ذلك أن نتسلك - ولولحظة - بمحققاً فى أن نقيم أمثال هذه التعاليم السيكلوجية البعيدة على تفسير الأحلام ، كان لزاماً علينا أن نبرهن على أن هذه التعاليم قد مكنتنا من أن نجد للحلم عملاً فى سياق يشمل غيره من التراكيب النفسية . فإنه لو كان ثمة وجود لشيء مثل النظام لاش . (أو لشيء آخر يماثله بالنسبة إلى مقاصدنا فى هذه المناقشة) لاستحال أن يكون الحلم مظهره الأوحى . نعم ، إن كل حلم قد يكون تحقيق رغبة ، ولكن لا بد عندئذ من أن تكون هناك - بالإضافة إلى الحلم - صور أخرى من صور التحقيقات غير السوية للرغبات . والواقع أن النظرية التى تحكم جميع أعراض الأعصاب النفسية تبلغ ذروتها فى تلك القضية الواحدة ، وهى : أن هذه الأعراض كذلك يجب أن تعد تحقيقات لرغبات لاشعورية^(١) . وإنما يفتدو الحلم بتعليلنا أول عضو فى طبقة لها أهميتها القصوى عند أطباء النفس ، يتضمن فهمها حل الجانب السيكلوجى المحض من مشكلة الطب النفسى^(٢) . غير أن سائر أعضاء طبقة تحقيق الرغبة هذه - كالأعراض المستمرة مثلاً - تملك خاصية جهرية لأنزال أفتقدها فى الحلم . فقد علمت من الأبحاث التى أكثرت من الإشارة إليها فى خلال هذا المجلد أيما إكثار أن تكوين

(١) [هاش أصيف عام ١٩١٤] ١ أو عبارة أخرى : يرجع جزء من العرض إلى التحقيق للأشعورى
لرغبة ويرجع جزء آخر إلى البناء النفسى المتجاوب به فيها .

(٢) [هاش أصيف عام ١٩١٤] : كما يقول ه . جاكسون : اكتشف كل شيء من الحلم تكشف كل شيء من الجنين . [Find all about dreams and you will have found all about insanity.]

العرض المسترى يستوجب التقاء كلا تيارى حياتنا النفسية . فالعرض ليس إعراباً عن رغبة محقة وحسب ، بل يجب أن تحضر كذلك رغبة آتية مما قبل الشعور تتحقق بواسطة هذا العرض عينه ، بحيث يكون للعرض شرطان يمتان على الأقل ، ينشأ كل منهما من أحد النظامين المشتبكين في النزاع - دون أن يكون هناك حد لتضاعف الحتم بعد ذلك كما هو الحال في الأحلام . والشرط الحتم الذى لا ينبعث من اللاشعورية هو في كل حالة - بقدر ما أعلم - خيط فكري يستجاب به في وجه الرغبة اللاشعورية ، عقاب للذات مثلاً . وهكذا أستطيع أن أقول معصماً القول تعصياً كاملاً : لا ينشأ عرض هستري إلا حيث يتمكن من الالتقاء في تعبير واحد لتحقيقان لرغبتين متقابلتين صدرت كل منهما عن نظام نفسى مختلف . (قارن ذلك بأنحر ما أدليت به في مقالى عن التخيلات المسترية وعلاقتها بالثنائية الجنسية ، فرويد ١٩٠٨ أ^(١)) ولا تشر الأمثلة في هذا الصدد إلا قليلاً ، بل الإيضاح المفصل لما تتضمنه هذه الأمراض من التعقيدات هو وحده الذى يحمل للإقناع . ولهذا أنرك قضيتى ولا سند لها غير ذاتها ولا أستشهد بمثال إلا لأجبه الأمر وليس طلباً للإقناع : كانت إحدى مريضاتى تعاني قيناً هسترياً تبين أنه يحفز من جهة تخيلاً لاشعورياً يرجع إلى عهد مراهقتها ، أى يحقق رغبة هى على التحديد الرغبة في أن تكون حاملاً من غير انقطاع وفى أن يكون لها أطفال لا يعدون ، مع رغبة أخرى مضافة إلى هذه ، هى الرغبة في أن تنجب هؤلاء الأطفال من رجال عديدين قدر الإمكان . ونهض اندفاع دفاعى قوى في وجه هذه الرغبة التى لا يكبحها كايح وإذ كان من شأن القىء أن يجعل المريضة تفقد قوامها وجمالها فلا تجلب إليها به ذلك رجلاً ، فقد حاز العرض كذلك قبول الانجاء الفكرى العقابى ، وإذ حاز قبولاً الجانبيين جميعاً أصبح واقعاً . فلذلك في معالجة تحقيق الرغبة أسلوب لا يختلف من أسلوب ملكة البارثين^(٢) لإزاء كراسوس^(٣) ، فقد ظنت أنه إنما طلب القتال طمعاً في الذهب فأمرت بحشته أن تجرع في الحلق ذهباً مذاباً ، ثم قالت : لك الآن ما أردت . ولكن كما

(١) [أضيفت الجملة الموضحة بين قوسين عام ١٩٠٩] .

(٢) [سبة إلى بارثيا ، في شمال فارس ، فيما عرف بعد ذلك باسم خراسان] .

(٣) [هو - مع بوليوس قنصر وبوسى - أحد رجال حكومة الثلاثة في روما . عرف عنه أنه ك

قليل الهمة كثير المطامع غصباً] .

الذى نعلمه حتى الآن عن الأحلام هو أنها تعرب عن تحقيق رغبة من اللاشعور ،
ويبدو النظام المسيطر ، أى ما قبل الشعور ، كأنه يقبل هذا الوضع بعد أن يفرض عدداً
من التشوهات . فلما نستطيع بوجه مطرد أن نجد خيطاً فكرياً يضاد الرغبة ويتحقق مثلها
في الحلم من حيث هو مقابلها . بل كل الأمر أننا - ونحن نحلل الحلم - نعرّ ههنا وهناك
على تكاوين لها طابع الاستجابة المضادة - كما كان الشأن مثلاً في مشاعري الودية نحو
صديق . ر . في حلم العلم (ص ١٦٥) . غير أننا نستطيع أن نجد في جهة أخرى الجزء المقتد
ههنا من جانب ما قبل الشعور . فالحلم يصير له القدرة على الخروج برغبة إلى حيز
التصير بعد تشوهات من كل صنف حين يكون النظام المسيطر قد تراجع إلى الرغبة
في النوم ، محققاً هذه الرغبة بإدخال ما يستطيعه من تعديلات الاستمرار ، داخل الجهاز
النفسى ، مداوماً عليها طيلة مدة النوم^(١) .

هذه الرغبة الثانية في النوم من جانب ما قبل الشعور تحدث تأثيراً يسهل تكوين
الأحلام بوجه عام . ولندكر حلم الرجل الذى استدل من نفاذ بريق الضوء من الحجرة
المجاورة على أن جبان طفله ربما كان أخذ يحترق : لقد أجرى الأب هذا الاستدلال في
الحلم بدل أن يترك البريق يوقظه ، وأوحينا أن إحدى القوى النفسية المؤدية إلى ذلك كانت
رغبة أطالت عمر الطفل المصور في الحلم هذه اللحظة الواحدة . وأكبر الظن أن هناك
رغبات أخرى منبعثة من المكبوت تخفى علينا ، فلما نملك تحليل هذا الحلم . ولكننا
نستطيع أن نفترض أن قوة ثانية في تكوين هذا الحلم كانت حاجة الأب إلى النوم ،
فنومه - كعمر ابنه - قد طال أيضاً لحظة ، كأنما هذا الدافع يقول : دع الحلم يأخذ
مجره ولا اضطررت إلى الاستيقاظ . وفي كل حلم آخر - كما في هذا الحلم - تناصر
الرغبة في النوم الرغبة اللاشعورية . ولقد رويت في ص ١٥١ أحلاماً ظهرت صراحة على
أنها أحلام سهولة . ولكن الحقيقة أنه ما من حلم إلا استطاع أن يبدى لنفسه الحق في
هذا الوصف . ويتجلى فعل رغبة المضي في النوم أسهل ما يتجلى في أحلام ساعة الاستيقاظ
التي تعدل المنبهات الحسية الخارجية التعديل الذى يجعلها لا تتعارض مع مواصلة النوم :
لأنها تنسج من هذه المنبهات حلماً لكى تسلبها كل ما تدعيه من حقوق التذكير بالعالم .

(١) لقد اصترحت هذه الفكرة من نظرية النوم إلى ذهب إليها ليويل (١٨٨٩) - سيمر الذى يرجع
إليه الفضل في إسهام البحوث الحديثة في التنويم المغناطيسى .

الخارجي . ولا بد أن لهذه الرغبة ذاتها نصيباً مماثلاً في التمكين لجميع الأحلام الأخرى ، وإن كانت المنبهات لا تهدد بانتزاع الشخص من نومه إلا من الداخل . وما يتحدث به ما قبل والشعور إلى الشعور في كثير من الحالات حين يغفلو الحلم في تحقيق مرابي : امض في نومك غير آبه فإلهذا إلا حلم ، ذلك أيضاً وصف يصدق بوجه عام على موقف نشاطنا النفسي الغالب تجاه الحلم وإن لم يلق إصراً صريحاً . وأنا إذن مساق إلى تلك النتيجة : إننا في خلال حالة النوم جميعها نعلم أننا نحلم بمثل اليقين الذي نعلم به أننا نيام . ويجب ألا نعتد كثيراً بما قد ينتج به من أن الشعور لا يحصل له أبداً العلم بالنوم ولا يحصل له العلم بكوننا نحلم إلا في أحوال خاصة ، حين تحس الرغبة كأنها أخذت على غرة [انظر ص ٤٨٦] . فهناك على العكس ^(١) أناس يعلمون في الليل علماً واضحاً أنهم نيام يحلمون ، وهم بذلك يبدون حاصلين على ملكة توجيه حياتهم الحاملة توجيهاً شعورياً . فإن رأى حلم من هؤلاء — مثلاً — أن الحلم قد اتخذ وجهة لا يرضى عنها ، كان في استطاعه أن يقطعه دون أن يستيقظ من نومه وأن يبدأ من جديد متخذاً وجهة أخرى مثلما يصنع مؤلف شعبي ناجح حين يدبر عند الطلب نهاية سعيدة لمسرحيته . أو قد يستطيع مثل هذا الحلم في مرة أخرى — إذا قاده حلمه إلى موقف مثير جنسياً — قد يستطيع أن يحدث نفسه في نومه بتلك الفكرة : لن أساير هذا الحلم خطوة بعد ذلك مستعداً جهدي بالإنزال ، بل أدخره لموقف حقيقي .

ولقد كان الماركسي درفاي ^(٢) (فاشيد ، ص ١٣٩) ، يؤكد أنه قد اكتسب القدرة على تعجيل مجرى أحلامه كيفما أراد وعلى توجيهها في أي وجهة يشاء . ويدعو أن الرغبة في النوم قد أوسحت عنده محلا للرغبة قبل شعورية أخرى ، هي الرغبة في ملاحظة أحلامه والاستمتاع بها . ويستقيم النوم مع مثل هذه الرغبة مثلما يستقيم مع نية النائم على الاستيقاظ إذا تحقق شرط معين (كما في نوم المريض) . ثم إن من الحقائق المعلومة أن كل من يوجه اهتمامه إلى الأحلام يزيد عدد ما يتذكره منها بعد اليقظة زيادة عظيمة .

ويقول فرنيتسي ^(٣) [١٩١١] وهو يتحدث عن ملاحظات أخرى في صدد توجيه الأحلام : إن الحلم يتناول الفكرة التي يتفق أنها تشغل حياتنا النفسية ويقلبها من جميع

(١) [أضيفت الطور التالية إلى آخر الفقرة سنة ١٩٠٩] .

(٢) [أضيفت هذه الفقرة سنة ١٩١٤] .

(٣) [أضيفت هذه الفقرة في صورة هامش سنة ١٩١٤ ثم أضيفت في النص سنة ١٩٣٠] .

وجوهها . بترك صورة حلمية إذا كان فيها ما يهدد بإخفاق تحقيق الرغبة ويحرب حلاً جديداً إلى أن يوفق في النهاية إلى تكوين تحقيق رغبة يرضى كلا جهتي الاختصاص في حياتنا النفسية ويوفق بينهما .

د

اليقظة بسبب الحلم - وظيفة الحلم - حلم الهيلة

أما وقد علمنا أن ما قبل الشعور يبقى طيلة الليل كله متركزاً في رغبة النوم ، ففى مقدورنا أن نتابع فهم عملية الحلم مرحلة أبعد . ولكن يجعل بنا أولاً أن نلخص عملنا حتى الآن : إن الموقف هو هذا : إما أن بقايا من اليوم السابق قد تخلفت عن نشاط الحياة المستيقظة ولم يمكن حصر كل استثمار للطاقة عنها ، أو أن نشاط الحياة المستيقظة قد أدى في خلال النهار إلى إثارة رغبة لاشعورية ، أو أن هذين الحدين قد اتفقا وقوعهما معاً (وسبق أن ناقشنا الاحتمالات المختلفة في هذا الصدد) . ونصل الرغبة اللاشعورية نفسها ببقايا النهار وتجري تحويلاً إليها ، وقد يحدث ذلك في أثناء النهار وقد لا يحدث إلا بعد أن تستب حالة النوم . وحينئذ تنبعث رغبة قد تم تحويلها إلى مادة جديدة . أو تكسب رغبة حديثة - وقد لاقت الكبت - حياة جديدة بتعزيزها من اللاشعور . ونسمى هذه الرغبة إلى أن تشق طريقها وفق الطريق السوى الذى تسلكه عملياتنا الفكرية إلى الشعور مارة من خلال ما قبل الشعور الذى تنتمى إليه هذه الرغبة انتهاءً جزئياً . ولكنها تصطدم بالرقابة التى لا تزال قائمة والتى تعمل فيها الآن تأثيرها . وهنا تلبس الرغبة ثوب التشويه الذى تمهد له الطريق من قبل بتحويل الرغبة إلى مادة حديثة . وإلى هذا المدى تكون الرغبة في طريقها إلى أن تصبح فكرة قهرية أو هجاساً أو شيئاً من هذا القبيل . أى فكرة زاد التحويل شدتها وشوشت الرقابة تعبيراً . غير أن حالة النوم التى يوجد عليها ما قبل الشعور توقف تقدمها بعد ذلك - والراجع أن هذا النظام قد حمى نفسه من الغزو بخفض تهيجاته نفسه . وعلى ذلك تسلك عملية الحلم طريق التكوّن المفتوح أمامها بفضل طبيعة النوم على التحديد ، وتسير في هذا الطريق مقادة بالجلب الذى تمارسه تفسير الأحلام

لإزاعها مجموعات من الذكريات لا يوجد بعضها إلا في صورة استنارات بصرية وحسب ، وليس كترجمات إلى لغة الأنظمة اللاحقة [انظر ص ٥٣٧ - ٥٣٨] . وفي أثناء هذا الطريق تكتسب عملية الحلم صفة قابلية التصور (وأتحدث فيها بعد عن مسألة الضغط [أو التكثيف] [ص ٥٠٨]) . وبهذا تكون تلك العملية قد أكملت الجزء الثاني من رحلتها المتعرجة . لقد كان الجزء الأول ذا اتجاه تقدي يذهب من المشاهد والتخييلات اللاشعورية إلى ما قبل الشعور ، وأما الجزء الثاني فيعود من حافة الرقابة إلى الإدراكات . ولكن ألا وقد صارت عملية الحلم إلى محتوى إدراكي فلماذا عينه تكون كأنما داورت العائق الذي يعترضها على يد الرقابة وحالة النوم في قبس . ، إنما تفلح في جذب الانتباه إليها وفي الظفر . بملاحظة الشعور . ذلك أن الشعور الذي ننظر إليه باعتباره عضواً حسيّاً غرضاً لإدراك الكيفيات النفسية قادر في حياة اليقظة على تلقى التهييجات من جهتين : أولاً ، من الحافة المحيطة بسطح الجهاز كله ، من النظام الإدراكي ، ثم - بالإضافة إلى ذلك - من تهييجات اللذة والألم التي تدل الدلائل على أنها تكاد تكون الكيف الوحيد الذي يصحب تقلبات الطاقة في داخل الجهاز . فجميع العمليات الأخرى التي تقع في الأنظمة ن . - بما فيها قبس . - مجردة من كل كيفية نفسية ، وبذلك لا تستلزم أن تكون موضوعات للشعور إلا من حيث تسلم للذة أو ألماً . ونحن بذلك مساقون إلى أن نستخلص أن هذه الظرفيات من اللذة والألم تنظم سير العمليات الاستثنائية تنظيمياً أولوياتياً [أى بدون تدخل الشعور] . ولكن لكي يصبح الإتيان بأفعال أدق تركيياً شيئاً ممكناً ، فقد صار من الضروري فيما بعد أن يجعل سير الأفكار غير متوقف على انتقاء الألم أو وجوده . ولهذا الغرض احتاج النظام قبس . إلى أن تكون له كيفيات خاصة به تستطيع أن تجتذب انتباه الشعور ، ومن الراجح هنا أكبر الرجوح أنه قد وجدها بربط العمليات قبل الشعور بالنظام الذكروي للرموز اللغوية - وهو نظام لا يخلو من الكيف [انظر ص ٥٩٩] . وبفضل كيفيات هذا النظام صار الشعور كذلك عضواً حسيّاً يُعلم به جزء من عملياتنا الفكرية بعد أن كان حتى الساعة عضواً حسيّاً تعلم به الإدراكات وحدها . وبذا يصبح عندنا الآن - إن جاز التعبير - سطحان حاسمان ، ينتج أحدهما جهة الإدراك ويتجه الآخر جهة العمليات الفكرية قبل الشعور^(١) .

(١) [يستعمل فرويد كلمة الإدراك (Wahrnehmung وبالإنجليزية "Perception") بمعنى الانبعاث -

ويجب على أن أفترض أن حالة النوم تجعل السطح الحاس للشمور المتجه نحو قبش . يقل كثيراً عن السطح المتجه نحو الأنظمة إد . من حيث قابلية التبيج . ومن المستيقن أن إبطال الاهتمام بالعمليات الفكرية في أثناء الليل لا يخلو أيضاً من الغرض : فمن الواجب أن يقف كل فكر لأن ما قبل الشمور يطلب النوم . ولكن الحلم - وقد صار إدراكاً - لا يلبث حتى تصير له القدرة على تبيج الشمور بفضل ما اكتسبه الآن من الكيفيات . وهذا التبيج الحسى لا يلبث أن يحقق ما هو وظيفته الجوهرية ، فيحول جزءاً من الطاقة الاستثنائية المتوافرة في قبش . إلى انباه متجه إلى علة التنبيه . وعلى ذلك يجب التسليم بأن لكل حلم تأثيراً موقظاً : أى أنه يحرك جزءاً من الطاقة الاستثنائية المستكنة في قبش . إلى العمل . وعندئذ تحدث هذه القوة ذلك التأثير الذى وصفناه بأنه مراجعة ثانوية تستهدف جعل الحلم متنق الأجزاء معقولا . وهذا يعنى أن الحلم يعامل عندئذ كما يعامل أى محتوى إدراكى آخر ، أنه يلاقى - بقدر ما تحتمله مادته - بما يلاقى به غيره من التوقعات الفكرية [ارجع إلى ص ٤٩٥] . وبقدر ما يكون لهذا الجزء الثالث من عملية الحلم أى اتجاه ، فهو اتجاه تقدى .

ولكى نتجنب كل خطأ في الفهم فقد تناسب المقام هنا كلمة عن الترتيب الزمنى لهذه العمليات الحسية : لقد اقترح جوبلو فكرة جد جذابة ، أوحاها من غير شك لغز حلم مورى عن المفصلة [ص ٦٤] . فهو - أعنى جوبلو - يريد أن يثبت أن الحلم لا يشغل من الزمن إلا فترة الانتقال من النوم إلى اليقظة . فعملية الاستيقاظ تستغرق مقداراً من الزمن وفى هذا الزمن يقع الحلم ، وتتشكل نحن أن الصورة الأخيرة للحلم كانت قوية حتى إنها أيقظتنا بينما الحقيقة أن هذه القوة لم تكن لها إلا لأننا كنا فى هاته اللحظة على وشك الاستيقاظ : « الحلم يقظة تبدأ » ^(١) . ولقد سبق أن بين دوجا كيف يضطر جوبلو إلى أن يخض النظر عن الكثير من الحقائق قبل أن يستطيع إطلاق

- حالة الجهاز المستطبة (فى مقابل المصدر أو الحركة) بصورة بصرية أو سمعية ، إلى آخر الكيفيات المختلفة . وهذه الصورة (أو المحتوى الإدراكى) قد تكون ذات حقيقة موضوعية وقد تكون ملوسية وحسب - كما هو الشأن فى الأحلام . وهذا الإدراك - يتبع إدراكاً ثانياً (بحسب فرويد أحياناً *Andenung* وبالإنجليزية *apprehension*) بمعنى انجذاب الانتباه وحصول العلم به . وذلك هو الشمور ، أو الشمور إلى المحتوى الإدراكى هو حضور هذا الإدراك الثانى - على ما جاء فى هذه الفقرة (وانظر أيضاً ص ٧٩٥) .

(١) ["Un rêve c'est un réveil qui commencent."] .

رأيه هذا على عمومه . فهناك أحلام لا يستيقظ المرء منها . مثال ذلك بعض الأحلام التي يحلم فيها المرء أنه يحلم . وما كنا نحن - بعد الذى علمناه عن عمل الحلم - لنستطيع الموافقة على أن الحلم لا يشغل إلا فترة الاستيقاظ . بل الراجع عندنا - على العكس - هو أن الجزء الأول من عمل الحلم قد بدأ أثناء النهار نفسه تحت سيطرة ما قبل الشعور . وأما جزؤه الثانى - التعديل الذى تفرضه الرقابة والجذب الذى يصدر عن المشاهد الطفلية وثنى الطريق إلى الإدراك - فلا شك فى أنه يستغرق الليل كله . ونحن من هذه الناحية قد نكون على حق دائماً حين نعرب عن شعورنا بأننا كنا نحلم طيلة الليل وإن لم نستطع النول به [انظر ٥١١] . غير أننى لا أرى ضرورة إلى أن نفترض أن الحلم يلتزم فعلاً - حتى يصير شعورياً - هذا الترتيب الزمنى الذى وصفت : فيكون أول ما يقع هو الرغبة الحلمية الموهلة ثم يعقب التشويه بوساطة الرقابة ثم التغيير النكوصى فى الاتجاه ، وهكذا . وإنما اضطررنا إلى الأخذ بهذا الترتيب التعاقبى عند الوصف ، ولكن الذى يحدث حقيقة هو ولا ريب استكشاف يضرب فى هذا الاتجاه وذلك فى آن واحد ، ذبذبة فى التهييج تأخذ هذه الوجهة ثم تلك ، إلى أن يتراكم هذا التهييج أخيراً فى أنسب اتجاه فيثبت تجميع من تجمعاته دون سائره . ويبىأ إلى استناداً إلى بعض خبراتى الشخصية أن الحلم يقتضى فى كثير من الأحيان أكثر من نهار وليلة . وإذا كان الأمر كذلك لم نعد بحاجة إلى الدهش للمهارة الخارقة التى تتجلى فى تكوين الحلم . لا ، بل أعتقد أن الشرط الذى يقتضى أن يجمىء الحلم معقولا من حيث هو حدث إدراكى قد يأخذ فى إحداث فعله والحلم لما يجتلب الشعور إليه . ولكن لا شك فى أن العملية تسارع ، ابتداء من تلك اللحظة ، إلى ختامها ، فالحلم يعامل الآن مثلما يعامل أى مدرك آخر . إن الأمر أشبه بالصواريخ يستغرق إعدادها الساعات ثم تنفق فى لحظة واحدة .

إن عملية الحلم إما أن تكون الآن قد اكتسبت بعمل الحلم شدة تكفى لجذب الشعور إليها وإيقاظ ما قبل الشعور بغض النظر عن زمن النوم وعمره ، وإما أن شدتها لا تكفى ذلك فيتعين عليها البقاء فى حالة من الاستعداد إلى أن يصبح الانتباه خفيف الحركة قبيل الاستيقاظ فتلقاه . ويبدو أن غالبية الأحلام تعمل بشدات نفسية منخفضة نسبياً ، لأنها فى معظم الأحيان تبقى منتظرة إلى أن تحين لحظة البقطة . ولكن ذلك يفسر أيضاً تلك الحقيقة ، وأعنى بها أننا إذا أوقفنا من نوم عميق فجأة أدركنا فى العادة شيئاً حلمنا به . وفى هذه الحالات يكون أول ما نراه هو المحتوى الإدراكى الذى

كونه عمل الحلم ثم عقب ذلك نرى المحتوى الإدراكي الذى يعرض من الخارج - مثلما يقع حين نستيقظ من تلقاء أنفسنا .

غير أن الأحلام التى تملك القدرة على إيقاظنا فى منتصف النوم تثير قسماً أعظم من الاهتمام النظرى . ذلك أننا قد نفكر فى حسن التدبير الذى رأينا أنه القاعدة فى كل مكان ، فتسأل : لم زيد الحلم - أى الرغبة اللاشعورية - بالقدرة على إزعاج النوم - أى الرغبة قبل الشعورية ؟ إن ذلك يرجع من غير شك إلى علاقات خاصة بالطاقة لا نعلم من أمرها شيئاً . ولو كان لنا مثل هذا العلم لرأينا فى الراجح أن ترك الحلم يخلد مجراه مع إنفاقنا عليه مقداراً محدوداً من الانتباه غير المشغول هو اقتصاد فى الطاقة إذا قورن بما يقتضيه إلهام اللاشعور إلهاماً وثيقاً فى الليل مثله فى النهار . ثم إن التجربة ترينا أن الحلم لا يتعارض والنوم ، ولو قطع النوم مرات متعددة فى أثناء الليل ، فالمرء إنما يستيقظ عندئذ لحظة يعود على فورها إلى نومه . إنه كمن يطرد ذبابة وهو نائم ؛ فاستيقاظه محدود بغرضه وحين يستأنف المرء نومه يكون قد قضى على الإزعاج . ولا يتنافى تحقيق الرغبة فى النوم أقل تناف مع المداومة على صرف قسط من الانتباه فى ناحية ما - كما يتبين من أمثلة مألوفة كنوم المريض .

وهنا ينهض اعتراض يقوم على معرفة أدق بالعمليات الشعورية . فقد قلت : إن الرغبات اللاشعورية لا تنقطع عن النشاط . ولكن هذه الرغبات لا تبدو مع ذلك قوية إلى المدى الذى يجعلنا نحس بها فى أثناء النهار . فإذا ما ضربت حالة النوم أطناها وأبدت الرغبة اللاشعورية قوة تكفى تكوين الحلم وإيقاظ ما قبل الشعور ، فلماذا يفيض معين هذه القوة بعد أن يبلغ الحلم علمنا ؟ أما كان ينبغي أن يتردد الحلم من غير انقطاع كما تلح ذبابة سمجة على الرجوع كلما طردت ؟ بأى حق نزعم أن الحلم يقضى على إزعاج النوم ؟

إن من الصحيح كل الصحة أن الرغبات اللاشعورية ناشطة دائماً ؛ فهى بمثابة طرقات يمكن دائماً اجتيازها كلما التجأت إليها كية من التهييجات [انظر ص ٥٤٣ فى هامش] . بل إن كون العمليات اللاشعورية لا تقبل الهدم سمة بارزة من سماتها ، فلا شيء فى اللاشعور يهيم ولا شيء يزول أو ينسى . ويشعر المرء بذلك أشد ما يشعره حين يدرس الأعصاب ، وبخاصة المستريا . فالطريق اللاشعورية للأفكار ، الطريق المؤدية إلى التصريح

في النوبة المستمرة ، تصبح على الفور مهياة لاجتيازها من جديد إذا تراكم قدر كافٍ من التهييج . والمدة التي وقعت منذ ثلاثين عاماً تظل تعمل مثل مذلة مستحدثة طيلة هذه الأعوام الثلاثين بعد أن تجد مجازاً إلى المنابع اللاشعورية للوجدان . فكلما مست ذكرها انبثت إلى الحياة من جديد واتفق أنها لا تزال مستمرة بتهييج يجد تفريغه الحركي في نوبة من النوبات . وذلك على التحديد هو الموضع الذي يجب على التحليل النفسي أن يتدخل عنده . فهمته هي أن ييسر للعمليات اللاشعورية إمكانية معالجتها معالجة نهائية ونسيانها . لأن الاضمحلال الذكريات والوهن الوجداني للانطباعات التي قدم بها العهد — هذا الاضمحلال وهذا الوهن اللذان ننزع إلى اعتبارهما أمراً واضحاً بذاته ونتيجة أولية من نتائج فعل الزمن في الآثار الدكروية النفسية — إنما هما في الحقيقة تغييرات ثانوية لا تتم إلا بعمل شاق . والذي يقوم بهذا العمل هو ما قبل الشعور ، ولا يستطيع العلاج النفسي أن يتبع طريقاً آخر سوى وضع اللاشعور تحت سيطرة ما قبل الشعور^(١) .

وهكذا يكون لكل عملية تهييجية لاشعورية مخرجان ممكنان : إما أن تترك لشأنها ، وهي في هذه الحالة قد تتمكن من شق طريقها في موضع ما وفي هذه المناسبة المفردة تحصل على تفريغ تهييجها في الحركة ، أو هي قد تقع تحت تأثير ما قبل الشعور ، وبذلك يقيد تهييجها بدل أن يفرغ ، وهذا الاحتمال الثاني هو الذي يتحقق في عملية الحلم ؛ فالاستثمار الذي يلعب إلى منتصف الطريق صادراً عن ما قبل الشعور ليلاق الحلم بعد أن صار محتوي إدراكياً ، ويذهب إليه بفعل التهييج الذي يحدثه الحلم عندئذ في الشعور ، هذا الاستثمار يقيد التهييج اللاشعوري للحلم ويسلبه القدرة على الإزعاج . وإذا كان من الحق أن الحلم يستيقظ طرفه عين ، إلا أنه يكون في الواقع قد طرد بذلك اللبابة التي كانت تهدد بإزعاج نومه . ومن ثم فقد نحس الآن أن السماح للرغبة اللاشعورية بأن تأخذ مجراها وتركها تسلك طريق التكوص لكي تكون حلماً ثم تقيد الحلم بعدئذ والتخلص منه ببذل قسط ضئيل من العمل قبل الشعور — هو فعلاً مسلك أحسن تدبيراً وأكثر اقتصاداً من المداومة على إلجام اللاشعور إلجاماً محكماً طيلة فترة النوم جميعها . والحق أنه كان أمراً متوقفاً أن يكون الحلم قد اكتسب لنفسه وظيفة ما وسط اللعب المتبادل بين القوى النفسية ، حتى لو كان في مبدأ أمره عملية مجردة

(١) [أبرز المؤلف هذه الجملة اهداء من ١٩١٩ . انظر ص ٥٤٣ في الملاحق] .

من كل قصد نافع . وفي وسعنا الآن أن نرى ما هي هذه الوظيفة : فالحلم قد أخذ على عاتقه أن يعيد إلى سيطرة ما قبل الشعور التهييج الذي ترك حراً في اللاشعور . وهو إذ يفعل ذلك يفرغ التهييج اللاشعوري ، يعمل له عمل صهام الأمان وفي الوقت عينه يصون نوم ما قبل الشعور لقاء بذل ضئيل للنشاط المستبطل . وهكذا يكون الحلم حلاً وسطاً ، شأنه في ذلك شأن سائر الأبنية النفسية التي من طبقتها ، إنه يخدم كلا النظامين إذ يحقق كلنا الرغبتين - بقدر إمكان الاتفاق بينهما . فإذا ألقينا الآن نظرة إلى « النظرية الإفرافية » في الحلم - وهي النظرية التي قال بها روبرت وشرحتها في ص ١٩٩ - تبين أن من الواجب إقرار هذا المؤلف على ما يذهب إليه من حيث الجوهر ، من حيث يحدد للحلم وظيفة^(١) وإن كنا نختلف معه في المقدمات وفي نظرتنا إلى عملية الحلم .

إن التحفظ الذي نصصنا عليه في قولنا : « بقدر إمكان الاتفاق بين الرغبتين » ، يلمح إلى احتمال أن تكون هناك حالات تؤول فيها وظيفة الحلم إلى الإخفاق . فقد أذن لعملية الحلم أن تبدأ من حيث هي تحقيق رغبة ، ولكن هذا التحقيق الملتبس إذا نافر ما قبل الشعور مناصرة عفيفة حتى ليجعلني عاجزاً عن المضي في النوم كان معنى ذلك أن الحلم قد أدخل بالحل الوسط وأخفق في تحقيق النصف الثاني

(١) [عاش أضيف سنة ١٩١٤] أهله هي الوظيفة السعيدة التي تمكن إصابتها إلى الأحلام ؟ لست أحرف غيرها . صحيح أن مادي (١٩١٢) قد حاول أن يبين أن للأحلام وظائف أخرى « ثانوية » . فهو قد بدأ من تلك الملاحظة الصالحة : أن بعض الأحلام تتضمن محاولات في حل المشكلات تطف بد ذلك في الواقع وبذلك تلك كما لو كانت محاولات في التصدي على أفعال البهظة ، ثم بعد ذلك وازن بين هذه الأحلام وبين لعب الحيوانات والأطفال الذي يمكن احتجازه تدريجاً على نشاط الفرائز الفطرية واستعداداً لنشاط الجسد المقبل ، ثم خلص من ذلك إلى الفرض « وظيفة لامة » [Une Fonction Latente] للأحلام . ومن قبل مادي برز قليل كان الفريد أدلر (١٩١١) قد ألمح كذلك على أن للأحلام وظيفة « التفكير الاستباقي » . (وقد تحليل نشرته عام ١٩٠٥ هـ ١٩٠٥ م) أخذ حلم لا يمكن إلا أن ننده مرعباً عن لية يتردد كل ليلة حتى للذ . ومع هذا تقليل من التأمل يقتضيه بأنه لاحق لهذه الوظيفة « الثانوية » في أن تد موضوعاً من موضوعات تفسير الأحلام . فالتفكير المستبق وقد التية ومحاولة حلها قد تحقق بعد ذلك في حياة البهظة ، كل هذه وتغير غيرها يشبهها إنما هي نتاج لنشاط اللاشعوري وقبل الشعور ، ومن الجائز أن تدوم في حالة النوم باحتجازه وبقايا نهارية وأن تتحديرية لاشعورية في تكوين حلم من الأحلام (أنظر ص ٥٠٠ وما بعدها) . ومع هذا وظيفة « التفكير المستبق » المنسوبة إلى الحلم هي حل الأحاسيس وظيفة للتفكير المستبق قبل الشعور التي يمكن كشف نتائجها بتحليل الأحلام أو غيرها من الظواهر . لقد كان من المأثور زناً طويلاً ألا نلزم بين الأحلام وحتواها الظاهر ، ولكن من الواجب علينا اليوم أن نتجنب ذلك الخطأ الآخر ، وأضرب به المثلط بين الأحلام والابتكار الكاسنة .

من مهمته ، وفي هذه الحالة يقطع حبل الحلم على الفور ويحل محله الاستيقاظ التام . وهنا أيضاً لا يرجع الذنب في الحقيقة إلى الحلم إذا أُلحِمَ إلى الظهور بمظهر مزيج النوم ؛ بدل أن يعمل عمله السوي حارساً له ، ولا داعي بدعونا إلى أن نأثي الاعتراف له بقصده النافع ، فلكذا في الكائن العضوي ليس المثال الأوحده على وسيلة لها في السوي من الأحوال نفعا ولكنها لا تلبث أن تتجرد من هذا النفع وتغدو مزعجة إذا تغيرت الشروط التي تبعث عليها بعض التغيير . ثم إن هذا الإزعاج يخدم على الأقل ذلك الغرض الجديده ، ألا وهو : جذب الانتباه إلى التغيير وتحريك الأداة التي تنظم سير الكائن العضوي إلى العمل . والذي أفكر فيه بالطبع وأنا أقول هذا الكلام هو حالة أحلام الهيلة ، ولكي لا يظن بحق أنني أتجنب هذا الشاهد الذي ينقض نظرية تحقيق الرغبة كلما صادفته ، أدلى في تعليل هذه الأحلام ولو ببعض الإشارات .

لأن تكون عملية نفسية تتمخض عن الهيلة تحقيق رغبة في الوقت عينه ، هذه فكرة لم نعد منذ زمن طويل نرى فيها تناقضاً ما . فنحن نعلم أن من الممكن تعليلها بكون الرغبة تنتمي إلى نظام ، هو لا شيء . على حين أنها قد لاقت نبذاً وقمعاً من النظام قبش^(١) ولا يكون خضوع اللاشعور لما قبل الشعور خضوعاً مطلقاً حتى حين تكون الصحة النفسية

(١) [عاش أميحت سنة ١٩١٩ :] « وحامل آخر أم كثير وأما غورا - وإن كان غير المختص بحل أيضاً أمره - هو هذا : إنه لا شك في أن تحقيق الرغبة يجب أن يحل للذة . ولكننا نسأل عتقاً لمن يحلها ؟ لصاحب الرغبة بالطبع . ولكن علاقة الحالم برغباته - كما نعلم - علاقة لها طابعها الخاص كل الخصوص . فهو يبتلها ويراقبها ، أي أنه - في كلمة - غير راض عنها . ويكون من أثر ذلك أن تحقيقها لا يحل له للذة ، وإنما يحل للصد . وثرينا الخبرة أن هذا الصد يظهر في صورة الهيلة - وهو الأمر الذي لا يزال لدينا أن لناً يحلها . وهكذا إنما تجوز مقارنة الحالم - من حيث حقيقته من تحقيق رغباته - بمجتمع تركب من شخصين متصلين صدقت بينهما مع ذلك فكرة قوية . وينشأ عن الإطالة هنا أن أذكركم بدل ذلك بحكاية سريرة تروى فيها هذا الموقف حيث قد تكرر من جديد : ذلك أن جنبة طيبة وجدت ربيلا وأمراته بتحقيق رغباتها الثلاث الأولى من بين ما يشتهين . وأتلا الرجل وأمراته سروراً وصداء أنه حل ألا يتخارا رغباتها الثلاث إلا بعد كبير من التروي . سري أن رالمة بحق انبثت من الكوخ الجاور ، فبذت المرأة لو كان لها بزيجين مع . وفي طرق حين كان السجق أمامها وكان ذلك أولى تحقيق رغبة . ولكن الرجل استشاط غضباً فضى وهو في غيظه لو قد حلق السجقان بالهدا . فلما رأيا أن يتزمتا من مكانها الجديده . وكان ذلك ثاني تحقيق رغبة . وتعلمون كيف تمضي القصة بعد ذلك : فالرجل والمرأة إذا كانا - مهما كان الذي وقع بينهما - زوجين ، فقد وجب أن تكون الأمانة لفاتفة زوال السجق من ألف الزوجة . إن هذه القصة تنفع في تصور أمور كثيرة . ولكنها إنما نلهدنا في تصور ذلك الاحتمال : أن ما يحلق رغبة الواحد قد لا يحل للذة لآخر إذا كان الطرفان حل غير اتفاق . (عن المحاضرات المتهدية في التحليل النفسي ، فرويد ، ١٩١٦/١٩١٧) .

مكتملة : وإنما يُرِينَا مقياس القمع درجة السواء النفسى . وتدلنا الأعراض العصابية فى هذا الصدد على أن النظامين مشتبكان فى صراع كل والآخر فهى - هذه الأعراض - نتائج حل وسط ينهى الصراع لإنهاء موقوتاً : لأنها - من جهة - تسمح للاشعور بمخرج يفرغ منه تهيجه مزودة بإياه بما يشبه أن يكون باباً جانبياً . وهى - من جهة أخرى - تمكن ما قبل الشعور من السيطرة على الاشعور إلى حد ما . ومن المفيد فى هذا الصدد أن ننظر مثلاً فى معنى مخافة هستيرية أو فى معنى هيلة الأماكن الطلقة . ولنفرض مريضاً لا يستطيع اجتياز الشارع وحده - وهو وضع نعهه بنق " عرضاً " : إننا إذا أزعجنا هذا العرض بحمل المريض على أن يأق الفعل الذى يعتقد عجزه عنه . كانت النتيجة أن تنطلق نوبة من الهيلة . كما أن وقوع نوبة الهيلة يكون فى كثير من الأحيان السبب المعجل باستتباب المخافة . ومن هذا نرى أن العرض قد أقيم تجنباً لانطلاق الهيلة . أو أن المخافة بمثابة حصن يحمى من الهيلة .

لقد أخذنا فى مناقشة تستحيل مواصلتها إلا إذا بحثنا النصب الذى تقوم به الحالات الوجدانية فى هذه العمليات - هو ما لا نستطيع هنا إلا على نحو جد ناقص . فلنفترض إذن تلك القضية : وهى أن قمع الاشعور أمر يلزم قبل كل شيء لأن مجرى الأفكار فى الاشعور إذا ترك لنفسه تولدت عنه حالة وجدانية كانت فى الأصل ذات طابع لاذ ولكن صارت على عكس ذلك بعد وقوع عملية الكبت . والغرض من القمع . وكلمات نتيجته ، هو الحيلولة دون هذا الانطلاق للألم . ويمتد القمع إلى المحتوى الفكرى للاشعور لأن انطلاق الألم قد يبدأ من هذا المحتوى . وينطوى هذا الكلام على فرض محدد تمام التحديد فيما يتعلق بطبيعة توليد الحالة الوجدانية : فنحن نعد هذا التوليد وظيفة حركية أو إفرازية يكمن المفتاح إلى تعصبها فى الأفكار الاشعور [انظر ص ٤٦٥ - ٤٦٦] . ولكن السيطرة المفروضة من جانب ما قبل الشعور تخفق هذه الأفكار وتكفها عن إطلاق اندفاعاتها التى من شأنها توليد الحالة الوجدانية . فإذا انقطع الاستمرار من جانب ما قبل الشعور . كان الخطر أن تطلق التهيجات الاشعورية حالة وجدانية من نوع لا يمكن أن يحس إلا فى صورة ألم ، فى صورة هيلة - نتيجة للكبت الذى وقع من قبل .

هذا الخطر يتجسد إذا ترك لعملية الحلم أن تأخذ مجراها . وشرطاً تحققه هما : أن تكون عمليات كبت قد وقعت وأن تتمكن الاندفاعات الرابضة المقموعة من بلوغ قوة كافية وهما إذن شرطان يخرجان من نطاق سيكولوجية الحلم خروجاً تاماً ، ولولا

أن موضوعنا يرتبط بموضوع توليد الهيلة من نقطة واحدة - وأعني بها تحرر اللاشعور في أثناء النوم - لكان في مستطاعى أن أسقط كل مناقشة في صدد أحلام الهيلة وأن أتجنب الخوض على هذه الصفحات لما يحيط بها من الظلمات .

إن نظرية أحلام الهيلة - كما أعلته مراراً من قبل - جزء من سيكولوجية الأعصاب^(١) ولا يعود لنا شأن بها بعد أن نبين موضع التماس بينها وبين موضوع عملية الحلم . وكل الذى أستطيعه بعد الآن شيء واحد : ذلك أننى - وقد قررت أن الهيلة العصابية تنبعث من مصادر جنسية - أرى أن أحلل بعض أحلام الهيلة لكى أبين المادة الجنسية الماثلة في أفكارها الكامنة .

وعندى أسباب وجهة تدعونى إلى أن أترك جانباً في خلال المناقشة الحاضرة الأمثلة الغريبة التى يزودنى بها مرضاى العصايون وأن أستشهد بأحلام هيلة أتاها بعض الأحداث . لقد نطت عقود منذ أنانى حلم هيلة بالمعنى الصحيح ، ولكننى أذكر حلماً من سننى السابقة أو الثامنة ، حلته بعد ذلك بما يقرب من الثلاثين عاماً . كان حلماً شديداً الجلاء رأيت فيه أى الضيوبة ولقد أرتدم على ملاحظتها تعبير لائم وادع دعة غريبة يحماها شخصان (أولاد) : لهم مناقير الطير ويرلدهن على الفراش . واستيقظت باكياً صارخاً حتى قطعت على والدى نومهما - إن الشخصوس الملقعة في هيئة غريبة ، ذوات الطول الخارق ومناقير الطير قد اشتقوا من توراة فيليبسون^(٢) . ولا أخال إلا أنهم كانوا آلهة بوموس العقاب نقلت صورتهم من حفر جنائزى منحدر من مصر القديمة . وقد ذكرنى التحليل فوق ذلك بغلام سبي التشقة ، ابن بواب اعتاد اللعب معنا على حشيش أمام المنزل ونحن صغار ، ويغلب على ظنى أنه كان يدعى فيليب . ويبدو لى أن هذا الولد كان أول من سمعت على لسانه اللفظ العامى لفعل الجماع - وهو اللفظ الذى يستخدمه المحققون دائماً في محله كلمة لاتينية ، ولكن دل عليه في الحلم اختيار رموس العقاب دلالة كافية الموضوع^(٣) ولا بد أنى نعمت المفهوم الجنسى للكلمة من سبها معلنى المختك .

(١) في هذا الوضع أضاف لرويد الهيلة الآتية عام ١٩١٩ ثم حلها إهداء من سنة ١٩٢٥ : « وأحب أن ألع حل أن مشكلة الهيلة في الأحلام هى مشكلة هيلة لا مشكلة حلم » .

(٢) [Die israelitische Bibel] ، طبعة من طبقات العهد القديم بالفتن العبرية والألمانية ، ظهرت في ليدزج بين سننى ١٨٣٠ - ١٨٥٤ وظهرت طبعتها الثانية سنة ١٨٥٨ . وقد احتوى هامش الإصحاح الرابع من سفر التثنية على عدد من الرسوم تصور آلهة مصرية قديمة من بينها آلهة بوموس طيور .

(٣) [اللفظ الألماني العامى المشار إليه هو "Vogel" من "Vogel" بمعنى طير] .

هذا . فأما التعبير الذى ارتسم على ملامح أى فى الحلم فينتقل مرأى جدى إذ شهدته قبل موته بأيام قلائل وهو يشخر فى غيبوبته . وعلى ذلك وجب أن تذهب المراجعة الثانوية فى تفسيرها الذى تقوم به فى الحلم إلى أن الأم قد ماتت ، ويلام ذلك الحفر الجنائزى كذلك . واستيقظت فى هيلة لم تنقطع حتى أيقظت والدى . وأذكر أنى هدأت فجأة حين رأيت وجه أى كأنما كانت فى حاجة إلى ما يطمئنى أنها لم تمت . سوى أن هذا التفسير الثانوى إنما أنى تحت تأثير هيلة قد أدخلت من قبل فى التمهض . فأنا لم أستشعر الهيلة لأن أى قد ماتت ، بل فسرت الحلم هذا التفسير فى مراجعتى الثانوية إياه لأننى كنت فعلا تحت تأثير الهيلة . فإن حسبنا للكبت حسابه أمكن تأثر الهيلة إلى رغبة مبهمه ، جنسية فى غير خفاء ، وجدت فى المحتوى البصرى للحلم ما يعرب عنها إصراياً موفقا .

وحكى رجل فى السابعة والعشرين من عمره كان مريضاً بمرض خطير منذ عام أنه وهو بين الحادية عشرة والثالثة عشرة كان يحلم تكراراً (مع مصاحبة هيلة شديدة الرواة) بأن رجلاً يطارده بفأس فيحاول الفرار منه ولكنه يبدو كأنما أصابه الشلل فلا يستطيع التحرك من موضعه . إن ذلك مثال طيب من نوع شائع غاية الشيوع ما كنا نظنه قط حلماً جنسياً . فلما أدخلنا فى التحليل عثر الحلم بادئ ذى بدء على قصة ترجع إلى زمن متأخر عن الحلم ، رواها له عمه عن رجل مربب الطلعة هاجمه ليلة فى الطريق . واستخلص الحلم بنفسه من هذا الاستدعاء أنه ربما كان قد سمع بقصة تماثل هذه فى زمن الحلم . وأما فيما يتعلق بالفأس فيذكر الحلم أنه قرب هذا الزمن قد جرح يده بفأس وهو يقطع الخشب . ثم مضى على أثر ذلك إلى الحديث عن علاقاته بأخيه الأصغر ، لقد كان من عادته أن يسيء إلى هذا الأخ وأن يقرعه على الأرض ، وإنه ليلذكر بنوع خاص مناسبة رفض فيها بمجداته الغليظ رأس أخيه فأدماه ، ويذكر كيف صاحبت أمه حينئذ : أحشى أن يكون موت الصغير على يديه يوماً ما . وبينما بدا أنه ما زال مشغولاً بموضوع العنف طرأت على باله فجأة ذكرى ترجع إلى سنته التاسعة : فقد عاد والداه إلى المنزل فى ساعة متأخرة وذهبا إلى الفراش بينما كان هو يتصنع النوم . وما لبث أن سمع لهما وأصواتاً أخرى بدت له غريبة عن كل مألوف ، كما استطاع كذلك أن يحذر وضع الزوجين فى الفراش . وتبين من أفكاره بعد ذلك أنه قد عقد مماثلة بين علاقة والديه هذه وبين

علاقته هو بأخيه . فقد أدرج ما وقع بين والديه في تصور : العنف والشجار . وأيد هذا الظن عنده أنه كان كثيراً ما يرى دما على فراش الأم .

إن كون الجماع الجنسي بين الراشدين يقبلاً من يلحظونه من الأطفال كما لو كان شيئاً غريباً عن المألوف يثير الروح في نفوسهم . أمر يجوز لي القول بأنه موضع خبرة يومية . ولقد علت هذه الهيلة بالقول : إننا نرانا هنا إزاء تهيج جنسى لم يستطع الأطفال السيطرة عليه بألفهمهم كما أنهم يسارعون بلا ريب إلى نبذه لأنه يمس والديهم ، ومن ثم يتحول إلى هيلة . وهناك بعد مرحلة تسبق هذه من مراحل الحياة الجنسية نرى فيها التهييجات المتجهة إلى الولد الذى من الجنس المقابل وهى لا تلتى بعد كبتاً وتعرب عن نفسها إعراباً حرّاً - كما سمعنا من قبل (ص ٢٧٧) .

ولست أتردد في تطبيق هذا التعليل ذاته على نوبات الهيلة الليلية المصحوبة بهلاوس (pavor nocturnus) والى يشيع وقوعها عند الأطفال كل شيوع . فإ يتعلق الأمر هنا أيضاً إلا بانطباعات جنسية لم تلق فهما ولاقت نبذاً . ومن المرجح أن يطلعا الاستقصاء في البحث على دورية نظيمة في وقوع هذه النوبات ، إذ أن زيادة الليبدو الجنسية لا تنجم عن الانطباعات المهيجة العارضة وحدها ، بل هى قد تكون متوقفة كذلك على موجات متعاقبة من العمليات التخفضية التلقائية .

والى لتعوزنى المادة الكافية القائمة على الملاحظة حتى أتمكن من تأييد هذا التعليل^(١) وأما أطباء الأطفال فيبدو على العكس أنهم إنما تعوزهم وجهة النظر التى يستطيعون بها وحدها فهم جميع هذه الطبقة من الظواهر ، سواء من الناحية الجسمية أو النفسية . وأود أن أسوق في هذا الصدد مثالا مضحكاً يرينا كيف تستطيع مئات^(٢) الأساطير الطيبة أن تعمى المرء عن فهم أمثال هذه الحالات بعد أن صار من هذا الفهم قيد شعرة ، وهذا المثال قد وجدته في رسالة دوباسكر عن الرعب الليلي (١٨٨١ ، ص ٦٦) :

ولد ضعيف الصحة في الثالثة عشرة من عمره أخذ يقدو قلقاً حائلاً ، وصار ينام نوماً مضطرباً تقطعه نوبات شديدة الوطأة من الهيلة المصطحبة بهلاوس - وكانت تقع

(١) [هاش أصناف سنة ١٩١٩ :] مث أن كبت هذه السطور ظهر في الملاحظات التحليلية النفسية عدد طير من هذه المادة .

(٢) [جميع «مئة» - وهو ما يوضح على عين الحسان لكن ينظر إلى الأمام . وفي لغة حوزيتنا : التظاهرات] .

له بما كاد أن يعدل المرة في كل أسبوع . وكانت هذه الأحلام واضحة دائماً في ذاكرته كل الوضوح . وهكذا أمكنه أن يروى أن الشيطان قد صاح به : لقد أمسكنا بك . لقد أمسكنا بك . وحيث كانت تتصاعد رائحة قاروكبريت وتحرق ألسنة النار جلده . وكان يستيقظ في رعب وهو لا يستطيع في مبدأ الأمر صراخاً ، فإذا استرجع صوته سمعته سمعاً واضحاً وهو يقول : « لا . لا ، ليس أنا . إلى لم أرتكب شيئاً » أو : « صفحاً . صفحاً ، لن أعود إلى ذلك ثانية » . وكان يقول في أحيان أخرى : « إن أليبر لم يرتكب ذلك قط » . وبعد ذلك صار الولد يرفض نزع ثيابه « لأن النار لا تمسك به إلا وهو عار » . وأرسل الولد وسط هذه الأحلام الشيطانية التي صارت خطراً يهدد صحتة إلى مكان في الريف حيث استعاد صحتة في خلال عام ونصف العام . فلما بلغ الخامسة عشرة من عمره اعترف مرة قالاً : « إلى لم أكن أجروء على الاعتراف بذلك . ولكني كنت أحس طيلة الوقت نخساً في الأعضاء^(١) وتبهيجاً زائداً ، وأخيراً جعل ذلك يثير أعصابي حتى إنني فكرت كثيراً من المرات في إلقاء نفسي من نافذة عبر النوم^(٢) » . الحق أنه لا يصعب علينا أن نخمن : ١ - أن الولد كان يستعنى حين كان أصغر سنّاً ، وأنه قد أنكر ذلك في الراجح ، وأنه هدد بعقاب شديد على عادته السيئة (انظر تصريحه : « لن أعود إلى ذلك أبداً » ، ثم إنكاره : « إن أليبر لم يرتكب ذلك قط »)^(٣) . ٢ - أن دفعات المراهقة قد أحييت من جديد إغراء الاستمناء في صورة ذلك النخس المحس في أعضائه التناسلية ، غير أن ٣ - صراعاً نشب في نفسه من أجل الكبت . فقمع الليبدو عنده وأحالمها إلى هيلة . وأخلت هذه الهيلة تردد من بعد ما قد هدد به للولد في تلك المرة من صنوف العقاب .

فلنسمع الآن النتائج التي انتهى إليها مؤلفنا (ص ٦٩) : « يخلص من هذه الملاحظة ما يأتي : ١ - أن تأثير المراهقة قد تنجم عنه عند طفل ضعيف الصحة حالة من الضعف الشديد وقد يؤدي إلى درجة شديدة من الألبية الغمية^(٤) » .

(١) أنا الذي أبرزت هذه الكلمة ، وأخطأ في فهمها محال على أية حال .

(٢) "Je n'osais pas l'avouer, mais j'éprouvais continuellement des picotements et des sautillonnements aux parties; à la fin, ce la m'incervait tant que plusieurs fois j'ai pensé me jeter par la fenêtre du dortoir."]

(٣) ["Je ne le Feral plus. Albert n'a jamais fait ça"]

(٤) الإبراز من عنق .

- ٢ - تؤدي هذه الأتيمية إلى تغيير في الطبع وهلاوس مدارها الشيطان وإلى حالات من الهيلة شديدة العنف تقع في أثناء الليل ، وربما كانت تقع أيضاً في أثناء النهار .
- ٣ - يرجع هواس الشيطان وترجع مؤخذة الولد نفسه إلى مؤثرات التربية الدينية التي أثرت فيه وهو طفل .
- ٤ - اخضت جميع هذه المظاهر في خلال إقامة مطولة في الريف ، نتيجة للتمرين البدني ولا سترجاع القوى بعد انقضاء المراهقة .
- ٥ - من الجائز أن نعزو إلى الوراثة وإلى إصابة الأب القديمة بالزهرى تأثيراً مهد لشبه حالة الطفل الهية .
- ثم ها هي كلمة الختام : ولقد أخرجنا ملاحظتنا في نطاق أهلية الإعياء غير الحمية ، وذلك لأننا نعزو هذه الحالة الخاصة إلى الأسكيمية الهية ^(١) .



العمليات الأولية والعمليات الثانوية - للكبت

إني حين جازفت فحاولت أن أتمتع سيكولوجية عمليات الحلم قد تكلفت مهمة صيرة ، ثم هي مهمة ليس عندي من القدرة على العرض ما يكافئها . فإن أنقل ما هو في الحقيقة كل معقد متزامن الأجزاء في وصف متعاقب الملاحظات وأن أظهر في كل قضية أسوقها بمظهر من لا يعلم شيئاً عن مقدمتها ، ذلك ما تعجز عنه قوى . وكل هذا هو الجزء الوفاق على أنني حين تعرضت لسيكولوجية الحلم لم أستطع اتباع التطور التاريخي لأفكارى . فقد جئت إلى موضوع الحلم مقادراً بأعمال السابقة في ميدان سيكولوجية الأعصاب التي أردت ألا أتخذ منها أساساً أرجع إليه في الكتاب الحاضر ، ومع هذا أراي أني مسافراً إلى ذلك في كل خطوة أخطوها بدل المضي في الاتجاه المخالف متخذاً من الحلم وسيلة إلى الاقتراب من سيكولوجية الأعصاب كما كانت مشيتي . وإني لأعلم كل

(١) ["Nous avons fait entrer cette observation dans le cadre des délirs pyrrétique d'inanition, car c'est à l'ischémie cérébrale que nous rattachons ai états particuliers."] .

الاضطراب الذى يجره ذلك على القارئ ، ولكنى لا أعرف وسيلة إلى تجنبه .

وبين هذا السخط على تلك الحال يسرى أن أقف هتبة عند اعتبار آخر أرى أنه يرفع من قيمة الجهود التى بذلت . فقد رأيتى أواجه موضوعاً غلبت على آراء أهل الثقة فيه أقطع المتناقضات — على ما بينته فى الفصل الأول . ولكن معالجتنا لمشكلات الحلم قد تركت لغالبية هذه الآراء المتناقضة محلاً . فليس إلا رأينا رأينا وجوب نفيها نفياً باتاً : أن الحلم عملية لا معنى لها وأنه عملية جسمية . وأما فيما خلا ذلك فقد كان فى استطاعتنا أن نجد مبرراً لجميع هذه الآراء المتناقضة فى موضع أو آخر من نظريتنا المعقدة ، وأن نبين أن كلا منها قد لس طرفاً من الحقيقة . فالرأى القائل : إن الأحلام تواصل مشاغل حياة اليقظة وأهتاماتها قد أيد مطلق التأييد باكتشاف أفكار الحلم الخفية . فهذه لا تشغل إلا بما يدولنا ذا خطروثير أعظم اهتمامنا ، ولا تشغل الأحلام أبداً بالصغائر ولكننا رأينا كذلك ما يدعو إلى قبول الرأى المخالف أن الحلم يلتقط الحثالة التافهة المتبقية من النهار ولا يستطيع الاستيلاء على أحد اهتماماتنا الهاربة الكبرى إلا بعد أن يخرج هذا الاهتمام من نطاق نشاطنا المستيقظ بعض الخروج . فقد رأينا أن هذا الرأى يصدق على محتوى الحلم الذى يعرب عن أفكار الحلم فى صورة غيرها التشويه . وكان الذى قلناه هو أن الاستيلاء على مادة فكرية حديثة أو مجردة من الشأن ، لم تقع بعد تحت نير النشاط الفكرى المستيقظ ، أسهل على عملية الحلم لأسباب تتعلق بميكانيكية التداعى ، ولأسباب تتعلق بالرقابة كانت هذه العملية تحول الشدة النفسية عما هو هام لكنه غير مقبول إلى ما كان أمره يستوى . فاما أن الأحلام ذات ذاكرة مفرقة وأنها تنفذ إلى مادة من عهد الطفولة . فذلك ما صار ركناً رئيساً فيها نلحبه إليه ، فنظريتنا فى الحلم ترى فى الرغبات الناشئة من الطفولة قوة دافعة لا يستغنى عنها فى تكوينه . ولا خطر لنا بالطبع أن نلقى ظلاً من الشك على ما أثبتته التجريب من أهمية المنبهات الحسية الخارجية فى أثناء النوم ، سوى أننا بينا أن علاقة مثل هذه المادة برغبة الحلم لا تختلف عن علاقة بقايا الفكر المختلفة من النهار . كذلك لم نرمدعاة إلى منازعة الرأى القائل بأن الأحلام تولد المنبهات الموضوعية الحسية كما تفعل أوهام الحواس ، ولكننا بينا دافع هذا التأويل — وهو الدافع الذى تركه المؤلفون الآخرون من غير تحديد ذلك أن هذا التأويل يؤتى بحيث يفقد الموضوع الملوك قدرته على إزعاج النوم ويصير فى الوقت عينه قابلاً لأن يستخدم طوع

تحقيق الرغبة . وأما الحالات التيسيرية الذاتية التي تطرأ على أعضاء الحواس في خلال النوم - هذه الحالات التي يبدو أن ترمال لاد قد أثبت وقوعها - فصحيح أننا لم نسلم بها مصدرًا خاصًا من مصادر الحلم ، ولكننا استطعنا تعليلها قائلين : إنها تنجم عن الإحياء التكويني للذكريات التي تعمل عملها وراء الحلم . والإحساسات العضوية الباطنية التي كانت تعد طواعية حجر الزاوية في تعليل الأحلام ، هذه أيضاً قد احتفظت بمكان في نظريتنا - وإن يكن مكاناً أكثر تواضعاً . فهذه الإحساسات - كإحساس الوقوع أو الهولم في الفضاء أو الكف - توفر مادة يسهل تناولها في كل وقت ويستطيع عمل الحلم أن يلجأ إليها من أجل الإعراب عن أفكار الحلم كلما دعت إلى ذلك حاجة .

والقول بأن عملية الحلم عملية سريعة آتية قول صادق في نظرنا فيما يتعلق بإدراك الشعور للمحتوى الحلمى الذى تم تكوينه ، ولكن الرجوع أن الأجزاء السابقة من عملية الحلم تجري جرياً بطيئاً متتابعاً . واستطعنا كذلك أن نشرك في حل لغز الأحلام التي تحتوي على مقدار ضخم من مادة ضغمت في أقصر برهة من الزمن حين أوجينا أن الحلم في أمثال هذه الحالات إنما يضع يده على مادة جاهزة الصنع كانت حاضرة في الحياة النفسية من قبل . وأما أن الذاكرة تشوه الأحلام وتجزئ منها فهذا ما نسلم به ولكن دون أن نعد عقيباً ؛ فاذ ذلك إلا آخر جزء من أجزاء النشاط المشوه الذى تحرك إلى العمل منذ بدء تكوين الحلم وأظهرها . ثم هاته المعركة المرة والتي لا يبدو سبيل إلى الاتفاق فيها حول ما إذا كانت النفس تنام في الليل أو تمتلك جميع أماكنها امتلاكها إياها في النهار ، لقد كان رأينا فيها أن كلا الجانبين صحيح دون أن تكون له الصحة كلها . فقد رأينا في أفكار الحلم شاهداً على وظيفة عقلية غاية في التعقيد تكاد تعمل بكل ما يملك الجهاز النفسى من الموارد ، ولكننا لا نستطيع أن ننكر مع ذلك أن هذه الأفكار الحلمية قد نشأت في خلال النهار كما أنه لا محيد عن أن نفترض أن الحياة النفسية تمر بحالة من النوم . وهكذا حتى نظرية النوم الجزئى قد ظهرت لما هى الأخرى أهميتها - وإن لم يكن من رأينا أن خاصة حالة النوم تقوم في تصدع الروابط النفسية ، بل في تركيز النظام النفسى المسيطر نهاراً في رغبة النوم . كذلك يحتفظ عامل الانفصال عن العالم الخارجى بأهميته في نطاق تصورنا ؛ فهو ييسر نكوص التصوير الحامى - إن لم يكن العامل الوحيد في ذلك . ثم التخلي عن توجيه الأفكار توجيهاً إرادياً ، تلك حقيقة لا سبيل إلى

الجدال فيها ، لكنها لا تفقد الحياة النفسية كل قصد ، فقد رأينا كيف تتولى مقابله الحكم أفكار غائية لا إرادية بعد النزول عن الأفكار الإرادية . وأما تراخى روابط التداعى فلم نقف عند قبوله وحسب ، بل بينا أنه يمتد إلى أبعد مما كان يظن ، إلا أننا رأينا أن هذه الروابط المترامية إنما هي بدائل تحل محل أخرى صحيحة حافظة للمعنى . وقد وصفنا الحلم يقيناً باللامعتقولة ، ولكن الأمثلة أرتنا أى حكمة يبلغها الحلم وراء مظهره الفاسد . فأما عن الوظائف التى ينبغى إستادها إلى الحلم ، فهذا مالا تخالف فيه أحداً . فالقول بأن الحلم يخفف النفس مثل صمام أمان أو - على تعبير روبرت - بأن أشياء ضارة من كل نوع تفقد ضررها بتصويرها فى الحلم ، هذا القول لا يتفق وحسب مع نظريتنا فى تحقيق الرغبة ، بل إنه ليبدو مفهوماً فى كلماتنا أكثر منه فى كلمات روبرت نفسه . وأما انطلاق قدرات النفس فى لعب حر فهذا ما يتمثل عندنا فى قولنا : إن النشاط قبل الشعور يترك الأحلام تأخذ مجراها . وارتداد الحياة النفسية فى الحلم إلى وجهة نظر جنينية « أو قول هافلوك إليس إذ يصف الحلم بأنه : « عالم أترى من الانفعالات المهمة والأفكار الناقصة » ^(١) ، كل أولئك يبدو لنا استباقاً موقفاً إلى ما ذهبنا إليه من أن أساليب النشاط البدائية المقموعة فى النهار يسمح لها بالاشتراك فى تكوين الحلم . ولم قول سوللى « إن الحلم يستعيد ما تعاقب نموه من سابق شخصياتنا ويستعيد أساليبنا القديمة فى النظر إلى الأشياء والإحساس بها كما يستعيد اندفاعات وأساليب فى الاستجابة كانت تسيطر علينا منذ زمن بعيد » ، فقد وسعنا قبوله رأياً من آرائنا كل القبول ، ولا نحن نتخلف وراء دولاچ فى أن « المقموع » هو القوة الدافعة إلى فعل الحلم .

ولقد سلمنا تسليماً كاملاً بأهمية النصب الذى يعزوه شررر إلى « مخيلة الحلم » كما سلمنا بتفسيرات شررر ذاتها ، سوى أننا اضطررنا إلى تغيير مكانها من المشكلة - إن جاز التعبير . فالمسألة ليست أن الحلم يخلق الصور المتخيلة بل الأصدق أن النشاط اللاشعورى للمخيلة يشارك فى تكوين أفكار الحلم بأعظم نصب . فنحن ننظر مدينين لشررر بكشفه عن مورد أفكار الحلم ، ولكن كل ما يعزوه إلى عمل الحلم - أو كله على التقرّب - إنما يبنى عزوه فى الحقيقة إلى نشاط اللاشعور خلال النهار - وهو النشاط الذى يوفر الحافز إلى الأحلام وإلى الأعراض العصبية على السواء . ولقد اضطررنا

أن نفرق بين هذا النشاط وعمل الحلم على اعتبار أن هذا الأخير شيء مختلف كل الاختلاف وأضيق مفهوماً بكثير. وأخيراً ، فنحن لم نترك العلاقة بين الحلم والاضطرابات النفسية بحال ما ، بل أرسيناها على أرض جديدة لإرساء أشد رسوخاً .

وهكذا نجد أشد مكتشفات المؤلفين السابقين تنوعاً وتناقضاً — متسعاً في بنائنا بفضل ما في نظريتنا عن الحلم من جديد يؤلف بينها كأنما في وحدة أرفع . الكثير من هذه النظريات قد استخدمناه استخداماً مختلفاً ولكننا لم نبذ منها سوى القليل . ومع هذا لا يزال بناؤنا غير مكتمل ، إذ يبدو بغض النظر عن المشكلات العديدة المحيرة التي أخذنا في حصارها ونحن نشق طريقنا في دياجير علم النفس ، يبدو أن ثم تناقضاً جديداً يواجهنا . فقد رأينا — من جهة — أن أفكار الحلم تنبعث من خلال نشاط فكري سوى إلى أبعد المدى ، ولكننا — من جهة أخرى — قد اكتشفنا بين أفكار الحلم عدداً من عمليات فكرية تجانب السوي كل مجانبه ، عمليات تمتد إلى محتوى الحلم ، ثم نعيدنا نحن بعدئذ في خلال التفسير . فكل ما وصفناه تحت عنوان « عمل الحلم » يبدو يفترق مما نعرف أنه العمليات الفكرية الصحيحة افتراقاً لا بد من أن تلوح معه أقصى الأحكام التي أصدرها المؤلفون السابقون حول انخفاض مستوى النشاط النفسي في الحلم محقة كل الحق .

ولعلنا لن نظفر بالإيضاح والعمق بغير المضي في الاستقصاء . وعلى ذلك أتناول وضعاً من الأوضاع المؤدية إلى تكوين الحلم لكي أزيده بحثاً .

لقد رأينا أن الحلم يحل محل طائفة من الأفكار مستمدة من حياتنا اليومية . مؤلفة تاليفاً منطقياً كاملاً . ولهذا كنا لا نملك الشك في أن هذه الأفكار قد نشأت عن حياتنا الفكرية السوية . فكل المحولات التي نقدرها في عملياتنا الفكرية تقديراً عالياً والتي تخلع على هذه العمليات طابع الأفعال المعقدة الصادرة عن نظام أرفع ، كل هذه نمود فنجدتها في أفكار الحلم . غير أننا لا نحتاج إلى افتراض أن هذا العمل يؤول في أثناء النوم — وهو فرض من شأنه أن يلخل ارتباطاً شديداً فيما استمرت عليه الآراء حتى اليوم في تصور حالة النوم . بل من الممكن على العكس كل الإمكان أن تكون هذه الأفكار قد نشأت من اليوم السابق ثم استمرت دون أن يلحظها الشعور منذ البداية ، حتى إذا ما أقبل النوم كانت شيئاً مجهزاً . وغاية ما نستطيع استخلاصه من هذا الوضع هو أن أشد الأعمال الفكرية تعقيداً ممكنة بغير معاملة الشعور — وهي نتيجة ما كنا إلا لنخرج بها على أية

حال من أى تحليل تجريه لحالة من حالات المستريا أو لشخص يعانى أفكاراً فهرية . ومن المؤكد أن هذه الأفكار الحلمية ليست عاجزة بذاتها عن بلوغ الشعور ، فإن كانت لم تبلغه فعلا فى خلال النهار فلا بد من أن تكون لذلك أسبابه المختلفة . فالصبرورة إلى الشعور أمر مرتبط بإعمال وظيفة نفسية محددة هى الانتباه - وهى وظيفة لا تيسر فيها يبدو إلا بقدر معين . ولقد ينصرف هذا القدر عن العملية الفكرية التى نكون فى صدها إلى هدف آخر يجذبه . وهناك بالإضافة إلى ذلك طريقة أخرى قد تفصل بها أمثال هذه العمليات الفكرية من الشعور . ذلك أننا نعلم من تأملاتنا الشعورية أننا نتبع طريقاً محدداً حين نعمل انتباهنا . فإذا عثرنا ونحن نتبع هذا الطريق على فكرة لن نحتمل النقد توفقنا عن المضي ، أى أننا نسقط استئثار الانتباه . والذي يبدو الآن هو أن من المستطاع للعملية الفكرية التى بدأت على هذا النحو م أسقطت أن تستمر فى نسج نفسها بنفسها دون أن يتجه إليها الانتباه مرة ثانية - اللهم إلا أن تبلغ درجة من الشدة عالية بنوع خاص تحمّل الانتباه على الاتجاه إليها حملا . وهكذا إذا نبذت عملية فكرية منذ البداية نبذاً قد يكون شعورياً ، بحكم يقرر خطأها أو قلة غناها بالنسبة إلى الأغراض المتوخاة فى اللحظة الحاضرة ، فقد تكون النتيجة استمرار هذه العملية حتى مقدم النوم دون ملاحظة الشعور .

ولنجمل مقالنا : إننا نصف عملية فكرية هذا شأنها بأنها عملية قبل شعورية ، ونراها عملية معقولة كل معقولة ، ونعتقد أنها قد تكون أهملت وحسب وقد تكون قطعت قطعاً وقمعت . ولنتقل بعد ذلك صراحة كيف نتصور سير أفكارنا : إننا نعتقد أن هناك مقداراً معيناً من التهيج - هو ما نسميه « طاقة استئارية » - ينتقل ابتداء من فكرة غائبة ما ، وفق الطرق الاستثنائية التى ننتقيها هذه الفكرة . والعملية الفكرية التى تقول : إنها « أهملت » هى عملية لم تلق مثل هذا الاستئثار ، فأما تلك التى « تقع » أو « نبذ » فعلية قد « رد عنها » هذا الاستئثار . وفى كلتا الحالتين تترك العملية تهيجاتها الخاصة . ويوسع العملية الفكرية المستثمرة استئثاراً غائياً أن تجتذب إليها تحت شروط خاصة انتباه الشعور ، وعندئذ تلتى بوساطته « استئثاراً مضاعفاً » . ولا بد من أن نشرح بعد قليل نظرتنا فى طبيعة الشعور ووظيفته [انظر ص ٥٩٧] .

فإذا أطلقت عملية فكرية فى ما قبل الشعور على هذا النحو ، أمكن أن تنقطع

هذه العملية من تلقاء نفسها أو أن تستمر . ونستمر في حالة المخرج الأول أن الطاقة المقترنة بالعملية الفكرية قد انبثت في جميع الاتجاهات الاستدعائية المشعة منها مدخلة على شبكة الأفكار جميعها حالة من التهييج تدوم زمناً ما ؛ ثم تنطفئ بعد ذلك إذ يتحول التهييج الساعى وراء التفريغ إلى استئثار راكد . فإن تحقق هذا المخرج الأول ، فقدت العملية كل أهمية مقبلة بالنسبة إلى تكوين الحلم . بيد أن ما قبل شعورنا تبرزى فيه أفكار غائبة أخرى تنشعب من موارد في لاشعورنا ومن رغبات متخفزة في كل وقت . ولقد تملك هذه الأفكار الغائبة الأخرى زمام التهييج المقترن بطائفة الإنكار التي تركت لشأنها ، لتنشئ روابطاً بينها وبين رغبة لاشعورية وتحول إليها الطاقة الخاصة بهذه الرغبة اللاشعورية ، ومن الآن فصاعداً يتسنى الدوام للفكرة المهملة أو المقموعة — وإن كان التعزيز الذى لقبته لا يكسبها حق النخول إلى الشعور . ولنا أن نعرب عن ذلك بالقول : إذ ما كان حتى الساعة عملية فكرية قبل شعورية قد جُبرُّ إلى اللاشعور .

وبين الأوضاع الأخرى المؤدية إلى تكوين الحلم أن تكون العملية الفكرية قبل الشعورية قد ارتبطت برغبة لاشعورية منذ البدء ، ولهذا قبولت بالنز من جانب الاستئثار الغائى الغالب . أو قد تهيج رغبة لاشعورية لأسباب أخرى (جسمية مثلاً) وتحاول إحداث تحويل إلى البقايا البهارية غير المستمرة من قبش . دون أن تذهب هذه البقايا إلى ملاقاتها . غير أن هذه الحالات الثلاث جميعها تؤدي في نهاية الأمر إلى نتيجة واحدة ، وهى : أن يظهر في ما قبل الشعور خيط من الأفكار بغير استئثار قبل شعورى ولكنه لى استئثاراً من رغبة لاشعورية .

وابتداء من تلك اللحظة تنتاب هذا الخيط من الأفكار طائفة من التغيرات لانستطيع بعد ذلك أن نعدّها عمليات نفسية سوية ، تغيرات تؤدي في النهاية إلى نتيجة تبث على استغرابنا ، إلى بناء مرضى . فلنأخذ هذه العمليات ونصفنها :

١ — تمسّ الشدائد الخاصة بالأفكار المتفرقة قادرة على التفريغ جملة واحدة وتستقل من فكرة إلى أخرى بحيث تتكون أفكار مزودة بشدة عظيمة . وإذا كانت هذه العملية تتكرر مرات متعددة ، فن المحتمل أن تتجمع الشدة الخاصة بخيط من الأفكار بأجمعه في عنصر فكري مفرد . وهذه هى واقعة الضغط أو التكيف التى ألفناها في عمل الحلم ، وهى المشوثة أولاً مما يطبعنا به الحلم من شعور بالغربة ، لأننا لا نعرف لها مثيلاً

على الإغلاق في الحياة النفسية السوية الواقعة في تناول الشعور . صحيح أننا نجد كذلك في الحياة النفسية السوية أفكاراً على قدر عظيم من الأهمية النفسية لأنها نقاط عقد أو نتائج أخيرة لخيطوط بأجمعها من خيوط الفكر ، ولكن أهميتها هذه لا تعرب عن نفسها في أية سمة تبين للإدراك الباطن على نحو حسي ، فالمحتوى الذى تتمثله في هذه الأفكار لا يزيد شدة تبعاً لأهميتها النفسية بأى وجه من الوجوه . وأما في عملية التكيف فكل صلة للفكرة بغيرها تتحول إلى زيادة في شدة المحتوى المتمثل فيها . فالحال هنا لا يختلف منه حين أعد كتاباً للطبع فأبرز منه بالأحرف الكبيرة أو الثقيلة كلمة لها من الأهمية في فهم النص ما ليس لغيرها ، فإن كنت أتحدث نطقت هذه الكلمة عنها بصوت عال بلىء مؤكداً لإياها توكيداً خاصاً . وأول هذين التشبيهين يذكّرنا على القور بمثل زدنا به عمل الحلم : بكلمة ترميزاً معين في حلم حقنة إرما . ولقد جذب مؤرخو الفن انتباهنا إلى أن المثلين في أدم عصور التاريخ ينصاعون لمبدأ مماثل ، فكانوا يعربون عن مكانة الأشخاص بأحجامهم . فالملك يصور وله من الحجم مثل المألنابع أو أعداده المهزومين ضعفاً أو ضعفين . فإذا جئنا إلى مثال روماني رأيناه يتوسل إلى إحداث ذات الأثر بوسائل أكثر لباقة ، فهو يقيم الإمبراطور في المتصف وبقفه متعصب القائمة ويبدل في صوغه من العناية ما لا يبلل لسواه ، غير أن الإمبراطور لا يعود عملاقاً بين أقزام . والانتخامات التي يحى بها الأدنون منا الأكبرين إلى يومنا هذا صدى يردد هذا المبدأ القديم في التصوير .

وأما الاتجاه الذى تتبعه التكيفات في الحلم فتحدده - من جهة - العلاقات المعقولة ، قبل الشعورية ، القائمة بين أفكار الحلم ، وبمعدده - من جهة أخرى - جذب الذكريات البصرية القائمة في اللاشعور . ونتيجة النشاط التكتي هي بلوغ درجات الشدة اللازمة من أجل النفاذ إلى الأنظمة الإدراكية .

٢ - وينجم كذلك عن الحرية التي تمنى بها الشدات قابلة للتحويل أن تتكون تحت سلطان التكيف أفكار متوسطة ، أشبه بالحلول الوسطى (انظر الأمثلة المتعددة على ذلك [في ص ٣٠٦ وما بعدها]) . وهذا أيضاً شيء لا نهمده في السير السوي للأفكار ،

حيث يعلق معظم الأهمية على اختيار العنصر الفكري « الصائب » والاحتفاظ به . ونرى من ناحية أخرى أن وقوع التراكيب المزيجية والحلول الوسطى يشيع شيوعاً عجبياً حين نحاول الإغراب عن الأفكار قبل الشعورية في كلم . وهي تعد عندئذ ضرباً من « هفوات اللسان » .

٣ - والعلاقات المتبادلة بين الأفكار التي نحول شداتها بعضها إلى بعض علاقات متزاخية غاية التراخي . فهي ترابط فيما بينها بمستدعيات من النوع الذي يأنف منه فكرنا السوى ولا يخلو استخدامه إلا للنكات . ونجد بنوع خاص أن المستدعيات القائمة على الجنس التام وغير التام تعامل كما لو كان لها من القيمة مثل ما لغيرها .

٤ - ولا تعمل الأفكار المتناقضة على إبطال بعضها بعضاً بل تبقى جنباً إلى جنب وفي كثير من الأحيان تجتمع في تكوين نتائج التكيف كما لو لم يكن هناك تناقض بينها أو تنهى إلى حلول وسطى ما كنا نغفرها قط لفكرنا وإن استبحناها كثيراً في عملنا .

هذه بضعة من أعجب العمليات غير السوية التي تتتاب أفكار الحلم - بعد أن تم تكوينها على نهج معقولة - في خلال عمل الحلم . ونرى أن الطابع الرئيس لهذه العمليات هو أن كل الأهمية تنصب فيها على جعل الطاقة المستمرة متحركة قادرة على التفرغ ، وأما محتوى العناصر النفسية التي ترتبط بها هذه الاستمارات وما لها من معنى خاص فيعدان أمراً ثانوياً . وربما ظن البعض أن التكيف وتكوين الحلول الوسطى إنما يتبينان من أجل تيسير النكوص ، أى حين يتعلق الأمر بتحويل الأفكار إلى صور . ولكن يتبين من تحليل الأحلام إلى لا تنطوي على مثل هذا النكوص إلى صور مثل حلم «أوتويداسكر» - محادثة مع الأستاذ ن . [ص ٣١١] ، ويتبين على الأخص من تركيبها أنها تضم من عمليات النقل والتكيف ما يضمنه غيرها .

وهكذا نناق إلى تلك النتيجة ، وهي أن نوعين مختلفين من العمليات النفسية يشتركان في تكوين الحلم : ينتج أحدهما أفكار حلم صحيحة كل الصحة ، تعدل التفكير السوى قيمة ، بينما يعالج الآخر هذه الأفكار علاجاً مغرباً ، مجافياً لمعايير الصحة إلى أبعد مدى . ولقد سبق في الفصل السادس أنا عزلنا هذه العملية الثانية على أنها عمل الحلم بالمعنى الصحيح . فما الذي نستطيع قوله الآن في منشئها ؟

إن من المحال أن نجيب على هذا السؤال إذا لم تكن قطعنا شوط دراسة سيكولوجية الأعصاب والمهترية بنوع خاص . ولقد علمنا من هذه أن ذات العمليات النفسية غير المعقولة - وأخرى لم نتحدث عنها - تسيطر على إحداث الأعراض المهترية . ففي المهترية كذلك نصادف طائفة من الأفكار معقولة كل المعقولة ، ولكننا ما كنا نستطيع أول الأمر أن نعلم شيئاً عن وجودها في تلك الصورة ولا نصل إلى إعادة تكوينها إلا من بعد .

فإن هي فرضت نفسها على ملاحظتنا في موضع من المواضع ، اكتشفنا بتحليل العرض المتكون أن هذه الأفكار السوية قد عُرِضت لعلاج غير سوى ، فهي قد حولت إلى أعراض بوساطة التكثيف وتكوين الحلول الوسطى ، من طريق المستدعيات السطحية ، وبغض النظر عن المتناقضات ، وربما وفقاً لطريق النكوص . وهذا التوافق التام في الخصائص بين عمل الحلم والنشاط النفسى الذى تنجم عنه الأعراض العصابية يجعلنا نشعر بأننا محتمون حين تنقل النتائج التى توصلنا إليها من دراسة المستريا إلى الحلم .

وعلى ذلك نستعير من نظرية المستريا القضية الآتية ، لا يُعرَّض غيظ من محيوط الفكر السوية لمعالجة نفسية غير سوية من قبيل ما وصفنا إلا إذا حولت إليه رغبة لاشعورية لاشعة من الطفولة مكبوتة . . ولقد كان أخذنا منا بهذه القضية أننا أقمنا نظريتنا في الحلم على الفراض أن الرغبة الدافعة إلى الحلم تنشأ في كل حالة من اللاشعور - وهو فرض أسلم أنا نفسى طواعية بأننا لا نستطيع البرهنة على صحته الشاملة - وإن لم نستطع نقضه كذلك . ولكن لكي نبين ما نعنيه بكلمة « الكبت » التى استبيناها لأنفسنا كل هذه الحرية في استخدامها لا بد لنا من أن نغضى بيهيكلنا السيكلوجى مسافة أخرى .

لقد بحثنا من قبل [٥٥٤ وما بعدها]^{*} وهم توهمناه عن جهاز نفسى بدائى ، قاعدة العمل فيه هى السعى إلى تجنب تراكم التهيج والبقاء خلواً منه بقدر الإمكان ، ولذا بنى على غرار جهاز انعكاسى . وكانت القدرة الحركية التى هى في المحل الأول وسيلة لتغيير الجسم تغييراً باطنياً هى طريق التفرغ الموضوعة في متناول هذا الجهاز . ثم بعد ذلك ناقشنا النتائج النفسية التى تنجم عن خبرة إشباع ، وسعنا - ونحن لما نزل بهذا الموضوع - أن نضيف فرضاً ثانياً مؤداه أن تراكم التهيج (تراكماً يتم على أنحاء مختلفة لا يعينها أمرها) يحس في صورة ألم وأنه يحرك عندئذ الجهاز إلى العمل بقصد استعادة خبرة الإشباع التى تضمنت إنقاص التهيج لإنقاصاً أحسن في صورة لذة . ومثل التيار الذى يجرى في الجهاز مبتدئاً من الألم متجهاً إلى اللذة قد سميناه رغبة ، وقلنا : إنه لا شيء سوى الرغبة يستطيع أن يحرك الجهاز إلى العمل وإن سير التهيج فيه سير تنظمه أحاسيس اللذة والألم تنظيمياً أوتوماتياً . ومن الجائز أن أول اتجاه الرغبة كان إلى استئثار ذكرى الإشباع استئثاراً هلويسياً . غير أن أمثال هذه الهلاوس لم يلبث أن تبين قصورها عن التأدية إلى إنهاء الحاجة ومن ثم إلى اللذة المصاحبة للإشباع - اللهم إلا أن يثبت الجهاز عليها إلى حد الاستنفاد .

ولذا كان من الضروري أن يظهر إلى الوجود نشاط ثان - أو نشاط صادر عن نظام ثان إذا أردنا التحدث بلغتنا - نشاط لا يترك الاستمرار الذكروى يستمر حتى يبلغ الإنزاع ويقيد القوى النفسية من هناك ، بل يعرج بالتهيج الناشئ عن الحاجة في طريق دائرى مؤد في نهاية الأمر - بعد المرور بالحركة الإرادية - إلى تغيير العالم الخارجى تغييراً يتيح للإنزاع الحقيقى لموضوع الإشباع . هذا هو ما انتبهنا إليه في أمر صورتنا التخطيطية عن الجهاز النفسى ، والنظامان هما بلرة ما نسميه لاش . وقبش . في الجهاز المكتمل البناء .

ولكن لكى يتسنى تغيير العالم الخارجى تغييراً فعالاً بوساطة القدرة على الحركة ، كان من اللازم أن يلخى في الأنظمة الذكروية عدد عظيم من الخبرات وتسجيل متعدد الأوجه لمتعدد العلاقات التى قد تستبهرها الأفكار الغائية المختلفة في هذه المادة الذكروية . وهنا نستطيع المضى في فروضنا خطوة أخرى . ذلك أن نشاط هذا النظام الثانى وهو يتحسس طريقه من غير انقطاع ويرسل الاستشارات ثم يعود فيستردّها يحتاج من جهة إلى أن يكون له مطلق التصرف في جميع المادة الذكروية ، ولكنه لو أرسل كميات استشارية عظيمة تضرب في طرق الفكر المختلفة فنسأل من غير قصد نافع وتنقص الكمية المتوافرة من أجل تغيير العالم الخارجى ، لكان ذلك من الجهة الأخرى إسرافاً في إنفاق الطاقة لا داعى إليه . وعلى ذلك أفترض أخذاً بالمبدأ الغائى أن النظام الثانى وقد وفق إلى الاحتفاظ بالجزء الأعظم من طاقته الاستشارية في حالة من الاستكانة ، غير مستخدم في النقل إلا جزءاً ضئيلاً . ولست أعلم شيئاً عن ميكانيكية هذه العمليات ، وعلى من أراد أن يأخذ هذه الأفكار مأخذ الجد أن يبحث عن مائلاث لما في مجال الفيزياء وأن يجد وسيلة نخرج منها بصورة عن الحركات التى تصحب التهيج في العصبات . ولست أستمسك إلا بتلك الفكرة : أن نشاط أول النظامين . يتجه إلى تأمين التهريج الحركى لكميات التهيج ، بينما يولى الثانى بوساطة الاستشار الصادر عنه إلى كفه هذا التهريج وإلى تحويل الاستشار إلى استشار مستكن ، رافعاً منسوبه في الوقت نفسه من غير شك . وعلى ذلك أقدر أن تهريج التهيج يخضع تحت سيطرة النظام الثانى لشروط ميكانيكية تختلف كل الاختلاف منها تحت سيطرة النظام الأول . وما إن يفرغ النظام الثانى من نشاطه الفكرى الاستكشافى حتى يرفع الكف والسدود عن التهيجات ويتركها تفرغ في الحركة .

فلذا نظرنا إلى العلاقات بين ما يعمله النظام الثانى من هذا الكف للتفريغ وبين مبدأ الأكم^(١) ، استتبع ذلك عدة من التأملات الخليقة بالاهتمام . إذ دعنا نبحث عن الطرف النقيض لخبرة الإشباع الأول ، أى عن خبرة وهب محارجى ، لنفترض أن منبهاً إدراكياً قد أثار الجهاز البدائى وأن هذا المنبه كان مصدر تهييج أليم : ستج ذلك التهييج مظاهر حركية غير مترابطة تظل باقية إلى أن يجر أحدها الجهاز بعيداً عن الإدراك وعن الألم فى الوقت نفسه . فلذا عاد الإنزاك إلى الظهور تكررت الحركة (ولكن فراراً) على الفور ، إلى أن يخفى الإنزاك مرة ثانية . وفى هذه الحالة ينعم كل نزوع إلى استئثار إدراك مصدر الأكم من جديد ، سواء أكان ذلك بالهلوسة أو بأية طريقة أخرى ، بلى سوف يتزع الجهاز البدائى على العكس إلى تنحية الصورة الذكورية الأهمية على الفور إذا اتفقت إثارته على نحو من الأنحاء ، والسبب فى ذلك يقينا هو أن فيضان تهييجها حتى الإدراك من شأنه أن يثير الألم (أو على الأقل : أن يبدأ فى إثارته) . وما يسهل بعد ذلك تجنب الذكري — وهو تجنب لا يعلو أن يكون تكراراً للقرار السابق من الإدراك — أن الذكري ، على خلاف الإنزاك ، لا تملك كيفية تكنى تهييج الشعور واجتذاب استئثار جديد بهله الطريقة . وهذا التحول السهل المطرد من جانب العملية النفسية التابعة للذاكرة عن كل ما آلم مرة يزودنا بالنموذج المختذى للكبت النفسى وبالمثال الأول عليه . ومن الحقائق المعروفة أننا لا نفتأ نرى الشيء الكثير من هذا التحول عما يقلنا ، أى من سياسة النعامة ، فى الحياة النفسية السوية للأفراد الراشدين .

ونتيجة لمبدأ الأكم كان النظام ن. الأول عاجزاً كل العجز عن أن يدخل أى شىء مستكره فى محيط أفكاره ، إنه لا يستطيع شيئاً سوى أن يرغب . فلو قد ظلت الأمور على هذا النحو لعمق النشاط الفكرى للنظام الثانى : لأن هذا النشاط يقتضى أن تكون جميع الذكريات التى تركتها الخبرة فى متناول يده . وههنا يعرض احتمالان : إما أن يتحرر نشاط النظام الثانى من قبضة مبدأ الأكم تحرراً تاماً ، فيواصل طريقه غير حائل بألم الذكريات ، أو قد يجد منهجاً فى استئثار الذكريات الأهمية يمكنه من تجنب إطلاق الألم . ولنا أن نسقط الاحتمال الأول ، فمن الواضح أن مبدأ الأكم يحكم مجرى التهييج فى النظام الثانى بقدر ما يحكمه فى الأول . وعلى ذلك يبقى الاحتمال الآخر ، وهو أن

النظام الثانى يستثمر الذكريات بطريقة تمكنه من كف تفريغها بما فى ذلك - إذن -
 التفريغ المتجه إلى التخصّص عن الألم والذى تمكن مقارنته بتفريغ تعصيب حركى . وبهذا
 نكون قد تأدينا من جهتين إلى الفرض القائل بأن الاستثمار الصادر عن النظام الثانى يتضمن
 كف تفريغ التهييج فى الوقت ذاته : تأدينا إليه بمراجعة مبدأ الألم ، ثم بالاستناد إلى مبدأ
 إنفاق التعصيب بأقل قدر . ولنضع إذن ما يأتى نصب أعيننا : لأنه المتاح إلى نظرية الكبت
 جميعها : لا يستطيع النظام الثانى أن يستثمر فكرة ما ، إلا إذا كان فى موافق يمكنه من
 كف كل تمخض للألم قد يصدر عنها . وكل ما يستطيع الإفلات من هذا الكف سوف
 يخرج عن متناول النظام الثانى خروجه عن متناول الأول ، لأنه سوف يهجر على الفور
 وفاقاً لمبدأ الألم . إلا أنه ليس من الضرورى أن يكون كف الألم كفاً تاماً ، بل لابد
 على العكس من السماح ببداية منه ، لأن هذه البداية هى ما يخطر النظام الثانى طبيعة
 الذكرى التى يتعلق الأمر بها وبما قد يكون من منافرتها للهدف الذى تقصد إليه العملية
 الفكرية .

وأسمى العملية النفسية التى لا يسمع بها إلا النظام الأول عملية أولية ، فاما تلك التى
 تنجم عن الكف الذى يفرضه النظام الثانى فأسميها عملية ثانوية . وهناك بعد - كما أستطيع
 تبينه - هدف آخر يضطر النظام الثانى من أجله إلى تصحيح العملية الأولية : ذلك
 أن العملية الأولية تجهد من أجل تفريغ التهييج لكى تتمكن بمعاونة كية التهييج المتراكمة
 على هذا النحو من إقامة عينية إدراكية ، ولكن العملية الثانوية قد تركت هذا الهدف
 واتخلت بدله هدفاً آخر ، هو أن تقيم عينية فكرية . فالفكر كله إنما هو طريق دائرى
 يبدأ من ذكرى الإشباع التى استحالت إلى فكرة غالبة مسندة استثمار هذه الذكري
 حينها استثماراً لا يختلف من الأول ، يرجى بلوغه مرة ثانية من خلال مرحلة وسعوى من
 الخبرات الحركية . ومن الضرورى للتفكير أن يعنى بالروابط بين الأفكار دون أن يضلّه
 الانسياق وراء شدتها . ولكن من الواضح أن التكتيفات المصوبة على الإنكار وكذلك
 التراكيب المتوسطة والمرجحة لا بد أن تعوق الوصول إلى هذه العينية المستهدفة . فهى من
 حيث تضع فكرة فى مواضع أخرى تكون سبباً فى الانعرج عن الطريق التى كان من
 شأنها أن تقود من الفكرة الأولى قلما . وعلى ذلك يتجنب التفكير الثانوى هذه العمليات
 فى حرص . ثم إنه من السهل أن نرى أن مبدأ الألم يقيم الصعوبات فى طريق العملية

الفكرية وهى تسعى إلى تحقيق العينية الفكرية ، وإن كان - فيما خلا ذلك - يزودها بأهم سارياتها . ولذا كان لزاماً أن يتجه الفكر أكثر فأكثر إلى التحرر من تحكّم مبدأ الألم فيه تحكماً مانعاً ، وإلى وقف الحالة الوجدانية خلال النشاط الفكرى عند الحد الأدنى الذى يتطلبه قيامها بوظيفة العلامة . وتُسَهِّدُ هذه الدقة الأعظم في أداء الوظائف بوساطة استثمار مضاعف جديد أداته الشعور . غير أننا نعلم أن هذا الهدف قلما تحقق لحقاً كاملاً ولو في الحياة النفسية السوية . فتفكيرنا يظل دائماً عرضة للتزييف من جراء تدخل مبدأ الألم .

غير أن هذه ليست بالثغرة الوحيدة في الفاعلية الوظيفية لجهازنا النفسى والتي كان من جرائها إن أمكن وقوع الأفكار التى تتمثل لنا باعتبارها ناتجة عن النشاط الفكرى الثانوى تحت وطأة العملية النفسية الأولية - وهى الصيغة التى نستطيع الآن أن نصف بوساطتها النشاط المؤدى إلى الأحلام وإلى الأعراض المستمرة على السواء . وإنما تنشأ قلة الكفاية من التقاء عاملين مستعدين من تاريخ نمونا : يرجع أحدهما برمته إلى الجهاز النفسى ثم هو حامل كان له أثره الحاسم في العلاقة بين النظامين ، وأما الآخر فيظهر أثره بدرجة متفاوتة ثم هو حامل يدخل في الحياة النفسية قوى غريزية ذات أصل عضوى . وكلاهما ينبعث من الطفولة ويعجل بالتغيرات التى يمر بها منذ الطفولة كياناتنا العضوى بشقيه : النفسى والجسمى .

وإلى حين سميت إحدى العمليتين النفسيتين في جهازنا عملية أولية لم اراع في ذلك الأهمية النسبية ومدى الفاعلية وحسب ، بل كنت فوق ذلك أريد اسماً يعرب عن سبقها الزمنى . نعم ، إن من الحق أنه لا وجود - بقدر ما نعلم - لجهاز نفسى لا يمتلك سوى العملية الأولية وأن مثل هذا الجهاز لا يخرج إلى هذا المدى عن أن يكون رهماً نظرياً . ولكن تلك أيضاً حقيقة واقعة : أن العمليات الأولية تحضر منذ البدء في الجهاز النفسى على حين أن العمليات الثانوية لا تتسلخ ولا يتحقق لها كف الأولية والظهور عليها إلا في خلال الحياة ، وربما لم تحقق سيادتها الكاملة إلا في أوج الحياة . ونتيجة لهذا الظهور المتأخر للعمليات الثانوية كان لب وجودنا المتقوم بالاندفاعات رغبة لا شعورية يظل بعيداً عن أن يناله فهم ما قبل الشعور وكفه ، ويقتصر دور ما قبل الشعور اقتصاراً لا رجعة فيه على توجيه الاندفاعات الرغبة المنبثقة من اللاشعور في أنسب الطرقات ، وتصبح لهذه

الرغبات اللاشعورية قوة قاهرة على مستأنف النزعات النفسية جمعاء - قوة تضطر هذه النزعات إلى مهادنتها وقد تعمل على التعرّيج بها وتوجيهها نحو أهداف أسمى ، ونتيجة أخرى لهذا الظهور المتأخر للعمليات الثانوية هي : أن منطقة واسعة من المادة الذكورية تغدو بعيدة عن مثال الاستئثار قبل الشورى .

وبين هذه الاندفاعات الراضية المستقاة من الطفولة والتي لا يمكن هدمها ولا كنفها فريق يتناقض تحقيقه والأفكار الغالية، التي للتفكير الثانوي . فتحقيق هذه الرغبات لن يولد بعد الآن حالة وجدانية من اللذة بل من الألم ، وهذا التغير للحالة الوجدانية على التحديد هو ماهية ما نسميه « كبتا » . وإن مشكلة الكبت لتقوم في السؤال عن كيفية وقوع هذا التحويل وما هي القوى الدافعة إليه . ولكن هذه مشكلة لا نحتاج هنا إلى أكثر من لحسها لمساً ، ويكفي أن نعلم جيداً أن تغييراً من هذا القبيل يخطر بالفعل في أثناء النمو (وحسب المرء أن يذكر كيف ينشأ الاشتتاز للمرة الأولى في الطفولة) وأنه مرتبط بنشاط النظام الثاني . ولقد كانت الذكريات التي على أساسها تثير الرغبة اللاشعورية انطلاقاً للحالة الوجدانية بعيدة المثال دائماً عن قبش . ولهذا امتنع كذلك كيف انطلاقاً للحالة الوجدانية المرتبطة بهلم الذكريات . وهذا التولد للحالة الوجدانية هو على التحديد السبب الذي من أجله يستحيل اليوم التوصل إلى هاته الأفكار ولو من طريق الأفكار قبل الشعورية التي حولت إليها هاته شداتها . بل - على العكس - يهيمن مبدأ الألم فيجعل قبش . ينصرف عن هذه الأفكار التحويلية : إنها تترك لأنفسها ، « تكبت » ، وبهذا يكون وجود ذخيرة من الذكريات الطفولية المفصولة منذ البدء عن قبش . هو الشرط الذي لا يكون بلسونه الكبت .

وفي أحسن الأحوال ينقطع تولد الألم بسحب الاستئثار من الأفكار التحويلية التي في قبش . وهذه النتيجة تعني أن تلخل مبدأ الألم قد حقق غرضاً نافعاً . ولكن الموقف يختلف حين تلتى الرغبة المكبوتة تعزيزاً عضوياً تمرره إلى أفكارها التحويلية ، لأنها قد تمكّنها بذلك من محاولة النفاذ بتبييجها - وإن تكن قد فقدت استثمارها من قبش . وعندئذ يعقب كفاح دفاعي ، إذ يعزز قبش . بدوره معارضته للأفكار المكبوتة (أي يولد استئثارات مضادة) ، ثم بعد ذلك تشق الأفكار التحويلية - وهي مراكب الرغبات اللاشعورية - طريقها إلى صورة من صور الحلول الوسطى يتم بلوغها بإحداث الجرض .

ولكن العمليات الفكرية ، منذ اللحظة التي يشتد فيها استثارها من جانب الاندفاع
الراغب اللاشعورى ويتخل عنها من الجهة الأخرى الاستثار قبل الشعور ، تقع تحت
وطأة العمليات الأولية ويصبح هدفها الأخير هو التفرغ الحركى أو بعث العينة الإدراكية
بعثاً هلوسياً - إذا كان الطريق إلى ذلك مفتوحاً . ولقد رأينا من قبل الرجوع إلى الخبرة
أن العمليات اللامعقولة التي وصفناها لا تنطبق إلا على الأفكار الخاضعة للكبت ،
وفي مقدورنا الآن أن نزيد بصرأ بعض الشيء بالموقف في جملة : فالعمليات اللامعقولة
في الجهاز النفسى هى العمليات الأولية وهى تظهر حيناً تهجر الأفكار من جانب
الاستثار الشعورى وتترك لأنفسها وتصبح مشحونة بطاقة غير مكفوفة من اللاشعور
تجهد من أجل الوصول إلى منفذ . وهناك ملاحظات أخرى تؤيد القول بأن هذه العمليات
التي نصفها باللامعقولة ليست في الحقيقة تزييفاً بداخل العمليات الدوية ، خطأ عقلياً ،
بل أخطاءً من نشاط الجهاز النفسى ارتفع عنها الكف . وهكذا نجد أن انتقال التسيج
قبل الشعورى إلى الحركة ينخفض لهذه العمليات ذاتها وأن ربط الأفكار قبل الشعورية
بالألفاظ قد يبدى بسهولة ذات الصور من النقل والخلط التي نسبها بعد ذلك إلى
انصراف الانتباه . وهناك أخيراً ، واقعة نستطيع أن نرى فيها شاهداً على ما يستلزمه كف
هذه الطرائق الأولية في التصريف من جهد الاحتراس ، وأغنى بها : أننا نحدث تأثيراً
مضحكاً ، أى نفرغ فائضاً من الطاقة في الضحك ، حين نترك هذه الطرائق الأولية
للتذكير تنقلب إلى الشعور .

إن نظرية الأعصاب تؤكد في يقين يمنع كل استثناء أن الاندفاعات الراغبة الجنسية
المستمدة من الطفولة والتي أصابها الكبت (أى تغير حالتها الوجدانية) في خلال النمو
الطفلى هى وحدها القادرة على أن تبعث بعثاً جديداً في خلال فترات النمو اللاحقة (سواء
أكان ذلك نتيجة لتكوين الشخص الجنسية الذى يتفرغ عن مرحلة ابتدائية من الثنائية
الجنسية ، أم كان نتيجة لتأثيرات غير مواتية في مجرى حياته الجنسية) وبذلك توفر القوة
للدافعة التي تلزم من أجل تكوين الأعراض العصابية بكل أنواعها . ولنا نستطيع أن نسد
أوجه النقص التي لا تزال تتجلى في نظرية الكبت إلا بإدخال هذه القوى الجنسية في
جسابتنا . ولكن هل تستلزم نظرية الأحلام كذلك هذه العوامل الجنسية الطفلية ؟ هذا
سؤال أتركه معلقاً . سأترك النظرية ناقصة في هذا الموضوع ، فقد تخطيت نطاق ما يمكن

البرهنة عليه مرة من قبل حين افترضت أن رغبات الحلم تنبعث في جميع الأحوال من اللاشعور^(١). ولا أنا أنتوي متابعة البحث في ماهية التفرقة بين لعب القوى النفسية في الأحلام ولعبها في الأعراض المسترية ، فلنا نملك بعد معرفة دقيقة الدقة الكافية بأحد طرفي المقارنة . غير أن ثمة مسألة أخرى هي التي أعلق الأهمية عليها وأعترف بأدنى ذي بدء بأنني ما خفضت إلا من أجلها في جميع هذه المناقشات حول النظامين النفسيين وطرائقهما في العمل وحول الكتب . إن المسألة لا تتعلق الآن بما إذا كنت قد تصورت العوامل السيكولوجية التي نحن في صدد الحديث عنها تصوراً يقارب الصواب أو - على العكس - مشوهاً غير مكتمل (وهو أمر محتمل جداً في مسائل هذا حظها من الصعوبة) ؛ فهما تغير تعبيرنا عن الرقابة النفسية وما يصيب محتوى الحلم من المراجعات المقولة والشاذة فإنه يظل من الحق أن هناك عمليات من هذا النوع تعمل عملها في تكوين الحلم وأنها - من حيث سماتها الجوهرية - تبدى أوثق التماثل مع العمليات الملحوظة في تكوين الأعراض المسترية . ولكن الحلم ليس ظاهرة مرضية ، إنه لا يفترض اختلالاً في التوازن النفسي قبله ولا يختلف نقصاناً في الفاعلية وراءه . فإن قلنا ؛ إن أحلام مرضى العصابين لا تبرر اللهاب إلى نتائج تمس أحلام الأسوياء ، فذلك يقيناً اعتراض يحق لنا إغفاله

(١) لقد تعدت أن أترك مناقشة هذا الموضوع الخاصة في هذا الموضوع كما في غيره ، لأن سد أوجه النقص كان يقتضي جهداً لا أملكه من جهة ، ثم هو من الجهة الأخرى يقتضي الاجتهاد إلى مادة هريفة عن موضوع الأحلام . وبما أن ذلك أنني أهملت أن أذكر ما إذا كنت أنسب معنى مختلفاً إلى كل من كلمتي «النقص» و «الكتب» - وإن كنا فهنا من غير شك أن الكلمة الأخيرة تؤكد الارتباط بالاشعور أكثر مما تؤكد سابقتها . ثم إن لم أفرس كذلك تلك المشكلة الواضحة ، وأضرب بها ؛ لم تخضع أفكار الحلم لتشره الرقابة وإن تكن تركت طريق التقدم نحو الشعور وانحازت طريق النكوص ؟ وهناك نقاط كثيرة أخرى تماثل هذه حلها . ذلك أن من كان يحبه قبل كل شيء إلى خلق شعور بالمشكلات التي لا مفر من أن يقوينا إليها تحليل أبعد فوراً لمشكلات الحلم والإيماء إلى سائر الموضوعات التي يعرفنا بها هذا التحليل . ولم يكن من السهل على عالم أن قطع برأي في أين ينجلي الوقوف من الاستقصاء . فلما أتت لم أعالج النقص الذي يرجع إلى عالم الأفكار الجنسية في الأحلام علاجاً مستوفى وتجنبنا تحليل الأحلام ذات المحتوى الجنسي الصريح ، فذلك ما يرجع إلى أسباب غامضة قد لا تكون هي ما يتوخاه القارئ ؛ فلا فيه يبد من نظرات الخاصة أو من آراء النظرية في علم الأمراض العصبية مثل إيجاب الحياة الجنسية شيئاً مخيفاً ليس لطبيب ولا لباحث على أن يشغل به . وبالإضافة إلى ذلك فإن الاستكتاف الخلق الذي جعل مترجم كتاب Oncoerithia لأندريوس الأيسوي يجبر الفصل الخامس بالأحلام الجنسية عن معرفة قرائه ، هذا الاستكتاف يبدو لي شيئاً مضحكاً . وإنما حسني هل أن أسع ما صنعت أنني لأوضح الأحلام الجنسية سوف يظل بي في مناقشات من الاعتراف ومن الجنسية التالية لم تجد حلها بعد ، وعلى ذلك تركت هذه المادة لمناسبة أخرى .

من غير تعليق . وإن جاز - إذن - أن نستدل استدلالاً راجعاً من الظواهر إلى قواها الدافعة ، لزم التسليم بأن الميكانيكية المستخدمة في الأعصية لم تخلق خلقاً تحت وطأة اضطراب ألم بالحياة النفسية فأمرضها : بل هي شيء مهياً من قبل في تركيب الجهاز النفسى . فالنظامان النفسيان والرقابة المضروبة على الانتقال بينهما وكف أحدهما الآخر وظهوره عليه وعلاقات كليهما بالشعور ، كل هذه أو ما قد يحمل محلها من أى تفسير آخر أكثر صواباً للظواهر الملحوظة تكون جزءاً من التركيب السوى لعدتنا النفسية ، وما تعدو الأحلام أن نرينا أحد الطرق المؤدية إلى فهم هذا التركيب . فلو أننا أردنا أن نكتفى بالقدر الأدنى من المعرفة الجديدة الموطدة تمام التوطيد ، لكان في مستطاعتنا القول : إن الأحلام تثبت أن ما يقع يظل باقياً عند أسوياء الناس وشواذهم على السواء ، ويظل قادراً على النشاط النفسى . والحلم نفسه مظهر من مظاهر هذه المادة المقموعة . ذلك صحيح بحسب النظرية في كل حالة وصحيح بحسب الخبرة في عدد كبير من الحالات - على الأقل - وهى على التحقيق تلك الحالات التى تتجلى فيها السمات الملحوظة للحياة الحاملة لأوضح ما تكون للعيان . وما هو مقموع يمنع من الإفصاح عن نفسه ويحال دونه والإدراك الباطنى في أثناء النهار ؛ لأن المتناقضات تبطل إذ ذلك فلا يؤخذ إلا بأحد الطرفين المتقابلين دون الآخر . فإذا جاءت حياة الليل وساد النزوع إلى تكوين الحلول الوسطى ، وجد المقموع العدة والسبيل إلى بلوغ الشعور :

ولئن لم أثن السماوات ، حركت الآخرين

إن تفسير الأحلام هو الطريق الملكية إلى معرفة ما هو لا شعورى في الحياة النفسية . ولأننا إذ نقوم بتحليل الأحلام نتقدم خطوة في فهم تركيب هذه العدة التى هي أعجب العدد وأخفها سرّاً - خطوة صغيرة من غير شك ، لكنها البداية . وهذه البداية تمكنتنا من متابعة تحليلها بالاستناد إلى تراكيب أخرى لا مفر من نعمها بالمرضية ؛ لأن الأمراض - أو على الأقل تلك نسبها بحق أمراضاً وظيفية - لا تفترض تفكك الجهاز أو حدوث انشقاقات جديدة في داخله ، وإنما ينبغي تفسيرها على أساس دينائى : بالقوة والضعف بصييان مختلف المقومات في اللعب المتبادل بين القوى ، هذا اللعب الذى يخفى علينا الشيء الكثير من آثاره حين تكون الوظائف في حالتها السوية . ولعلّى أتمكن في

موضع آخر من أن أبين كيف أن تَقَوُّمَ الجهاز يجهتي اختصاص يتبع للنشاط السوي دقة أعظم ، ما كانت لتسنى له لو كان تَقَوُّمُ الجهاز بوحدة^(١)

و

اللاشعور والشعور

الواقع

إنا إذا أنعمنا النظر رأينا أن ما تلحوننا مناقشاتنا في الأقسام السابقة إلى افتراضه ليس وجود نظامين على مقربة من الطرف الحركي للجهاز ، بل وجود نوعين من العمليات النفسية أو من أنماط التطريع . والأمر كله عندنا سياتي ، فمن الواجب أن نكون معدين في كل وقت لأن نلقى ببيكلنا التصوري ، إذا أحسنا أننا قادرين على أن نستبدل به شيئاً آخر يزيد اقتراباً من الحقيقة المجهولة . وعلى ذلك دعنا نصصح بعض التصورات التي قد تكون ساقتنا إلى الخطأ طالما كنا ننظر إلى النظامين بالمعنى الحرفي الفج كما لو كانا محلين في الجهاز النفسي - وهي تصورات تركت آثارها في تعبيرات مثل « كَبَّتْ » و « نَحَكَتْ » . فنحن إذ نتحدث على هذا النحو عن لاشعور يحاول الانتقال إلى ما قبل الشعور بحيث يتمكن بعد ذلك من النفاذ إلى الشعور ، لا نغني بذلك أن فكرة ثانية قد تكونت في محل جديد مثل منسوخ يظل قائماً إلى جانب الأصل . وكذلك فكرة النفاذ إلى الشعور : إن من الواجب تجريبها من كل تغيير في المحل . وحين نتحدث عن فكرة قبل شورية كَبَّتْ أو دفعت فاسترلى عليها الشعور ، فليده الأحياء المستعارة من تصورات مدارها الصراع حول قطعة من الأرض قد تغرينا لإغراء يجعلنا نفترض أن هناك حقيقة تجمعاً من العناصر الذنسية في مكان ما ، يتبدل ثم يحل محله تنظيم جديد في مكان آخر . ألا

(١) إن المحل ليس الظاهرة الوحيدة التي تمكنا من أن نجد أساساً لهم النفس المرضي في نطاق علم النفس العام ، فقد حاولت في طائفة من المقالات لم تكمل بعد أن أنسر مدداً من ظواهر الحياة البيئية باحتيارها شاعداً يلبد ذات النتائج (١٨٩٨ ب ، ١٨٩٩ أ) - [هامش أضيف سنة ١٩٠٩ :] مثل كتابة هذه السطور جسدت هذه المقالات وأغرى تزيد عليها في التبيان ومفردات اللسان والألفاظ العائرة ، إلخ . تحت عنوان « سيكولوجية الحياة البيئية » (غرويد ١٩٠١ ب) .

للتبدل بهذه الاستعارات شيئاً آخر يبدو أكثر موافقة لواقع الأشياء ، ولنقل : إن تجسماً ما من العناصر النفسية قد اقترنت به أوردت عنه طاقة استثنائية ، بحيث يقع المركب النفسى الذى نعينه تحت سلطان جهة اختصاص معينة أو يفصل منها . والذى نحن صانعوه ههنا هو من جديد أننا نستبدل بطريقة طوبوغرافية في وصف الأشياء طريقة أخرى دينامية : فما يبدو لنا الآن حاصلاً على الحركة ليس المكوّن النفسى في ذاته ، بل تعصبيه^(١) .

غير أننى أرى مع ذلك أن الإمساك بصورتنا التشبيهية عن النظامين شيء نافع له ما يبرره . ومن الممكن أن نتجنب كل استخدام سيئ لهذا المنهج في تصوير الأمور إذا تذكرنا أن الأفكار والتصورات والأبنية النفسية عامة يجب ألا ينظر إليها على الإطلاق كما لو كانت متحيزة في عناصر عضوية للجهاز النفسى ، بل هى — إن جاز التعبير — قائمة بينها ، حيث نوفر المقاومات والتدليلات المتضابقات المقابلة لهذه الأبنية . فكل ما يمكن أن يكون موضوعاً للإدراك الباطن إنما يوجد بالقوة ، مثل الصورة الحادثة في المقرب عند مرور أشعة الضوء . ولكن يحق لنا أن نفترض وجود هذه الأنظمة (وهى ليست في ذاتها بالشيء النفسى على الإطلاق ولا تنال أبداً بإدراكنا النفسى) مثل العدسات التى تعكس الصورة في المقرب . وإذا جاز أن نتابع هذه المماثلة ، فلنا أن نقارن الرقابة بين النظامين بالانكسار الذى يصيب شعاع الضوء عند مروره في وسط جديد .

ولقد ظللنا حتى الساعة ندلى بشروخنا السيكلوجية غير مستندين إلا إلى أنفسنا . والآن حان وقت النظر في الآراء التى تهيم اليوم على علم النفس وبحث ما بينها وبين فروضنا من العلاقات : إن مشكلة اللاشعور — على حسب كلمات ليرس القوية — ليست مشكلة من مشكلات علم النفس قدر كونها مشكلة هذا العلم . وما دام علم النفس ينفذ يده من هذه المشكلة ليوضح لفظي حاصله أن « النفسى » يعنى « الشعورى » وأن الحديث عن « عمليات نفسية لاشعورية » تناقض ملموس ، فقد امتنع كل سبيل إلى تقدير الملاحظات التى يحصلها الطبيب في صدد الحالات النفسية المرضية . ولا يستطيع الطبيب والفيلسوف أن يلتقيا إلا إذا سلما كلامهما بأن قولنا : « العمليات النفسية

(١) [عاش أضيف سنة ١٩٢٥] : لقد صار من الضروري إحكام صياغة هذه النظرية وتبديلها بعد أن تبين أن السمة الجوهرية للفكرة قبل الشعورية هى ارتباطها بآثار الصور اللفظية . (انظر مقال من « اللاشعور » ١٩١٥ . ٥)

اللاشعورية « هو » الحد الذى يعرب إعراباً ملائماً مشروعاً عن حقيقة موطدة توطيداً راسخاً « . ولا يسع الطبيب إلا أن يهز كتفيه حين يسمع من يؤكد له أن « الشعور سمة لازمة لما هو نفسى » ، وربما قدر - إذا كان احترامه لأقوال الفلاسفة لا يزال قوياً - أن هؤلاء لا يعالجون ذات الموضوع ولا يشتغلون بذات العلم . ذلك لأن ملاحظة واحدة محتلفة بالفهم لأحد العصبيين ، أو تحليلاً مفرداً لأحد الأحلام ، لابد أن يتركه وهو راسخ الاعتقاد بأن أشد العمليات الفكرية تعقداً ومعقولة ، تلك التى لا نستطيع يقيناً أن نأبى عليها اسم العمليات النفسية ، قد تحدث دون أن تستثير شعور للوه . صحيح أن الطبيب لا يستطيع أن يعلم شيئاً عن هذه العمليات اللاشعورية حتى تحدث أثراً فى الشعور يمكن نقله إلى الغير أو ملاحظته ، ولكن هذا الأثر الشعورى قد يبدى خاصية نفسية تخالف العملية اللاشعورية كل المخالفة ، بحيث يستحيل على الإدراك الباطن أن يعرف فى أحد الطرفين بديل الآخر ^(١) . ومن الواجب أن يشعر الطبيب بحقه فى اتباع طريق الاستدلال من الأثر الشعورى إلى العملية النفسية اللاشعورية ، وإنه ليعلم عندئذ أن الأثر الشعورى ليس إلا نتيجة نفسية بعيدة للعملية اللاشعورية ، وأن هذه العملية الأخيرة لم تصر شعورية كما هى ، وأنها - فوق ذلك - كانت حاضرة وكانت تعمل عملها وإن لم تنم عن وجودها للشعور بأى وجه من الوجوه .

نعم ، إن من الجوهرى أن نزل عن المغالاة فى تقدير خاصة الشعور قبل أن يصبح فى استطاعنا أن نكون أى رأى صحيح فى منشأ ما هو نفسى . ومن الواجب - كما يقول ليس - أن نفترض أن اللاشعور هو الأساس العام للحياة النفسية . فاللاشعور هو المنطقة الأوسع التى تضم بين جوانبها منطقة الشعور الأضيق نطاقاً . فكل ما هو شعورى له مرحلة تمهيدية لا شعورية ، بينما قد يظل اللاشعورى على هذه المرحلة ولا يفقد مع ذلك

(١) يستدل أن أكوت قادراً على الإشارة إلى مؤلف استخلص من دراسة الأحلام ذات النتائج التى استخرجتها فى صدد العلاقة بين النشاط الشعورى واللاشعورى .

يقول دوركل (١٨٨٥ ، ٤٧) : « من الواضح أن مشكلة طبيعة النفس تقتضى بحثاً مبدئياً فيها إذا كان الشعور والنفس شيئاً واحداً . وتجب الأحلام من هذا السؤال المبدئى بالنسبة لى ترىنا أن تصور النفس أصبح من تصور الشعور ، على النحو الذى تمت عليه قوة الجاذبية التى يلزم سمارى إلى ما وراء مجال انتشاره النفسى » .

وفى موضع آخر (٣٠٦) : « إن من الحقائق التى لا يستطيع المرء أبداً إصطاحها حقها من التميز كون الشعور والنفس لا يتساويان فى الماصق » .

حقه في أن نسلّم له بكل قيمة العملية النفسية . فاللاشعور هو الواقع النفسى الحقيقى وهو في طبيعته الباطنة مجهول منا لجهله قدر جهلنا بحقيقة العالم الخارجى ، كما أنه لا يمثل لنا ببساطة معطيات الشعور إلا مثلاً لواقع على نحو ما يمثل في العالم الخارجى ببساطة رسائل أعضاءنا الحسية .

١٢

فأما وقد انكشف التقابل القديم بين الحياة الشعورية وحياة الحلم إلى أبعاده الصحيحة بإثبات الوجود النفسى اللاشعورى . فإن عدداً من مشكلات الحلم التى كانت تستغرق من الكتاب السابقين اهتماماً عبقاً يفقد الآن كل قيمته . مثال ذلك بعض الأنفال التى كان النجاح في أدائها في الحلم مثارة للمعجب : إننا لن نمزوها بعد الآن إلى الحلم ذاته بل إلى التفكير اللاشعورى الذى يعمل أيضاً في النهار مثلما يعمل في الليل . وإذا بدا - على حسب شررر - أن الحلم يلهو بتصوير الجسم تصويراً رمزياً ، فنحن نعلم الآن أن هذه التصويرات نتاج صدر عن تخیلات لا شعورية معينة تنفزع في الرجوع عن اندفاعات جنسية ولا تفصل عن نفسها في الأحلام وحدها بل في المخاوف المستترة وغيرها من الأمراض كذلك . وإذا واصل الحلم أعمال النهار وأتمها ، لا بل إذا أتى إلى النور بأفكار مستحدثة قيمة ، فكل ما نحتاج إليه هو أن ننزع هنا قطاع الحلم الذى هو نتيجة عمل الحلم وأما على معاونة ما بأعماق النفس من غامض القوى (انظر الشيطان في حلم سوناتا تارتيني)^(١) ، فالنتاج العقلى إنما يرجع إلى ذات القوى النفسية التى تنتج في النهار كل ما شاكله . وأغلب الظن أننا ننزع أيضاً نزوعاً كبيراً إلى المخالاة في تقدير الطابع الشعورى للنتاج العقلى والنفى ، ولكن ما برى عن بعض الرجال ممن تبلغ قدرتهم المخالقة الذروة من أمثال جونه وهلمهولتس برينا أن الجوهري والطريف في خلقهم كان بأنهم غير مسبوق بالتدبير ، في صورة كل كاد أن يتم تكويناً . والحق أنه لا غرابة إذا حدثت في حالات غير هذه ، حيث تتطلب الأمور تركيز كل ملكة عقلية بملكها المرء ، أن بدلى النشاط الشعورى كذلك بدلوه ، إلا أن لهذا النشاط الشعورى ميزة كثيراً ما ضللتنا : فهو حينما أدلى بدلوه أحنى علينا كل نشاط سواه .

(١) [تارتيني عازف كان ويولف موشى ولد عام ١٦٩٢ في بومالو ربات عام ١٧٧٠ في بادوا . وكثر عنه قصة خلاصتها أنه حلم حلماً رأى فيه أنه باع نفسه للشيطان ، فأسك الشيطان بكان وعزف له في مهارة لا تضارع سولاتا ، فالتفت الجمال . ومنذئذ استيقظ الموشى ففهم على الفور ما خلق بذاكرته ومكاداً غربت إلى الناس المقطوعة التى عرفت باسم : "Trillo del Diavolo"] .

ولو أنا أردنا أن نندب بحثاً خاصاً لموضوع الأهمية التاريخية للأحلام ، ما كاد ذلك أن يشر ما يعرض جهدنا . فربما صبح أن حلماً قد حفر قائداً إلى الشروع في حملة جريئة غير نجاحها وجه التاريخ ، ولكن ذلك إنما يثير مشكلة جديدة ما دمنا نرى في الحلم قوة غريبة تغاير سائر القوى التي نحن أكثر ألفة بها ، ولا يعود للمشكلة وجود إذا عرفنا في الحلم صورة من صور التعبير عن اندفاعات تظل تحت ضغط المقاومة . في خلال النهار ولكنها في أثناء الليل تستطيع أن تجد معزراً تستمد من موارد تهييجية عميقة الطبقة ^(١) .

غير أن الاحترام الذي كانت تلقاه الأحلام بين الشعوب القديمة كان يقوم مع ذلك على بصير ميكواجي صحيح : إنه التحية المرسلة إلى ما يعتل في أعماق النفس الإنسانية من قوى لا حاكم لها ولا هادم ، إلى القوة « الشيطانية » التي تولد رغبة الحلم والتي نراها تعمل في لا شعورنا .

وإني إذ أقول : « في لا شعورنا » لا يخلو قول من القصد ، لأن ما أسميه كذلك شيء يختلف من لا شعور الفلاسفة ، بل إنه يختلف من اللاشعور الذي يتحدث عنه لبيس . فهؤلاء إنما يستخدمون هذا الاسم للدلالة به على محض الاختلاف عن الشعور ، فالرأى الذي يتر منهم كل هذا الجدل المحتدم ويدافعون عنه بكل هذه الحمية هو أن ثمة عمليات نفسية لاشعورية بالإضافة إلى الشعور . ويمضي لبيس بالأمور مرحلة أبعد حين يؤكد أن النفس في جلته يوجد وجوداً لاشعورياً وأن جزءاً منه فقط هو الذي يوجد أيضاً وجوداً شعورياً . وأما نحن فما استعنا بظواهر الحلم وتكوين الأعراض المستمرة لتقيم هذا الرأى ، فقد كانت الحياة المستيقظة السوية تكفي في إثباته إثباتاً لا يرق إليه ظل من الشك . وإنما يقوم كشفنا الجديد الذي تعلمناه من تحليل الأبنية المرضية وتحليل أوطا (وأغنى الحلم) في كوننا عرفنا أن اللاشعور (ومن ثم النفس) وظيفة خاصة بنظامين مستقابين وأن الأمر كذلك في الحياة السوية والمرضية على السواء . وهكذا يكون هناك ضربان من اللاشعور لم يفرق بينهما علماء النفس حتى الآن . وكلا هذين لاشعوري بالمعنى المألوف في علم النفس ، وأما عندنا نحن فأحد هذين النظامين هذا الذي نسميه لاش . يخصص فوق ذلك بكونه لا يقبل في الشعور . بينما الآخر لبيس . لأن تهييجاته قادرة على بلوغ الشعور -

(١) [هاش أصيف سنة ١٩١١ :] الظر بهذه للنسبة حلم الإسكندر الأكبر في أثناء حصار

سور (سايروس) [أريج إل ص ١٢٩ في الهاش] .

وإن كان من الحق أن ذلك لا يتم إلا بعد مراعاة قواعد معينة وربما كان لا يتم إلا بعد المرور برقابة جديدة ولكن دون التفات إلى لاش . مع ذلك . ولقد أعاننا على إنشاء المائلة المكانية أن التهييجات لكي تصل إلى الشعور يتحتم عليها المرور بسلسلة أو مراتب [ثابتة يتم عنها التعديل الذي يصيب هذه التهييجات على يد الرقابة . ووصفنا العلاقة بين النظامين كلا والآخر وبين كليهما والشعور بقولنا : إن النظام قبش . يقوم مثل ستار بين النظام لاش . والشعور . ولا يقتصر النظام قبش . على إحصاء الطريق إلى الشعور ، بل يتحكم كذلك في المرور إلى قدرة الحركة الإرادية ، ثم هو حاصل على طاقة استثنائية متحركة موضوعة في متناوله لتوزيعها ، وجزء من هذه الطاقة هو المألوف لنا في صورة الانتباه [انظر ص ٥٧٩] .

ومن الواجب فوق ذلك أن نتجنب التفرقة بين « ما فوق الشعور » و « ما تحت الشعور » وهي التفرقة التي صادفت هوى كبيراً في المؤلفات الحديثة عن الأعصاب النفسية : لأن مثل هذه التفرقة تبدو كأنما قد جعلت خصيصاً لتوكيد التعادل بين ما هو نفسى وما هو شعورى .

ولكن أى عمل يبقى — بحسب تصورتنا — للشعور ، بعد أن كان مطلق القدرة يوماً وكان يحجب كل شيء عداه ؟ إنه عضو حسي مجهول الإدراك الكيفيات النفسية : هذا هو كل عمله . فنحن بحسب أفكارنا التي توجه محاولتنا التخطيطية ، لا نستطيع أن نرى في الإدراك الشعورى إلا وظيفة خاصة بنظام معين من الملائم أن ندل عليه اختصاراً بحرف ش . ونحن نقدر أن هذا النظام يشبه الأنظمة الإدراكية إد . من حيث خصائصه الميكانيكية ، أى أنه قابل لأن يتهيج بواسطة الكيفيات ، ولكنه عاجز عن أن يحتفظ بآثار التغييرات ، أى خال من الذاكرة . والجهاز النفسى المتجه بعضو الجس الخالص بالأنظمة إد . جهة العالم الخارجى هو هو العالم الخارجى مأخوذاً في علاقته بعضو الحس ش . الذى يقوم بتدريره الغائى في هذه الملابس . وههنا نصادف من جديد مبدأ ترتب

(١) [عاش أضيف سنة ١٩١٤ :] انظر مقالى « ملاحظات حول تصور اللاشعور في التحليل النفسى » (لرويه ١٩١٢ ز) — وهو مقال نشر للمرة الأولى باللغة الإنجليزية في محاضر الأبحاث النفسية ، ٢٦ ، فيه فرقت بين المعانى الوصفية والدينامية والتطابق لهذا اللفظ البالغ ميلنا كثيراً من الاشتراك ، لفظ « اللاشعور » .

جهات الاختصاص درجات - وهو المبدأ الذى يبدو مسيطراً على تركيب الجهاز . وتنصب المادة التهييجية فى عضو الحسى ش . من جهتين : من النظام إد . الذى نرجع أن تهييج المحدد بالكيفيات يخضع لرقابة جديدة قبل أن يصير إحساساً شعورياً ، ثم من باطن الجهاز النفسى الذى تحسّن عملياته الكمية - حين تشق طريقها إلى الشعور بعد تعديلات معينة - فى السلسلة الكيفية للذة والألم .

وقد لاقى أولئك الفلاسفة الذين فطنوا إلى أن الأبنية الفكرية المحقولة بالغة التعقيد ممكنة دون أى مشاركة من جانب الشعور ، لاقوا صعوبة كبرى فى تحديد وظيفة ما لهذا الأخير ، فبدأ لم أنه لا يمكن أن يزداد على كونه صورة لا طائل منها تعكس العملية النفسية المهاء . وأما نحن فنخلصنا الماثلة بين نظامنا ش . وبين الأنظمة الإدراكية من هذا الارتباك . فنحن نعلم أن من نتيجة الإدراك بواسطة أعضائنا الحسية توجيه قدر من استثمار الانتباه فى الطرقات التى ينتشر فيها التهييج الحسى الوافد ، أى أن التهييج الكيفى للنظام إد . يفيد الكيفية المتحركة فى الجهاز من حيث يعمل عمل المؤثر والمنظم بالنسبة إلى توزيعها . وفى وسعنا أن نسب هذه الوظيفة عينا إلى العضو الحسى الأعلى الخاص بالنظام ش . : فهو إذ يدرك كيفيات جديدة يأق بمشاركة جديدة فى توجيه كيات الاستثمار المتحركة وفى توزيعها على نحو ملائم مفيد ، كما أنه بواسطة إدراكه للذة والألم يؤثر فى توزيع تفريغ الاستثمار فى داخل الجهاز النفسى الذى هو - فيما خلا ذلك - جهاز لا شعورى يعمل بواسطة النقلة فى الكميات . والراجح ، على ما يبدو ، هو أن مبدأ الألم ينظم نقلة الاستثمار تنظيمياً آلياً فى الهل الأول . ولكن من الممكن كل الإمكان أن يضيف الشعور بهذه الكيفيات تنظيمياً ثانياً أكثر تمييزاً ، بل قادراً على معارضة التنظيم الأول وأن يكمل فاعلية الجهاز بتمكينه - على عكس خطته الأولى - من استثمار ما قد يصطبغ بالألم ومواجهته . ونعلم من سيكولوجية الأعصاب أن هذه العمليات التنظيمية التى تم بواسطة التهييج الكيفى لأعضاء الحس تؤدي دوراً كبيراً فى النشاط الوظيفى للجهاز . فالسيطرة الأوتوماتية الأولى التى لمبدأ الألم - مع ما تستتبعه هذه السيطرة من حد فاعلية الجهاز - تقف عند حد بفعل عمليات التنظيم الحسى التى هى بدورها عمليات أوتوماتية . ولنا لنجد أن الكبت (وهو الذى يؤدي فى النهاية إلى فقدان ضار للكف والقدرة على ضبط النفس وإن كان يخدم فى الأصل قصداً نافعاً) نجد أنه يصيب الذكريات أسهل

كثيراً مما يصيب الإدراكات ، لأن الذكريات لا تستطيع أن تتلقى استثاراً إضافياً من تهيج أعضاء الحس النفسية . فع أن من الحق أن فكرة وجب استبعادها لا تستطيع أن تصير شعورية لأنها قد لاقت كتباً ، إلا أنه قد يحدث في مرة أخرى أن تلاق مثل هذه الفكرة كتباً ، لا لشيء سوى أنها - لأسباب أخرى - قد فصلت من الإدراك الشعوري . وكل هذه إشارات تنتفع بها في فن العلاج من أجل إزالة ما قد تحقق من الكتب . وأحسن دليل يبين من وجهة نظر غالية قيمة الاستثار المضاعف الذى يدخله التأثير التنظيمى لمعضو الحس ش . على الكميات المتحركة هو ظهور سلسلة جديدة من الكيفيات إلى الوجود ، ومن ثم ظهور تنظيم جديد هو الذى يكون تفوق الإنسان على الحيوان . فالعمليات الفكرية مجردة في ذاتها من الكيفيات ، إلا من حيث ما يصحبها من التهيجات اللاذعة وغير اللاذعة والى ينحتم حصرها في نطاق محدود نظراً لما تنخله من أثر مزيج على التفكير . ولكي تكسب العمليات الفكرية كيفاً ربطت لدى الكائنات الإنسانية بذكريات لفظية تكفى بقاياها الكيفية في جذب انتباه الشعور إليها وفي إكساب عملية التفكير استثاراً جديداً متحركاً من جانب الشعور [انظر ص ٥٦٢ و ص ٥٩٣ في الهامش] . ولنا نستطيع الإلمام بمشكلات الشعور في كل تعددها إلا بتحليل العمليات الفكرية في المستر يا . فهذه تشعرنا بأن الانتقال من استثار قبل شعورى إلى آخر شعورى يتم برقابة تماثل تلك القائمة بين النظامين لاش . ولبش . ولا تأخذ هذه الرقابة أيضاً في العمل إلا بعد حد كمي معين ، بحيث تفلت منها العمليات الفكرية ذات الشدة المنخفضة . وفي مجال الظواهر العصائية النفسية أمثلة من كل نوع تبين كيف تنفصل فكرة من الشعور أو تنفذ إليه تحت قيود معينه ، وكل هذه الأمثلة تلمح إلى العلاقات الباطنة المتبادلة بين الرقابة والشعور . وأختتم هذه التأملات السيكولوجية بذكر مثالين من هذا القبيل .

دعيت في العام الماضي إلى زيارة فتاة كان مظهرها يتم عن الدكاء والبعد عن الكلفة . وكان ملابسها يبعث على الاستغراب . فبينما يتم هتدام المرأة عادة عن عناية تتناول أدق التفاصيل ، كانت هذه تحمل جورباً متديلاً وصدراً انفك منه زراران . وشكت الفتاة ألماً في ساقها وعرت ركبتيها دون أن يطلب منها ذلك . ولكن شكاتها الأولى كانت شعوراً يحالها في جسمها كأن شيئاً ما قد غرس فيه ، شيئاً كان يتحرك إلى الأمام وإلى الخلف ، وكان هذا الشيء « يهزها » من قمة رأسها إلى أخمص قدمها ، وكان في

بعض الأحيان يجعلها تشعر بجسمها « مصلياً » . ونظر إلى رميلي الحاضر معي في اثناء الفحص ، فلم يفته أن يرى ما تعنيه هذه الشكاة . ولكن الذى لاح لكلينا أمراً عجيباً هو أن أم المريضة لم تحدث نفسها بشيء ، مع أنها لا بد قد وجدت نفسها مراراً في الموقف الذى تصفه ابنتها . وأما الفتاة فلم تكن تفطن ألبتة إلى ما ترمى إليه أولها ، وإلا ما فاهت قط بلفظ منها . فهذه حالة أمكنت فيها مداورة الرقابة بحيث نرى تخيلاً يبنى عادة على ما قبل الشعور وقد أذن له بالانبعاث في الشعور تحت ستار يرى من التشكى .

وها هو ذا مثال آخر . ولد في الرابعة عشرة من عمره جاعلى وهو يعانى رجفة تشنجية وقيئاً همترياً وصداعاً ، إلخ . وبدأت علاجه التحليل النفسى بأن أكدت له أنه لو أغلق عينيه لراى صوراً أوأته خواطر عليه عندئذ أن ينقلها إلى ، فكان جوابه صوراً : انبعث في ذاكرته انبعثاً بصرياً آخر انطباع تلقاه قبل الهوى إلى : كان يلعب الشطرنج مع عمه ، وأنه ليرى اللوح أمامه . وجعل يفكر في المواقع المختلفة للرابضة وغير الرابضة وفي الحركات التى يجب أن ينتجها . ثم بعد ذلك رأى خنجراً يستقر على اللوح - وهو خنجرج كان ملكاً لوالده ولكن خياله وضعه على اللوح . وأعقب ذلك محمّد فنجل . ثم ظهرت الآن صورة فلاح عجوز يحشى الحشيش بمنجل قدام منزل المريض الثانى . وبعد أيام قليلة اكتشفت معنى هذه الحلقات المتتابعة من الصور : فقد كان الولد يهبط موقف عائلى تقس : فله أب كان رجلاً قاسياً ، تعزبه سوررات من الغضب ، اقترن بأُم المريض اقتراناً غير موفق وكان منهجه التربوى ينحصر فى الوعيد . ولقد طلق الأب أم الولد المريض ، وكانت امرأة عطوفاً حذوباً ، ثم تزوج بغيرها . وفي ذات ليلة أقبل إلى المنزل بامرأة شابة كان على الولد أن يتخلها أمه الجديدة . وكان في خلال الأيام القلائل الأولى التى أعقبت هذا الحدث أن الولد جعل يمرض ، وكان غضبه المكبوت تجاه أبيه هو الذى ركب هذه السلسلة من الصور بتلميحاتها غير المفهومة . وأما مادتها فقد اشتقت من ذكرى إحدى الأساطير : فالمحمّد هو المصمّد الذى به خصى زوس أباه ، وأما المنجل وصورة الرجل العجوز فيمثلان كرونوس العجوز الشيخ الذى ألهم أبنائه والذى ثار منه زوس ذلك الثأر الجاحد . وكان زواج الأب هو الذى أتاح للولد أن يكيّل لوالده كل التفريع والوعيد اللذين سمعها هو منه قبل ذلك بزمان طويل إذ كان يلعب بأعضائه التناسلية (انظر اللعب بالشطرنج والحركات الممنوعة والخنجرج الذى يستطيع المرء أن يقتل

به) . ففى هذه الحالة ذكريات كبتت زماناً طويلاً ومشتقات منها بقيت طى اللاشعور تدلف جميعها إلى الشعور من طريق دائرى فى هيئة صور ظاهرها الخلو من المعنى .

وهكذا أرى القيمة النظرية لدراسة الحلم فى تضييفه هذه الدراسة من جديد إلى معرفتنا السيكولوجية ، وفى النور المبدئى الذى تلقى على مشكلات الأعصاب . ومن ذا الذى يستطيع أن يحلر أهمية النتائج التى قد نظفر بها من فهم مستوفى لتركيب الجهاز النفسى ، إذا كانت معرفتنا - وهى لم تنزل بحالتها الراهنة - تمكنا من التأثير فيها . يتبل الشفاء من صور الأعصاب النفسية تأثيراً علاجياً مطبياً ؟ غير أننى أسمع سؤالاً : وماذا عن القيمة العملية لهذه الدراسة من حيث هى وسيلة إلى فهم النفس وإلى الكشف عن الخصائص المختبئة للأفراد المختلفين ؟ أليس للانفعالات اللاشعورية التى يفرغها الحلم قيمة القوى الحقيقية فى الحياة النفسية ؟ هل لنا أن نستخف بالمغزى الخلقى للربغات المكبوتة - وهى ربغات تولد اليوم الحلم ولكنها قد تولد كذلك أشياء أخرى يوماً ما ؟

إنى لا أشعر بحق فى الإجابة عن هذه الأمثلة : لما ذهبت خواطرى فى صدد هذا الوجه من مشكلة الحلم إلى أبعد من هذا المدى . غير أننى أعتقد مع ذلك أن الإمبراطور الرومانى قد جانب الصواب إذ أمر بإعدام أحد رعاياه لأنه حلم باغتياه . فقد كان أولى به أن يحاول الكشف عن معنى الحلم ، وأغلب الظن أن معناه كان يختلف من ظاهره : ثم إنه لو كان ثمة حلم مختلف المستوى ولكنه تضمن هذا المعنى الآثم تجاه الذات الإمبراطورية ، أفأكان ينبغي أن نذكر قول أفلاطون : إن الرجل الفاضل يكفيه الحلم حيث يقدم الشرير على الفعل ؟ وعلى ذلك أرى أن الأحسن هو أن نترك للأحلام حريتها . وأما السؤال : هل ينبغى أن نضيف إلى الربغات اللاشعورية صفة الواقع ؟ فهذا ما لا أستطيع أن أقطع فيه بحرف . إلا أن من الواجب بالطبع أن نأبى مثل هذه الصفة على كل فكرة عابرة أو متوسطة . وإذا نظرنا إلى الربغات اللاشعورية وقد ردت إلى أول أشكالها وأصدقها ، وجب ولا ريب القول : إن الواقع النفسى صورة من صور الوجود لا ينبغى الخلط بينها وبين الواقع المادى^(١) . وهكذا يبدو أن لا مبرر لنفور الناس من أن يتحملوا مسئولة

(١) [علم الجملة قد ظهرت للمرة الأولى فى طبعة سنة ١٩٠٩ فى صورة غمظة بعض الاختلاف ثم عدلت فى طبعة سنة ١٩١٤ ، وأخيراً اتخذت شكلها الحاضر سنة ١٩١٩ . وأما بقية الفقرة فقد أضيفت فى سنة ١٩١٤] .

انتفاء الأخلاق من أحلامهم . وإن الجزء الأعظم مما لا نرضى عنه من الوجهة الخلقية في حياتي الحلم والتخيل ليؤول إلى الاختفاء حين نقدر أسلوب الجهاز النفسى في النشاط تقديرًا صائبًا وحين نفهم العلاقة بين الشعور واللاشعور . أو بعبارة هانس ساكس : «لنا إذا نظرنا في شعورنا عن أمر حدثنا به الحلم في صدد الحاضر (أو الواقع) ، لا يجب أن نلهث إذا رأينا المسخ الذى شهدناه تحت عدسة التحليل المكبرة ينقلب إلى حيوان نقي» .

إن الأفعال والآراء التى يعرب عنها صاحبها إعراباً شعورياً تكن عادة من حيث المقاصد العملية في الحكم على طبائع الناس . والأفعال هى الخليفة بأول اعتبار وأقطعه لأن كثيراً من الاندفاعات قد تنفذ إلى الشعور ثم إذا هى مع ذلك تنفق قبل أن تنمو حتى تصبح فعلا ، فقد لاقت القوى الحقيقية للحياة النفسية . والحق أن أمثال هذه الدوافع قد لا يلاقى تقدمها حوائل نفسية في كثير من الأحيان ، والسبب في ذلك على التحديد هو ثقة اللاشعور من كونها لا محالة واقعة في مرحلة أخرى من المراحل . ومهما يكن من الأمر ، فإن من المفيد دائماً أن نتعرف هذه التربة التى كثر تقلبها وإلى منها تنبعث فضائلنا في فخر ، إذ أنه ينذر كل الندرة أن يخضع تعقد الطبع الإنسانى ، بما يضمه من قوى دينامية تحركه في كل اتجاه ، لاختيار يقطع بين احتمالين وكفى ، كما تريدنا مذهبنا الأخلاقية التى طال بها الدهر على تصديقه .

وماذا عن قيمة الحلم في إطلاعنا على الغيب ؟ هل به بالطبع مسألة ليست موضع تفكير . وربما كان الأصلى أن نقول بدل ذلك : إن الأحلام تحيطنا علماً بالماضى . فالحلم فرع من الماضى بكل معنى من المعانى . ومع هذا فاعتقاد القداى أن الأحلام تنبؤ بالمستقبل لا يخلو كل الخلو من الصدق . فالحلم مهما يكن من أمره يسلك بنا جهة المستقبل إذ يصور رغباتنا محققة . إلا أن هذا المستقبل الذى يصوره الحلم في صورة الحاضر قد سوى برغبة لا تعرف الهدم على أكمل شبه بالماضى .

قائمة المراجع^(١)

[وضعت عناوين المقالات بين شولتين مقلوبتين . وجرى استخدام حروف الاختصار وفقاً لقائمة الدوريات العلمية في العالم (أكسفورد ، ١٩٥٠) . ويدل حرفاً G.S. على كتابات فرويد المجمة (١٢ جزءاً ، فيينا ، ١٩٢٤ - ٣٤) وحرفاً C.W. على مؤلفات فرويد المجمة (١٨ جزءاً ، لندن ، ابتداء من ١٩٤٠) و C.P. على مقالات فرويد المجمة باللغة الإنجليزية (٥ أجزاء ، لندن ، ١٩٢٤ - ٥٠) و Standard E. على الترجمة الإنجليزية الأخيرة لمؤلفات فرويد الكاملة (٢٤ جزءاً ، لندن ، ابتداء من ١٩٥٣]

١

كتاب أشير إلى مؤلفاتهم في سياق النص

[فيما يتصل بفرويد يدل الحرف الذى يتبع تاريخ السنة على ترتيب المرجع المشار إليه بين سائر مؤلفات فرويد المنشورة في تلك السنة ، ويدل فيما يتصل بغير فرويد من المؤلفين على ترتيبه بين سائر المؤلفات المذكورة لهم في هذا الكتاب] .

Abel, K. (1884) *Der Gegenstand der Urworte*, Leipzig.

Abraham, K. (1909) *Traum und Mythos*, Vienna.

Adler, A. (1910) 'Der psychische Hermaphroditismus im Leben und in der Neurose', *Fortschr. Med.*, 28, 486.

(1911) 'Beitrag zur Lehre vom Widerstand', *ZBL. Psychoanal.*, 1, 214.

Allison, A. (1868) 'Nocturnal Insanity', *Med. Times & Gaz.*, 947, 210.

Almoli, S. See Salomon Almoli.

Amram, N. (1901) *Sepher pithron chalomoth*, Jerusalem.

Aristotle, *De somniis and De divinatione per somnum*. [Trans. by W.S. Hett

(١) [لنقل ترتيب المراجع عن جيمس ستراشى (انظر كلمة المترجم ، ص ٢٧) . وقد رأينا أن نبي مؤلفات فرويد الى لم يرد ذكرهما إلا في هواش الترجمة الإنجليزية حتى نضع بين يدي القارئ قائمة وإليه قدر الإمكان بمؤلفات فرويد مرتبة ترتيباً زمنياً ، كما أقمنا ذكر التراجم الإنجليزية للمراجع لأنها ربما كانت أقرب مثالا من الأصل] .

- "in volume 'On the Soul', Loeb Classical Library", London & New York, 1935.]
- Artemidorus of Daldia, *Oneirocritica*. [German trans.: *Symbolik der Traume* by F.S. Kraus, Vienna, 1881, and 'Erotische Traume und ihre Symbolik' *Anthropophyteia*, 9, 316, by Hans Licht. English trans. "abridged": *The Interpretation of Dreams*, by R. Wood, London, 1644.]
- Artigues, R. (1884) *Essai sur la valeur semeiologique du rêve*, (Thesis) Paris.
- Benini, V. (1898) 'La memoria e la durata dei sogni', *Riv. ital. Filos.*, 19, 249.
- Bernard-Leroy and Tobowolaka, J. (1901) 'Mecanisme intellectuel du rêve', *rev. phil.*, 51, 570.
- Bernfeld, S. (1944) 'Freud's Earliest Theories and the School of Helmholtz', *Psychoanal. Quart.*, 13, 341.
- Bernstein, I., and Segel, B.W. (1908) *Judische Sprichwörter und Redensarten*, Warsaw.
- Bethheim, S., and Hartmann, H. (1924) 'Über Fehlreaktionen des Gedächtnisses bei Korsakow'schen Psychose', *Arch. Psychiat. Nervenkr.*, 72, 278.
- Blanchieri, F. (1912) 'I sogni dei bambini di cinque anni', *Riv. Psicol.*, 8, 325.
- See also Doglia and Blanchieri.
- Bins, C. (1878) 'Über den Traum', Bonn.
- Bleuler, E. (1910) 'Die Psychoanalyse Freuds', *Fb. psychoanal. psychopath. Forsch.*, 2, 623.
- Bonatelli, F. (1880) 'Del sogno', *La filosofia delle scuole italiane*, Feb., 16.
- Borner, J. (1855) *Des Alptrücken, seine Begründung und Verhütung*, Wursburg.
- Bottinger (1795) In C.P.J. Sprengel: *Beiträge zur Geschichte der Medizin*, 2.
- Bouché-Leclercq, A. (1879-82) *Histoire de la divination dans l'antiquité*, Paris.
- Breuer, J., and Freud, S. (1895) see Freud, S. (1895 d)
- 1940 (1895) see Freud, S. (1940 d)
- Büchschütz, B. (1868) *Traum und Traumdeutung im Altertum*, Berlin.
- Burdach, K.F. (1838) *Die Physiologie als Erfahrungswissenschaft*, Vol. 3 of 2nd ed., 1832-40. (1st ed. 1826-32).
- Busemann, A. (1909) 'Traumleben der Schulkinder', *Z. pad. Psychol.*, 10, 294.
- (1910) 'Psychologie der kindlichen Traumerlebnisse', *Z. pad. Psychol.*, 11, 320.
- Cabanis, P.J.G. (1802) *Rapports du physique et du moral de l'homme*, Paris.
- Calkins, M.W. (1893) 'Statistics of Dreams', *Amer. J. Psychol.*, 5, 311.
- Carena, Caesar (1641) *Tractatus de Officio Sanctissimæ Inquisitionis*, Cremona.

- Chabaneix, P. (1897) *Physiologie cérébrale; le subconscient chez les artistes, les savants, et les écrivains*, Paris.
- Cicero : De divinatione. (9,55)
(Trans. by W.A. Falconer 'Loeb Classical Library', London & New York, 1922)
- Claparède, H. (1905) 'Esquisse d'une théorie biologique du sommeil', Arch. psychol., 4, 245.
- Clerk-Maxwell, J. (1876) *Matter and Motion*, London.
- Coriat, I.H. (1919) 'Zwei sexual-symbolische Beispiele von Zahnarzt-Träumen', Zbl. Psychoanal. Psychother., 3, 440.
- Datner, B. (1913) 'Gold und Kot', Int. Z. Psychoanal., 1, 495.
- Davidson, Wolf (1799) *Versuch über den Schlaf*, Berlin. 2nd ed., (1st ed., 1795)
- Debacker, F. (1881) *Des hallucinations et terreurs nocturnes chez les enfants*, (Thèse) Paris.
- Delacroix, H. (1904) 'Sur la structure logique du rêve', Rev. Metaphys., 10, 921.
- Delage, Y. (1891) 'Essai sur la théorie du rêve', Rev. industr., 2, 40.
- Delboeuf, I. (1885) *Le sommeil et les rêves*, Paris.
- Diepgen, P. (1912) *Traum und Traumdeutung als mediz. naturwissenschaftl. Problem im Mittelalter*, Berlin.
- Doglia, S. and Blanchieri, F. (1910-11) 'I sogni dei bambini di tre anni', Contrib. psicol., 1, 9.
- Dollinger, J. (1857) *Heidenthum und Judenthum*, Regensburg.
- Drexl, F.X. (1909) *Achmet's Traumbuch : Einleitung und Probe eines kritischen Textes*, (Thèse) Munich.
- Dugas, L. (1897 a) 'Le sommeil et la cérébration inconsciente durant le sommeil', Rev. phil., 43, 410.
(1897 b) 'Le souvenir du rêve', Rev. phil., 44, 220.
- Du Prel, O. (1885) *Die Philosophie der Mystik*, Leipzig.
- Eder, M.D. (1913) 'Augentraume', Int. Z. Psychoanal., 1, 157.
- Egger, V. (1895) 'La durée apparente des rêves', Rev. phil., 40, 41.
(1898) 'Le souvenir dans le rêve', Rev. phil., 46, 154.
- Ellis, Havelock (1899) 'The Stuff that Dreams are made of', Popular Science Monthly, 54, 721.
(1911) *The World of Dreams*, London.
- Erdmann, J.E. (1832) *Psychologische Briefe* (Brief VI), Leipzig.
- Fechner, G.T. (1860) *Elemente der Psychophysik*, Leipzig.
- Federn, P. (1914) 'Über zwei typische Traumscenationen', Jb. Psychoanal., 6, 89.

- Fere, C. (1886) 'Note sur un cas de paralysie hystérique consécutive à un rêve', *Soc. biolog.*, 41 (Nov. 20).
- (1887) 'A Contribution to the Pathology of Dreams and of Hysterical Paralysis', *Brain*, 9, 488.
- Ferenczi, S. (1910) 'Die Psychoanalyse der Traume', *Psychiat. - neurol. Wachr.* 12, Nos. 11-13.
- [Trans.: 'The Psychological Analysis of Dreams', Chap. III of Contributions to Psychoanalysis, Boston, 1916.]
- (1911) 'Über lenkbare Traume', *Zbl. Psychoanal.*, 2, 31.
- (1912) 'Symbolische Darstellung des Lust- und Realitätsprinzips im Oedipus-Mythos', *Imago*, 1, 276.
- (Trans.: 'The Symbolic Representation of the Pleasure and Reality Principles in the Oedipus Myth', Chap. X, Part I of Contributions to Psycho-Analysis, Boston, 1916.)
- (1913) 'Zur Augensymbolik', *Int. Z. Psychoanal.*, 1, 161.
- [Trans.: 'On Eye Symbolism', Chap. X, Pt. II of Contributions to Psycho-Analysis, Boston, 1916.]
- (1916) 'Affektvertauschung im Traume', *Int. Z. Psychoanal.*, 4, 112.
- [Trans.: 'Interchange of Affect in Dreams', No: LV in Further Contributions, London, 1926.]
- (1917) 'Traume der Ahnungslosen', *Int. Z. Psychoanal.*, 4, 208.
- [Trans.: 'Dreams of the Unsuspecting', No. LVI of Further contributions, London, 1926].
- Fichte, J.H. (1864) *Psychologie: die Lehre vom bewussten Geiste des Menschen*, (2 vols.), Leipzig.
- Fischer, K.P. (1850) *Grundzüge des Systems der Anthropologie*, Erlangen.
- (Pt. 1, Vol. 2, in *Grundzüge des Systems der Philosophie*.)
- Flies, W. (1906) *Der Ablauf des Lebens*, Vienna.
- Forster, M. (1910) 'Das lateinisch-altenglische pseudo-Danielische Traumbuch in Tiberius A. II?', *Archiv Stud. neueren Sprachen und Literaturen*, 125, 39.
- (1911) 'Ein mittellenglisches Vers-Traumbuch des 13 Jahrhunderts', *Archiv Stud. neueren Sprachen und Literaturen*, 127, 31.
- Foucault, M. (1906) *Le rêve: études et observations*, Paris.
- Freud, S. (1877 a) 'Über den Ursprung der hinteren Nervenwurzeln im Rückenmark von *Ammocostes* (*Petromyzon Planeri*)', *Sitzungsber. k. Akad. Wiss.*, III Abt., Bd. 75, January.
- (1884 e) 'Über Coca', *Centralbl. ges. Therap.*, 2, 289.
- [Trans.: (abbreviated) 'Coca', *Saint Louis Med. Surg. J.*, 48 (1884), 502.]
- (1893 c) 'Quelques considérations pour une étude comparative des paralysies motrices organiques et hystériques', *G.S.* 1, 30; *G.W.*, 1, 37.

- [Trans.: 'Some points for a Comparative Study of Organic and Hysterical Motor Paralysis', C.P., 1, 42; Standard Ed., 1.]
- (1894 a) 'Die Abwehr-Neuropsychosen', G.S., 1, 290, 1, 290; G.W., 1, 57.
- [Trans.: 'The Neuro-Psychoses of Defence', C.P., 1, 59; Standard Ed., 3.]
- (1895 b) 'Über die Berechtigung, von der Neuresthenie einen bestimmten Symptomenkomplex als "Angstneurose" abzutrennen', G.S., 1, 306; G.W., 1, 313.
- [Trans.: 'On the Grounds for Detaching a Particular Syndrome from Neurasthenia under the description "Anxiety Neurosis"', C.P., 1, 76; Standard Ed., 3.]
- (1895 d) With Breuer, J., Studien über Hysterie, Vienna. (G.S., 1; G.W. 1, 75. Omitting Breuer's contributions.)
- [Trans.: Studies on Hysteria, Standard Ed., 2.]
- (1896 b) 'Weitere Bemerkungen über die Abwehr-Neuropsychosen', G.S., 1, 363; G.W., 1, 377.
- [Trans.: 'Further Remarks on the Neuro-Psychoses of Defence', C.P., 1, 155; Standard Ed., 3.]
- (1898 b) 'Zum psychischen Mechanismus der Vergesslichkeit', G.W., 1, 517.
- (Trans.: 'The Psychical Mechanism of Forgetting', Standard Ed., 3.)
- (1899 a) 'Über Deckerinnerungen', G.S., 1, 465; G.W., 1
- [Trans.: 'Screen Memories', C.P., 5, 47; Standard Ed., 3.]
- (1900 a) Die Traumdeutung, Vienna. (G.S., 2-3; G.W., 2-3.)
- [Trans.: The Interpretation of Dreams, revised ed., London, 1932; Standard Ed., 4-5.]
- (1901 a) Über den Traum, Wiesbaden. (G.S., 3, 189; G.W., 2-3, 649.)
- [Trans.: On Dreams, London, 1951; Standard Ed., 5, 629.]
- (1901 b) Sur Psychopathologie des Alltagslebens, Berlin. (G.S., 4; G.W., 4.)
- [Trans.: The Psychopathology of Everyday Life, Standard Ed., 6.]
- (1904 a) 'Die Freud'sche psychoanalytische Methode', G.S., 6, 3; G.W., 5, 3.
- [Trans.: 'Freud's Psycho-Analytic Method', C.P., 1, 264; Standard Ed., 7.]
- (1905 c) Der Witz und seine Beziehung zum unbewussten, Vienna (G.S., 9; G.W., 6.)
- [Trans.: Jokes and their Relation to the Unconscious, Standard Ed., 8.]
- (1905 d) Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie, Vienna. (G.S., 5, 3; G.W., 5, 29.)
- [Trans.: Three Essays on the Theory of Sexuality, London, 1949; Standard ed., 7.]
- (1905) 'Bruchstück einer Hysterie-Analyse', G.S., 8, 3; G.W., 5, 169.
- [Trans.: 'Fragment of an Analysis of a Case of Hysteria', C.P., 3, 13; Standard Ed., 7.]

- (1907 a) *Der Wahn und die Traume* in W. Jensen's 'Gradiva', Vienna. (G.S., 9, 279, G.W., 7, 31.)
 [Trans., *Delusion and Dreams* in Jensen's 'Gradiva', Standard Ed., 9.]
- (1908 a) *'Hysterische Phantasien und ihre Beziehung zur Bissexualitat'*, G.S., 5, 246; G.W., 7, 191.
 [Trans., *'Hysterical Phantasies and their Relation to Bissexuality'*, C.P., 2, 51; Standard Ed., 9.]
- (1908 b) *'Charakter und Analerotik'*, G.S., 5, 261; G.W., 7, 209.
 [Trans.: *'Character and Anal Erotism'*, C.P., 2, 45; Standard Ed., 9.]
- (1908 c) *'Über infantile Sexualtheorien'*, G.S., 5, 168; G.W., 7, 171.
 [Trans.: *'On the Sexual Theories of Children'*, C.P., 2, 59; Standard Ed., 9.]
- (1908 e) *'Der Lichter und des Phantasieren'*, G.S., 10, 229; G.W., 7, 213.
 [Trans.: *'Creative Writers and Day-Dreaming'*, C.P. 4, 173; Standard Ed., 9.]
- (1909 b) *'Analyse der Phobie eines fünfjährigen Knaben'*, G.S., 8, 129; G.W., 7, 243.
 [Trans.: *'Analysis of a Phobia in a Five-Year Old Boy'*, C.P. 3, 149; Standard Ed., 10.]
- (1909 d) *'Bemerkungen über einen Fall von Zwangneurose'*, G.S., 8, 269; G.W., 7, 381.
 [Trans.: *'Notes upon a Case of Obsessional Neurosis'*, C.P. 3, 293; Standard Ed., 10.]
- (1910 a) *Über Psychoanalyse*, Vienna. (G.S., 4, 349; G.W., 8, 3.)
 [Trans.: *Five Lectures on Psycho-Analysis*, Standard Ed., 11.]
- (1910 d) *'Die zukünftigen Chancen der psychoanalytischen Therapie'*, G.S., 6, 25; G.W., 8, 104.
 [Trans.: *'The Future Prospects of Psycho-Analytic Therapy'*, C.P., 2, 285; Standard Ed., 11.)
- (1910 e) *'"Über den Gegensinn der Urworte"'*, G.S., 10, 221; G.W., 8, 214.
 [Trans.: *'"The Antithetical Sense of Primal Words"'*, G.P.; 4, 184, Standard Ed., 11.]
- (1910 f) *'Brief an Dr. Friedrich S. Krauss über die Anthropophyteia'*, G.S., 11, 242, G.W., 8, 224.
 [Trans.: *'Letter to Dr. Friedrich S. Krauss on Anthropophyteia'*, Standard Ed., 11.]
- (1910 h) *'Über einen besonderen Typus der Objektwahl beim Manne' ('Beiträge zur Psychologie des Liebeslebens' I)*, G.S., 5, 186, G.W., 8, 66.
 [Trans.: *'A Special Type of Choice of object made by Men' ('Contributions to the Psychology of Love' I)*, C.P., 4, 192; Standard Ed., 11.]
- (1910 l) *'Typisches Beispiel eines verkappten Odipustraumes'*, Zentralbl.

Psychoanal., 1, 43; reprinted in *Die Traumdeutung*, G.S., 3, 118 n.; G.W., 2-3, 404 n.

[Trans.: 'A Typical Example of a Disguised Oedipus Dream'; included in *The Interpretation of Dreams*, Standard Ed., 5, 398 n.]

(1911 a) 'Nachtrage zur Traumdeutung', *Zentralbl. Psychoanal.*, 1, 187. (Partly reprinted G.S., 3, 77 ff. and 126 f.; G.W., 2-3, 365 ff. and 412 f.)

[Trans.: 'Additions to the Interpretation of Dreams', (wholly incorporated in *The Interpretation of Dreams*, Standard Ed., 5, 360 ff. and 408 f.)]

(1911 b) 'Formulierungen über die zwei Prinzipien des psychischen Geschehens', G.S., 5, 409; G.W., 8, 230.

[Trans.: 'Formulations on the Two Principles of Mental Functioning', C.P., 4, 13; Standard Ed., 12.]

(1911 c) 'Die Handhabung der Traumdeutung in der Psychoanalyse', G.S., 6, 45; G.W., 8, 350.

[Trans.: 'The Handling of Dream-Interpretation in Psycho-Analysis', C.P., 2, 305; Standard Ed., 12.]

(1912 g) 'Einige Bemerkungen über den Begriff des Unbewussten in der Psychoanalyse', G.W., 8, 360.

[Trans.: 'Some Remarks on the Concept of the Unconscious as used in Psycho-Analysis', C.P., 4, 22; Standard Ed., 12.]

(1912-13) Totem und Tabu, Vienna. (G.S., 10; G.W., 9.)

[Trans.: Totem and Taboo, London, 1950; Standard Ed., 13.]

(1913 a) 'Ein Traum als Beweismittel', G.S., 3, 267; G.W., 10, 12.

[Trans.: 'An Evidential Dream', C.P., 2, 133; Standard Ed., 13.]

(1913 d) 'Märchenstoffe in Traumen', G.S., 3, 259; G.W., 10, 2.

[Trans.: 'The Occurrence in Dreams of Material from Fairy Tales', C.P., 4, 236; Standard Ed., 13.]

(1913 f) 'Das Motiv der Kastenwahl', G.S., 10, 243-56; G.W., 10, 24-37.

[Trans.: 'The Theme of the Three Caskets', C.P., 4, 244-56; Standard Ed., 12.]

(1913 h) 'Erfahrungen und Beispiele aus der analytischen Praxis', *Int. Z. Psychoanal.*, 1, 377. (Partly reprinted G.S., 11, 301; G.W., 10, 40. Partly included in *Traumdeutung*, G.S., 3, 41, 71 f., 127 and 135; G.W., 2-3, 238, 359 ff. 413 f. and 433)

[Trans.: 'Observations and Examples from Analytic Practice', Standard Ed., 13 (in full). Also partly incorporated in *The Interpretation of Dreams*, Standard Ed., 4, 232 and 5, 409 f.]

(1913 k) 'Gewohnheitsrecht der Völker', G.S., 11, 249; G.W., 10, 453.

[Trans.: 'Preface to Bourke, Scatalogic. Rites of all Nations', C.P., 5, 88; Standard Ed., 12.]

(1914 a) 'Über fausse reconnaissance ("déjà raconté") während der psychoanalytischen Arbeit', G.S., 6, 67; G.W., 10, 116.

[Trans.: "Fausse reconnaissance ("déjà raconté") in Psycho-Analytic Treat-

- ment', C.P., 2, 334; Standard Ed., 14.]
- (1914 c) 'Zur Einführung des Narzissmus', G.S., 6, 155; G.W., 10, 138.
[Trans.: 'On Narcissism: an Introduction', C.P., 4, 30; Standard Ed., 14.]
- (1914 d) 'Zur Geschichte der psychoanalytischen Bewegung', G.S., 4, 411; G.W., 10, 44.
[Trans.: 'On the History of the Psycho-Analytic Movement', C.P., 1, 287; Standard Ed., 14.]
- (1914 e) 'Darstellungen der "grossen Leistung" im Traume', Int. Z. Psychoanal. 2, 384; reprinted in Die Traumdeutung, G.S., 3, 190, G.W., 2-3, 416.
[Trans.: 'The Representation in a Dream of a "Great Achievement"', included in the Interpretation of Dreams, Standard Ed., 5, 412.]
- (1915 a) 'Weitere Ratschläge zur Technik der Psychoanalyse III: Bemerkungen über die Übertragungsliebe', G.S., 6, 120; G.W., 10, 306.
[Trans.: 'Observations on Transference-Love (Further Recommendations on the Technique of Psycho-Analysis, III)', C.P., 2, 377; Standard Ed., 12.]
- (1915 b) 'Zeitgemässes über Krieg und Tod', G.S., 10, 315-45; G.W., 10, 324-55.
[Trans.: 'Thoughts for the Times on War and Death', C.P., 4, 288-317; Standard Ed., 14.]
- (1915 d) 'Die Verdrängung', G.S., 5, 1466; G.W., 10, 248.
[Trans.: 'Repression', C.P., 4, 84; Standard Ed., 14.]
- (1915 e) 'Das Unbewusste', G.S., 5, 480; G.W., 10, 264.
[Trans.: 'The Unconscious', C.P., 4, 98; Standard Ed., 14.]
- (1916 c) 'Eine Beziehung zwischen einem Symbol und einem Symptom', G.S., 5, 310; G.W., 10, 394.
[Trans.: 'A Connection between a Symbol and a Symptom', C.P., 2, 162; Standard Ed., 14.]
- (1916 d) 'Einige Charaktertypen aus der psychoanalytischen Arbeit', G.S., 10, 287; G.W., 10, 364.
[Trans.: 'Some Character-Types Met with in Psycho-Analytic Work', C.P., 4, 318; Standard Ed., 14.]
- (1916-17) Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse, Vienna. (G.S., 7; G.W., 11.)
[Trans.: Introductory Lectures on Psycho-Analysis, revised ed. London, 1929; Standard Ed., 15 and 16.]
- (1917 d) 'Metapsychologische Ergänzung zur Traumlehre', G.S., 5, 520; G.W., 10, 412.
[Trans.: 'A Metapsychological Supplement to the Theory of Dreams', C.P., 4, 137; Standard Ed., 14.]
- (1918 b) 'Aus der Geschichte einer infantilen Neurose', G.S., 8, 439; G.W., 12, 29.

[Trans.: 'From the History of an Infantile Neurosis', C.P., 3, 473; Standard Ed., 17.]

(1919 h) 'Das Unheimliche', G.S., 10, 369; G.W., 12, 229.

[Trans.: "'The Uncanny'", C.P., 4, 368; Standard Ed., 17.]

(1920 a) 'Über die Psychogenese eines Falles von weiblicher Homosexualität', G.S., 5, 312; G.W., 12, 271.

[Trans.: 'The Psychogenesis of a Case of Female Homosexuality', C.P., 2, 202; Standard Ed., 18.]

(1920 f) 'Ergänzungen zur Traumlehre' (Author's Abstract of Congress Address), Int. Z. Psychoanal., 6, 397.

[Trans.: 'Supplements to the Theory of Dreams', Int. J. Psycho-Anal., 1, 354; Standard Ed., 18.]

(1920 g) 'Jenseits des Lustprinzips', Vienna. (G.S., 6, 191; G.W., 13, 9.)

[Trans.: 'Beyond the Pleasure Principle', London, 1950; Standard Ed., 18.]

(1921 b) Introduction (in English) to Varendonck, The Psychology of Day-Dreams, London. (G.W., 13, 439; Standard Ed., 18.)

(1921 c) 'Massenpsychologie und Ich-Analyse', Vienna. (G.S., 6, 261; G.W., 13, 73.)

[Trans.: 'Group Psychology and the Analysis of the Ego', London, 1922; Standard Ed., 18.]

(1922 a) 'Traum und Telepathie', G.S., 3, 278; G.W., 13, 165.

[Trans.: 'Dreams and Telepathy', G.P., 4, 408; Standard Ed., 18.]

(1922 b) 'Über einige neurotische Mechanismen bei Eifersucht, Paranoia und Homosexualität', G.S., 5, 387; G.W., 13, 195.

[Trans.: 'Some Neurotic Mechanisms in Jealousy, Paranoia and Homosexuality' C.P., 2, 232; Standard Ed., 18.]

(1922 c) 'Nachschrift zur Analyse des kleinen Hans', G.S., 264WB., G. 13, 431.

[Trans.: 'Postscript to the "Analysis of a Phobia in a Five-Year-Old-Boy"', C.P., 3, 288; Standard Ed., 10.]

(1923 a) (1922) "'Psychoanalyse" und "Libido Theorie"', G.S., 11, 201; 201; G.W., 13, 211.

[Trans.: 'Two Encyclopaedia Articles', C.P., 5, 107; Standard Ed., 18.]

(1923 b) 'Das Ich und das Es', Vienna. (G.S., 6, 359; G.W., 13, 237.)

[Trans.: 'The Ego and the Id', London, 1927; Standard Ed., 19.]

(1923 c) 'Bemerkungen zur Theorie und Praxis der Traumdeutung', G.S., 3, 305; G.W., 13, 301.

[Trans.: 'Remarks on the Theory and Practice of Dream Interpretation', C.P., 5, 136; Standard Ed., 19.]

(1923 d) 'Eine Teufelskurve im siebzehnten Jahrhundert', G.S., 10, 409; G.W., 13, 317.

- [Trans.: 'A Seventeenth Century Demonological Neurosis', C.P., 4, 436; Standard Ed., 19.]
- (1923 f) 'Josef Popper-Lynkeus und die Theorie des Traumes', G.S., 11, 295; G.W., 13, 357.
- [Trans.: 'Josef Popper-Lynkeus and the Theory of Dream's, Standard Ed., 19.]
- (1924-34) *Gesammelte Schriften*, Vienna.
- (1924 c) 'Das ökonomische Problem des Masochismus', G.S., 5, 374; G.W., 13, 371.
- [Trans.: 'The Economic Problem of Masochism', C.P., 2, 255; Standard Ed., 19.]
- (1925 a) 'Notiz über den Wunderblock', G.S., 6, 415; G.W., 14, 3.
- [Trans.: 'A Note on the "Mystic Writing-Pad"', C.P., 5, 175; Standard Ed., 20.]
- (1925 d) 'Selbstdarstellung', G.S., 11, 119; G.W., 14, 93.
- (Trans.: *An Autobiographical Study*, London, 1935; Standard Ed., 20.)
- (1925 i) 'Einige Nachträge zum Ganzen der Traumdeutung', G.S., 3, 172; G.W., 1, 559.
- [Trans.: 'Some Additional Notes upon Dream-Interpretation as a Whole', C.P., 5, 150; Standard Ed., 20.]
- (1925 j) 'Einige psychische Folgen des anatomischen Geschlechtsunterschieds', G.S., 11, 8; G.W., 14, 19.
- [Trans.: 'Some Psychological Consequences of the Anatomical Distinction between the Sexes', C.P., 5, 186; Standard Ed., 19.]
- (1926 d) *Hemmung, Symptom und Angst*, Vienna. (G.S., 11, 23; G.W., 13, 119.)
- [Trans.: *Inhibitions, Symptoms and Anxiety*, London, 1936; *The Problem of Anxiety*, New York, 1936; Standard Ed., 20.]
- (1927 c) *Die Zukunft einer Illusion*, Vienna. (G.S., 11, 411; G.W., 14, 325.)
- [Trans.: *The Future of an Illusion*, London 1928; Standard Ed., 21.]
- (1929 b) 'Brief an Maxim Leroy über einen Traum des Cartesius', G.S. 12, 403; G.W., 14, 558.
- [Trans.: 'A Letter to Maxime Leroy on a Dream of Descartes', Standard Ed., 21.]
- (1930 a) *Das Unbehagen in der Kultur*, Vienna. (G.S., 12, 29; G.W., 14, 421.)
- [Trans.: *Civilization and its Discontents*, London, 1930; Standard Ed., 21.]
- (1930 e) 'Goethe-Preis 1930', G.S., 12, 406; G.W., 14, 545.
- [Trans.: 'The Goethe Prize for 1930', Standard Ed., 21.]
- (1931 b) 'Über die weibliche Sexualität', G.S., 12, 120; G.W., 14, 517.
- [Trans.: 'Female Sexuality', C.P., 5, 232; Standard Ed., 21.]
- (1932 c) 'Meine Berührung mit Josef Popper-Lynkeus', G.S., 12, 415; G.W., 16, 261.

- [Trans.: 'My Contact with Josef Popper-Lynkeus', C.P., 5, 295; Standard ed., 22.]
- (1933 a) *Neue Folge der Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse*, Vienna. (G.S., 12, G.W., 15.)
- [Trans.: *New Introductory Lectures on Psycho-Analysis*, London, 1933; Standard Ed., 22.]
- (1940 a '1938) *Abriß der Psychoanalyse*, (G.W., 17, 67.)
- [Trans.: *An Outline of Psycho-Analysis*, London and New York, 1949; Standard Ed., 23.]
- (1940 c '1922) 'Das Medusenhaupt', G.W., 17, 47.
- [Trans.: 'Medusa's Head', C.P., 5, 105; Standard Ed., 18.]
- (1940 d '1892) With Breuer, J., 'Zur Theorie des hysterischen Anfalls', G.W., 17, 9.
- [Trans.: 'On the Theory of Hysterical Attacks', C.P., 5, 27; Standard Ed., 1.]
- (1941 a '1892) 'Brief an Josef Breuer', G.W., 17, 5.
- [Trans.: 'A Letter to Josef Breuer', C.P., 5, 25; Standard Ed., 1.]
- (1941 c '1899) 'Eine erfüllte Traumahnung', G.W., 17, 21.
- [Trans.: 'A Premonitory Dream Fulfilled', C.P., 5, 70; Standard Ed., 5, 623. (5 n° 65, n. 2, 623-5.)]
- (1950 a '1887-1902) *Aus den Anfängen der Psychoanalyse*, London.
- [In part in Standard Ed., 1.]
- Fuchs, E. (1909-12) *Illustrierte Sittengeschichte (Ergänzungsbande)*, Munich.
- Galton, F. (1907) *Inquiries into Human Faculty and its Development*, 2nd ed., Everyman's Edition, London (1st ed., 1883.)
- Garnier, A. (1872) *Traité des facultés de l'âme, contenant l'histoire des principales théories psychologiques*, (3 vols.), Paris. (1st ed., 1852.)
- Gieseler, C.M. (1888) *Beitrag zur Phenomenologie des Traumlebens*, Halle.
- (1890) *Aus den Tiefen des Traumlebens*, Halle.
- (1896) *Die physiologischen Beziehungen der Traumvorgänge*, Halle.
- Girou De Bouzareingès, G. and Girou De Bouzareingès, L. (1848) *Physiologie: essai sur le mécanisme des sensations, des idées et des sentiments*, Paris.
- Gobolt, E. (1896) 'Sur le souvenir des rêves', *Rev. phil.*, 42, 288.
- Gomperz, I. (1866) *Traumdeutung und Zauber*, Vienna.
- Gothardt, O. (1912) *Die Traumbücher des Mittelalters*, Eisleben.
- Griesinger, W. (1845) *Pathologie und Therapie der psychischen Krankheiten*, Stuttgart.
- (1861)do., 2nd ed. quoted by Radestock.

- Gruppe, O. (1906) *Griechische Mythologie und Religionsgeschichte*, Munich.
 (In Muller, *Handbuch der klassischen Altertums-Wissenschaft*, 5, 2.)
- Guislain, J. (1833) *Leçons orales sur les phrénopathies* (3 vols.), Brussels.
 [Quotation in text is from German trans.: *Abhandlungen über die Phrenopathien*, Nuremberg, 1838.]
- Haffner, P. (1887) 'Schlafen und Traumen', *Sammlung zeitgemässer Broschüren*, 226, Frankfurt.
- Hagen, F.W. (1846) 'Psychologie und Psychiatrie', *Wagner's Handwörterbuch der Psychologie*, 2, 692, Brunswick.
- Hallam, F. and Weed, S. (1896) 'A Study of Dream Consciousness', *Amer. J. Psychol.*, 7, 405.
- Hartmann, E. Von (1890) *Philosophie des Unbewussten*, 10th ed., Leipzig.
 (1st ed., 1869.)
 [Trans.: *Philosophy of the Unconscious*, by W.C. Coupland, London, 1884.]
- Hartmann, H. See Bethheim and Hartmann.
- Hennings, J.C. (1784) *Von den Traumen und Nachtwandlern*, Weimar.
- Henzen, W. (1890) *Über die Traume in der altnordischen Sagaliteratur*, (Theiss) Leipzig.
- Herbart, J.F. (1892) *Psychologie als Wissenschaft neu gegründet auf Erfahrung, Metaphysik und Mathematik*. (Zweiter, analytischer Teil); Vol. 6 in *Herbart's Sämtliche Werke* (ed. K. Kehrbach), Langensalza. (1st ed., Königsberg, 1825.)
- Hermann, K.F. (1858) *Lehrbuch der gottesdienstlichen Alterthümer der Griechen*, and ed., Heidelberg. (Pt. II of *Lehrbuch der griechischen Antiquitäten*.)
 (1882) *Lehrbuch der griechischen Privatalterthümer*, 3rd ed., Freiburg.
 (Pt. IV of *Lehrbuch der griechischen Antiquitäten*.)
- Herodotus *History*.
 [Trans. by A.D. Godley, Vol. III (Loeb Classical Library), London and New York, 1922.]
- Hervey De Saint-Denis, Marquis d', (1867) *Les rêves et les moyens de les diriger*, Paris. (Published anonymously.)
- Hilderbrandt, F.W. (1875) *Der Traum und seine Verwerthung für's Leben*, Leipzig.
- Hippocrates *Ancient Medicine and Regimen*.
 [Trans.: by W.H.S. Jones, Vols. I and IV (Loeb Classical Library), London and New York, 1923 and 1931.]

- Hittschmann, E. (1919) 'Goethe als Vatersymbol', *Int. Z. Psychoanal.*, 1, 569.
- Hobbes, T. (1651) *Leviathan*, London.
- Hoffbauer, J.C. (1796) *Naturlehre der Seele*, Halle.
- Hohnbaum (1890) In G.F. Nasse: *Jb. Anthropol.*, 1.
- Hug-Hellmuth, H. Von (1911) 'Analyse eines Traumes eines 5 jährigen Knaben', *Zbl. Psychoanal.*, 2, 122.
- (1919) 'Kinderträume', *Int. Z. Psychoanal.*, 1, 470.
- (1915) 'Ein Traum der sich selbst deutet', *Int. Z. Psychoanal.*, 3, 33.
- Ideler, K.W. (1862) 'Die Entstehung des Wahnsinns aus den Traumen', *Charité Annalen*, 3, Berlin.
- Iwaya, S. (1902) 'Traumdeutung in Japan', *Ostasien*, 302.
- Jekels, L. (1917) 'Shakespeares Macbeth', *Imago*, 5, 170.
- Jensen, P. (1855) *Versuch einer wissenschaftlichen Begründung der Psychologie*, Berlin.
- Jodl, F. (1896) *Lehrbuch der Psychologie*, Stuttgart.
- Jones, E. (1910 a) 'The Oedipus Complex as an Explanation of Hamlet's Mystery', *Amer. J. Psychol.*, 21, 72.
- (1910 b) 'Freud's Theory of Dreams', *Amer. J. Psychol.*, 21, 289.
- (1911) 'The Relationship Between Dreams and Psychoneurotic Symptoms', *Am. J. Insanity*, 68, 57.
- (1912 a) 'Unbewusste Zahlenbehandlung', *Zbl. Psychoanal.*, 2, 241.
- (1912 b) 'A Forgotten Dream', *J. 'abnorm. Psychol.*, 7, 5.
- (1914 a) 'Frau und Zimmer', *Int. Z. Psychoanal.*, 2, 380.
- (1914 b) 'Zahnziehen und Gaburt', *Int. Z. Psychoanal.*, 2, 380.
- (1916) 'The Theory of Symbolism', *Brit. J. Psychol.*, 9, 181.
- (1949) *Hamlet and Oedipus*, London.
- (1953) *Sigmund Freud: Life and Work*, 1, London.
- Josephus, Flavius, *Antiquitates Judaicae*.
- [Trans: *Ancient History of the Jews* by W. Whiston, London, 1874.]
- Jung, G.G. (ed.) (1906) *Diagnostische Assoziationsstudien* (2 vols.), Leipzig.
- [Trans.: *Studies in Word-Association*, London.]
- (1907) *Über die Psychologie der Dementia praecox*, Halle.
- [Trans.: *The Psychology of Dementia Praecox*, New York, 1909]
- (1910 a) 'Über Konflikte der kindlichen Seele', *Jb. psychoanal. psychopath. Forsch.*, 2, 33.
- (1910 b) 'Ein Beitrag zur Psychologie des Geruchtes', *Zbl. Psychoanal.*, 1, 81.
- (1911) 'Ein Beitrag zur Kenntnis des Zahlentraumes', *Zbl. Psychoanal.*, 1, 567.
- Kant, I. (1764) *Versuch über die Krankheiten des Kopfes*.
- (1798) *Anthropologie in pragmatischer Hinsicht*.

- Karpinska, L. Von (1914) 'Ein Beitrag zur Analyse "sinnloser" Worte in Traume', *Int. Z. Psychoanal.*, 2, 164.
- Kazowsky, A.D. (1901) 'Zur Frage nach dem Zusammenhange von Traumen und Wahnvorstellungen', *Neurol. Zbl.*, 440 and 508.
- Kirchgraber, F. (1912) 'Der Hut als Symbol des Genitales', *Zbl. Psychoanal. Psychother.*, 9, 95.
- Kleinpaul, R. (1898) *Die Lebendigen und die Toten in Volksglauben, Religion und Sage*, Leipzig.
- Kraus, A. (1858-59) 'Der Sinnim Wahnsinn', *Allg. Z. Psychol.*, 15, 617 and 16, 222.
- Kraus, F.S. See Artemidorus.
- Ladd, G.T. (1892) 'Contribution to the Psychology of Visual Dreams', *Mind*, (New Series) 1, 299.
- Landauer, K. (1918) 'Handlungen des Schlafenden', *Z. ges. Neur. Psychiat.*, 39, 329.
- Lasague, O. (1881) 'Le délire alcoolique n'est pas un délire, mais un rêve', *Arch. gén. Méd.*
- Lauer, C. (1919) 'Das Wesen des Traumes in der Beurteilung der talmudischen und rabbinischen Literatur', *Int. Z. Psychoanal.*, 1, 459.
- Lehmann, A. (1908) *Aberglaube und Zauberei von den ältesten Zeiten bis in die Gegenwart* (German trans. by Petersen), Stuttgart.
- Le Lorrain, J. (1894) 'La durée du temps dans les rêves', *Rev. phil.*, 38, 275. (1895) 'Le rêve', *Rev. phil.*, 40, 59.
- Léaut, (1852) 'Mémoire sur les sommeil, les songes et le somnambulisme', *Ann. méd-psychol.*, 4, 331.
- Lemoine, A. (1855) *Du sommeil au point de vue physiologique et psychologique*, Paris.
- Leroy, See Bernard-Leroy.
- Leuret, F. (1834) *Fragments psychologiques sur la folie*, Paris.
- Liébeault, A.A. (1889) *Le sommeil provoqué et les états analogues*, Paris.
- Lipps, T. (1889) *Grundtatsachen des Seelenlebens*, Bonn.
(1897) 'Der Begriff des Unbewussten in der Psychologie', *Records of the Third Internat. Congr. Psychol.*, Munich.
- Lloyd, W. (1877) *Magnetism and Mesmerism in Antiquity*, London.
- Lowinger. (1908) 'Der Traum in der jüdischen Literatur', *Mitt. jud. Volksh.*, 1908, 1909, 1910, 1911, 1912, 1913, 1914, 1915, 1916, 1917, 1918, 1919, 1920, 1921, 1922, 1923, 1924, 1925, 1926, 1927, 1928, 1929, 1930, 1931, 1932, 1933, 1934, 1935, 1936, 1937, 1938, 1939, 1940, 1941, 1942, 1943, 1944, 1945, 1946, 1947, 1948, 1949, 1950, 1951, 1952, 1953, 1954, 1955, 1956, 1957, 1958, 1959, 1960, 1961, 1962, 1963, 1964, 1965, 1966, 1967, 1968, 1969, 1970, 1971, 1972, 1973, 1974, 1975, 1976, 1977, 1978, 1979, 1980, 1981, 1982, 1983, 1984, 1985, 1986, 1987, 1988, 1989, 1990, 1991, 1992, 1993, 1994, 1995, 1996, 1997, 1998, 1999, 2000, 2001, 2002, 2003, 2004, 2005, 2006, 2007, 2008, 2009, 2010, 2011, 2012, 2013, 2014, 2015, 2016, 2017, 2018, 2019, 2020, 2021, 2022, 2023, 2024, 2025, 2026, 2027, 2028, 2029, 2030, 2031, 2032, 2033, 2034, 2035, 2036, 2037, 2038, 2039, 2040, 2041, 2042, 2043, 2044, 2045, 2046, 2047, 2048, 2049, 2050, 2051, 2052, 2053, 2054, 2055, 2056, 2057, 2058, 2059, 2060, 2061, 2062, 2063, 2064, 2065, 2066, 2067, 2068, 2069, 2070, 2071, 2072, 2073, 2074, 2075, 2076, 2077, 2078, 2079, 2080, 2081, 2082, 2083, 2084, 2085, 2086, 2087, 2088, 2089, 2090, 2091, 2092, 2093, 2094, 2095, 2096, 2097, 2098, 2099, 2100, 2101, 2102, 2103, 2104, 2105, 2106, 2107, 2108, 2109, 2110, 2111, 2112, 2113, 2114, 2115, 2116, 2117, 2118, 2119, 2120, 2121, 2122, 2123, 2124, 2125, 2126, 2127, 2128, 2129, 2130, 2131, 2132, 2133, 2134, 2135, 2136, 2137, 2138, 2139, 2140, 2141, 2142, 2143, 2144, 2145, 2146, 2147, 2148, 2149, 2150, 2151, 2152, 2153, 2154, 2155, 2156, 2157, 2158, 2159, 2160, 2161, 2162, 2163, 2164, 2165, 2166, 2167, 2168, 2169, 2170, 2171, 2172, 2173, 2174, 2175, 2176, 2177, 2178, 2179, 2180, 2181, 2182, 2183, 2184, 2185, 2186, 2187, 2188, 2189, 2190, 2191, 2192, 2193, 2194, 2195, 2196, 2197, 2198, 2199, 2200, 2201, 2202, 2203, 2204, 2205, 2206, 2207, 2208, 2209, 2210, 2211, 2212, 2213, 2214, 2215, 2216, 2217, 2218, 2219, 2220, 2221, 2222, 2223, 2224, 2225, 2226, 2227, 2228, 2229, 2230, 2231, 2232, 2233, 2234, 2235, 2236, 2237, 2238, 2239, 2240, 2241, 2242, 2243, 2244, 2245, 2246, 2247, 2248, 2249, 2250, 2251, 2252, 2253, 2254, 2255, 2256, 2257, 2258, 2259, 2260, 2261, 2262, 2263, 2264, 2265, 2266, 2267, 2268, 2269, 2270, 2271, 2272, 2273, 2274, 2275, 2276, 2277, 2278, 2279, 2280, 2281, 2282, 2283, 2284, 2285, 2286, 2287, 2288, 2289, 2290, 2291, 2292, 2293, 2294, 2295, 2296, 2297, 2298, 2299, 2300, 2301, 2302, 2303, 2304, 2305, 2306, 2307, 2308, 2309, 2310, 2311, 2312, 2313, 2314, 2315, 2316, 2317, 2318, 2319, 2320, 2321, 2322, 2323, 2324, 2325, 2326, 2327, 2328, 2329, 2330, 2331, 2332, 2333, 2334, 2335, 2336, 2337, 2338, 2339, 2340, 2341, 2342, 2343, 2344, 2345, 2346, 2347, 2348, 2349, 2350, 2351, 2352, 2353, 2354, 2355, 2356, 2357, 2358, 2359, 2360, 2361, 2362, 2363, 2364, 2365, 2366, 2367, 2368, 2369, 2370, 2371, 2372, 2373, 2374, 2375, 2376, 2377, 2378, 2379, 2380, 2381, 2382, 2383, 2384, 2385, 2386, 2387, 2388, 2389, 2390, 2391, 2392, 2393, 2394, 2395, 2396, 2397, 2398, 2399, 2400, 2401, 2402, 2403, 2404, 2405, 2406, 2407, 2408, 2409, 2410, 2411, 2412, 2413, 2414, 2415, 2416, 2417, 2418, 2419, 2420, 2421, 2422, 2423, 2424, 2425, 2426, 2427, 2428, 2429, 2430, 2431, 2432, 2433, 2434, 2435, 2436, 2437, 2438, 2439, 2440, 2441, 2442, 2443, 2444, 2445, 2446, 2447, 2448, 2449, 2450, 2451, 2452, 2453, 2454, 2455, 2456, 2457, 2458, 2459, 2460, 2461, 2462, 2463, 2464, 2465, 2466, 2467, 2468, 2469, 2470, 2471, 2472, 2473, 2474, 2475, 2476, 2477, 2478, 2479, 2480, 2481, 2482, 2483, 2484, 2485, 2486, 2487, 2488, 2489, 2490, 2491, 2492, 2493, 2494, 2495, 2496, 2497, 2498, 2499, 2500, 2501, 2502, 2503, 2504, 2505, 2506, 2507, 2508, 2509, 2510, 2511, 2512, 2513, 2514, 2515, 2516, 2517, 2518, 2519, 2520, 2521, 2522, 2523, 2524, 2525, 2526, 2527, 2528, 2529, 2530, 2531, 2532, 2533, 2534, 2535, 2536, 2537, 2538, 2539, 2540, 2541, 2542, 2543, 2544, 2545, 2546, 2547, 2548, 2549, 2550, 2551, 2552, 2553, 2554, 2555, 2556, 2557, 2558, 2559, 2560, 2561, 2562, 2563, 2564, 2565, 2566, 2567, 2568, 2569, 2570, 2571, 2572, 2573, 2574, 2575, 2576, 2577, 2578, 2579, 2580, 2581, 2582, 2583, 2584, 2585, 2586, 2587, 2588, 2589, 2590, 2591, 2592, 2593, 2594, 2595, 2596, 2597, 2598, 2599, 2600, 2601, 2602, 2603, 2604, 2605, 2606, 2607, 2608, 2609, 2610, 2611, 2612, 2613, 2614, 2615, 2616, 2617, 2618, 2619, 2620, 2621, 2622, 2623, 2624, 2625, 2626, 2627, 2628, 2629, 2630, 2631, 2632, 2633, 2634, 2635, 2636, 2637, 2638, 2639, 2640, 2641, 2642, 2643, 2644, 2645, 2646, 2647, 2648, 2649, 2650, 2651, 2652, 2653, 2654, 2655, 2656, 2657, 2658, 2659, 2660, 2661, 2662, 2663, 2664, 2665, 2666, 2667, 2668, 2669, 2670, 2671, 2672, 2673, 2674, 2675, 2676, 2677, 2678, 2679, 2680, 2681, 2682, 2683, 2684, 2685, 2686, 2687, 2688, 2689, 2690, 2691, 2692, 2693, 2694, 2695, 2696, 2697, 2698, 2699, 2700, 2701, 2702, 2703, 2704, 2705, 2706, 2707, 2708, 2709, 2710, 2711, 2712, 2713, 2714, 2715, 2716, 2717, 2718, 2719, 2720, 2721, 2722, 2723, 2724, 2725, 2726, 2727, 2728, 2729, 2730, 2731, 2732, 2733, 2734, 2735, 2736, 2737, 2738, 2739, 2740, 2741, 2742, 2743, 2744, 2745, 2746, 2747, 2748, 2749, 2750, 2751, 2752, 2753, 2754, 2755, 2756, 2757, 2758, 2759, 2760, 2761, 2762, 2763, 2764, 2765, 2766, 2767, 2768, 2769, 2770, 2771, 2772, 2773, 2774, 2775, 2776, 2777, 2778, 2779, 2780, 2781, 2782, 2783, 2784, 2785, 2786, 2787, 2788, 2789, 2790, 2791, 2792, 2793, 2794, 2795, 2796, 2797, 2798, 2799, 2800, 2801, 2802, 2803, 2804, 2805, 2806, 2807, 2808, 2809, 2810, 2811, 2812, 2813, 2814, 2815, 2816, 2817, 2818, 2819, 2820, 2821, 2822, 2823, 2824, 2825, 2826, 2827, 2828, 2829, 2830, 2831, 2832, 2833, 2834, 2835, 2836, 2837, 2838, 2839, 2840, 2841, 2842, 2843, 2844, 2845, 2846, 2847, 2848, 2849, 2850, 2851, 2852, 2853, 2854, 2855, 2856, 2857, 2858, 2859, 2860, 2861, 2862, 2863, 2864, 2865, 2866, 2867, 2868, 2869, 2870, 2871, 2872, 2873, 2874, 2875, 2876, 2877, 2878, 2879, 2880, 2881, 2882, 2883, 2884, 2885, 2886, 2887, 2888, 2889, 2890, 2891, 2892, 2893, 2894, 2895, 2896, 2897, 2898, 2899, 2900, 2901, 2902, 2903, 2904, 2905, 2906, 2907, 2908, 2909, 2910, 2911, 2912, 2913, 2914, 2915, 2916, 2917, 2918, 2919, 2920, 2921, 2922, 2923, 2924, 2925, 2926, 2927, 2928, 2929, 2930, 2931, 2932, 2933, 2934, 2935, 2936, 2937, 2938, 2939, 2940, 2941, 2942, 2943, 2944, 2945, 2946, 2947, 2948, 2949, 2950, 2951, 2952, 2953, 2954, 2955, 2956, 2957, 2958, 2959, 2960, 2961, 2962, 2963, 2964, 2965, 2966, 2967, 2968, 2969, 2970, 2971, 2972, 2973, 2974, 2975, 2976, 2977, 2978, 2979, 2980, 2981, 2982, 2983, 2984, 2985, 2986, 2987, 2988, 2989, 2990, 2991, 2992, 2993, 2994, 2995, 2996, 2997, 2998, 2999, 3000, 3001, 3002, 3003, 3004, 3005, 3006, 3007, 3008, 3009, 3010, 3011, 3012, 3013, 3014, 3015, 3016, 3017, 3018, 3019, 3020, 3021, 3022, 3023, 3024, 3025, 3026, 3027, 3028, 3029, 3030, 3031, 3032, 3033, 3034, 3035, 3036, 3037, 3038, 3039, 3040, 3041, 3042, 3043, 3044, 3045, 3046, 3047, 3048, 3049, 3050, 3051, 3052, 3053, 3054, 3055, 3056, 3057, 3058, 3059, 3060, 3061, 3062, 3063, 3064, 3065, 3066, 3067, 3068, 3069, 3070, 3071, 3072, 3073, 3074, 3075, 3076, 3077, 3078, 3079, 3080, 3081, 3082, 3083, 3084, 3085, 3086, 3087, 3088, 3089, 3090, 3091, 3092, 3093, 3094, 3095, 3096, 3097, 3098, 3099, 3100, 3101, 3102, 3103, 3104, 3105, 3106, 3107, 3108, 3109, 3110, 3111, 3112, 3113, 3114, 3115, 3116, 3117, 3118, 3119, 3120, 3121, 3122, 3123, 3124, 3125, 3126, 3127, 3128, 3129, 3130, 3131, 3132, 3133, 3134, 3135, 3136, 3137, 3138, 3139, 3140, 3141, 3142, 3143, 3144, 3145, 3146, 3147, 3148, 3149, 3150, 3151, 3152, 3153, 3154, 3155, 3156, 3157, 3158, 3159, 3160, 3161, 3162, 3163, 3164, 3165, 3166, 3167, 3168, 3169, 3170, 3171, 3172, 3173, 3174, 3175, 3176, 3177, 3178, 3179, 3180, 3181, 3182, 3183, 3184, 3185, 3186, 3187, 3188, 3189, 3190, 3191, 3192, 3193, 3194, 3195, 3196, 3197, 3198, 3199, 3200, 3201, 3202, 3203, 3204, 3205, 3206, 3207, 3208, 3209, 3210, 3211, 3212, 3213, 3214, 3215, 3216, 3217, 3218, 3219, 3220, 3221, 3222, 3223, 3224, 3225, 3226, 3227, 3228, 3229, 3230, 3231, 3232, 3233, 3234, 3235, 3236, 3237, 3238, 3239, 3240, 3241, 3242, 3243, 3244, 3245, 3246, 3247, 3248, 3249, 3250, 3251, 3252, 3253, 3254, 3255, 3256, 3257, 3258, 3259, 3260, 3261, 3262, 3263, 3264, 3265, 3266, 3267, 3268, 3269, 3270, 3271, 3272, 3273, 3274, 3275, 3276, 3277, 3278, 3279, 3280, 3281, 3282, 3283, 3284, 3285, 3286, 3287, 3288, 3289, 3290, 3291, 3292, 3293, 3294, 3295, 3296, 3297, 3298, 3299, 3300, 3301, 3302, 3303, 3304, 3305, 3306, 3307, 3308, 3309, 3310, 3311, 3312, 3313, 3314, 3315, 3316, 3317, 3318, 3319, 3320, 3321, 3322, 3323, 3324, 3325, 3326, 3327, 3328, 3329, 3330, 3331, 3332, 3333, 3334, 3335, 3336, 3337, 3338, 3339, 3340, 3341, 3342, 3343, 3344, 3345, 3346, 3347, 3348, 3349, 3350, 3351, 3352, 3353, 3354, 3355, 3356, 3357, 3358, 3359, 3360, 3361, 3362, 3363, 3364, 3365, 3366, 3367, 3368, 3369, 3370, 3371, 3372, 3373, 3374, 3375, 3376, 3377, 3378, 3379, 3380, 3381, 3382, 3383, 3384, 3385, 3386, 3387, 3388, 3389, 3390, 3391, 3392, 3393, 3394, 3395, 3396, 3397, 3398, 3399, 3400, 3401, 3402, 3403, 3404, 3405, 3406, 3407, 3408, 3409, 3410, 3411, 3412, 3413, 3414, 3415, 3416, 3417, 3418, 3419, 3420, 3421, 3422, 3423, 3424, 3425, 3426, 3427, 3428, 3429, 3430, 3431, 3432, 3433, 3434, 3435, 3436, 3437, 3438, 3439, 3440, 3441, 3442, 3443, 3444, 3445, 3446, 3447, 3448, 3449, 3450, 3451, 3452, 3453, 3454, 3455, 3456, 3457, 3458, 3459, 3460, 3461, 3462, 3463, 3464, 3465, 3466, 3467, 3468, 3469, 3470, 3471, 3472, 3473, 3474, 3475, 3476, 3477, 3478, 3479, 3480, 3481, 3482, 3483, 3484, 3485, 3486, 3487, 3488, 3489, 3490, 3491, 3492, 3493, 3494, 3495, 3496, 3497, 3498, 3499, 3500, 3501, 3502, 3503, 3504, 3505, 3506, 3507, 3508, 3509, 3510, 3511, 3512, 3513, 3514, 3515, 3516, 3517, 3518, 3519, 3520, 3521, 3522, 3523, 3524, 3525, 3526, 3527, 3528, 3529, 3530, 3531, 3532, 3533, 3534, 3535, 3536, 3537, 3538, 3539, 3540, 3541, 3542, 3543, 3544, 3545, 3546, 3547, 3548, 3549, 3550, 3551, 3552, 3553, 3554, 3555, 3556, 3557, 3558, 3559, 3560, 3561, 3562, 3563, 3564, 3565, 3566, 3567, 3568, 3569, 3570, 3571, 3572, 3573, 3574, 3575, 3576, 3577, 3578, 3579, 3580, 3581, 3582, 3583, 3584, 3585, 3586, 3587, 3588, 3589, 3590, 3591, 3592, 3593, 3594, 3595, 3596, 3597, 3598, 3599, 3600, 3601, 3602, 3603, 3604, 3605, 3606, 3607, 3608, 3609, 3610, 3611, 3612, 3613, 3614, 3615, 3616, 3617, 3618, 3619, 3620, 3621, 3622, 3623, 3624, 3625, 3626, 3627, 3628, 3629, 3630, 3631, 3632, 3633, 3634, 3635, 3636, 3637, 3638, 3639, 3640, 3641, 3642, 3643, 3644, 3645, 3646, 3647, 3648, 3649, 3650, 3651, 3652, 3653, 3654, 3655, 3656, 3657, 3658, 3659, 3660, 3661, 3662, 3663, 3664, 3665, 3666, 3667, 3668, 3669, 3670, 3671, 3672, 3673, 3674, 3675, 3676, 3677, 3678, 3679, 3680, 3681, 3682, 3683, 3684, 3685, 3686, 3687, 3688, 3689, 3690, 3691, 3692, 3693, 3694, 3695, 3696, 3697, 3698, 3699, 3700, 3701, 3702, 3703, 3704, 3705, 3706, 3707, 3708, 3709, 3710, 3711, 3712, 3713, 3714, 3715, 3716, 3717, 3718, 3719, 3720, 3721, 3722, 3723, 3724, 3725, 3726, 3727, 3728, 3729, 3730, 3731, 3732, 3733, 3734, 3735, 3736, 3737, 3738, 3739, 3740, 3741, 3742, 3743, 3744, 3745, 3746, 3747, 3748, 3749, 3750, 3751, 3752, 3753, 3754, 3755, 3756, 3757, 3758, 3759, 3760, 3761, 3762, 3763, 3764, 3765, 3766, 3767, 3768, 3769, 3770, 3771, 3772, 3773, 3774, 3775, 3776, 3777, 3778, 3779, 3780, 3781, 3782, 3783, 3784, 3785, 3786, 3787, 3788, 3789, 3790, 3791, 3792, 3793, 3794, 3795, 3796, 3797, 3798, 3799, 3800, 3801, 3802, 3803, 3804, 3805, 3806, 3807, 3808, 3809, 3810, 3811, 3812, 3

- 'Lyneus' (J. Popper) (1899) *Phantasien eines Realisten*, Dresden.
- Maass, J.G.E. (1805) *Versuch über die Leidenschaften*, Halle.
- Macario, M.M.A. (1847) 'Des rêves, considérés sous le rapport physiologique et pathologique', Pt. II, *Ann. méd-psychol.*, 9, 27.
- (1857) *Du sommeil, des rêves et du somnambulisme dans l'état de santé et de maladie*, Paris-Lyons.
- Macnish, R. (1830) *Philosophy of Sleep*, Glasgow.
- [German trans.: *Der Schlaf in allen seinen Gestalten*, Leipzig, 1835.]
- Maeder, A. (1908) 'Die Symbolik in den Legenden, Marchen, Gebrauchen, und Traumen', *Psychiat. - neurol. Wschr.*, 10, 55.
- (1912) 'Über die Funktion des Traumes', *Jb. psychoanal. psychopath. Forsch.*, 4, 692.
- Maine de Biran, M.F.P. (1834) *Nouvelles considérations sur les rapports du physique et du moral de l'homme*, (ed. by V. Cousin), Paris.
- Marcinowski, J. (1911) 'Eine kleine Mitteilung', *Zbl. Psychoanal.*, 1, 575.
- (1912 a) 'Gezeichnete Traume', *Zbl. Psychoanal.*, 2, 490.
- (1912 b) 'Drei Romane in Zahlen', *Zbl. Psychoanal.*, 2, 619.
- Maudsley, H. (1868) *Psychology and Pathology of the Mind*, London. (1st ed., 1867.)
- Maury, L.F.A. (1853) 'Nouvelles observations sur les analogies des phénomènes du rêve et l'aliénation mentale', Pt. II, *Ann. méd-psychol.*, 5, 404.
- (1878) *Le sommeil et les rêves* Paris. (1st ed., 1861.)
- Meier, G.F. (1758) *Versuch einer Erklärung des Nachtwandels*, Halle.
- Meynert, T. (1892) *Sammlung von popularwissenschaftlichen Vorträgen über den Bau und die Leistungen des Gehirns*, Vienna.
- Miura K. (1906) 'Über japanische Traumdeuterei', *Mitt. dtsch. Ges. Naturk. Ostasien*, 10, 291.
- Moreau, J. (1855) 'De l'identité de l'état de rêve et de folie', *Ann. méd-psychol.*, 1, 361.
- Müller, J. (1826) *Über die phantastischen Gedichtserscheinungen*, Coblenz.
- Myers, F.W.H. (1892) 'Hypermnestic Dreams', *Proc. Soc. Psych. Res.*, 8, 362.
- Nacke, P. (1903) 'Über sexuelle Traume', *Arch. Kriminalanthropol.*, 307.
- (1905) 'Der Traum als feinstes Reagens f. d. Art d. sexuellen Empfindens', *Monatschr. f. Krim.-Psychol.*, 2, 500.
- (1907) 'Kontrasträume und spez. sexuelle Kontrasträume', *Arch. Kriminalanthropol.*, 24, 1.
- (1908) 'Beiträge zu den sexuellen Traumen', *Arch. Kriminalanthropol.*, 29, 363.

- (1911) 'Die disynostische und prognostische Brauchbarkeit der sex. Traume',
Arztl. Sachv.-Ztg., 2.
- Negelein, J. Von (1912) 'Der Traumschlüssel des Jaggadeva,' Relig. Gesch. Vera.,
11, 4.
- Nelson, J. (1888) 'A Study of Dreams', Amer. J. Psychol., 1, 367.
- Nordenskjold, O. et al. (1904) Antarctic. Zwei Jahre in Schnee und Eis am
Sudpol, (2 vols.), Berlin.
[English trans. (abr.) : Antarctica, London. 1905].
- Pachantoni, D. (1909) 'Der Traum als Ursprung von Wahnideen bei Alkohol-
delirianten', Zbl. Nervenheilk., 32, 796.
- Paulhan, F. (1894) 'A propos de l'activité de l'esprit dans le reve',; under
'Correspondence' in Rrv. phil, 38, 546.
- Peisse, L. (1857) La médecine et les médecins, Paris.
- Pfaff, E.R. (1868) Das Traumleben und seine Deutung nach den Prinzipien der
Araber, Perser, Griechen, Inder und Agypter, Leipzig.
- Pfister, O. (1909) 'Ein Fall von psychoanalytischer Seelsorge und Seelenheilung',
Evangelische Freiheit, Tübingen.
(1911-12) 'Die psychologische Entzettelung der religiösen Glossolalie und der
automatischen Kryptographie', Jb. psychoanal. psychopath. Forsch., 3, 427
and 730.
(1913) 'Kryptolalie, Kryptographie und unbewusstes Vexierbild bei Normalen',
Jb. psychoanal. und psychopath. Forsch., 5, 115.
- Pichon, A.E. (1896) Contribution a l'étude des délires oniriques ou délires de
rêve, Bordeaux.
- Pilcz, A. (1899) 'Über eine gewisse Gesetzmässigkeit in den Traumen', Author's
Abstract, Machr. Psychiat. Neurol., 5, 231, Berlin.
- Plato, Republic. (67 and n., 620).
[Trans. by B. Jowett (Dialogues, Vol. II), Oxford, 1871.]
- Pohorilles, N.E. (1913) 'Eduard von Hartmanns Gesetz der von unbewussten
Zielvorstellungen geleiteten Assoziationen', Int. Z. Psychoanal., 1, 603.
- Potzl, O. (1917) 'Experimentell erregte Traumbilder in ihren Beziehungen zum
indirekten Schen,' Z. ges. Neurol. Psychiat., 37, 276.
- Prince, Morton (1910) 'The Mechanism and Interpretation of Dreams', J.
abnorm. Psychol., 5, 139.
- Purkinje, J.E. (1846) 'Wachen, Schlaf, Traum und verwandte Zustände', R.
Wagner's Handwörterbuch der Physiologie, 3, 412, Brunswick.
- Putnam, J.J. (1912) 'Ein charakteristischer Kindertraum', Zbl. Psychoanal.,

2, 398.

Raalte, F. Van (1912) 'Kinderdroomen', Het Kind, Jan.

Radestock, P. (1879) Schlaf und Traum, Leipzig.

Rank, O. (1909) Der Mythos von der Geburt des Helden, Leipzig and Vienna.

(Trans.: Myth of the Birth of the Hero, New York, 1913).

(1910) 'Ein Traum der sich selbst deutet', Jb. Psychoanal. psychopath. Forsch., 2, 465.

(1911 a) 'Beispiel eines verkappten Odiipustraumes', Zbl. Psychoanal., 1, 167.

(1911 b) 'Belege zur Rettungsphantasie', Zbl. Psychoanal., 1, 331.

(1911 c) 'Zum Thema der Zahnreiztraume', Zbl. Psychoanal., 1, 408.

(1912 a) 'Die Symbolschichtung im Wecktraum und ihre Wiederkehr im mythischen Denken', Jb. psychoanal. psychopath. Forsch., 4, 51.

(1912 b) 'Aktuelle Sexualregungen als Traumanlaesse', Zbl. Psychoanal., 2, 596.

(1912 c) Das Inzest-Motiv in Dichtung und Sage. Leipzig and Vienna.

(1913) 'Eine noch nicht beschriebene Form des Odiipus-Traumes', Int. Z. Psychoanal., 1, 151.

(1914) 'Die "Geburts-Rettungsphantasie" in Traum und Dichtung', Int. Z. Psychoanal., 2, 43.

Rank, O., and Sachs, H. (1913) Die Bedeutung der Psychoanalyse für die Geisteswissenschaften, Wiesbaden.

(Trans.: The Significance of Psychoanalysis for the Mental Sciences, New York, 1915.)

Régis, E. (1894) 'Les hallucinations oniriques ou du sommeil des dégénérés mystiques', Compte rendu Congrès Méd. Alién., 260, Paris, 1895.

Reik, T. (1911) 'Zur Rettungssymbolik', Zbl. Psychoanal., 1, 499.

(1915) 'Gold und Kot', Int. Z. Psychoanal., 3, 183.

Reitler, R. (1919 a) 'Zur Augensymbolik', Int. Z. Psychoanal., 1, 159.

(1919 b) 'Zur Genital- und Sekret-Symbolik', Int. Z. Psychoanal., 1, 492.

Robert, W. (1886) Der Traum als Naturnotwendigkeit erklärt, Hamburg.

Robitsok, A. (1912) 'Zur Frage der Symbolik in dem Traumen Gesunder', Zbl. Psychoanal., 2, 340.

Roffenstein, G. (1923) 'Experimentelle Symboltraume', Z. ges. Neurol. Psychiat., 87, 362.

Rorschach, H. (1912) 'Zur Symbolik der Schlange und der Kravatte', Zbl. Psychoanal., 2, 675.

Sachs, H. (1911) 'Zur Darstellungs-Technik des Traumes', Zbl. Psychoanal., 1, 413.

(1912) 'Traumdeutung und Menschenkenntnis', Jb. Psychoanal. psychopath. Forsch., 3, 568.

- (1919) 'Ein Traum Bismarcks', *Int. Z. Psychoanal.*, 1, 80.
 (1914) 'Des Zimmer als Traumdarstellung des Weibes', *Int. Z. Psychoanal.*, 2, 35.
 See also Rank & Sachs.
- Salomon Almoli Ben Jacob (1637) *Pithron Chalomoth*, Amsterdam.
- Sanctis, Sante De (1896) *I sogni e il sonno nell' isterismo e nella epilepsia* Rome.
- (1897 a) 'Les maladies mentales et les rêves', *extrait des Ann. Soc. Méd. de Gand*, 76, 177.
 (1897 b) 'Sui rapporti d'identità, di somiglianza, di analogia e di equivalenza fra sogno e pazzia', *Riv. quindicinale Psicol. Psichiat. Neuropatol.*, Nov. 15.
 (1898 a) 'Psychoses et rêves', *Rapport au Congrès de neurol. et d'hypnologie de Bruxelles 1897; Comptes rendus*, 1, 137.
 (1898 b) 'I sogni dei neuropatici e dei pazzi', *Arch. psichiat. antrop. crim.*, 19, 342.
 (1899) *I sogni*, Turin.
 (German transl. by O. Schmidt, Halle, 1901.)
- Scherner, K.A. (1861) *Das Leben des Traumes*, Berlin.
- Schiclermacher, F. (1862) *Psychologie*, (Vol. 6, Sec. 3 in *Collected Works*, ed. L. George), Berlin.
- Scholz, F. (1887) *Schlaf und Traum*, Leipzig.
 (Trans.: *Sleep and Dreams* by H.M. Jewett, New York, 1893.)
- Schopenhauer, A. (1862) 'Versuch über das Geistessehen und was damit zusammenhangt', *Paraga und Paralipomena (Essay V.)*, 1, 123, 2nd ed., Berlin. (1st ed. 1851).
- Schrotter, K. (1912) 'Experimentelle Traume', *Zbl. Psychoanal.*, 2, 638.
- Schubert, G.H. von (1814) *Die Symbolik des Traumes*, Bamberg.
- Schwarz, F. (1913) 'Traum und Traumdeutung nach "Abdalgian-Nabulusi"', *Z. deutsch. morgenl. Ges.*, 67, 473.
- Secker, F. (1909-10) 'Chinesische Ansichten über den Traum', *Neue metaph. Rdschr.*, 17, 101.
- Siebeck, H. (1877) 'Das Traumleben der Seele', *Sammlung gemeinverständlich Vorträge*, Berlin.
- Silberer, H. (1909) 'Bericht über eine Methode, gewisse symbolische Halluzinations-Erscheinungen hervorzurufen und zu beobachten', *Jb. psychoanal. ph. psychot. Forsch.*, 1, 513.
 (1910) 'Phantasie und Mythos', *Jb. psychoanal. psychopath. Forsch.*, 2, 541.
 (1912) 'Symbolik des Erwachens und Schwellensymbolik überhaupt', *Jb. psychoanal. psychopath. Forsch.*, 3, 621.

- (1914) *Problems der Mystik und ihrer Symbolik*, Vienna and Leipzig.
- Simon, P.M. (1888) *Le monde des rêves*, Paris.
- Sperber, H. (1912) 'Über den Einfluss sexueller Momente auf Entstehung und Entwicklung der Sprache', *Imago*, 1, 406.
- Spielrein, S. (1919) 'Traum von "Pater Freudenreich"', *Int. Z. Psychoanal.*, 1, 484.
- Spitta, H. (1882) *Die Schlaf- und Traumbzustände der menschlichen Seele*, Tübingen. (1st ed., 1878.)
- Spitteler, C. (1914) *Meine frühesten Erlebnisse*, Jena.
- Stannius, H. (1849) *Das peripherische Nervensystem der Fische, anatomisch und physiologisch untersucht*, Rostock.
- Starcke, A. (1911) 'Ein Traum der das Gegenteil einer Wunscherfüllung zu verwirklichen schien', *Zbl. Psychoanal.*, 2, 86.
- Starcke, J. (1913) 'Neue Traumexperimente in Zusammenhang mit älteren und neueren Traumtheorien', *Jb. psychoanal. psychopath. Forsch.*, 5, 233.
- Stekel, W. (1909) 'Beiträge zur Traumdeutung', *Jb. psychoanal. psychopath. Forsch.*, 1, 458.
- (1911) *Die Sprache des Traumes*, Wiesbaden.
- Stricker, S. (1879) *Studien über das Bewusstsein*, Vienna.
- Strumpell, A. von (1883-94) *Lehrbuch der speciellen Pathologie und Therapie der inneren Krankheiten*, Leipzig.
- (Trans.: Text-book of Medicine, (2 vols.), 4th Amer. Ed., New York, 1912.)
- Strumpell, L. (1877) *Die Natur und Entstehung der Träume*, Leipzig.
- Stumpf, E.J.G. (1899) *Der Traum und seine Deutung*, Leipzig.
- Sully, J. (1899) 'The Dream as a Revelation', *Fortnightly Rev.*, 53, 354.
- Swoboda, H. (1904) *Die Perioden des Menschlichen Organismus*, Vienna.
- Tannery, M.P. (1898) 'Sur la mémoire dans le rêve', *Rev. phil.*, 45, 637.
- Tausk, V. (1913) 'Zur Psychologie der Kindersexualität', *Int. Z. Psychoanal.*, 1, 444.
- (1914) 'Kleider und Farben im Dienste der Traumdarstellung', *Int. Z. Psychoanal.*, 2, 464.
- Tfinkdji, J. (1919) 'Essai sur les songes et l'art de les interpréter (onirocritie) en Mésopotamie', *Anthropos*, 8, 505.
- Thomayer, S. and Simerka (1897) 'Sur la signification de quelques rêves', *Rev. neurol.*, 5, 98.
- Tissé, P. (1898) *Les rêves, physiologie et pathologie*, Paris. (1st ed., 1870).
- Tobowska, J. (1900) *Etude sur les illusions de temps dans les rêves du sommeil normal*, (Thesis) Paris.

- See also Bernard-Leroy and Tobowolaka.
- Varendonck, J. (1912) *The Psychology of Day-Dreams*, London.
- Vaschide, N. (1911) *Le sommeil et les rêves*, Paris.
- Vespa, B. (1897) 'Il sonno e i sogni nel neuro- e psicotici', *Boll. Soc. Lanciana Osp.*, 17, 193.
- Vold, J. Mourly (1896) 'Expériences sur les rêves et en particulier sur ceux d'origine musculaire et optique' (review), *Rev. phil.*, 42, 542.
- (1910-12) *Über den Traum* (2 vols.) (German transl. by O. Klemm), Leipzig.
- Volke, J. (1875) *Die Traum-Phantasie*, Stuttgart.
- Weed, S. See Hallam and Weed.
- Weygandt, W. (1893) *Entstehung der Traume*, Leipzig.
- Whitton Calkins. See Calkins, Whitton.
- Wiggam, A. (1909) 'A Contribution to the Data of Dream Psychology', *Ped. Sem. J. Genet. Psychol.*, 16, 250.
- Winterstein, A. Von (1912) 'Zwei Belege für die Wunscherfüllung im Traume', *Zbl. Psychoanal.*, 2, 292.
- Wittels, F. (1924) *Sigmund Freud : der Mann, die Lehre, die Schule*, Vienna. [Trans.: *Sigmund Freud : his Teaching and his School*, by Eden and Cader Paul, London 1924.]
- (1931) *Freud and his Time* [Trans. by Louise Brink], New York.
- Wundt, W. (1874) *Grundzüge der physiologischen Psychologie*, Leipzig.
- Zeller, A. (1818) 'Irre', Ersch and Gruber : *Allgemeine Encyclopedie der Wissenschaften*, 24, 120.

ب

مولفات أعرى موضوع الأحلام نشرت قبل عام ١٩٠٠
وهي مولفات أدبها فرويد بين مراجعته دون أن يشير إليها خلال النص .

- Ahmad Ibn Sirin, *Achmetis f. Scirim Oneirocriticac*, ed. N. Rigaltius, Paris, 1603.
- Alberti, Michael (1744) *Diss. de insomniorum influxi in sanitatem et morbos*. Resp. Titius Halae M.
- Alix (1883) 'Les rêves', *Rev. Sci. Industr.* 3rd series, 6, 354.
- Anon (1890) 'Science of Dreams', *The Lyceum*, p. 28, Dublin.
- (1890) 'Rêves et l'hypnotisme', *Le Monde*, Aug. 25.
- (1893) 'The Utility of Dreams', *J. Comp. Neurol.*, 3, 17, Granville.

- Bacci, Domenico (1857) *Sui sogni e sul sonnambulismo, pensiero fisiologico-metafisico*, Venice.
- Ball, B. (1885) *La morphinomanie, les rêves prolongés*, Paris.
- Benetzé, Emil (1897) 'Das Traummotiv in der mittelhochdeutschen Dichtung bis 1250 und in alten deutschen Volksliedern', *Benetzé, Sageng. und lit. - hist.*
Unters, 1, Dans Traummotiv, Halle.
- Benini, v. (1898) 'Nel moneto dei sogni', *il Pensiero nuovo*, Apr.
- Birkmaier, Hieron (1715) *Licht im Finsterniss der nachtlichen Geächte und Traume*, Nuremberg.
- Bisland, E. (1896) 'Dreams and their Mysteries', *N. Am. Rev.*, 162, 716.
- Bradley, F.H. (1894) 'On the Failure of Movement in Dreams', *Mind. (new series)*, 3, 373. London.
- Brander, R. 1884) *Der Schlaf und das Traumleben*, Leipzig.
- Bremer, L. (1893) 'Traum und Krankheit', *New York med. Monatschr.*, 3, 281.
- Bussola, Serafino (1894) *De somniti*, (Thesis) Ticini Reg.
- Cactani-Lovatelli (1889) 'I sogni e l'ipnotismo nel mondo antico', *Nuova Antol.*,
Dec. 1.
- Cane, Francis E. (1889) 'The Physiology of Dreams', *The Lancet*, 67 II, 1330
(Dec. 28).
- Cardano, Girolamo (1562) *Somnorum synesiorum, omnis generis insomnia explicantes libri IV*, Bale.
(2nd ed. in *Opera omnia Cardani*, 5, 593, Lyons, 1663.)
- Caricero, Alessandro (1575) *De somniti deque divinatione per somniti*, Padua.
- Carpenter (1849-52) 'Dreaming' (under 'Sleep'), *Cyclop. of Anat. and Physiol.*,
4, 687, London.
- Claviere, (1897) *La rapidité de la pensée dans le rêve*, *Rev. phil.*, 43, 507.
- Coutts, G.A. (1896) 'Night-terrors', *Amer. J. med. Sc.*
- D.L. (1895) 'A propos de l'appréciation du temps dans le rêve', *Rev. phil.*,
40, 69.
- Dagonet, H. (1889) 'Du rêve et du délire alcoolique', *Ann. méd.-psychol.*, Series
7, 10, 199.
- Dandelo, G. (1889) *La coscienza nel sogno*, Padua.
- Dechambre, A. (1880) 'Cauchemar', *Dict. encycl. sc. méd.*, 2, 48.
- Dietrich, J.D. (1726) *An ea, quae hominibus in somno et somnio accidunt iisdem
possint imputari ? resp. Gava, Wittenberg.*
- Dochmaza, A.M. (1890) *Dreams and their Significance as Forebodings of Disease*,
Kasan.

- Dreher, E. (1890) 'Sinneswahrnehmung und Traumbild', *Reichs-med. Anzeiger*, 15, Nos. 20, 21, 22, 23, 24; 16, Nos. 3, 8, Leipzig.
- Ducosté, M. (1899) 'Les songes d'attaques des pileptiques', *Journ. Méd. Bordeaux*, Nov. 26 and Dec. 3.
- Du Prel, C. (1869) 'Oneirokritikon : der Traum vour Standpunkte des transcend. Idealismus', *Deutsche Vierteljahrsschrift*, 2, Stuttgart.
- (1890) *Psychologie der Lyrik*, Leipzig.
- (1890) 'Kunstliche Traume', *Sphinx*, July.
- Egger, V. (1888) 'Le sommeil et la certitude, le sommeil et la mémoire', *Critique philos.*, 1, 341, Paris.
- Ellis, Havelock (1895) 'On Dreaming of the Dead', *Psychol. Rev.*, 2, 458.
- (1897) 'A Note on hypnagogic Paramnesia', *Mind*, 6, 283.
- Erdmann, J.E. (1855) 'Das Traumen', *Ernste Spiele*, Chap. 12, Berlin.
- Erk, Vinz. Von (1874) *Über den Unterschied von Traum und Wachen*, Prague.
- Escande De Memieres (1895) 'Les rêves chez les hystériques', (Thesis) Bordeaux.
- Faure (1876) 'Etudes sur les rêves morbides. Rêves persistants', *Arch. génér. Méd.*, 6th ser., 27, 550.
- Fenzia (1869) 'L'azione suggestiva delle cause esterne nei sogni', *Arch. per l'Antrop.*, 26.
- Féré, C. (1897) 'Les rêves d'accès chez les épileptiques', *Méd. mod.*, Dec. 8.
- Fischer, Joh. (1899) *Ad artis veterum onirocriticae historiam symbola*, (Thesis) Jena.
- Florentin, V. (1899) 'Das Traumleben : Plauderei', *Die alte und die neue Welt*, 33, 725.
- Fornaschon, H. (1897) 'Die Geschichte eines Traumes als Beitrag der Transcendentalpsychologie', *Psychische Studien*, 24, 274.
- Frensborg. (1885) 'Schlaf und Traum', *Sammlung gemeinverst. wiss. Vortr.*, Virchow-Holtzendorf, Ser. 20, 466.
- Frerichs, J.H. (1866) *Der Mensch : Traum, Herz, Verstand*, Nordon.
- Galen. *De praecognitione*, ad Epigenem, Lyons, 1540.
- Girgensohn, L. (1845) *Der Traum : psychol. - physiol. Versuch*.
- Gleichen-Russwurm, A. Von (1899) 'Traum in der Dichtung', *Nat. Z.*, Nos. 553-559.
- Gley, E. (1898) 'Appréciation du temps pendant le sommeil', *L'intermédiaire des Biologistes*, 10, 228.
- Gorton, D.A. (1896) 'Psychology of the Unconscious', *Amer. m. Times*, 24, 33, 37.

- Gould, G.M. (1889) 'Dreams, Sleep, and Consciousness', The Open Court (Chicago), 2, 1433-6 and 1444-7.
- Grabner, G.C. (1710) *Ex antiquitate judaica de menudim bachalom sive excommunicatis per insomnia exerc. resp. Kiebius, Wittenberg.*
- Graffunder, P.C. (1894) 'Traum und Traumdeutung', Samml., gemeinv. wiss. Vortrage, 197.
- Greenwood, F. (1894) *Imaginations in Dreams and their Study*, London.
- Grot, N. (1878) *Dreams, a Subject of Scientific Analysis* (in Russian) Kiev.
- Guardia, J.M. (1892) 'La personnalité dans les rêves', Rev. phil., 34, 225.
- Gutteldt, I. (1899) 'Ein Traum', Psychol. Studien, 26, 491.
- Hampe, T. (1896) 'Über Hans Sachsens Traumgedichte', Z. deutsch. Unterricht, 10, 616.
- Heerwagen (1889) 'Statist. Untersuch. über Traume u. Schlaf', Philos. Stud., 5, 301.
- Hiller, G. (1899) 'Traum, Ein Kapitel zu den zwölf Nächten', Leipz., Tagbl. un Ans., No. 657, Suppl. 1.
- Hitschmann, F. (1894) 'Über des Traumleben der Blinden', Z. Psychol., 7, 387.
- Jastrow, J. (1888) 'The Dreams of the Blind', New Princeton Rev., 5, 18.
- Jensen, J. (1871) 'Traumen und Denken', Samml. gemeinv. wiss. Vortr. Virchow-Holtzendorff Ser. 6, 134.
- Kingsford, A. (1888) *Dreams and Dream-Stories*, (ed. H. Maitland), London. (2nd ed.)
- Kloppel, F. (1899) 'Traumerci und Traum : Allerlei aus unserem Traumleben', Universum, 15, 2469 and 2607.
- Kramar, Oldrich (1882) *O spanku a snu*, Prager Akad. Gymn.
- Kramicki, E. Von (1897) 'Karl IV Wahrtraum', Psych Stud., 24, 697.
- Kucera, E. (1895) 'Aus dem Traumleben', Mähr-Weiskirchen, Gymn.
- Leistner, L. (1889) *Das Rätsel der Sphinx*, (2 vols.), Berlin.
- Landau, M. (1892) 'Aus dem Traumleben', Münchner Neuere Nachrichten, Jan. 9.
- Laputa. (1895) 'Le fonctionnement cérébral pendant le rêve et pendant le sommeil hypnotique', Ann. méd. - psychol., Ser. 8, 2, 354.
- Leidendorff, M. (1880) 'Das Traumleben', Sammlung der 'Alma Mater', Vienna.
- Lersch, M.F. (1883-84) 'Das Traumleben und sein Bedeutung', Gymn. Progr., Komotau.
- Liberali, Francesco (1834) *Dei sogni*, (Thesis) Padua.

- Liébeault, A. (1893) 'A travers les états passifs, le sommeil et les rêves,' *Rev. hypnot.*, 8, 41, 65, 106.
- Luksch, L. (1894) *Wunderbare Traumerfüllung als Inhalt des wirklichen Lebens*, Leipzig.
- Macario, M.M. A. (1846) 'Des rêves, considérés sous le rapport physiologique et pathologique', Pt. I, *Ann. méd-psychol.*, 8, 170.
- (1889). 'Des rêves morbides', *Gaz. méd. de Paris*, 8, 1, 85, 97, 109, 121.
- Macfarlane, A.W. (1890) 'Dreaming', *Edinb. med. J.*, 36, 499.
- Maine de Biran, M.F.P. (1792) 'Nouvelles Considérations sur le sommeil, les songes, et le somnambulisme', *Œuvres Philosophiques*, 209, (Ed. V. Cousin), Paris, 1841.
- Maury, L.F.A. (1857) 'De certains faits observés dans les rêves,' *Ann. méd-psychol.*, Ser. 3, 3, 157.
- Meissel (pseud) (1783) *Natürlich-göttliche und teuflische Träume*, Seighartstein.
- Melinand, M.C. (1898) 'Dream and Reality', *Pop. Sc. Mc.*, 54, 96.
- Melsentin, G. (1899) 'Über wissenschaftliche Traumdeutung', *Gegenwart*, 30, Leipzig.
- Mentz, R. (1888) *Die Träume in den altfranzösischen Karls-und Artusepen*, Marburg.
- Monroe, W.S. (1899) 'A study of taste-dreams', *Am. J. Psychol.*, 10, 326.
- Morreau De La Sarthe, J.L. (1820) 'Rêve', *Dict. sc. méd.* 48, 245.
- Motet (1829-36) 'Cauchemar', *Dict. méd. chir. pratiques*, Paris.
- Murray, J.C. (1894) 'Do we ever dream of tasting?' *Proc. Am. psychol. Ass.*, 20.
- Nagele, A. (1889) 'Der Traum in der epischen Dichtung', *Programm der Realschule*, Marburg.
- Newbold, W.R. (1896) 'Sub-conscious Reasoning', *Proc. Soc. psychic. Res.*, 12, 11, London.
- Passavanti, J. (1891) *Libro die sogni*, Rome.
- Paulhan, F. (1894) 'A propos de l'activité de l'esprit dans le rêve', *Rev. phil.*, 38, 546.
- Pick, A. (1896) 'Über pathologische Traumerei und ihre Beziehungen zur Hysterie', *Jb. Psychiat.*, 14, 280.
- Ramm, K. (1889) *Dis. pertractans somnis*, Vienna.
- Régis, E. (1890) 'Les rêves Bordaux', *La Gironde (Variétés)*, May 31.
- Richard, Jerome (1766) *La théorie des songes*, Paris.
- Richardson, B.W. (1892) 'The Physiology of Dreams', *Asclep.*, 9, 129.

- Richier, E. (1816) *Onéirologie ou dissertation sur les songes, considérés dans l'état de maladie*, (Thesis) Paris.
- Richter, J.P. (Jean Paul) (1813) 'Blicke in die Traumwelt', *Museum*, 2, (also in *Werke*, ed. Hempel, 44, 128.)
- Über Wahl- und Halbtraume*, *Werke*, 44, 142.
- (1826-33) *Wahrheit aus Jean Pauls Leben*.
- Robinson, L. (1893) 'What Dreams are made of', *N. am. Rev.*, 157, 687.
- Roussel, C. (1876) *Contribution a l'étude du cauchemar*, (Thesis) Paris.
- Roux, J. (1898) 'Le reve et les delires onitiques', *Province méd. Lyons*, 12, 212.
- Ryff, W.H. (1554) *Traumbuchlein*, Strassburg.
- Santel, A. (1874) 'Poskus raz kladbe nekterih pomentijvih prokazni spanja in sanj', *Progr. Gymn.*, Gorz.
- Sario, F. De (1887) *I sogni. Saggio psicologico*, Naples.
- Sch. Fr. (1897) 'Etwas über Traume', *Psych. Studien*, 24, 686.
- Schleich, K.L. (1899) 'Schlaf und Traum', *Zukunft*, 29, 14; 54.
- Schwarzkopff, p. (1887) *Das Leben im Traum : eine Studie*, Leipzig.
- Stevenson, R.L. (1892) 'A Chapter on Dreams', *Across the Plain*.
- Stryk, M. Von (1899) 'Der Traum und die Wirklichkeit', (after C. Mélinand), *Baltische Mschr.*, 189, Riga.
- Sully, J. (1881) *Illusions, a Psychological Study*, London.
- (1882) 'Etudes sur les rêves', *Rev. scientif.*, Ser. 3, 3, 385.
- (1892) *The Human Mind*, (2 vols.), London.
- (1875-89) 'Dreams', *Enc. Brit.*, 9th ed.
- Summers, T.O. (1895) 'The Physiology of Dreaming', *St. Louis Clin.*, 8, 401.
- Surbled, G. (1895) 'Origine des rêves', *Rev. quest. scient.*
- (1898) *Le rêve*, Paris.
- Synesius of Syrene *Liber de insomniis*.
- (German trans., *Onciromantik* by Krauss, Vienna, 1888.)
- Tannery, M.P. (1894) 'Sur l'activité de l'esprit dans le rêve', *Rev. phil.*, 38, 630.
- (1898) 'Sur la paramnésie dans les rêves', *Rev. phil.*, 46, 420.
- Thiéry, A. (1896) 'Aristote et la psychologie physiologique du rêve', *Rev. neo-scol.*, 3, 260.
- Thomayer, S. (1897) 'Contributions to the Pathology of Dreams' (in Czech), *Policlinic of the Czech University*, Prague.
- Tissié, P. (1896) 'Les rêves; rêves pathogènes et thérapeutiques; rêves photographiés', *Journ. méd. Bordeaux*, 36, 293, 308, 320.
- Titchener, E.B. (1893) 'Taste Dreams', *Am. J. Psychol.*, 6, 505.

- Tonnini, S. (1887) 'Suggestione e sogni', Arch. psichiatr. antrop. crim., 8, 264.
- Tonsor, J.H. (1627) *Disp. de vigilia, somno et somniis*, prop. Lucas, Marburg.
- Tuke, D.H. (1892) 'Dreaming', Dict. of Psychol. Med. (ed. Tuke), London.
- Ullrich, M.W. (1896) *Der Schlaf und das Traumleben, Geisteskraft und Geistes-schwache*, (3rd ed.). Berlin.
- Unger, F. (1898) *Die Magie des Traumes als Unsterblichkeitsbeweis*.
Nebst e. Vorwort : Okkultismus und Sozialismus von J.C. de Prel, (2nd ed.),
Münster.
- Vignoli, T. (1879) *Mito e scienza : Saggio*, Milan.
[Trans.: *Myth and Science : An Essay*, London, 1882, (Chap. VIII).]
- Vischer, F.T. (1876) 'Studien über den Traum', *Beilage allg. Z.*, 105.
- Vold, J. Mourly (1897) 'Einige Experimente über Gesichtsbilder im Traume',
Report of 3rd. Psych. Congr., Munich, and *Z. Psychol. Physiol. Sinnesorgane*,
19, 66.
- Vykoukal, F.V. (1898) *On Dreams and Dream-interpretations*, (in Czech)
Prague.
- Wedel, R. (1899) 'Untersuchungen ausländischer Gelehrter über gew.
Traumphantomene', *Beitr. zur Grenzwissenschaft*, p. 24.
- Wehr, H. (1887) 'Das Unbewusste im menschlichen Denken', *Programm der*
Oberrealschule, Klagenfurt.
- Weill, A. (1872) *Qu'est-ce que le rêve ?* Paris.
- Wendt, K. (1858) *Kriemhilds Traum*, (Thesis) Rostock.
- Wilks, S. (1893-94) 'On the Nature of Dreams', *Med. Mag.*, 2, 597, London.
- Williams, H.S. (1891-92) 'The Dream State and its Psychic Correlatives', *Amer.*
J. Insanity, 48, 445.
- Woodworth, R.S. (1897) 'Note on the Rapidity of Dreams', *Psychol. Rev.*, 4,
524.
(1886) 'Ce qu'on peut rêver en cinq secondes', *Rev. sc.*, 3rd. ser., 11, 572.
- Zuccarelli (1894-95) 'Polluzioni notturne ed epilepsia', *L'anomalo*, 1, 2, 3.

فهرست الأحلام

↑

أحلام فرويد

- أخبار عن ابن من جبهة القتال ، ٥٤٨ - ٥٠
أركب جولدا (وبخراج) ، ٢٤٨ - ٥٠
أشرح لصديق نظرية بدت لنا واضحة ، ٢٣٢ ، ٤٧٤
أشهر الخطباء (دكتور ليشر) ، ٢٤٨
أصالح صديقاً ، ١٦٩ هـ - ١٧٦ هـ - ٧
أصمد السلم غير مكتمل الثياب ، ٢٥٦ - ٨ - ٢٦٤
و أمض عبيك ، ٣٢٨
الأهجار الثلاثة ، ٢٢٤ - ٨ - ٢٥١
الأم وأبنا ، ١٨٨
الأكية الأترونية ، ١٥٠
الاستاذ أوزر ، ١٩٠ هـ
أجل وعليه شيء أخيه برجاس ، ١٦٦ - ٨
الحصن حل شامل البصر ، ١٦٢ ، ٤٤ ، ٥٣٨
السيدة ديك والأطفال الثلاثة ، ٤٤٥ - ٤٧٦
الطبيب الأحمر والمدرس ، ٥٦ ، ٢٨٩
المشرقة لطريق تيجة الاشتراك في الهبة ، ١٨٨
القاعة المزينة بالآلات ، ٣٤٥ ، ٣٤٩
الكلية تون (أو الحلم الثوري) ، ٢٢٨ - ٣٨
٢٥١ ، ٤٣١ - ٤٤ - ٤٦٨
المبحث الثاني ، ١٨٧ ، ١٩١ - ٨ - ٢٠١ هـ
٤٤ ، ٢١١ - ٢٩٥ - ٧ ، ٢١٧ ، ٣٧٢
للزوجة يلتقيها الطبيب الشاب ، ٣٠٠ ، ٣٨٢٠١
الرسومات متأثر الطير ، ٤٨٧ ، ٥٧١
أوتو ديداسكر ، ٣١١ - ٤١٩ ، ٥٠ - ٥٢٧
٥٣٤ ، ٥٨٢
أوتو يدمر مثل القصة ، ٢٨٤ - ٩٠ - ٥٤٥ -
٦ ، ٥٥٠
- بادوا ، معلم في الهواء الطلق ، ٥٤
برج الكنية (النسي) ، ٥٤
تركزت سيلة تنتظر في ١٨٧
تشرح حوض ، ٤١٥ ، ٤٥٢ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦
تمثال أرسطو ، ١٩٠ هـ
جوقه يهاجم السيد م ، ٣٣٦ - ٧ - ٣٤٦ هـ
٤٤٨ ، ٤٤٧ ، ٤١ - ٤٣٩
حقنة لينا ، ١٣٣ - ٤٨ - ١٤٩ ، ١٦٢ ، ١٨٦
١٨٧ ، ١٩٥ ، ٢٠١ هـ ، ٢٨٦ ، ٣٠٥ -
٤٨ ، ٣١٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٣٣
٣٥٠ ، ٥٠٧ ، ٥٨١
خطاب من الحزب الاشتراكي الديمقراطي ، ١٨٨
خطاب من المجلس البلدي ، ٤٣٥ - ٨ - ٤٤٨ - ٥٠١
٥٠٨
رويا ، أسأل السيد تسوكرالطريق إليها ، ٢١٥ ، ٢١٤
رويا ، اختيار ويسر سانت آبلو ، ٢١٥
رويا ، لائحة الطريق ، ٢١٥
رويا ، وقد تلفت بالصبا ، ٢١٤
سافيرا رولا ، ١٨٩ هـ
صخرة في عرض البحر ، ١٨٨
عمى ذو القية الصلابة ، ١٦١ - ٨ - ١٨٧
٢٠١ هـ ، ٢ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٣٠٦ - ٣١٨
٣٣٢ ، ٤٧٠ ، ٤٨١ هـ ، ٥٥٩
فيليا سيرنو ، ٣٢٧
ولم يش ، ٤٢٢ - ٥٠ - ٤٧٠ ، ٤٧٨ - ٨٤
٥٠٨
ملت إليها ، ٢٥١

الأميلنيوم والظايبا (دليف - دليف) ، ٥١ ، ٥١ ، ٣٥٣ ، ٢ -

الأسد الأصفر (طبيب شاب - فرويد) ، ٢١١ ،

الأسد الثلاثة (امرأة - فرويد) ، ٤٦٠ ،

الأطفال نمت لم أجنة (مریفة - فرويد) ، ٢٧٠ ،

الأواني تنكسر (هيلبرانت - هيلبرانت) ، ٦٦ ، ٢٤٠ ،

البقرات السج (فروید - التوراة) ، ١٢٧ ، ٣٤٣ ،

البیانور ، صنوق بیث عل الاشتزاز (مریفة شابة

- فروید) ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،

البیالو ، وإعمال العزف (مریض - فروید) ، ٣٧٧ ،

التردد فی جمود مجرى الماء (الظاهرة الطبقية)

(سیلبر - سیلبر) ، ٥٠٠ ،

البحرى عل السلم وسی الفتاة الصغيرة (رجل - رانك) ،

٣٧٥ - ٧ ،

البحاز المبرد (آلام فی الخلد) (امرأة - فروید) ،

١٥٢ ، ٢٥١ ،

الحج إل القفس (مورى - موری) ، ٩٤ ، ٢٢٦ ،

٥٢٣ ،

الحصان فی حقل الخطر (کیلر - کیلر) ، ٥٠٩ ،

والحلم الجمیل (مریض - فروید) ، ٢٩٨ ، ٣٠٣ ،

٣١٧ ، ٣٣٦ ،

الخادم وقمها (مریض - جویز) ، ٣٦١ ،

الرأس قطعها امرأة (طفل فی السادسة - فروید) ، ٢٧٢ ،

الرب مرتديا قبعة (خافة صغيرة - فروید) ، ٤١٥ ،

الرصيف يتحرك نحو القطار (رجل - فروید) ، ٤١٠ ،

الرؤية الكبرى (أوبرا فیدلیر) (شاب - فروید) ،

٣٩٠ ،

الساعة الخامسة وربع الساعة (رجل - فروید) ، ٤١١ ،

الساق عطشا حبوب الكفاف (فتاة - فروید) ، ٣٣٥ ،

السالمین المدخن (مریفة - فروید) ، ١٧٠ ، ٦ ،

١٩٦ ، ١٥١٧٨ ،

السقوط فی شارع جراین (مریفة متعلمة فی السن -

فروید) ، ٢٢٢ ، ٣ -

الشاب یلقى القبض علیه فی المظلم (شاب - فروید) ،

٤٩١ ،

هیلون ، ٤٥٤ - ٥١٣ ، ٥١٤ ،

هیرسج ، ٣١١ ،

والذى حل فرائش للوت وقد أشبه غاربالدى ، ٤٢٧ -

٤٤٦ ، ٤٧ - ٤٧٦ ،

هیا بنى تصوير انظر ٤٥٠ ، ٢٨٤ ، ٣ -

هیا له من أسلوب لود كمال ٣٠٩ ،

ب

أحلام الآخرين

[يحد القارئ بين قوسين اسم الحلم أو صفت ثم قرائه]

أبو يسطف (مریض شاب - فروید) ، ٣٣٨ ،

أجراس الكنيسة (هيلبرانت - هيلبرانت) ،

٦٥ - ٤٠ ، ٢٤٠ ،

أجراس المزلقة (هيلبرانت - هيلبرانت) ،

٦٦ ، ٢٤٠ ،

أحلام المكشفين (نورديسكولد - مولجوبارك -

جورج باك) ، ١٥٧ ، ٢٨ ،

أشعلیوس وديفيد (ابن فروید البالغ ٨ سنوات - فروید)

١٥٦ ، ٤٨٩ ،

إدارة عضلات الحب (سبعة متعلمة فی السن -

الدكتورة هوج - هلموث) ، ١٦٧ ،

اسم سنی (رجل - فروید) ، ٤١٠ ،

المفخص كبار الحجم (مریفة - فروید) ، ٤١٠ ،

إصابة لولية بالسلس (طبيب - شاركة) ، ١٨٢ ،

إقرار الدخول المزيف (طبيب شاب - فروید) ، ١٨٠ ،

الأب فی حادثة سكة الحديد (مریض - فروید) ، ٤٢٦ ،

الأب یحصل رأسه حل طبق (طفل عمره ٣ سنوات وخمسة

أشهر - فروید) ، ٢٧٢ ،

الابنة الميتة فی صنوق (مریفة - فروید) ، ١٩٨ ،

١٩٩ ، ٢٠٩ ، ٢٦٦ ،

الإجاعة مع زوج الأب (مریفة - فروید) ، ١٧٥ ،

١٧٦ ،

الأخ فی الصنوق (رجل ما - فروید) ، ٤٠٨ ،

المريّة والمدرّس في فراش النوم (طالب شاب - فرويد)

٢١٠

المسرحيّة ثلاث (كانزيميرو لجور - ماکارو) ،

٤٩٤

للحلف الشّهي (مريض شاب - فرويد) ، ٢٠٧

المقصلة (موى - موى) ، ٦٤ ، ٩٨ ، ٥٠

٤٩٢ - ٥٦٣

و المقولة و القلعل المشتق منها (غلام - تاروك) ، ٣١٦

الممثل الشاكي السلاح (سيدة - تاروك) ، ٤١٣

المعرضة الفرنسيّة (سور هزلية - فرنسي) ، ٣٧٢

المزلق الصغير بين قصرين عظيمين (ربل - فرويد) ،

٤٠١

المظهر المتراخي الأطراف (ربل - فرويد) ، ٤١٠

النار ! النار ! (مؤلف موسيقي - فولكلت) ، ٦٤

لثلاثة النسبة (الماركي دى سان ديف - فاشيد) ، ٥٣

أرباب الشوكولاته (ابنة فرويد لبالغة ٨ سنوات و

أفهر - فرويد) ، ١٥٥

الحيّاج مع تدوير لقاء جليد (القاهرة البلطية)

(سيلبر - سيلبر) ، ٥٠٠

القائد (حلم تجريبي) (موى - موى) ، ٦٣

إلى إيطاليا (مريضة - فرويد) ، ٢٥

و أنصح الحلم (ربل - فرويد) ، ٣٤١

و إنه من تجد أشاله بالعشرات (مريضة - فرويد) ،

٥١٢

أوريا فاجنر (سيدة من العارفات - فرويد) ، ٣٥٠

١٣٤ - ١

يقع البن على الصّدار (زوجة صديق - فرويد) ،

١٥٢

تلازم المسرح الثلاث (مريضة - فرويد) ، ٤١٦

تسير مع خاتين صغيرتين (امرأة - فرويد) ، ٤١١

تسجد ولداً صغيراً في الماء (امرأة - چوز) ، ٤٠٤

تتلع مصجلة (سيدة متعلمة في السن - فرويد) ، ٢١٩

٣ - ٢٢٢

و ثوبلاني (شاب - فرويد) ، ٣١٠

٣ فلوين و ٦٥ كرويسر (مريضة شابة - فرويد)

٤١٥

الشّمة والشّمطان (امرأة شابة - فرويد) ، ٢٠٨

الصغيرة جرت عليها العربّة (مريضة بمخافة الأماكن

- فرويد) ، ٣٦٧ - ٧٢

الطبيب والحضان في رداء النوم (امرأة - فرنسي) ،

٦ - ٣٣٥

الطرزى الأجير (روزجر - روزجر) ، ٤٧١ - ٣

الطفل تشوّت جيتّه (امرأة - فرويد) ، ٥٠٧

٥٢٥ - ٥٢٠ ، ٥٣٣ ، ٦

الطفل المحرق (أب مجهول - مريضة لفرويد) ،

٥٠٤ - ٥٠٠ ، ٥٢٥ ، ٦ ، ٥٣٣ ، ٥٤١

٥٥٩

الطفولة في تريور (موى - موى) ، ٥٥

الطفولة في موليريزون (السيدف - موى) ، ٥٦

٢١٠

الطيران في الهواء (مريضة - لريد) ، ٣٩٧ - ٨

و السمل العظيم (مريض - فرويد) ، ٤١٣

الصحة إلى الوطن (كيكر - كيكر) ، ٢٦٣ - ٤

الفتاة في الرّداء الأبيض (ربل - تاروك) ، ٤١٣

الليل و ليليت (مريض جرى تحليله بالفرنسيّة -

فرويد) ، ٤١٤

القبعة تقوّت ريشها (ربل - شينكل) ، ٣٦٧ - ٥

القبعة كعسّر تناسل (مريضة بمخافة الأماكن -

فرويد) ، ٣٦٩

القرود و حقة الأنجرأ (امرأة - فرويد) ، ٤٠٧

القضايا الخاسرة (صديق - فرويد) ، ١٧٦

القفر في البحيرة (مريضة - فرويد) ، ٤٠٢

القناع ينزع (حلم تجريبي) (موى - موى) ،

٦٣

الكثيران (مطل في الزاينة - فرويد) ، ٣٧٨

الكنيسة والمظهر الطّبيعي (زوجة ربل من رجال الشرطة

- داتنر) ، ٣٧١

للماء ينفض من الجفون (مريض - فرويد) ، ٤٠٨

للمائة تزندان بالأزهار (فتاة سوية - دويتسك) ،

٣٨٠ - ٣

الموضة التجارية بأعما الأوغ (الحلم للماسوي) (شاب

- فرويد) ، ١٨٢

- ثورة ١٨٤٨ (مورق - مورق) ٦٣ ،
 جاباها القلعت (زوجة صديق - فرويد) ١٥٢ ،
 جثث تحترق (ريبل - فرويد) ٤٢١ ،
 جراحة في القضيبي (شاب - فرويد) ٣٩٢ ،
 جريمة قتل الرضيع (صديق لفرويد - فرويد) ١٧٩ - ٨٠ ،
 حادثة مريّة (نيل جاسي - دليون) ٦٠ ،
 حلم الإسكندر الأكبر (الإسكندر - أرتيميدوس) ١٢٨ ،
 حلم البعثة (أم فرويد - فرويد) ١٨١٥٦ ،
 ٥٠١٣ ،
 حلم السوق (مريضة شابة - فرويد) ٢٠٤ - ٦ ،
 ٤١٩ ، ٤٢٠ ،
 حلم الفريز (ابنة فرويد البالغة ١٩ شهراً - فرويد) ١٥٦ ، ٢٨٣ ،
 حلم الكيمائي (كيمائي - فرويد) ٣٨٨ ، ٩٠ ،
 حلم أوديب مقتنع (ريبل - فرويد) ٤٠١ ، ٨ ،
 حلم برونس - برونس / تيت ليف / رانك) ٤٠١ ، ٨ ،
 حلم بيلارك (بيلارك - بيلارك / ساكس) ٣٨٤ - ٧ ،
 حلم تارفي (سوزانا الشيطان) (تارفي - تارفي) ٥٩٥ ،
 حلم هيباس (هيباس - هيردوت / رانك) ٤٠١ ، ٨ ،
 حلم بوليس قيسر (قيسر - رانك) ٤٠١ ، ٨ ،
 وخطوة كاليه (مريضة - فرويد) ٥١١ ، ٨ ،
 خلع السن (ريبل - رانك) ٣٩٣ - ٦ ،
 غنشاء - مايو (سيدة متقدمة في السن - فرويد) ٣٠٢ ، ٣١٨٤٥ ،
 داعمشطين (ابن فرويد البالغ ٥ سنوات و ٣ أشهر - فرويد) ١٤٣ ، ١٥٤ ،
 دارايس ، فارايس ، نارايس ، هالليك (ليس - هالليك (ليس) ١٨٩ ،
 دهان الخردل (حلم تجريبي) (مورق - مورق) ٦٣ ،
 رحلة هيرابوس (ابنة فرويد البالغة ٣ سنوات و ٣ أشهر - فرويد) ١٥٥ ، ٥٤٢ ،
 رداء دوبرين (سيد - تاروك) ٤١٣ ،
- نيل للمدرسة ثمرى (مريض - فرويد) ٢١٨ ،
 سلس قريبي (مارينوفسكي - مارينوفسكي) ٣١٥ - ٦ ،
 سفنجوم الإله (كارلينسكا - كارلينسكا) ٣١٦ ،
 سكاليجر وروجنوليس (سكاليجر - هيننجر / لمن) ٥٢ - ٣ ،
 سلة الكريز (ابن أخت فرويد البالغ ٢٢ شهراً - فرويد) ١٥٧ ،
 سيدة بولريك (الماركس دي سان ديف - ناشيد) ٥٣ ،
 شخص مجهول يدخل حجرة النوم (رجل متقدم السن - فرنسي) ٤٨٠ - ١ ،
 شراب الكولتو شيكا (مريض - فرويد) ٥٤ ،
 صبيان وتشاجران (ريبل - فرويد) ٢٢٠ - ١ ،
 ٢٣٦ ،
 صفان من الصبية (حلم منه سني) (شرنر - شرنر) ٢٤٦ ،
 صنوق أزدحم بالكتب (مريضة شابة - فرويد) ٢٠٩ ،
 طالب الطب والمستشفى (طالب طب - فرويد) ١٥١ ، ٢٥٢ ،
 طبق كبير بشرية لحم كبيرة (صبي - فليس) ٢٨٣ ،
 حاصفة في القنّاء (حلم تجريبي) (مورق - مورق) ٦٤ ،
 مرق النساء أصاب الرحالة نازن (طبيب شاب - فرويد) ٢١١ ،
 علاج الساق للكسوة (ريبل - فرويد) ٤١١ ،
 محاولة جلوسا إلى مائدة (سيمون - سيمون) ٦٧ ،
 فرقة استشارة وطني (مريض - فرويد) ٣٣٥ ،
 فرقة الفتى ، أعطأ رقبها (شاب - فرويد) ٣٤١ ،
 فهد أو ثعلب (امرأة - فرويد) ٢٥٧ ،
 في حجرة بها نافذة (شاب - فرويد) ٥٠٢ ،
 في حفل مع مشاهير الكتاب (أم في مقبل العصر - فرويد) ١٥٢ ،
 في دكان بالقاهرة (حلم تجريبي) (مورق - مورق) ٩٣ ،

موسيدان في مقاطعة اللوريك (موري - موري) ، ٥٢
 مود في مقام فولكسجارتن (ريبل - فرويد) ، ٣٤٢
 نابليون يتاجر النيلة (ريبل ما - هيلبرالت) ، ٥٠
 نابليون وصوت الانقلاب (لابلين جابلين) ،
 ٦٤ ، ٢٥٢ ، ٩٤

نيلد الحبر (حلم تجريلي) (موري - موري) ، ٦٤
 بحرة امتحان ودراسات منزل وسجرة بالطابق الأعلى
 (مريضة - فرويد) ، ٣٣٥

نزقة في حديقة براتر (مريض شاب - فرويد) ،
 ٣٧٢ - ٤

هو سيالين (محام شاب - فرويد) ، ٢٥٢
 «ولدت من ١٨٨٢» (مريض - فرويد) ، ٤١٧
 «لا أعرف احتياطي لأحد من مسائل النقد» (فخاة
 مريضة - فرويد) ، ١٨١

لا تدمي من هو الأب (مريضة - فرويد) ، ٣٤١ ،
 ٤٤٥
 «يجب أن أقول ذلك لطبيب» (مريض - فرويد) ،
 ٤٥٥

يجلب للمرأة من وراء السري (ريبل - فرويد) ، ٤١٠
 يزور منزلاً وأه مرتين من قبل (مريض - فرويد) ،
 ٤٠٢

قبة بين «السابل» (فخاة - رانك) ، ٤٠٨
 قبة في «أنتيجيل» (ريبل - فرويد) ، ٤١٠
 كاتب السر للتهجم (الظاهرة الوثائقية) (سيلبر -
 سيلبر) ، ٤٩٩

كارل الصغير في نمشة (فخاة مريضة - فرويد) ،
 ١٧٦ - ٨ ، ٢١٠ ، ٢٦٦ ، ٤٦١

كنز يلفن (امرأة - رانك) ، ٤٠٦
 كوخ الروبر والفصحة (ابنة صديق عمرها ٨ سنوات -
 صديق) ، ١٥٥ ، ٢١٠
 كيليتير - جيلولو (موري - موري) ، ٩٤ ، ٢٢٦ ،
 ٥٥٢٣

لصق القصصات (ساكن - ساكن) ، ٤١٢
 «لغة الأناضار» (مريضة - فرويد) ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ،
 ٣٣٥ ، ٣٥٥ - ٦ ، ٣٧٣

«السيات فقط» (امرأة - فريزر) ، ٣٩٠
 مات الأب ولكنه لا يعلم (ريبل - فرويد) ، ٤٣٠
 «مايستوليس» (امرأة - فرويد) ، ٣٠٩
 مخلوق أشبه بكلب البحر يخرج من أرض الغرفة (امرأة
 - أبراهام) ، ٤٠٥

معهد تقوم الأجسام (مريضة - فرويد) ، ٢١٩
 ملش الشرة رقم ٢٢٦٢ (ريبل - فانتن) ، ٤١٨
 مقتل الإمبراطور (مواطن روماني - شوليس) ،
 ٦٠١

فهرست عام

- آبپور ، ٢٠٨ ، ٥٧١ ، ٤٣٤ ، ٥
آفروس ، ٤١٩ ، ٥
آفمليوس ، ١٥٦ ،
آدم بيد ، ٣٠٣ ،
آدار ، ليكتور ، ٢٣٤ ، ٢٣٢ ،
آركلي ، ٢٥٥ ،
آكيليا ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ ،
آليهور ، ٤٧٢ ،
آماليا ، آا (النقة) ، ٤٤٠ ، ٥
آوس ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ٢١٤ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ ،
٤٦٧ ،
آيسكلاريوس ، ٧١ ، ٥
آيناسيا ، ٢٩ ،
ايسن ، ٢٧٣ ، ٣٠٩ ،
أبناء إسرائيل ، ٣٨٦ ، ٤٤٢ ،
أبراهيم ، ٢٧٧ ،
الإردن :
الأرمية الإردنية ، ١٥٠ ، ٤٦٤ ،
القبور الإردنية ، ٤٥٣ ،
إتنا ، جبل ، ٦٢ ،
أثينا ، ٣٠٧ ، ٣٢٤ ، ٤٠٣ ، ٥
إجزركس ، ٤٨ ،
أحلام الاستسبال (انظر أيضا : الأحلام) ،
١٥٠ - ١ - ١٨٤ ، ٢٥٢ ، ٤٠٠ ، ٥
٤٥٥ ، ٥٥٩ ،
أحلام الاستسقاط (انظر أيضا : أحلام جرس
المنبه) ، ٦٤ - ٦ - ٢٥٢ ، ٣ - ٢٥٦ ، ٥
٣٧٢ ، ١٠٦ ، ٤٩٢ - ٥٠٣ ، ٥٥٩ ، ٥
٦٠ - ٥٦٣ ، ٥ -
أحلام الأطفال :
الصلقة بموت شخص محبب ، ٢٧٥ ،
المتكررة ، ٢١٠ - ١١ ،
- أشلة منها ، ١٥٣ - ٧ - ٢٧٥ ، ٢٨٢ ،
٣ - ٣٧٢ ، ٣٧٨ ، ٩ - ٤١٥ ،
وأحلام انقضاء ، ٣٧٢ ،
وأحلام الهيلة ، ١٦٠ ،
والأصبة ، ٥١٦ ، ٥
ولسحق القرية ، ١٥٣ - ٧ - ١٥٨ ، ٥
١٦٠ ، ٥٤١ - ٤ -
أحلام الامتحان ، ٢٨٨ - ٩٠ - ٤٤٦ ، ٣٩٠ ،
٤٧٢ ،
أحلام الإنقاذ ، ٤٠٦ ،
أحلام التداوي ، ٧٨ ، ٢٤١ ،
أحلام الخلق ، ٢٨٩ - ٣٠٨ ، ٣١٧ ، ٣٣٦ ،
٣٧٢ ،
أحلام انقضاء عند الأطفال ، ٣٧٢ ،
أحلام القرية المضادة ، ١٦٩ - ٨٣ ،
أحلام السلام ، ٢٥٦ - ٨ - ٢٦٤ ، ٣٦١ - ٢ -
٣٧٥ - ٤ - ٣٧٥ - ٨ - ٣٩٠ ،
أحلام الصدق ، ٢٩٨ - ٣٠٢ - ٣١٧ ، ٣٣٦ ،
٣٧٢ ،
أحلام الطيران ، ٧٥ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦ ، ٢٨٦ ،
٨ - ٣٧٦ ، ٣٩١ ، ٣٩٦ ،
أحلام القناب ، ٤٧١ - ٤ - ٥٤٧ - ٥٠ -
أحلام الهيلة الواحدة (انظر أيضا : سلطات
الأحلام) ، ٥٣ ، ٣٢٦ ، ٣٤٢ ، ٤ - ٣٨٠ ،
٤٠٥ ، ٤٤١ - ٤ - ٥١٤ ، ٥١٨ ،
أحلام المتزويجين حديثاً ، ١١٣ ،
أحلام الولادة ، ٣٨٠ - ٤ - ٣٩٣ ، ٣٩٥ ،
٤٠٣ - ٥ -
أحلام الهيلة (انظر أيضا : الأحلام الأيمية)
أصلها الجنس ، ١٨٤ ، ٥ - ٣٠٣ ، ٣٤٦ ،
٣٦٧ ، ٥٦٩ - ٧٣ ،

خبرات الطفولة كصدر لها ، ٢١٠ - ١١ ،
 ٢١٧ ، ٢٢٤ ، ٢٣٨ ، ٥٣٨
 شتبا النفسية ، ٤٠٠ ، ٥٥١ ، ٥٨١
 صلتها بالأحكام العقلية على الحلم ، ٢٠٨ -
 ٩ ، ٣٤٠ - ١ ، ٤٤٥ ، ٤٤٨ - ٥٣
 ٤٥٧ - ٤٨٧ ، ٨ - ٤٨٧
 صلتها بالحقى الكامن ، ١٤٦ ، ١٤٩ ،
 ٢٩١ ، ٣٠٨ - ٣١٧ ، ٣٠ - ٣٢٢ ،
 ٣٣٨ - ٩ - ٣٦٣ ، ٥٠١ - ٣
 صلتها بالمراجعة الثانوية ، ٤٨٥ - ٩ - ٤٩١
 ٤٩٥
 صلتها بالمنبئات الجنسية ، ٢٥٥
 صلتها بالنكوص ، ٥٣٥ ، ٥٣٧ ، ٨ -
 ٥٣٩ - ٤٠
 صلتها بما قبل الشعور ، ٢٨٥ ، ٥٣٣ ،
 ٥٧٨ - ٨١
 طبيعتها الجبرية ، ٣٢٢
 ما تضمنت من الرغبات المكبوتة ، ٣٦١ ،
 ٣٨١ ، ٤٦٩ - ٧٠ - ٥٨٣ ، ٥٩٠
 ما تضمنت من المادة الجنسية ، ٢٩٩ - ٤٠٣
 نشوئها من الحياة النفسية السرية ، ٥٧٨ - ٨٤
 والأحلام اللامعقولة ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٣٧
 ٤٤٤ ، ٤٥٠
 والتكيف الذى يتناولها ، ٢٩٢ ، ٢٩٧ ،
 ٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٥٠١ ، ٥٨١
 والحالة الجدالية فى الحلم ، ٤٥٨ - ٦٠ ،
 ٤٦٣ - ٦ - ٤٦٨ ، ٧٠ - ٤٧٦ ،
 ٥٨٢ - ٥ - ٥٠٣ ، ٥٤٦
 ورقابة المرفوضة عليها ، ٣٣٢ ، ٥١٠ ،
 ٥٢٣
 وكشف عنها بالتحليل ، ١٦٨ ، ١٩٥ - ٦
 ٥١١ ، ٥١٥ - ٢٠ - ٥٢٣ ، ٥
 والنقل ، ٣١٧ - ٢٠ - ٥٠٢
 وبقايا النهار ، ١٩٥ ، ١٧٨
 وشرحها فى (الغنى) الكامن ، ١٦٥ ،
 ١٦٩ ، ٥٠٨ - ٩ - ٥٧٥

الانطباعات الطفلية فيها ، ٢١٠ - ١١
 الحالات الجدالية فيها ، ٢٥٤ - ٢٥ - ٢٨٢
 ٣٩١ ، ٥٤٧
 صلتها باللائحان ، ١١٩ - ٢٠
 صلتها بالمنبئات الجنسية ، ٧٢ ، ٢٥٤ - ٥٧ ،
 ٢٨٢ ، ٤٠٥
 صلتها بتحقيق الرغبة ، ١٦٠ - ١ - ١٨٣ -
 ٥ ، ٢٥٤ ، ٢٨٢ ، ٤٨٥ ، ٥٤١ ،
 ٥٤٧ ، ٥٦٧
 أحلام الهيلة الخفية ، ٢٦٢ ، ٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٧ ،
 ٤٠٣ ، ٤٠٥ - ٧
 أحلام اليقظة (انظر أيضا : التخييلات) ، ٨٥ -
 ٦ ، ١٩٢ - ٣ - ٤٨٨ ، ٩ - ٤٩٠ ، ٥٢٧
 أحلام جرس المنبأ (انظر أيضا : أحلام الاستيقاظ)
 ٦٤ - ٦ - ٢٤٠
 إد (انظر : النظام الادراكى)
 أوليس ، ٤٠٤
 أرتابانوس ، ٤٩
 أرسيس ، ١٩٠ هـ
 أروادا ، ٢٣٤
 أريستاندروس ، ١٢٩ هـ
 أساطير ، ٢٧٢ ، ٢٨١ هـ ، ٣٥٨ ، ٣٦٣ ،
 ٤٠٤ ، ٦٠٠ - ١
 استنار الطاقة النفسية
 والنقل ، ١٩٨
 سيكولوجية عمليات الحلم ، ٥٣٣ - ٦ ،
 ٥٣٩ ، ٥٤٣ ، ٧ - ٥٥٣ ، ٩ - ٥٥٨
 ٥٦١ ، ٧ - ٥٦٩ ، ٧٠ - ٥٧٨ -
 ٨٩ ، ٥٩٢ - ٩
 استجابة جريمنارد ، ٣٨٨
 إسكندر الأكبر ، ١٢٩ هـ ، ٥٩٦ هـ
 راج ليجارد ، ٢٢٩ ، ٤٣٣ ، ٤٩٣
 ألفانكار (الكائن)

- الأحكام التي موضوعها الحلم .
 • إن هذا إلا حلم ، ٤٨٦ ، ٣٤٦ ، ٥٦٠ ،
 حين تقع عقب اليقظة ، ٢٠٨ - ٣٤٠ -
 ٤٤٥ ، ٦ -
 الأحلام الاستعراضية ، ٧٥ ، ٢٥٦ ، ٨ - ٢٥٩ ،
 - ٢٤٤ ، ٢٩٨ ، ٢٧٩ ، ٦٤ -
 الأحلام الامية (انظر أيضاً : أحلام الهيلة) ،
 ١٥٩ - ٦١ ، ١٦٨ - ٩ - ١٧٦ - ٨٣ ،
 ٨ - ٥٤٦
 الأحلام الأوديوية ، ١٦٩ ، ٥١٠ - ٢ -
 الأحلام الجنسية ، ١٠٠ ، ١١٣ ، ١١٨ ، ٢٨١ ،
 ٣٧٥ - ٧ - ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٥٨٩ ،
 الأحلام الحادثة من الهيلة الواحدة كجزء من كل واحد
 ٣٤٢ - ٤ - ٣٥٥ ، ٤٠٦ ، ٥٤٤ ، ١٨ ،
 الأحلام الذكورية ، ٥٠ - ٧ - ٩٢ ، ٩٨ ،
 ٥٧٥
 الأحلام الساذجة ، ٢٠٤ - ٩ - ٢١٩ ، ٤٠١ ،
 ٤٢١
 الأحلام الطفلية ، ١٥٧ ، ٥١٥٧ ، ٥١٦٨ ،
 ٢١٠ - ١١ -
 الأحلام الطفلية عند الراشدين (انظر : الأحلام
 الطفلية)
 الأحلام اللامقولة ، ٤١٦ - ٢٧ - ٤٢٦ -
 - ٤٥٠ ، ٤٤٧ - ٢٥٠ - ٥٠٧ ،
 الأحلام للمؤنسة ، ٣٥٦ - ٧ - ٣٦٩ ، ٧١ ،
 ٣٩٢ ،
 الأحلام المتعاقبة (انظر أيضاً : أحلام الهيلة الواحدة
 سلسلات الأحلام) ، ٥١٨ ،
 الأحلام المتكررة ، ٨٠ ، ١٢٣ ، ٢١٠ - ١١ -
 ٤٧٣ ، ٥٦٧ ،
 الأحلام المتنبئة ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٩٩ ، ١٠٥ ،
 ١٢٧ ، ٦٠٢ ،
 الأحلام المخدلة بالتجريب ، ٦٣ - ٤ - ٦٧ -
 - ٧٣ ، ٧٥ - ٦ - ٧٨ ، ١١٠ ، ١٥٠ ،
 - ٥٣٥ ، ٤٩٩ ، ٣٨٩ ، ٢٤٠ ، ٥٢٠٣ -
 ٦
- وتصورها بواسطة حل الحلم ، ١٠٢ ، ٣٢٢ ،
 - ٣٣ ، ٣٢٦ - ٩ - ٣٤٣ ، ٦ -
 ٣٥٩ ، ٣٣٧ - ٨ - ٤١١ ،
 والتصوير عنها بالأقوال في الحلم ، ٤١٩ ، ٤٢٤ ،
 لا تحصل إلا بما هو هام ، ٥٧٥
 ألكار اليقظة :
 استمرار ألكار الحلم فيها ، ٤٤٥
 استمرارها في النوم ، ٥٤١ - ٢٨ - ٥٦٢ -
 ٣ ، ٥٧٥ - ٦ - ٥٧٨ ، ٨١ - ٥٨٢ ،
 الدور الذي تلعب في تكوين الأحلام ، ٤٩٥ ،
 - ٥٠٣ ، ٥٣١ - ٥٥٣ ،
 اكسال (في البطة القبرية لابسن) ، ٣٠٩ ،
 اكسندر ، سيجولد ، ١٧٩ ،
 الآباء والأبناء ،
 الصلاة بينهم ، ٢٧١ - ٨٠ - ٤٥٠ - ١ -
 ٤٥٧
 تصوير الرزى ، ٣٦٠ - ١ - ٤١٠ ،
 الأكار الذكورية ، ٢٤٧ ، ٥٠٢ ، ٥٣٠ -
 ٥٣٠ - ١ - ٥٣١ ، ٥٦٦ ،
 الأكار الطفلية والنظام قبل الشعور ، ٥٦٢ ،
 ٥٩٩ ، ٥٩٣
 الاحتفال بذكرى القيصر جوليف ، ٤٢٣ ،
 الاحتمال وتصوره في الأحلام ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ - ٨ ،
 الإحساس الجنسي كعازل حل الحلم ، ٢٩ ، ٧٢ ،
 ٧٥ ، ١١٨ ، ٢٤٠ ، ٢٥٦ ، ٣٢٦ ،
 ٣٧٦ ، ٥٤٢ ،
 الإحساس بالزمن (انظر أيضاً : ديمية الأحلام ،
 العلاقات الزمنية معنى الحلم ، والعلاقات الزمنية
 في ألكار الحلم) .
 في الأحلام ، ٩٨ ، ١٢٢ ،
 في اللحن ، ١٢٢ ،
 الإحساس بكيف الحركة من الحلم ، ٢٥٦ - ٥٧٦ ،
 ٢٥٩ - ٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٩٨ ، ٣٢٤ ،
 - ٤٣٣ ، ٤ - ٥٧١ ، ٥٧٦ -

الأهداف

- والنقل من أسفل الجسم إلى أعلاه ، ٣٩٢
 ورموز الحلم ، ٣٦١ - ٢ - ٣٦٤ - ٥ ،
 ٣٧٢ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤١٣
 الأرض (زولا) ، ٢٣٣ ، ٢٣٧
 الأزهار كرموز حسية ، ١٠١ - ٨ - ٢٩٥ -
 ٧ ، ٣٢٩ - ٣٠ - ٢٣٥ ، ٣٥٥ - ٦ -
 ٢ - ٣٨٠
 الأساس الجنسي
 للأحلام الاستعانة ، ٢٨٩ - ٩٠
 لأحلام الهيلة ، ١٨٥ ، ٢٥٥ ، ٣٠٢ ،
 ٣١٦ ، ٥٧٠ - ٣
 للأحلام ، ١٦٠ ، ١٨٥ ، ٢٠٥ - ٩ ،
 ٢٢٢ ، ٨ - ٢٥٠ ، ٧ - ٢٦٢ ، ٣٥٤ ،
 - ٤٠٧ ، ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤٢١ ،
 ٤٤٠ ، ٤٤٨ ، ٥٨٩
 الأساطير الجرمانية ، ٥٠٩
 الأساطير الشمالية ، ٤٠٨
 الأستاذ أوزر ، ١٩٠
 الاستئثار المضاد ، ٥٨٨
 الاستئثار المضاد ، ٥٨٠ ، ٥٨٧ ، ٥٩٨
 الاستثناء ، ٢٠٨ ، ٣٥٦ ، ٥٦٣ ، ٣٧٢ ،
 ٣٧٣ ، ٣٧٧ ، ٣٨٦ - ٩ - ٣٩١ - ٦ ،
 ٥٣٦ ، ٥٧٣ ، ٦٠٠
 الأحلام ذات المنبه القسوي وصلتها به ، ٣٩١ - ٦
 الإشارة إلى تحريره في الحلم ، ٣٧١ - ٢ - ٣٨٦
 - ٧ ، ٥٣٦ ، ٥٧٣ ، ٦٠٠
 رموزه في الحلم ، ٢٠٨ ، ٣٥٦ ، ٣٦٣ ،
 ٣٧٣ ، ٣٨٤ - ٩
 الاستعانة لانقطاع المنبهات الحسية ، ٩٧ - ٢٢٠
 - ٢٠١
 الأسلحة كرموز لحلم ، ٣٦١ ، ٥٦٣ ، ٣٦٥ ،
 ٣٩٠ ، ٤٠٠

- الأحلام المناقشة ، ١٦٩ ، ٤٧١ - ٥
 الأحلام المنطقية ، ٧٥
 الأحلام غير المفهومة والتي لا معنى لها (أنظر :
 لا تناسق الأحلام)
 الأحلام وتفسيرها (أنظر أيضاً : التفسير ،
 والمصابين وتحليلهم النفسي ، والتحليل النفسي
 وطه)
 التفسير والاستعانة ، ٥١٧ - ٨
 التفسير والرومانس ، ٥١٧ - ٨
 التفسير والكسرى ، ٥١٧
 التفسير وبالأعداد ، ١٢٨
 التفسير وبنج الشفرة ، ١٢٧ - ٩ - ١٣٣
 ١٨٧ ، ٢٤٤ ، ٣٥٨ ، ٣٩٢ ، ٤٦٩
 التفسير وبنج كتب الأحلام (أنظر : بنج
 الشفرة)
 التفسير هو الطريق الملكي إلى الطفولة ، ٥٩١
 التفسير وطه ، ٤٣ ، ١٢٩ ، ٣٤ ،
 ١٧٠ ، ٢٥٩ ، ٢٥٩ - ٦٠ - ٢٩٢ -
 ٢ ، ٣٦٠ ، ٤٤٨ ، ٥١١ ، ٢٥٤
 المناهج العلمية ، ١٢٦ ، ٩ - ١٣٢ - ٣
 المناهج الرمزية ، ٤٤ ، ١٢٦ - ٧ - ١٢٨ -
 ٩ ، ١٣٢ - ٣ - ٢٤٤ - ٦ - ٣٤٣ ،
 ٣٥٠ ، ٥٠١
 المناهج قبل العلمية ، ٤٣ - ٤
 كيف أن التفسير لا يتم أبداً ، ٢٩٢ - ٣ ،
 ٥١٧ - ٨
 الأحلام ورموزها (أنظر : الرموز)
 الاستمرار شبيهاً ، ٣١١
 الأغشاء (أنظر أيضاً : حفوات السان) ، ٤٢٣ ،
 ٤٥٤ - ٥ - ٥١٢ - ٣ - ٥٢٧ ، ٥٨٩
 الأراجيح وما تتبره من الأحاسيس الجنسية ، ٣٩٧
 الارتباك العرقي في الأحلام ، ٧٥ ، ٢٥٦ - ٨ ،
 ٢٥٩ - ٦٤ ، ٢٧٩ ، ٢٩٨ ، ٣٤٥
 الإرادة ، تصوير صرامها بواسطة الحركة المكثفة
 في الحلم ، ٢٦٣ ، ٣٤٥

الاستاذ (انظر أيضاً المنبئات السنية كحوللر للحلم).

الحلم بفقدانها ، ٧٥ ، ١١٨ ، ٢٤٤ ، ٣٩٢ ، ٢٤٦

من حيث هي رموز من رموز الحلم ، ٧٥ ،

١١٨ ، ٢٤٤ ، ٦ - ٢٨٨ ، ٣٦٣ ، ٥٠٩

الاشتراك في الألفاظ ، ١٧٨ ، ٢٢٢ ، ٣ ، ٤٩٣ ، ٤١٢ ، ٤٣٣ ، ٤

الأشخاص الجنسية (انظر أيضاً التمين) ، ٣٠٥ -

٨ ، ٣٣٠ ، ٢ - ٤٣١ ، ٤٧٩ ، ٤

الأشخاص السويين .

الريزية في أحلامهم ، ٣٧٨ - ٨٤

كيف أنهم لا يتميزون من المصابين إلا كما ، ٣٧٩

الأشكال المزججة ، ٣٠٥ - ٨ ، ٣٣٠ - ٥

٤٣١ - ٤ ، ٤٧٩ ، ٥٨١

الاستغراق وظهوره عند البطل ، ٥٨٨

الأميرة النفسية .

تكرارها في الأحلام ، ٢٠٦ ، ٢١٨ ،

حين تكون تخيلية ، ٣٠٢ ،

الإضافات المكملة لرؤية الحلم ، ١٧٩ ، ٣٨٣ ،

٤٥٤ - ٤٨٦ ، ٧ - ٥١٢

الأعداد:

تصوير الحلم بواسطتها (انظر : القلب)

تفسير الحلم بواسطتها ، ١٢٨ ، ٤٦٩

الأضواء وتصويرها في الحلم ، ٣٢٨ ، ٩ ، ٣٣٦

الأطفال

الأعجم اللغوية ، ٣٠٦

العلاقة بينهم وبين إختصم وأحرامهم (انظر أيضاً

نظريات الأطفال الجنسية ، والجهة الجنسية

الطفلية ، والبرقيات الطفلية) ٢٩٧ - ٧٢

العلاقة بينهم وبين اللصم ٢٧٢ - ٨١ ، ٤٥٠ ،

٤٥٦ - ٧

كرمز حلوية ٣٦٣ ، ٣٦٧ - ٩

لزعاجهم الاستراضية ٢٦١ - ٢

الأعداد

اختيارها بالصدفة ، ٥٠٩ ، ٥٢٤

في الأحلام ، ٧٦ ، ٤١٤ ، ٨ - ٤٣٨ ، ٥٠٧

كرمز حلوية ، ٣٦٤

الأعراض المصاحبة

ما هي في حالة وإدراك ، ١٣٦ - ٩

من حيث إنها تحقيق رغبة ، ٥٤٣ ، ٤ -

٥٤٨ ، ٥٥١ ، ٢ - ٥٥٧ ، ٨ -

٥٦٥ ، ٦ - ٥٨٩

من حيث إنها تقبل أكثر من تفسير ، ٢٨١

من حيث أنها تنشأ تجنباً للهيلة ، ٥٦٩

من حيث إنها تنشأ عن صراع بين لاش ، وقبش

٥٦٩ ، ٥٧٨

موقف المريض منها ، ٤١١

الأعراض المستعيرة ، ١٣٤ ، ٨ - ١٤٢ -

٣ ، ١٧٤ ، ٤٨٣ ، ٦٠٠

ارتباطها بتخيلات لأحداث حقيقية ، ٥٢٣٧ ،

٤٨٨

تكوينها ومقارنتها بالأحلام ، ٥٨٣ ، ٥٨٧ ،

٥٩٠ ، ٥٩٦

حلوتها عن الصراع بين رغبات معارضة ، ٥٥٨

حلها ، ٥٢١

الأصبة

أساسها الجنسي ، ٣٠٦ ، ٢٥٤ - ٥

٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٧ - ٣١٣ ، ٣٥٤ -

٥٨٩ ، ٤٤٠ ، ٥

الحالة الجذائية فيها ، إزطاطها الكي وإن بررت

كيفا ، ٤٥٩ ، ٤٧٧

العلاقة بينها وبين الحلم ، ١٧٥ ، ٣١٦ ،

٤١٩ ، ٥١٥ ، ٦ - ٥٤٠ ، ٥٨٣ ،

٥٩٠ ، ٦٠١

العلاقة بينها وبين التكبث ، ٣٥٤ ، ٥٢٣ ،

٥٩٩

الأفكار الإرادية ، ١٣١
الأفكار الغالية ، (٥٢١ - ٥٧٦ ، ٥٨٠ ، ٥٧ - ٥٨٤

الأفكار القهريّة

وأشكالها العقلية ٣١٦ - ٧ - ٣٤٩
والحالة البدائية ٤٥٩ - ٦٠
ويدخل المراجعة الخافية في تكوينها ، ٢٦١
ومقارنتها ببناء الساعة ، ٢٤٢
الأفكار اللاإرادية: (انظر أيضاً : التخاصم الحرة) ،
٨٤ - ٧ - ١٠٣ ، ٦ - ١٣١ ، ٥١٠ ، ١ - ٥١٧
١٠٥٧ ، ١ - ٥٢٠ ، ٥١٦ ، ١ - ٥٧٧

الأفكار المتصلة ، ١٩٧ ، ١٩٧ ، ٢٥٣ ، ٢٤٧ - ٣١٩ -
٣٢ ، ٣٤٧ ، ٤٨٦ ، ٥٢٠ ، ٧ - ٢٣ ، ٥٨٦ ، ٥٨١ ، ٥٢١ ، ٥ -
وأشلة عليها ٢٩٥ - ٦ - ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤ - ٤٨١ ، ٤٨٤ ، ٥٠٨

الأفكار المجردة وتصورها في الحلم ٢٤٨ - ٥٢ ،
٥١٧ - ٨

الأفكار المجاسية ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٩٤ ، ١٢٠ ،
١٢٣ ، ٢٠٦ ، ٤٦٨ ، ٥٦١

الأفكار وكيف يتجلى عليها الحلم صورة الحركة
المسرحية ، ٨٥

الأفكار كرموز حلمية ، ٣٦٤
الأفكار في الأحلام ، ٢٠٤ - ٣١٦ ، ٣٢٣ ،
٤ - ٤١٩ ، ٢٥ - ٣٦٤ ، ٥٠٥
الألفاظ المحترمة في الحلم ، ٣٠٩ - ٥١٣ ، ٣١٥ ،
٧ - ٣٦٢ ، ٤٤١ - ٢

الأم كحافز للحلم ، ٦١ - ١١٧ ، ١٥٢ ،
٢٤٣ - ٤ - ٢٤٧ ، ٥٢ - ٤٩٢ ، ٣

الأولاد في الأحلام ، ٢٤٦ ، ٣١٤ ، ٥٣٨ ،
الأم والربيع ، ٢٢٤ ، ٥ - ٢٢٧ ، ٨ - ٢٢٤ ،
٣٠٠ - ٢ - ٣٦٨ ، ٣٦٦ ، ٤ - ٥٦٥ ،
٥٦٥ -

الملاحة بينها وبين رغبات الزلا بالمحارم في
الطفولة ، ٢٧٣ - ٩

الميليات النفسية اللاشعورية فيها ، ٥٩٣ - ٤
٥٩٨ ، ٥٩٦ - ٩

الملاوس فيها ، ٤١٩ ، ٥٢٧ ،
طابعها التكويني ، ٥٣٦ ، ٥٤٠

من حيث هي دفاع ، ٢٤٩ ،
موت الأحياء وأثر فيها ، ٨٢٦٨ ، ٢٧٢ - ٣

نظريتها ، ١٣٣ ، ٤٤٠ ، ٤٥٠ ، ٤٦٧ -
٤٨١ ، ٤٨٥ ، ٥٨٩ ،
الأعصاب النفسية (انظر : الأعصاب)

الأعضاء التناسلية .

التطويع إليها في الأحلام بوسائل للغة ، ١٧٨ ،
٣٠٠ - ٣١٦ - ٧

لقلها إلى أعلى الجسم في نوبة الحلم ، ٣٩٢ ،
٢٩٤ ، ٤١١

الأعضاء التناسلية عند الأنثى

الأحلام المتعلقة بها ، ٢٢١ ، ٣٤١ - ٢ ،
٣٧٥

دورها في الأحلام ، ٣٥٤ ، ٣٦١ - ٢ ،
٣٨٠ - ٢ ، ٣٩٠ ، ٤٠٢ ، ٤٤٠ ، ٤٨٠

٤١١

الأعضاء التناسلية عند الذكر

الأحلام المتعلقة بها ، ٢٣٠ ، ٣٧٥ ، ٣٩١ ،
٢ -

دورها في الأحلام ، ١١٨ ، ٢٤٦ ، ٣٥٤ ،
٦ - ٣٦١ - ١٨٧ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ،
٣٩٥ ، ٤١٣ - ١٤

الأصل والأسفل كرموز حلمية ، ٢٩٨ - ٩ ،
٣١٧ ، ٣٣٦ ، ٤١١

الأغاني في ملاوس النساء ، ٤١٩ ،
الإغريق (انظر : المتصور القديمة)

الاصطانات

٧ ، ٣٩٢ ، ٣٩٦ ، ٤٠٥
 رموز في الحلم ، ٤٠٦ هـ
 منه من الحلم مثلاً شعورياً ، ٥٦٠
 الإنسان البدائل وأحلامه ، ٤٣ - ٤
 الانصباب المسجل للأفكار في الحلم ، ٤٩٢ - ٥
 الانطباعات الطفولية .

عند فرويد ، ٢٥٠ ، ٤٧٠ ، ٤٨١ - ٤
 من حيث هي مصدر الأحلام السباحة ، ٣٩٩
 من حيث هي مصدر الأحلام السلم ، ٣٧٥ - ٧
 من حيث هي مصدر لأحلام النار ، ٣٩٩
 من حيث هي مصدر لأحلام الوقوع والطيران ،
 ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩

من حيث هي مصدر للأحلام ، ٥٤ - ٤٦
 ٦٧ ، ١٨٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ - ٣٨ ،
 ٢٤٧ ، ٤١٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٨ ، ٥٧٥
 من حيث هي مصدر للأحلام الاستعراضية ،
 ٢٦٤ ، ٢ - ٢٦١

من حيث هي مصدر للهلاوس المستيرية ،
 ٥٣٧
 وارتباطها بالهوى الكامن ، ٢٣٨

والاستثناء ، ٣٩٦
 والكتب ، ٥٣٧ - ٨ - ٥٣٩ ، ٤٠ - ٥٨٨
 وصلة الحالة الوحدانية من الحلم بها ، ٤٨١ - ٣
 الأنظمة النفسية (الأنظمة ن) ، ٥٢٨ - ٣٩ ،
 ٥٤٢ - ٨ - ٥٥٠ ، ٧٣ - ٥٧٦ - ٦٠٢
 الأنظمة الذاكرة (النظر أيضاً : الذاكرة ،
 الآثار الذاكرة) ، ٥٣٠ - ٥ - ٥٥٤ -
 ٥ ، ٥٦١ - ٢ - ٥٦٦ ، ٥٨٤ - ٩

٩ - ٥٩٨

الأنظمة ن (انظر : الأنظمة النفسية)
 الإنساظ والأحلام المنبئة به (انظر أيضاً :
 الإنزال ، والأحلام ذات المعنى الجنسي) ،
 ٢٥٦ ، ٣٢٦ ، ٣٤٣ - ٤
 الالتباس ، ١٢٠ ، ٣٤١ هـ

الأحلام العصابية المتصلة بها ، ٢٨٨ - ٩
 الأحلام المتصلة بها ، ٢٨٨ - ٣٩٠ ، ٤٩٠
 ٤٧٣ ، ٤٤٩
 الأنا ، ٨٧ ، ٩٠ ، ١١٦ ، ٢٥٢ - ٣
 ٢٨٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، ٤١٢ ، ٤٨٢ هـ
 والأنا الأمل ، ٤٧١ هـ
 والرياحات المقموعة ، ٥٤٧ - ٨
 واليدير ، ٤١٢
 الأنا الأمل ، ٤٧٤ هـ ، ٥٤٨ هـ
 الأنا الحشوي ، ٧٣
 الأناية في الأحلام ، ٢٨٢ - ٦ ، ٣٣٣ ،
 ٤٤٠ ، ٤٨٢ - ٣
 الالتقاء^١

استرخاؤه في الهلاوس قبل النسيبة ، ٦٩
 استمراره في أثناء النوم ، ٥٠١
 انتقاله عند تكوين الأفكار المتصلة ، ٣٠٨
 همه من حياة اليقظة ، ٨٤
 صله بالأنظمة ن ، ٥١٦ ، ٥٥٢ ، ٥٦٣ -
 ٥٩٨ ، ٥٧٩ ، ٥
 صله بمن التحليل النفسي ، ١٣٠ - ٢ ،
 ٥١٦ ، ٥٢٠
 صله بالمنبهات الجسمية ، ٢٥٣
 صله بنسب الأحلام ، ٨١
 في الأصبة النفسية ، ٤٥٩
 الانصباب ورموزه في الحلم (انظر أيضاً :
 العلة والإنزال) ، ٣٦١ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ،
 ٣٩٨ هـ

الانحرافات ، ٥٩٨ ، ٥٩٠ هـ
 الانفعالات القهريّة (انظر أيضاً : المصاب
 القهري والأفكار القهريّة) ، ٢١٨ ، ٤٥٦
 الإنزال (انظر أيضاً : الانصباب ، الإنساظ ،
 الأحلام ذات المعنى الجنسي) ، الأحلام المنبئة
 ٢٥٦ هـ ، ٣٢٦ ، ٣٤٤ ، ٣٧٥ -

والظاهرة البطولية ، ٥٠٠ - ١
 البكارة وتصورها الرمزي في الحلم ، ٣٨٠ - ٣
 البنقية ، ٥٦٢ ، ٥٦٣
 د أليز ، ٥٧٣
 البيضاء كرمز حلمي ، ٣٥٤
 التأثير البيني ونظريته ، ٢٢٥
 الحاركونيين ، ٤٠١
 الحاليا ستر ، (نهر) ٦٤
 التبرز والإشارة إليه في الحلم (انظر أيضاً : البراز).
 ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٤١ ، ٤٠٥ ، ٤٢٨ -
 ٩ ، ٤٤٧ ، ٤١٦ ، ٧ - ٤١٣ -
 التبرز والحاجة إليه من حيث هو حافظ للحلم ،
 ٤٠٥ ، ٤١٢
 التبول (انظر أيضاً : بزل الفراء ، المنجات
 البرية كعوامل حلمية)
 الإشارة اللفظية إليه من الأحلام ، ٣١٦
 تصويره في الأحلام ، ٢١١ ، ٢٣٠ - ٩
 ٢٤٦ ، ٣٥٩ ، ٣٧٢ ، ٣٧٩ ،
 ٤٠٥ - ٦ ، ٤٦٧
 التحليل النفسي .
 إخضاعه للاخضور لما قبل الشعور ، ٥٦٦
 الإشارة إليه في أحلام من يبالغون ، ٢٨٩ ،
 ٤١١ ، ٤١٥ ، ٤٤٥
 له أو طريفته ١٢٩ - ٣٥ - ٥١٠ - ٤
 (النظر أيضاً : تفسير الأحلام وطريفته)
 المصابين (نظر : المصابين)
 التحصيل
 حل الحبل . ٢٢٠
 في الرغبات المكبوتة . ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٥٤٣ -
 ٤ ، ٥٥٢ - ٣ ، ٥٥٦ ، ٥٦١ ،
 ٥٦٤ ، ٥٧٥ ، ٥٨٠ - ٢ ، ٥٨٣ ،
 ٥٨٨ - ٩
 الصبغات (النظر أيضاً : أحلام البنية)
 تصد الأحلام

الانقلاب الشامل في القيم النفسية (انظر أيضاً :
 النقل ، والثقة النفسية) ٣٢٩ ، ٣٤٧ ،
 ٣٤٧ ، ٥٠٢ ، ٥١٠
 والأوتوماتية ، والتقلية ، ٤٥٦
 الأيديا ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٥٤٣
 الأوهام الحسية والخداع الحسي ، ١٢٢ ، ٥٧٥
 نظرية الأحلام كخداع حسي ، ٦٦ - ٨ ،
 ٧٨ ، ٩٣ ، ١٢٢ ، ٢٤١ - ٢ ، ٢٤٦
 الأصلية ، ٧٤ ، ١٠٦ ، ١٢٢ ، ٥٢٢
 الإيحاء في حالة النوم للمتلطس ، ٣٩٠
 الإيزونسر (نهر) ٥٣٨
 الباب كرمز حلمي ، ٣٥٤ ، ٤٠١
 البابا ، ٢٥١ ، ٣٠٤
 البارافانيا ، ١٠٩ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ٢٦٢ ،
 ٢٦٣ ، ٣١٦ ، ٥٢٢ ، ٣٢٦
 البارالاس ، ٣٢٤
 البصر الأدرثاني ، ٤٦٣ - ٤
 البصر الإيرلندي ، ٥١٣
 البراز (انظر أيضاً : الواقع)
 الصلة بين الفقد وبينه ، ٤٠٦
 أبرتوس الأكبر ، ٥٣٤
 البطة البرية (إمين) ، ٣٠٩
 البكاء بعد الموت ، الأساس اللاشعوري للاحتقاد به ،
 ٤٤٤
 البناء وتصوره الرمزي في الحلم ، ٣٦٤ ، ٣٧٨
 البشايه التباريه
 ما ورد منها في المؤلفات ، ٤٧ ، ٥٦ - ٨ ،
 ٦٠ ، ١١١ ، ١١٣
 من حيث هي مادة للحلم ، ١٨٦ ، ١٨٧ -
 ٢٠٩ ، ٢٤٦ - ٧ ، ٢٥٥ ، ٤٤٤ -
 ٥٣ ، ٥٦٧ ، ٥٧٥ - ٦
 وأحلام الهيلة ، ٢٨٩
 والرغبات اللاشعورية ، ٢٨٢ ، ٥٤٥ -
 ٥٣ ، ٥٦١

- للأشعرى، منها ، ٤٠٣ - ٤٨٨ ، ٩٠ - ٥٦٢
 من الحياة داخل الرسم ، ٤٠٣ ، ٥٦٢
 عند الصائرين ، ٣٥٤
 في المستيريا ، ١٧٤ ، ٢٠٦ ، ٢٣٧ ، ٢٦٢ ، ٢٣٧ ، ٤٨٨ ، ٤٩٠ ، ٥٥٨ ، ٥٩٥ ، ٦٠٠ - ٥٥٨
 في حالة الجوع ، ٥٥٥
 في سن المراهقة ، ٥٥٨
 كدابة من مواد الأحلام ، ٢١١ ، ٢٢٢ ، ٢٣١ ، ٢٤٠ ، ٤٥٧ ، ٤٨٨ - ٩٤ ، ٥٣٨ ، ٥٩٥ ، ٦٠٢
 ما اتصل منها بالحياة الجنسية ، ٢٠٦ ، ٣٠١ ، ٣٣٧ ، ٣٤١ ، ٣٦٥ - ٥٩٨ ، ٥٥٨ ، ٧
 ما اتصل منها بالزنا بالمحارم ، ٢٧٩ ، ٣٧٧
 التخييلات الخلقية ، ٣١٠
 التماس الحر في تفسير الأحلام (انظر أيضاً :
 الأفكار للارادية) ١٢٨ ، ١٣١ ، ٢ - ٢٥٨ ، ٢٩٣ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ -
 الفكر المجرى في الأحلام ، ٤٤٦ ، ٥١٣
- التشابه
 إدراكه ، ٥٣١
 تصويره في الحلم ، ٣٣٠
 التشويه
 استخدامه للاشتراك اللفظي ، ٣٤٩
 استخدامه للقلب ، ٣٣٧
 لغت من حب القيمة النفسية ، ٥١٠
 لغته لربية الحلم ١٥٩ - ٦٨ ، ٢٠٣ ، ٣٢٠ ، ٣٨٧ ، ٥٤٢ ، ٥٤٩ ، ٥٥٩ ، ٥٧٥
 صك بالحالة الوجدانية ، ٤٥٩
 صك بالمراجعة الثالوية ، ٥٠٨ ، ٩ - ٥٧٩
- في أحلام الأطفال ، ١٥٣ ، ٢٨٣
 في أحلام موت الأحياء ، ٢٦٥ - ٦
 في الأحلام الاستعراضية ، ٢٦٠ - ١
 في الأحلام الساذجة ، ٢٠٤ - ٩
 في الأمصبة النفسية ، ٣٧٩ ، ٤١٩ ، ٦
 في الحياة المستيقظة ، ١٦٥ - ٦
- التضاد في الأحلام واللغات القديمة ، ٣٢٩ ، ٢
 التمرى وللد الأطفال به ٢٦١ - ٢
 التمييز والتمييز الذاتي (انظر أيضاً : الأشخاص
 الجمعية)
 في الأحلام ، ١٧٣ - ٥ ، ٣٣٠ - ٤ ، ٣٧١ ، ٤٣٠ ، ١ - ٤٤٨ ، ٤٥٧
 في المستيريا ، ١٧٢ - ٤ ، ١٧٥ ، ٥١٣
- التكثيف
 بواسطة الأشخاص الجمعية ، ٣٠٥ - ٧ ، ٣٣٠ - ٥ ، ٤٣١ - ٤ ، ٤٨٠
 بواسطة الأشكال المربجة ، ٣٠٥ - ٧ ، ٣٣٠ - ٥ ، ٤٣١ - ٤ ، ٤٨٠ ، ٥٨١
 في الألفاظ ، ٣٠٨ - ١٣ ، ٣١٥ - ٦ ، ٥١٣
- والتخييلات للأشعرية ، ٤٨٩ - ٩٠
 والشفة النفسية ، ٣٤٠ ، ٥٠٢ ، ٥٣٤ ، ٥٨٠ - ١
 وصلته باختبارات قابلية التصور ، ٣٥٢ ، ٤٠٩
- وصلته بالنقل ، ٣٤٧ - ٨
 وظيفة من وظائف عمل الحلم ، ٢٠١ ، ٢٩٢ - ٣١٧ ، ٤٩٥ ، ٥٢٥ ، ٥٨٠ - ٢ ، ٥٨٦
- التكرار
 تصويره في الحلم والتكبير ، ٣٧٨
 حب الأطفال له ، ٢٨٣ ، ٥٧٩

الجماع الجنسي

والانضال إليه من الاعتناء ، ٣٨٨ ، ٣٩٧
 ورموز الحلم إليه ، ٣٦١ ، ٣٦٧ - ٣٧١ ،
 ٣٧٥ - ٣٨٢ ، ٣ - ٣٩٠ ،
 ٤٠١ ، ٤٠٦ ، ٤٧٠

وصلة الحركات البهلوانية به ، ٣٨٦
 وكونه بين الراشدين حلة لليلة عند الأطفال ،
 ٥٧١ - ٢

الجماع الملق ، ١٧٩ - ٨١

الجماع من الخلف ، ٤٠٠

الجناس (انظر أيضاً : الحب بالألفاظ) ، ٩٤ ،
 ٢٢٦ ، ٥٢٣

الجنسية المثلية (انظر أيضاً : القلب) ، ١٨٢ ،
 ٣٠١ ، ٢٢٧ ، ٢٣٩ - ٢٤٣ ، ٤٠٠

الجنسية المثلية بين النساء - ٣٠١ ، ٣٩٠

الجنين المبكر ، ٣٥٨ ، ٥٢٢

الجروح

تخيلاته ، ٥٥٥

كحافظ حلى ، ٦٩ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ،
 ١٨٤ ، ٢٢٤ ، ٨ - ٢٤٢ ، ٣ -
 ٢٨٣ ، ٤٠٠

الجهاز التنفسي ، ٨٤ ، ٢٣٩ ، ٥٠٦ ، ٥٢٨ ،
 - ٣٥ ، ٥٤٢ ، ٥٥٤ - ٩ - ٥٦٢ ،
 ٥٨٣ - ٥ - ٥٨٧ ، ٥٨٨ - ٩ - ٥٩٠ ،
 - ٥٩٧ ، ٩ - ٦٠١ ، ٢ -

الجمر الجديد ، ٤٤١

الحاجات الإفرازية كواثر حسية ، ١١٨ ،
 ١٨٤ ، ٢٢٩ - ٣١ - ٢٣٣ ، ٢٣٨ ،
 ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٥١ ، ٢٥٦ ، ٣٧٢

٤١٥ - ٤١٢

الحاسة الخلقية

عند الأطفال ، ٢٦٧

والأحلام ، ٨٩ ، ٩٣ ، ٩٩ - ١٠٧ ، ١٢١ ،
 ٢٦١

مفراه حين يقع عند رؤية الحلم ، ٢٨٢٣٠ ،
 التناقض في محتوى الحلم الظاهر (انظر أيضاً :
 لاتناقض الأحلام) - ٨٧ ، ٨٩ - ٩٢ ،
 ١٠٩ ، ٢٦٠ ، ٣٢٤ ، ٤٣٢

التناقض في محتوى الحلم الكامن ، ٣٢٨ - ٩ ،
 ٢٣٦ ، ٤٣٤ ، ٤٦٦ ، ٤٨٤ ، ٥٨٢ - ٣ ،
 التنبيه العصبي والأحلام الراجعة إليه ، ٧٧ ،
 ٢٤٠ - ١

التنويم المغناطيسي ، ١٣١ ، ١٧١ ، ٣٩٠ ،
 ٥٥٩

التوراة ، ١٠٣ ، ١٢٧ ، ١٦٥ ، ٣٤٣ ،
 ٣٨٦ - ٧ ، ٤٨٢

التوراة الإسرائيلية ، ٥٧٠

التوريات (انظر أيضاً : التكاثر ، والحب بالألفاظ)
 ٥٧٦

التبجيش الشبكي ، ٦٨ - ٧٠ ، ٢٤٦

التبوير ، ٢١٤ ، ٢٦

التبريد ، ٢٥١

التغذية والإطعام به ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٤٣ ،
 ٣٠٠ - ٣ ، ٣٣٦ ، ٣٧٨ ، ٥٦٠ ، ٥٦٥

التغذية وتصويره برموز الحلم ، ٣٠٠ ، ٣١٠ ،
 ٣٧٨

التعبان كرمز من رموز الحلم ، ٣٥٥ ، ٣٩٢ ،
 ٣٦٣

التغزوات في الحلم ، ٣٤١ ، ٢ - ٤٨٦ ، ٥١١ ،
 ٥٥١

التغذية العاطفية ، ٤٣٠

التغذية الجنسية ، ٣٦٥ ، ٥٥٨ ، ٦٠٦

التحرر الفرسي ، ٦٣٠ ، ٦٤ - ٥ - ٤٩٢ ، ٣ -
 الجدة (مسرحة جريليانتر) ٢٧٨

الجدران كرموز حسية ، ٣٦٢

الجسور القلبية ، ٢٢٦ ، ٣٤٩ ، ٣٨١ - ٢ ،
 ٣٩٦ ، ٤٢٨ - ٩ - ٥٢٣

والذكريات اللاشعورية من الجساع الجنى ،

٢٨٦

ولتويات المستيرية ، ٢٨٦ ، ٢٩٧

الحسية الحشوية (أو الحسية الاجالية بالجسم)

٧٣ ، ٧٤ ، ٨١ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ٢٤١ ،

٢٥٥ ، ٢٤١

الحظائر الايمية ، ٤٦٨

الحقية كرمز حلى ، ١١٨ ، ٢٤٤ ، ٣٦٤ ،

٣٩٠

الحلم

بالأموات (انظر المظن) ، ٤٢١ - ٣١ ،

٤٣٥ - ٨ ، ٤٤٨ - ٥٠٠ ، ٥٠٤ - ٥٠٤

٥٥٩ ، ١ - ٥٤٠ ، ٦ - ٥٤٥

بالحمل ، ١٥٢ ، ٤٠٤

بالسباحة ، ٣٩٧ ، ٣٩٩

بالسقوط ، ٦٢ ، ٧٥ ، ٢٢٢ ، ٢٨٦ -

٨٨ ، ٣٩٧ ، ٩ - ٥٧٩

بالسلام والأدراج ، ٢٥٦ - ٨ ، ٢٦٤ ،

٣٦١ ، ٣٦٩ ، ٧١ - ٣٧٥ ، ٨ -

٣٩٠

بالطيران ، ٧٥ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦ ، ٢٨٦ -

٨ ، ٣٧٦ ، ٣٩١ - ٢ ، ٣٩٧ - ٨

بالنار ، ٣٩٨ - ٩ ، ٥٠٤ - ٥٠٥ ، ٥٥٩ -

٦ ، ٥٤٠ ، ٥٥٩

بطلع السن ، ١١٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٣٩٢ - ٦

بعلوات القطار ، ٣٩٠

بموت الأحياء ، ٥٧ ، ١١٣ ، ١٧٦ - ٩ ،

٢٦٥ - ٧٦ ، ٢٨١ - ٢ ، ٤٦١ ،

٥٤٩ - ٥٠٠ ، ٥٧٠ - ١

بموت الحالم لنفسه ، ٤٥١ - ٣ ، ٤٧٠ ،

٤٧٥

الحلم في داخل الحلم ، ٣٤٦ ، ٧ - ٥١٣ -

الحلم كجزء من الحياة النفسية الطفلية ، ٥٥٦

الحلم وحوالته (انظر) ،

الاحساسات الحسية - الأم - التبريز والحاجة

ومركب أوديب ، ٢٧٨ - ٩

الحالات الخلطية ، ١٠٩ ، ٢٧٥ ، ٣٩٠ ، ٥٢٢

الحالات النفسية المنشقة ، ١٥٠

الحالة الوجدانية في أحلام الهيلة ، ٢٥٤ - ٥ ،

٢٨٢ ، ٣٩١ ، ٤٠٣ ، ٥٤٧

الحالة الوجدانية في أحلام موت الأحياء ، ٢٦٥ -

١ ، ٤٦١ ، ٥٧٠ - ١

الحالة الوجدانية في الأحلام ، ٩٩ ، ١٠٠ ،

١٠٧ ، ٣٨٣ ، ٤٥٨ - ٨٥

انضمامها إلى السطة التي تعقب البقطة ، ٤٧٦

انطلاقها كعملية نازعة ، ٤٦٥ - ٦

تغيرها ، ٥٨٨ - ٩

تولدها ، ٥٦٩

حجمها المتصايف ، ٤٧٧ - ٨

حياتها ، ٤٦٠ - ٣ ، ٤٧٥

قلبها ، ١٧٥ ، ٢٥٥ ، ٤٥٣ ، ٤٦٩ - ٨٠

قسمها ، ٤٥٩ ، ٤٦٥ - ٦ ، ٤٦٩ ، ٥٠٣

٥٥٥ - ٦ ، ٥٦٩

نشوعها من مصادر متصلة ، ٤٧٧ - ٨ ، ٥٠٣

نقلاتها ، ١٩٨ ، ٢٨٢ ، ٤٦١ - ٣ ،

٤٧٦ ، ٥٧٢ - ٢

الحالة الوجدانية في الحياة المستيقظة ، ١٩٨ ،

٤٥٦ ، ٤٦٩ ، ٤٧٦ - ٧ ، ٥٨٧

الحالة الوجدانية في الطبايع الصباية ، ٤٧٧

الحلم المتصايف

في الأهراس المستيرية ، ٥٥٧ - ٨

في الحالات الوجدانية ، ٤٧٧ - ٨

في محتوى الحلم ، ١٧٢ ، ٢٣٩ ، ٢٩٧ ،

٣١٨ - ٢١ ، ٢٣٩ ، ٤٠ - ٤٨٦ ،

٥٠٠ وأعطى عليه ٣٠٥ - ٦ ، ٣٠٨ ،

٤١٨ ، ٤٥١ ، ٥٠٤ - ٥

الحيرة كرمز حلى ، ٢٣٤ ، ٢٣٤ ، ٣٦١

الحقاب كرمز حلى ، ٣٥٤ ، ٣٥٦

الحركات الجبلوانية

وإحلام الطيران أو السقوط ، ٢٨٦ ، ٣٩٧

٣٤١ ، ٣٣٨
 الخوف (انظر أيضاً : المخاوف المرضية)
 الإحساس به في الحلم ، ١٦٢ - ٣
 الحلم كتحقيق له ، ١٤٧
 حين يكون خيراً من الموت ، ٢٧٠
 حين يكون خيراً موضوعياً ، ٥٨٥
 الدأوب ، ٢٢١ ، ٢٢٢
 الديف (مقابلة في فرنسا) ، ٥٢
 العيش في الأحلام ، ٢٢٥ ، ١٤٤ ، ٥١ - ٥٣ ، ١٨٥
 التبدان كرموز حلمية ، ٣٦٣
 اللدبية من الأحلام (انظر أيضاً الإحساس بالزمن في الأحلام) ، ٦٤ - ٩٨ ، ١٩٢ - ٥
 ٥٦٤ - ٥٧٦
 اللاذكرة (انظر أيضاً : نسيان الأحلام ، للتنظام اللاكروي)
 ذاكرة الأحلام ، ٧٩ - ٨٣ ، ٥٠٧ ، ٥١١ - ٥١٥ ، ٥١٦
 في الأحلام ، ٥٠ - ٩٠ ، ٦٦ - ٧٠ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٢٣ ، ١٨٦ - ٢٣٨ ، ٧
 ٥٧٥
 في حياة اليقظة ، ٥٠ ، ٢٩٢ ، ١٨٦ ، ٥٢٢
 كصدر من مصادر الحلم ، ٥٧ - ٩
 وتخليتها ، ٥٣٠ - ١ ، ٥٣٤ ، ٥٠ - ٥٥٤ ، ٥٥٤ - ٥٥٨ ، ٥٦١ - ٢ ، ٥٦٦ ، ٥٨٤ - ٥٩٥
 الذكريات السارية ، ١٩٤٢ ، ٢٨٤ - ٥٠ ، ٢٩٤ ، ٥٢٩٦
 اللذان (انظر أيضاً : الجنين المبكر ، الحوس ، الميلاد ، تخليها ، البارالويا)
 التكرس فيه ، ٥٥٦ - ٧٧
 صله بالأحلام ، ١١٩ - ٣٣ ، ٥٥٧ ، ٥٧٨
 طيقه ، ٧٣
 القرائن شج ، ٤٢٨

إليه - الجوع - الحاجات الازدائية -
 الطلح - العمليات النفسية - العمليات
 الهضمية - المنهات البصرية - المنهات البولية -
 المنهات الحسية - المنهات الحرارية -
 المنهات السمية - المنهات السنية -
 المنهات الشمية - المنهات القسية -
 المنهات النفسية .
 الحلم ويعرفه من الحلم (إن هذا الاحلم) ، ٣٤٦ ، ١٨٥ - ٦ ، ٤٩٥ ، ٥٦٠
 الحلم
 الأحلام التي تعرض في خلاله ، ١٥٢ ، ٦٦ ، ٤٠٤
 التحولات المتعلقة به ، ٥٥٨
 تصوره الرزقي ، ٣٦٣ ، ٤ - ٣٨٣ ، ٣٠٤ ، ٤٠٥
 الحلل الوسطى وتكوينها في الأحلام ، ٥٨١ - ٢ ، ٥٨٦
 الحيوانات كرموز حلمية ، ١١٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ - ٢٥٠ ، ٣٦٣ ، ٤ - ٤٠٧ ، ٤١١ - ٤١٢ ، ٤١٦
 الفضول الجنسي للطفل ، ٣٣٦ ، ٣٥٤ ، ٣٦١ ، ٣٧٠ ، ٤٥٧ ، ٥٢٣
 الخليل في أحلام العنصر ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ - ٦٤
 الخريطة كرمز حلمي ، ٣٦٣
 الخشب كرمز حلمي ، ٣٥٦ ، ٣٦٢
 الخضاء .
 والتهديدية ، ٦٠١
 والنظرية العقلية بصلده ، ٣٧١
 وتصوره الرزقي في الحلم ، ٣٦٣ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٣٩٢
 وصله بمركب أوديب ، ٤٠١
 يظهر في الأساطير ، ٣٧٢ ، ٤٠١ ، ٦٠٠
 الخصائص الصورية للحلم (من حيث تصور مادته)

- الرب ، ٢٣٧ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٤١٥
الدرجة التشجعية ، ٦١٨
والرجل الفارس ، ٣١٧
الرمس
التخييلات المتعلقة بالحياة من داخله ، ٤٠٢
تصويره الرمزي في الأحلام ، ١٧٨ ، ٣٦١ ، ٤٠٢ ، ٤١٥ ، ٤١٨
الرحيل كرمز حلمي ، ٢٨٩
الرب الهللي ، ١٦٠ ، ٥٧٢
الربيات الثلاث ، ٥٤٧ ، ٥٦٨
الربيات الطفولية ، ٢١١ ، ٢٣٨ ، ٢٦٢ ، ٤
٥٤٢ - ٢ - ٣ ، ٣٤٦ ، ٥٧٥ ، ٥٨٣ ، ٥٨٨ - ٩
الربيات المتعلقة بالزنا بالهارام ، ٢٧٢ ، ٤
٢٧٦ - ٨٠ ، ٤٥٠ ، ٥٧٢
السطحية الذاتية ، ٣٨٦
موت اللرم ، ٢٧٥ ، ٦ - ٢٧٨
الربيات المشتقة وتصور منها في الأحلام ، ١٨٣ ، ٢٨٥ ، ٣٤٣ ، ٣٨٧ ، ٣٩٩ - ٤٠١
الربيات المكبوتة (انظر أيضاً : الربيات اللاشعورية
١٨٣ ، ٢٥٤ ، ٢٧٨ - ٨٠ ، ٣٩٩ ، ٥٤٠ - ٥٨٧ ، ٦٠٢ ، ٨٩
الربة وليبتها ، ٥٥٤ ، ٥ - ٥٨٣
الرقابة (انظر أيضاً : القبول في اللاشعور ، والكتب
والمقاومة)
إحلالها للمنطيمات السطحية بدل العميقة ، ٥٢٣ ، ٥٢٣
استرخاؤها خلال الأحلام ، ٥١٩ ، ٥٣٣ ، ٥٥٦ - ٧
الطرق التصويرية في تجنبها ، ٣٣٠ - ٣ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٨ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧
عملها في الأمسية النفسية ، ٥٢٣ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠
عملها في حالات الهلوسان ، ٥٢٢
- كيف تسمح بالكذب بين الصلابة ، ٤٣٦ - ٧
كيف تفرض المقاومة ، ٥٢٣
كيف تكون جزءاً من نصيب الأنا الشعوري في
فعل الحلم ، ٢٥٢ - ٣
مقارنتها بالرقابة حل الأدب والصحافة ، ١٦٧ -
٥٢٢ ، ٨
موقفها من قبش ولى ، ٥٩٧ ، ٥٩٩
موقفها من لاش قبش ، ٥٤٤ ، ٥٥٦ ، ٢٧
وأحلام الاستعراض ، ٢٦٢ - ٣
وأحلام الموت ، ٢٦٩ - ٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٦
٢٨١ - ٢ - ٤٣٥ ، ٦
وأحلام الهيلة ، ٢٨٢
والتخييلات اللاشعورية الكاتبة في أفكار الحلم ، ٤٨٩
والحالة الرشدانية في الحلم ، ٤٥٩ - ٢٦٠ ، ٤٦٦ ، ٤٦٩ - ٤٧٦ ، ٨ - ٤٨٢
٤٨٢ - ٤
والعامل الجنسي ، ٢٠٩ ، ٢٢٨
والمراجعة الثانوية ، ٤٨٦ - ٧ ، ٥٠٨ - ٩
والنقل ، ٣٢٠ ، ٤٦٩ ، ٤٩٣ - ٤ ، ٥٤٨
والنكوص ، ٥٣٣ - ٤ ، ٥٣٦ - ٧ ، ٥٦٢ ، ٥٩٠
وتحقيق الرربة ، ٥٢٥ ، ٤٥١ - ٢
ورربة النوم ، ٥٥٩ - ٣٦٠ ، ٥٦١
وفسنان الأحلام ، ٥١٠ - ١١
الرقاص ، ٩٢
الرقب ، ٥٠١
الرمزية
حين تتعلق بالأفكار المبهمة (انظر الرمزية
الفاتية ، سيلبرير) ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٨٥
٤٩٩
حين تتعلق بالحياة الجنسية ، ١٧٨ ، ٢٠٦ -
٩ ، ٢٦٦ ، ٢٢٩ ، ٣٣٥ ، ٣٥٤ -
٤٠٦
من الأحلام ، ١٢٦ ، ١٨ - ٢١٦ - ٧

٣٣٥ ، ٣٥٥ - ٦ ، ٣٨٠ - ١
 العلم ، ٢٥٦ - ٨ ، ٢٦٤ ، ٣٧٢ ، ٣٨١
 - ٢ ، ٣٩٠ - ١
 السلك ، ٣٧٣ ، ٣٧ - ٧
 السوط ، ٣٨٤ - ٧
 الصندوق ، ١١٨ ، ١٧٨ ، ٢٠٦ - ٧ ،
 ٢٠٩ - ٢٤٤ ، ٢٤٤ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٤٠٨
 البلد والآلات ، ٣٦٣ ، ٤٠٣
 النصارى ، ٢٤٦ ، ٣٦٥ ، ٣٨٦ - ٧
 الصندان ، ٢٤٦ ، ٣٥٤
 العين ، ٤٠١ ، ٨
 النضن ، ٣٢٩ - ٣٠ ، ٣٣٥ ، ٣٥٥ - ٦
 نقاشية ، ٣٠٠ ، ٣٧٨ - ٩
 القراد ، ١١٨
 القبة ، ٣٦٢ ، ٣٦٦ - ٧
 القفل والمفتاح ، ٣٦١
 الكلاريت ، ١١٨
 الماء ، ٢٤٦ ، ٤٠٢ - ٤ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨
 المائلة ، ٣٦٢ ، ٣٨٠ - ٢
 الميايل ، ٢٣١ ، ٢٣٦ - ٧
 الخلع ، ٣٦٤
 المركب ، ٣٥٩ ، ٤٠٥ ، ٣٦١ ، ٦١
 - ٤
 المكان الضيق ، ١١٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢
 ٤٠٣
 الملك الملكات ، ٣٦٠ ، ١ - ٤١٠
 المنزل ، ١١٧ ، ٢٤٥ ، ٣٥٤ ، ٣٦٢
 ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٤٠١ ، ٤٠٢
 ٤٥٢ - ٣
 المنطاد ، ٣٦٩ ، ٣٧٤
 النار ، ٣٩٨ - ٩
 النقيذ ، ٤٠٥
 الحليين ، ٢٠٦
 ايمين واليسار ، ٣٦٤ ، ٣٨٦ - ٧
 سراق الليل ، ٣٩٩ ، ٤٠٦

٢٤٤ - ٦ ، ٥٨ ، ٣٥٣ - ٤١٥
 ما يسمى برمزية الحية ، ٤٩٩ - ٥٤٩
 الرمزية الذاتية « إلى الأفكار المبهمة » (سيلبرين)
 ٣٥٢ ، ٤٩٨ ، ٩٠٤
 الرموز
 أصلها التاريخي ، ٣٥٩
 ما ورد ذكره منها .
 ارتداء الثياب ، ١١٨ ، ٢٠٧ ، ٢٢٤ -
 ٦ ، ٣٦١ ، ٣ - ٣٦٦ ، ٨ ، ٣٩٤
 الإغوة والأغوات ، ٣٦٤
 الأسلحة ، ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٩٠ ،
 ٤٠٠
 الأسنان ، ٥٧٥ ، ١١٨ ، ٢٤٤ - ٦ ،
 ٢٦٣ ، ٤ - ٣٩١ ، ٥
 الإفراج ، ٤٠٦
 الأرقام ، ٣٦٤
 الأطفال ، ٣٦٣ ، ٣٦٧ ، ٩ - ٤٠٧
 الأمل والأسفل ، ٢٨٩ - ٣٠٢ ، ٣١٣ ،
 ٣٣٦ ، ٤١١
 الأفران ، ٣٦١
 الأهرام ، ٣٦٤
 الباب ، ٣٥٤ ، ٤٠٠
 البيضة ، ٣٥٥
 البصان ، ٣٥٥ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣
 الجدران ، ٣٦٢
 الحبريات ، ٢٣٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦١
 الحديقة ، ٣٥٤ ، ٣٥٦
 الحقيبة ، ١١٨ ، ٢٤٤ ، ٣٦٤ ، ٣٩٠
 الحيزان ، ١١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٤٩ ، ٣٦٤ ،
 ٣٩٩ ، ٤٠٧ ، ٤١١ ، ٤٦٠
 الخشب ، ٣٥٦ ، ٣٦٢
 الخرائط ، ٣٦٣
 اللبديان ، ٣٦٣
 الرحيل ، ٣٩١ -
 الرموز ، ١٨٨ - ٩٨ ، ٢٩٦ - ٧ ، ٣٣٦

من الحلاوس ، ١٢٠ - ٣ - ٤١٩ ، ٤٢٠
 السوط كرنز حلمي ، ٣٨٤ - ٧
 السبال الزني في الأحلام (انظر أيضاً : الملاحظات
 الزمنية) ، ٨٧ - ١٢٢ - ٢٣ - ٣٢٤ -
 ٧ - ٣٣٧ ، ٨
 السيد تسوكر ، ٢٣٣ ، ٥٢٣٧ - ٣١٢ - ٣
 السيد ميلر ، ٤٩١
 السيفلية الخامسة (بيتين) ، ٣٩١ - ٥
 الشج كرنز حلمي ، ٤٠٦
 الشخصية ، التغير الذي يصيبها في الأحلام وفي
 اللعان ، ١٢١
 الشخصية المشقة ، ١٢٢
 الشدة الحسية .
 الصلة بينها وبين الشدة النفسية ، ٣٣٩ - ٤٠ -
 ٥٥١
 في صور الحلم ، ٧٩ - ٨٠ - ٣٣٨ - ٤٠ ،
 ٤٩٦ ، ٥٥١
 الشدة النفسية ، ٨٩ ، ٣٣٩ - ٤٠ - ٤٥٨ - ٩
 ٥٦٤ ، ٥٧٨ ، ١ - ٥٨٦ - ٧
 والشدة الحسية ، ٣٣٩ - ٤٠ - ٥٥١
 والنقل ، ١٩٨ ، ٣١٨ - ٩ - ٥٠٢ ، ٣
 ٥١٠ ، ٥٣٥ - ٥٤٣ - ٤٤ - ٥٥٠ -
 ٣ ، ٥٧٦ ، ٥٨١ (انظر أيضاً : النقل
 والالقلاب الشامل لقيم)
 الشعور
 والتقبل فيه ، ١٦٨ ، ١٩٨ ، ٢٥٤ ،
 ٥٣١ - ٣ - ٥٣٨ ، ٥٧٨ - ٩
 ٥٩٦ - ٧
 وتحقيق رغبة الاشورية ، ٥٤٢ - ٥٥٢ ،
 ٥٥٥ - ٦ - ٥٩٩ - ٦٠ - ٥٦١
 وطبقة الجهرية ، ١٦٨ ، ٥٨٠
 وطبقة الخامسة بما قبل الشعور ، ٥٦٢ ، ٣
 ٥٩٧ - ٨
 وطبقة بالانظمة - ٥٣٠ ، ٣ - ٥٣٧ - ٨

ربطة المتق ، ٣٤٢
 زبلن ، ٣٥٩ ، ٣٦٤
 مجرد الأظافر ، ٣٦١
 مناظر الطبيعة ، ٣٦٣ ، ٣٧١ ، ١٠٢
 ما قد يكون لها من الاشتراك ، ٣٦٠
 الرموز النسبية (انظر أيضاً : الرموز) ، ١٨٧ ،
 ٢٠٥ - ٩ - ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٣٣٥ ،
 ٣٥٤ - ٤٠٥
 الرموز العسية
 في الأحلام ، ١١٨ ، ٣٤٦ ، ٣٥٤ - ٦ -
 ٣٦١ - ٨٧ ، ٣٩٠ ، ٣٩٥ - ٤١٣
 - ٤
 في المصور القديمة ، ٣٩٨
 الروابط السطحية وحلها محل الصيغة ١٧٠ - ٢٠٣
 ٥٢٣ -
 لرومان (انظر أيضاً : المصور الكلاسيكية) ،
 ٢١٦ ، ٥٨١
 الزنا بالمخارم ، ٣٦٤
 الربية فيه ، ٢٧٢ - ٤ - ٢٧٦ - ٨٠ ،
 ٤٠١ - ٢ - ٤٥٠ - ١ - ٥٧٢
 الزليقة الحمراء (أناتولي لوانس) ، ١١٤ - ٥
 الزواج وقصود في الحلم ، ٣٦١ ، ٣٦٤
 قزهرى ، ١٨٢ ، ٥٣١٣ ، ٢١٥
 السادسة ، ١٧٢ ، ٣٠٢ - ٣ - ٣١٨ ، ٣٧٦
 لعباسة ، ٣٩٥ - ٦ - ٣٩٨
 السخفية في أفكار الحلم والتصير فيها بالاسبقولية
 في معنى الحلم ، ٤٣٠ ، ٤٣٤ ، ٤٤٤ ،
 ٤٥٠
 السقوط ، الحلم به ، ٦٢ ، ٧٥ ، ٢٢٢ ، ٢٨٦
 - ٨ - ٣٩٥ ، ٨ - ٥٧٦
 السمي
 من الصور الخلية ، ٨٤ - ٢٥
 من المنبهات الخافضة إلى الحلم ، ٦١ - ٦
 ٦٧ ، ٦٩ - ٧١ - ٨٥ ، ٢٤٥ - ٦٩
 ٢٠١ - ٣

٥٨٩ ، ٧ - ٥٥٦ ، ٥٥٤٥ ، ٥٣٨
 الطابع المخلصى لرفيات ، ٥٨٣ ، ٦ - ٥٥٥
 الطاقة النفسية ، حرة ومقيدة ، ٥٨٤ ، ٦ - ٥٩٢
 - ٣
 والطبع ، وطباء علم الآثار الذكورية ، ٥٣٠ - ١
 الطرزى الصغير (جريم) ، ٤٧٥
 الطفل المدلل ، ٤٠١ ،
 اللسان (لوليج فولد) ، ٢٦١
 الطموج وبلل الفرائس ، ٢٣٦
 الطوطمية ، ٤١١ - ١٢
 الطيطان ، ٥٤٣ - ٥٤٤
 الظاهرة الطوطمية (سيلبير) ، ٣٢٥ ، ٥٣٨٥
 ٥١٤ ، ٤٩٨ - ٥٠١
 العالم الخارجى (انظر : الواقع)
 العدد والآلات كرموز حلمية ، ٢٦٣ ، ٤٠٣
 المتوانية ، ١٨٢
 الصرف الفنى من حيث هو أداة من أدوات عمل
 الحلم ، ٣٤٨ - ٥٥ ، ٣٦١ ، ٤١١ ، ٥٢٣
 المصرى ، الأحلام المتصلة به ، ٦٢ ، ٧٥ ، ٥٦
 ٢٥٦ ، ٨ - ٢٥٩ - ٢٦٤ ، ٢٣٩ ،
 ٢٩٩ ، ٣٤٤ ، ٤٠٨
 المشق الذاتى (انظر : الاستناء)
 المشق التشرى ، ٤٠٥
 المصا كرمز حلوى ، ٢٤٦ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ،
 ٢٨٦ - ٧
 الحساب القهرى ، ١٢٠ ، ٢٦٣ ، ٣١٧ ،
 ٤٤٤ ، ٥٦١ ، ٥٧٩
 الأحلام له ، ١٢٢ ، ٣٣٨ ، ٣٧٢
 الخوف من التزلمات القاتلة له ، ٤٥٥ - ٦
 علاجها التحليل النفسى ، ١٢٩
 المتمايزين .
 أحلامهم ، ٥٣ ، ١٣٣ ، ١٧٠ ، ١٨٥ ،
 ٢٠٦ ، ٢٢٣ ، ٢٦١
 اشتغالهم بأجسامهم ،

٥٨٧ ، ٥٨٥ ، ٥٦٤ ، ٤ - ٥٤٣ ، ٨
 ٥٨٨ ، ٩ - ٥٩١
 وكونه حاضراً حياً مجولاً لادراك الكيفيات
 النفسية ، ٥٩٧
 وما ورد منه فى المؤلفات عن الحلم ، ٩٣
 ووظيفته ، ٥٩٨ ، ٩
 الشعور بالارتباك فى الأحلام ، ٧٥ ، ٢٥٦ -
 ٨ ، ٢٥٩ ، ٤ ، ٢٧٩ ، ٢٩٩ ، ٣٤٤
 الشعور بسبق الرؤية فى الحلم ، ٤٠٢ ، ٤٤٦ ،
 الشك ، ٣٤٢ ، ٤٤٧ - ٨ ، ٥١٠ - ١
 إشل ، ٢٢٨
 الشلل ، ٢٢٨
 الكل ، ٤٣٨ - ٩ .
 المستيرى ، ١٢٠ ، ٥٥٢
 الشلل الحركى فى أثناء النوم ، ٣٤٥ ، ٤٦٦ ،
 ٥٤٥ ، ٥٥٦ - ٧
 الشكل الكل فى حالات النعاس ، ٥٣٨ - ٩
 والصحائف الطائفة (جريدة هزلية) ، ٢٠٦ ،
 ٣١١ ، ٤٦٠ ، ٥٩٦
 الصديق والرقابة ، ٤٣٦ - ٧
 المصريح ، ١٢٠ ، ٢٢٢ ، ٥٣٧
 قصص كرمز حلوى ، ١١٨ ، ١٧٨ ، ٢٠٧ ،
 ٢٠٩ ، ٢٣٦ ، ٢٤٤ ، ٢٧٠ ، ٢٧٥ ،
 ٤٠٨
 الصور البصرية كحواجز على الحلم ، ٦٨ - ٧١ ،
 ٨٥ ، ٣٣٤ ، ٣٥٢ ، ٥٥٧ - ٨ ، ٥٣٨
 ٥٨٢ ، ٥٤٢ ، ٩
 الصور المتخيلة فى الأحلام
 البصرية ، ٦٨ - ٧١
 السمعية ، ٨٥
 الضحك ، ٥٨٩
 الطابع الأثرى للأحلام ، ٩٥ ، ٥٤٠ ، ٥٧٧
 الطابع الألمانى للأحلام ، ٢٨٢ - ٦ ، ٣٣٣ ،
 ٤٤٠ ، ٥٨٢ - ٣
 الطابع المخلصى للأحلام ، ٧٨ ، ٨٥ - ٨٠ ،
 ٢٤٢ ، ٢٤٩ ، ٤٩٧ - ٨ ، ٥٣٤

المليات الثانوية (انظر أيضاً : المليات الأولية

الأنظمة النفسية) ١٦٩ ، ٢٥٤ ، ٢٧٦ ،
٣٢٠ ، ٤٩٤ ، ٥٨٤ - ٥

المليات الحسابية في الحلم ، ٣٣٧ ، ٣١٥ - ٨ ،
٤٣٧ - ٨ ، ٥٠٧ - ٨

المليات النفسية كمنافذ حل الحلم ، ٦٠ ، ٣٢ ،
٧٤ ، ١١٧ ، ١٩٠ ، ٢٣٩ - ٤٠ ،
٢٤٥ ، ٤٠٦ - ٥

العناصر الذكورية ، ٥٢٧ - ٥

العنة (انظر أيضاً : الانتصاب)

الحلوى والتبوير عنه في أحلام الاختصاص ، ٢٩٠ ،
تصورها في الحلم ، ٢٠٧ - ٨ ، ٣٠٤ - ٥٥ ،
٣٦٧ ، ٣٧٠ ، ٤٧٠ - ٥

العين كمرز حلمي ، ٤٠١ - ٥

العينية الإدراكية ، ٥٥٥ - ٦ - ٥٨٦ - ٧ - ٥

العينية الفكرية ، ٥٨٦ - ٧ - ٥

الفن كمرز حلمي ، ٣٢٩ - ٣٠ - ٣٣٥ ،
٣٥٥ - ٦ - ٥

العيرة

بين الاخوة والأخوات ، ٢٦٧ - ٧١ - ٥

من الولدين ، ٢٧٨٠ - ٨١ - ٥

الفاكهة كمرز حلمي ، ٣٠٠ ، ٣٧٨ - ٩ - ٥

الفراء كمرز حلمي ، ١١٨ - ٥

الفقدان العام للحساسية ، ٦١ - ٥

الفولكلور ، ٣٥٨ ، ٣٦٣ - ٥

القناعلة ، ٦٢ - ٥

القبة كمرز حلمي ، ٣٦٢ ، ٣٦٦ - ٧ - ٥

القبيل في الشهور (انظر أيضاً : الرقابة والكتب) ،

١٦٨ ، ١٩٨ ، ٢٥٤ ، ٥٣٢ - ٣ - ٥

٥٣٩ ، ٥٧٨ ، ٩ - ٥٩٦ - ٧ - ٥

القدس ، ٩١ - ٥

القذارة ومعادلتها بالبيخل ، ٢٢٠ - ٥

القرن الوسطى وتفسير الأحلام فيها ، ٤٥ - ٥

القصر الإمبراطوري (في فيينا) ، ٤٢٣ - ٥

القصور السفلى ، ١٠٩ - ٥

بلل الفراش منعم ، ٢٣٦ - ٥

تحليلهم النفسي ، ٥٣ ، ١٣٣ ، ١٧٠ - ٥

١٨٥ ، ٢٠٣ ، ٢٢٦ ، ٢٧٣ - ٥

٢٨٧ ، ٣٢٢ ، ٥١٦ ، ٥٢٤ ، ٥٤٣ - ٥

٥٤٣ ، ٤ - ٥٨٧ ، ٩ - ٥٩٤ - ٥

مقارنتهم بالأطفال ، ٢٦٧ - ٨ - ٢٨٢ - ٥

المصبات ، ٥٣١ ، ٥٨٤ - ٥

المصر القديمة (عند اليونان والرومان)

واقفسيب الجنب ، ٣٩٨ - ٥

وهيما للأحلام ، ٤٣ - ٦ - ٤٨ - ٩ - ٥

٣ - ٥٠ ، ٦٠ ، ١٧١ ، ١٠٨ ، ١٢٧ - ٥

١٥٨ ، ٢٤٤ ، ٣٦٠ ، ٥٩٦ - ٥

وركب أوجيب ، ٢٧٧ ، ٨٠ - ٤٠٢ - ٥

الخش كمنافذ الحلم ، ١٥٠ - ١٨٨ ، ٤٠٠ - ٥

٥٤٢ - ٥

العلاقات الثنائية وإدراكها (انظر أيضاً :

الاحساس بالزمن) ، ٥٣١ - ٥

العلاقات الثنائية في أفكار الحلم

تصورها بالأعداد في محتوى الحلم ، ٥١٦ - ٩ - ٥

٤٣٨ - ٥

تصورها بالمكان في محتوى الحلم ، ٤١٠ - ٥

تصورها بالنقود في محتوى الحلم ، ٤١٥ - ٥

العلاقات الثنائية في محتوى الحلم ، ٨٧ ، ٩٨ - ٥

٢٦١ ، ٣٢٤ ، ٧ - ٣٢٨ ، ٤١١ - ٥

العلاقات العلية في الأحلام ، ٣٢٥ - ٦ - ٥

العلاقات المنطقية وتصورها في الحلم ، ٣٢٢ - ٣ - ٥

٤٤٨ ، ٩ - ٥٠٢ ، ٣ - ٥٣٥ - ٥

المدان كمرز حلمية ، ٢٤٦ ، ٣٥٤ - ٥

المس وتصوره في الأحلام ، ٤١١ ، ٤١٦ - ٧ - ٥

٤٣٧ ، ٨ - ٥٠٧ - ٨ - ٥

المسل النفسي وولاء ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٢١٢ - ٥

المليات الأولية (انظر أيضاً : الأنظمة النفسية

المليات الثانوية) ، ١٦٩ ، ٢٥٤ ، ٢٧٦ - ٥

٢٢٠ ، ٥٨٤ - ٩٣ - ٥

المليات النفسية كمنافذ الحلم ، ٧٢ ، ٧٥ - ٥

١١٧ ، ٢٤٤ ، ٢٥٥ ، ٢٨٧ ، ٣٩٦ - ٥

القيمة النسبية (الخطر الشدة النفسية ، الانقلاب
الشامل في القيم النفسية)

الكتاب ، ٤٥ ، ٧٢

• الكاروس (حفة) ، ٥٣٨

الكتب (انظر أيضاً : الرقابة ، القمع) ، ٢٥٣ -

• ٥٩٩ ، ٩٢ - ٥٨٣ ، ٥٥٣٩ ، ٥١٥ ، ٥

حين يتناول الحالات الوجدانية ، ٤٥٩ - ٤٦٠

• ٤٦٦ ، ٤٦٩ - ٧٠ ، ٤٧٦ ، ٥٠٣ ، ٥

٥٤٦ - ٧ - ٥٦٩

حين يتناول الحياة الجنسية ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ،

٤١٢ ، ٥٧١ - ٣

حين يتناول رغبات الزنا في الهام ، ٢٧٨ - ٨٠

٥٧٢

حين يتناول رغبات المحدث ، ٢٦٦٩ ، ٢٨١

- ٣ - ٣٣٧ ، ٤٢٩ ، ٢٠

في الأحلام الاستعراضية ، ٢٦١ - ٤

والسايه ، ٥١٥

الكسرى ، التفسير الكسرى للأحلام ، ٥١٦ - ٧

الكلاسيكية كمرز العلم ، ١١٨

الكمية ، ٥٥١ ، ٥٨٤ ، ٥٩٨ - ٩

الكوكالين ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ٤

- ٨ - ١٩٢ ، ٣ - ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٥٢٦

٢٣٧ ، ٢٩٥ - ٦

• الكويش نوانيسه ، ٢٢٩

الكويش المايفيا (في أفراس فيجارو) ، ٢٢٩

الكويش ليرشائين (أغنية) ، ٣٦١

الكويش تافه ، ٢٢٩

الكويش تون ، ٢٢٣ - ٣ - ٥١ ، ٤٣١ ، ٤

٤٣٣ ، ٤٦٨

الكيفية ، ٥٦٢ ، ٥٩٧ - ٩

اللاشعورية في الأحلام ، ٥٩٠ ، ٩٠ - ٢ - ٩٧ ، ٤

١٦٩ ، ١٢٩٠ ، ٣٤٨ ، ٤٢٥ - ٤٤٤ ، ٤

• • • • •

اللب بالالفاظ (انظر أيضاً : البناس ، الهجاته

النكات ، الالفاظ المشكوة ، المحرويات ، الاشتراك

الغضب (انظر أيضاً : الأعضاء التناسلية ، الرموز
النفسية)

الأحلام المتصلة به ، ٢٣٠ ، ٣٧٥ ، ٣٩٠

للزروع القهري إلى عرضه ، ٢١٨

القلب أو العكس

حين يتناول السياق الزمني في الأحلام ، ٣٣٧ ،

٤٠٤

حين يتناول السياق الزمني في المستيريا ، ٨٣٣٧

٥٨٢ - ٣

حين يسبب الحالة الوجدانية في الحلم ، ١٦٦ ، ٤

٣٤٥ - ٦ - ٤٥٣ ، ٤٦١ ، ٤٦٩ - ٧٥

حين يتناول الحالة الوجدانية في حياة البقطة ،

٤٦٩

كطريقة من طرق التصوير في الحلم ، ١٦٥ -

٦ - ٢٩٩ - ٣٠١ ، ٣٢٩ ، ٣٣٦ - ٨

٣٤٩ ، ٣٧٠ ، ٣٨٧ ، ٤١٠ ، ٤٣٢

٤٧٩ ، ٥٤٦ ، ٤٣٣ - ٥

كيف يصور وقوه في محوى الحلم تناقصاً في

أفكار الحلم ، ٤٣٣ - ٥

وقوه في أحلام النفاق ، ١٦٩ ، ٤٧٤ -

وقوه في الأحلام اللاشعورية ، ٤٣٢ ، ٤٣٩ -

٤٠

وقوه في الأحلام البرية ، ٢٠٦ - ٥

وقوه في الأحلام الخفية ، ٣٦٣ ، ٤٠٣

وقوه في البارالوبا ، ٣٦٣

وقوه في تكرين الرموز الخفية ، ٣٦١ - ٤٢

٤١٣ - ٤

القلب ورموز في الحلم ، ١١٨ ، ٢٤٤

القمع (انظر أيضاً الكتب) ، ٢٥٣ - ٥ ، ٥٩٠

وقوه حل الحالات الوجدانية ، ٤٥٩ ، ٤٥٥

- ٦ - ٤٦٩ ، ٥٠٣ ، ٥٤٦ - ٧

أقوى كمرز حسي ، ٥٥٨ ، ٦٠٠

إقامة تشخيصية للأحلام ، ٣٩٠ ، ٧٧٢ - ١٠٩

الغافق المرسية (انظر أيضاً) : الهلبة ، غافق
الأماكن المملقة ، الحوف ، ١٢٩ ، ٣٦١ ، ٣٤٩ ، ٥٩٥

المختبري منها ، ١٢٩ ، ٣٧٥ ، ٦ - ٥٦٩ ، ٥٩٥

ما اتصل منها بالدينان ، ٢٩٩ - ٣٠٠

ما اتصل منها بالسقوط من النوافذ ، ١٨٤

ما اتصل منها بدافع قهري إلى القتل ، ٢٧٥ - ٦

ما اتصل منها بدفع المرء حياً ، ٤٠٣ ، ٨

ما اتصل منها بموت الأم ، ٢٧٦

المخصصات ، ٣٣١

المراجعة الثانوية (انظر أيضاً) : التجميع والحاجة

إليه ، ٣٥٢ - ٣ ، ٢٦٠ ، ٣٢٤ ، ٤٤٨ ، ٤٥٨

٤٥٨ ، ٤٥٣ - ٥٠٨ ، ٩ - ٥٢٥

أسطورة أوديب كاتر من آثارها ، ٢٧٩

أشلة عليها ، ٣٨٨ ، ٥٧٠ - ١

قصة هانز أندريسين كاتر من آثارها ، ٢٦٠ - ١

نشاطها في حياة القطة ، ٤٩٣ - ٧

وأسلام الاستحسان ، ٢٨٩

المراقبة ، ١٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٩٤

الاستطلاع الجنسي في خلالها ، ٣٥٤ ، ٥٥٢٣

(انظر أيضاً) : الاستطلاع الجنسي في

الطفولة) تخطيطها ، ٥٥٨

والرغبات الاستثنائية ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٤

٥٧٣ - ٤

المرض الضري وأثره في الأحلام ، ٤٤ ، ٧١ - ٢

١٠٦ ، ٢٥٥

المرض العقل (انظر أيضاً) : الجنون المبكر ،

الحوس ، الميلانغوليا

العلاقة بين وبين الأحلام ، ١١٩ - ٢٣ ، ٥٧٨ ، ٥٥٧

التكوس فيه ، ٥٥٦ - ٧

علة ، ٧٣

المركب كرنز نظمي ، ٥٥٣٩ ، ٣٦١ ، ٥٤٠٥

٤ - ٤٦١

القلبي ، الجسور القلبي) ، ٢٠٥ ، ٢٢٤

٢٣٣٧ - ٦ - ٣٠٧ ، ٥٢ ، ٤٨

٣٨٨ - ٩٠ ، ٤٠٩ ، ٤٢١ - ٥٠

٤٦٢ - ٤ - ٥١٣ ، ٤

القة

صلة الحلم بها ، ١٢٨ ، ٣٤٧ ، ٥٠ - ٥٠

٣٥٢ - ٥ - ٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٥٠٩

وبما قبل الشعور ، ٥٦٢

البعد والهلبة ، ١٨٤ ، ٥ - ٢٥٤ ، ٥ - ٣٤٦

٤١٢ ، ٥٧٣

الماء كرنز حلمي ، ٢٤٦ ، ٤٠٢ - ٤ - ٤٠٦

٤٠٨

المائلة كرنز حلمي ، ٣٦٢ ، ٣٨٠ - ٢

المادة الحاضرة النشطة ، ٣٤٦ ، ٧ - ٢٤٩ ، ٥٥

٢٩٦ ، ٤٨٤ - ٥ - ٥٤٤

المادة المبردة من الأهمية في محتوى الحلم (انظر أيضاً) :

تفاعلة محتوى الحلم) ، ١٨٧ - ٢٠٩ ، ٤٠٠

٤١٦ ، ٥٥٣ ، ٥٧٥

و المادة والحركة (كلاك ماكسويل) ، ٤٥٤ ، ٥١٣

الماسوشية ، ١٨٢ ، ٣٨١ ، ٤٧٣

الماسوشية العقلية ، ١٨٢

الماسوشية النفسية ، ١٨٢

المبالغات من الأحلام ، ١١٦ ، ٢٢ ، ٢٨٣ ، ٨

المبرد كرنز حلمي ، ٢٣١ ، ٢٣٦ - ٧

المبرلة كرنز حلمي ، ٢٣١ ، ٢٣٦ - ٧

التعاضد كرنز حلمي ، ٢٦٤

المتروبيين حديثاً وأحلامهم ، ١١٢

المجازات النارية واستخدامها الحرق الأحلام ، ٣٤٨

٥٢ - ٤٠٨ ، ١٠ - ٤٢٨ ، ٩ - ٤٤٥

المتري الظاهر (انظر : الحلم ويحده الظاهر)

المتري البكائن (انظر : أفكار الحلم الكاتبة)

الغافق العصاية (انظر أيضاً) : الهلبة العصاية ،

الغافق المرسية) ، ٣٥٤ - ٥

الغافق الهلبة ، ١٦٠ ، ٥٧٢ - ٣

المنهات البرولة كحوافز على الحلم ، ١٨٤ ، ٢٢٩ ،
٣٨ - ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٥١ ، ٢٥٦ ،

٤١٣ ، ٦ - ٤٠٥

المنهات الجسدية (انظر : المنهات الحسية)

المنهات الحرارية كحوافز على الحلم ، ٤٤ ، ٦١ ،
٣ - ٦٥

المنهات الحسية (النظر : الألم ، المنهات البصرية
المنهات الحرارية ، المنهات الخارجية ، المنهات
الذاتية ، المنهات السمية ، المنهات السنية ،
المنهات الشمية ، المنهات الضوئية ، المنهات
السمية)

الاستجابة إليها في اللعان ، ١٢١ ، ٣ -

الاستيقاظ بواسطتها ، ٨٦ - ٨ ، ١١٠ -
١١ ، ٤٩٣ ، ٥ - ٥٥٩ ، ٦٠ (انظر

أيضاً : أحلام الاستيقاظ)

الاستيقاظ لانقطاعها ، ٨٨

تصويرها في محتوى الحلم ، ٥٢٦ - ٧

تفسيرها ، ٦٢ - ٨ ، ٧١ - ٦ ، ٢٤٠ - ٣ ،
٢٥٢ - ٦ ، ٤٩٥ - ٦

حوافز على الحلم ، ٤٤ ، ٦٠ - ٧٩ ، ٩٣ ،
٩٨ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٧ - ٩ ،

٢٣٩ - ٥٨ ، ٥٤٤ ، ٥٧٥

كصدر لكل نشاط نفسي ، ٥٢٩ - ٣٠

كصدر من مصادر الحالات الوجدانية في الحلم
٥٨٤ - ٥

شدة صور الحلم ، ٥٣٨

ويبدأ ثبات الطاقة ، ٥٥٤

المنهات الحسية الباطنة (الضمنية) ، ٧١ - ٩

٢٩٣ ، ١١٢ ، ١١٧ - ٨ ، ٢٤٠ ،

٢٤٥ ، ٢٥٥ - ٤٠٥ ، ٦ - ٥٥٤ ، ٥٧٦

المنهات الحسية الخارجية

الاستيقاظ بتأثيرها ، ٨٨ ، ١١٠ ، ١١٢ ،

٤٩٣ ، ٤ - ٥٥٩ ، ٦٠ -

كحوافز على الحلم ، ٦٠ - ٨ ، ٧٧ ، ٩٣ ،

و للمريض الوهم ، (مولير) ، ٥١٤ ،

السفرية الخلقية في الحلم ، ١٠١ - ٤

المشكلات التي تحل في الحلم ، ٩٨ - ٩ ، ٥٤٤ ،

٥٢ ، ٥٥٣ ، ٤ - ٥٦٧ ،

الشبه الأول ، ٤٠٢ ، ٥٧١ - ٢

المصنفات العلمية ومن الأحلام ، ٤٣ - ١٢٥ ،
١٣٣

انفتاح والأفعال كرموز حلمية ، ٣٦١

المفلس كاذب ، ١٤٠

المقال عن الطبيعة (جيوت) ، ٤٣٨ - ٤٠ ، ٤٤٨ ،

المقاربة

الصلة بينها وبين النسيان ، ٥١٠ ، ٥٠ - ٥١٨ ،

١٩ - ٥٢٤

الصلة بينها وبين النكوص ، ٥٣١ - ٣ ،

٥٣٩

كيف تقوم عقبة في وجه التحليل النفسي ،

١٦٦ ، ١٨١ ، ٣٧٠ ، ٤٤٥ ، ٥

٥١٠ - ٦ - ٥١٨

ما تحمله من رقابة ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٤٠٥ ،

٥٥٣ ، ٥٣٣

المقصلة ، ٦٠ ، ٩٨ - ٤٩٢ ، ٤ - ٥٦٣ ،

المفاهيم الثورية ، ٣٩٩

المكان الضيق كرمز حلمي ، ١٨٨ ، ٤٠٠ ،

٤٠٢ ، ٤٠٣

المكان والشعورية في الأحلام ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٨ ،

الملابس كرموز حلمية ، ١١٨ ، ٢٢٤ - ٦ ،

٣٦ - ٣٦٦ ، ٨ - ٣٩٤ ،

الملاحظة الذاتية في الأحلام ، ٥٠١

الملوك والملكات كرموز حلمية ، ٣٦٠ ، ١ - ٤١٠ ،

المنابر الطبيعية كرموز حلمية ، ٣٦٣ ، ٣٧١ ،

٤٠٢

المنهات (النظر : المنهات الحسية)

المنهات البصرية كحوافز على الحلم ، ٢٦١ ، ٦٣ ،

٦٥ - ٦٨ ، ٧٠ - ١١٧ ، ٢٤٥ - ٦ ،

٥٣٨ - ٥٠٢

٤٤ - ٥٠٤ ، ٥٠ - ٤٤٨ ، ٨ - ٤٣٥

٥٥٩ ، ١ - ٥٤٠ ، ٦ - ٥٣٥

الموسيقى

الجملة الموسيقية ومواصلة ترتيبها في الحلم ، ٨٥

الذاكرة المشاركة بواسطتها ، ٤٩٣ - ٤

في الحلوة الصباية النفسية ، ٤١٩ هـ

المؤد كيرز حلمي ، ٣٦١

الميلانوفيا أو السجاية ، ١٢٠ ، ٣٤١

و أفتاباب هـ (الفنوس دوريه) ، ٣٠٤ ، ٤٤٨ ،

٥٣٧

النار

الحلم بها ، ٣٩٩ ، ٥١٤ - ٥ ، ٦ - ٥٣٥ ،

٥٥٩ ، ١ - ٥٤٠

كيرز حلمي ، ٣٩٨ - ٩

النهي السحري (موزار) ، ٣٠٤

التزامات الاستمرارية

في الأحلام ، ٧٥ ، ٢٥٦ - ٨ - ٢٥٩ -

٣٤٤ ، ٢٩٩ - ٢٩٨ ، ٦٤

عند الأطفال ، ٢١٨ ، ٢٦١ - ٢

عند الصبايين ، ٢٦١

التزامات التصيرية ، ١٨٤ هـ

النساء ، ٣١٣ ، ٥١٥

النسيان (انظر أيضاً : الذاكرة في الأحلام)

حين يتناول الأحلام ، ٥٩ ، ٧٩ - ٨٣ ،

١٧٩ هـ ، ٢٩٣ - ١٨٦ ، ٧ - ٥٠٦ -

٢٥

حين يتناول الانطباعات الخاطلة ، ٢٠٨ - ٢٩

من حيث أن اللاشعور لا يمر به ، ٥٦٥ - ٩

وحلوة نتيجة لفرس لاشعوري ، ١٩١ - ٢

ولوحه في حياة الحقيقة ، ٨٠

النشاط الانعكاس لجهاز التنفس ، ٥٢٩ - ٣٠

٥٥٤ ، ٥ - ٥٨٣

النشاط الحركي لجهاز التنفس ، ٥٣٩ ، ٥٣٣

٥٣٥ - ٦ - ٥٤٥ - ٥٥٤ - ٧ - ٥٦٦ ،

١١٢ ، ٢٣٦ - ٤٤ ، ٢٥٥ ، ٦ ،

٥٧٥

المنهات الحسية الذاتية ، ٦٨ - ٧١ ، ٩٣ ،

١١٢ ، ٢٤٠ ، ٥٣٨ ، ٥٧٦

المنهات الحسية كمواظ على الحلم (انظر أيضاً :

الإنسان كيرز حلمي ، الإنسان والحلم بفقدانها)

٧٥ ، ١١٨ ، ٢٤٤ - ٦ - ٣٨٩ ، ٣٩٦

المنهات الحسية كمواظ على حلمية ، ٦١ ، ٦٣

المنهات الحسية كمواظ على الحلم ، ٧١ - ٩

٩٣ ، ١١٢ ، ١١٧ - ٨ - ٢٣٩ ، ٢٤٠

٢٤٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ - ٦ - ٤٠٥ - ٤٠٤

٥٧٦ ، ٥٥٤

المنهات الحسية كمواظ على الحلم ، ٦١ - ٣

٧٥ ، ٢٤٣ ، ٢٨٧ ، ٣٩٧

المنهات الحسية كمواظ على الحلم ، ٧٦ - ٩

٢٠١ - ٢ - ٢٤٥ ، ٧ - ٢٥٣

المترن كيرز حلمي ، ١١٧ ، ٢٤٥ ، ٤ - ٣

٣٦٢ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٤٠١ - ٤٠٢

٤٥٢ - ٣

المضاد كيرز حلمي ، ٣٦٩ ، ٣٧٤

المنطق ، حضور في الحلم أو انقضاء ، ٨٧ هـ

٨٩ - ٩٢ ، ٩١ - ٢٧ - ٥٣٥

للمنطقة القلبية ، ١٥٧ هـ

الموت

الإشارة إلى حدوثه العام ، ٤٣٠ ، ١ -

٤٥١ - ٣ ، ٤٦٣ ، ٤٧٠ ، ١ - ٤٧٥

التصور من الخوف منه في أحلام لورنا القطار ،

٣٩٠

الحلم بحدوثه لمن يحب ، ٥٧ ، ١١٣ ، ١٧٦ -

٩ ، ٢٦٥ - ٧٦ ، ٢٨١ - ٢ - ٤٦١

٥٤٩ - ٥٠ - ٥٧٠ ، ١ -

مؤقت الأطفال منه ، ٢٨٠ - ٢٧١

مؤقت الرشد منه ، ٢٧٠ ، ٤٢١ هـ

الحق والأحلام المتعلقة به ، ٤٢١ - ٣١ ،

التفريعات قبل الطبية في الأحلام ، ١٣ - ٦
 النظرية « الإفرازية » في الأحلام (روبرت) ،
 ١١٠ - ٢ - ١٩٨ ، ٩ - ٥٦٧ ،
 النظرية « الطبية » في الأحلام ، ١١٠ - ١١ ،
 ١١٤ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ٢١ - ٢ - ٥٧٦ ،
 التفريعات الجنسية للأطفال ، ٣٦١ ، ٣٦٨ - ٩

النس

كيف يجهل الحلم ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ،
 كيف يهرب من الحلم ، ٢٦٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧

النقد

والصيرورة بالأحلام اللاسقولة ، ٤٣٤ ، ٤٤٢ ،
 وتخل المريض منه في التحليل النفسي ، ٣١٠ -

١١٦ ، ٢

النقل (انظر أيضاً : الشدة النفسية ، الانقلاب
 الشامل في القيم النفسية)

جزء جوهري من حل الحلم ، ٣١٩ - ٢٠ ،
 ٥٠٢ ، ٥١٠ ، ٥٣٤ ، ٥٥١ - ٤ ،

٥٨٠ - ٢

حين يتناول الحالات الوجدانية في الحلم ، ١٩٨ ،
 ٢٨٢ ، ٤١١ ، ٤٦١ - ٦

حين يتناول الحالات الوجدانية في حياة اليقظة ،

١٩٨

حين يتناول الشدة النفسية ١٩٧ - ٢٠٣ ،
 ٣١٧ - ٣٢١ ، ٣٤٧ ، ٤٥٨ - ٦٠

حين يتناول الروابط العميقة لتصل إليها السطحية
 ١٩٧ - ٢٠٣ ، ٢٢٣ ،

حين يصح مع التكيف لتكوين الأدكالك المزججة
 ٣٠٧ ، ٣٢٢ ، ٤٧٩ - ٨٠

حين يحدث بتطوير التعبير اللغوي من أفكار
 الحلم ، ٣٤٧ - ٩

حين يقع في الأعصاب ، ٢٠٣ ، ٤٥٩ - ٦٠
 النقل من أسفل الجسم إلى ما أعلاه ، ٣٩٢ ، ٣٩٤

٥٨٣ - ٧ ، ٥٨٩

النشاط العقل في الحلم (النظر : العلاقات المنطقية في
 الحلم ٨٩ - ٩٩ ، ١٠٨ - ٣٢٣ ، ٤ -

٤٤٤ - ٥٨ ، ٥١٧ - ٨ - ٥٤٤ - ٥ ،
 ٥٥٣ ، ٩٥٥

النشاط الفكري واستمراره في النوم ، ٥٠٤ - ٦ ،
 ٥٦٢ - ٣ ، ٥٧٥ - ٦ - ٥٧٨ - ٨١ ،

٥٨٢

النشاط النفسي في الأحلام ، ٩٢ ، ٣٢٣ - ٤ ،
 ٤٨٥ - ٦ - ٥٠١

النظام الإداري ، ٥٢٩ - ٣٥ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ،
 ٥٥٤ - ٧ - ٥٦٢ - ٦ - ٥٨٤ - ٥٨١

٥٨٩ ، ٥٩٧ - ٩

النظام الشموري (انظر أيضاً : الشعور) ، ٥٩٧ ،
 ٩ -

النظام قبل الشموري (قيس) ، ٢٨٥ ، ٣٤٦ ،
 ٤٩٥ ، ٥٠٢ ، ٥٣٣ ، ٥٦٢ - ٥٧٧ ،

٥٧٩ - ٨ - ٥٨٨ ، ٥٩٢٩ - ٥٩٨ ،
 والمعالج النفسي من حيث يخضع له اللاشمور ،

٥٦٦ - ٩

والرقابة بين وبين ش ، ٥٩٧ ، ٥٩٩ ،
 والرقابة بين وبين لاش ، ٥٤٣ - ٤ - ٥٩٩ ،

وصلة بالروابط المكتوبة ، ٥٤١ - ٢ - ٥٤٣ ،
 ٥٤٣ ، ٥٤٣ - ٥ - ٥٤٨ - ٥١ - ٥٥٦ ،

٥٦٠ - ١

وصلة بالرغبة في النوم ، ٥٥٩ - ٦١ ،
 ٥٦٧ - ٨ - ٥٦٣

وصلة بالعمليات الأولية والثانوية ، ٥٨٤ ،
 ٥٨٠ - ٢ - ٥٨٧ ، ٩ - ٥٩٢

النظامان النفسيان (انظر أيضاً : جهات الانعصاص
 والعمليات الأولية والثانوية) ، ١٦٨ - ٧٠ ،

١٩٩ ، ٢٥٤ ، ٢٧٦ ، ٣٢٠ ، ٤٧٧ ،
 ٥٨٣ - ٩٣

التفريعات الشرجية (أو الإسية) في الولادة ، ٣٦١ ،
 ٤٠٣

التقيد

البطل بها ومصادك بالقلادة ، ٢٢٠

مصادكها بالعراس ، ٤٠٦

النكات

صلها باللاشور ، ٥٢١ ، ٥٢٣

و عمل النكتة ، ٣٦٢

في الأحلام ، ٩٧ ، ١٩٧ ، ٢٢٩ ، ٣٠٣

، ٣٤٩ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٤٠٩ - ١١ ،

٥١٢ ، ٢٨٢

في حياة اليقظة ، ١٢٨ ، ١٩٧ ، ٣١٠

، ٣٥٣ ، ٣٥٨ ، ٣٦٣ ، ٤٢٢ ، ٣ -

٤٧٨ ، ٥١٢

من حيث هي تقريرغ لطاقة فائضة، ٥٨٩

النكوص

الشكل أو الصوري ، ٥٣٩

النزى ، ٥٣٩

الطويضوان ، ٥٣٩

الملوس ، ٥٣٦ ، ٥٣٩ ، ٥٥٦ - ٧ في الأحلام

، ٥٣٤ ، ٨ - ٥٥٥ ، ٧ - ٥٦١ ، ٦ -

٥٧٦ ، ٥٨٣ ، ٥٩٠

في الحالات المرضية ، ٥٣٦ - ٢٧ ، ٥٣٩ -

٤٠ ، ٥٥٦ - ٧

في الحياة المستيقظة السوية ، ٥٣٤ ، ٥٣٩

في صور التعبير ، ٥٣٩

النرم

انفلال الحركي في خلاله ، ٣٤٥ ، ٤٦٦

٥٤٥ ، ٥٥٦

الرفية فيه ، ٧٢ ، ٥٥٩ - ٦١ ، ٥٦٢ ،

٥٦٥ ، ٥٦٧ ، ٨ - ٥٧٥ ، ٦ -

الصلة بينه وبين المنبهات الحسية، ٤٤ ، ٦٠ -

٧٩ ، ٨٦ - ٨ ، ٩٣ ، ١١٩ ، ٢٣٩ -

٢٣٩ ، ٥٤٤ ، ٥٤٤

تأثيره الطيب ، ١٦٥

تراخي الرقابة خلاله ، ٥١٩ ، ٤٣٣ ، ٥٥٦

٥٥٦ - ٧

خصائصه ، ٤٦ ، ٥٣٥ ، ٥٤٥ ، ٥٦١ ،

٥٦٣ ، ٥٧٦

حقه أرسطية، ٥٩ ، ٤٧ ، ٨ - ٥٠١

لعل الخل فيه ، ٦١ ، ٦٩ ، ٨٥ ، ٨٨

٨٩ ، ١٠٤ ، ١١٠ ، ١٣١ ، ٥٤٥

مقارنته بحياة اليقظة ، ٨٤ ، ٩٣ -

٩٥ ، ١٠٨ - ١٩

من حيث إن الأحلام تحرسه ، ٢٥٢ ، ٥٥٣ ،

٥٦٥ ، ٥٦٧ - ٨

النوم والمرء مشغول البال بأمر ما، ١٠١ ، ٣٠٢ ،

٥٤٥

الحرم الأكبر ، ٥٣٩

المستبرأ (انظر أيضاً: الأعراس المستبرية)،

١٤٣ ، ١٦٩ ، ٢٦٧ ، ٥٢٢ ، ٥٨٢ ،

٣ - ٥٩٩ ، ٦٠٠ -

عند الأطفال ، ٢٢٠

عند الذكور ، ٤٣٧

عند حاملت ، ٢٨٠ - ١

وأساسها الجنسي ، ١٧٤ ، ٣٥٤

والتأثير البدني ، ٢٢٥

والتشوهات القلبية ، ٣١٦

والاختيلات المستبرية ، ١٨٤ ، ٣٠٦ ،

٢٣٧ ، ٢٦٣ ، ٣٣٧ ، ٤٨٨ ،

٥٥٧ ، ٨ - ٥٩٥ ، ٥٩٩ - ٦٠٠

والصين لذاتي ، ١٧٣ - ٥

والتعقيد ، ١٧٣ - ٥ ، ٢٢٢ ، ٢٩٩

والشلل المستبري ، ١٢٠ ، ٥٥٢

والقوة المستبري ، ٥٥٨ ، ٥٩٩ - ٦٠٠

والخفاف المستبرية ، ١٢٩ ، ٢٧٥ ، ٦ -

٥٦٩ ، ٥٩٥

والنقل بين أجزاء الجسم ، ٣٩٢ ، ٣٩٤

والنوبات المستبرية ، ١٣٣ - ٢٥ ، ٢٢٢ ،

٢٨٧ ، ٣٣٧ ، ٣٩٦ ، ٤٩٠ ،

٥٣٦ ، ٧ - ٥٦٦

والخلل المستبرية ، ٥٣٦ - ٧

الارتداد عنه في النوم ، ٢٤١ ، ٥٣٦ ، ٥٧٦

التقى منه سابل الماضي ، ٥٩٥ ، ٦٠١

استحانه ، ٨٧ ، ٥٥٥ - ٦

حظ الأحداث المصورة في الحلم ، ٣٠١

صلة الأحلام به ، ٤٧ - ٥٠ ، ٨٦ - ٩

٩٧ - ٨

مساواته بما هو مرغوب فيه في الحلم ، ٤٣٠

مبدئه ، ٥٥٦ ، ٨

والحلم في داخل الحلم ، ٤١٦

الوحدة (أو الترابط) ، نصورها في الحلم ، ٢٤٧

الوزادة البريوزوية ، ٢١٣

الوصايا العشر ، ٢٧٢

الولادة

الأحلام المتصلة بها ، ٣٨٠ - ٣ ، ٣٩٢ ، ٨

٣٩٤ ، ٤٠٢

التنظريات الطفولية بشأنها ، ٣٩١ ، ٤٠٣

من حيث هي أصل غير بالهيلة ، ٤٠٣ ، ٨

اللاشعور

الصلة بين وبين رغبات الزنا بالهيام ، ٢٧٩

تخييلات ، ٣٠٤ ، ٤٨٩ ، ٩٠ - ٩٦

نصوريه الرمزي في الحلم ، ٤١١

رغباته (انظر أيضاً : الرغبات المكتوبة) ،

٢٥٤ ، ٢٧٧ ، ٩ - ٣٩٩ ، ٥٤٢ -

٣٩٩ ، ٥٤٢ ، ٦٩ - ٥٨٠ ، ٥٨٣ ،

٥٨٧ ، ٩٠ - ٦٠١ ، ٢

رمزيه ، ٢٤٤

فرسه ، ١٩٢ ، ٢٦٣ ، ٥٢١ ، ٨

من حيث هو مصدر الهيلة ، ٤٦٣

من حيث هو نظام (لاشعور) ، ٥٣٢ ، ٣ -

٥٨٠ ، ٥٧٨ ، ٦٩ - ٥٤٢ ، ٨ ، ٥٣٩

٢ - ٥٨٣ ، ٥٨٧ ، ٤ - ٩٠ - ٥٩٢

نوجان منه ، ٥٩٦ ، ٧ -

اليمين واليسار كرمز بين حلمين ، ٣٦٤ ، ٣٨٦

٧ -

تفسير الأحلام

والهيلة المستعيرة ، ١٣٤

نظريه لرويد فيها ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٤٥٠ -

١ - ٤٦٧ ، ٨

نقل الحالة الوجدانية ، ٤٥٩

المستعيرين

أحلامهم ، ١٧١ ، ٢٢٣

تحليلهم النفسي ، ٢٢٣ ، ٢٣٨ ، ٥١٥ -

٤١٩ ، ٥٢١ ، ٥٧٨ ، ٩ - ٥٨٣ ، ٨٤

الهلوس ، ٤٧ ، ٣٣ - ٤ ، ٢١٠ - ١

٤١٩ ، ٥٢٧ ، ٥٥٥

البصرية (انظر أيضاً الهلوس قبل النوبة) ،

١٢٢ ، ٥٣٦ - ٧

السمية ، ١٢٠ - ٢٣ ، ٤١٩ ، ٨

طابعها التكرس ، ٥٣٦ ، ٥٤٥ ، ٥٢٩ ،

٥٥٦ - ٧

في « الرعب القليل » ، ٥٧٢ ، ٣ -

قبل النوبة ، ١٦٨ - ٧١ ، ٨٤ ، ٢٤٠

الهلوس كرمز حلمي ، ٢٠٦

الحوس ، ١٢٠ ، ٣٦٢ ، ٨

الهيلة العصائية

حين تنجم من الجشاع المعلق ، ١٨٠

عند الامتحان ، ٢٨٨ ، ٩ -

في الأحلام انعطية المرتبطة بها ، ٣٩٩

في أصلها الجنسي ، ١٨٥ ، ٢٥٤ - ٢٥٠ ،

٣٠٤ ، ٣٤٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ - ٧٣

في الولادة كأصل غير بها ، ٤٠٣ ، ٨

في تولدتها عند تحرر اللاشعور ، ٥٦٩ - ٧٠

في ضلالة الأماكن العامة ، ٣٦٦ ، ٧ - ٥٦٩

الهيلة عند الأطفال (انظر أيضاً : الرعب القليل)

حين تنجم من الجشاع الجنسي بين القراءتين ،

٥٧٢

حين تنجم عن قمع الاستثناء ، ٥٧٣

الواقع

الإحساس به في الحلم ، ٨٦٠ ، ٢٠٩ ، ٣٧٨

- البوت ، جورج ، ٣٠٣
 البويد (انظر أيضاً : أسماء السامية) ، ٤٥ ، ٨
 ٢١٣ - ٤٤١ ، ٦ - ٢
 • إناكدا أو كذاة في الإحلام ، ٣٢٣ ، ٣٢٧ - ٨
 أمطج البسر والعجب ، جريلاهاتسر ، ٢٣٥
 إسل ، ١٥٤ ، ١٥٥
 أنالية الأكلال ، ٢٦٧ ، ٢٨٢
 أندريون ، هانس ، ٢٦٠
 انطباعات النهار الخافتة من حيث هي حرفة على
 الحلم ، ٥٧ - ٩ ، ١١١ ، ١١٣ ، ٢٠١ ،
 ٣٢١ ، ٢٤٧ ، ٢٩٥ - ٦
 انطباعات النهار الهامة كصغر من مصادر الحلم ،
 ٤٨ ، ٥٧ - ٨ ، ١١١ - ١١٥ ، ١٩٥ ،
 ١٩٧ ، ٢٠١ - ٣ ، ٢٤٧ ، ٢٩٥ - ٦
 انفسجار القنبلة وسلم نابليون التاجم عنه ، ٦٤ ،
 ٢٥٢ ، ٩٩
 أرتور ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٣ - ٧ ، ١٥٠ ،
 ١٦٥ ، ٢٨٤ ، ٦ - ٤٠٧ ، ٥٢٦ ، ٥٤٥
 - ٦ ، ٥٥٠
 أرين ، ٢٣٧ ، ٨
 أروانوس ، ٢٧٢ ، ٨
 أوزنيس ، ٤٠٣
 أختياخ ، ٤٨٦
 أورديتر ، ٤٥٢
 أطيلى ، ٢٨١
 أولاند ، ٣٠٠ ، ٣٦١
 أولويس ، ٣٠٩
 أليس ، ٢٦٣
 أليجر ، ٢١٣
 لاهيج ، فانس دم الأحد ، ٢٥٠
 لوما ، ١٤٣ - ٤٨ ، ١٤٩ ، ١٦١ ، ١٦٥ ،
 ١٨٥ ، ١٩٥ ، ٢٠١ ، ٣٠٥ ، ٦ - ٤
 ٣٠٨ ، ٣١٨ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٣٤ ،
 ٣٥٠ ، ٥٠٧ ، ٥٢٦ ، ٥٨١
 لوريس ، ١٨٤ ، ٨
 لوزيطو ، نهر ، ٥٣٨
 إيطاليا ، ربة فرويد في زيارتها ، ٢١٣ - ٦ ،
 ٢٥٠ ، ٢٩٦ ، ٣٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٦٧ -
 ٥٣٨ ، ٨
 إيطاليا ، ملك إيطاليا ، ٢٩٨ ، ٣٠٢
 ليفيجينا ، ٢٢٧ ، ٨
 ليفيجينا في توريدا (جوت) ، ٢٢٧
 ليمسغوف ، ٢٣١
 بادوا ، ٥٤
 بارك ، منجر ، ١٥٨ ، ٨
 باريس ، ٩٤ ، ٢١٥ ، ٤٦٧ ، ٤٨٢ - ٢ -
 ٥٢٧
 باريس (في هيلينا الجميلة : لأونيخ) ، ٤٨٦ ، ٨
 بازوف ، يوهان برنارد ، ٢٨٤ - ٥
 بك ، جورج ، ١٥٨ ، ٨
 باكوس ، ٣٠٣
 بالاس الأثنية ، ٢٠٨
 بانفاجرويل ، ٢٣٥
 بانيت ، يوسف ، ٣٧٩ ، ٤٨١ ، ٤ - ٥٠٨
 براتر ، متزه ، ٣١٣ ، ٣٦٩
 برازيج ، الفصح (شخصية روائية) ، ١٤٠
 برلج ، ٢١٥
 برانس ، جورج ، ٢٨١
 برينبورج ، ٤٢٨
 بريلو ، ٣١٢ - ٤ ، ٤٤٢
 برلين ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢١٥ ، ٣٠٧ ، ٣١١
 ٤٢٩ ، ٤٤٢ ، ٤٧٨
 برلار ، كلويد ، ١٦٦
 برضايم ، ١٧١ ، ٤٨
 برويليا ، ٣٠٧ - ٨
 بروكوس ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٨٠
 بروستولوس ، ٥٣
 بروكه ، لينست ، ٢٢٧ ، ٤١٤ ، ٤٢١ - ٣ -
 ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٧٥ ، ٤٧٨ - ٩ -
 ٤٨١
 بروير ، يوسف (انظر أيضاً : قائمة المراجع ا)

تحقيق الرتبة

أحلام الحيلة وصلاتها ، ١٦٠ - ١٦١ ، ٢٥٤

- ٥٤١ ، ٥ - ٢٨٢ ، ٤٨٤ ، ٥ - ٥٤١ ، ٥٦٨

استخلاص من الأحلام الأمية ، ١٥٩ - ١٦١ ،

١٦٥ ، ١٦٨ - ١٨٥ ، ٤٦٨ - ٩ ،

٥٤١ - ٧ ، ٥٦٨ - ٩

اشترائه بين الأحلام واللحان الأصعب ، ١٢٢ -

٣ ، ٥٥٧ - ٩

الصلة بين أحلام العقاب وبين تحقيق الرتبة ،

٤٧١ ، ٤٧٣ - ٤ - ٥٤٧ - ٨

الصلة بين أحلام الموت وبين تحقيق الرتبة ،

٦٦ ، ٢٦٩ - ٢٧٥ ، ٢٧٧ - ٨٢

الصلة بين الرغبات الطفولية وبين تحقيق الرتبة ،

٢١١ - ٨ ، ٢٣٧ - ٩ ، ٢٦٠ ،

٢٦٢ ، ٢٦٦ - ٧ ، ٥٤٣ - ٤ ،

٥٥٧ ، ٥٨٨ - ٩

الصلة بين المنبهات إبسية وبين تحقيق الرتبة

٢٤٧ ، ٢٤٩ - ٥١ ، ٢٥٣ - ٤

الصلة بين طرق التصوير وبين تحقيق الرتبة ،

٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ - ٤٠

الصلة بين قلب الحالات السعدانية وبين تحقيق

الرتبة ، ٤٦٩

ظهور سالف في أحلام الأخلاق ، ١٥٣ - ٥٧

١٥٨ ، ١٦٠ ، ٥٤١ - ٤

في الأحلام ، ١٣٢٠ ، ١٤٦ ، ١٤٨ - ٥٨ ،

٢٤٦ - ٧ ، ٢٥٢ - ٤ - ٤٧٤ - ٥ ،

٥٤٠ - ٦١ - ٥٧٥ - ٦ - ٦٠٢

في التصليلات ، ٤٨٨ - ٩

والرتبة في إثبات خطأ نظريات فرويد أو التحليل

١٧٥ ، ١٨١

والرتبة في إثبات صحة نظريات فرويد ، ٣٩٦

والرتبة في أن يكون المرء حل خطأ ، ٣١٤ - ٥

تنامي الأفكار ، ٩٤ ، ١٠٠ ، ١٠٩ - ١٠ -

١٣٢ ، ٣٩٧ ، ٥١٠ - ١ - ٥٣١ ، ٥٧٧

١٣٩ ، ٤٧٩ ، ٨ ، ٤٨٤

بريل ، دكتور أ (انظر أيضاً : قائمة المراجع أ)

١٢٨

بريلور ، مارييل ، ١٥٢ ، ٢٩٠

بشارك ، ٣٨٤ - ٤

بشرف ، ٣١١

بطليموس الأول ، ١٥٨

بقايا اليوم السابق (انظر : البقايا في النهارية)

بلازل ، ٤١٣

بلاتيه ، ٩٤ ، ٥٤٣

بلال (بالقرب منها) ، ١٣٦ ، ١٤٨

بلال الفرائس ، ٢٣٦

ب.م. يحمل الحيوان ؟ ، ١٥٨

بندكت ، م : ، ٤٨٨

بريطيس (تاجر في سلاتن) ، ٢٢٧

بروجيا ، لوكريس ، ٢٣٧

بروجيه ، بيلي ، ١٥٢

بوركسليف ، ٤٣٢

بورنيك ، ٥٣

بوكلين ، ١٨٨

بيلي ، جان ، ٢١٦

بولتانا (مقهى) ، ٩١

بوساوشيه ، ٢٢٩

بونجور ، كازيمير ، ٤٩٤

بيت النسبة (لينغ) ، ٣٠٩

بيطون ، ٣٩٠

بيستراوس ، ٤٠٢

بيلاو ، ٢٢٧

بيليار ، ١٩٨

بيلفيل ، ٥٩٥

بانيوزر ، ٣٠٤

تأويل المنبهات الحسية ، ٦٢ ، ٧٤ - ٨ ، ٧١ - ٦ ،

١٨٤ - ٥ - ٢٤٠ ، ٣ - ٢٥٢ - ٩

٤٩٥ - ٦

تايلور ، ٤٣

روبا القديمة وروبا الأحدث عهداً ، ٥٨٩

حياة سيجرود ، ٥٠٩

كراسوس وسلطة البارثينون ، ٥٥٨

ميناء الساعة ، ٢٤٢

واجهة الكنيسة الإيطالية ، ٢٣١

تشوير ، ١٦٠

تصوير الحلم

لصيفة التتس ، ٥٢٦ - ٧

لصيفة الشرط ، ٣٤٤ ، ٤٢٩ ، ٥٢٧

للأحاطات ، ٨٣٢٣ ، ٨ - ٢٢٧

للأضداد ، ٣٢٨ ، ٩ - ٣٣٦

لتشابه ، ٣٣٠

لتكرار ، ٣٧٨ - ٩

لتناقض ، ٣٢٨ ، ٣٣٦ - ٧ - ٤٣٤ ، ٤

٤٦٦ ، ٤٨٤ ، ٥٨٢

لثنائية العاطفية ، ٤٣٠

لن والسر ، ٤١١ - ١٢ - ٤٣٧ - ٨ -

٥٠٧ - ٨

للعلاقات العلية ، ٣٢٥ - ٦

للعلاقات المنطقية ، ٣٢٢ - ٣٠ - ٤٤٨ - ٩ -

٥٠٢ - ٣ - ٥٣٥

لفكر المبرد ، ٣٤٩ - ٥٠ - ٤١٧ ، ٥١٧ -

٨ -

لفن ، ٣٢٨ - ٩ - ٣٣٦ ، ٣٤٥

للوحة ، ٢٦٤

لتصوير الحلم ووسائله ، ٣٢٦ - ٤٧

بالأعداد وعمليات الحساب ، ٤١٥ - ٩ -

٤٣٧ - ٨ - ٥٠٧ - ٨

بالأقوال ، ٤١٩ - ٢٥

بالرموز ، ٣٥٤ - ٤٠٦

بالقلب أو العكس ، ٢٦٣ ، ٢٩٩ - ٣٠١

٣٢٨ - ٩ - ٣٣٦ ، ٧ - ٣٤٩ ، ٣

٣٨٧ ، ٤١٠ - ٤٧٩

باللاشعورية ، ٤٢٥ - ٤٤

بالنشاط العقل ، ٣٢٣ : ٤٤٤ ، ٢٥٨

٥٧٩ - ٨٠ - ٥٨١ ، ٢ - ٥٨٤

تراسيس (بحيرة) ، ٢١٦

تركيب الأحلام ، ٣٢١ - ١٢ - ٥٨٢

تزلج (للبارين) ، ١٣٤

تريود (مدينة) ، ٥٥

تسليم ، ٢٣٠

تصبيات ضربها فريده

أشباح الأديبا في العالم السفلي ، ٥٤٣ ، ٢٦٦

الأسابع العشر على اليانور ، ١١١ ، ١٤٩ ، ١

٢٤٢

الأطراس والسمام في دور الحضارة ، ٥٥٦

و الألف و و الباء مقاربان ويتباعدتان ،

٢٦٤ ، ٣٢٥

الحارس ، ٥٥٦

الربيعات الثلاث ، ٩٤٧ ، ٥٦٨

السرة ، ١٣٩ ، ٥١٨

السلام يخيم فوق ساحة القتال ، ٤٦٥

الطبيب الأسرى ، ٥٥٢

الطرق الرقيقة في البلد قد حدها الفيضان ، ٥٢٣

الطيطان ، ٥٤٣ - ٤

القنان والخبر الكريم ، ٢٦٥

القندر المستعار ، ١٤٧ ، ١٤٩

الكتابة المبرهنة ، ٣٣١ ، ٣٤٩

الكلام يسر عنه رسماً ، ٣٢٣ - ٥

الكتابة وبهاضها ، ٥١٨

اللقن للمصور ، ٢٩١ - ٢

المضبوط مسح ثم غطت عليه كتابة جديدة ،

١٦٠

المقارن وصاحب رأس المال ، ٥٥٠ - ١

الموظف غير المهورب ، ١٦٨ - ٩

التمت الروائي ، ٥٨١

التفتيش و اللاتينية ، في مجلة الصحائف المطالرة ،

٤٩٦

الهرم الأكبر وتسلقه ، ٥٣٩

تشخيص المرض بمجاسة اللحم ، ٣٥٨

ثورات مصر البهية ، ٥١٠

جنكتز (الدكتور في «الكتاب» لنوديه) ،

٣٠٤

جنين العظمة ، ٢٣٥ - ٢٣٠ ، ٢٣٨ ، ٢٦٨ ،

٥٤٦

عند الآباء ، ٤٤٧

جوتيه ، ١١٠ ، ٢٢٧ ، ٢٨٠

الأحلام المتصلة به ، ٣٣٦ ، ٤٤٠ - ٢١١

٤٤٧ - ٤٨ ، ٤٧٢ ، ٢٩٦ - ٧ ، ٣٠٠

٤٨٠ ، ٤٢٨

الاستبداد به ، ١٦٦ ، ١٧١ ، ٢٩٦ - ٧ ،

٤٨٠ ، ٤٢٨ ، ٣٠٠

جائزته ، ١٦٦

جورجيا ، ٤٦٤

جوزف ، إرنست ، ١٣٩ ، ٢٨٥ (انظر أيضاً

قائمة المراجع أ)

جهات الاختصاص في الجهاز النفسي (انظر أيضاً:

الأنظمة النفسية) العمليات الأولية والعمليات

الثانوية)

جهتنا الاختصاص (انظر أيضاً : التنظيم

النفسيون)

جيسكرا ، ٢١٣

جيوتو ، ٥٤

حرب الثلاثين ، ٤٢٨

حروب اللويقتين ، ٣٢

حروب قوطاجنة ، ٢١٦ - ٧

حصار طروادة ، ٢٢٧

حق السيادة ، ٢٢٩

حلم ليلة في منتصف الصيف ، ٤٦٠

«حلة الإمبراطور الجديدة» (قصة هانس أوفسن) ،

٢٦٠ - ١

حياة القطة .

الحالات الوجدانية في خلالها ، ١٩٩ ، ٤٥٨

٤٦٩ ، ٤٧٦ - ٧٨٧

الصلة بين الأحلام وبينها ، ٤٣ ، ٤٧ - ٥٠

٧٦ - ٧٧ ، ١٥٩ ، ١٩٥ - ٦ ، ٥٦١

بتغير العينة أو الهوية ، ٣٣٢ - ٣

وسائل حرية أو غير مألوفة ، ٤٠٧ - ١٥

تقاعة محبي الحلم (انظر أيضاً : المادة التي لا وزن

لها في محبي الحلم) ، ١١١ ، ١١٣ ،

١٨٦ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ، ٢٠١ - ٣

٢٢١ ، ٥٠٧ - ٨ ، ٥٥٣ - ٨٨

تفسير الأحلام (انظر الأحلام وتفسيرها)

تفسير الأحلام عند الصينيين ، ٤٥

تفسير الأحلام عند العرب ، ٤٥ ، ١٢٨

تفسير الأحلام عند الهنود ، ٥٤

تفسير الأحلام عند اليابانيين ، ٤٥

توراة فلبس (انظر أيضاً التوراة الإسرائيلية) ،

٥٧٠

تيت ليف ، ٤٠١

تيمون الأثيني ، ٣٨١

تيور ، ٢١٧

«ثروة الشعوب» لآدم سميت ، ٤٥٤

ثروة عام سنة ١٨٤٨ ، ٢٣١

جارتز (الأستاذ جارتز وزوجته) ١٩٣ ، ١٩٧

٢٩٦

جارسيتورا ، ٢٣٥ ، ٤٦٧

جانييه (رسبه لكتاب رابليه) ، ٤٦٧

جاريبالدي ، ٤٢٧ ، ٤٤٦

جاشين ، ٣٨٥

جاك ، كالف ، ٤٢٨

جاسكون ، ٥٥٧ ، ٢٣٧

جانييد ، ٢٣٧

جبال الألب ، ٢١٧ ، ٣٨٤ - ٥

جراتس ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٤٠٨

جرادو ، ٤٦٤

«جراديلما» ليهيلم يزن ، ١٢٧

«جرمينال» ، لزولا ، ٢٣٣

جرميوري ، ٦٢

جريلياتر ، فرانتس ، ٢٧٨ ، ٣٤

جزيرة الشيطان ، ١٨٨

جلانجيتيرج ، ٢١٤

رقبة الموت

- الإمراب عنها في الحلم بموت الأحياء ، ٢٦٦ -
 ٨٢ ، ٢٣٨ ، ٤٢٩
 تجاه الإغريق والأخوات ، ٢٦٧ - ٧٢
 تجاه الناس في مجال الحياة الجنسية ، ٤٠٢ هـ
 تجاه الولدين ، ٢٧٢ - ٨٢ ، ٢٣٨
 كتبها ، ١٦٩ هـ ، ١٧٨ - ٩
 نفس القلب في الشعور (انظر أيضاً : الرقابة ،
 الكبت ، القلب في الشعور)
 روضة القبة ، ٣٦٢ ، ٣٦٦ - ٧
 روبير ، ٦٥
 روبينسك ، ألفريد (انظر أيضاً : قائمة المراجع)
 ١٢٨ هـ
 روزجر ، بيتر ، ٤٧١
 روبا ، ٢١٣ - ٧ ، ٣٣٤ ، ٤٠١ هـ ، ٤٤١
 ٤٨٩ ، ٤٤٤
 ريجتر ، هانس ، ٣٥٠
 زاروس
 زبلن ، كرمز حلمي ، ٣٦٤ ، ٥٩
 زوس ، ٢٧٣ ، ٦٠٠
 زولا ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ هـ ، ٣١٢
 زورليخ ، ٣٥٨ هـ
 سافو (لعمريه) ، ٢٩٩ - ٣٠٢ ، ٣٣٦
 سافوبورولا ، ١٨٩ هـ
 سالزبورج ، ٥٤
 سان سيبتيان ، ١٨٩
 سانت هيللاه ، ٤٩ - ٥٠
 ساندروز (في العمل الفني لزوفا) ، ٣١٣
 سيالاتو ، ٢٢٧
 سبنسر ، هيرت ، ٤٣
 ستانيس ، ٤١٤ ، ٤٥١ هـ
 ستراكلورده ، ٢٨١ هـ

٥٧٥ ، ٥٩١

- للقارة بين خصائصها وخصائص الحياة الخلقة ،
 ٨١ ، ٨٢ - ٩٩ ، ١٠٣ - ١١ هـ
 ٥٢٨ ، ٥١٩ ، ٥٠٥
 النشاط التنكسي في أثنائها ، ٥٣٣ - ٤
 وليسان الأسلام ، ٨٠ - ٣ ، ٥١٤ - ٥٥
 ٥١٨ - ٩
 خبرة الأشياح ، ٥٤٤ - ٥ - ٤٨٣ - ٥
 « خطرات » و « ذكريات » (بشارك) ، ٣٨٤
 بحارة الطحانة (جيتو) ، ٣٢٩ هـ
 داتير ، الدكتور ، ب . ، ٣٧١ ، ٤١٨
 دافيد ، ي . ي . ، ٣١٢
 دافستين ، ١٥٤
 دان ليلكس ، ٢٣٧ هـ
 دافني ، ٤٩٣
 داني ، ٤٧٢
 « درية لدرية » ، ٢٩٩
 ديفيس ، ١٨٨
 « دورا » ، ٣٦١ ، ٣٩٨
 دور نيلخ ، ١٥٥ ، ٤٣١
 دوفر ، ٥١٢ هـ
 دقة أبرالتس ، ٦٣
 دقية برليورج ، ٩١
 دين جيلطف (موزار) ، ٣٩٣
 دوينر ، ٤٦٢
 ديفي ، ٤٩٦
 دي مورا (القرد) ، ٣٠٤ هـ
 ديبيد ، ١٥٦
 رابله ، ٣٥ ، ٢٣٥ ، ٤٦٧ - ٨
 رافنا ، ٢١٤
 رالفك . أثر (انظر أيضاً : قائمة المراجع) ،
 ١٣٠ ، ٣٧٥ ، ٤٧٥
 رايخ ، ج . ، ٢٥٢
 راينبال ، ٥٤
 ربه المثل كرمز حلمي ، ٣٦٢
 رسلوت جلفر ، ٦٧ ، ٤٦٧

- فانديه (مقاطعة) ، ٦٣
 فاوست (جيتيه) ، ١١٠ ، ١٦٦ ، ٢٩٧ ،
 ٣٠٠
 فترة الزمن المنقضية بين الانطباع النهائي ، الحاضر على
 الحلم ١٨٧ - ٩١
 فرانسوا ، جوزيف ، امبراطور النمسا ، ٢٢٨ -
 ٣٠٩ ، ٢٣١ ، ٩
 فرانس ، ألتايل ، ١١٤ ، ١٧٤
 فرانكلين ، جين ، ١٥٨
 لافيتوس (أوبرا لاجينز) ، ٤١٩
 فرج المرأة وتصويره الريزي في الحلم ، ١١٨ ، ٣٧١
 ٤٠٠
 فردناند وايزابلا ، ملكا اسبانيا ، ٢٣٤
 فرعون وسلطه ، ١٢٧ ، ٣٤٣
 فرحسي ، دكتور ساندور ، ٣٧٢ (الظر أيضا :
 قائمة المراجع أ)
 فرويد (انظر أيضا قائمة المراجع أ)
 ابن أخته (هيتمان) ، ١٥٧ ، ٢٦٩
 ابن أميه (جين) ، ٢٥٠ ، ٤٢٥ ، ٤٨٠
 ٣ -
 أخيه الكبير ، ١٩٤
 زوج أميه ، ٢٣١
 امرأته
 الإشارة إليها في أسلام أخرى ، ١٥٥ ،
 ١٨٨ ، ٢٢٧ ، ٢٥١ ، ٢٨٤ ، ٣١٢ ،
 ٣١٤ ، ٤٦٣
 الإشارات إليها في حلم والمبحث الثاني ه ،
 ١٩١ ، ١٩٣ - ٥ ، ١٩٧ ، ٢٩٦
 الإشارات إليها في حلم وصفة إرياه ، ١٣٦ ،
 ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ٣٠٦ ، ٥١٣٨
 الخطوبة والزواج منها ، ٤٣٦ - ٧
 تصويرها في أحدهم ، ١٥٠ ، ٥٤٨ - ٩
 أمه ، ٥٦ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ - ٦ ، ٢٦٥ ،
 ٥٧٠ - ١
- ٢٩٢ ، ٤٤٤ ، ٥٠١ - ٣
 طابه اللاسقطيل ، ٥٧٨ - ٣
 طابه النكوصي ، ٥٣٩ - ٤٠
 لكنه بواسطة تفسير الحلم ، ٥١٦ - ٨
 نشاطه خلال الثبات تحت سيطرة ما قبل الشعور ،
 ٥٦٣ - ٥
 وأحاديث قابلية التصوير ، ٣٤٧ - ٥٧ ،
 ٤٤٤ ، ٥٠٢
 والأحلام اللاسقطيلة ، ٤٢٥ - ٤٤
 والأحلام المحددة بالتجريب ، ٢٠٣
 والتصوير الريزي ، ٣٥٧ - ٦٦
 والحالة الوجدانية ، ٤٥٩ ، ٤٦٣ ، ٤٦٥ -
 ٦ ، ٤٦٩ - ٧٠ ، ٤٧٧ ، ٤٨٠ ، ٤٨٤ -
 ٥ ، ٥٠٢ ، ٥٤٦ - ٨
 ورقابة ، ٣٣٠ - ٣ ، ٥٠٢
 والعمليات الحسية في الحلم ، ٤١٥ - ٨
 والمراجعة الثانوية ، ٤٨٨ - ٩٨ ، ٥٠٣
 والمنهات الحسية ، ٢٤٣ ، ٤ ، ٢٥٤
 والنشاط العقل في الحلم ، ٤٤٤ - ٥٨
 وسائله في التصوير ، ٣٢١ - ٤٧ ، ٤٠٧ -
 ١٥
 وصله بما قبل الشعور ، ٥٦٣ - ٥
 غادة الكاهن ، ٢٢٩ ، ٣٥٥ ، ٧٨
 دراسة الأحلام ، ٤٣ ، ٥٩ ، ٨٢ ، ٨٩
 غليون الطبايع كرمز حلمي ، ١١٨
 خميس الأحلام (انظر أيضا : لا تناقض الأحلام
 الشفرة الحسية)
 الصلة بين وبين المراجعة الثانوية ، ٤٩٦
 علاقه بالكبت ، ٥١٢
 مغزاه ، ٤٣ ، ٢٣٨ ، ٤٤ ، ٣٧٠ - ١ ،
 ٤٤٤ ، ٥٠٦ ، ٧ - ٥١٢
 فاجنر ، ٣٠٤ ، ٣٥٠ ، ٤٣٤
 فاشلد ، ٢٣١ - ٢
 لاريتا ، يوهان ماريا ، ٦٣
 فالديمايت (روزييس) ، ٤٧١
 فالستاف ، ٢٢٥ ، ٥

أولاده

والكركاين (انظر : الكركاين

والنبوات المتصلة بمقتله) ، ٢١٣

مطايته

الأكار ، ١٥٠ - ١ - ١٨٩ ، ٤٦٣ ، ٥

الكتب ، ١٩٤ ، ٢٩٧ ، ٣١٧ ، ٤٦٥

للايشل ، فيون أركسوف ، إزانت ، ١٣٩ ، ٥

١٤٣ ، ٢٢٦ - ٢٧ ، ٢٢٢ - ٢٣ ، ٢٢٣

- ٤ ، ٤٧٩ ، ٤٨٢ ، ٤٨٤

فلسفة الطبيعة ، ٤٦ ، ٧٩

فلورنسا ، ١٩٧ ، ٢٩٦

فلورانس ، ١٨٩ ، ٥

فيليم مايستر (جوتة) ، ٢٨٠ ، ٥

فليس ، فيلهلم (انظر أيضاً : قائمة المراجع أ) ، ٥

١٤٤ - ٥ ، ١٦٩ ، ٥ ، ١٩٣ ، ١٩٣ ، ٣٠٧

٣٠٧ ، ٣٣٤ ، ٣٣١ ، ٣٣٦ ، ٣٠٧

٤٣٩ ، ٣٤٠

ابنت (بولين) ، ٤٨٤

أخت ، ٤٨٤

فليكس ، دان ، ٢٣٧ ، ٥

فيليدر (أولاد) ، ٣٠٠

فوات القطار في الأحلام ، ٣٩٠ ، ١

فركيه - ثالغيل ، ٦٥

فولندا ، لوجليج ، ٢٦١

فون هالر مولده ، بلاتن ، ٤١٩

في الخفاء وكيف يصور في الحلم بواسطة وكتر

من الفرياده ، ٢٦٣ ، ٣٠١

في الليل حل هس البرونزير ، ٤١٩ ، ٥

فير ، ٤١٩ ، ٥

فيجارو (زواج فيجارو) ، ٢٢٩ ، ٤٣٣

فيديو (بنيون) ، ٢٩١ ، ٢

فيديوس (صحيفة حزبية خنفاوية) ، ٣٧٢

فيرجيل ، ٥٩١

فيرولا ، ٥٢ ، ٢٥٠

فيشوف ، ٣٣١

فيليب (ابن الجواب) ، ٥٧٠ ، ٥

أحلام أولاده ، ١٥٣ - ٦

والأحلام المتصلة بهم (انظر أيضاً :

ماتيلدا) ، ١٣٩ - ٤١ ، ١٤٧ - ٨

٣٠٥ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٤٤٠ - ١

٤٤٤ ، ٤٤٦ ، ٧ - ٤٦٧ ، ٨ - ٥

٤٨٤ ، ٥٣٨ ، ٤٤٨ - ٥٠

فريديم ، ٤٤٢

بنت أخت (بولين) ، ٤٨٤

تحليله الذاتي ، ١٣٠ - ١ - ١٣٤ ، ٤٥٢

٤٧٥

تحليله لأحلامه (انظر : تحليل فرويد الذاتي)

تمتيع أستاذ مساعد ، ١٦٦ ، ١٦٤ ، ٢١٢

٢٨٦

جلده ، ٥٧٠

حليمة ، ٥٤٩ ، ٥ - ٥٤٩

حنينه إلى زيارة روما (انظر أيضاً : روما) ،

١٣

رحلاته إلى إيطاليا (انظر : إيطاليا)

حمه يوسف ، ١٦٢ - ٥ - ١٨٧ ، ٢١٢ ، ٥

٣٠٦ ، ٣١٨ ، ٣٣٢ ، ٤٧٢ ، ٤٨٢

٥٥٩

مدرسة بالمدرسة الثانوية ، ١٤٥ ، ٢٣١ - ٢

مرفقة ، ٢٦٥ ، ٢٦٥ ، ٥

والده

والإشارات المتصلة به في أحلامه ، ١٦٣ ، ٥

١٩٤ ، ١١٢ ، ٢١١ - ٢٣٦ ، ٢٣٦ - ٢٣٦

٣٠٦ ، ٣٠٦ ، ٤٢٥ - ٩ - ٤٣٥ - ٦

٤٤٦ - ٤٨١ - ٢

والجوركويا ، ١٩٢ ، ٢٣٦ - ٧

والترجمة للمادية السامية ، ٢١٦ - ٧

رويته ، ٢٣٧ ، ٣٢٧ ، ٤٢٧ ، ٤٣٤

٥ -

واقعية الألمانية ، ٢٣٠ ، ٥ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤

- لينكلر) ، هوجو ، ١٢٨ هـ
 فينكلمان ، ٢١٦
 لينيا ، ٢٢٢ - ٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣٧ ، ٢٩٩ هـ
 ٢٩١ ، ٣١١ ، ٤١٥
 زهارات فليس لها ، ٤٢١ - ٢ ، ٤٢٤ هـ
 ٤٧٨
 هداه الساميرين فيها ، ١٦١ ، ٣٢
 لرويد وبيده فيها ، ٢٥٦
 قانون ، ٤٥٦
 قوانين دراكون ، ٢٧١ هـ
 قبش (انظر النظام قبل الشعوري)
 قابلية التصوير واعتباراتها ، ٢٤٧ - ٥٧ ، ٤٩٥
 ٥٢٦ ، ٥٣٩ ، ٥٥١ ، ٥٦٢
 قصص الاطفال (الحواشي) ، ٦٣ ، ٥١٧ هـ
 ٥٤٧ ، ٥٦٨ هـ
 قصص جرم ، ٤٧٥
 وقلب العالم (وليد حجاب) ، ٤٥٢ - ٣
 كاتارو (ملهه) ، ٢٢٧
 كاتخن ، ٢٠٤
 كارسيد ، ٢١٤ - هـ
 كالبيرج ، ١٣٦ هـ
 كاله ، ٥١٢
 كاجانيا ، ٢١٦
 كالت (انظر : قائمة المراجع أ) ، ١٠١ ، ٥٩٩
 كبر الجيم في الاحلام ، ٢٦٧ ، ٤١٠
 وكتب الاحلام وشرح تفسير الحلم ، ١٢٧ - ٩
 ١٢٢ - ٣ ، ٢٤٤ ، ٣٥٨ ، ٣٩٢ هـ
 ٤٦٩
 كتب الاحلام في الشرق ، ٢١٨ هـ
 كراسي ، ٤٦٨
 كرس ، ٢٢٠
 كرسيل ، أليفر ، ٤٤٦ - ٧
 كرفيس ، ٢٧٣ ، ٦٠٠
 كلاوك ماكسويل ، ٤٥٤ ، ٥١٣
 كليتي ، ٣٧٧
- و كاله في محلى الحلم ، ٤٨٦
 كنول ، ٢٢٥ - ٧
 كورساكوف ، أمراض ، ٢٩٠
 كورنر ، ١٣١ - ٢
 كولر ، كابل ، ١٩٢
 كورنشتاين ، طبيب العين ، ١٣٥ ، ١٩٤ -
 ٢٩٥ - ٦
 كيلر ، جوتفرد ، ٢٦٢ ، ٤٠٨
 لايبك ، سيرجين ، ٤٣
 لاسال ، فريديناند ، ٣١٢ - ٤
 لاسكر ، أدوارد ، ٣١٢ - ١٣
 لايس ، ملك طيبة ، ٢٧٧ - ٨
 لسنج ، ١٩٨
 لصوص الليل كريس حلى ، ٣٩٩ ، ٤٠٦
 لوييز (الجنرال) ، ٤٩٤ ، ٥٢٣ هـ
 لويك ، ٢١٤
 لوليج ، ملك بافاريا ، ٤٣٤ هـ
 لورديتسون ، ٢٣١
 لوفه (الأسد) ، ٤٦٠ - ١
 و لويده ، ٤٥١ - ٣
 لينشتاين ، ٩١
 ليشه ، الدكتور ، ٢٨٤
 لينار ، ١٨٠
 و ليرولده ، ١٣٥ ، ١٤٠ - ١ ، ١٤٣ ، ١٤٧
 و ماتت الشعور و ما فوق الشعور ، ٥٩٧
 و ماتيلدا ، ١٤٠ ، ١٤٦
 ماجدهورج ، ١٣٧ هـ
 ماديرا ، ٣٦٢
 مارا ، ٦٥
 ماراثون ، ٤٠١
 ماركسوف (انظر : فلاميل فون ماركسوف)
 ماريا تريزا ، امبراطورية النمسا ، ٤٢٨
 ماسينا ، ٢١٧
 و ما تحت الشعور و ما تحت الشعور ، ٥٧٩
 ما قبل الشعور (انظر : النظام قبل الشعوري)،

مراق إلى البارناس (كليتس) ، ٣٧٧
 مركب أديب (انظر أيضاً : رليات الزلا بالهارم)
 ٢٧٦ - ٤٥٠ - ١
 من لا يوز ، ٤٦٠
 مسر جيلوز (في «النباه» للديه) ، ٥٢٧
 مصادر الأعلام (انظر : انطباعات النهار الخالفة
 باحبارها مصادر العلم ، وأحداث النهار العامة
 باحبارها مصادر العلم) .
 مطيخوليس (في «لاوست» لجوته) ، ١١٠ ،
 ١٦٦
 مكة ٩٤
 منج و الشفرة في تفسير الأعلام ، ٩ - ١٢٧
 ١٣٢ - ٣ - ٢٤٤ ، ٣٥٨ ، ٣٩٣ ، ٤٦٩
 مو (مدينة) ، ٥٥
 موبسان ، ٣٠٣
 مومنان ، ١٢٤
 مودلينج ، ٣١١
 موراليا ، ٢١٥
 موزار ، ٩٤٣ ، ٤٣٣ ، ٥٣٠٤ ، ٢٢٩
 موسى ، ٢٨٦ - ٨ - ١٠٣
 موسيدان ، ٥٢
 موشيس ، ٣٨٧
 مولير ، ٥١٣ - ٤
 ميرامار ، ٤٦٢
 ميكانيزمات الفلاح ، ٢٧٦
 ميلتون ، ١٦٠
 ميلغ ، ٣٠٧
 نابليون الأول ، ٥٠ ، ٣٦٤ ، ٣١٧ ، ٢٥٢ ،
 ٤٩٤ ، ٤٩٤
 نابولي ، ٣١٦
 نازنس ، (مكتشف) ٣١١
 نشيد الانشاد ، ٣٥٤
 نرجسية الأبطال ، ٢٧١
 نص العلم ، ٥٠٨ - ٥٠٩
 نظريات الأعلام عند الشرقيين ، ١٢٣ ، ١٢٨٨

ماكث ، ٢٨١
 ماكروبيوس ، ٤٤
 مالوروت ، تيجور (انظر أيضاً : قائمة المراجع أ)
 ٤٣٧
 ماهر ، كابل ، ١٥٢
 ماير ، كيزراد ، ف ، ٤٦٨
 مبدأ آلة ، ٥٥٦
 محي ، العلم الظاهر
 اشتغاله من الانطباعات الحديثة غير العامة ،
 ١٨٦ - ٨ - ١٨٩ ، ٩١ - ١٩٥ - ٦
 ١٩٧ - ٢٠٣ ، ٢٣٨ ، ٥٤٥ - ٥٢
 اشتغاله من انطباعات الطفولة ، ٢٠٣ ، ٢٠٩
 - ٢١٨٢ ، ٤٣٧ - ٨
 اشتغاله من خيرات الخالم ، ٥٠ - ٦٠
 تأثير تشويه فيه ، ١٦٠ ، ١٦٥ ، ٥٧٥
 تأثير النقل فيه ، ٣١٧ - ٢٥ ، ٣٢١ ،
 صله بالانكار الكاسية ، ١٤٩ ، ١٦٠ ،
 ١٨٦ ، ٢٠١ ، ٢٩١ - ٧ - ٣١٧ -
 ٣٢٩ ، ٣٢٢ ، ٤٣٤ ، ٥٠١ -
 ٣ ، ٥٦٨
 والأشكال المزججة ، ٣٣٠ - ١
 والتكتيف ، ٢٩٢ - ٧ - ٣٠٥ ، ٣٢١
 والحالة الرشدالية ، ٤٦٥ - ٦
 والربيات المشقية ، ٣٩٩
 والقرنية ، ٢٥٨ ، ٢٦٨ - ٩
 والقلب ، ٣٣٦ - ٧ - ٤٣٤
 والمراجعة الثانوية ، ٢٦١ ، ٢٦٦ ، ٤٩٠
 والمنهيات الحسية ، ٦١٧ - ٧ - ٧٤ - ٦
 ٢٤٢ - ٦ - ٢٥٨ - ٩ - ٤٨٩
 والسيان ، ١٦٨ ، ٥٠٧ ، ٥١١ ، ٥١٤
 والنشاط العقل ، ٤٤٤ ، ٤٤٩
 محكمة التفتيش ، ٦٣ ، ١٠٤
 غافة الأماكن الملققة ، ٢٨٨
 غافة الأماكن العامة ، ٣٦٦ - ٧ - ٥٦٩
 غافة الحبل ، ٣١١

- نظريات الأصل فوق الطبيعي للأحلام ٤٣٠ - ٦
 ١٥٨ ، ١٠٨ ، ٦٠
 نظرية الحلم باعتبارها نياجزلياً ، ١٠٩ - ١١ ،
 ١١٤ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ٢٠١ ، ٢ - ٥٧٦
 نظرية للحورات البيولوجية (ليس ، وسفويجا)
 ١٣٥ ، ١٨٨ - ٩١
 نلق صمغ ٤٠٢
 نويات الحيلة ، ٥٦٩ ، ٥٨٠
 نوتردام ، كاتدرائية ، ٤٦٧
 نوراً (في بيت القصة لأيسن) ، ٣٠٩
 نوبسكا ، ٢٦٣ - ٤
 نطاليس ، ١١٥
 نهر الراين ، ٢٠٨
 نيشه ، ٢٣٣٩ ، ٥٤٠
 وادي لأشربنال ، ١٥٤
 وادي التهل ، ٢١٤
 ونظرة الحلم ، النظريات الموضوعية بصنعها ،
 ١٩ - ٧٧ ، ١٠٨ ، ١٩٨ ، ٥٦٧ - ٨
 وولف ، هوجو ، ٣٥١
 وليم الأول ، إمبراطور ألمانيا ، ٣٨٤ ، ٣٨٧
 وونغ فنجروا ، ٢٣٤ ، ٤٦٧
 واجار ، رليد ، ٤٥٢
 هابن ، ٥٠٩
 هاسد روبال ، ٢١٧
 هال ، الأير ، ٢٢٥ ، ٨٢
 هالسات ، ١٥٣
 هاملت ، ٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٤٤٤
 هامنت ، ٢٨١
 هاميلكار ، باركاس ، ٢١٧
 هانس ألسلد ، ١٥٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩
 هانس ، برجر ، ٢١٣
 هانشن سلاو ، ١٩٨
 هاننيال ، ٢١٦ - ٧
 هابنة ، ٤٣٤ ، ٥٠٨
 هيجماتش الشومر بالنقص ، ٤٦٨
 هجل ، ٩٠
- هررد ، ٢٢٧
 هرزل ، ٥١٣
 هس ، ٢١٦
 هنري الثامن ، ٢٣٢ - ٤
 هنري الرابع ، الجزء الأول (شكبير) ، ٢٢٥ ، ٨٢
 هنري السادس ، الجزء الثالث ، ٢٣٢
 هوبانين ، ٢٥٢
 هوبس (الدكتور) ، ٢٧
 هوير ، ٢٦٤ ، ١٧٢ ، ٤٤٣
 هي أو عائشة (رايدر ، هاجارد) ، ٤٥٢ - ٣
 هيباس (شاحية) ، ٤٠١
 هيننج ، ٣١١
 هيجان ، الأطفال وأحلام الطيران والسقوط ،
 ٢٨٦ - ٨ ، ٣٨٦
 هيربست ، ٢١٣
 هيريد (الدكتور) ، ٤٤٢
 هيرودوث ، ٤٠١
 هيروليس ، ١٥٨
 هيرولياندر ، ٢٣٥
 هيلفريديج (الدكتور) ، ٤٧١
 هيلر ، هوجو ، ٣٧
 هيلين الجلية (أفنيخ) ، ٤٨٨
 هنريخ البائع (دولية ، ج. كيلر) ، ٢٦٣ ، ٤٠٨
 لانهز الأحلام (انظر : لا تناسق الأحلام)
 لاتناسق الأحلام (انظر أيضاً : غموض الأحلام)
 ٤٠٤ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٥ - ٤٠٤ ، ٣٤٠
 رجوعه إلى أخطاء المراجعة الثانوية ، ٤٨٧
 لاش (انظر : اللاشعور من حيث هو نظام)
 يسوع المسيح ، ٢٣٤
 يزن (انظر أيضاً : جراديفا) ، ١٢٧ ، ٣٧٨
 يوسف وحلم فرعون ، ١٢٧ ، ٣٤٣ ، ٤٨١
 يوكاستا ، ٢٧٧ - ٩ ، ٢٧٩
 يوليوس قيصر (شكبير) ، ٤٢٤ ، ٤٨٠ - ١
 يونج (انظر أيضاً : قائمة المراجع) ، ١٢٤ ، ٤
 ٣٨٧ ، ٣٩١ -
 يونج ، ٢٣٤

فهرست الكتاب

صفحة	
٧	تصدير .
١٥	كلمة المترجم .
٣١	تمهيد
٣٣	مقدمة الطبعة الثانية .
٣٥	مقدمة الطبعة الثالثة .
٣٧	مقدمة الطبعة الرابعة .
٣٨	مقدمة الطبعة الخامسة .
٣٩	مقدمة الطبعة السادسة .
٤٠	مقدمة الطبعة الثامنة .
	الفصل الأول
٤٣	المصنفات العلمية في مشكلات الأحلام
٤٧	(أ) علاقة الحلم بحياة اليقظة
٥٠	(ب) مادة الحلم - الذاكرة في الحلم
٦٠	(ج) منبهات الحلم ومصادره
٦١	١ - المنبهات الحسية الخارجية
٦٨	٢ - التهييجات الحسية الداخلية (الذاتية)
٧١	٣ - المنبهات الجسمية الداخلية العضوية
٧٦	٤ - المصادر النفسية للتنبيه
٧٩	(د) لماذا ينسى الحلم بعد اليقظة
٨٣	(هـ) الخصائص السيكلوجية المميزة للحلم
٩٩	(و) الحاسة الخلقية في الحلم
١٠٨	(ز) نظريات الحلم ووظيفة الحلم .

صفحة

- (ح) العلاقة بين الحلم والأمراض العقلية . ١١٩
ملحق ، ١٩٠٩ : . . . ١٢٤
ملحق ، ١٩١٤ : . . . ١٢٥

الفصل الثاني

- المنهج في تفسير الأحلام -- تحليل حلم على سبيل المثال ١٢٦

الفصل الثالث

- الحلم تحقيق رغبة . ١٤٩
الفصل الرابع
تشويه الحلم . ١٥٩

الفصل الخامس

- مادة الحلم ومصادره ١٨٦
(أ) الحديث والتألف في الحلم ١٨٧
(ب) مادة الطفولة من حيث هي مصدر من مصادر الحلم ٢٠٩]
(ج) المصادر الجسمية للحلم ٢٣٩
(د) الأحلام النمطية ٥ ٢٥٨
(أ) أحلام الارتباك من جراء العرى ٢٥٩
(ب) أحلام موت الأحباء ٢٦٥
(ج) أحلام الامتحان ٢٨٨

الفصل السادس

- عمل الحلم ٢٩١
(أ) التكثيف ٢٩٢

٣١٧	(ب) عمل النقل
٣٢١	(ح) وسائل الحلم في التصوير
٣٤٧	(د) اعتبار قابلية التصوير
٣٥٧	(هـ) التصوير بوساطة الرموز في الأحلام - أحلام نمطية أخرى .
٤٠٧	(و) أمثلة - عمليات الحساب والأقوال في الحلم .
٤٢٥	(ز) الأحلام اللامعقول - النشاط العقلي في الأحلام .
٤٥٨	(ح) الحالات الوجدانية في الحلم
٤٨٥	(ط) المراجعة الثانوية

الفصل السابع

ميكولوجية عمليات الحلم

٥٠٤	(١) نبيان الأحلام
٥٠٦	(ب) الذكوص
٥٢٥	(ح) تحقيق الرغبة
٥٤٠	(د) الیقظة بسبب الحلم - وظيفة الحلم - حلم الهيلة .
٥٦١	(هـ) العمليات الأولية والعمليات الثانوية - الكبت .
٥٧٤	(و) اللاشعور والشعور - الواقع .

قائمة المراجع

٦٠٣	فهرست الأحلام
٦٢٩	(١) أحلام فرويد
٦٢٩	(ب) أحلام الآخرين
٦٣٠	فهرست عام
٦٣٤	فهرست الكتاب

Ce livre est la traduction de la *Traumdeutung* de Sigmund Freud par Moustafa Safouan, membre de la Société Française de Psychanalyse. Il paraît dans le cadre d'une série dirigée par Monsieur le Docteur Moustafa Ziwar et consacrée aux œuvres fondamentales de la psychanalyse.

La traduction est dédiée à Messieurs les Docteurs Moustafa Ziwar et Marc Schlumberger.

تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية

تحت رقم ١٩٦٩/٤٤٥١

مطابع دار المعارف بمصر

سنة ١٩٦٩

تفسير الأحلام

في هذا الكتاب يرينا سيجموند فرويد أن تفسير الأحلام إنما يعنى قراءته . فما الحلم سوى كلام مكتوب بكتابة مصورة مثل اللغز المصور أو النص المثير وغلبى . وهو إذن - شأن كل كلام - يفترض لغة . وهذه اللغة هى التى يقوم فرويد ههنا بفك طلاسمها ودراستها ، مبيناً نحوها وبلاغتها ومفرداتها الأساسية .

ومن هذا الكشف الذى به عرّف فرويد الإنسان بلغة رغبته لا ينفصل ذلك الكشف الآخر الذى لم يستخلص عصرنا بعد كل نتائجه الأثروبولوجية والأونولوجية والذى كان له فيما يتصل بمعرفة الإنسان أثر لا يعدله بحق سوى الأثر الذى كان لكوبيرنيكوس فى معرفة الكون ، وأعنى به اكتشافه « أنك لست مركز نفسك » .

إننا لم نعد نتحدث عن الإنسان بعد فرويد بمثل ما كنا نتحدث به من قبل ، وفى هذا الكتاب « كل » فرويد .

المؤلفات الأساسية فى التحليل النفسى

● صدر منها :

- | | |
|---|------------------------------|
| لسيجموند فرويد ترجمة الدكتور إسحق رمزى | ● مقدمة فى التحليل النفسى |
| » » » » ترجمة » » » » | ● ما فوق مبدأ اللذة |
| » » » » ترجمة الدكتورين مصطفى زيور وعبد المنعم المليجى | ● حياتى والتحليل النفسى |
| » » » » ترجمة الدكتور مصطفى صفوان | ● تفسير الأحلام |
| » » » » ترجمة الدكتور سامى محمود على والأستاذ عبد السلام القفاش | ● الموجز فى التحليل النفسى |
| » » » » ترجمة الدكتور سامى محمود على | ● ثلاث مقالات فى نظرية الجنس |

